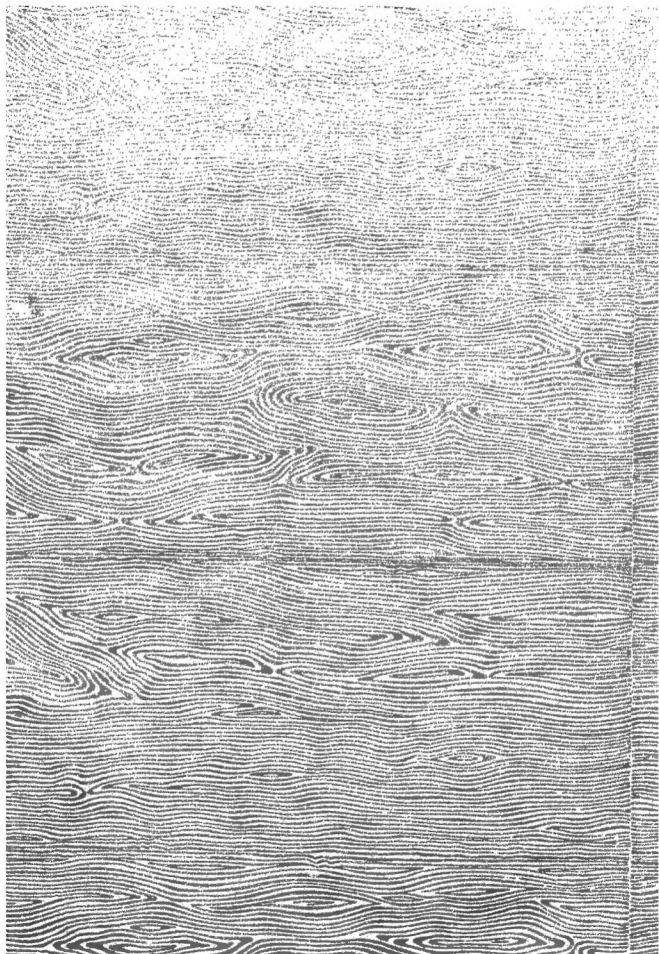


أعادت ٢٠٠٢

د العزيز توفيق جاويد



بجته الآلئ والفرجة والشمس

كِتَابُ
الْحَقِّدِ الْفَرْدِ
تَأْلِيفُ

أَبِي عَمْرٍأَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ

شرحه وضبطه وصححه وعتون موضوعاته

ورتب فهرسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري

الجزء الرابع

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٢ هـ - ١٩٤٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الرابع من العقد الغرير

(١) فرش كتاب المجنب في الأجوبة

- قال أحد بن [محدث] عبد ربه : قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة ،
 ونحن قائلون بمون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصب الكلام كله مؤكداً ،
 وأعز مطلباً ، وأغمض مذهباً ، وأصنعه مسئلاً ؛ لأن صاحبه يُنجل مُنْجَلَةً
 الفكرة ، وأستعمال القرينة ؛ يروم في بديهة ، نقض ما أترم في روية (٢) ؛ فهو
 كن أخذت عليه الفجاج ، وسدّت عليه المخرج ؛ قد تعرض للأسنة ،
 وأستهدف للراي ؛ لا يدري ما يُقرع به فيثأب له ، ولا ما يفتحوه من خصمه
 ١٠ فيقرعه بمثله . ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام نقاده بزمامه ،
 بعد أن روى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الراي يُغيب حتى
 يحتمر ؛ فقد كرهوا الراي الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبري (٣) ؛ فلا يزال
 في نسج الكلام وأستفناسه ، حتى إذا اطمان شارد ، وسكن نافر ، صك
 به خصمه جملة واحدة ؛ ثم إذا قيل له : أجب ولا تغطى ، وأسرع ولا تبطل .
 ١٥ تراه يجاوب من غير أناة ولا أستاذ ، يطبق المفاصل ، ويُنْفَذ [إلى] المتأمل ؛

(١) زيد في قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصل الله على سيدنا

محمد وآله وسلم » .

(٢) في بعض الأصول : « في بديهة . . . في روية » . وهو تحريف .

(٣) الراي الدبري : هو الذي يستخرج أخيراً بعد فوات الحاجة .

كما يُرْمَى الجُنْدَلُ بالجُنْدَلِ ، وَيُقَرَّعُ الحديدُ بالحديدِ ؛ فَيَحْتَلُّ بهُ حُرَاهُ ، وَيَقْتَضِ
بهُ مِرَاتِرُهُ ، وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى كَلَامِهِ ^(١) ، كَسَحَابَةٍ لَبَدَتْ عَجَابَةً . فَلَا شَيْءَ
أَعْضَلُ مِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ ، وَلَا أَعَزُّ مِنَ الْخَصْمِ الْأَلَدِ ، الَّذِي يَقْرَعُ صَاحِبَهُ ،
وَيَنْقَرِعُ مُنَازَعَهُ * يَقُولُ كَسَيْلِ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزَلِ *

- قال أبو الحسن : أسرعُ الناسِ جواباً عندَ البديهةِ قريشٌ ثم بَقِيَّةُ الْعَرَبِ ؛
وَأَحْسَنُ الْجَوَابِ كُلُّهُ مَا كَانَ حَاضِراً مَعَ إصَابَةٍ مَعْنَى وَإِيجَازٍ لَفْظٍ . وَكَانَ يُقَالُ :
أَتَقُوا جَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ . وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَمْرِو بْنِ الْأَثَمِ :
أَخْبِرْنِي عَنْ الزُّبَيْرَانِ ؛ قَالَ : مُطَّلَعٌ فِي أَدَارِيهِ ^(٢) ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَانِعٌ لِمَا
وراءَ ظَهْرِهِ . قَالَ الزُّبَيْرَانُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَلِمْتُ مَنَى أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ،
وَلَكِنْ حَسَدَنِي . قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَزَيْمٌ ^(٣) .
الرُّوءَةُ ، ضَيِّقُ الْمَطْنِ ^(٤) ، أَحَقُّ الْوَالِدِ ، لَتَيْمِ الْغَالِ ؛ [وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ]
مَا كَذِبْتُ فِي الْأَوَّلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخَرَى ؛ رَضِيتُ عَنْ أَبِي عَمٍّ قَتَلْتُ
فِيهِ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ ، وَسَخِطْتُ عَلَيْهِ قَتَلْتُ أَتَيْتَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ .
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِعْراً .

لأبي الحسن
في أسرع
الناس جواباً
وكلامه جواب
عثمان ، ثم حديث
ابن الأثم
والزبيران مع
الرسول صلى
الله عليه وسلم

١٥ جواب عقيل بن أبي طالب لما عاوية وأصحابه

لَمَّا قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، أَكْرَمَهُ وَتَرَكَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ
وَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ ^(٥) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا [غَيْرَ] حَافِظَ

عقيل مع معاوية
في تفضيل أخيه
علي

- (١) في بعض الأصول : « أَكْثَرُ كَلَامِهِ » .
(٢) يريد عشيرة الأثريين . وفي : « إِيَابَتُهُ » .
(٣) زعم الرواة : قليلها . وفي بعض الأصول : « زَيْنٌ » .
(٤) المطن للرايل ، كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركتها حول الأرض . ويكنى
بشيءه عن ضيق الصدر .
(٥) كان عقيل قد خرج إلى معاوية مفاضياً لأخيه علي ، وذلك حين سأل عقيل أخاه
علياً أَنْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنَهُ ، فَأَمَّلَهُ عَلَى حَقٍّ يَخْرُجُ إِلَيْهِ عَطَاؤُهُ ، فَظَنَّ عَقِيلُ أَنَّهُ يَسُوفُهُ ،
فَتَرَكَهُ وَذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ . (انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٤٢٣ وشرح نهج البلاغة
ج ٣ ص ٨٤) .

لك ، قَطَعَ قَرَابَتَكَ وَمَا وَصَلَكَ وَلَا أَصْلَظَمَكَ . قَالَ لَهُ عَقِيل : وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْزَلَ التَّعْلِيَةَ وَأَعْظَمَهَا ، وَوَسَلَ الْقَرَابَةَ وَحَفَظَهَا ، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ إِذْ سَاءَ بِهِ ظَنُّكَ ، وَحَفِظَ أَمَانَتَهُ وَأَصْلَحَ رَعِيَّتَهُ إِذْ خَتَمَ وَأَفْسَدْتُمْ وَجُرْتُمْ ، فَكَفَّفَ لَا أَبَا لَكَ ، فَإِنَّهُ عَمَّا تَقُولُ بِمَعْزُول . وَقَالَ لَهُ مُصَاوِيَةٌ يَوْمًا : أَبَا يَزِيدَ ، أَنَا لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ عَلِيٍّ . قَالَ : صَدَقْتَ ، إِنَّ أَخِي آتَرَ دِينَهُ عَلَى دُنْيَاهُ ، وَأَنْتَ آتَرْتَ دُنْيَاكَ عَلَى دِينِكَ ، فَأَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَخِي ، وَأَخِي خَيْرٌ لِنَفْسِهِ مِنْكَ ^(١) . وَقَالَ لَهُ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ ^(٢) : أَبَا يَزِيدَ ، أَنْتَ اللَّيْلَةُ مَعَنَا ؛ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَوْمَ بَدَرُ كُنْتُ مَعَكُمْ ^(٣) .

يوسف عليل
ورجل اسمه
بجناية أخيه
ثم بينه وبين
مساوية

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَقِيل : إِنَّكَ لَخَائِنٌ حَيْثُ تَرَكْتَ أَخَاكَ وَتَرَفَّعْتَ إِلَى مُصَاوِيَةٍ . قَالَ : أَخَوْنُ مَنَى وَاللَّهِ مَنَ سَفَلَكَ دَمَهُ بَيْنَ أَخِي وَأَبْنِ عَمِّي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَمِيرًا . وَدَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُصَاوِيَةٍ ، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ ، فَأَجْلَسَهُ مُصَاوِيَةٌ عَلَى سِرِّرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ مَشْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ مَشْشَرُ بَنِي أُمَيَّةٍ تُصَابُونَ فِي بَصَارِكُمْ . وَدَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُوَيْانٍ ، فَوَسَّعَ لَهُ مُصَاوِيَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقِيلٍ ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ عَقِيلٌ : مَنَ هَذَا الَّذِي أَجْلَسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : أَخُوكَ وَابْنُ عَمِّكَ عُتْبَةُ . قَالَ : أَمَّا إِنَّهُ إِنْ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مَنَى إِنْ لِي أَقْرَبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَمَنَى ، وَأَنْتَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضٌ وَنَحْنُ سَمَاءٌ . قَالَ عُتْبَةُ : أَبَا يَزِيدَ ، أَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَالِمٌ بِحَقِّكَ ، وَلَكَ عِنْدَنَا مِمَّا نَحِبُ أَكْثَرُ مِمَّا لَنَا عِنْدَكَ مِمَّا نَكْرَهُ .

(١) فِي الْبَيَانِ وَالتَّوْبَةِ (ج ٢ ص ١٧٤) : « أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَأَنْتَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ » .

(٢) لَيْلَةُ الْهَرِيرِ ، مِنْ لَيَالِي صَفِينِ ، اسْتَحْرَفَهَا الْقَتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فِيهَا عَلَى يَدِهِ خَلْقًا كَثِيرًا . وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَبَدَعَهَا رَفِيعُ الصَّاحِفِ ، ثُمَّ كَانَ التَّحْكِيمُ . (انظر مروج الذهب للمسعودي) .

(٣) لَمْ يَسْلَمْ عَقِيلٌ إِلَّا عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ . وَقَدْ أُسِرَ يَوْمَ بَدَرٍ مَعَ مَنْ أُسِرَ مِنَ الْمُحَرِّكِينَ . (انظر السيرة لابن هشام والاستيعاب) . يَعْرِضُ بِهِمْ مِثْلُهَا مَوْقِعُهُمْ عَلَى مَوْقِعِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدَرٍ .

- ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عَمَّه أبو لب . قال له عقيل : وهذا معاوية عَمَّتُهُ سَمَاءُ الحَطَبِ ؟ ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار فأُعِدِلْ ذات اليسار ، فإنك سَتَجِدُ عَمِّي أبا لب مُقْتَرِشاً عَمَّتِكَ سَمَاءُ الحَطَبِ ، فانظر أيهما خير : الفاعل أو المفعول به ؟ وقال له [معاوية] يوماً : ما بين السَّبَقِ في رجالكم يا بني هاشم ! قال : لَكِنَّهُ في نِسَائِكُمْ أَيْنُ يا بني أُمَيَّة .
 وقال له معاوية يوماً : والله إن فيكم لَخَصْلَةً ما تُنَجِّينِي يا بني هاشم ؟ قال : وما هي ؟ قال : لَينٌ فيكم ؟ قال : لَينٌ ماذا ؟ قال : هو ذاك ^(١) ؛ قال : إني أنا تُعَيِّرُ يا معاوية ! أجل والله ، إن فينا لَلِينَا من غير ضَعْف ، وعِزٌّ من غير جَبَروت ؛ وأما أنتم يا بني أُمَيَّة ، فإنَّ لَينَكُمْ عَدَرٌ ، وعِزُّكُمْ كُفْرٌ ؛ قال معاوية : ما كُلُّ هذا أردنا يا أبا يزيد . قال عقيل :
 ١٠ لنى اللَّبُ يُنْسَلُ اليوم ما تَقَرَّعُ العَصَا . وما عُلِمَ الإنسانُ إلا لِيلَعَلَمَا
 قال معاوية :

وإن سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلَّ بِعَدِهِ ^(٢) وإن اللَّقَى بَعْدَ السَّهْمَةِ يَحْلُمُ
 وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جَعَلْتُمُونَا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

١٥ إلى أسرو مَنى التَّكْرُمُ شَيْمَةً إذا صاحبي يوماً على الهَوْنِ أَضْمَرَ

ثم قال : وأيم الله يا معاوية ، لئن كانت الدُّنْيَا حَبْلَتِكَ مِهَادَهَا ، وَأَعْلَانُكَ بِجَنَافِئِهَا ^(٣) ، وَمَدَّتْ عَلَيْكَ أَطْنَابُ سُلْطَانِهَا ، مَا ذَاكَ بِالَّذِي يَزِيدُكَ مَنَى رَغْبَةً ، وَلَا تَنْخَسُهُ لَرَهْبَةً . قال معاوية : لقد نَمَّهَا أبا يزيد نَمًّا هَسَّ له قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنِّي يَكُونُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما زِدَانِي بِرِداءِ مُلْكُهَا ، وَحَبَّانِي بِفَضِيلَةِ عَيْشِهَا ، إِلَّا لَكِرَامَةً أَذْخَرَهَا لِي ؛ وقد كان داودُ خَلِيفَةً ، وَسُلَيْمَانُ مَلِكًا ، وَإِنَّمَا هُوَ
 ٢٠ لِثَالِ مُتَحَذِّى عَلَيْهِ ، وَالْأُمُورُ أَشْبَاهُ ؛ وأيم الله يا أبا يزيد ، لقد أَصْبَحْتَ عَلَيْنَا

(١) أى لَين الحديث والسلام . (٢) فى بعض الأصول : « عنده » .

(٣) المحسنات : الأعمال والنواصي ، أى أقبلت عليك بأسرها . وفى بعض الأصول :

« بجنايف أملها » ، وفى بعض آخر : « بجنايف حلكها » .

كريما ، وإيلنا حبيبا ، وما أصبحت أضمر لك إساءة .

ويقال إن أسراة عقيل ، وهي بنت ^(١) عتبة بن ربيعة خالة معاوية ، قالت لعقيل : يا بني هاشم ، لا يحبك قلبي أبدا ، أين أبي ؟ أين أخى ؟ أين عمي ^(٢) ؟ كأن أعناقهم أباريقُ فِضة . قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخذني على ثمالك .

جواب ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قریش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ، وكان جريشا على معاوية ، حقاؤه ، فبلغه عنه بعض ما عثه ، فقال معاوية : رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فعصفت لليت في الحى والحى في الليت ^(٣) استملك على يا بن عباس على البصرة وأستعمل أخاك حبيد الله على اليمن ، وأستعمل أخاك [تماما] على المدينة ، فلما كان من الأسر ما كان هنأتكم بما فى أيديكم ، ولم أكتشفكم عما وعت غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم وأعطى غدا مثله ؟ وعلت أن يده اللوم يضرب بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت بمحلاميكم ، وقماتكم ما أكلتم ؛ [و] لا يزال يبلغني عنكم ما تترك ^(٤) به الإيل ؛ وذوبكم إلينا أكثر من ذوبنا إليكم : خذلتم حثيان بالمدينة ، وقعلم أنصاره يوم الجبل ، وحاربتموني بصيفين ؛ ولعمري لبنو تيم وعدى ^(٥) أعظم ذوبا منا إليكم ، إذ صرّفوا عنكم هذا الأمر ، وسئوا فيكم هذه الشنة لخلق متى أغضى البصتون على القدى سم وأشعب الذبول على الأذى ، وأقول : لمن الله وصى ! ما تقول يا بن عباس ؟ قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متقارفين ^(٦) ، لم يكن لأبى من مال إلّا ما فضل

بين ابن عباس ومعاوية

بين ابن عباس ومعاوية

(١) هي فاطمة (انظر البيان والبيان ج ٢ ص ١٧٤) .

(٢) تشير إلى مقتل أبيها عتبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبه يد عبدة بن الحارث وعلى وحزة يوم بدر (انظر السير لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ طبعة الحلبي) .

(٣) في بعض الأصول : «مالترك» .

(٤) بنو تيم : قوم أبي بكر . وبنو عدى : قوم عمر بن الخطاب .

(٥) كفنا في بعض الأصول . والتنازع : المجازاة ، وق سائر الأصول : «متقارفين» ، والمفاوضة : للشاركة .

- أهلك^(١)، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أبلك بإخاء أبي أكثر من هنا أبي بإخاء أبيك ؛ نصر أبي أبلك في الجاهلية ، وحقق دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال على إيانا ، فلنفسه دون هواه ، وقد استصليت أنت رجالاً لمواك لالتفكك ، منهم ابن العنبري^(٢) على البصرة ، قُتل ؛ وابن بشر بن أرمطة على اليمن ، نغان ؛ وحبيب بن مرة^(٣) على الحجاز ، قُرد ؛ والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة ، فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ؛ وليس الذي يبلغك هنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر دُنُوبكم إلينا على مائة حسنة لَمَحَقْنَا ، ولو وضع أدنى عُدْرنا إليكم على مائة سيئة لَمَحَقْنَا ؛ وأما خذلنا غثان ، فلو لَزِمْنَا نصره لنصرناه ؛ وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فلي خروجه مما دخلوا فيه ؛ وأما حربنا إياك بصفين ، فلي تركك الحق وأدعائك الباطل ؛ وأما إغراءك إيانا ببنم وعدى ، فلو أرذناها ما غلبونا عليها ، وسكت . فقال في ذلك ابن أبي نهب :

- كان ابن حرب عظيم القدر في الناس } حتى رماه بمسا فيه ابن عباس
ما زال يهتله طورا ويُسِده } حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يتوكن خطه مما يُذله } إلا كواه بهما في فروة الزاس
وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثله ابن عباس ! إذا رأيتُه رأيتُ أصح الناس ، وإذا تكلم فأنقربُ الناس^(٤) ، وإذا ألقى فأفقه الناس ، ما رأيتُ أكثر صوابا ، ولا أخضر جوابا من ابن عباس مِمَّا رابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس ، فقال : لو وليتونا ما أتيتُ إيانا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبري على

لا بن أبي مليكة
في ابن عباس
ثم عود إلى
ما كان بين ابن
عباس ومعاوية

(١) في بعض الأصول : « لأبيك » .
(٢) له عبد الله بن عمرو بن الحصري . (انظر الطبري) .
(٣) له حبيب بن كزة ، وكان من معاصري معاوية ، ورسول الأمويين إلى يزيد .
(٤) انظر الطبري والأغاني ج ١ ص ٢٥ طبعة دار الكتب المصرية .
(٥) أمرت الناس ، أي أيهم وأصغهم .

ما صيرتُ عليه منكم ؛ وإنى لا أريد أسرا إلا أنظمت صدره^(١) ، ولا آتت
معرفة إلا صيرتكم خطره ، وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها
مبتكارين عليها ، تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ؛ فأتى أمل بعد ألف ألف
أعطيتكم الرجل منكم ، ثم أكون أسرا بإعطائهم منه بأخذها . والله لئن أخذتُ
لكم في مالى ، وذلتُ لكم في عرضي ، أرى أنخذلهم كرها ، وذلتُ حلفا .
ولو وليتُهمنا رضىنا منكم بالانصاف ، ولا نسالكم أموالكم ، لعلنا بهالنا
وحالكم ، ويكون أفضها إلينا وأحبها إليكم أن نغفركم . قال ابن عباس :
لو ولينا أحسننا المواساة ، وما ابتلينا^(٢) بالآثرة ، ثم لم نقسم الحق ، ولم نشتم البيت ؛
ولسنا بأجود منا أكفا ، ولا أكرم أنفسنا ، ولا أضون لأعراض الرودة ؛
ونحن والله أعطى للآخرة منكم للذنيا ، وأعطى في الحق منكم في الباطل ،
وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والتدليل في الرعية بآتيان
على اللئى والأمل . ما رضىكم منا بالكفاف ! فلو رضىتم [به] منا لم ترض
أنفسنا به لكم ، والكفاف رضا من لا حق له ، فلا يُبطلوننا حتى نسالوا ،
ولا تُفقدوننا حتى تدفونوا .

- ١٥ أبو عثمان الجزائى قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم ،
قال : يا بنى هاشم ، والله إن خيرى لكم لمتمنوح ، وإنى بآبى لكم لمفتوح ،
فلا يقطع خيرى عنكم حلة ، ولا يؤصد بآبى دونكم مسألة ، ولما نظرتُ فى
أمرى وأمركم رأيتُ أسرا مختلفا ؛ إنكم لترون أنكم أحق بما فى يدي منى ،
وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم ، قلتم : أعطانا دون حقنا ، وقصر بنا عن
٢٠ قدرنا ، فصيرتُ كالتسلوب ، والتسلوب لا حدة له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ،
وإنصاف سائلكم . قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما متعنتنا شيئا

لا بن عباس يرد
على معاوية وقد
غفر على قوم من
بنى هاشم

(١) الصدور . البهادر من اللاء . وأظنتم صدره . أى جعلتموه حقيقا لا يفتى الوارد

(٢) ولا يبل رغا ولا يفتى ظنا

(٢) فى بنى الأسرول : « وامتننا » .

حتى سألناه ، ولا فُتحت لنا باباً حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك لله
أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك . وأما هذا المال ،
فليس لك منه إلا ما رَجُل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حَقٌّ في
الغنيمة ، وحقٌّ في التي ^(١) ، فالغنيمة ما غلبنا عليها ، والتي ما أجتنيها . ولولا
حَقُّنا في هذا المال يأتك منا زائر ، يحمله خُفٌ ولا حافر ، أكفأك أم أزيدك ؟
قال : كفاني ، فإنك لا تُهرِّ ولا تُنبح ^(٢)

لا ينحس يفر
في مساوية يقومه

وقال يوماً معاوية ، وعنده ابن عباس : إذا جاءت هاشمٌ بقديمها وحديثها ،
وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أمي بن عبد المطلب برِاداتها ^(٣)
وديناتها ، وبنو عبد القار بحجابها ولولتها ، وبنو عكرم بأموالها وأعمالها ، وبنو تميم
بصدقتها وجرادها ^(٤) ، وبنو عدي بباروتها ^(٥) ومُتفكرها ، وبنو سَهْم بآرائها ودهائها ،
وبنو مُجَح بِشرفها وأختها ، وبنو عامر بن لؤي ببارسها وقريتها ^(٦) ، فمن ذا
يُجَلِّي في ^(٧) مضارها ، ويَجْرِي إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟ قال : أنول :
ليس حتى يفسخروا بأسر إلا وإلى جندهم من يشرهم ، إلا قريشاً فإنهم
يُفسخرون بالنبوة التي لا يُشَاركون فيها ، ولا يُساوون بها ، ولا يُدْفنون عنها ؛

- (١) التنبية : ما أوجب عليه المسلمون بغيرهم وركابهم من للمركبين . والتي : ما أضاف .
- (٢) في بعض الأصول : « لا تقرو ولا تنبح » . وهو تحريف .
- (٣) في بعض الأصول : « براداتها » وهو تحريف . ثم انظر الجزء الثالث من هذه
الطبعة (ص ٣١٤) حيث مرخ للولف ذكر ما كان لهذه القبائل في الجاهلية مع
ملاحظة أن بين ما سيق هنا وما سبق هناك خلافاً .
- (٤) يريد بصديقتها : أبا بكر . ويجرادها : عبيد الله بن مسهر القرشي ، وله في الجود
أخبار (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٤٧ — ٣٤٨) .
- (٥) يريد بباروتها : عمر بن الخطاب . وعكرها : زيد بن عمرو بن عيل ، وكان زيد
أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذابحهم . وله في ذلك أخبار .
(انظر الألفاني ج ٣ ص ١٢٣ — ١٣٢ طبعة دار الكتب للصرية) .
- (٦) السيد والرئيس . وكان عمرو بن عبيدود فارس بن عامر وسيدها ، ثم
كان من بعده ابنه سهيل بن عمرو . (انظر الألفاني ج ١٩ ص ٧٧ طبعة بلاي
والسيرة لابن هشام) .
- (٧) في بعض الأصول : « يحمل » مكان يحمل في .

وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قریش إلا قریش خَيْرَ البریه ، ولم يجعله في بني عبدالمطلب إلا وم خَيْرَ بني هاشم ، ما زُيد أن نفعهم عليكم إلا بما تنفعون به ، إن بنا فتَحِ الأمر وبنا نَحْمُ ، ولك مُلك مُعْجَل ، ولنا مُلك مُؤَجَّل ، فإن يكن مُلكُكم قبل مُلكنا فليس بعد مُلكنا مُلك ، لأننا أهلُ العاقبه ، والعاقبه للمتقين .

أبو مخنف قال : حجَّ عمرو بنُ العاص فَمَرَّ بِعبد الله بنِ عباس فَصَدَّقَهُ مكانه وما رأى من هَيِّبَةِ النَّاسِ لَهُ وَمَوْقِفِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالَ لَهُ : يَا بْنَ عَبَّاسَ ، مَا لَكَ إِذَا رَأَيْتَنِي وَلَيْتَنِي الْقَصْرَةَ ^(١) (وَكَأَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ دَرَجَةً) ، وَإِذَا كُنْتُ فِي مَلَأَ مِنَ النَّاسِ كُنْتُ الْهَوَاهُ ^(٢) الْهَمَزَةُ ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسَ : لَأَنْتَ مِنَ الثَّامِ النَجْرَةِ ، وَقُرَيْشُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، لَا يَنْطِقُونَ بِبَاطِلٍ جَهْلَوهُ ، وَلَا يَكْتُمُونَ حَقَّ قَوْلِهِ ، وَمِنْ أَكْظَمِ النَّاسِ أَهْلَامًا ، وَأَرْفَعَ النَّاسِ أَهْلَامًا . دَخَلْتُ فِي قُرَيْشٍ وَلَسْتُ مِنْهَا ، فَأَنْتَ السَّاقِطُ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ ، لَا فِي بَنِي هَاشِمٍ رَحْطُكَ ، وَلَا فِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ رَاحِلَتُكَ ، فَأَنْتَ الْأَتَمُّ الزَّيْمُ ^(٣) ، وَالضَّالُّ الضَّلِيلُ ، حَمَلْتُ مُعَاوِيَةَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَنْتَ تَسْطَوِي بِحُلِهِ وَتَسْمُو بِكَرَمِهِ . قَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَسَمُرُورُ بِكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُنِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ : حَيْثُ مَالُ الْحَقِّ مِلْنَا ، وَحَيْثُ سَلَكَ قَصْدُنَا . لِلدَّائِي قَالَ : [قَامَ] عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي مَوْسَمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ، فَأَطْرَى مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَبَنِي أُمَيَّةَ [وَتَنَاولَ بَنِي هَاشِمٍ] ، وَذَكَرَ شَاهِدَهُ بِصِفَتَيْنِ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَمْرُو ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ، إِنَّكَ بَعْتَ دِينَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَأَعْطَيْتَهُ مَا بَيْنَكَ ، وَمَتَّكَ مَا بَيْنَ غَيْرِكَ ، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَ مِنْكَ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي أَعْطَاكَ ، وَالَّذِي أَخَذْتَ مِنْهُ دُونَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ فِي يَدِكَ أَلْقَيْتَهَا ، وَكُلَّ رَاضٍ بِمَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، فَلَمَّا صَارَتْ مَعْرُوفِي بِذَلِكَ

(١) القصرة : أصل النقي والرجة .

(٢) الموهجة : الأحمق .

(٣) الزيم : الذي .

بين ابن عباس
وعمر بن العاص
في الحج ثم في
موسم من مواسم
العرب

أبوه الزيم

كَدَّرَ هَاعَلِيكَ بِالتَّذَلُّ (١) وَالتَّنْقِصُ (٢)، وَكَرْتَ مَشَاهِدَكَ بِصَفِّينَ، فَوَاللَّهِ مَا تَنَقَّلْتُ
عَلَيْنَا [يَوْمَئِذٍ] وَطَأْتِكَ، وَلَقَدْ كَشِفَتْ فِيهَا عَوْرَتُكَ، وَإِنْ كُنْتُ فِيهَا لَطَوِيلُ
الْأَسَانِ، فَصِيرَ السَّنَانِ، آخِرَ الضَّغِيلِ إِذَا أَقْبَلْتُ، وَأَوَّلَهَا إِذَا أَدْبَرْتُ، لَكَ يَدَانِ :
يَدٌ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ وَأُخْرَى لَا تَقْبِضُهَا عَنْ شَرٍّ ؛ وَلِسَانٌ غَادِرٌ (٣) ذُو وَجْهَيْنِ ؛

- [وَوَجْهَانِ] : وَجْهٌ مُوَحَّشٌ، وَوَجْهٌ مُؤَنَسٌ ؛ وَلَمَرَى إِنْ مِنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ،
لَحْرَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْهَا نَدْمُهُ . لَكَ بَيَانٌ (٤) وَفِيكَ خَطْلٌ ، وَلَكَ رَأْيٌ وَفِيكَ تَسَكُّدٌ ،
وَلَكَ قَدْرٌ وَفِيكَ حَسَدٌ ، وَأَصْنَرُ عَيْبٍ فِيكَ أَعْظَمُ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ . فَاجَابَهُ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ : وَاللَّهِ مَا فِي قُرَيْشٍ أَتَهْلُ عَلَى مُسْئَلَةٍ ، وَلَا أَسْرُهُ جَوَابًا مِنْكَ ، وَلَوْ
اسْتَطَعْتُ إِلَّا أَجْبَيْكَ لَفَعَلْتُ ، فَيَرَى أَنِّي لَمْ أَبْسُغْ دِينَي مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَلَكِنْ
بَيْتُ اللَّهِ نَفْسِي ، وَلَمْ أَنْسَ نَسِيْبِي مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَأَمَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مُعَاوِيَةَ ١٠
وَأَعْطَيْتُهُ ، فَإِنَّهُ لَا تَعْلَمُ الْقَوَانِمَ الْخَمْرَةَ (٥) ؛ وَأَمَّا مَا أَتَى إِلَيَّ مِنْ مُعَاوِيَةَ فِي مِصْرَ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ لَمْ يُغَيِّرْ لِي ؛ وَأَمَّا خِفَةُ وَطْأَتِي عَلَيْكُمْ بِصَفِّينَ ، فَلِمَ اسْتَقْبَلْتُمْ حَيَاتِي
وَأَسْتَبْطَأْتُمْ وَقَاتِي ؛ وَأَمَّا الْجَبِينِ ، فَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشَ أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يُبَارِزُ ،
وَأَسْرُ مِنْ يُنْزَلُ ؛ وَأَمَّا طَوْلُ لِسَانِي ، فَأَتَى كَمَا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ (٦) لَشَانِي بِنِ
عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- ١٠ لِسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرَسَ مِنْ شِدَّتِهِ (٧) عَلَيْكَ وَسَتِيفِي مِنْ لِسَانِي أَطْوَلُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ وَشَرُّ الْحَرَرِ لِلَّذِي فِي الْكَلَامِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ : « بِالْزَلِّ »
وَهُوَ تَحْوِيفٌ . لِذَلِكَ الْمَرْفُوعُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ وَالِيَا عَلَى مِصْرَ حَقَّ مَاتَ . (أَنْظَرُ
سُرُوحُ الْقَلْبِ) .

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِينَ (ج ٢ ص ١٦٠) وَاقَى فِي الْأَصُولِ وَالتَّنْبِيْهِ .
(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « غُرُورٌ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لِسَانٌ » .

(٥) الْبَوَانُ مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ . وَقِيلَ عَلَى التَّيْبِ . أَيْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجَتْ
تَحْتَمِلُ الْقِتَاعَ بِالْخَطَرِ . وَلِلْثَلِّ يَضْرِبُ لِلصَّبُوبِ الْمَارِفِ بِأَمْرِهِ .

(٦) هُوَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ النَّبْرِ الْخَزَوِيُّ ، أَخُو خَالِدٍ . (أَنْظَرُ الْإِسْتِيعَابَ وَمَعْجَمُ
الشُّعْرَاءِ لِلرُّزْبَانِيِّ) .

(٧) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْإِسْتِيعَابِ وَمَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ . (وَالْفَتَاةُ) الْخَلْدَةُ . وَفِي
سَائِرِ الْأَصُولِ : « شَبَابَةٌ » (وَشَبَابٌ كُلُّ شَيْءٍ : حَذُهُ .

وأما وجهي ولساناي ، فإنني ألقى كل ذي قدر يقدره بأوازي كل نافع
 \ بمحصّره ، فمن عرف قدره كفاي نفسه ، ومن جهل قدره كغيبته نفسي .
 ١٣٧ ولتسري ما لأحد من قرّيش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فإني نفعني ذلك
 ٢ عندك؟ وأنشأ عمرو يقول :

• بني هاشم مالي أراكم كأنكم في اليوم جهال وليس بكم جهل
 ألم تعلموا أنّي جسر على الوغى سريع إلى العاصي إذا كثر القتل
 وأول من يذمّو نزال ، طبيعة جُبلت عليها ، والطباع هو الجبل (١)
 وأنّي قصّلت الأمر بعد اشتباهه بدومة إذ أعيا على الحكم الفصل (٢)
 وأنّي لا أعيا بأمر أريده (وأنّي إذا عجت بكاركم فحل)

١٠ محمد بن سميد عن إبراهيم بن حبيب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
 ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنّ هذا الأمر ، الذي
 نحن فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلا ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ،
 وما أبقّت لنا هذه الحرب حياة ولا صبرا ، ولنا قول : ليت الحرب عادت ، ولنا
 نقول : ليتنا لم تكن كانت ، فأنظر فيما بقي من غير ما مضى ، فإنك رأس هذا الأمر
 ١٥ بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاوّر مأمون ، وأنت هو .

مجاوبة بني هاشم [وبني عبد شمس] لابن الزبير

الشمعي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قالت أم المؤمنين
 وخواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتيت بزواج (٣) الشص . فقال : أما
 أم المؤمنين فإني أخرجها وأبوك وخالك (٤) ، وبنا مميت أم المؤمنين ، وكنا لها

٢٠ (١) الطباع : الطبع . والجبل : الحقة .
 (٢) دومة : يريد دومة الجندل ، وهي حصن وقرى بين الشام وللدبة قصها علق بن
 الوليد ، وبها كان التكم بين علي ومعاوية .
 (٣) في بعض الأصول : « يتزوج » .
 (٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٨٧ طبة أوربة) .

بين ابن الزبير
 وابن عباس

بين عمرو بن
 عباس بعد
 قتل علي

خيرَ بَيْنَ ، فَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا . وَقَاتَلَتْ أَنْتِ وَأَبُوكَ عَلِيًّا ، فَإِنْ كَانَ عَلَى مُؤْمِنًا ،
فَقَدْ ضَلَّكُمْ بِقِتَالِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَإِنْ كَانَ عَلَى كَافِرًا ، فَقَدْ بُؤْسَ بَسْطِ مِنَ اللهِ
بِفِرَاكُمُ مِنَ الرَّحْفِ ؛ وَأَمَّا النِّمَّةُ ، فَإِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ فِيهَا فَأَقْبِتُ بِهَا ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَنْهَى عَنْهَا فَهَيْتُ عَنْهَا ؛
وَأَوَّلُ يَجْمَرٍ سَطَعَ فِي النِّمَّةِ يَجْمَرُ أَلِ الزُّبَيْرِ ^(١) .

٥

الحسن وأبو
سعيد وابن الزبير
ومعاوية ومالكه
دخل الحسن بن علي على معاوية ، وعنده ابن الزبير [وأبو سعيد بن عقیل
ابن أبي طالب] ، فلما جلس الحسن ، قال معاوية : يا أبا محمد ، أهما كان
أكبر : علي أم الزبير ؟ قال ^(٢) : ما أقرب ما بينهما ! علي كان أسن من الزبير ،
رحم الله عليا . [فقال ابن الزبير : ورحم الله الزبير . فقبس الحسن . فقال
أبو سعيد بن عقیل بن أبي طالب : دَخَ عَنْكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرِ ، إِنَّ عَلِيًّا دَخَا إِلَى أَمْرٍ
فَأُثِمَّ ، وَكَانَ فِيهِ رَأْسًا ، وَدَخَا الزُّبَيْرُ إِلَى أَمْرٍ كَانَ فِيهِ الرَّأْسُ أَمْرًا ، فَلَمَّا تَرَادَّتِ
الْفِئَتَانِ وَالتَّقَى الْجَمَانُ نَكَسَ الزُّبَيْرُ عَلَى حَقْبِيهِ وَأَدْبَرَ مِنْهُنَّ مِمَّا قَبْلُ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ
فِيَاخْذَهُ أَوْ يَدْخُضَ الْبَاطِلُ فَيُتْرَكَ ، فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ لَوْ قِيسَ ^(٣) بِيَمِصُّ أَعْضَانَهُ
[لَكُنْ أَصْفَرُ] ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ وَأَخَذَ سَلْبَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ ^(٤) ، وَمَقَى عَلَى قَدَمَا
كَمَادَتِهِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ وَنَبِيهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَحَّمَ اللهُ عَلِيًّا وَلَا رَحِمَ الزُّبَيْرِ . فقال
ابن الزبير : أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ تَكَلَّمَ بِهَذَا يَا أَبَا سَعِيدٍ لَسَلِمَ ؛ قَالَ : إِنْ الَّذِي
تُعْرَضُ بِهِ يَرْغَبُ عَنْكَ . وَأَخْبَرْتُ عَائِشَةَ بِمَقَاتِلَتِهِمَا ، فَرَأَى أَبُو سَعِيدٍ بَغَائَتَهَا فَنَادَتْ :

١٠

١٥

- (١) يريد منه الحج لامتة النساء ، فإن الزبير تزوج أسماء بكرة في الإسلام ، وزوجه
إليها أبو بكر معلنا . وروى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما قدمنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه حتى أن يحمل . قالت :
فأحلت وتطهيت وليست تبايني ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ؛ فقال : قومي
حي ؟ قلت : ما خلف ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس . (انظر صروج الذهب) .
- (٢) في بعض الأصول : « قال فقال » .
- (٣) التكملة من شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٧) .
- (٤) في الأصول مكان : « رجل لو قيس » : « مثل » ، وما أجهتاه عن شرح نهج
البلاغة .
- (٥) هو عمرو بن جرموز ، الذي قتل الزبير يوم الجمل .

٢٠

٢٥

يا أحول يا خيث ! أنت القاتل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا ، فقال : إن الشيطان ليذاك من حيث لا تراه . فصَحَّكت عائشة وقالت :
لله أبوك (ما أخيت^(١) لسانك)

الشمعي قال : دخل الصَّهين بن عليّ يوما على معاوية ومعه تَوَلَّى له يقال له ذُكْران ، وعند معاوية جماعة من قُرَيش فيهم ابنُ الزَّبير ، فَرَحَّب معاوية بالصَّهين وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد — يعني ابنَ الزَّبير — فإنه ليُذرك الحسدُ لبني عبد مناف . فقال ابنُ الزَّبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الصَّهين وقراجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أن أعطك فضلَ الزَّبير على أبيك أبي سُفيان فقلتُ . فتكلَّم ذُكْران مولى الصَّهين ابن عليّ ، فقال : يا ابنَ الزَّبير ، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طَلَّق اللسان ، رابطَ البَتان ، فإن نطق نطق يعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غير أنه كَفَّ الكلام وسبق إلى السَّنان ، فأقرت بفضل الكرام ، وأنا الذي أقول :

ففي الكلام سابق في غاية والناسُ بين مُقصر ومُبَلِّغ
 إن الذي يجزى يُذرك شأوه يُنمى بنير مسود ومُسدّد
 بل كيف يُذرك نور بدر ساطع خير الأنام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك يا ذُكْران ، أَسْأَلُ الله في مَوالي الكرام . فقال ابنُ الزَّبير : إن أبا عبد الله سَكَت ، وتكلَّم مولا ، ولو تكلَّم لأَجَبْتاه ، أولَ كَفَفْتاه عن جوابه إجلالا له ، ولا جواب لهذا البعد . قال ذُكْران : هذا البعد خير منك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » . فأتانا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابنُ [الزَّبير بن] السَّوَّام بن خُوَيْلِد ، فنحن أكرم ولاء وأحسن قِلا . قال ابنُ الزَّبير : إني لست أُجيب

(١) في مخرج تهج البلاغة : « ما أدنى » .

(٢) في بعض الأصول : « إلا أن » مكان « أن لا » .

بين الحسين
 ومولاه ذُكْران
 ومعاوية وبين
 ابن الزبير

١٣٨
 ٢

١٥

٢٠

هنا، ضاقت ما عندك يا معاوية . فقال معاوية : فانتك الله يا بن الزبير ! ما أعياك
وأهيك ! أنضرب بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله ! إنك أنت المتعدي
الطورك (١) الذي لا تعرف قدرك ، فقس شريك بفكرك ، ثم تعرف كيف تقع
بين عز الدين بن عبد مناف . أما والله لئن دُفقت في بحور بني هاشم وبني عبد شمس
لقطعتك بأمواجها ، ثم لتمرين بك في لُججها (٢) . فاجاؤك في البحور إذا عمرتك ،
وفي الأمواج إذا بهزتك (٣) ! هنالك تعرف نفسك ، وتندم على ما كان من
جرأتك ، وتنتق ما أصبحت فيه من أمان ، وقد حيل بين العير والنزوان . فأطرق
ابن الزبير ملياً ، ثم رفع رأسه فألففت إلى من حوله ، ثم قال : أسألكم بالله ،
أعطيتون أن ألبى جوائى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أبا سفيان حارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أمي أختاه بنت أبي بكر الصديق ، وأمي هند
آكلة الأكباد ، ويوجدني الصديق ، وجهده (٤) التشدوخ بيد رزائن الكفر ،
وحمقى خديجة ذات الخطر والعصب ، وحمته أم جميل حاملة العصب ، وجدتي
صفية (٥) ، وجدته حمزة (٦) ، وزوج حمى خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ،
وزوج حمته شر ولد آدم أبو طالب سيملى نازاً ذات لب ، وخالتي عائشة أم المؤمنين .
وخالته أشقى الأشقين (٧) ، وأنا عبد الله وهو معاوية . قال له معاوية : ويحك
يا بن الزبير ! كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رئاسة ،
ولاف في الجديت من سياسة ، ولقد قدناك وسدناك قديماً وحديثاً ، لا نستطيع
لتبلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الخصوم ليعلمون أن قريشاً قد أجتعبت

(١) الطورك : الحد من الشين (المتعدي لظوره) الذي جاوز حده وقدره .

(٢) في بعض الأصول : « أجانيها » .

(٣) البهر : الدفع الشديد . وفي بعض الأصول : « بهرتك » براء للهمة .

(٤) يريد حبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه ، وأم معاوية هي هند بنت حبة هذا .

(٥) تزوجت صفية بنت عبد المطلب المولم بن خويلد بعد الحارث بن حرب ، فولدت له
الزبير والباثب . (انظر الماروف لابن قتيبة ص ١٧٥ طبعة أوربة) .

(٦) للبروف أن أم أبي سفيان اسمها صفية بنت حزن ، من قبس عيلان .

(٧) هي طاطمة بنت حبة بن ربيعة ، أخت هند ، وكانت زوج عليل بن أبي طالب .

(انظر الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء) .

يوم الفجار^(١) على رياسة حرب بن أمية، وأن أباك وأسرتك تحت وابته راضون
 بإمارته، غير مُسَكَّرين لِفَضْلِهِ ولا طامعين في عزه، إن أَمَر أطاعوا، وإن قال
 أنصتوا؛ فلم تزل^(٢) فينا القيادة وعزُّ الولاية حتى بَسَّ الله جزاءً وجلَّ مجدًا صلى
 الله عليه وسلم، فأنتخبه من خير خلقه، من أسرقى لا من أسرتك، وتبقى أبي
 لابن أبيك، فجحدته قريش أشدَّ الجُحود، وأنكرته أشدَّ الإنكار، وسجَّده
 أشدَّ الجهاد، إلا من عصم الله من قُريش؛ فساد قُريشًا وقادم إلا أبو سفيان
 ابن حرب، فكانت الفُتُتان تلتقي، ورئيس الهُدى متا ورئيس الضلالة متا^(٣)،
 فهديتكم تحت راية هديتنا، وضالكم تحت راية ضالنا، ففتح الأرباب وأتم
 الأذنان، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شرِّه،
 وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيمًا شأنه، وفي الإسلام
 معروفًا مكانه، ولقد أعطى يومَ الفتح ما لم يُعطَ أحدٌ من آبائك، وإن مُنادَى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى: من دخل المسجد فهو آمِن، ومن دخل
 دار أبي سفيان فهو آمِن؛ وكانت داره حرَّما، لا دارك ولا دارُ أبيك؛ وأما هُند،
 فكانت امرأة من قُريش، في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الغُبر؛
 وأما جدُّك الصديق، فبِتَصَدِيقِ عَبْدِ مَنَافٍ مُتَمِّحِي صِدِّيقًا لا بِتَصَدِيقِ عَبْدِ الْعُزَّى؛
 وأما ما ذكرت من جدِّي التشدُّوخ بيدر، فلمعري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه
 وابنه^(٤)، فلو رزت إليه أنت وأبوك ما بارزوك ولا رأوك لم أكفأ، كما قد
 طالب ذلك غيركم فلم يقبلوه، حتى برز إليهم أكفأهم من بني أبيهم، فقتل
 الله منابهم بأيديهم، ففتح قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؛ وأما عمتك
 أم المؤمنين، فبنا شُرفت ومُتيت أمُّ المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك؛
 وأما صديقتي، فهي أدنتك من الظلِّ ولولاها لَكُنْتُ ضاحية؛ وأما ما ذكرت

١٣٩
٢

١٠

١٥

٢٠

(١) في الأصول: «الفجار». وهو تصحيف.
 (٢) في بعض الأصول: «فأزل». مكان «فلم تزل».
 (٣) في بعض الأصول: «متك». وهو تحريف.
 (٤) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٧) من هذا الجزء.

٢٥

من عَمَلِك^(١) وخال أَيْبِك^(٢) سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ ، فَكَذَلِكَ كَانُوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَفَرَّغَهُمُ
وَأَرْسَلَهُمْ لِي دُونِكَ ، وَلَا تَخْشَاكَ فِيهِمْ ، وَلَا يَرْثُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ أَنَا
عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشُ أَيْنَا أَجُودُ فِي الْإِزْمِ^(٣) ، وَأَمَقَى^(٤) فِي
الْقَدَمِ^(٥) ، وَأَمْنَعُ لِلْحُرْمِ ؛ لَا وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ مُنْتَهِيًا حَتَّى تَرَوْمَ مِنْ بَقِي عَبْدِ مَنْفَا
مَا زِلَامَ أَبُوكَ ، فَقَدْ طَالِبَهُمُ بِالْأُحُولِ^(٦) ، وَقَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْخِيُولَ ، وَخَذَعَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَمْ تَرْتَابُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ تَدَدْتُمْ عَلَى نِسَاءِ كَمِ الشَّجُوفِ ،
وَأَبْرَزْتُمْ زُوجَتَهُ لِلْحُفُوفِ ، وَمُقَارَعَةِ الشُّيُوفِ ، فَلَمَّا أَلْتَقَى الْجَمْعَانُ نَكَسَ أَبُوكَ
هَارِبًا ، فَلَمْ يُنْجِهْ ذَلِكَ أَنْ طَلَعَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بِكُلِّ كَلَّةٍ طَلَعَنَ الْحَمِيدَ بِأَيْدِي
الْعَبِيدِ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ ، فَأَهْلَيْتَ بَعْدَ أَنْ تَحَشَّيْتُكَ بِرَأْتُهُ وَنَاتَيْتُكَ عِثَابَهُ . وَأَيْمُ اللَّهِ ،
لَيَقُولَنَّ بَنُو عَبْدِ مَنْفَا بِثِقَاتِهَا أَوْلَتْصِيحَنَ مِنْهَا صِيحَابَ أَيْبِكَ بَوَادِي السَّمَاءِ^(٧) .
وَمَا كَانَ أَبُوكَ الْمَرْهُوبَ جَانِبُهُ^(٨) ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّامِرُ :-

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ فَرِيَسَةَ ضَيْفَمٍ قَصَصْتُهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَقَلْتُ^(٩)
فَارَعَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يَوْمَ ابْنِ الزُّبَيْرِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَكَانَ هَوًى
مُعَاوِيَةَ مَعَ مَرْوَانَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : يَا مُعَاوِيَةُ : إِنَّ لَكَ حَقًّا وَطَاعَةً ، وَإِنَّ
لَكَ حِيلَةَ^(١٠) ، وَحُرْمَةً ، فَأَطِيعِ اللَّهَ نَطِيعُكَ ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا إِنْ لَمْ نَطِيعِ

لَا ابْنَ الزُّبَيْرِ
يُطَالِبُ مُعَاوِيَةَ
لِيَلْهُ مَعَ مَرْوَانَ

- (١) يرد : السائب بن العوام ، وقد شهد أحداً وانخدق وقتل يوم الجمامة ، والمعروف
أن إخوة الزبير ، وهم السائب وعبيد الرحمن وأسود وأصرم وهبل ، لم يقب
أحد منهم . (انظر الماروف ص ١١٣) . وفي بعض الأصول : « من ابن عكر » .
(٢) هو حرة بن عبد المطلب . ويلاحظ أنه لم يرد في كلام عبد الله بن الزبير ذكر لابن
حمه ولا خال أبيه .
(٣) الإزم : الشدائد . (٤) في بعض الأصول : « أجزم » .
(٥) القدم (بضم الجيم) : اللقي أمام أمام في الحرب .
(٦) القحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . وفي بعض الأصول : « طالمهم الخحول » .
(٧) وادي السباع : بين البصرة ومكة ، وبينه وبين البصرة خمسة أميال . وفيه قتل الزبير
بيد عمرو بن جرموز الجاشعي .
(٨) في بعض الأصول : « للذهبن خده » . وهو تحريف .
(٩) الأكيلة : كالفريسة . وقصصته : كسره . وفي بعض الأصول : « تناول »
مكأن « أكيلة » . (١٠) في بعض الأصول : « بسطة » .

الله ، ولا تطرق إطرأق الأفوان في أصول السخبر ^(١) .

بين معاوية
وابن الزبير

وقال معاوية يوماً وعنده ابن الزبير ، وذكر له مروان ^(٢) فقال : إن يطلب هذا الأمر فقد يقطع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطيه قرابة ، ولا ترده مودة ، يسومكم خسفاً ، ويوردكم تلقاً . قال ابن الزبير : إذا والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل ^(٣) الجراد ، حافتها ^(٤) الأسل ، لها دوى كدوى الرمح ، تنبع غطريفاً من قرش ، لم تسكن أمة براعية ^(٥) ثلثة ^(٦) . قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلت ذروة السنام ، وشربت عنفوان السكر ^(٧) ، وليس للآكل [بعدى] إلا القلدة ، ولا للشارب إلا الرثى .

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

١٠

بين مروان
الحسن والحسن
ابن علي وقواده
على معاوية

وفد الحسن بن علي على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن الحسن لله ^(٨) ، فلو سألته على اللبير فتكلم وتسمع الناس كلامه طابوه وسقط من عيونهم ، ففعل . فصعد اللبير وتكلم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ، لو علمتم أننا لنبيكم ^(٩) ما بين لا بتيها لم تجدوه غيروي وغير أخى ، وإن أدري

١٤٠
٢

(١) السخبر : شجر تأله الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سفيرة . يقول : لا يتناول عما نحن فيه . وفي بعض الأصول : « السخبر » .

(٢) في الأصول : « الحسن » . وما أبتناه على شرح نهج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لآلئ من مروان يرى جماهير قرش عناقصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . (والمعاقص : السهام الرميضة النصل) .

(٣) الرجل (بالسكر) : القطعة المطيعة من الجراد .

(٤) في بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) في بعض الأصول : « صراعية » . وهو تحريف . (انظر اللسان مادة عل) .

(٦) الثلثة : جماعة النعم .

(٧) السكر : منبل من السكر ، والسكر (بالتحريك) : ماء السيل . وعنفوان السكر : أى أول الماء . أراد أنه شرب صافى للماء حين ضرب غيره السكر .

(٨) الله : الكليلة اللسان التي من حاجته .

(٩) في بعض الأصول : « أبناء أبيكم » مكان : « أبناء نبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

١٥

٢٠

٢٥

- له فِتنة لكم ومتاع إلى حين . فسأ ذلك تخمراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : أبا محمد ، أنصف الرطب ؟ فقال : أجل ، نلغحه الثَّيَال ، وتخرجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويتصفحه القمر . قال : أبا محمد ، هل تَنْتج الخِراة ؟ قال : نعم ، تُبمد التَّمَى في الأرض الصَّحصح^(١) حتى تنوارى من القوم ، ولا تستقبل القَبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنبح بالقامة والرَّمة — يريد الزَّوْت والقَطَم — ولا تُبَلِّ في اللاء الزَّاكِد .

- بيننا معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالبَاب ؛ فقال معاوية : إن دخل أنسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحَكَم : أنذني ، فإنِّي أسأله ما ليس عنده فيه جواب ؛ قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم قد ألهوا الكلام ، وأذن له . فلما دخل وجلس ، قال له مروان : أشرع^{١٠} الشَّيب إلى شاربك يا حسن ، ويُقال إن ذلك من التَّخْرُق ، فقال الحسن : ليس كما يظنك ، ولكننا — معشر بني هاشم — أفواهُنا عَذبة شَفَاهُها ، فساوُنا يُقْبِلن علينا بأنفاسهن وقبيلن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بحر شديد ، فساوُكم بَصْرَ فن أفواهُن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ، فإنما يشيب منكم موضعُ العِدَار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خَصلة سوء ؛ قال : وما هي ؟^{١٥} قال : القُلَّة ؛ قال : أجل ، نُرعت القُلَّة مِن نساءنا ووُضعت في رجالنا ، ونُرعت القُلَّة من رجالكم ووُضعت في نساءكم ، فما قام لأُموية إلا هاشمِي . فنُضِب معاوية ، وقال : قد كنتُ أخبرنكم فأبيتُم حتى يَمِتم ما أعظم عليكم يَتِّعكم ، وأفسد عليكم تجلِّسكم . فصرَّح الحسن وهو يقول :
- ومارستُ هذا الدهرَ حَسِين حِجَّةً وخمساً أَرْجَى ، فإنَّنا بسد قاتل^(٢) ٢٠
فلا أنا في الدُّنيا بِلُفْتُ حَسِيبيها ولا في الدُّنْيَا أَهْوَى كدَحْتُ بِطائِل
وقد شَرِعتُ دوني التَّنَالِيا أَكْفَهَا وأيقنتُ أني رَهَنَ مَوْتٍ مُعْجَل

(١) الصمصح : ما استوى من الأرض . وفي بعض الأصول : « الصمصح » .
(٢) أَرْجَى : أَدْفَع .

بين مروان بن
الحكم والحسن
في مجلس معاوية

قال الحسن بن علي حبيب بن مسعدة^(١) الفهرى : رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ قَالَ : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْتِكَ فَلَا ؛ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنَّكَ أَطَعْتَ مُعَاوِيَةَ عَنْ دُنْيَا قَلِيلَةٍ ، فَلَنْ كَانَ قَامَ بِكَ فِي دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي آخِرَتِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَطَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا) ، وَلَكِنَّكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : (بَلَّ رَأْيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ : مَا فَعَلْتَ حَبِيبَةُ^(٢) ؟ فَقَالَ : سُبَّحَانَ اللَّهِ ! يُسَمِّيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَبِيبَةً وَتُسَمِّيَهَا حَبِيبَةً ! لَقَدْ اخْتَلَفْنَا فِي الدُّنْيَا وَاسْتَخْتَلَفْنَا فِي الْآخِرَةِ ؛ قَالَ يَحْيَى : لِأَنِّ أَمُوتُ بِالشَّامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ بِهَا ؛ قَالَ : أَخَّرْتَ جِوَارَ النَّصَارَى عَلَى جِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ يَحْيَى : مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ وَعُمَانَ ؟ قَالَ : أَقُولُ مَا قَالَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فِيهِمْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُمَا : (إِنَّ تَعْلِبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَقْفِرْ لَمْ يَلْنِكَ أَنْتَ الْغَزِيرُ الْعَكِيمُ) .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

١٤١
٢
قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا وَعِنْدَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ قَبِيْسٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَا أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ ؟ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَبِيْسٍ : إِكْنَاءُ الْعَاقِلِ وَإِجْدَاءُ الْجَاهِلِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ مَا لَمْ يُرْ مِثْلُهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : أَعْجَبُ الْأَشْيَاءَ غَلَبَةُ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ ذَا الْحَقِّ عَلَى حَقِّهِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ تُعْطَى مَنْ لَا حَقَّ لَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ مِنْ غَيْرِ غَلَبَةٍ .

٢٠
حَضَرَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَجْلِسَ مُعَاوِيَةَ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ ابْنُ أُمِيَّةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ . فَقَالَ عَمْرُو : أَحْمَدُ اللَّهِ يَا مَعْشَرَ

(١) في الأصول : «سلة» . وهو تحريف .

(٢) يريد للدينة .

بين معاوية
والضحاك
وسعيد وعمرو
ابن العاص

بين قوم من
قريش فيهم
ابن العاص
وابن صفوان
وابن الحارث
وبين معاوية

- قُرَيْشٍ إِذْ جَعَلَ أَمْرُكَ إِلَى مَنْ يُنْفِضُ عَلَى الْقَدَى ، وَيتصام عن التوراء ، ويجز
ذيله على الضدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لكسبنا إليه الضراء ، ودبنا إليه
البحر ^(١) ، وزجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية :
يا مضر قُرَيْشٍ ، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم ؟ قال عبد الرحمن بن الحارث :
إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك ، ولو أغضبتك هذه ^(٢) . قال : إن عمراً لي
ناصح ؛ قال عبد الرحمن : فأطعمنا مثل ما أطعمته ، وخُذْنَا بِمِثْلِ نَهْيِهِ ؛
إِنَا رَأَيْنَاكَ يَا مُعَاوِيَةَ تُضْرِبُ عَوَامَ قُرَيْشٍ بِأَيَادِيكَ فِي خَوَاصِّهَا ، كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّ
بِكِرَامِهَا قُوَّتُكَ ^(٣) دُونَ لثَانِهَا ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَتُفْرَغُ فِي إِثْنَاءِ قَعْمٍ مِنْ إِثْنَاءِ ضَخْمٍ ، وَكَأَنَّكَ
بِالْحَرْبِ تَدْعِي حِقَاقَهَا عَلَيْكَ مَنْ لَا يَنْتَرْكُ . قال معاوية : يا بن أخي ، ما أحوج
أهلك إليك ، فلا تفجعهم بنفسك ، ثم أُنشد :

أَغْرَ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَفَاتِقُوا عَلَى سَفَهٍ مَنِ الْعَيَا وَالتَّكْرُمِ ^(٤)

- وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : تُنَازِعُنِي هَذَا الْأَمْرَ كَأَنَّكَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي ! قَالَ :
لِمَ لَا أَكُونُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ يَا مُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ أُنْبِئَ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَأُنْبِئَ النَّاسُ أَبَاكَ عَلَى الْكُفْرِ ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : غَلَطْتَ يَا بْنَ
الزُّبَيْرِ ، بَعَثَ اللَّهُ ابْنَ عَمِّي نَبِيًّا ، فَلَمَّا أَبَاكَ فَأَجَابَهُ ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا تَابِعٌ لِي ، ضَالًّا ^(٥)
كَأَنَّكَ أَوْ مَهْدِيًّا . السُّعَيْبِيُّ قَالَ : دَعَا مُعَاوِيَةُ سَمُرَوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، فَقَالَ لَهُ : أَشِيرْ
عَلَيَّ فِي الْحُسَيْنِ ؛ قَالَ : تَفَرَّجْهُ مَلِكٌ إِلَى الشَّامِ فَتَقَطِّعْهُ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَتَقَطِّعْهُمْ
عَنْهُ ؛ قَالَ : أَرَدْتَ وَاللَّهِ أَنْ تَسْتَرْجِحَ مِنْهُ وَتَبْتَغِي بِهِ ، فَإِنْ صَبَرْتُ عَلَيْهِ صَبَرْتُ
عَلَى مَا أَكْرَهُ ، وَإِنْ أَسَأْتُ إِلَيْهِ كُنْتُ قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَهُ . فَأَقَامَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى سَمِيدِ
ابْنِ الْمَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمِيانَ ، أَشِيرْ عَلَيَّ فِي الْحُسَيْنِ ؛ قَالَ : إِنَّكَ وَاللَّهِ ^(٦)

بين معاوية وابن
الزبير ثم معاوية
معاوية مروان
وابن الماس في
أمر الحسين

(١) الضراء : الشبر اللثف . والمجر : كل ما وارك من خير أوبناء أو غيره . ويقال
لرجل إذا دخل صاحبه : هو يمشي له الضراء ، ويدب إليه المجر .

(٢) في بعض الأصول : « لو أغضبت عن هذه » مكان « ولو أغضبتك هذه » .

(٣) في بعض الأصول : « جبروك » .

(٤) التابيع : الإسراع إلى العمل .

ما تخاف الحسين إلا على من بعدك ، وإنك لتخلف له قرنا إن صارعه ليصرعه ،
وإن ساقه ليسبقته ، فذّر الحُصين منبت النخلة ، يشرب من الماء ، ويسعد في
الهواء ، ولا يتبلغ إلى السماء ؛ قال : فاعثيك عني يوم صقين ؟ قال : تحملت
الحرم^(١) ، وكفيت الحرّم ، وكنت قريبا ، لو دعوتنا لأجيناك ، ولو أمرت
لأطعناك^(٢) ؛ قال معاوية : بأهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بنى أمية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سميد الأشدق ، وكان والهم بعد
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمرو بن سميد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة
هو [الذي] أمر أهل المدينة بإخراجي ، فأرسل إليه وتوثقه . فأرسل إليه معاوية ،
فلما دخل عليه ، قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجي ؟ قال : لا ، وزعم
أبا أمية ، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أبيك ، بل كيف أطاعني أهل
المدينة فيك إلا أن تكون عصمت الله فهم ، إنك لتحل عري ملك شديدة
عقدتها ، وتعمى أخلاف يفة^(٣) سريعة درتها ، وما جعل الله صالحا مصلحا
كفاسد مُفسد .

١٥ جلس يوم عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن [خالد بن]
أسيد ، وعند رجله أمية بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي
جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله الترفير وهذه
الأمانة لا ما ضل هذا ، وأشار إلى خالد ، أستمثته على العراق فأستمث كل
مُلُط^(٤) فاسق ، فأدوا إليه العشرة واحدا ، وأدى إلى من العشرة واحدا ؛ واستمث

بين معاوية وخالد
ابن عبد الله حين
وفدت عليه
أموال العراق
من الحجاج

٢٠ (١) فيما روى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٣٤٦) : « حلت النخل » .

(٢) كذا في نسخ الأصول هنا وفيما روى الجزء الأول ، واتفق في سائر الأصول

هنا : « لو ظلت لرضائك » .

(٣) عمري : تجمع . والصفة : الذين يجتمع في الضرر ما بين الحلبتين .

(٤) اللط : التي يجتمع الحق .

هذا على خراسان ، وأشار إلى أمية ، فأهدى إلى برذونين سطرين^(١) ، فإن استمليكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم أستخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد بن عبد الله : استمليتنى على العراق وأهل رجلا : سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ، فأما السامع المطيع المناصح ، فإننا جزيناه ليزداد ودًا إلى وده ، وأما المبغض المكاشح ، فإننا دازيناه ضيفه ، وسلكنا حقه ، وكثرنا لك المودة • في صدور رعيقتك ؛ وإن هذا جنى الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء ، فلا أموال ولا رجال . فلما خرج ابن الأشعث^(٢) قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

١٠ قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام فأتى تحته آمنة بنت سعيد بن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه [خالد] فرآه ، فقال له : ما تقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار النعام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه يرضى به ، فقال : وما يمنهم وقد قدم من المدينة قوم على التواضع^(٣) فسكروا أمك ، وسلبوك ملكتك ، وفرغوك لطلب الحديث ، وقراءة الكتب ، ومعالجة ما لا تقدر عليه ، يعنى الكيمياء ، وكان يعملها^(٤) . لما عزك عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولأها عبد الله بن أبي سريح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشوا جبتك يا عمرو ؟ قال : أنا ؛ قال : قد علت أنك فيها ، ثم قال : أشمرت يا عمرو أن ألقاح دزت بصدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أصعبتم أولادها .

٢٠ وقع بين ابن لمير بن حيد العزيز وابن سليمان بن عبد الملك كلام ، فصلى ابن حريز كفضل أبيه ؛ قال له ابن سليمان : إن شئت فأقلل وإن شئت

يخبر عن يزيد
ومحمد بن عمرو
بين عثمان وعمرو
ابن العاص
عنه عن مصر

بين ابن لمير بن
حيد العزيز وابن
سليمان بن
عبد الملك ثم بين
العاص بن الوليد
والوليد بن يزيد
ثم بين عثمان
والوليد أيضا

(١) سطرين : جزين . عزين قد أسنا قضينا .
(٢) كان خروج ابن الأشعث في شعبان سنة ٨٢ من الهجرة .
(٣) التواضع : الإيل يستق عليها الماء ، واحدها تاضع .
(٤) في بنى الأصول : « يطها » .

فَأَكْثَرُ ، مَا كَانَ أَبُوكَ إِلَّا حَسَنَةً مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي . لِأَنَّ سُلَيْمَانَ هُوَ وَكَلَّى عُمَرُ
ابن عبد العزيز^(١) . ذَكَرُوا أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ وَجَاعَةً مِنْ بَنِي مَرْوَانَ كَانُوا
عِنْدَهُشَامَ ، فَذَكَرُوا الْوَلِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَخَمَقُوهُ وَعَاوَهُ ، وَكَانَ هِشَامُ يُبَغِّضُهُ ، وَدَخَلَ
الْوَلِيدُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ : كَيْفَ حُكِّمَ لِلرُّومِيَّاتِ ؟ فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ
مَشْخُومًا بِهِنَ ؛ قَالَ : إِنِّي لِأَحْبَبْتَنِ ، وَكَيْفَ لَا يُحِبُّنِ وَهُنَّ يَلِدْنَ مِثْلَكَ ؟
قَالَ : اسْكُتْ فَلَسْتُ بِالْفَحْلِ يَأْتِي صَنْبُهُ^(٢) بِمِثْلِي ؛ قَالَ لَهُ هِشَامُ : يَا وَلِيدُ ،
مَا شَرَابُكَ ؟ قَالَ : شَرَابُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَأَمَّ فَخَرَجَ . فَقَالَ هِشَامُ :
هَذَا الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَهَقُ . وَفُتِّبَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدٍ فَرَسُهُ ، فَصَمِعَ
جِرَامِيْزَهُ^(٣) وَوَسَّيَ عَلَى سَرَّجِهِ ، ثُمَّ أَتَتْهُ إِلَى وَلَدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ :
يُحْسِنُ أَبُوكَ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ : لِأَبِي مَائَةٌ عَبْدٍ يَصْنَعُونَ مِثْلَ هَذَا ؛ فَقَالَ
النَّاسُ : لَمْ يُنْصِفْهُ فِي الْجَوَابِ .

خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ بَنَتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامَ ، فَقَالَتْ :
وَاللَّهِ لَا تَزُوجْنِي أَبَا الذُّبَابِ . فَتَزَوَّجَهَا بِحُجَيْجِ بْنِ الْحَكَمِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِحُجَيْجٍ :
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَزَوَّجْتَ أَسْوَدَ أَفْوَهٍ^(٤) ؛ قَالَ حُجَيْجٌ : أَمَا إِنِّي أَحْبَبْتُ مَقِيَّ مَا كَرِهْتَ
مِنْكَ . كَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَكَ رِدَىءٌ لَمْ يَدْعُ فَيَقِعْ عَلَيْهِ الذُّبَابُ ، فَسَمِيَ أَبَا الذُّبَابِ .

الجواب القاطع

نَظَرَ ثَابِتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْدِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا يَنْضِضُ هَذِهِ
الْوُجُوهُ ؛ قَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ عُمَانَ^(٥) : تُبَغِّضُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ،

- (١) يشير إلى عهد سليمان بن جولة عمر ثم يزيد بن عبد الملك من بعده .
(٢) السبب : ماء التعلل . وقد كان العباس يذم فارس بن مروان لبعادته .
(٣) الجراميز من الإنسان : جسده وأعضاؤه . وجمع جراميزه ، أي تبغض ليب .
(٤) الأفوه : الواسع الفم ، وقيل الذي تخرج أسنانه من الثفتين مع طولها .
(٥) في الأصول : « سعيد بن عمرو بن عثمان » . وهو تحريف . فسعيد وحمرو أخوان ،
ثم إن عمرو بن عثمان ليس من بين أولاده من اسمه سعيد . وقد طعن سيد هذا
إلى أيام سلوة وكان حاملا له على خراسان ثم عزله . (انظر للمعارف لابن قتيبة) .

٢٠

٢٥

عبد الله ويحيى
ابن الحكم وبنت
عبد الرحمن بن
الحارث

يعني ثابت بن
عبد الله وسعيد
ابن عثمان ثم بين
الحجاج وعاصم
وبين ابن الباهل
ومرو

ولكن الأنصار والمهاجرين قتلوا أبائكم . وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ؛ قال له : أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة . وقال ابن الباطل لسروبن تغلبكرب : إن مهرک لثقوف^(١) ؛ قال : هجين مرفى^{١٤٣} هجيناً^(٢) مثله .

- وقال الحجاج لأسرأة من الخوارج : والله لأعذبنكم عذاباً ولأحصدنكم حصداً ؛ قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق ؟ وأتى الحجاج بأسرأة من الخوارج ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها القتل أيها الأمير ؛ قالت الخارجية : لقد كان وزره صاحبك خير من وزرائك يا حجاج ؛ قال لها : ومن صاحبي ؟ قالت : فروعون ، أستشارهم في موسى ، قالوا : أرحمه وأخاه . وأتى زياد رجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول ١٠ في وفي أمير المؤمنين ؟ قال : أما الذي نسميه أمير المؤمنين فهو أمير للشركين ؛ وأما أنت ، فما أقول في رجل أوله زينة وآخره دعوة ؟ فأمر به فقتل وصلب . قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت ذلك ضررك ؟ قال : لا ؛ قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك^(٣) . نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا بن الزنديق ؛ ١٥ قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يجعل لك أن تنازعني في هذا الميراث ، إذ كان لا يرث دين ديناً .

بين الحجاج
وخارجية ثم بين
زياد وفاجر

بين الأشعث
وشريح ثم بين ابن
الفضل وبين
أراجيه

- وأتى الحجاج بأسرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنتظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك وأنت لا تنتظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينتظر الله إليه . فأمر بها فقتلت . لقي عثمان بن عفان علي بن أبي طالب ، ٢٠ فتابه في شيء . بلنه عنه ، فسكت عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟

بين الحجاج
وخارجية ثم
بين عثمان وعلي

(١) للثقوف من الخيل : الذي أمه عربية وأبو غير عربي .

(٢) الهجين : ما كان أبوه عربياً وأمه غير عربية .

(٣) في بعض الأصول : « ضحك » .

قال له علي : ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .

- وتكلم الناسُ عند معاوية في يزيد ابنه ، إذ أخذ له البيعة ، وسكت الأحنفُ ، فقال له : مالك لا تقول أباً بحراً ؟ قال : أخافك إن صدقتُ ، وأخافُ الله إن كذبتُ .
- قال معاوية يوماً : أيها الناس إن الله فضلُ قريشاً بثلاث ، فقال لنبية عليه الصلاة والسلام : (وأنذرَ عشيرتَك الأقرين) فنحن عشيرته ، وقال : (وإنه ليدكرُكَ ولِقَوْمِكَ) فنحن قومه ، وقال : (لا يلبف قريش إيلانهم) إلى قوله (الذي أطمعهم من جوع وأمسهم من خوف) ونحن قريش . فأجاب رجلٌ من الأنصار ، فقال : على رِسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : (وكذب به قومك) وأنتم قومه ، وقال : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وأنتم قومه ، وقال الرسولُ عليه الصلاة والسلام : (يا رَبِّ إن قومي اتغدوا هَذَا القرآنَ مَهْجُوراً) ، وأنتم قومه ، ثلاثةٌ يثلاثة ، ولو زدنا لزدناك ، فأخذه .
- وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجملَ قومك حين ملكوا عليهم أسراً ؟ فقال : أجملُ من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم إن كان هذا هو الحقُّ مِن عندك فأشطر علينا جِجَارَةً مِن السماء أَوْ أَتُنَّا بِعَذَابٍ أليمٍ) ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحقُّ من عندك فأهدنا إليه ^(١) .

بين معاوية
والأحنف ثم
بين معاوية
والأنصاري

بين معاوية
ورجل من اليمن

٣٠ مجاوبة الأمراء والرد عليهم

- قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهيك إذ سَمَوْتُكِ جارية ! قال : ما كان أهونك على أهيك إذ سَمَوْتُكِ معاوية ! وهي الأثني من الكلاب ؛ قال : لا أُمُّ لك ! قال : أُمِّي وَلَدَتْنِي لِلسُّيُوفِ التي أقيمتُك بها في أيدينا ؛ قال : إنك لتَهْدَدُنِي ؛ قال : إنك لم تَفْتَحْنَا قَسْرًا ، ولم تَمْلِكْنَا

بين معاوية وابن
قدامة ثم بينه
وبين الأحنف ثم
ابن حاتم

(١) في ي يد قوله « إليه » : « ثم الجزء بحمد الله وعونه » .

(٢) في ي قبل هذا الضمان : « بسم الله الرحمن صلى الله عليه وسلم » .

- عَنوةً ، وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا ، وَأَعْطَيْتَنَا سِتْمًا وَطَاعَةً ، فَإِنْ وَفَّيْتَ
لَنَا وَفَّيْنَا لَكَ ، وَإِنْ فَرَّغْتَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّا تَرَكْنَا وَرَاءَنَا رَجَالًا شِدَادًا ،
وَالسَّيِّئَةَ حِدَادًا ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَا كَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالُكَ ؛ قَالَ جَارِيَةٌ :
قُلْ مَعْرُوفًا وَرَاعِنَا ، فَإِنَّ شَرَّ الدَّعَاءِ الْمُحْتَطَبُ . عَدَّدَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
عَلَى الْأَخْنَفِ ذُنُوبًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَرُدُّ الْأُمُورَ عَلَى أَهْلِهَا ،
أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبَّيْنا جَوَانِحُنَا ، وَالسُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا
لَمَلَّ عَوَاقِبُنَا ، وَلَئِنْ تَدَدَّتْ فِتْرًا مِنْ غَدَرٍ لَتَمُدَّنَّ بَاقًا مِنْ خَيْرٍ ، وَلَئِنْ شُئْتَ
لَتَسْتَصِفَّيْنِ كَدْرَ قُلُوبِنَا بِصَفْوِ حِلْمِكَ ؛ قَالَ : فَأَقْبَلَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ
لِبْنِي بْنِ حَاتِمٍ : مَا قُلْتَ الطَّرْفَاتِ يَا أَبَا طَرِيفٍ ؟ — يَعْنِي أَوْلَادَهُ — قَالَ :
قُتِلُوا ؛ قَالَ : مَا أَنْصَفَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذْ قُتِلَ بِنُفُوكَ مَعَهُ وَبَقِيَ لَهُ بَنُوهُ ؛ قَالَ :
لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ قُتِلَ هُوَ وَبَقِيَتْ أَنَا بِسَدِّهِ ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَلَمْ تَرَمْ أَنَّهُ
لَا يُخْنِقُ فِي قَتْلِ عَمِيانَ حَنْزَلَةَ^(١) ؟ قَدْ وَاللَّهِ خُنِقَ فِيهِ النَّبِيُّ الْأَكْبَرُ . ثُمَّ
قَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا إِنَّهُ فَيَقِيْتُ مِنْ دَمِهِ قَطْرَةً وَلَا يَدُ أَنْ أَتْبِعَهَا ؛ قَالَ عَدِيٌّ :
لَا أَبَا لَكَ ! سَمِ^(٢) السَّيْفِ ، فَإِنَّ سَلَّ السَّيْفِ يَسْلُ السَّيْفُ . فَاتَّفَقَتْ مُعَاوِيَةُ
إِلَى حَبِيبِ بْنِ مُسْلِمَةَ ، فَقَالَ : أَجْعَلُهَا فِي حِكْمَتِكَ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ .
الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْكِنْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ
بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَامَ خَطِيبًا ،
فَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ أَنْ لَعَنَ عَلِيًّا ، فَأَطْرَقَ النَّاسُ وَتَكَلَّمَ الْأَخْنَفُ ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْقَاتِلَ مَا قَالَ آخَا^(٣) لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ فِي لَعْنِ
الْمُرْسَلِينَ لَعَنَهُمْ ، فَأَتَى اللَّهَ وَدَخَعَ عَنْكَ عَلِيًّا ، فَقَدْ لَقِيَ رَبَّهُ ، وَأَفْرَدَ فِي قَبْرِهِ ،
وَحَلَا بِسَدِّهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ — [مَا عَلِمْنَا] — الْمُبَيَّرَ بِسَبْقِهِ^(٤) ، الطَّاهِرَ

للأخنف في الرد
على شامي لمن عليا
في حاضرة معاوية
وحدث ذلك

(١) في بعض الأصول : « حَنْزَلَةُ » . قَالَ : قَدْ . « الْح » .

(٢) شَامُ السَّيْفِ : سَهْلٌ وَاحِدُهُ ، فَعِيَ مِنَ الْأَشْدَادِ ، وَالرَّادُ بِهِ هُنَا الثَّانِي .

(٣) مَا : مَقُولٌ فِي الْقَاتِلِ . أَيْ الْقَاتِلُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ آخَا .

(٤) كَلَّمَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَنَهَايَةُ الْأَرْبَعِ (ج ٧ ص ٢٣٧) . وَقِي سَائِرُ الْأَصُولِ : « سَبْقُهُ » . ٢٥

خَلَقَهُ^(١)، التَّيْمُونِ قَبِيلَتُهُ^(٢)، الْعَظِيمِ مُصِيبَتُهُ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا أَحْنَفُ،
لَقَدْ أَغْضَيْتَ إِلَيْنَا عَلَى الْقَدَى، وَقُلْتَ بِغَيْرِ مَا تَرَى، وَأَمَرَ اللَّهُ لَتَصْعَدَنَّ لِلنَّبَرِ
فَلَتَلْعَنَهُ طَوَافًا أَوْ كَرَامًا؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ تُغْفِرْهُ
خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تَجَبَّرَنِي عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا تَجْرِي بِهِ شَفَعَتِي أَبَدًا؛ قَالَ: فَمَنْ
فَأَصْعَدَ النَّبَرُ؟ قَالَ الْأَحْنَفُ: أَمَّا وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ لِأَنْصِفَنَّكَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؛
قَالَ: وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ يَا أَحْنَفُ إِنْ أَنْصَفْتَنِي؟ قَالَ: أَصْعَدُ النَّبَرُ فَاصْدُ اللَّهُ بِمَا
هُوَ أَهْلُهُ، وَأَصْلِي عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَسْرَفَ أَنْ أَلْمَنَ عَلَيْكَ، وَإِنْ عَلَيَّ وَمُعَاوِيَةُ اخْتَلَفَا بِمَا قَتَلَا،
وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ يُنْبِئُ عَلَيْهِ وَحَلَّى رِفْقَتَهُ، فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَتَمُّوا
رَحْمَتِ اللَّهِ، ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ أَلْمَنَ أَنْتَ وَمَلَائِكَتُكَ وَأَنْبِيَائُكَ وَجَمِيعُ خَلْقِكَ
الْبَاغِي مِنْهَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَأَلْمَنَ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ، اللَّهُمَّ أَلْمَنُ لَنَا كَثِيرًا،
أَتَمُّوا رَحْمَتِ اللَّهِ؛ يَا مُعَاوِيَةُ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَقْصُ مِنْهُ حَرَمًا وَلَوْ كَانَ
نِيَّةَ ذَهَابٍ نَفْسِي. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِذْنُ تُغْفِرْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِرَقِيقٍ بَنَ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ عَلِيًّا قَدْ قَطَعَكَ وَوَصَلْنَاكَ، وَلَا
يُرْضِيْنِي مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَلْعَنَهُ عَلَى النَّبَرِ؟ قَالَ: أَقُولُ. فَأَصْعَدَ فَصَعِدَ، ثُمَّ قَالَ بِمَدِّ
أَنْ سَجَدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَسْرَفَ أَنْ
أَلْمَنَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ، فَالْمَنُوهُ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ
نَزَلَ. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنَّكَ لَمْ تُبَيِّنْ أَبَا يَزِيدَ مَنَ لَعَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ قَالَ:
وَاللَّهِ لَا زِدْتُ حَرَمًا وَلَا نَقَصْتُ آخَرَ، وَالْكَلَامُ إِلَى نِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ.

الْمِهِمُ بْنُ عَدَى قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَبِي الطَّغِيلِ: كَيْفَ وَجَدْتُكَ عَلَى عَلِيٍّ؟
قَالَ: وَجَدْتُ تَمَانِينَ مُشْكِلًا؛ قَالَ: فَكَيْفَ حُبُّكَ لَهُ؟ قَالَ: حُبُّ أُمِّ مُوسَى،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «تَوْبَهُ» مَكَّنَ «خَلَقَهُ».

(٢) تَيْمُونُ النَّفْسِ: مَبَارَكُ النَّفْسِ مَقَرُّهَا بِمَحَاوِلِ.

(٣) رَوَى الْمَوْسُوْدُ هَذَا الْحَدِيثَ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي عِبَارَتِهِ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ.

بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَابْنِ
الطَّغِيلِ فِي عَلَى
وَمُحَمَّدٍ

وإلى الله أشكو التَّصْمِير. وقال له مرة أخرى: أبا الطَّغِيل؟ قال: نعم؛ قال: أنت من نَفْطَة عُبَّان؟ قال: لا، ولكني من حَصْرَه ولم يُنْصَرْه؛ قال: وما مَنَعَكَ من نُصْرَه؟ قال: لم يُنْصَرْه المُهاجرون والأَنْصار فلم أنْصَرْه؛ قال: لقد كان حَقُّه واجِباً، وكان عليهم أن يُنْصَرْوه؛ قال: فما مَنَعَكَ من نُصْرته يا أمير المؤمنين وأنت ابنُ عمِّه؟ قال: أو ما طَلَبَ بِدَمِهِ نُصْرَة له؟ فَضَحَكَ أَبُو الطَّغِيل وقال: مَثَلُكَ وَمَثَلُ عُبَّانِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

لَأَمْرُكَ^(٢) بَعْدَ التَّوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدَنِي زَادًا
الْمُعْتَبَى قَالَ: حَمِيدٌ مَعَاوِيَةُ اللَّيْثُ تَوَجَّدَ مِنْ نَفْسِهِ رَقَّةً، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ
اللهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ عُمَرَ وَلَاقَى أَمْرًا مِنْ أَمْرِهِ، فَوَاللهُ مَا عَشَّشْتُهُ
وَلَا خُنَنْتُهُ، ثُمَّ وَلَاقَى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَحْمِلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدًا، فَأَحْسَنْتُ وَاللهُ
وَأَسَأْتُ، وَأَمِيتُ وَأَخْطِئُ، فَمَنْ كَانَ يَحْمِلُنِي فَأَنِي أَعْرِفُهُ بِنَفْسِي. فَقَامَ إِلَيْهِ
سَلَمَةُ بْنُ الْمَخْطَلِ^(٣) التَّرَجِيُّ^(٤)، فَقَالَ: أَنْصَفْتَ يَا مَعَاوِيَةُ، وَمَا كُنْتَ مُنْصَفًا.
قَالَ: فَغَضِبَ مَعَاوِيَةُ، وَقَالَ: مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا أَحَدَبُ؟ وَاللهُ لَكَ نِيٌّ أَنْظُرَ إِلَى
بَيْتِكَ بِهَيْمَةَ^(٥)، وَبَطْنُكَ تَيْسَ^(٦)، وَبَطْنُكَ بَيْهَمَةٌ. بَنَانُهُ أَعَزُّ عَشْرٍ،
يُحْتَلَبُ فِي مِثْلِ قَوَارَةِ حَافِرِ التَّهْرِ^(٧)، تَهْفُو الرِّيحُ مِنْهُ [بِجَانِبِ]^(٨)، كَأَنَّهُ جَنَاحُ نَسْرٍ.
قَالَ: رَأَيْتُ وَاللهُ ذَلِكَ^(٩) [فِي شَرِّ زَمَانِنَا إِلَيْنَا،] وَوَاللهُ إِنَّ حَشْوَهُ يَوْمُئِذٍ لِحَسْبٍ

بين معاوية
وسلمة بن المخطل

- (١) الشاعر هو التاجية الجندى. (انظر سروج الذهب ج ٢ ص ٦٣).
- (٢) في الروج: «لألفيك».
- (٣) في الأصول: «الحضل». والتصويب عن الاستيعاب والإصابة وابن عساكر.
- (٤) كذا في الإصابة. والقي في الاستيعاب وتاريخ دمشق لابن عساكر أنه بن مريج،
فإذا صح هذا فالتصويب إليهم: مريجي.
- (٥) هيمية: الجيفة بين الحرمين، وهي ميفات الشاميين.
- (٦) في بعض الأصول: «تين».
- (٧) كذا في تاريخ دمشق - يرد ما يطور من باطن حافره - يصنه بالقوم لضيق عليه.
- (٨) والقي في الأصول: «المنز».
- (٩) بجانب، أراد جانب البيت. وأنه في الصخر على قدر جناح النسر، يرد تصغير
أمره وتحقيره.
- (١٠) التمسكة عن تاريخ دمشق. وبين الخبر هنا وهناك خلاف في بعض الألفاظ.

غير ديس]، فهل وأيتى يا معاوية أكلتُ مالا حراما أو قتلتُ أمرا مسلما؟ قال: وأمن كنتُ أراك وأنت لا تدب إلا في حمر^(١)، وأى مسلم يمحز عنك فتقته؟ أم أئى مال تقوى عليه فتأكله؟ أجلس لا تجلس؟ قال: بل أذهب حتى لا ترانى؛ قال: إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها، فضى. ثم قال معاوية: رُدوه على، فقال الناس: يماقيه؛ فقال له: أستغفر الله منك يا أحذب، والله لقد برزت في قرابتك، وأسلمت فحسُن إسلامك، وإن أباك لسيد قومه، ولا أبرح أقول بما نصب، فاقبُد.

الأوزاعى قال: دخل خريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه، فقال: أئى ساقين لو أنهما على جارية؟ قال: في مثل عجزيتك يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: واحدة بأخرى والبادى أعظم. دخل عطاء المنحك على عبد الملك بن مروان، فقال له: أما وجدت لك أمك اسما؟ إلا عطاء؟ قال: لقد استكثرتُ من ذلك ما استكثرتَه يا أمير المؤمنين، ألا سمعتنى بأسم المباركة، صلوات الله عليها، مزيم.

قال معاوية لصُحار بن العباس السبدي: يا أزرق؛ قال: البازى أزرق؛ قال: يا أحر؛ قال: الذهب أحر؛ قال: ما هذه البلاغة فيك عبد القيس؟ قال: شئ. يحتلج في صدورنا فتغذفه السنن كما يقذف البحر الزبد؛ قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: أن تقول فلا تخطيء، ونحيب فلا نبغى.

وقال عبد الله بن عامر بن كرير لعبد الله بن حازم: يا بن عجل^(٢)؛ قال: ذاك اسمها؛ قال: يا بن السوداء؛ قال: ذاك لونها؛ قال: يا بن الأمة؛ قال: كل أئى أمة، فاقصد بذرعك لا ترجع سهمك عليك، إن الإماء قد ولدتك.

دخل عبيد الله بن زياد بن عتبين على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: وابن طيان

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص ٢١ من هذا الجزء.

(٢) في بعض الأصول: «جملاء».

ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك ؛ قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والثراب بالثراب ، ولكن أدلك على من لم يشبه أباه ؛ قال : من هو ؟ قال : من لم تفضحه الأرحام ، ولم يؤلفه الختام ، ولم يشبه الأحوال والأعنام ؛ قال : ومن هو ؟ قال : ابن حمى سويد بن منجوف ، وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك أنه ولد لستة أشهر .

٥

بن زيد بن علي
وحشام بن
عبد الملك

(١) دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعا يقعد فيه ، فلم أن ذلك فقل به على محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، [اتق الله ! قال : أو مثلك يا زيد بأسر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد] : إنه لا يكبر أحد فوق أبي يوصي بتقوى الله ، ولا يصغر دون أن يوصي بتقوى الله . قال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة ؛ قال زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم القريب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ، ابن أمة ، من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ، ابن حرة ، أخرج من صلبه القردة والغنازير وعبد الطاغوت . [قال له : قم ؛ قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره] . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حابيه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن علي :

١٥

١٤٦
٢

شره العقوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلال
محنّ الرّجلين^(٢) يشكو الوجي تفرعه أطراف مرور^(٣) حِداد
قد كلف في اللوت له راحة وللوت حتم في رقاب العباد

ثم خرج بمراسن قتل وصلب في كناسة . وفيه يقول سديف بن ميمون
في دولة بني العباس :

(١) الخبر متناوئ في البيان (ج ١ ص ١٦٩) بعض الخلاف .

(٢) في البيان : « منقذ المتن » .

(٣) لرو : جبرة يرض رفاق .

وَأَذْكُرُوا مَقْتَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَزَيْدًا وَقَتْلًا بِجَانِبِ الْهَرَّاسِ^(١)
زَيْدَ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُتَقَوْلِ بِأَحَدٍ .

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَبَسٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ : زَيْدُي ! وَاللَّهِ لَا يَجِبُكَ قَلْبِي أَبَدًا ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَجْزَعُ مِنْ قَتْلِ الْعَبِّ النَّسَاءُ ، وَلَكِنْ عَدَلًا وَإِنْصَافًا . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي تَرِيمٍ الْحَنْفِيِّ ، قَاتِلُ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ : وَاللَّهِ لَا يَجِبُكَ قَلْبِي أَبَدًا حَتَّى تُعْبِيَ الْأَرْضُ الْمَمَّ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ تَمْنَعُنِي لِقَاكَ حَقًّا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَصَحِّسِي .

دَخَلَ زَيْدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَى أَمْرِي أَوْطَاكُ رَسَنًا وَسَلَطًا عَلَى الْأَمَّةِ لِمَنَّةِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُدْبِرٌ عَنِّي ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ عَلَى لَبَطُفٍ فِي عَيْنِكَ مَا اسْتَصَفَرْتُ مَعِي ؛ قَالَ : أَنْظِنِ الْحِجَابَ اسْتَقَرَّ فِي قَمَرِ جَنِّهِمْ أَمْ هُوَ يَهْوِي فِيهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْحِجَابَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْبِكَ وَأَخِيكَ ، فَضَمَّهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَقَّتْ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لَزُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ : يَلْفَنِي أَنْ كَيْدَنَدَةَ تَدْعِيكَ ؛ قَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُتَّقَى رَهْبَةً وَلَا يَدْعَى رَضِيَةً .

قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِلْحَسَنِ بْنِ دُلْجَةَ : إِنِّي أَنْظَنُكَ أَحَقَّ ؛ قَالَ : مَا يَكُونُ الشَّيْخُ إِذَا أَعْمَلَ ظَنَّهُ ؟ وَقَالَ مَرْوَانُ لَعُوبِلَ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ : وَكَانَ كَبِيرًا مُسْنَنًا . أَيُّهَا الشَّيْخُ ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُكَ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَاثُ ؛ فَقَالَ : اللَّهُ التَّسْتَعَانُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ بِالْإِسْلَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُنِي عَنْهُ أَبْرُوكُ وَيَنْهَانِي وَيَقُولُ : يَضَعُ مِنْ مَدْرِكَ ، وَتَقَرُّكَ دِينَ أَبَاكَ لَدِينِ مُحَمَّدٍ ، وَتَصِيرُ تَابِعًا . فَسَكَتَ مَرْوَانُ . قَالَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَبْرُوكُ كَانَ أَعْلَمُ بِكَ حَيْثُ كَانَ يَشْتُمُّكَ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتُمُّنِي لِأَنِّي كُنْتُ أَنْهَاهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ مَكَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ بَهُمَا ؛ أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا النَّبِيَّ

صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فَأَذَوْه ، حتى سَيَّم ، يعرض
بالحكم بن أبي العاصي طريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فَخَذَلُوا
عُثْمَانَ حتى قُتِلَ بين أظهرهم ولم يَذْفُوا عنه ؛ قال له : عليك لعنة الله .

بين معاوية
وعيسى ثم بينه
وبين عيسى بن
سعد

- جلس معاوية يُبَايِع الناس على البراءة من عليّ ، فقال له رجل من بني تميم :
- يا أُميرَ المؤمنين ، نطعم أحياءكم ولا نُبرأ من موتاكم ؟ فَأُلْتُتْ معاوية إلى زياد ٥
- فقال : هذا رجل فَأَسْتَوْصِ بِهِ . قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، لم تَطْلُبُونِ
ما عِنْدِي ، فوالله لقد كُتِمَ قليلاً معي كثيراً مع عليّ ، ولقد قَلَّمْتُ حَدِّي يوم
صِفِّين ، حتى رأيتُ للنَّبَا تَنْطَلِي من أَسْتَكِم ، ولقد هَجَوْتُ مَوْنِي بأشد من وَخَزِ
الأُسَل ، حتى إذا أَنَامَ اللهُ مِنَّا ماحولم مِنِّيهِ ، قَلَّمْتُ أَرْعَ فِينَا وصية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، هيأتُ أَيْ السَّقِينِ العَذْرَةَ ^(١) . فَأَجَابَهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : ١٠
أما قولك حِينَئِذٍ نَطْلُبُ ما عِنْدَكَ ، فبالإسلام الكافي به اللهُ ^(٢) لا بما نَمَتَ بِهِ
إِلَيْكَ الأَحْزَاب ؛ [وأما أَسْتَقَامَةُ الأَمْرِ ، فعلى كَرِهٍ مِنَّا كَانَ] ؛ وأما قُلْنَا حَدِّكَ يوم
صِفِّين ، فَأَمْرٌ لَا نَعْتَدِرُ مِنْهُ ؛ وأما عَدَاوَتُنَا لَكَ ، فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْتَهَا عَنْكَ ؛
وَأَمَّا هِجَاؤُنَا إِلَيْكَ ، فَقَوْلٌ يَثْبُتُ حَقُّهُ ، وَرِزْوَالٌ بَاطِلُهُ ؛ وأما وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فَهَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَحْفَظُهَا مِنْ بَدِهِ ؛ [وأما قولك : يَا أَيُّ الْمُتَّقِينَ ١٥
العَذْرَةَ ، فَلَيْسَ دُونَ اللهِ يَدُ تَحْجِزُكَ مِنَّا] ^(٣) ، فَدُونُكَ أَمْرٌ كَإِمْبَاةٍ بِمُعاوية ، فَأَيُّهَا
مَثَلُكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَقَرٍّ خَلَاكَ الْجَوُّ فَيَبْضِي وَأَصْفَرِي

- (١) الحَقِين : المَجْرُوس . والمَقَرَّة : النَمْر . يضرب مثلاً للرجل يستقر ولا يمر له .
وأما أنه رجل شاف قوماً فاستقام لبنا وعندما ابن فوضوه في وطب ، وأعطوا ٢٠
عليه واعتفروا ، وقال هذا القتل ، يريد أن هذا الحَقِين يَكْذِبُكُمْ .
(٢) في بَشْرِ الأَصُول : « فدا ما سواه » مكان « به الله » . وما أَيْبَاءُ عَنْ سائر
الأصول والرواج (ج ٢ ص ٦٣) .
(٣) في مَرْجِ الأَمْرِ بِدِ هَذَا : « فقال معاوية يجره : ارفسوا حوالكم » ، ولم
يذكر البيت هنا ، وإنما ذكره مَتَنُونا لِحَسَنِ يَخَاطَبُ بِهِ ابْنَ الزَّيْرِ حِينَ مِمَّ الْحَسَنِ ٢٥
بِالْإِتِّحَالِ إِلَى السَّكُوفَةِ تَرَكَ ابْنَ الزَّيْرِ بِحَقِّهِ .

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن المرء بالبصرة ؟ قال :
 فينا وفي خلفائنا من ربيعة . قال سليمان ^(١) : الذي تحالفنا عليه أعز منكم .
 مزمع من الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، فقرأوا ، وكنت
 ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تقرأ مع أصحابك ؟ قال : لم أجزم فأخافك ،
 ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسع لك . وقال عبد الله بن الزبير لمدى بن
 حاتم : متى قُتلت عيتك ؟ قال : يوم قُتل أبوك ، وهربت عن خالتك ^(٢) ، وأنا
 للحق ناصير ، وأنت له خاذل . وكان قُتلت عيته يوم الجمل .

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيّد : ما أكثر الخطباء في ربيعة ؟ قال : نعم ،
 ولكن منابرهم الجدوع . كان للسور بن عثمة جليلاً نبيلاً ، وكان يقول في
 يزيد بن معاوية : إنه يشرب الخمر . فكتب إليه عامله بالمدينة
 أن يجلبه الحد ، فعمل . فقال السور في ذلك :

أيشربها صرفاً يفض ختامها أبو خالد ويحصد الحد مسور
 قال للأمنون ليحيى بن أكرم القامى : أخبرني من الذي يقول ؟
 قاضي يرى الحد في الزنا ، ولا يرى على من يلوط من بلس
 قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :

لا أخسب الجور ينقضى وظي إلا أمة وال من آل عتاس
 قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم ^(٣) ، قال : يُنقى إلى السند ، وإنما
 مزمعنا معك .

قال سليمان بن عبد الملك لمدى بن الرطاع ^(٤) : أنشدني قولك في الخمر :
 كُفيت إذ اشجبت ^(٥) وفي الكأس وزدة لها في عظام الشاربين ديب
 بين سليمان بن عبد الملك ومدى
 ابن الرطاع ثم بين
 بالاد وخالد بن
 صفوان

(١) في بني الأصول : « عمر بن عبد العزيز » مكان « سليمان » .

(٢) يريد : خالفة ، فهي أخت أمه أساء .

(٣) في مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٢٩) : « ابن أبي نعيم » .

(٤) في الأغانى : « نضت » .

(٥) الشعر اللاتيهير ، والحديث بينه وبين عبد الملك . (انظر الأغانى ج ١ ص ١٠٩ طبعة بلاط)

ثُربك القَدَى من دُونها وهى دُونه لَوْجَه أُنْجِها فى الإِناءِ قُطُوبُ
فَأَنشَدَه . فقال له سُلَيْمان : شَرِيتَها ورَبَّ الكُعبَةِ ؛ قال مَدَى : والله
يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَنْ رَأَيْتُكَ وَصَفَى لَها قَدرا بَقى مَشْرِفَتُكَ بِها . فَمُضاحِكا وأَخذا
فى الحَدِيثِ . الأَصْمَعِيُّ قال : لَمَّا وَلَّى بِلالُ بْنُ أبى بَرْدَةَ البَصْرَةَ بَلَغَ ذلك
خَالِدُ بْنُ صَفْوان ، قال : * سَحَابُهُ صَيْفٌ عَنِ قَلِيلٍ تَقَشَّمُ *
فَبَلَغَ ذلك بِلالاً مَدْحاً به ، قال له : أَنْتَ القائل :

* سَحَابُهُ صَيْفٌ عَنِ قَلِيلٍ تَقَشَّمُ ؟ *

أَمَّا وَاللهُ لا تَقَشَّمُ حَتَّى يَصْنِبَكَ مِنْها شَوْبُوبٌ بَرْدٌ ، فَصَرَبَهُ مائَةٌ سَوِطٌ . وكان
خالدُ يَأْتِى بِبِلالٍ فى وِلايَتِهِ ، وَيُشْهَدُ فى سُلْطانِهِ ، وَيَتَّبَعُهُ إِذا غابَ عَنْه ،
وَيَقُولُ : ما فى قَلْبِ بِلالٍ مِنَ الإِيعافِ إِلَّا ما فى بَيْتِ أبى الزَّرَدِ العَنَفِ منى ١٠
الجواهر . وأبو الزَرَدِ رَجُلٌ مُفْلَسٌ .

بين حية وخالد
القصري ثم بين
شريك وللهدى

دخل عُتْبَةُ بْنُ حَبِيدِ الرِّخَنِ بْنِ الحارثِ بْنِ هشامٍ عَلَى خالِدِ بْنِ عَبدِ اللهِ
الْقَسْرِى بِمَدْحٍ جَدِيدٍ ، وكان عُتْبَةُ رَجُلًا سَخِيًّا ، فقال له خالِدٌ ، يُعْرَضُ
به : إِنْ ما هُنَا رَجالٌ يُدائِبُونَ فى أُمُومِهم ، فَإِذا قَنِيتَ يُدائِبُونَ فى أَهْراضِهِمْ .
فَعَلِمَ الْقَرَشَى أَنَّهُ يُعْرَضُ به ، قال : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، إِنْ رَجالاً تَكُونُ أُمُومُهم
أَكْثَرَ مِنْ مَرُواتِهِمْ ، فأولئك تَبْقَى أُمُومُهم ، ورَجالاً تَكُونُ مَرُواتِهِمْ أَكْثَرَ
من أُمُومِهم ، فَإِذا قَدِيتَ أَذْانُوا عَلَى سَمَةِ ما عِنْدَ اللهِ . فَصَحَّحَ خالِدٌ وقال :
أَمَّا إِنَّكَ مِنْهُمْ ما عَظِمْتَ . كان شَرِيكَ القاضى يُشاحِنُ الرَبِيعَ صاحِبَ شُرْطةِ
الهدى ، [غُفِلَ الرَبِيعُ لِلْهَدَى عَلَيْهِ] ، فَدَخَلَ شَرِيكَ يَوْمًا عَلَى الْهَدَى ، فقال له
الهدى : كَلَفَتْنِى أَنْتَ وَلَدْتَ فى قَوْصِرَةٍ ^(١) ؛ قال : وَلَدْتُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِحِرْسانٍ والقواصرِ هُناكَ عَزِيزَةٌ ؛ قال : إِنِّى لأُرَاكَ فَاطِمَةً جَدِيدًا ؛ قال : واللهُ إِنِّى
لَأُحِبُّ فَاطِمَةً وَأَبَا فَاطِمَةَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قال : وَأَنَا وَاللهُ أَحِبُّهُما ، وَلَكِنِّى

١٤٨
٢

(١) يريد بالقوصرة : وِعاء من قصب . وأهل البصرة يسمون النبلوذ . ابن قوصرة ،
ويجمع فى قوصرة أو فى غيرها .

وأيتك في منامى مصروفا وجهك عني ، وما ذاك إلا ليغضك لنا ، وما أراى
إلا قاتلك لأنك زنديق ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله ما لا تُسْفك بالأحلام ،
وليس رؤياك رؤيا يوسف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما قولك بأنى زنديق ،
فإن لزائدة علامة يعرفون بها ؛ قال : وما هى ؟ قال : يشرب الخمر والضرب
بالطنبور ؛ قال : صدقت أبا عبد الله ، وأنت خير من الذى حلتى عليك .

عن محمد بن
الحطاب ومرو
ابن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد ميرت
سيره هاشق ؛ قال : والله ما تأبطنى الإمام^(١) ، ولا سملتني التيملا في غيرات
للكي^(٢) ؛ قال عمر : والله ما هذا جواب كلامي الذى سألتك عنه ، وإن
الشجاجة لتضع في الرماد فتضع لغير الفعل ، والبيضة منسوبة إلى طرهما^(٣) ،
وقام عمر فدخل . فقال عمرو : قد فحش علينا أمير المؤمنين .

قضية بن مسلم
وابنه عبد الله
والخمين بن
السنبل

وترجم الرواة أن قضية بن مسلم لما أفتتح سمع قند أفضى إلى أنات لم ير
مثله ، وإلى آلات لم يسمع بمثلهما ، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويبرهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأسر بدار فخرشت ، وفي صحنها قدور
أشتات ، رتقى بالسلام . فإذا الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرثاشي
قد أقبل ، والناس جُلوس على مراتبهم ، والحُضَيْن^(٤) مَنِيخ كبير ، فلما رآه عبد الله
ابن مسلم قال لقضية : إني لفي كلامه^(٥) ؛ فقال : لا ترده ، فإنه خبيث الجواب .
فأتى عبد الله إلا أن يأذن له — وكان عبد الله يُضعف^(٦) ، وكان قد تسور
حائطا إلى امرأة قبل ذلك — فأقبل على الحُضَيْن ، فقال : أمن الباب دخلت

(١) أى أنه لم يتحول الإمام تريجه .

(٢) للآلى : خرق الخيش ، وغبرات للآلى ، أى بتأليها .

(٣) يمرض يسرو ، إذ كانت أمه الثانية من مَنِيخات مكة ، وكان يأنها غير واحد .
فلما ولدت عمروا ألفتها بالناس لشبهه . (انظر ج ٢ ص ١٢٠ من هذه الطبعة) .
وانظر نثر الورى للآلى في الكلام على عمر بن الخطاب .

(٤) في الأصول : « والخنس » . وهو مخريف .

(٥) في الكامل : « وسأيت » .

(٦) يضعف : يوصف بالضعف في عقله ورأيه .

يَا أَيُّهَا سَاسَنُ ؟ قَالَ : أَجَلٌ ؛ ضَعُفٌ ^(١) حَكَمٌ عَنْ تَسْوِيرِ الشَّيْطَانِ ؛ قَالَ : أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْقُدُورُ ؟ قَالَ : هِيَ أَكْظَمُ مِنْ أَنْ لَا تُرَى ؛ قَالَ : مَا أَحْسَبُ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ رَأَى مِثْلَهَا ؟ قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَا عَيْلَانُ ^(٢) ، وَلَوْ كَانَ رَأَاهَا مُتَمِّى شَبْعَانَ وَلَمْ يُسَمَّ عَيْلَانُ ؛ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَتُحَرِّفُ الْقِيَمَ يَقُولُ :

- عَزَلْنَا وَأَتَرْنَا وَبَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ تَجَرَّ خُصَاصَهَا تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ ؟ ^(٣)
قَالَ : أَعْرَفُهُ وَأَعْرِفُ الْقِيَمَ يَقُولُ :

[وَتَحِيَّةٌ مِنْ يَحْيَى عَلَى فَتَى . وَيَا هَلَةَ بْنَ . يَحْيَى وَالرَّيَابِ]

يُرِيدُ : يَا حَيَّةٌ مِنْ يَحْيَى . قَالَ لَهُ : أَتُحَرِّفُ الْقِيَمَ يَقُولُ :

كَانَ فَتَاخُ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْتَعٍ إِذَا قَرِئَتْ أَقْوَامُهُ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ ؟ ^(٤)

- ١٠ قَالَ : نَعَمْ . وَأَعْرِفُ الْقِيَمَ يَقُولُ :

قَوْمٌ قَتِيلَةٌ أَتَاهُمْ وَأَبْرَهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْمَلٍ
قَالَ : أَمَا الشَّرُّ ، فَأَرَاكَ تَزْوِيهِ ، فَهَلْ تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَقْرَأُ مِنْهُ الْأَكْثَرَ : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الْفَتْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) . قَالَ : فَأَغْضَبَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَنْتِي أَنْ امْرَأَةَ الضَّحَيْنِ كُحِلَتْ

- ١٥ إِلَيْهِ وَهِيَ حُبْلَى مِنْ غَيْرِهِ . قَالَ : فَأَتَحَرَّكَ الشَّيْخُ عَنْ هَيْئَتِهِ الْأُولَى ، ثُمَّ قَالَ عَلَى رِسْلِهِ : وَمَا يَكُونُ لَكَ غُلَامًا عَلَى فَرَاثِي ، فَيُقَالُ : فَلَانُ بْنُ الضَّحَيْنِ ، كَمَا يُقَالُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ . فَأَقْبَلَ قُتَيْبَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ فِرْكَ . وَالضَّحَيْنُ هَذَا هُوَ الْحَضِينُ بْنُ الشَّنْدَرِ الرَّقَاشِي ، وَرَقَاشُ أُمُّهُ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي شَدِيدَانَ ابْنِ بَكْرٍ وَاثِلٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصِغِيرَتِهِ عَلَى رَيْبَةِ كَلْبَا ، وَلَهُ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

٢٠

(١) فِي السَّكَلِ : « أَسَن » .

(٢) عَيْلَانُ : جَدُّ الْإِسْكَدِ ، وَكَذَلِكَ أَنَّ بِلْعَةَ أُخْتِ هِنِ بْنِ يَمْرُوتَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ عَيْلَانَ بْنِ مَرْثَرٍ .

(٣) هَذَا الْقَصِيدَةُ لِحَارِثَةَ بْنِ جَرَّالٍ النَّدَائِي .

(٤) الْقَتَاخُ : جَمْعُ نَقْصَةٍ ، وَهِيَ الْبَرَّةُ . وَهَذَا الْبَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ .

١٤٩
٢

لمن رايةٌ سوداءٌ يَحْقِيقُ ظِلَّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُصَيْنٌ تَقَدَّمَا
يُبَدِّمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يَرْبُرَهَا^(١) حِيَاضٌ لِلنَّايَا تَقَطِّرُ الشَّمْسُ وَالْدَّمَا
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِفَضْلِهِ رِبِيعَةٌ خَيْرًا مَا أُعِفْتُ وَأَكْرَمًا

يُنَالِئُ وَنُورُ مَرُوءِ
ابْنِ الْعَاصِ مِمَّنْ
خَلَّفَهُ وَرَجُلٌ مِنْ
مِجْدِ الْعَارِ

وَقَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ الْقَبْدِيُّ لِمَعْرُوفِ بْنِ الْعَاصِ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَمْ
تَكُنْ أُمْتُكَ ، مِمَّنْ هِيَ ؟ قَالَ : أَحَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، لَقَدْ فَكَّرْتُ فِيهَا الْبَارِحَةَ ،
فَجَعَلْتُ أَنْتَقِلَهَا فِي قِبَالِ الْقَرْبِ ، فَخَاطَرْتُ لِي عَبْدُ الْقَيْسِ بِيَالٍ . قَالَ خَالِدُ بْنُ
صَقْوَانَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَتَحْمَهُ يَفْخَرُ بِمَوْضِعِهِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لَهُ
خَالِدٌ : لَقَدْ هَمَمْتُكَ هَاشِمٌ ، وَأُمْتُكَ^(٢) أُمِيَّةٌ ، وَخَزَمَتُكَ خَزُومٌ ، وَجَمَحَتُكَ
جَمَحٌ ، وَسَهْمَتُكَ^(٣) سَهْمٌ ، فَأَنْتَ أَبْنُ عَبْدِ دَارِهَا ، تَفْتَحُ الْأَبْوَابَ إِذَا أُغْلِقَتْ ،
وَتُغْلِقُهَا إِذَا فُتِحَتْ .

جواب في هنزل

بَيْنَ النَّصْبَةِ
وَأَعْرَابِيٍّ يُؤَاكِلُهُ
ثَمَرِينَ مِنْ حَنِيسَةٍ
وَلِإِبْرَاهِيمَ فِي
حَضْرَةِ هِشَامٍ

كَانَ لِلْمَعْمُورَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقِيُّ — وَهُوَ وَالِي السَّكُونَةِ — جَدِيٌّ يُوضَعُ عَلَى
مَائِدَتِهِ ، فَخَضَرَهُ أَعْرَابِيٌّ فَذَنَبَهُ إِلَى الْجَدِيِّ ؛ وَجَعَلَ يُسْرِعُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ
الْمَعْمُورَةُ : إِنَّكَ لَتَأْكُلُهُ بِحَرْدٍ^(١) كَانَ أُمُّهُ تَطْلَعُكَ ؛ قَالَ قَالَ : وَإِنَّكَ لَتُسْتَفِيقُ
عَلَيْهِ كَانَ أُمُّهُ أَرْضَمَتُكَ . كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ جَالِسًا عِنْدَ هِشَامٍ ،
إِذَا أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَنَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَهْرَ الْجَنْبَةِ وَالْطَّرْفِ
وَالْعِيَامَةِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : هَذَا ابْنُ عَنَسَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي زِينَةِ قَارُونَ . قَالَ :
فَضَحِكَ هِشَامٌ . قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا أَصْحَبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَخْبَرَهُ
بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَوْلَا مَا أَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ لِأَجِبْتَهُ ؟ قَالَ : وَمَا تَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ ؟ قَالَ : بَلَنْتِي أَنْ الدُّجَالَ يَخْرُجَ

(١) فِي مَرْوَجِ الْقَهْبِ : « يَسْلُبُهَا » .

(٢) أُمُّهُ : أَصْلَابُ أُمِّ رَأْسِهِ .

(٣) سَهْمَتُكَ : فَرْحَتُكَ وَغِلَّتُكَ .

(٤) حَرْدُ الرَّجُلِ : إِذَا انْشَاظَ فَخَرَّضَ بَقِيَّةَ غَلْظِهِ وَنَمَّ بِهِ .

من غَضَبَةٍ يَنْصَبُهَا ، وكان إبراهيمُ أَمُور . قال إبراهيمُ : لولا أن له عِنْدِي بَدَأُ عَظِيمَةً لِأَجِبَتُهُ ؛ قال : وما يده عِنْدَكَ ؟ قال : ضَرَبَهُ غَلامٌ لَهُ بِمِدْيَةٍ فَأَصَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الِهْمَ فَرَحَ ، فَصَبَلَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : أَنْتَ حُرٌّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ عَائِدًا لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ نَجَدَكَ ؟ قَالَ لِي : أَنْتَ حُرٌّ ؛ قُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ ؛ قَالَ لِي : أَنْتَ حُرٌّ . فَصَحَّحَكَ هَشَامٌ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ .

٥

قال عبد الرحمن بن حسان لِعَطَاءِ بْنِ أَبِي صَفْوَى [بن ثابت] : لَوَأصَبْتَ رَكْوَةً مَمْلُوءَةً حَرًّا بِالْبَقِيعِ مَا كُنْتَ صَانِعًا ؛ قال : كُنْتُ أَمُرُّهَا بَيْنَ التَّجَارِ ، فَإِن لَمْ تَكُنْ لِمَنْ نَحْيُ لَكَ ؛ لَيْسَ أَخْبَرَنِي عَنْ الْفَرِيَةِ أَكْبَرَ أَمْ نَابِت ؟ وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةً كُلَّهُنَّ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَيْتَرِ ، ثُمَّ يُطْلِقُهَا مِنْ قِلْبٍ ، فَقِيلَ لَهَا : يَا فَرِيَّةُ ، لَمْ تَطْلُقَيْنِ وَأَنْتِ حَمِيلَةٌ حَتَّى ؟ قالت : يُرِيدُونَ التَّيَقُّ صَيِّقُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَانَ بِهِ وَصَحْجٌ ، حَارَةً ^(١) بَنَ بَدْرٍ ، وَكَانَ مُتَرَمِّمًا بِالشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا : أَشَعَرْتَ أَنَّهُ بَشَرٌ نَبِيٌّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يُحِلُّ الْحَرْمَ لِلنَّاسِ ؟ قال ^(٢) : إِذَا لَا تُصَدِّقْ بِهِ حَتَّى (يُبَيِّرُ الْأَكْمَ وَالْأُزْمَ) عَيْسَى بِهِ حَبْرِي .

بين ابن حسان
وعطاء ثم بين
حارته وبهضم

١٥

دخل الزُّبَيْرَانُ بْنُ بَدْرٍ عَلَى زِيَادٍ ، فَسَلَّمَ تَسْلِيمًا جَافِيًا ، فَأَدْنَاهُ زِيَادٌ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَيْشَلٍ ، النَّاسُ يَضْحَكُونَ مِنْ جَفَائِكَ ؛ قال : وَلَمْ صَبَحُوا ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي مِنْهُمْ رَجُلٌ لَا أَدْرِي أَنَّى أَبْرَهُ دُونَ أَبِيهِ لِنَيْتَةٍ كَانَ أَوْ لِرَشْدَةٍ .
دخل الفرزدقُ عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِنَ الْيَمَامَةِ يَضْحَكُونَ ، فقال : يَا أَبَا فَرَّاسٍ ، أَتَدْرِي عَمَّ يَضْحَكُونَ ؟ قال : لَا أَدْرِي ؛ قال : مَنْ جَفَائِكَ ؛ قال : أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، حَبِجْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى عَاتِقِهِ الْإِيمَنُ صَيِّقٌ ، وَأَسْهَاءَةٌ آخِذَةٌ بِمَنْزَرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

بين الزبيران
وزياد ثم بين
الفرزدق وبلال

٢٠

أَنْتِ وَهَيْتَ زَائِدًا وَمَزِيدًا وَكَهَشَةَ أَوَّلَ فِيهَا الْأَجْرَدَا
وَمَنْ يَقُولُ : إِذَا شِئْتَ . فَسَأَلَتْ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قِيلَ : مِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ : « جَابِرَةٌ مِنْ » . وَهُوَ مُخَرِّفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « قَالَتْ » . وَهُوَ مُخَرِّفٌ .

١٥٠ فأتانا أجبني من ذلك الرجل ؟ قال : لا حيائك الله ، قد علمتُ أنا لا نُفَلت منك .
٢

اجتمع رجل كوسج^(١) مع رجل مُسبل^(٢) ، قال المُسبل : (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) ، قال الكوسج : قل لا يشفوي الخبيث والطيب ولو أعييك كثرة الخبيث . مرَّ مسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجل الناس ، بموسوس على مزبلة ، قال له الموسوس : لوراك أبوك آدم لقرنت عينك بك ، قال له مسلمة : لوراك أبوك آدم لأذهبت سماعة^(٣) عينه بك فقرة عينه في ! وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا .

خرج إبراهيم النخعي وقام سليمان الأعمش يمشي معه ، فقال إبراهيم : إن الناس إذا رأونا قالوا : أغور وأعمش ! قال : وما عليك أن يأتوا وتؤجرو ؟ قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم . وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال : لسيد الحق يا أصلع ؛ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لي : الحق أغضبك ؟ قلت : أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع ؟ أذخلك مالك بن أسماء السجني — سجين الكوفة — فجلس إليه رجل من بني مرة فأتكا عليه الرمي يحدثه ، ثم قال : أتدري كم قتلنا منك في الجاهلية ؟ قال : أما في الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام ؟ قال : ومن قتلنا منك في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتنني بدين إبليك .

مكثت امرأة من بني ثمر على مجلس لم في يوم ربيع ، قال رجل منهم : إنها لرسحاء^(٤) . قالت : والله يا بني ثمر ما أطعم الله ولا أطعم الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : (قل للؤمنين يشعروا من أنصارهم) . وقال الشاعر :

* فقص العرف إنك من ثمر *

٢٠ قيل لشريح : أيها أطيّب : البوزنيق أم اللوزنيق^(٥) ؟ قال : لست

(١) الكوسج : الذي لا شعر على طرفيه . (٢) مسبل ، أي قد أرسل لحية . (٣) الرساء : القليلة لحم السيز والخنزير . (٤) البوزنيق واللوزنيق : من الحلاء ، يسمل أولهما من الجوز . وثانيهما يشبه الفطائف ويسمل بهن اللوز ، وأصلهما في الفارسية كوزنة ولوزنة . (انظر الألفاظ الفارسية للعري) .

٢٥

بين كوسج
ومسبل ثم بين
مسلمة وموسوس

بين النخعي
والأعمش ثم بين
شداد وأسود
ثم بين ابن أسماء
ومرئ

بين ثيمرة وبني
ثوميا

لشريح
في البوزنيق
واللوزنيق ثم بين
هشام والفرزدق

أحكم على غائب . هشام بن القاسم قال : سمعتي والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه
قلت : من الكهل ؟ قال : وما تعرفي ؟ قلت : لا ؛ قال : أبو فراس ؛ قلت :
ومن أبو فراس ؟ قال : الفرزدق ؛ قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف
الفرزدق ؟ قلت : لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشبهون به
كهيئة السويق ؛ قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائك يتشبهون بي .
قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي : زوّجني امرأة من كلب ، فزوجه ،
فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سمة ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نساء
كلب خلقن رجال كلب . وقال له يوماً : وهو يتغنى منه : يا أبرش ، إن
أكلك أكل مسدئ ؛ قال : هيات ! أتأبى ذلك قضاة .

بين هشام
والأبرش

- ١٠ حجارة من محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال
أبو حنيفة^(١) لشيطان الطاق^(٢) : مات إمامك ، وذلك عند المهدي ؛ فقال
شيطان الطاق : لكن إمامك من الثنظرين إلى يوم الوقت التظلم . فصحك
المهدي من قوله ، وأمره بشرة آلاف درهم . المتعب قال : حدثني أبي قال : لما
انتشج الثعبير ، وهي مدينة باليمن ، سمع رجل من كندة رجلاً وهو يقول :
وجدنا في نساء كندة سمة ؛ فقال له : إن نساء كندة مكاحل فقدت سراودها .
١٥ لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق دميماً ،
فقال له : يا أبا فراس ، ما أنت بالذي لما رأيته أكبرته وقطعت أيديهم ؛ قال
له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : (يا أبت أستأجر من إن خير
من أستأجرت القوى الأميين) .

بين مسارة
وشيطان الطاق
في حضرة المهدي
ثم بين كندة
وأخترتم بين خالد
ابن صفوان
والفرزدق

- ٢٠ باع رجل ضئمة من رجل ، فلما انتقد المال قال للشعري : أما والله لقد أخذتها
كثيرة التؤونة ، قليلة التصونة ؛ قال له الشعري : وأنت والله أخذتها بطيئة
الاجتماع ، سريعة الافتراق . واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها :

بين متباينين ثم
بين ابن حنيفة
ومحدث

(١) له أبو حنيفة حرب بن ليس .

(٢) في الأصول : « الطارق » في اللوزين . وهو تحريف .

لو صيرتَ لاشتريتُ منك الثَّراعَ بمِشرةٍ ذَنانِيرَ؛ قالَ له البائعُ: وأنتَ لو صيرتَ لاشتريتَ مني الثَّراعَ بِدُرْهَمٍ. وكانَ [بالزُّمَّةِ] رجلٌ يُحدِّثُ بأخبارِ بني إسرائيلَ، فقالَ له الحُجاجُ بنُ حنَّتمَةَ^(١): كيفَ كانَ أبومُ بقرَةَ بني إسرائيلَ؟ قالَ: حنَّتمَةُ؛ فقالَ له رجلٌ من ولدِ أبي مُوسَى الأشعري: أينَ وجدتَ هذا؟ قالَ: في كتابِ عمرو بنِ العاصِ.

يعني الشعبي
وبعض الرجال
ثم من سن وابن
عياش

وقالَ رجلٌ للشَّعْبِيِّ: ما كانَ أُمُّ امْرَأَةٍ إبليسَ؟ قالَ: إنَّ ذلكَ نكاحُ ما شَهِدناه. ودخلَ رجلٌ على الشَّعْبِيِّ فوجدَه قاعداً معَ امْرَأَةٍ، قالَ: أيُّكَما الشَّعْبِيُّ؟ قالَ الشَّعْبِيُّ: هذه، وأشارَ إلى المرأةِ. كانَ مَعْنُ بنُ زائدةٍ ظَنَّفنا في دينه، فبِعثَ إلى ابنِ عِياشٍ^(٢) المتَّخِوْفُ بألفِ دينارٍ، وكتبَ إليه: قدَ بَشتُ إليكَ بألفِ دينارٍ، اشتريتُ بِها منكَ دينَكَ، فأقبِضْ المالَ واكُتِّبْ إلىَّ بالتَّسليمِ. فكتبَ إليه: قدَ قبضتُ المالَ وبِستُكَ بهِ دينيَ خلا التَّوْحِيدِ، لِمَا عَلِمْتُ منَ زُهْدِكَ فيه. بَعثَ بلالُ بنُ أبي بُرَّةٍ في أُنْ أُنْ حَلْقَمَةَ الثَّمُورِ، فلما أتى بهِ قالَ: أتَدْرِي لِمَا بَشتُ إليكَ؟ قالَ: لا أدْرِي؛ قالَ: بَشتُ إليكَ لأُضْحِكَ بِكَ؛ قالَ: لئنَ فَعَلْتَ لَقَدْ ضَحَكْتُ أَحَدُ الحَكَمِينَ منَ صاحِبِهِ، يَمرُضُ له بِجَدِّهِ أبي مُوسَى، فَفَضِبَ مِنْهُ بلالٌ وأمرَ بهِ إلى الجَبَسِ. فكلَّمَهُ النَّاسُ وقالوا: إنَّ المجنونَ لا يُمَاقِبُ ولا يُجاسِبُ، فأمرَ بِإِطلاقِهِ وأُنْ يُؤْتَى بهِ إليه. فأَتَى بهِ في يومٍ سَبَّتَ وفي كُتْمَ طرائفَ أُتِحِفَ بِها في الجَبَسِ، فقالَ له بلالٌ: ما هذا الذي في كُتْمِكَ؟ قالَ: منَ طرائفِ الجَبَسِ؛ قالَ: ناولني منها؛ قالَ: هو يومُ سَبَّتَ ليس يُمطَى فيه ولا يُؤخَذُ؛ يَمرُضُ بِمَقَّةٍ كانتَ له منَ اليهودِ. دخلَ حِسانُ بنُ ثابتَ على عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها فَأَنشَدَها:

بين بلال بن أبي
بردة وأبي علقمة
السرور ثم بين
حسان وحائلة

حِصانَ رَزَّانُ ما تُرَزِّزُ بِرِيبِزٍ وتُصَبِّحُ غَرَّتِي منَ لُحومِ التَّوْافِلِ
فالتَّ له: لَسْتُ كَذلكَ لَسْتُ كَذلكَ، وكانَ حِسانُ منَ الذينَ جاءوا بالإفكِ.

(١) كذا في البيان والبيان (ج ٣ ص ١٩٤) والكمال. والقي في الأصول: «خيشة».

(٢) في الأصول: «عياش». وهو تحريف. انظر عيون الأخبار والمعارف.

- نظر رجل من الأزد إلى هلال بن الأحرز^(١) حين قدم من قنديل^(٢) ،
وقد طافت به بنو تميم قال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحوار بين عيسى .
فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا خذ عيسى ، عيسى كان يحيى التوثى وذا
يُميت الأحياء . لما حلفت ليحية زبيمة [بن أبي عبد الرحمن] ، كانت امرأة من
السجدة تفت عليه كل يوم في حلقته ، وتقول : الله لك يا بن^(٣) أبي عبد الرحمن !
من خلق ليحيتك ؟ فلما أرستته ، قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها في جرة واحدة
وأنت تحلقينها في كل يوم . خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بيمين
في يوم مطر عليه طليسان وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل : وهو لا يعرفه :
أفسدت نوبك يا عبد الله ؟ قال : وما يضرك ؟ قال : وددت أنك وهو في
القار ؟ قال : وما ينعفك ؟

بين ابن الأحرز
ورجل من الأزد
وعند المازني ثم
بين زبيمة وبش
النساء ثم بين
سعيد وبش
الرجال

- ١٠
حينما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن ظبيان متوكفاً على
مولاه وقد ضرب له القليل^(١) ، فقال : قدم العراق رجل على ديني ، فقال له حُسين
ابن النضر الرقاشي : فهو إذا سُنَاق ؛ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ، قال له
حُسين : إذا يقتلك . لما قدم عبدُ الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ،
فر الحجاج بخاله بن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف
مُحلى ، وهو يُخطِر مُتبخِراً في المسجد ، فقال له رجل من قُرَيْش : من هذا
التَّخْطُّرة ؟ فقال خاله : بَخْر بَخْر ! هذا عمرو بن العاص . فسمه الحجاج قال
إليه ، فقال: قلت : هذا عمرو بن العاص ! والله ما سرتني أن العاص ولدي ولا ولدته ،
ولكن إن شئت أخبرتك من أنا ، أنا ابن الأشياخ من قُتَيْف ، والمقاتل من
قُرَيْش ، والقي ضرب مائة ألف بسيفه هذا ، كُلُّهم يشهد على أبيك بالكفر
وشرب الخمر ، حتى أقرؤوا أنه خليفة ، ثم ولى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص !

بين ابن ظبيان
وحسين ثم بين
خاله بن يزيد
والحجاج

(١) في الأصول : « الأحرز » بإزاء الهمة ، وهو تصحيف .
(٢) كلما في مسمي ما يستعمل الكبري . والقي في الأصول : « قنديل » . وهو تحريف .
(٣) في الأصول : « يا أبا » مكان « يا بن أبي » وهو تحريف . (انظر تهذيب التهذيب
ج ٣ ص ٢٥٨ و ٢٥٩) .

قال رجلٌ من بني لُؤْب بن مُثَبِّه : مَن الرجل ؟ قال : رجلٌ من
الذين ؛ قال : فافلت أُنكم بلفظ ؟ قال : هاجرت مع سُلَيْمانَ رَّبِّ العالمين ،
وأُنكم حَمَلَةُ الحُطْب في جِيدِها حَبْلٌ من مَسَد . وقال رجلٌ لابن شُهْرَمَة : مَن
عندنا خَرَجَ العِلْمُ إليكم ؛ قال : نعم ، ثم لم يَرَجِعْ إليكم . نظرَ يزيدُ بن منصور ،
خَالُ المَهْدِيِّ ، إلى يزيدَ بن مَزِيد ، وعليه رداءٌ عَلمٌ وهو يَسْتَحِبُّه ، فقال : ليس
عليك غَزَلُهُ ، فأشعبَ وجُرُ ؛ قال له : على أباك غَزَلُهُ ، وعلى سَحْبِهِ . فشكاه
إلى المَهْدِيِّ ؛ فقال : لم تَجِدْ أحداً تَتَمَرَّضُ له إلا يزيدَ بن مَزِيد !

دخل أبو يَتْبُظانُ القَيْسِيُّ على يزيدَ بن حاتم ، وهو والي مِصْرَ وعنده هاشمُ بن
حُدَيْج ، فقال له يزيد : حَرِّكْ ، وعلى أبي يَتْبُظانَ حَلَّةٌ وَشَى وكِساءٌ خَزٌّ ؛ فقال
هاشم : الحمد لله أبا يَتْبُظانَ ، لَيْسَتْ الزُّشَى بِسَدِّ القَباءِ ؛ قال : أَجَلُ ، فهوكون
ونُلِسْ ، فلا عِدَّتُمْ هذا مِنَّا ، ولا عِدَّتْنا هذا مِنكم . كتب الفرزدقُ إلى
عبد الجبارِ بن سُلَی الجاشعِيِّ يَسْتَهْدِيهِ جارية ، وهو بِمُتَمَن ، فكتب إليه :
كُتِبَ إلى تَسْتَهْدِي البَحْوَريَّ لَقَدْ أُنْظَمَتْ مِن بِلَدٍ بِمِيدٍ

وقال رجلٌ من العرب : رأيتُ البَارِحَةَ الجَنَّةَ في مَنامِي ، فرأيتُ جَمِيعَ
ما فيها من العُصُور ، قُلْتُ : لِمَن هَذِهِ ؟ فَقِيلَ لي : للعرب ؛ قال له رجلٌ
من التَّوَالِي : أَصْبَحْتُ النُّوفَ ؟ قال : لا ؛ قال : تَلَكْ لَنَا . قال عبدُ الله
ابن صَفْوان ، وكان أَمِينًا ، لَمِبدُ الله بن جَفر بن أبي طالب : أبا جَفر ، لقد
صِرْتُ حُجَّةً لِفَتَيانائِنا عَلَيْنَا ، إذا نَهَيْناهم عَنِ التَّلَاحِي قالوا : هَذَا ابْنُ
جَفر سَيِّدُ بَنِي هاشمٍ يَحْفَظُها وَيَتَخَذُها ؛ قال له : وَأَنْتَ أبا صَفْوان صِرْتُ
حُجَّةً لِصَبِيانائِنا عَلَيْنَا ، إذا لَتَمَنا في تَرَكِّ التَّكْتَبِ قالوا : هَذَا أَبُو صَفْوان
سَيِّدُ بَنِي مُجَح لا يَبْرَأُ آيَةً ولا يَخْطُها . قال مُعاوية لَمِبدُ الله بن عاصم : إِنَّ لي
إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ قال : بِحَاجَةٍ تَقْضِيها يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَلَّ حاجَتَكَ ؛ قال :
أريدُ أن تَهَبَ لي دُورَكَ وَضِياعَكَ بِالطَّائِفِ ؛ قال : قد فُلتُ ؛ قال : وَصَلَّتْكَ

بين أبي يَتْبُظانِ
وابن حُدَيْجِ ثم
بين الفرزدقِ
وعبد الجبارِ بن
سُلَی

بين رجلين وبين
ابن صَفْوان
وعبد الله بن
جَفر ثم بين
سَوايَةَ وابن عاصمِ
وبين ثَمَّةٍ
ورجل

رَحِمَ ، فَسَلَّ حَاجَتَكَ ؛ قَالَ : حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَرُدَّهَا عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : قَدْ سَلَّتُ . وَقَالَ رَجُلٌ لَتُسَامَةِ بْنِ أَشْرَسَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ : وَأَنَا لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : فَتَقْضِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا تَوَقَّعَ مِنْهُ قَالَ : فَإِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَّا تَسْأَلَنِي حَاجَةً .

جواب في غفر

•

سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : تَفَاخَرُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بِالْمَاضِ وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُنَاوِيَةَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْثُوانَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِشَيْخٍ مِنْ مَوَالِي قُرَيْشٍ : أَتَيْضُ بَيْنَهُمَا ؛ قَالَ الشَّيْخُ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لَا يَتَمَّ أَحَدٌ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ يُلَوِّنُ عِمَامَتَهُ ، وَكَانَ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ لَا يُبْسِكِي عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مَا كَانَ فِي الْبَلَدِ شَاهِدًا ، فَلَمَّا مَاتَ سَعِيدٌ وَحَرْبُ شَاهِدٌ لَمْ يُبْكِكْ عَلَيْهِ .

تفاخر عمرو بن سعيد وخالد بن يزيد في حضرة عبد الله

١٠

قَالَ الْأَبْرَشُ السَّكَلِيُّ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : هَلُمَّ أَفَاخِرْكَ ، وَهَذَا عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ ؛ قُلْ ، فَقَالَ لَهُ الْأَبْرَشُ : لَنَا رُبْعُ الْبَيْتِ — يُرِيدُ الرُّكْنَ الْيَمَانِي — وَمِنَّا حَاتِمٌ طَلْحِي ، وَمِنَّا لُحَلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ . قَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مِمَّنَا النَّبِيُّ لِلرُّسُلِ ، وَمِمَّنَا الْكِتَابُ لِلنَّزْلِ ، وَلَنَا الْخَلِيفَةُ لِلْوُثُلِ . قَالَ الْأَبْرَشُ :

يبيت الأبرش وخالد بن صفوان عند هشام ثم بين خالد وقوم من اليمن

١٥

لَا فَخْرَ تُمْضِرِيًّا بِسَدِّكَ . وَنَزَلَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ أَخْوَالِهِ مِنْ كُتَيْبٍ^(١) ، فَضَعَرُوا عِنْدَهُ بِقَدِيمَتِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٢) لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَجِبِ الْقَوْمَ ؛ فَقَالَ : [أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : لَا بَدَّ أَنْ تَقُولَ ؛ قَالَ : وَمَا أَقُولُ] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَوْمٌ مِنْ بَيْنِ حَائِكَ بُرْدٌ ، وَدَابِغٌ جَلْدٌ ، وَسَائِسٌ قِرْدٌ ، مَلَكْتُهُمْ أَمْرًا ، وَقَتْلٌ عَلَيْهِمْ هُدْهَدٌ ، وَغَرَقَتُهُمْ فَاةٌ . فَلَمْ يَتِمَّ بِعِدْهَا لِإِنْفَاتِي قَاعَةً .

٢٠

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَصَّاجِ : لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ زُهْدٍ لَكُنْتُه . قَالَ لَهُ رَجُلٌ

بين عبد الله ابن الحباج ويضهم ثم بين عمرو بن عبد الله وأمية

(١) في الأصول : « كُتَيْبٌ » . وهو تحريف . فأم السجاح من بني الحارث بن كعب .
(٢) في الأصول : « هشام » . وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣٣٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

من قرئش: وكيف ذلك؟ قال: لم تَلِدْني أُمّةٌ بيّني وبين آدم ما خلا هاجر؛ فقال له: لولا هاجر لكُنتَ كَلْبًا من الكِلاب. دخل عمر بن عبّيد [الله] بن ثَعْمَر على عبد الملك بن مروان وعليه حِجْرَةٌ صِدْدَاءُ^(١) عليها أثر الحائل، فقال له أُمّية بن عبد الله^(٢) بن خالد بن أسيد: يا أبا حَفْص، أي رجل أنت لو كنتَ من غير من أنتَ منه من قرئش؟ قال: ما أحب أني من غير من أنا منه، إن منّا لسيّد الناس في الجاهلية عبد الله بن جذعان، وسيّد الناس في الإسلام أبا بكر الصديق، وما كانت هذه يدى عندك، إني استغفرتُ أهباتِ أولادك من عدوك أني قد بكيتُ^(٣) بالبحر بن، ومَنْ حَبَالِي، فولدني في حجابك.

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [بن النخيلة] لمُعاوية: أما والله لو كنّا
١٠ [بمكة على السواء] لعلتُ ا قال مُعاوية: إذا كنتُ أكون مُعاوية بن أبي سفيان، مَنزِلُ الأَبلُج^(٤)، يَنشَقُّ عَنِّي سَيْلُهُ^(٥)، وكنتُ عبد الرحمن بن خالد، منزَلُ أجياد^(٦)، أغلاه مَدْرَةٌ، وأسفله عِدْرَةٌ. تنازع الزبير بن العوام وعُثمان بن عفان في بعض الأمر، فقال الزبير: أنا ابن صَفِيّة؛ قال عُثمان: هي أذنتك من الظِّلِّ، ولولا ذلك لكُنتَ ضاحياً.

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل^(٧): يا هذا، إنك تَتَطاول بهاشم كأنك جمعتها، وهي تَمْتَدُّ في أكثر من خمسة آلاف؛ قال له محمد بن الفضل:

- ١١ (١) في بعض الأصول: «مصداة» .
(٢) كذا في الجزء الأول من هذه الطبعة وحيون الأخبار (ج ١ ص ١٧١). والقي في الأصول هنا: «عبد الملك» .
(٣) هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، وكان رأساً من رؤس الخوارج. وكان غلب على البحرين وهزم أُمّية بن عبد الله، وبُعث إليه عبد الملك عمر بن عبيدة الله فقتل أبانديك واستباح عسكره. (انظر الكلل لابن الأثير) والقي في الأصول «ابن» وهو مخريف.
(٤) الأبلج: كل سبل فيه دفاق الحما، والأبلج يضاق إلى مكة وإلى مني لأن المسافة بينه وبينها واحدة، وربما كان إلى مني أقرب.
٢٥ (٥) في بعض الأصول: «سيلة». وما أُنْبِئتُهُ عن سائر الأصول وحيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢١).
(٦) أجياد: موضع بمكة على الصفا.
(٧) في: «الفضل» .

بين عبد الرحمن
ابن خالد ومعاوية
ثم بين الزبير
وعثمان بن عفان

بين أحمد بن
يوسف ومحمد بن
الفضل ثم بين
معاوية ومولى
زيد

إِنَّ كَثْرَةَ عُدْدِهَا لَيْسَ يُخْرَجُ مِنْ عِنْفِكَ فَضْلٌ وَاحِدًا . فَخَرَّ مَوْلَى لَزِيذٍ بِزِيَادٍ
عِنْدَ مُنَاوِيَةٍ . قَالَ لَهُ مُنَاوِيَةٌ : أَسَكْتَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرُكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا يَسِيفُهُ إِلَّا
أَدْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي .

وقال رجل من مخزوم للأحوص [محمد] بن عبد الله الأنصاري : أتُعرف
القي يقول :

بين الأحوص
ورجل من
مخزوم

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَامِ كُلِّهَا وَالَّذِي نَحْتُ عَائِمَ الْأَنْصَارِ ؟
قال : لا ، ولكنني أعرف القي يقول :

النَّاسُ كَتَنُوهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهُ كَنَاهُ أَبَا جَبَلٍ
أَبَتْ رِيسَتَهُ لِأُسْرَتِهِ لَوْ لَمْ تَرْوُحْ وَرِقَّةً^(١) الْأَصْلَ

سأل رجل من قريش رجلاً من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال :
من ربيعة ؟ قال له القرشي : لا أترككم ^{لكنهم} بيطحاء مكة ؛ قال القيسبي : آمأنا
في أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار مشروقة ، فأثامكة فسوان
الماكت فيها والبادي ، كما قال الله [تبارك و] تعالى ، فأغمه . قال الأشعث بن
قيس لشريح القاضي : شدد ما ارتقت ا قال : فهل ضرك ؟ قال : لا ؛ قال :
فأراك تعرف نعمة الله على غيرك ، وتجهلها على نفسك .

بين قريش
وليس ثم بين
الأشعث ومرج

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العز بالبحصرة ؟ قال : فينا ،
وفي أحلافنا من ربيعة ؟ قال له سليمان بن عبد الملك^(٢) : القتي فحالها عليه
أعز منك . فلم أعرابني البصرة فدخل للسجد الجامع ، وعليه خلعان^(٣) وعبامة
قد كثرها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ريسرة ، فلم ير قتيبة أحسن وجوهاً
ولا أظهر زياً من قتيبة حضروا حلقة عتبة للخزوي ، فذنا منهم وفي الحلقة
فرجة فلبثها^(٤) ، فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مكشج^(٥) ؛ قال :

بين سليمان ويزيد
ابن المهلب ثم
بين أعرابي وعتبة

(١) في بعض الأصول : « دقة » .

(٢) في بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » .

(٣) في بعض الأصول : « دلقانيات » .

(٤) طبعها ، أي سدها وضغطها .

مِنْ زَيْدِهَا الْأَكْرَمِينَ ، أَوْ مِنْ مُرَادِهَا الْأَطْيَبِينَ ؟ قَالَ : لَسْتُ مِنْ زَيْدِهَا
وَلَا مِنْ مُرَادِهَا ؛ قَالَ : [فَمَنْ أَنْتَ ؟] قَالَ : [فَأَنَا مِنْ حُجَّةِ أَعْرَاضِهَا ، وَزَهْرَةِ رِیَاضِهَا
بَنِي زَيْدٍ . قَالَ : فَأَخْبِرْ عَتَبَةَ حَتَّى وَضَعَ فَلَنْسُوهُ عَنْ رَأْسِهِ ، وَكَانَ أَصْلَحَ ، قَالَ لَهُ
الْأَعْرَابِيُّ : فَأَنْتَ يَا أَصْلَحَ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ قَالَ : فَمِنْ بَيْتِ
نُبُوِّهَا ، أَوْ مِنْ بَيْتِ مَمْلَكَتِهَا ؟ قَالَ : إِنِّي مِنْ رَحِمَاتِهَا بَنِي حَزْرَمٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ
لَوْ تَدْرِي لَمْ تُمَيِّتْ بَنُو حَزْرَمٍ رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ ، مَا غُرَّتْ بِهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا سَمِيتَ
رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ لِتَحْوِرَ رِجَالَهَا ، وَلِيْنِ نَسَائِهَا ؛ قَالَ عَتَبَةُ : وَاللَّهِ لَا نَاغَةَ أَعْرَابِيًّا
بِعَدِكَ أَبَدًا .

وَضَعَ فَيَرُوزُ [بَنِي] حُصَيْنٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ نُمَيْلَةَ بِنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي صُكَاةٍ
عِنْدَ زِيَادٍ ، فَقَالَ : مِمَّنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ قَالَ : أَنْتَ الْعَبْدُ ، ضَرَبْنَاكَ فَأَنْتَ صُرْتَ ،
وَمَتْنَا عَلَيْكَ فَأَنْتَ شَكْرْتُ . أَجِئْتَ بِكَرْبِنٍ وَائِلٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْعَرٍ لِأَمْرِ
أَرَادَهُ مَالِكٌ ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَرْسَلْ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ [زِيَادِ بْنِ]
طَلِيَّانٍ ، فَأَتَى عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مِسْعَرٍ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ ؟ قَالَ :
يَا أَبَا مَطَرٍ ، مَا فِي كِفَانَتِي ^(١) سَهْمٌ أَنَا أَوْ تَوْقٌ بِهِ مَوْتٌ بِكَ . قَالَ : وَإِنِّي لَفِي كِفَانَتِكَ !
أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ كُنْتُ فِيهَا قَانِمًا لِأَطْوَلِنَهَا ، وَلَنْ كُنْتُ فِيهَا قَاعِدًا لِأَخْرِقَهَا .

نَازَعَ مَالِكُ بْنُ مِسْعَرٍ شَقِيقَ بَنِ ثَوْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : إِنَّمَا شَرَفَكَ قَبْرُ
يُسْتَشَرٍ ؛ قَالَ شَقِيقٌ : لَكِنْ وَصَلَكُ قَبْرُ الْمَشَقَّرِ . وَذَلِكَ أَنَّ مِسْعَرًا أَبَا مَالِكٍ جَاءَ
إِلَى قَوْمٍ بِالْمَشَقَّرِ ، فَنَبِهَهُ كَلْبُهُمْ ، فَتَقَلَّه ، فَتَقَلَّوه بِهِ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ : قَتِيلُ
الْكَلَابِ . وَأَرَادَ مَالِكُ قَبْرَ حِزْرَاءَ ^(٢) بَنِ ثَوْرٍ ، أَخِي شَقِيقٍ ، وَكَانَ اسْتَشَدَّ يَسْتَشَرُ
مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ . قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ لَهْبِيرَةَ بِنِ مَسْرُوحٍ : أَيُّ رَجُلٍ
أَنْتَ لَوْ كَانَتْ أَرْوَاحُكَ مِنْ غَيْرِ سَكُولٍ ! فَبَادَلَ بِهِمْ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ،
بَادَلَ بِهِمْ مَنْ شَتَّ وَتَجَنَّبَنِي بِأَهْلَةٍ . وَكَانَ قُتَيْبَةُ مِنْ بَاهِلَةٍ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بَنِي كِفَانَةٍ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « مَجْدَاد » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

بَيْنَ فَيَرُوزَ
وَعَتَبَةَ عِنْدَ زِيَادٍ
ثُمَّ بَيْنَ مَالِكِ بْنِ
مِسْعَرٍ وَابْنِ طَلِيَّانٍ

بَيْنَ ابْنِ مِسْعَرٍ
وَشَقِيقِ بَنِ ثَوْرٍ
ثُمَّ بَيْنَ قُتَيْبَةَ
وَهَبِيرَةَ

جواب ابن أبي دؤاد

- قال أحمد بن أبي دؤاد لحيد بن [عبد الملك] الزيات ^(١) عند الوراق: اضوى
أى اسكت - بالنبطية - ؛ فقال له: لماذا والله؟ ما أنا بنبطى ولا يدعى؛
قال له: ليس فوقك أحد يفضلك ^(٢)، ولا دونك أحد تنزل إليه، فأنت مطروح
في الحالتين جميعاً. ودخل أحمد بن أبي دؤاد على أشناس، فقال له: بلغنى أنك
أفدت هذا الرجل، [يعنى] محمد بن عبد الملك، وهو لنا صديق، فأحب أن
لا تأتينا؛ قال له ابن أبي دؤاد: أنت رجل صحتك هذه الدولة، فإن أتيناك
فلها، وإن تركناك فلنفسك. قال أحمد بن أبي دؤاد: دخلت على الوراق، فقال:
ما زال قوم اليوم في (تلبك وقصك)؛ قلت: يا أمير المؤمنين، لكل أمرئ منهم
ما اكتسب من الإثم، والذى تولى كثيره منهم له صذاب عظيم، فإله ولى
جزائه، ومقاب أمير المؤمنين من ورثته، وما ضاع أمرؤ أنت حائطه، ولأدرك
من كنت نامره، فإذا قلت لم يا أمير المؤمنين؟ قال: أبا عبد الله:
وسعى إلى جنيب حرة نسوة. جبل للليك خدودهن زعمنا
وقال أبو العيناء الهاشمي: قلت لأبي دؤاد: إن قوماً تصافروا على؛ قال:
(يد الله فوق أيديهم). قلت: إنهم جماعة؛ قال: (كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة ياذن الله والله مع الصابرين). قلت: إن لم مكرراً؛ قال: (ولا يحق
التمكر السيئ إلا بأهله). قال أبو العيناء: فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب،
فقال: ما يرى ابن أبي دؤاد إلا أن القرآن إنما أنزل عليه.

هو محمد بن
عبد الملك ثم
اشناس ثم الوراق

هو أبو العيناء
الهاشمي

جواب في تقصص

- خطب خالد بن عبد الله القسري، فقال: يا أهل البادية، ما أحسن بلدكم!
وأغلظ معاشكم! وأجنى أخلاقكم! لا تشهدون جمعة، ولا تحيايرون عالماً.
٢٠

بن خالد القسري
وحدثني ثم
موسى بن مصعب
وأمرأة

(١) في الأصول: «محمد بن الربيع». وهو تحريف.
(٢) في الأصول: «يقتلك». وظاهر أنه تحريف عما أبتنا.

فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أنا ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغلظ
طعامنا ، [وجفاء أخلاقنا] فهو كذلك ؛ ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم
ثلاث خصال هي شر من كل ما ذكرت ؛ قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنغيبون
البُور ، وتندشون القبور ، وتكفون الكور ؛ قال : فيحك الله وفتح ما جئت
به . أبو الحسن قال : أتى موسى بن مفضل امرأة مدنية لها قينة تغتر بها ،
فاذا امرأة جميلة لها هيئة ، فنظر إلى رجل دميم يحى ، ويذهب ويأسر ويتهى
في النار ، فقال : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ؛ قال : إنا لله وإنا إليه
راجعون أنا وجددت من الرجال غير هذا وبك من الجال ما أرى ؟ قالت : والله
يا أبا عبد الله لو أستدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظم في عينك .

١٥٥
٢
أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الللاء ^{سجدة} لرائض دواب زوجها في طريق
مكة : ما وجدته عيلاً قيراً من عهلك ، إنما كنت بك بأستك ا فقال لها : جئت
فذلك ما بين ما أكتب به ، وما تكلمين به أنت إلا أصبعان ؛ قالت : وبلى
عليك ا خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ، فقاتهم ركناً . أبو الحسن قال : قال
رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي : وددت والله أن يني نيم جميعاً في
جوفى ، على أن يضرب وسطى بالسيف . قال له شيخ في ناحية للجلس جرماًزى
١٥ من بني نعيم : يا هذا ، يكفك من ذلك كثرة جهارية يملأ بها أستاذك إلى لماتك .

١٥٦
وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا
سنة ولي بضع عشرة بنتاً ؛ فقال الشيخ : أما السنة ، فوددت والله أن بينكم وبين
السماء صفيحة من حديد ؛ وأما البنات ، فليت الله أضعفن لك أضعافاً كثيرة ،
١٥٧ ويحك متطوع السيدين والرجلين ليس لمن كاسب غيرك . قال : فنظر
الأعرابي ملياً ، ثم قال : ما أدرى ما أقول لك ا ولكنى أراك قبيح للنظر ، لئيم
الشعر ، فأعصت الله بظهور أهات هؤلاء الجلوس حولك . وسأل أعرابي شيخاً
من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ؛ فقال : وددت والله أن الأرض

بين بنت اللداء
ورائض خيل ثم
بين أزدى وتيمى

بين أعرابيين
يسألان ويض
القوم

حصاء^(١) ولا تُنبت شيئاً ؛ قال : ذلك أئیس لجَعر أمك في أستها .

قال عبيدُ الله بن [زيادين] عليان لزُرعة بن صَمرة الضمرى : إني لو أدركتُك يوم الأهواز ، قطعتُ منك طابقاً^(٢) شحياً^(٣) ؛ قال : ألا ذلك على طابق [شحيم] هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ؛ قال : البظر الذي بين أسنى أمك .

- قال عبدُ الله بن الزبير لصدى بن حاتم : متى قُتيت عينك ؟ قال : يوم طعنْتُك • في أسنك وأنت مولٍ . وقال الفرزدق : ما عيّتُ بجواب أحد قط ما عيّتُ بجواب امرأة ، وصهي ، ونبتلى ؛ فأثا للراءة ، فاني ذهبتُ ببغلي أقتبها في النهر ، فإذا مشعر نسوة ، فلما همزت البغلة حبّبت ، فاستضحك النسوة ، فقلت لمن : ما أضحككن ؟ فوالله ما خلّفتي أنثى إلا فلتت مثلها ؛ فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراماً لك قُبيرة^(٤) ؟ فقد حملتُك في بطنها تسعة أشهر ، فما وجدتُ لها جراباً ؛ وأما الصبي فآني كنت أشد مجامع البشرية ، وفي خلّقي الكميّة ابن زبد ، وهو صهي ، فأعجبني حُسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُني ؟ قال لي : حسن ؛ قلت : أفيسرُك أني أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أريد به بدلياً ، ولكن وِدِدْتُ أن تكون أنثى ؛ قلت : أسترها علي يا بن أخي ، فالتقيتُ مثلها ؛ وأثا النبتلى ، فاني لقيتُ نبتلياً بيثرب فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم ؛ قال : أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلت : نعم ؛ قال : فانت الذي إذا هجوتني يموت فرسى هذا ؟ قلت : لا ؛ قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا ؛ قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا ؛ قال : فأدخلني الله في حجر أم الفرزدق من رجلى إلى عنق ؛ قلت : ويلاك ولم تترك رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية .

- ولقي جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال : أبا فراس ، تحتملُ حقّ مسألة ؟ قال : ٢٠ • أحتملها بمسألة ؟ قال : نعم ؛ قال : فسَل عما بدا لك ؛ قال : أى شيء أحب

بين ابن طليان
وذُرعة ثم بين
ابن الزبير وعدى
ثم على الفرزدق
بجواب ثلاثة

بين جرير
والفرزدق ثم
بين الفرزدق
والزرد الملقب

(١) في بعض الأصول : « حصية » . (٢) الطابق (يفتح الباء وكسرهما) : البضوء .
(٣) في بعض الأصول : « سنيا » . وهو تحريف .

(٤) في الأصول : « مقبرة » ، والتصويب عن الطبري والقاموس « مادة قمر » .

١٥٦
٣

إليك : يتقدمك الخير أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن
أكون معه في قرن ؛ قال : هات مسألتك ؛ قال له الفرزدق : أي شيء أحب
إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أثر رجل أو تجد يد رجل على
حبرها ؟ قال : فأتاك الله ! أما أقبح كلامك ! وأردف لسانك ! أبو الحسن قال :
مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو الزرد^(١) الحنفي ، فقال
له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن له أسنان ولا تكون ، ولو كان لم
يستقم ؟ قال : لا أدري ، قال : يا أبا الزرد ، إنه سفيه ، فإن لم تغضب أخيراً ؛
قال : قل فاني لا أغضب ؛ فقال : حبر أهلك ، لم تكن له أسنان ولا تكون ،
ولو كان لم يستقم .

بين الفرزدق
وإبن عسراء ثم
بين الجار وضيف

١٠ أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفرأ فأنابه في شيء ، بلبنه عنه ،
فقال له ابن عفرأ وهو بالمرند : ما شيء أحب إلي من أن آتي كل شيء
تكرهه ؛ قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كل شيء أكرهه ؟ قال : نعم ؛
قال : فاني أكره أن تأتي أهلك ، فأتها . ضاف^(٢) رجل قبيح الوجه دق
الحسب أبا^(٣) عبد الله الجمار ، فجعل يفخر بيته ؛ فقال له الجمار : اسكت ،
١٥ فقبحا وجهك ، ودنوت حسبك^(٤) بمناننا من سبك^(٥) ؛ فأنى إلا التمدادى
في اللجاج ، فقال له الجمار :

لو كنت ذا عرض هجونا كما أو حسن الوجه لنكنا كما
جعت مع قبحك لو ما ظف لميج أو الأوم تركنا كما^(٦)

(١) غياص من هنا الجزء : « أبو الزرد » .

(٢) ضافه : نزل به ضيفا ، أو طلب منه الضيافة .

(٣) في الأصول : « إلى أبي » مكان « أيا » .

(٤) في بعض الأصول : « ودانة للظك » .

(٥) في بعض الأصول : « لسبك » . وهو تحريف .

(٦) في ي بيد هذين البيتين : « ثم الجزء . والمحمد وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وآله . يتلوه الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب إن شاء الله تعالى » .

١١) فرش كتاب الخطب

- قال [أبو عمر] أحد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتبيان الناس فيها على قدر ^(١) عقولهم ، ومبلغ فطنتهم ، وحُضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بتمن الله وتوفيقه في الخطب التي يُتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونطقت بها الأنمة ^(٢) على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رهوس خلفائهم ، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم ، ووصلت بها بصائرهم ، وخرط بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، ونجّرت لها اللعاني : أعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه . فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين ، والجلّة من الخلفاء ^{١٠} اللاحقين ، والفصحاء للتكلمين ، على ما سقط إلينا ، ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ، لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطري بن العبداء في ذم الدنيا ، فإنها مفسدومة التظهير ، منقطعة القرين ، وخطبة أبي حمزة التي صمها مالك بن أنس ، فقال : خطبتنا أبو حمزة بالمدينة وخطبة شكك فيها المستبصر ، وردّ بها ^(٣) الثرثاب ؛ ثم نسمع بصدر من ^{١٥} خطب البادية وقول الأعراب خاصّة ، لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

بين عبد الملك
 وابن سلة
 في الخطب الناس

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلة القرشي المخزومي : من أخطب الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ [قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام

(١) في ١ ، ي قيل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا ٢٠ محمد وآله » .

(٢) كذا في ١ . والقي في سائر الأصول : « بلندر » مكان « على قدر » .

(٣) في ١ : « الأسراء » .

(٤) في بني الأصول « فيها » .

— يَبْنَى رُوحُ بَنِ زَيْبَاعَ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخِيْشُ ^(١) قَتِيْفٌ — يَبْنَى الْحِجَابَ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ .

لما عاوية في زياد
ثم لأبي دواود

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثرُوا : والله لأزْمِيَنَّكُمْ بِالْخَطْبِ
لِلْمُصَنِّعِ ، قُمْ يَا زِيَاد . وقال محمد ^(٢) كاتب التهذيب — وكان شاعراً راوية ، وطالبا
للتحصيل علامة — ، قال : سمعتُ أبا دواود يقول : وجبى ^(٣) شيء من ذِكْرِ الْخُطْبِ
وتصغير الكلام ، قال : تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالقراب عجز ،
والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومنع اللحية
هلك ، والخروج عما بُنِيَ عليه الكلام إسهاب . قال : وممته يقول : رأسُ
الخطابة الطبع ، وعمودها الثروة ، وخليها الإعراب ، وبهاؤها تخير ^(٤) اللفظ ،
والحجة مقرونة بقلّة الاستكراه . وأنشدني بيتاً له في خطباء زياد :

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ لِلْمَلَّاحِظِ خِيْفَةَ الزُّقْبَاءِ
وَأُنْشَدَنِي فِي عَمَى الْخَطِيبِ وَأَسْتَعَانَتْهُ بِمَسْحِ الثُّنُونِ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ :
مَلِيٍّ بِهَمْزٍ وَالضَّفَاتِ وَسُؤْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُنُونِ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ

ليسر بن العسر
مع إبراهيم بن
جيلة

^(٥) مَرَّ بِشَرِّ بْنِ الْمَعْتَمِرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَفْرَةَ السَّكُونِي ^(٦) الْخَطِيبِ ،
وهو يُتَلَّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخُطَابَةَ ، فَوَقَفَ بِشَرٌّ يَسْتَمِعُ ، فَظَنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ
لِيَسْتَعِيدَ ، أَوْ يَكُونَ رَجُلًا مِنَ النُّظَارَةِ . فقال بشر بآخرها عما قال صنفاً
« وأطروا عنه كسحاً » ثم دفع إليهم صحيفة من تَفْصِيْلِهِ وتَجْوِيْدِهِ ، فيها خُذْ مِنْ
نَفْسِكَ سَاعَةً تَشَاظُكَ وَفِرَاقُكَ وَإِجَابَتُهَا إِلَيْكَ ، فَإِنَّ قَلِيلَ ^(٧) تلك الساعة

(١) أخيش : تصوير أخيش ، وهو من يصور منصف وفي عهده ضيق ، وكان الحجاج
يوصف بذلك . وفي كتاب عبد الملك إليه : فاطك الله يا أخيش العين .

(٢) له محمد بن سعيد بن عتبة . (انظر الوزراء والكتاب للجهياري) .

(٣) في بعض الأصول : « وذكر » .

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ١ ص ٢٦) . والقي في سائر الأصول « وتخير » .

(٥) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٥) قد ورد فيه هذا الخبر مع اختلاف يسير
في بعض الألفاظ .

(٦) في الوزراء والكتاب للجهياري : « السكندي » .

(٧) كذا في البيان والتبيين . والقي في الأصول : « شك » .

- أكرم جهرًا ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ،
 وأسلم من فاحش النقصا ، وأجلب لكل من [وغرة] من لفظ شريف ، ومعنى
 بديع ، وأعلم أن ذلك أجدى عليك عما يُعطيك يومك الأطول بالكدة والطاولة ،
 والمجاهدة بالتكليف والمداودة ، وهما أخطاك لم يُخطئك أن يكون مقبولا
 قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، كما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه ؛
 وإياك والترعرع ، فإن التورع يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك
 معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراد^(١) معنى كريما فليكتس له لفظا كريما ،
 فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ؛ ومن خفها أن تصونها عما يُفسدما
 ويُهينها ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تكتسب
 إظهارها ، وترتهن نفسك ببلابستها وقضاء حقها . وكن في ثلاث منازل : وإن
 أولى الثلاث^(٢) أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، ونفعا سهلا ، ويكون معناه ظاهرا
 مكشورا ، وقريبا معروفا ، إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت ، وإما
 عند العامة ، إن كنت للعامة أردت ، والمعنى [ليس يشرف بأن يكون من معاني
 الخاصة ، وكذلك] ليس يتضخ بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار
 الشرف على^(٣) الصواب ، وإحراز للنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل
 مقام من اللقال ، وكذلك اللفظ المعاني والخاص ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان
 لسانك ، وبلاغة قلبك^(٤) ، ولطف مدخلك ، واعتدارك^(٥) على نفسك ، على أن
 تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ للتوسعة التي لا تُلطف عن
 الدماء^(٦) ، ولا تخفى عن الأكفاء ، فأنت البليغ العام . فقال له إبراهيم بن جبلة :
 جلست فذاك ، أنا أحوج إلى تعلّى هذا الكلام من هؤلاء النلفة .

(١) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي أسائر الأصول : « أذاع » .
 (٢) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي في سائر الأصول : « ذاك » .
 (٣) النكتة من البيان . (٤) في الأصول : « على أحرفه » . والصواب من البيان .
 (٥) في الأصول : « لفظك » . وما أجهتاه عن البيان .
 (٦) في بعض الأصول : « قدرك في » .
 (٧) في بعض الأصول : « الدماء » . وما أجهتاه عن سائر الأصول والبيان .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَحْمَدُهُ وَتَسْتَغْفِرُهُ وَتَتُوبُ إِلَيْهِ ؛ وَنُؤْذِ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَوْصِيكُمْ
عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْسِنِمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَاسْتَقْبَحُوا بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ .

أما بعد ، أَيُّهَا النَّاسُ ، أَسْمِعُوا مَنِيَّ أَيْبُنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَلِي لَا أَلْقَاكُمْ بِدِ
عَامِي هَذَا فِي مَوْفَى هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى
أَنْ تَلْقَوْا رِبَّكُمْ ، كَهَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ،
اللَّهُمَّ اشْهَدْ . فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى الَّذِي أُثِمَّتْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ رَآهَا

١٨٥
٣

الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوَّلَ رِأْيًا أَبْدَأَ بِهِ رِأْيَ حَسْبِ الْمَنَاسِ بْنِ عَبْدِ الْوَلَدِ ،
وَإِنْ دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أَبْدَأَ بِهِ دَمَ عَاصِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
عَبْدِ الْوَلَدِ ، وَإِنْ مَا كَرَّ الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السَّيِّئَةِ وَالسَّقَايَةِ . وَالتَّمَدُّ قَوْلُ (١) ،

وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قُتِلَ بِالصَّاحِبِ وَالْحَجَرِ ، فَتَبِيعَهُ مِائَةُ بَعِيرٍ ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ بَيَّسَ أَنْ يُعِيدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَلَكِنَّهُ
رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فَيَأْسُو ذَلِكَ مَا تُحَقِّقُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا النَّفْسُ

١٥

زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحْلَوْنَ عَامًا وَيُحْرَمُونَ عَامًا ، لِيُؤْاطُوا
عَذَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عَذَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ [يَوْمَ خَلَقَ]

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ ، ذُو الْقَعْدَةِ
وَذُو الْحِجَّةِ وَالْحَرَمُ ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جَدَادٍ وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ، اللَّهُمَّ

٣٠

أَشْهَدُ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّ لَنَسْأَلُكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَإِنِّ لَكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، لَكُمْ
عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُؤْطَلَّ قَرْشُكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخَلَ أَحَدٌ تَكْرَهُونَهُ بَيْوتَكُمْ

(١) القود : القصاص ، أى من قتل محمدا يقتل .

- إِلَّا يَذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ ضَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَتَضَلَّوْهُنَّ
وَيَهْجُرُوهُنَّ فِي اللَّضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، فَإِنْ اتَّهَيْنَ وَأَطْعَمَكُمْ
فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُوسُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَارٍ لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ تَنْفُسِهِنَّ
شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَمْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ
وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا لِلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لِأَسْرَى مَالُ أَخِيهِ ٥
إِلَّا إِنْ طِيبَ قَسَمُهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ، اللَّهُمَّ اشْهَد . فَلَا تَرْجِعُوا بِعَدَى كِفَارًا
يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ أَعْنَاقَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ رَكَعْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضَلُّوا :
كِتَابَ اللَّهِ ^(١) ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ، اللَّهُمَّ اشْهَد . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ،
وَإِنْ أَنَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتَقَاكُمْ ، لَيْسَ لِرَبِّي عَلَى عِبَادِي فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ ١٠
قَالَ : فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ النَّائِبَ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ
نَصِيبَهُ مِنَ الْوِثَاقِ ، وَلَا يَجُوزُ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ [وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ] فِي أَكْثَرِ مَنْ
الثَّلَاثِ ، وَالْوَالِدُ لِلْفَرَّاشِ وَالْعَاهِرُ الْعَجَّزِ ، مَنْ أَذْهَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ
مَوَالِيهِ ، فَضْلُهُ لِنَسَةِ اللَّهِ وَاللَّائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرَفًا
وَلَا عَدْلًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ^(٢) . ١٥

وَعَلَبَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الْمَقِيْفَةِ .

- أَرَادَ مَحَرَّ الْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ حَدَّثَ اللَّهُ وَأَنْتَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ
أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وِلَادَةً فِي الْعَرَبِ ،
وَأَشْهَرُهُمْ رَجَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ ٢٠

(١) زيد في بعض الأصول : « يد قوله » الله : « وأمل يني » .

(٢) انظر البيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٥٠) طبعة الحلبي . والبيان والبيان

(ج ٢ ص ١٥) وشر المهر للآبي فينب الحظية هنا وهناك بين الخلاف .

عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسَّائِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) . فنحن المهاجرون وأتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الحق ، وأنصارنا على العدو ، آويناكم وآسيتم ، فجزاكم الله خيرا ، فنحن الأسماء وأتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحق من قريش ، فلا تنفسوا^(١) على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

ومخطب أيضا :

حد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني . أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . ألا إن أقواما عندى الضعيف حتى أخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى أخذ الحق منه . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(٢) .

١٥٩
٢

ومخطب أخرى :

فلما حد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ، قال : إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رءوسهم ، فقال : ما لكم أيها الناس ، إنكم لطمّانون عجولون . إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما بيده ، ورغبه فيما بيد غيره ، وأنتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط^(٣) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنده لذة البقاء^(٤) ، لا يستعمل البرّة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرم القسي^(٥) ،

٢٠

- (١) في بعض الأصول : « فلا تنفوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) والبيان (ج ٣ ص ١١٧) .
- (٢) انظر عيون الأخبار (ج ٧ ص ٢٣٤) وشر الدرر ، فيمن الخطبة هنا وهناك خلاف في عبارات .
- (٣) في بعض الأصول : « يسخط على » .
- (٤) في عيون الأخبار : وشر الدرر « تنقطع عنه لذة البقاء » . وفي البيان والبيان (ج ٢ ص ٢٦١) : « الباءة » مكان « البقاء » .
- (٥) القسي : الرديء الزائف . وفي بعض الأصول : « القيسي » . وهو تحريف .

٢٥

وَالسَّرَابُ الْخَادِعُ ، جَذَلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ؛ فَإِذَا حُجِبَتْ قَسَمُهُ ، وَنَضِبَ عَمْرُهُ ، وَضَمَّ ظَلَمُهُ ^(١) ، حَاسِبُهُ اللَّهُ فَأَشَدَّ حَسَابِهِ ، وَأَقْلَبَ عَقَبُوهُ . أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، وَخَيْرَ الْمُلُوكِ ^(٢) مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحَكَمَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةِ نُبُوَّةٍ ، وَمُتَّفِقُونَ حُجَّةٍ ، وَسَيُتْرُونَ بِهَدْيِ مُلْكِكُمْ ^(٣) ، وَمِلْكِكُمْ عُنُودًا ، وَأُمَّةٌ شَعَاعًا ، وَدَمًا مُفَاحًا ^(٤) ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ ، وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوَلَةٌ ، يَفْجُو بِهَا الْأَثَرُ ، وَيَمُوتُ لَهَا الْخَبَرُ ^(٥) ، فَالْزَمُوا السَّاجِدَ ، وَأَسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِالطَّاعَةِ . وَلَيْكُنِ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ ، وَالصَّفَقَةُ بَعْدَ طُولِ التَّنَاضُلِ . أَيُّ بِلَادٍ ^(٦) خَرَشْتُمْ ^(٧) ؟ إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ أَقْصَاهَا ، كَمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ أَدْنَاهَا .

وَمُطِيبٌ أَيْضًا فَقَالَ : ١٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ بِالْهَدْيِ ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ السَّلَالِ وَالزُّدَى ، وَمِنَ الشُّكِّ وَالْعَمَى . مَنْ يَهْتَدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضَلَلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْغَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَشْهَدُ ١٥ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهَدْيِ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً رَحْمَةً لَمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ عَلَى

- (١) وجبت نفسه : كتابة من الموت . ومثلها : نضب عمره ، وضما ظلمه .
(٢) كذا في البيان . وفي في الأصول : « أَلَا إِنَّ » مكان « وخير الملوك » .
(٣) عضوض : فيه استبداد وعسف .
(٤) مفاح : صراق . وفي بعض الأصول : « مباح » . وما أثبتناه من سائر الأصول والبيان ونثر الدرر .
(٥) في البيان : « البصر » . وفي السيون ونثر الدرر : « السن » .
(٦) في نثر الدرر : « أي بلادكم » .
(٧) كذا في نثر الدرر . وخرشنة : بلاد قرب ملطية من بلاد الروم . يريد بلاد الروم . ٢٥
وفي في الأصول : « غرسة » . وهو تخريف .

شَرَّ حَالٍ ، فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، دَبُّهُمْ بِذَعَةٍ ، وَدَعْوَتُهُمْ فُرْقَانٌ . فَأَمَرَ اللَّهُ الدِّينَ
بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (مَنْ يُطِيعِ
الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) . أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَزُومِ الْحَقِّ
فِيمَا أُحِبُّكُمْ وَكَرِهْتُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيمَا دُونَ الصِّدْقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٌ . مَنْ يَكْذِبُ
يَفْجَرُ ، وَمَنْ يَفْجَرُ يَهْلِكُ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَا فَخَرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ
وَإِلَى الْقَرَابِ يَتَوَدُّ ، هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ وَغَدًا مَيِّتٌ . فَأَعْمَلُوا وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ
فِي اللَّوْزِ ، وَمَا أَشْكَلُ عَلَيْكُمْ فَرُودًا عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُونَهُ
مُخْفَرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْفَرًا
وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ
زَهَّافٌ بِالْبَيِّنَاتِ) . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَرَاقِبُوهُ وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ،
وَأَعْمَلُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجَزَاءِ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، إِلَّا مَا خَفَرَ
اللَّهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَأَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَالْمُسْتَمَانُ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِكَ ، وَزَكِّئْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحِقْنَا بِهِ ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَأَوْزِدْنَا
حَوْضَهُ . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

٢٠ . خُطْبَةٌ لِمَنْ أَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) :

حَدَّثَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُنْتَبِهُوا عَلَيْهِ بِمَا
هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَخْلُطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ، وَتَحْمِلُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسَاةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) فِي بَنِي الْأُمَيَّةِ : « وَخُطِبَ أَيْضًا » .

- أَتَى عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَحَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) . ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْتَهُنَّ بِحُجَّتِهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَائِقَكُمْ ، وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْغَاثِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَغْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ . فَتَقَبَّلُوا بِقَوْلِهِ ، وَانْتَصَحُوا كِتَابَهُ ، وَاسْتَبْصَرُوا بِهِ ^(١) لَيَوْمِ الظَّلَامَةِ ، فَإِنَّهُ خَلَقَكُمْ لِمَبَادَتِهِ ، وَوَكَّلَ بِكُمْ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ ، يَطْلُونُ مَا تَفْعَلُونَ . ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ تَتَذَوَّنُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْقُضُوا الْأَجَالَ وَأَنْتُمْ فِي عَمَلِ اللَّهِ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ بِأَعْمَالِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْقُضِيَ أَجَالَكُمْ فَتَرْدَّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنْ أَمَوَّامَا جَعَلُوا أَجَالَكُمْ لَتُعْزِمَ ، فَأَنْهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَالْوَحْيُ الْوَحْيُ ، وَالنَّجَاءُ ٢٠ النَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَدَكُمْ طَالِبًا حَتِيثًا مَرَّةً ^(٢) ، سَرِعًا سَهْرَةً .

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

- قَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، [إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقَّ تَخْلُوقِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَقْصِدَةِ الْخَالِقِ . أَلَا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بَمَنْزِلَةِ وَإِلَى الْيَتِيمِ : إِنْ اسْتَعْنَيْتِ عَفَنَتْ ، وَإِنْ افْتَقَرَتْ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرَّمُ الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ : الْقَضْمُ لَا الْخَضْمُ] ^(٣) .

وعطب أيضا :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ أَبِي بَنِ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ،

- (١) كُنَّا فِي بَعْضِ الْأَسْوَاجِ . وَفِي سَائِرِ الْأَسْوَاجِ : « قَبِي » . وَالْقِي فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٢٢٢) وَفِي الْفَرْدِ : « وَاسْتَعْيِثُوا مِنْهُ » .
(٢) كُنَّا فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ . وَالْقِي فِي الْأَسْوَاجِ : « أَمْرُهُ » . وَالْخَطْبَةُ فِي الْعِيُونِ تَخْفُضُ مِنْهَا هُنَا فِي بَعْضِ الْبَيِّنَاتِ .
(٣) الْفَرَمُ : الْأَكْلُ أَكَلًا ضَعِيفًا . وَالْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . وَالْخَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَفْصَى الْأَفْرَاسِ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ تَفْهِمِ فَلْيَأْتِ مُضَاهِيَّ بْنَ جَبَلٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ
عَنِ السَّالِ فَلْيَأْتِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلِيٌّ لَنَا وَخَالِئٌ لَنَا . إِنْ بَادَى بِأَرْوَاحِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمْطِئِينَ ، ثُمَّ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ ، أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْمِجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْمَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْ الْمِجْرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ
الْمَطَاءُ . فَلَا يَلُومَنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُنَاجَاحَتَهُ . إِنْ قَدْ بَقِيتُ فَيَكُمُ بَعْدَ صَاحِبِي ،
فَابْتَغِيْتُ بِكُمْ وَابْتَغَيْتُمْ بِي ، وَإِنْ لَنْ يَحْضُرُنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكْمِلُهُ إِلَى غَيْرِ
أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَلَنْ أَحْسِنُوا لِأَحْسَنِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ أَسَاءُوا
لَأَفْسَدَكُمْ بِهِمْ .

١٠ وَطُغِبَ أَيْضًا :

قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحِمَنَا بِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَدَانَا ^(١) بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَتَصَرَّنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ إِخْوَانًا
مُتَحَابِّينَ . فَاحْتَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَاسْأَلُوهُ التَّزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ بِالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَامِي ،
وَكُفِّرُوا النِّعْمَةَ ، فَقَلْبًا كَفَرُوا قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلْبُوا عِزَّهُمْ ،
وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كُلَّهَا
وَأَظْهَرَ فَكْجَهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى
آلَائِهِ . جَلَّلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

٢٠ وَطُغِبَ أَيْضًا :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ آتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ [قَوْمًا] يَقْرَءُونَ ^(٢) الْقُرْآنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَيَدَانَا » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « قِرَاءَةً » .

يُريدون به الله عزَّ وجلَّ ومعانده ، فَنُخِيلُ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَّوَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ
وَاللَّهَ . أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ . أَلَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ وَإِذْ
رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِنَا نُبَيِّنُهَا مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ ،
فَانْمَا نَعْرِفُكُمْ بِالْقَوْلِ . أَلَا مَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ ،
وَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . سَرَّائِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ .
أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أَبَشِّرُ عُمَّالِي لِيُطِيعُوا دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ ، وَلَا أَبْشِرُهُمْ لِيَضْرِبُوا
طُغُورَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ . أَلَا مَنْ رَأَى شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُؤْمَرْ بِهِ إِلَى ، فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْصَتُكُمْ مِنْهُ .

قام عمرو بن العاص فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَشَّرَ عَامِلًا مِنْ
عُمَّالِكَ فَأَذْبَجَ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضَرَبَهُ ، أَقْصَمَهُ مِنْهُ ؟ قَالَ : نَمَ ، وَالَّذِي نَفْسُ
عُمَرَ بِيَدِهِ ، لَا أَقْصَمُهُ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَعُ
مِنْ نَفْسِهِ .

ومطلب أيضا فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَرَائِرِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ قَوْمِ كَانُوا فِي سَفِينَةٍ فَأَقْبَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِ
يَعْرِفُهُ ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَمَنَعُوهُ ، فَقَالَ : هُوَ مَوْضِعِي وَلِي أَنْ أَحْكُمَ فِيهِ . فَإِنْ
أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ سَلَّ وَسَلُّوْا ، وَإِنْ تَرَكَوْهُ هَلَكَ وَهَلَكَوْا مَعَهُ . وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبَتِهِ
لَكُمْ ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ .

ومطلب عام الرمادة بالبباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كَانَ قَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِهَمِّ
نَبِيِّكَ وَبِقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَابْتَكَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : (وَأَمَّا الْجِدَارُ

فَكَانَ لِمُؤْمِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ كَانَ نَحْتَهُ كَثْرًا لَهَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) .
 خَفِظْتُهُمَا لِصَلَاحِ أُيُهِمَا ، فَاحْفَظِ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ فِي عَمَّةٍ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ كُنْتَ
 غَفَّارًا . اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاحِي ، لَا تُهْمِلُ الصَّالَةَ ، وَلَا تَدْعُ الْكُسُوفَ بِمَضِيَّةٍ . اللَّهُمَّ
 قَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ ، وَزَقَّ الْكَبِيرُ ؛ وَارْتَقَمَتِ الشُّكُوفُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى .
 اللَّهُمَّ اغْنِهُمْ بِفِيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا قَبِيلِكَوَا ، فَإِنَّهُ لَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
 إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ . فَابْرَحُوا حَتَّى عُلِقُوا الْخِذَاءَ ، وَقَلَّصُوا الْمَآزِرَ^(١) ، وَطَلَّقُوا
 النَّاسُ بِالْبَيَاسِ يَقُولُونَ : هَذِيئًا لَكَ يَا سَاقِي الْحَرَمِينَ .

وعظم ابو ولي المعروف :

صَدَقَ الْمَنْبَرُ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَاعٍ
 ١٠ فَأَمُّنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَالِيظٌ فَلْيَقِ لَأَهْلَ طَاعَتِكَ بِمَوَاقِفَةِ الْحَقِّ ، ابْتَغَاءَ وَجْهِكَ
 وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، وَأَرْزُقْنِي الْغُلْفَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدُّعَاةِ وَالنَّفَقِ ، مِنْ
 غَيْرِ ظُلْمٍ مَقِيٍّ لَمْ وَلَا أَعْتَدَاهُ عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَاحِبٌ فَسْخَفِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ،
 قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَأَجْلِيَّ أَبْتَنِي بِذَلِكَ
 وَجْهَكَ وَالْدارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي خَفَضَ الْجَفَلِخِ وَرَيْنَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 ١٥ اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنَّسيانِ فَأَلْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرَ الْمَوْتِ
 فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا
 وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَرْئِكَ وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ تَبَتَّقِي
 بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى ، وَذِكْرَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَالْحَيَاءِ مِنْكَ ، وَأَرْزُقْنِي الْخُشُوعَ
 فَيَا بُرِّضِيكَ عَنِّي ، وَالْمُحَاسِبَةِ لِنَفْسِي ، وَصَلَاحِ النَّبَاتِ^(٢) ، وَالْحَذَرِ مِنَ الشُّبُهَاتِ .
 ٢٠ اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي التَّفَكُّرَ وَالتَّدَبُّرَ لِمَا يَتَوَلَّوْهُ لِسَانِي مِنْ كِتَابِكَ ، وَالْفَهْمَ لَهُ ، وَالْمَعْرِفَةَ
 بِمَعَانِيهِ ، وَالتَّعَظُّرَ فِي عِبَائِهِ ، وَالْعَمَلَ بِذَلِكَ مَا يَقْبِيتُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) يريد أعلام الناس المطر وسالت به الأرض خلع الناس نالهم فسلطوها وشمرها وما زرم .

(٢) في بعض الأصول : « وإصلاح النباتات » .

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته :
 اللهم أجل خير زمانى آخره ، وخير على خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك .
 وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : اللهم
 لا تدعنى فى غرة ، ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من النافلين .

١٦٢
٢

○ [خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه] :
 ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ،
 ثم أرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإن أعش
 فستأتيكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسراً .

خطبة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوانه الله عليه :

أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة
 والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم . أما
 بعد ، فلا يدعهم مدعى إلا على نفسه ، شغل من ^(١) الجنة والنار أماته . ساع
 نجاً ، وطالب يرجو ، ومقصر فى النار ، [ثلاثة ؛ واثنان] : ملك طار بجناحيه ،
 ونهى أخذ الله بيديه ، لا سادس . هلك من اقتحم ^(٢) ، وزدى من هوى ^(٣) .
 العيى والشمال مضى ، والوسطى الجادة . ستهج عليه أم ^(٤) الكتاب والسنة
 وآثار النبوة . إن الله دأوى هذه الأمة بدوام ^(٥) : السوط والسيوف ،
 لا هودة عند الإمام فيها . استقروا ببيوتكم ، وأصلحوا فيما بينكم ، فالوت
 من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها
 محرمين . أما إني لو شاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان

- (١) فى الأصول : « من » . وما أثبتاه من عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٢٦)
 ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت) .
 (٢) فى بعض الأصول : « مجتهد » . (٣) فى بعض الأصول : « ادعى » .
 (٤) فى بعض الأصول : « اتهم » . (٥) فى عيون الأخبار : « باقى » .
 (٦) فى عيون الأخبار : « أدب ... بأدين » .

ونام الثالث كالنراب همتة بطله ، وَيَسْأَلُ ! لَوْ قُصَّ جَنَاحَاهُ وَتُطْعِمَ رَأْسَهُ لَسَكَنَ خَيْرًا لَهُ . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرقم فاعرفوا . حق ، وباطل ، ولكل أهل ، ولئن كثُرَ ^(١) الباطل لقد يَمُضُ ^(٢) ، ولئن قَلَّ الحق لَرَجَا وَلِدُلَّ ، ولقلنا أدبر شئ . فأقبل ، ولئن رجست إليكم أموركم إنكم لسمعاء ، وإنى لأخشى أن تكونوا في فقرة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عرقى ، وأطالِبَ أرومى ؛ أحلم ^(٣) الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً . ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن يتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا . معنا راية الحق ، من يتبعها ليعق ، ومن تأخر عنها غرق .
١٠ ألا وبنا تردّ برة كل مؤمن ، وبنا تطلع ربة النل من أعناقكم ، وبنا فُتِحَ الأمر وبنا يُخْتَمَ .

وعظته مرة أيضاً :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فإنه من فرط في عمله ، لم ينفع بشئ من أمله . أين التمس بالليل والنهار ، وللمتعم للجمع البعير ، ومقاول القفار ؟ يسيرن وراء الجبال ، وعالج ^(٤) الرمال ؛ يسأل الندو بالزواج ، وللساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيته ، فمظلت بنفسه رزيته ؛ فصار ما جمع جوراً ، وما اكتسب غروراً ، ووافى القيامة محموراً . أيها اللاهي التائر نفسه ، كأنتي بك وقد أذاك رسول ربك ، لا يتقرع لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ؛ ولا يقبل منك بدبلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ؛ ولا يرحم

(١) في بعض الأصول : « أمر » . وكلاماً بمعنى .
(٢) في بعض الأصول : « قديماً فعمل » مكان « لقد يَمُضُ » .
(٣) في ١ : « أحكم » .
(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بيضه في بطن .

لك صغيرا ، ولا يوتر فيك كبيرا ؛ حتى يُؤدِّبك إلى قعر مُظلمة ، أراجأها
 مُحوشة ؛ كفضله بالأثم الخالية ، والقرون الماضية . أين من سعى وأجهد ، وجمع
 وعدد ، وبني وشيّد ، وزخرف وتجدّد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتنع ؟
 أين من قاد الجنود ، ونثر البُنود ؟ أضخّوا رُفانا ، تحت الثرى أمواتا ، وأتم
 بكأسمهم شاربون ، ولِسبيلهم سالكون . عباد الله ، فاتقوا الله وراقبوه ،
 وأعملوا ليوم الذي تُسَيِّر فيه الجبال ، وتشتقّ السماء بالقيام ، وتطائرُ السُكُتُب عن
 الأيمان والشئال . فأي رجل يومئذ تُراك ؟ أأنا : هاؤم أقرءوا كتابيه ؛ أم :
 يا ليتني لم أوت كتابيه ؟ نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سطوته .
 إن أحسن الحديث وأبلغ للوعظة كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين
 يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد .

١٠

وعظمة له أيضا :

الحمد لله الذي استخلص^(١) الحمد لنفسه ، واستوجبه على جميع خلقه ، الذي
 ناصية كل شيء بيده ، وتصير كل شيء إليه ، القوي في سلطانه ، اللطيف في
 جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا مُعطى لما تمنع ، خالق الخلائق بقدرته ،
 ومُسخرهم بمشيئته ، وفي العهد : صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب .
 أحمده وأستعينه على ما أنتم به ، بما لا يعرف كُنه غيره ، وأتوكل عليه توكل
 المُسلم لقدرته ، للتميز من العوّل والقوّة إلّا إليه ، وأشهد شهادة لا يشوبها
 شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صديداً ، لم يتخذ صاحبة
 ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدّل وأكبره تكبيرا ،
 وهو على كل شيء قدير . قطع أدهاء اللدعي بقوله عز وجل : (وما خلقت الجن
 والإنس إلّا ليعبدون) . وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه ،
 وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، وإلى الحق

٢٠

(١) في ١ ، ي : « اخص » .

داعيا ، على حين فثرة من الرسل ، وضلالة من الناس ، وأختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تَمَّ به الوحى ، وأنذر به أهل الأرض . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنها العصمة من كل ضلال ، والشبيل إلى كل نجاة ؛ فكأنكم بالبحث قد زايلتها أرواحها ، وتضمنتها أجدانها ، فلن يستقبل معبر منكم يوما من عمره إلا بأفئص آخر من أجله ، وإنما دنياكم كفى الغل ، • أوزاد الزاكب . وأحذركم دعاء القزير الجبار غيبه ، يوم تَعْفَى آفأه ، وتوحش منه دياره ، ويوتَم صِفأه ، ثم يصير إلى خفير من الأرض ، مُتَعَفراً خذَه ^(١) ، غير مُؤمِد ولا مُؤمِد . أسأل الذى وعدنا على طاعته جَنَّتْهُ أَنْ يَقِينَا سُخْطَه ، ويُجَنِّبَنَا نِقْمَتَه ، وَيَهَبَ لَنَا رَحْمَتَه ، إِنْ أَيْلَغَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ .

١٠ وَطَبِئَ لَهُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ :

أما بعد ، فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بأطلاع ، وإن الضمار اليوم والسباق غدا . ألا وإنكم فى أيام أمل ، ومن ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمه ، قبل حضور أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أمه ؛ ومن قصر فى أيام أمه ، قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، ١٥ وضره أمه . ألا فاعملوا لله فى الرغبة ، كما تعملون له فى الرغبة . ألا وإنى لم أر كالجَنَّةَ نام طالبا ، ولم أر كالتار نام هاربا . ألا وإنكم قد أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ ، ودلَّمت على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم أتباع الهوى ، وطول الأمل .

وَطَبِئَ لَهُ [أَيْضًا] :

قالوا : ولما أغار سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَسَدِيُّ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي خِلَافَةِ عَلَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، وعليها حِثَانُ الْبَكْرَى ، فَقَتَلَهُ وَأَزَالَ تِلْكَ الْخَيْلَ عَنْ مَسَارِحِهَا ^(٢) ، فخرج عَلَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى بَابِ الشَّذَّةِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

(١) فى بعض الأصول : « على خذَه » .

(٢) فى البيان والبيان : « سألها » . وللإمام : « التفرغ » .

أما بعد ، فإن الجهاد بابٌ من أبواب البجّة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذلِّ ، وأشمله البلاء ، وألزمه الصّار ، وسامته الضّعف ، ومنعه التّعفف ^(١) . ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقُلْتُ لكم : أغزّوهم قبل أن يغزّوكم ، فوالله ما غزّى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا . فتواكلتم ونخاذلتم وقتل عليكم قولي ، فأخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شئت عليكم الفارات . هذا أخو غامد ^(٢) ، قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل حسان البكري ^(٣) ، وأزال خيلكم عن مسارحها ، وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغت أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلفة والأخرى الماهدة فيزعم جحيلها وقلبها ووطئها ^(٤) ، ثم أنصروا وافرّين ، ما كُلم رجلٌ منهم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أنقاً ما كان عندي ثلماً ، بل كان عندي جذيراً . فواحباً من جذّ هؤلاء في ١٠ باطلهم ، وقتلهم عن حَقِّكم ! سُبِّحاً لكم وتَرَحَّحاً ! حين صرتم غرضاً يرى ، يُغار عليكم ولا تغرون ، وتُزَوِّن ولا تُفَزَوْن ، ويُعصى الله وتَرْضون ! فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحرِّ قلتم : حمالة القيظ ، أهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالمسير إليهم نحى في الشتاء ، قلتم : أهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر . كل هذا فراراً من الحر والقر ، فأثم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا ١٥ رجال ! ويا أحلام أطفال ، وعقول ربات الحِجَب ! ودِدْتُ أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني إلى رحمة من يدينكم ، وأني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفة والله جرت زهنا ، وورثتم والله صدرى غيظاً ، وجرت عتقوني لولت أنفاساً ، وأفسدتم علي رأيي بالصبيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب شجاع ، ولكن

(١) التصف : الاتصاف .

٢٠

(٢) في الأصول : « حامر » . وهو تحريف . (انظر الكمل والبيان) .

(٣) كذا في الأصول . والقي في البيان (ج ٢ ص ٢٥) : « ابن حسان ، أو حسان البكري » . والقي في الطبري (١ : ٣٤٤٦) : « أشرس بن حسان البكري » .

والقي في الكمل (ص ١٣) : « حسان بن حسان » . والقي في الأمان (ج ١٥ ص ٤٥ طيبة بلائ) : « ابن حسان البكري » .

٢٥

(٤) القلب : السوار . والوطئ : التفرط .

لا عِلمَ له بالحرب ، لله أجور ! وهل منهم أحد أشدَّ لها مِرَاساً وأطولُ حِجْرةً
مَنى ! لقد مارسَها وأنا ابنُ عِشرين ، فما أنذا الآنَ قد تَقيت على الستين ،
ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

وخطبة له رضى الله عنه :

٥ قام فيهم فقال : أيها الناس ، للجمعة أبدانهم ، للختلفة أهواؤهم ، كلامكم
يُوهى ^(١) الشُّم الصَّلاب ، وَقَتْلُكُمْ يُطغ فيكم عدوكم ؛ تقولون في الجالس
كُتيت وكُتيت ، فإذا جاء القتالُ قُتِم : [جِدَى] ^(٢) حَيَاد . ما عَزَّت دعوة من
دعاكم ، ولا أَسْترَح قلب من قاساكم ، أعاليل بأباطيل . وسألتُموني التأخير ،
دِفَاع دى الدِّين للطول . هيات ^(٣) ! لا يدفع الضَّيمَ الدَّليلُ ، ولا يُدْرِك الحقُّ
إلا بالجلد . ١٠ أى دار بعد داركم تَمْنَعون ؟ أم مع أى إمام يَعدى قَتْلُوكون ؟
لَلغُرور والله من غَرَرتموه ، وَمَنْ فاز بكم فاز بالسَّهم الأَخيب . أصبحتُ والله
لا أَصدِّق قولكم ، ولا أطمع في نُصرتكم ، فَرَّقَ الله بيني وبينكم ، وأَعقبني
بكم من هو خيرُ لى منكم . وَدِدْتُ والله أن لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى
فِرَاس بن غَنَم ، صَرَفَ الدُّيَّار بالَّرم ^(٤) .

١٥ وخطب أبو اسْتَقَر أهل الكوفة لحرب الحُل :

فأقبلوا إليهِ مع أبنه الحَسَن رضى الله عنه ، فقام فيهم خطيباً ، فقال :
الحَمْد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على سَيِّدنا محمد خاتم النبيين وآخِر الرُّسلين .
أما بعد ، فإنَّ الله بَست محمداً عليه الصَّلاة والسلام إلى الثَّقَلين كافَّة ، والنَّاسُ

(١) فى بعض الأصول : « يوهن » .

(٢) جِدَى : ميل . حَيَاد (كفظام) ، من ذلك ، أى أبعدى وحتى عني أيها الحرب .

(٣) فى بعض الأصول : « ألا » مكان « هيات » .

(٤) انظر الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١١١) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٣٩)
فيمن النصوص خلاف .

في أختلاف ، والعرب بشرًا للأنزال ، مُستضعفون لما بهم ^(١) ، بضُهم على بعض ،
 فرأى الله به الثأر ^(٢) ، ولأَم به الصّدق ، ورَتَق به الفتق ، وأَمَن به الشَّيْل ،
 وحَقَن به الدَّمَاء ، وقَطَعَ به العداوة الواخزة للقلوب ، والصَّغَائِلُ الخَشَنَةُ للصدور ؛
 ثم قبضه الله عز وجل مُشَكُورًا سَعِيهِ ، مَرْضِيًّا عَمَلَهُ ، مَغْفُورًا ذَنْبَهُ ، كَرِيمًا عِنْدَ
 رَبِّهِ . فَيَا لَهَا مصيبة عَمَّتْ المسلمين ، وَخَصَّتْ الْأَقْرَبِينَ ! وَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، فِئَارَ
 بِسِيرَةِ رَضِيهَا للسُّلُون ؛ ثُمَّ وَلَّى عَمْرٌ ، فِئَارَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ ثُمَّ
 وَلَّى عُمَانٌ ، فَقَالَ مَدَّكُمْ وَرَتَلْتُمْ مِنْهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، أَتَيْتُمُوهُ
 فَقَتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونِي فَقَتَلْتُمْ لِي : يَا بَيْنَا ، قَتَلْتُمْ لَكُمْ : لَا أَفْهَلُ ، وَقَبِضْتُ
 بِدِي قَبِضْتُمُوهَا ، وَفَارَضْتُمْ كَفِّي فَبَجَذْتُمُوهَا ، وَقَتَلْتُمْ : لَا تَرْضَى إِلَّا بَكْ ، وَلَا
 تَجْتَمِعُ إِلَّا عَلَيَّ ، وَتَذَاكَ كُنْتُمْ عَلَى تَذَاكَ الْإِبِلِ الْهِمِمِ ^(٣) عَلَى حِيَاظِهَا ١٠
 يَوْمَ وَرَدَهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ قَاتِلِي ، وَأَنْ بَضْخَكُمْ قَاتِلِي بَعْضٌ ، فَيَا يَمُوتُونِي ،
 وَيَا بَيْنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، ثُمَّ مَا لَيْتَنَا أَنْ أَسْتَأْذِنَ لِلْعُمَةِ ، فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ ،
 فَقَتَلَا بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَفَسَلَا الْأَفَاعِيلَ ، وَهَمَا يَتْلِمَانِ وَاللَّهُ أَنَّى لَسْتُ بِدُونِ وَاحِدٍ
 مِنْ مَتْنِي ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّهِنَّ قَطَعَا قَرَابَتِي ، وَنَكَلْنَا
 بَيْنَتِي ، وَأَلْبَا عَلَى عِدْوِي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكِمْ لَهَا مَا أْبْرَمَا ، وَأَرَاهَا الْمَسَادَةَ ١٥
 فِيهَا ^(٤) مَيْلًا وَأَمَلًا .

وَمَا مَفْظُ هَذِهِ بِالْكُوفَةِ عَلَى النُّبْرِ :

قَالَ نَافِعُ بْنُ كَلِيبٍ : دَخَلْتُ الْكُوفَةَ لِلتَّسْلِيمِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنِّي لَجَالِسٌ تَحْتَ مَنْبَرِهِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءُ وَهُوَ يَقُولُ :
 أَنْظَرُوا هَذِهِ الْحُكُومَةَ ، فَمَنْ دَعَا إِلَيْهَا فَاقْتُلُوهُ وَإِنْ كَانَ تَحْتَ رِعَامَتِي هَذِهِ . ٢٠

(١) كَذَا فِي سِيَاقِي مِنْ هَذَا الْجُزْءِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى يَوْمِ الْجَلِّ . وَاقْتَى فِي بَعْضِ
 الْأَصُولِ هُنَا : « مُسْتَضْعِفُونَ لِمَا بِهِمْ » . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « مُسْتَضْعِفُونَ
 لِمَا بِهِمْ » . وَكَلَامًا مُخْرِيفٌ . (٢) الثَّأَرُ (بِالتَّخْفِيفِ وَالضَّرِيكَةِ) : الْإِفْسَادُ .
 (٣) هَذَا كُنْتُمْ : تَرَاهُمْ . وَالْهِمِمُ : السُّلْطَانُ ، الْوَاحِدَةُ : هِيَا .
 (٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِيهَا » .

فقال له عدئ بن حاتم : قلت لنا أمسي : من أبي عنها فاقطوه ، وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقطوه ، والله ما ندرى ما تصنع بك ! وقام إليه رجل أخذب من أهل العراق فقال : أسرت بها أمسي ونهى عنها اليوم ! فأنت كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت ^(١) . قال علي : ألي يُقال هذا ؟

٥ أصيبتُ أذكُر أرحاماً وأمرّةً بُدلت منها هوى الرّيح بالقصب
أما والله لو أني حين أسرتكم بما أسرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ، حملتكم على للكره الذي جعل الله عاقبته خيراً إذا كان فيه ، لكانت الوثقى التي لا تنضم ^(٢) ، ولكن متى وإلى متى أداويكم ؟ إني والله بكم كناقش ^(٣)
الشوكة بالشوكة ! يا ليت لي بمض قوى ، وليت لي من بعد خير قوى . اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أحسان أبكان ، اللهم سلط عليهما بحرّك ، وانزع منهما بصرّك ، وئ للترعة بأشطان الرّكي ^(٤) ، دعو إلى الإسلام فقبّلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشعر فأحْكوه ، وهيجوا إلى الجهاد فقولوا اللقاح أولادها ، وسلّبو السيف أعمادها ، ضرباً ضرباً ، وزحفاً زحفاً ، لا يتباشرون بالحياة ، ولا يُترّون على القتل ^(٥) :

١٥ أولئك إخواني الذّاهبون فحقّ البكاء لم أن يطيباً
رُزئتُ حبيباً على فاقية وطارقتُ بعد حبيب حبيباً
ثم نزل تدمع عيناه . قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرّت إليه ! فقال : نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقوّمهم والله غُدوةً ، ويرجعون إلى عشيةً ، مثل ظهّر الحية ، حقّ متى وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

- ٢٠ (١) النمل : « إني لأأكل الراس وأنا أعلم ما فيه » . يضرب للأمر تأنيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره . (٢) في بعض الأصول : « لا تنضم » .
(٣) قش الشوكة : أخرجها .
(٤) الترعة : الذين يتزعون للهلاء . والأشطان : جبال الهلاء . والركي : البئر . يريد السامعين .
(٥) زيد في بعض الأصول بعد قوله « النمل » : « ولا يجيرون على المل » . وظاهر أنها تكرار مع تحريف كلماتها .

وقد رده غلبته الفراء رضى الله عنه .

- الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد الشفرد ، الذى لا من شيء كان ولا من شيء خلق إلا وهو خاضع له ، قُدرة بأن بها من الأشياء ، وبأنت الأشياء منه ، فليست له صفة نثال ، ولا حد يُضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفته
- تعبير اللغات ، وضلت هناك تصاريص الصفات ، وحارت دون ملكوته
- مذاهب التفكير ، وأقطعت دون علمه جوامع التفسير ، وحالت دون غيبه
- حجب تاهت فى أدنى دونهما طامحات القول . فقبارك الله الذى لا يتبلغه بُدو
- الوهم ، ولا يباله غوص العطن ؛ وتعالى الذى ليس له نمت موجود ، ولا وقت محدود . وسبحان الذى ليس له أول مُبتدا ، ولا غاية مُنتهى ، ولا آخر يُتقى ؛
- وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يتبلغون نفعه ، أحاط بالأشياء
- كلها علمه ، وأنتها صنعه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظه ، فلا يُتْرَب عنه
- غيب الهوى ، ولا تسكنون ظلم الشجى ، ولا مافى السموات الثلى ، إلى الأرض
- السابعة الشفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها . الأحد الصمد ،
- الذى لم يُغيره صروف الأزمان ، ولم يتكاده ^(١) صنع شيء منها كان . قال
- لما شاء أن يكون : كُنْ فكان ؛ أبدع ما خلق ، بلا مثال سبق ، ولا تَعَب ،
- ولا تَعَب ؛ وكل عالم من بعد جهل تعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالأشياء
- كلها علما ، ولم يزد بتجربتها خيرا ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد
- تكوينها ؛ لم يُكُونها لتسديد سلطان ، ولا خوف من زوال ولا نقصان ؛
- ولا إفساد على ضد مُناوى ، ولا نِدْ مُكاثر ؛ ولكن خلاق مَرَبُوب ،
- وعباد داخرون ^(٢) . فُتَبَّحَن الذى لم يؤده خلق ما أبدأ ، ولا تَدِير ما برأ ؛
- خلق ما عليم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت
- عليه فيها شاء ^(٣) ؛ لكن قضاء مُتَقَن ، وعلم مُحْكَم ، وأمر مُؤَيَّم . توحد فيه

(١) تكاده الأمر : شق عليه . داخرون : خاضعون يسلطون ما يؤمرون .

(٢) فى بنى الأصول : « أراد » .

بالإبوية ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ فَلَيْسَ الرَّزُّ وَالْكِبْرِيَاءُ ، وَأُسْتُخْلَصَ
 الْمَجْدُ وَالسَّيِّدُ ، وَأُسْتُكْمِلَ الْعَهْدُ وَالنَّيِّبُ ؛ فَأُفْرِدَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَتَوَحَّدَ بِالتَّمَجِيدِ ؛
 فَجَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْأَبْنَاءِ ، وَتَطَهَّرَ وَتَقَدَّسَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ ؛ فَلَيْسَ
 لَهُ فِيهَا خَلْقٌ نَذٌّ ، وَلَا فِيهَا مَلَكٌ ضِدٌّ ؛ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ، الْوَارِثُ لِلْأَبَدِ ،
 الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْقُذُ ؛ مَلَكَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، وَالْأَرْضَيْنِ الشَّفْلَى ؛ ثُمَّ دَنَا
 فَمَسَّ ، وَعَلَا فَدَنَا ؛ لَهُ الْمَلَلُ الْأَطْلَى ، وَالْأَسْمَاءُ الْعُصْفَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ ، ثُمَّ اخْتَارَ
 مِنْهُمْ صَفْوَتَهُ [لِنَفْسِهِ] ، وَأَخْتَارَ مِنْ خِيَارِ^(١) صَفْوَتِهِ أَمْنَاءَ عَلَى وَحْيِهِ ، وَخَزَنَةَ
 لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، إِلَيْهِمْ تَنْتَهَى رِسَالَتُهُ^(٢) ، وَهَلِيمٌ يَنْزِلُ وَحْيُهُ ؛ جَمَلُهُمْ أَصْفِيَاءُ ،
 مُصْطَفَيْنَ أَنْبِيَاءَ ، مَهْدِيِّينَ نُبِيَّاءَ . أَسْتَوْدِعُهُمْ وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ، نَتَأَمَّخُتُهُمْ
 أَوْ كَارُمِ الْأَصْلَابِ ، إِلَى مَطَهَّرَاتِ الْأَتْمَتَاتِ ؛ كَلَّمَ مَضَى مِنْهُمْ سَلَفَ ، أُنْبِتَ
 لِأَمْرِهِ مِنْهُمْ خَلَفَ ؛ حَتَّى أَتَيْتِ نُبُوَّةَ اللَّهِ وَأَفْضَتِ كَرَامَتُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ اللَّامِدَانِ مُحَمَّدًا ، وَأَكْرَمِ الْمُنَاسَرِ مَنِيتًا ،
 وَأَمْنَحَا ذُرْوَةً ، وَأَعَزَّهَا أَرْزُومَةً ، وَأَوْصَلَهَا سَكْرَمَةً ؛ مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَاغَ
 مِنْهَا أَمْنَاءَ ، وَأَنْتَخَبَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَ ؛ شَجَرَةُ طَيِّبَةِ الْغُودِ ، مُتَعَدِّلَةٌ الْعُمُودِ ، بَاسِقَةٌ
 الْقُرُوعِ ، مُخَضَّرَةٌ الْأَصُولِ وَالْفُصُونِ ، يَانِعَةُ الثَّمَارِ ، كَرِيمَةُ الْمُجْتَفَى ؛ فَوُكِّرَ
 نَبَاتُهَا ، وَفِيهِ بَسَقَتْ وَأَثْمَرَتْ ، وَعَزَّتْ فَأَمْتَمَتْ ؛ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ ،
 وَالشُّوْرِ الْمُبِينِ ، نَغَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَأَتَمَّ بِهِ عِدَّةَ الرُّسُلَيْنِ ؛ خَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ ،
 وَأَمِينُهُ فِي بِلَادِهِ ؛ زَيْنُهُ بِالتَّقْوَى ، وَأَنَارُ الدُّسْكُرَى ؛ وَهُوَ إِمَامٌ مِنْ أُنْقَى ، وَنَصْرُهُ
 مِنْ أَهْدَى ؛ سَرَاحُ لَحْ ضَوْؤِهِ ، وَزَنْدُ بَرَقَ لَمْعِهِ ، وَشِهَابُ سَطَعَ نُورُهُ .
 فَاسْتَضَاءَتْ بِهِ الْعِبَادُ ، وَأَسْتَنَارَتْ بِهِ الْبِلَادُ ، وَطَوَّى بِهِ الْأَحْسَابُ ، وَأَزْجَى
 بِهِ السَّحَابُ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْبُرَاقَ ، حَتَّى صَافَحَتْهُ لِللَّائِكَةِ ، وَأَذْعَنْتَ لَهُ الْأَبَالَةَ^(٣) ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « كَلْ خِيَار » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « رِسْلَهُ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْأَلْسَنَةُ » .

وهدم به أصنام الآلهة . سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فضل ، وحكمه عدل . فصدق صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد دعوته ، وأظهر في خلقه : لا إله إلا الله ، حتى أذعن له بالربوبية ، وأقر له بالشهودية والوحدانية . اللهم ففض محمدًا صلى الله عليه وسلم بالذكر المحمود ، والخلووض للورود . اللهم آتِ هذا الوسيلة ، والرفعة والفضيلة ؛ وأجل في المصطفين محمته ،
وفي الأعلى درجته ؛ وشرف بُنيانه ، وعظم برهانه ؛ واسقنا بكأسه ، وأوردنا
حوضه ، وأحشرنا في زمرة غير خزايا ولا ناكثين ، ولا شاكين ولا مرتابين ،
ولا ضالين ولا مفتونين ، ولا مبذلين ولا حائدين ولا مضلين . اللهم أعط محمدًا
من كل كرامة أفذلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل
قسم أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكانًا ، ولا أحظى عندك
منزلة ، ولا أدنى ^(١) إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقًا ولا شفاعة من محمد ؛
واجمع بيننا وبينه في ظل العرش ، وبرد الروح ، وقرّة العين ، ونصرة الشور ،
وبهجة النسيم ؛ فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والتبصيرة ،
وأجند للأمة ، وجاهد في سبيلك ، وأودى في جنبك ، ولم يخف لومة لائم
في دينك ، وعبدك حتى أتاه اليقين . إمام للتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ،
وخاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين . اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ،
 ورب الركن واللقام ، ورب المشعر الحرام ، بلغ محمدًا منا السلام . اللهم صل على
ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الخلفاء الكرام الكاتبين ،
وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين ، من المؤمنين .

وعظيمة الزهراء :

٢٠

الحمد لله الذي هو أول كل شيء ، وبديته ، ومتمم كل شيء ، ووليته ، وكل
شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارح إليه ، وكل شيء .

(١) في بعض الأصول : « أقرب » .

مُسْتَكِينٍ لَهُ . خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الصَّغَاتُ ؛ وَضَلَّتْ دُونَهُ الْأَوْهَامُ ، وَحَارَتْ دُونَهُ الْأَحْلَامُ ، وَأَنْحَسَرَتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ . لَا يَنْتَفِقُ فِي الْأُمُورِ غَيْرُهُ ، وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَ شَأْنُهُ ، وَأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ ! تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ؛ لَهُ التَّسْبِيحُ وَالْعِظَمَةُ ، وَالْمَلَكُ وَالْقُدْرَةُ ، وَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ ؛ يَقْضِي بِعِلْمِهِ وَيَقْنُو بِحُكْمِهِ ؛ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَقْنَزُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَوَكُوفُ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ ، وَكَاشِفُ كُلِّ كُرْبَةٍ ؛ الْمُطَّلَعُ عَلَى كُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْمُحْصِي لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، يَعْلَمُ مَا تُسْكِنُ الصُّدُورَ ، وَمَا تُرْخَى عَلَيْهِ السُّتُورُ ؛ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ ، الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ ، مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ تَمَعَّ كَلَامُهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَإِلَيْهِ مَصِيرُهُ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ حِفْظُهُ . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ مَا تُحْيِي وَتُمِيتُ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِ خَلْقِكَ وَلَفْظِهِمْ وَلِحَظِ أَبْصَارِهِمْ ، وَعَدَدَ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ ، وَتَحْمِلُهُ السَّحَابُ ، وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ ، حَمْدًا لَا يَنْتَفِقُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَنْفِي أَمْدُهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَكُونُ بَعْدَ هَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَبْقَى وَيَقِفُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ ، أَحَاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ ؛ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ ، وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَا تَهْتَدِي الْعُقُولُ لَصِفَتِكَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ حَدَّكَ . حَارَتْ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ تَرَكَ عَيْنٌ مُتَغَيِّرٍ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ ، لَا نَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمَتُكَ ، غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَقٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرَكَكَ بَصَرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتُكَ مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ ؛ أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَكُتِبَتِ الْأَجَالُ ، وَأَحْصِيَتِ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامُ ؛ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ وَلَا لَوَشْةٍ ؛ مَلَأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً ، فَلَا يَرُدُّ مَا أَرَدْتَ ، وَلَا يُعْطَى مَا مَنَعْتَ ،

ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك . كل سر
عندك علمه ، وكل غيب عندك شاهد ، فلم يستقر عندك شيء ، ولم يشكك شيء .
عن شيء . وقدرتك على ما تقضى كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى
كقدرتك على الضعيف ، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات .
فإليك المنتهى ، وأنت للوعد ، لا منجى إلا إليك ، بيدك ناصية كل دابة ،
وبإذك تسقط كل ورقة ، لا تقرب عنك مثقال ذرة ، أنت الحى القيوم .
سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خلقك ! وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما
أقلها فيما غاب عنا منه ! وما أسيغ نسمتك في الدنيا وأحقها في نسم الآخرة !
وما أشد عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخرة ! وما الذى ترى من خلقك ،
وتمتير من قدرتك ، ونصف من سلطانك ، فيما يغيب ^(١) عنا منه ، عما قصرت أبصارنا
عنه ، وكلت عقولنا دونه ، وحالت الشيوب بيننا وبينه ! فنقرع سنه ، وأحل
فكره : كيف أقت عرشك ؟ وكيف ذرات خلقك ؟ وكيف علقت في الهواء
سمواتك ؟ وكيف مددت أرضك ؟ يرجع طرفه حاسرا ، وعقله مهورا ، وسمعه والها ،
وفكره متحيرا . فكيف يطلب علم ما قيل ذلك من شأنك ، إذ أنت وحدك
في الشيوب التى لم يكن فيها غيرك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحد شهدك حين
فطرت الخلق ، ولا أحد حضرك حين ذرات النفوس ، فكيف لا تعظم شأنك
عند من عرفك ، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم ، ويلا قلوبهم ، من
رعد تفرغ له القلوب ، ورنق يحطف الأبصار ، وملائكة خلقتهم وأسكنتهم
سمواتك ، وليست فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا بهم مقصية . ثم أعلم خلقك
بك ، وأخوفهم لك ، وأقوهم بطاعتك ، ليس يغشام نوم الثمبون ، ولا سهو
العقول ؛ لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تنصمهم الأرحام ؛ أنشأهم إنشاء ، وأسكنتهم
سمواتك ، وأكرمهم بمجوارك ، وأنصمتهم على وحيك ؛ وجبتهم الآفات ،
نوقمتهم السيآت ، وطهرتهم من الذنوب ؛ فلو لا تقويتك لم يقفوا ، ولو لا

(١) أى ليس بهى . فيما يغيب عنا .

تَنْبِيْكَ لَمْ يَنْبَغِ ، وَلَوْ رَهْبَتِكَ لَمْ يَطْعِمُوا ، وَلَوْلَاكَ لَمْ يَكُونُوا . أَمَا إِنْهُمْ عَلَى مَكَاتِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَلَطُولِ طَاعَتِهِمْ إِلَيْكَ ، لَوْ يُبَايِنُونَ مَا يَنْفَعِي عَلَيْهِمْ لِأَحْقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَعَلُّوا أَنَّهُمْ لَمْ يَمِيدُوا حَقَّ عِبَادَتِكَ . فَسُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بِلَاثِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ! أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَّرْتَهُ مَطْعُمًا وَمَشْرَبًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيَا إِلَيْنَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجْبِنَا ، وَلَا فَيَا رَغْبَتُنَا فِيهِ رَغْبِنَا ، وَلَا إِلَى مَا شَوْقَتُنَا إِلَيْهِ أَشْتَقْنَا . أَقْبَلْنَا كُلُّنَا عَلَى حَيْفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا وَلَا نَشْبَعُ ، وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حَرَصًا ، لَمْ يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَقْضَحْنَا بِأَكْلِهِ ، وَأَصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّهَا ، فَأَعَمَّتْ أَبْصَارَ صَلَاحَتِنَا وَقُبْحَانَا ، فَهَمَّ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، فَيُخَيِّبُهَا زَالُوا مَعَهَا ، وَحِينَمَا مَاتَ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ عَابَتُوا الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْفِرَّةِ كَيْفَ لُجَّاتِهِمُ الْأُمُورُ ، وَزَلَّ بِهِمُ الْمَحْدُورُ ، وَجَاهَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الْأَحْبِيَةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ [إِلَى] مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَارْقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النُّورِ ؛ فَأَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ : حَسْرَةُ الْقُوَّةِ ، وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ ، فَأَغْبَرَتْ لَهَا أَوْجُوهَهُمْ ، وَتَنَيَّرَتْ بِهَا أَلْوَانُهُمْ ، وَعَرِقَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وَشَقَّصَتْ أَبْصَارَهُمْ ، وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّغَطِ ؛ وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَبْنِ أَهْلَهُ يَنْظُرُ بِيَعْرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ بَعْرَهُ ، فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ ، وَهَلَكَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُهُ ، وَعَينُ هَوْلٍ أَمَرَ كَانُ مُغْطًى عَلَيْهِ ، فَأَحْدَثَ لِنَفْسِهِ بَعْرَهُ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ ، حَتَّى بَلَّغَتْ نَفْسَهُ الْحُلُقُومَ ، ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جَسَدًا مُلْقًى لَا يُجِيبُ دَاعِيَا ، وَلَا يَسْمَعُ بِأَكْيَا ، فَزَعَرُوا نِيَابَهُ وَخَاتَمَهُ ، ثُمَّ وَضَعُوهُ وَضْعَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ أَدْرَاجًا فِي أَكْفَانِهِ ، وَحَنَطُوهُ ثُمَّ حَلَوْهُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَدَلَّوْهُ فِي حُفْرَتِهِ ، وَتَرَكُوهُ مُخْلِئًا بِمَقْعَدَاتِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَحْتَ مَسَاقِلِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، مَعَ ظُلْمَةٍ وَضِيْقٍ ، وَوَحْشَةٍ قَبْرِ ؛ فَذَلِكَ مَثْوَاهُ حَتَّى يَنْتَبِلَ جَسَدُهُ وَيَصِيرَ تَرَابًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى مَقْدَارِهِ ، وَاتَّخَذَ آخِرُ الْخَلْقِ بَاقِلًا ، وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِنْ خَالِقِهِ ، أَرَادَ بِهِ تَجْدِيدَ خَلْقِهِ ، فَأَمَرَ بِصُورَتِهِ

سمواته ، فارت السموات مَوْرًا ، وفَزِعَ مَنْ فيها ، وبقي ملائكتُها على أرجائها ،
ثم وصل الأمر إلى الأرض — والخلق رُفَات. لا يشعرون — فأرَجَ أرضهم وأرجفها
وزلزلها ، وقَلَعَ جبالها وتسفها وسيرها ، وركَّبَ بعضها بعضًا من هيئته وجلاله ،
وأخرج من فيها ، فجَدَّدَهم بعد بلانهم ، وجمهم بعد تفرقهم ، يريد أن يُحصيهم
ويعتبرهم : فريقًا في ثوابه ، وفريقًا في عقابه ، فَخَلَدَ الأمرُ لأبدِه دائمًا ، خَيْرُهُ
وشرُّه . ثم لم ينسِ الطاعة من المُطيعين ، ولا للعصية من العاصين ، فأراد عزًّا
وجلًّا أنف يجازي هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بمجواره ،
وحلَّو داره ، وعيش رَغَد ، وخلود أبَد ، ومجاورة الرب ، وموافقة محمد صلى الله
عليه وسلم ، حيث لا ظَنَن ولا تَغَيَّر ، وحيث لا تُصيبهم الأحزان ، ولا تُعَذِّبهم
الأخطار ، ولا تُضَيِّعهم الأسفار ^(١) . وأما أهل العصية ، فَخَلَّدَهم في النار ،
وأوثق منهم الأقدام ، وغلَّتْ منهم الأيدي إلى الأعناق ، في لَهَبٍ قد أشدَّ
حره ، ونار مُطَيَّبة على أهلها ، لا يدخل عليهم بها رُوح ، همهم شديد ، وعذابهم
يزيد ، ولا مُدَّة لدار تنقضي ، ولا أَجَلٌ للقوم ينتهي . اللهم إني أسألك بأن لك
الفضل ، والرحمة بيدك ، فأنت وليهما ، لا يليهما أحدٌ غيرك ، وأسألك باسمك
المعززون المكنون ، الذي قام به عزُّك وكبريتك وسمواتك وأرضك ، وبه
أبتدعت خلقك ، الصلاة على محمد ، والنجاة من النار برحمتك ، آمين ،
إنك وليّ كريم .

وخطب أيضًا فقال :

أيها الناس ، أخطأوا عني خَسًا ، فلو شددتم إليها المطايا حتى تُنصوها
لم تظفروا بمثلا : ألا لا يَرْجُونَ أحدُكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ،
ولا يستنحي أحدُكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول :
لا أعلم ؛ ألا وإن الخامسة الصَّير : فإن الصير من الإيمان بمنزلة الرأس من

(١) في بعض الأصول : « الأبطال » .

الجسد . من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له . ولا خير في قراءة إلا بتدبر ، ولا في عبادة إلا بتفكير ، ولا في حلم إلا بعلم . ألا أنبئكم بالعالم كلِّ العالم ، من لم يُزِنْ لعباد الله معاصي الله ، ولم يؤمِّسهم مكرهه ، ولم يؤمِّسهم من رَوْحه . ولا تُنزلوا للطَّيعين الجنة ، ولا المُذنبين الموحدين النار ، حتى ينقض الله فيهم بأمره . لا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله ، فإنه يقول : (فلا يأمن مكره الله إلا القوم الخاسرون) . ولا تُقنطوا شرَّ هذه الأمة من رحمة الله ، (فإنه لا يئأس من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون) .

ومن كلامه رضوانه الله عليه :

قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين ١٠ فلما هما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب الهيمة ، رَغا فَعَسِمَ ، وعَقِرْ فَأَنهَزِمَ . دخلتُ شرَّ بلاد ، أبسدها من السماء ، بها يفيض كل ماء ، ولها شرُّ أسماء ، هي البصرة والبصرة والمؤتكة وتدسر^(١) . ابن أبي عباس ؟ فدُعيت ، فقال لي : سرَّ هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذي أمرت أن تقر فيه^(٢) .

ومثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكمين :

١٥ زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أُكَيِّسُ بَعْدَهَا وَأُنْشِرُ^(٣) وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّقِيئَ الْمُتَنَشِّرَ

خطب معلومة

قال القصاصي : لما قدِمَ معاويةُ للدياسة عام الجماعة تلقاه رجالُ فريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعزَّ نصرَكَ ، وأعلى كَعبِكَ . قال : فوالله ما رآه عليهم ٢٠ شيئاً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنني والله ما وليتها

(١) انظر معجم البلدان عند الكلام على البصرة والمؤتكة .

(٢) نص الخطبة في شرح نهج البلاغة ينصف عنه هنا كثيراً .

(٣) في بعض الأصول : « وأشتر » .

- بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالستكم بسبق هذا مجالدة ،
ولقد رُست لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، ففرت
من ذلك قفازاً شديداً ، وأردتها على [مثل] ^(١) نِيَّاتٍ ^(٢) هُنا ، فأبت علي ،
فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة ، مؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ،
فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية . والله لا أهلك السيف على من
لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القاتل بلسانه ، فقد جعلت
له ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحكم كله فاقبلوا مني
بعضه ، فإن أناكم مني خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عني ^(٣) ، وإذا قل
أغني ^(٤) ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تمسد للعيشة ، وتكدر النعمة ، ثم نزل .

١٠ [وعظة أيضا لمعاوية] :

- حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدئنا عليكم ، وإنا قدئنا على صديق مستبشر ،
أوعلى حدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون ، (فإن أعطوا منها
رضوا ، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يستخطون) . ولست وأسماء كل الناس ، فإن
كانت محمداً فلا بد من مذمة ، فلو ما هونا إذا ذُكر غفر ، وإياكم والقي إن
أخفيت أوقيت . وإن ذُكرت أوقيت ، ثم نزل .

[وعظة أيضا لمعاوية] :

- صعد منبر المدينة . غمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المدينة ، إني لست
أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق ، يبيعون الشيء وهم فيه ، كل أمرئ منهم

(١) الحكمة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٢) كنا في الأصول ، وننيات : جمع نية ، وهي الطريق المائل في الجبل ، أي على
مثل الصب بما ركب عكس . والقي في ابن عساكر والذهبي : « سخيات » .
(٣) في بعض الأصول : « جاء يترى » .
(٤) أغني ، أي كفي .

شَيْعَةً نَفْسَهُ ، فَاقْبَلُونَا بِمَا فِينَا ، فَإِنْ مَا وَرَاءَ نَاشَرْتُ لَكُمْ ، وَإِنْ مَعْرُوفَ زَمَانِنَا هَذَا مُتَكَّرَ زَمَانٍ قَدْ مَضَى ، وَمُتَكَّرَ زَمَانِنَا مَعْرُوفُ زَمَانٍ لَمْ يَأْتِ ، وَلَوْ قَدْ أَتَى ، فَالْمُتَقَرِّقُ خَيْرٌ مِنَ الْمُتَقَرِّقِ ، وَفِي كُلِّ بِلَاحٍ ، وَلَا مُقَامَ عَلَى الرِّزْيَةِ .

[وَخُطْبَةٌ لِمَعَاوِيَةَ أَيْضًا] :

٥ قال الثُّبَيْ : خَطَبَ مَعَاوِيَةُ الْجُمُعَةَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ هَزَنَ وَجَلَ خَلْقِكُمْ فَلَمْ يَنْسِكُمْ ، وَوَعظكم فلم يُهْلِككم ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

١٠ قال ابن دَابْ : لما قَدِمَ عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً^(١) [غنه] أنكره ، فجعل يتصدى له^(٢) بخُلوَّةٍ لَيْسَ بِرَأْيِهِ مَا كَرِهَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ فِي عَمَلِهِ^(٣) ، فَأَسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ بَدْءَ انْصِلَاعِ الطَّلَابِ ، وَإِشْعَالِ^(٤) الْخِطَاةِ ، وَأَتَقَرَّقَ الْعَامَةُ ، وَهُوَ يَوْمُ مَعَاوِيَةَ الَّذِي كَانَ يَخْلُوفِيهِ بِنَفْسِهِ . فَفَطِنَ مَعَاوِيَةَ لِمَا أَرَادَ ، فَبَحَثَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ ، وَإِلَى مُزَوَّانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَإِلَى سَمِيدِ بْنِ الْمَاصِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَعَمْرِو بْنِ الْمَاصِ . فَلَمَّا أَخَذُوا بِمَجَالِسِهِمْ أَذِنَ لَهُ ، فَسَلَّمَ وَوَقَفَ وَاجِباً يَتَصَفَّحُ وَجُوهَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ قَالَ : صَرَّيْجُ الْعُقُوقِ مُكَاتِفَةُ الْأَذْنَيْنِ ، وَلَا خَيْرَ فِي اخْتِصَاصٍ إِنْ وَفَرَ^(٥) ، أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ عَلَى الْآلَاءِ ، وَأَسْتَعِينِي عَلَى الْأَلْوَاءِ^(٦) ، وَأَسْتَعِينِيهِ مِنْ عَمَى مُجْهِدٍ ، وَأَسْتَعِينِيهِ عَلَى عَدُوِّ مُرْصِدٍ ، وَأَشْهَدُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْأَمِيَاءُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مِنْهُ » .

(٣) أَيْ لِيُحَرِّفَ سَبَبَ إِسْلَامِ مَعَاوِيَةَ لَهُ وَعَدَمَ اسْتِعْمَالِهِ لَهُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَلَيْهِ » .

(٤) الْإِشْعَالُ : التَّفَرُّقُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَاسْتِثْنَالُ » .

(٥) وَفَرَ ، أَيْ عَمَ وَشَاعَ . يَقُولُ : خَيْرَ الْإِخْتِصَاصِ مَا قَلَّ مِنْهُ الْأَخْصَاءُ .

(٦) الْآلَاءُ : النِّسَمُ . وَالْأَلْوَاءُ : الشُّعَّةُ .

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، النَّذِيرُ بِالْأَمِينِ الصَّادِقِ، مِنْ شَقَاءِ هَارٍ^(١)، وَمِنْ غَوَاةِ غَاوٍ^(٢)؛
 وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الرَّبِّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَنَذِيرِ الْأُمَّةِ، وَقَائِدِ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ،
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ عَسَفَ بِنَاظِنٍ فَرَعٌ^(٣)، وَفَزَعَ صَدْعٌ؛ حَتَّى طَمِعَ السَّحِيقُ،
 وَيَسَّ الرِّفِيقُ؛ وَدَبَّ الْوُشَاةُ بِمَوْتِ زِيَادٍ، فَكَأَنَّهُمْ مُتَحَفِّزٌ^(٤) لِلْمَدَاوَةِ، وَقَدْ
 تَلَّسَّ الْإِزْرَةُ^(٥)، وَكَمَّرَ عَنْ عِطَافِهِ^(٦)، لِيَقُولَ: مَضَى زِيَادٌ بِمَا أُسْتُخِقَ بِهِ،
 وَوَلَّى عَلَى الدُّنْيَةِ^(٧) مِنْ مُسْتَغْلِقَةٍ. فَلَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلِمَ فِي دَعَتِهِ، وَأَسْلَمَ زِيَادًا
 فِي صَمَتِهِ^(٨)، فَكَانَ رِزْبَ عَائِمَةٍ، وَوَاحِدِ رَعِيَةٍ، فَلَا تَشْخَصْ إِلَيْهِ عَيْنُ نَازِلٍ،
 وَلَا إِبْصَاعُ مُشِيرٍ، وَلَا تَدْلِقْ^(٩) عَلَيْهِ أَلْسُنَ. كَلَّمْتَهُ حَيًّا، وَنَبَشْتَهُ مَيِّتًا، فَإِنْ
 تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَايِبَتِ زِيَادًا بِلَوَاءِ^(١٠) رُقَاتٍ، وَدَعْوَةِ أَمْوَاتٍ، فَقَدْ حَابَاكَ
 زِيَادٌ بِحَيْدِ هَمْسُورٍ، وَغَرْمِ جَسُورٍ، حَتَّى لَانَتْ شَكَاكُمُ الشَّرْسُ، وَذَلَّتْ حَشْبَةُ
 الْأَشْوَسِ، وَبَذَلَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ، تَأْخُذُ بِهِمَا لِلنَّبْعِ، وَتَقْهَرُ
 بِهِمَا الْبَزِيعَ^(١١)، حَتَّى مَضَى، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ. فَإِنْ يَكُنْ زِيَادٌ أَخَذَ بِحَقِّ قَانَرِنَا^(١٢)
 مَنَازِلَ الْأَقْرَبِينَ، فَإِنْ لَنَا بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ، بِدَالَةِ الرَّحِمِ، وَفَرَاةِ الْحَيِّمِ، وَمَا لَنَا

(١) كَذَا فِي أ، ي. يَرِيدُ شَقَاءَ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْخُسْفَانِ. وَاقْتَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ:

« شَقَاءُ جَرَفَ هَارٍ ».

١٥

(٢) كَذَا فِي أ، ي. يَرِيدُ الشَّيْطَانِ. وَاقْتَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ: « هَارٍ ».

(٣) فَرَعٌ: فَرْقٌ.

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « مُتَحَفِّزٌ » وَهِيَ يَمْنَانُهَا.

(٥) الْإِزْرَةُ: الْإِتْرَارُ. (٦) الْمَطَافُ: الرِّدَاءُ.

٢٠

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « وَدَلَ عَلَى الْأَيَّةِ ».

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « فِي ضَمِيئَتِهِ ».

(٩) ذَلَقَ اللِّسَانَ: ذَرَبَ وَحْدَ.

(١٠) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « بِأَوَّلِ ».

(١١) الْبَزِيعُ: السَّيِّدُ.

(١٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: « لَهُ ».

٢٥

يا أمير المؤمنين نمشي الشَّراء ، ونَدِبَ الخفاء ^(١) ، ولنا من خَيْرِكَ أَكَلَه ^(٢) ،
وعليك من حوبنا أَقْلَه ^(٣) ، وقد شَهِدَ القوم ، وما ساءَ في ثَرْبِهِمْ ، لِيُفَرِّقُوا حَقًّا ،
ويرْثُوا باطلا ، فَإِنَّ للحقِّ مَنَارًا واضحا ، وسبيلا قَصْدًا ، قُلْ يا أمير المؤمنين بَأَيِّ
أَمْرٍ نَبِّكَ شِئْتُ ، فإِذَا نَارُزَ ^(٤) إلى غير جُحْرِنَا ، وَلَا تَسْتَكْثِرْ بِنُصْرِهِ حَقًّا ،
وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ .

قال : فنظر مُعاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصَفَّحهم بلحظه رجلاً ،
رجلاً ، وهو مُبْتَسِم . ثم أَمَجَه تلقاه ، وعَقَدَ حَبِوَتَه ، وحَسَرَ عن يده ، وجعل
يُؤَيِّ بِهَا نَحْوَه ، ثم قال مُعاوية : الحمد لله على ما نَحْنُ فيه ، فَكُلَّ خَيْرٍ مِنْهُ ،
وأشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَكُلَّ شَيْءٍ خَاضِعٍ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَلَّ
١٠ على نفسه بما بَانَ عَنْ عَجْزِ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، فَهُوَ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ ، وَمُصَدِّقُ
الرُّسُلِينَ ، وَحُجَّةُ رَبِّ الْمَالِئِينَ ، وَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ . أَمَا بَسَدَ ،
فَرُبَّ خَيْرٍ مَسْتَوْرٍ ، وَشَرٍّ مَذْكُورٍ ، وَمَا هُوَ إِلَّا السَّهْمُ الْأَخْشَبُ لِمَنْ طَارَ بِهِ ،
وَالْحَصْطُ الرُّغْبُ لِمَنْ طَارَ بِهِ ، فِيهِمَا التَّفَاضُلُ وَفِيهِمَا التَّثَابُثُ ، وَقَدْ صَفَّقَتْ يَدَايَ مِنْ
أَبْيَكِ صَبَقَةٍ ذِي الْجَلْبَةِ مِنْ ضَوَارِعِ الْفُصْلَانِ ^(٥) ، عَامِلٌ أَصْطَلَنَاعِيٌّ بِالْكَفْرِ لِمَا
١٥ أَوَّلِيَّتُهُ ، فَمَا رَمَيْتَ بِهِ إِلَّا أَنْتَصَلَ ^(٦) ، وَلَا أَنْتَضَيْتُهُ إِلَّا غَلَقَ جَفْنُهُ ، وَزَلَّتْ
شَفْرَتُهُ ^(٧) ؛ وَلَا قُلْتُ إِلَّا عَائِدَ ، وَلَا قُمْتُ إِلَّا قَمَدَ ، حَتَّى أَخْرَمَهُ الْمَوْتُ ؛ وَقَدْ أَوْقَعَ
بِغْتَرِهِ ^(٨) ، وَدَلَّ عَلَى حَقْدِهِ . وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ فِي أَبْيَكِ رَأْيًا حَصَرَهُ الْخَطَلُ ،

(١) الضراء : الشجر اللثف . ويرد بمعنى الضراء وديب الضراء : السكر والحذبة .

وفي بعض الأصول : « وَتَشْتَفِ الضَّيَارَ » مكان : « وَتَدِبُ الحفاء » .

(٢) في بعض الأصول : « وَكَانَ مِنْ خَيْرِنَا أَكَلَهُ » . (٣) الحوب : الإثم .

(٤) يقال : أَرَزْتُ الحبة إلى حجرها ، إِذَا لَازَتْ بِهِ وَرَجِعَتْ إِلَيْهِ .

(٥) صفت ، أَيْ صَادَقَتْ . وَالْجَلْبَةُ (بِالْفَتْحِ) : الْمَجْهَدُ وَالْمَشَقَّةُ وَالْجُوعُ . وَالضُّوَارِعُ

مِنْ التَّفَصُّلَاتِ : الضَّيَارُ الضَّعِيفَةُ الضَّاعِيَةُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْحَبَّةُ »

و « رَوَاضِمُ » مَكَانُ « الْجَلْبَةِ » وَ « ضَوَارِعُ » .

(٦) انتصل : خَرَجَ نَصْلُهُ . (٧) في بعض الأصول : « وَلَوَتْ لِسْمَتَهُ » .

(٨) الحنط : الفدر والحذبة .

والتيس به الزل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة
بالشوء ، فأبْرَحْتَ هنة أهلك تحطِبُ في حَبْلِ القطيعة ، حتى أُنْتُكَتَ للبرم ،
وأنحل عقد الوداد . فيلما توبه تَوُتِنَفْ ، من حَوْبَةٍ ^(١) أَوْرَثَتْ ندما ؛ أَسْمَعَ بها
المهاتف ، وشاعت للشامت ، فليهنأ الواصم ^(٢) ما به أحقر . وأراك تتخذ من
أبيك جدًّا وجسورا ، مما أوفيا به على سرف التمتع ^(٣) ، ونعط ^(٤) النعمة ،
نذعها ، فقد أذْكَرْتْنَا منه ما زهدنا فيك من بئده ، وبها مشيت الضراء ،
وديت الخفاء ^(٥) ، فأذهب إليك ، فأنت تَجِلُّ الدُّعْل ، وعِقرَةُ ^(٦) النفل ^(٧) ،
والآخر ^(٨) شر .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حُكْمِ النائب ، وقد حَصَرَكَ
زِيَادُ وَلِه مَواطن مَمدودة بغير ، لا يُفسدها التعلُّق ، ولا تُتَوَهَّرُها التَّهم ، وأهلوه
أهلوك ، ألتحقوا بك ، وتوسَّطوا شأنك ، فسافرت به الرُّكبان ، وسَمِعْتَ به
أهلُ البُلدان ، حتى أعتقده الجاهل ، وشكَّ فيه العالم ، فلا تتحجَّرَ يا أمير المؤمنين
ما قد أَسْمَعَ ، وكثُرَتْ فيه الشهادات ، وأعانك عليه قومٌ آخرون .

فأنحرف مُماوِيةُ إلى مَنْ مَعَهُ ، فقال : هذا ، وقد نفِيسَ عليه ^(٩) ببيعته ، وطعن ^{١٧٢}
في إسرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حَكَمُوا وبَدَّهم ^{١٥}

(١) الحوبة : الإثم والذنب .

(٢) كذا في بعض الأصول . والواصم : السياب الماهر . يريد الذين ظفروا من زياد
وآخره . وفيه إشارة إلى قول عبيد قبل : « ولا تلق عليه السن كلته حيا ،
وبنيته ميتا » . وفي سائر الأصول : « الواسم » .

(٣) السرف : مجاوزة القصد . والتضم : التضرع للأمر من غير روية . والذى ^{٢٠}
في الأصول : « شرف » بالفتح .

(٤) كذا في أ والذى في سائر الأصول : « غبط » .

(٥) في بعض الأصول : « واستغفرت النصار » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من
هذا الجزء) . (٦) في بعض الأصول : « ونثره » .

(٧) الدقل والنفل : القصاد . (٨) في بعض الأصول : « والأجر » . ^{٢٥}

(٩) نفس عليه : حسده . وفي بعض الأصول : « نفسه » . يشير إلى امتناع زياد من
بيعة يزيد ومحاولته صرف معاوية عن ذلك (انظر الطبري في حوادث سنة ٦ هـ حين
دعا معاوية الناس لبيعة يزيد) .

يزيد وحده . ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا بن أخي ، إني لأعرفُ بك من أهلك ، وكأني بك في غمرة لا يتخطوها السامح ، فأزِمَ ابنُ عَمَلِك ، فإن ما قال حق . فخرجوا ، وأزِمَ عبيد الله يزيد ، يرد مجلسه ، ويطلب عقيقه أياما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل تُوكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر^(١) .

٥ . [وخطبة معاوية أيضا] :

قال المهيم بن عدى : لما حضرت مُعاوية الوفاة يزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عتبة للرؤى والشحاك بن قيس القهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : أنظر أهل الحجاز ، فهم عصابتك وعِرتك ، فمن أهلك منهم فأكرمه ، ومن قعدت عنك فتجاهده ؛ وأنظر أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سَلِّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ؛ ثم أنظر أهل الشام فاجعلهم الشماردون الدثار ، فإن رابك من عدو ريب فأزِمه بهم ، فإن أغفرك الله فأزدد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يُتمسوا في غير بلادهم فيتأذروا بغير آدابهم . لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي . فأما
١٥ عبد الله بن عمر ، فرجل قد وقَّده^(٢) الورع ؛ وأما الحسين ، فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه ، وحذَل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه حَبَّ سَبَّ . فإن ظفرت به فقطعه إزبا إزبا . ومات معاوية . فقام الشحاك بن قيس خليفا فقال : إن أمير المؤمنين كان أنفَت العرب ، وهذه أكفاته ، ونحن مُدْرِجوه فيها ونَحْمَلُون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر . فصلى عليه

٢٠ (١) كذا في سياقي في المقام عند الكلام على المختار بن عبيد وسيم البلدان . والخازر نهر بين نهرين وللوصل ثم بين الزاب الأعلى والوصل وعنده كانت وفاة ابن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر التميمي أيام المختار . والحق في سائر الأصول : « الجارود » .

(٢) وقته : ظهيرة .

الضحاك. ثم قدّم يزيد فلم يقدّم أحدٌ على تعزيتته ، حتى دخل عليه عبدُ الله ابن عامر فأنشأ يقول :

أصبر يزيد قد فارقت ذا مِيقَةٍ واشكرُ حِبَاءَ الذي بالثلك حابا كا
لا رزءَ أعظمُ في الأقسام قد علّوا مما رزئتَ ولا عقيب كمنقبا كا
أصبحت راعي أهل الدين كلهم فأنتَ ترعاهم والله يرعاه كا
وفي مُعاوية الباقي لنا خلفٌ إذا بقيت فلا نسمع بممنعا كا
قال : فأفتح الخطباء بالكلام .

[وخطب أيضا معاوية] :

ولما مرض مُعاوية مرضَ وفاته قال لمولى له : مَنْ بالباب ؟ قال : نفر من قُرَيشٍ يتباشرون بموتك . قال : ويحك ! لم ؟ فوالله ما لم بعدى إلا الذي يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا ، حمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يمدّ فيه للحسن مُسيئنا ، ويزداد الظالم فيه عُتوًّا ، لا ننتفع بما علّينا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحلّ بنا ؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حدّه ، ونقص وفّره ؛ ومنهم المصلّت ١٥ لسيّفه ، السجّلب برّجله ، المُثلث بشرّه ، وقد أشرط نفسه ، وأوْبَق دِينه ^(١) ، لعلّهم ينتهزوه ، أو مَقْدَب ^(٢) يَفْقوده ، أو منبر يقرعه ^(٣) ، وليس التّشجران تراهما لنفكس ممنا ، وبمالك عند الله عَوْضا ؛ ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ،

(١) أشرط : أطم . وأوْبَق : أملك .

(٢) كذا في البيان (ج ٢ ص ٢٨) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٠) وإيجاز القرآن (ص ١٢٣) . وللقب : الجماعة من الجبل ما بين التلحين إلى الأربيعين . والقي في الأصول : « مقت » .

(٣) كذا في واليان وابن أبي الحديد والإيجاز . وقرعه : يطوه . والقي في سائر الأصول : « منه » .

ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه . وثمّر
عن قوبه ، وزخرف نفسه بالأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المصيبة ؛ ومنهم
من أقصد عن طلب الثلث ضالة نفسه ، وأقطع سبيله ، فقصرت به الحال عن
حاله ، فتحلّ باسم القناعة ، وتزيّا بلباس الزهادة ، وليس [من] ذلك في مراح
ولا مدى . وبقي رجال أغضّ أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف $\frac{١٧٣}{٢}$
المضجع ، فهم بين شريد يار ، وبين خائف منقطع ، وساك مكسوم ^(١) ،
وداع مخلص ، وموجع تكلان ، قد أحلتهم التقيّة ، وشملتهم الذلة ، فهم
في بحر أجاج ، أفواهم ضاسرة ، ولوهم قرحة ، قد وعظوا حتى ملّوا ، وهروا
حتى ذلّوا ، وقتلوا حتى قتلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أسفر من خثالة القرط ^(٢) ،
١٠ وفرادة الحكم ؛ وأنظروا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ،
وارفضوها ذميمة ، فقد رفقت من كان أشفق بها منك .

وليزير به معاوية بعد موت أبيه :

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء
خفّض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبيلا من حيال الله ، مدّه ما شاء
١٥ أن يمدّه ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخيرا ممن
يأتي بعده ، ولا أذكّيه عند ربه ، وقد صار إليه ، فإن يفت عنه فبرحتّه ،
وإن يعاقبه فبذنبه ، وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا
أتى على طلب علم ، وعلى رسلكم ^(٣) ، إذا كره الله شيئا غيره ، وإذا أحب
شيئا بغيره .

٢٠ وخطبة أيضا ليزير :

الحمد لله أحده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور

(١) المكسوم من الإيل : الذي يشد لتلايش أو يأكل . شبه به الساكت .

(٢) القرط (بحركة) . ورق السلم ، وثمر السط . وحالته : قبيحة .

(٣) على رسلكم ، أي اتشبهوا ولا تنجلوا .

- أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومن يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أصطفاه لخصي . وأختره لرسالته ، بكتاب فضله وفضله ، وأعرضه وأكرمه ، ونصره وحفظه . ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال ، وحرم فيه الحرام ، وشرع فيه الدين إغذاراً وإنذاراً ، لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسل ، ويكون بلائاً لقوم عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم ، الذي أبداً الأمور بعلمه ، وإليه يصير مصادها ، وأقطع مدتها ، وتصرف دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا ، فإنها حفرة خَصِيْرَةٌ ، حُتَّتْ بالشَّهوات ، وورِثَتْ بالقليل ، وأُنيئت بالقاني ، وتحييت بالمعجل ، لا يدوم نعيمها ، ولا يورثن جعيمها ، أَكَلَاةُ غَوَالٍ ، غَرَارَةٌ ، لا تبقى على حال ، ولا تبقى لما حال ، ولن تعدوا الدنيا إذا تناهت إلى أُنْتَهَى أهل الرغبة فيها ، والرضا بها ، أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ : (وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) ، إلى قوله (مُتَقَدِّراً) . نسأل الله لزينا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فَرْعِ يَوْمئذٍ آمِنِينَ . إن أحسن الحديث وأبلغ للوعظة كتاب الله ، يقول الله : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تَرْحَمُونَ) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) إلى آخر السورة .

[خطبة عبد الملك بن مروان :

- وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إنْ دُنُوْنِي قَدْ عَظُمْتَ وَجَلَّتْ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ ، فَاعْفُ عَنِّي .
- وخطب بحمكة شرعها الله تعالى ، فقال في خطبته : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ، يعني عثمان ، ولا بالخليفة للذهن ، يعني معاوية ، ولا بالخليفة

لأفون، يعنى يزيد . قال أبو إسحق النظم : أما والله لولا نسيتك من هذا المستضعف، وسيتبك من هذا اللداهن، لكنت منها أبعد من التيق^(١) . والله ما أخذتها بوراة ، ولا ساجة ، ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك :

- لما مات عبد الملك بن مروان وإرجع الوليد من دفينه ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، وتودى في الناس : الصلاة جامعة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه لا مؤخر لما قدّم الله ، ولا مقدّم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق حكمه ، وما كتب على أنبيائه ، وسحرة عرشه من الموت ، مؤت ولّى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، الذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من تبار الإسلام وأعلامه ، وحج هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشن الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وائياً ، ولا مفترطاً . فطليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع القدّ ، وهو من الجماعة أبعد . وأعدوا . أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن مكث مات بدائه . ثم نزل .

وخطب سليمان بن عبد الملك :

- فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تضطك باكيًا ، وتبكي ضاحكًا ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، وتقر^(٢) مقرّياً ، وتبترى مفترقاً ، مثالة غرارة ، لقابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماماً ، وارتضوا به حكاماً ، وأجلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب

(١) التيق : نيم آخر مضى . في طرف الحفرة الأمين ، بطو النريا لا يقدمها .

(٢) في بعض الأصول : « وتقر » . وما أثبتنا عن سائر الأصول واليون (ج ٢

ص ٢٤٧) والبيان (ج ١ ص ٨٦٦) .

بمده . وأعلموا عباد الله أن هذا القرآن يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ ، كما يَجْلُو ضَوْءُ
الضُّمَيْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ، ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذَا قَمَسَ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه :

قال العتيبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها
الناس ، أصلحوا صرائركم تصلح لكم علائبتكم ، وأصلحوا آخرتكم تحلح
دنياكم ؛ وإن أصرأ ليس بينه وبين آدم أب حتى كنعوق في الموت .

وخطبة له رحمه الله :

إن لكل سفر زادا لا محالة ، فنزودوا من دنياكم لآخرتكم التقوى ،
وكونوا كمن عاب ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فترهبوا وترغبوا ، ولا يطولن
عليكم الأمد فتتسوق قلوبكم ، وتنفادوا لهدوكم ، فإنه [والله] ما يسطر أمل من
لا يدري لله لا يصبح بعد إسمائه ، أو يُسمى بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك
سُطرات^(١) اللنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمن عواقبها ، فإن من يداوى
من الدنيا كفا أصابت جراحة من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن إليها ، أعوذ
بالله أن أصرم بما أنهى عنه نفسي فتتخسر صفقتي ، وتظهر عييتي ، وتبدو
مشكنتي ، في يوم لا ينفخ فيه إلا الحق والصدق . ثم بكى وبكى الناس معه .

[خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا] :

شبيب بن شبة عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل
عمر ، فكنتا نقوم لم ونبدؤهم بالسلام . فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم
عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فمئلتا بين يديه وسئمتا

(١) في سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٩٦) : « خطبات » . وانظر أيضا ابن أبي

الحديد (ج ١ ص ٤٧٠) فيين الترمذ في خلاف .

عليه ، فقال : مه ، أتم جماعة وأنا واحد ، السلام على والرد عليكم ؛ وسلم ،
فَرَدَدْنَا ، وَفَرَّغْتُ لَهُ دَابَّتَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَمَشَى ، وَمَشِينَا ، حَتَّى صَدَّ النَّبِيرُ ،
فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَصَلَّيْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ
أَغْنِيَاءَ النَّاسِ أَجْتَمَعُوا فَرَدُّوا عَلَى قُرَائِهِمْ ، حَتَّى تَسْتَوِيَ نَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونَ أَنَا
أَوْ لَكُمْ . ثُمَّ قَالَ : مَالِي وَلَدُنِيَا ؟ أَمْ مَالُهَا وَمَالِي ؟ وَتَكَلَّمَ فَأَرْقَى حَتَّى يَبْكِيَ النَّاسُ
جَمِيعًا ، بَيْنَا وَشِمَالًا . ثُمَّ قَطَعَ كَلَامَهُ وَتَزَلَّ . فَذُنَا مِنْهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلَّمْتَ النَّاسَ بِمَا أَرَقَ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَوْجَعَ
مَا كَانُوا إِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا رَجَاءُ ، إِنِّي أَكْرَهُ لِلْبَاهَاةِ .

[عَظِيمَةُ ابْنِ الْأَثَمِ بَيْنَ بَرِيٍّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ] :

١٠ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَثَمِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْمَائَةِ ، فَلَمْ يُنْجَأْ
إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ ؛ فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَا بَدَأَ ، فَإِنَّ
اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمَنَّا مِنْ مَقْصِدَتِهِمْ ، وَالنَّاسُ يَوْمُذٍ
فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ ، وَالْقَرَبُ بَشَرٌ تِلْكَ الْمَنَازِلُ ، أَهْلُ الْوَرِّ وَأَهْلُ
الْتَدَرِ ، تُعْتَازُ^(١) دُونَهُمْ طَبِيبَاتُ الدُّنْيَا وَرَفَاهَةُ عَيْشِهَا ، مَقِيتُهُمْ فِي النَّارِ ،
وَحَبِيبُهُمْ أَعْمَى ، مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ ، الْمَرْهُودِ فِيهِ . فَلَمَّا أَرَادَ
اللَّهُ أَنْ يُنْشِرَ فِيهِمْ رَحْمَتَهُ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ، عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنَتُوا
حَرِيصًا عَلَيْهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوُوفٌ رَحِيمٌ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَّ حَوْهَ فِي جِسْمِهِ ،
وَأَقْبَرَهُ فِي أَسْمِهِ ، وَمِمَّا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ تَاطَقَ ، لَا يَرِحُ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا يَتَزَلَّ
إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَأَضْطَرُّهُ إِلَى بَطْنِ غَارٍ . فَلَمَّا أَمَرَ بِالزَّيْمَةِ ، أَسْتَمَرَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْثُهُ ،
فَأَبْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، وَأَعْلَى دَعْوَتِهِ ؛ وَفَارَقَ الدُّنْيَا نَقِيًّا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَامَ مِنْ بَيْدِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَلَكَ سُبُكَّتَهُ ، وَأَخَذَ مَسْبِلَهُ ؛

١٧٥
٤

١٥

٢٠

(١) قِي الْأَصُولُ « تَخَارَ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْبَيَانِ (٢ : ٥٩) وَسِيرَةُ عُمَرَ لابْنِ
عَبْدِ الْمَسْكُومِ (س ١٠٩) وَسِيرَةُ أَيْضًا لابْنِ الْجَوْزِيِّ (س ١٣٦) .

- فارتدت العرب ، فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛
فانتفض الشيوخ من أعقادها ، وأوقد النيران في شملها ، ثم ركب بأهل الحق
أهل الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ، ويسقي الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم
في الباب الذي خرجوا منه ، وقرّهم بالأسر الذي نفروا عنه . وقد كان أصاب
من مال الله بتركها يرتوى عليه ، وحشية تُرضع ولدا له ، فرأى ذلك غصة •
في حلقه عند موته ، وثقل على كاهله ، فأدّاه إلى الخليفة من بعده ، وبرئ إليهم
منه ، وفارق الدنيا تقيّا تقيا على منهاج صاحبه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب
رضي الله عنه . فصرّ الأوصار ، وخلط الشدة باللين ، وحسّر عن ذراعيه ،
وشتر عن ساقيه ، وأعدّ للأمور أفرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قرن^(١)
المؤبرة بن شعبة أتر ابن عباس أن يسأل الناس : هل يُبجّتون قاتله . فلما قيل له :
١٠ قن المؤبرة . استهل^(٢) بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الشيء فيستحل
دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا .
فكسرها رابعة^(٣) ، وكره فيها كفاة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من
بعده ، وفارق الدنيا تقيّا تقيا على منهاج صاحبه . ثم إننا والله ما أجمعتنا بعدما
إلا على ضلّع أعوج . ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقتك
١٥ نديها ، فلما ولّيتها الدنيا وأجبت لقاء الله وما عنده ، فالجدد لله الذي جلا بك
حوبتنا ، وكشف بك كرمنا ، أشض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شيء ،
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .
- ولما قال : ثم إننا والله ما أجمعتنا بعدما إلا على ضلّع أعوج . سكّت الناس
كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت .

٢٠

(١) كفا في البيان وسيرة عمر . والفتن : العيد . والله في الأصول : « فني » .

(٢) استهل : صاح .

(٣) الرابع : الدور : الواحد : ربع . وكسرها : أي باعها ربها وبها .

[وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز:]

قال أبو الحسن: خطب عمر بن عبد العزيز بخفاصة^(١) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه، فغاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السموات والأرض. وأعلموا أن الأمان غدا لمن يخاف اليوم، وباع قليلا بكثير، وفاتنا بياق؛ ألا ترون أنكم في أصلاب المالكين، وسيخلعها من بعدكم الباقون، حتى تردوا إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تشيرون غاديا ورائحا إلى الله، قد قضى نحبته، وبلغ أجله، ثم تُفَيِّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير مؤسد ولا مُستهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب، غديا عما ترك، فقيرا إلى ما قدم، وأيم الله، إني لأقول لكم هذه للآلة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندى، فأستغفر الله لى ولكم، وما تبتلنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدناها، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ولحمى الذين يلونى، حتى يستوى عيشنا وعيشكم، وأيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غصارة لكان اللسان به ناطقا ذولا، عالمنا بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دلّ فيها على طاعته، ونهى عن معصيته؛ ثم بكى، فقلق دموع عينيه بردائه ونزل. فلم يمد بعدها على تلك الأحوال حتى قبضه الله تعالى.

خطبة يزيد بن الوليد مع قتل الوليد بن يزيد:

يقى بن محمد قال: حدثني خليفة بن خياط قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن إسحاق، أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قتل الوليد بن

(١) خفاصة: يد بالعام من أعمال حلب.

- يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، إني ما خرجتُ
أشراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطرارة نفسي،
ولا تزكية عملي، وإني لأظلم لنفسي إن لم يرَ حفي ربي، ولكني خرجتُ غضباً
لله ودينه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه، حين دَرَسْتُ معالم الهدى، وأطقتُ نور
أهل التقوى، وظهر الجبار^(١) العنيد، للمستحل الحرمة، والراكب البِدعة، والغدير
الشنة. فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ إذ غَشِيَتْكُمْ ظُلْمَةٌ لا تُقْلَعُ، على كثير من دُؤُوبِكُمْ،
وقسوة من قُلُوبِكُمْ، وأشفقتُ أن يدعوا كثيراً من الناس إلى ما هو عليه،
فيجيبه من أجابه منكم، فأستخرتُ الله في أمري، وسألته أن لا يكلني إلى
نفسى، وهو ابن عمى في نَسَبى، وكفى في حَسَبى، فأراح الله منه العباد،
وظهر منه البلاد، ولأية من الله وعزماً، بلا حول منا ولا قوة، ولكن بحول
الله وقوته، وولايته ومرضته. أيها الناس، إن لكم على إن وليتُ أموركم ألا
أضع لينة على لينة، ولا حَجَراً على حَجَرٍ، ولا أَثْقَلَ مَالاً من بلد إلى بلد،
حتى أسدُّ ثَمَرَهُ، وأقيم مصالحه، مما تحتاجون إليه، وتَقَوُّون به، فإن فضلَ
شئ رَدَدْتُهُ إلى البلد الذى يليه، وهو من أحوج البلدان إليه، حتى تَسْتَقِيمَ
المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا أُجْرِمَكُم في بيوئكم^(٢) فتفتنوا وتفتن
أهاليكم. فإن أردتم بيئسى على الذى بذلتُ لكم فأنا لكم به، وإن ملتُ فلا
بيئسة لى عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منى فأردتم بيئته فأنا أول من
يُبايحه، ويدخل فى طاعته، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

(١) يزيد الوليد بن يزيد - ويغير إلى رمية للمصنف بالشباب، وقوله:

٢٠ أتوعد كل جبار عتيد
فها أنا لك جبار عتيد
(انظر الأغانى، والسنن ص ١٢٠).

(٢) جر الجيش: حيه فى أرس المدو ولم يقفله - وفى بعض الأصول: «ولا أحد
يوؤمك» مكان: «ولا أجركم في بيوئكم».

خطب بنى العباس^(١)

الشمي قال : قيل لسلسلة بن هلال العبدي ، خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي
خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما ذرينا أَوْجُهه كان أحسن أم كلامه . قال :
أولئك قوم بنور الخلافة يُشرقون ، ولسان النبوة ينطقون .

خطبة [أبي العباس] السفاح بالشام :

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد علي ، لما قُتل مروان بن محمد ، فقال :
ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كُفُراً وأحلّوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها
ويُفسّس التّرار ، نكسّ بكم يأهل الشام أكل حَرْب ، وآل مروان ،
يتسكّمون بكم الظلم ، ويتهوّنون بكم مداحض الزّلق ، يطؤون بكم حُرُم الله
١٠ وحُرُم رسوله ، ما إذا يقول زُعماءكم غداً ؟ يقولون : ربنا هؤلاء أضلّونا فأتهم
عذاباً ضيقاً من النار . إذا يقول الله عز وجل (لَكُلِّ ضِيفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) .
أما أمير المؤمنين ، فقد أكتنّف بكم التوبة ، وأغضركم الزّلة ، وبسط لكم
الإفالة ، وعاد بفضله على نقصكم ، ويحمله على جملكم ، فليفرخ رُوعكم ،
ولتطمئن به داركم ، ولتطمئكم^(٢) مصادعُ أوائلكم ، فتلك بيوتهم خاوية
بما غلّوا . ١٥

خطب المنصور :

خطب أبو جعفر المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل الأمويين
قتال : أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظرَ أمرؤ في يومه لندّه ، فشى
القصد ، وقال الفضل ، وجانب المجر . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس ،

(١) في بعض الأصول : « بين حاشم » . ٢٠

(٢) في بعض الأصول : « ولتطمع » .

١٣٧
٢ إنَّ بكم داء هذا داءه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، فليعتبر عبدي قبل أن يُعتبر به ، فإنما بعد الوعيد الإيقاع ^(١) ، وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام :

شَفِئْنَا أَعْرَضًا مِنْ أَخْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
مهلا مهلا ، روايا الإرجاف ، وكهوف النفاق ، عن الخوض فيما كُفِّمَ ،
والتَّعَطَّى إلى ما حُدِّزْتُمْ . قيل أن تغلف نفوس ، ويقطَّ عدد ، ويدول ^(٢) هن ،
وما أتم وذاك ، ألم تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ مِنْ إِبْرَاطِ الْمُتَشَفِّعِينَ مِنْ تَسَارِقِ
الأرض ومفاربها حقًا والبعث الجحد ^(٣) . ولكن خيب كامن ، وحسد
مُكِيد ^(٤) ، فبمداك تقوم الظالمين .

١٠ وخطب أيضا :

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جبر للنصور يوم الجمعة ، فحمد الله
وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجل فقال : أذكر كرك من
ذكرتنا به يا أمير المؤمنين . قال أبو جبر : مِمَّا سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ عَنْ اللَّهِ وَذَكَرَهُ ،
وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه ، فتأخذني العِزَّةُ بالإثم ، لقد ضَلَّتْ إِذَا ، وما
أنا من المُتَعِدِّين . وأما أنت ، والتفت إلى الرجل ، فقال : والله ما الله أَرَدَتْ
١٠ بها ، ولكن ليُقال قام فقال فُوقِبَ فَصَّرَ ، وأهون بها لو كانت العقوبة ، وأنا
أُذَكِّرُكم أيها الناس أختها ، فإن للوعظة علينا نزلت ، وفيها أُنِيت ، ثم رجع
إلى موضعه من الخطبة .

(١) في بعض الأصول : « الاطعاع » وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

٢٠ (ج ٢ ص ٢٥٣) ومواسم الأدب (ج ٢ ص ١١٤) .

(٢) في بعض الأصول : « ويقط » .

(٣) والجلد الجحد ، يحفرهم الجحد ، وهو كقران السم . وفي بعض الأصول :

« والمجير الجبر » (٤) في بعض الأصول : « مكن » .

[خطبة أيضا للمختصر بمكة:]

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتأييده وتأييده، وحارسه^(١) على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعليه بإذنه، قد جعلني الله قفلاً، إذ شاء أن يفتحني ففتحني لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، وإذا شاء أن يُغلقني عليها أغلقني، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أحل لكم به في كتابه إذ يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) أن يوفقني للرشاد والصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

١٠ خطبة لسليمان بن علي:

(ولقد كذبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبرهاناً لقوم عابدين). فضلاء مكرم، وقول قتل ما هو بالهزل. الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والى إرثاً، والذين هزؤا، وجعلوا القرآن حزين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكابن ترى من بئر معطلة وقصر مشيد، ١٥ ذلك بما قلتم أن أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد. أمهلوا حتى نبدوا الكتاب، وأضطهدوا الفرة، ونبدوا الشنة، وأعدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد، ثم أخذهم، فهل نجس منهم من أحد أو قسم لهم ركزا.

خطبة عبد الملك بن سالم [بن علي]:

٢٠ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقلامها، يأهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين، وأشباهكم

في الأجسام ، فذَرَمَ نَبِيَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ . يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمْ الْقَتْلُ فَأَحْذَرِهِمْ فَاتْلُهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤفِكُوكُمْ) فَمَا تَلَكُمُ اللَّهُ أَنَّى
تُضَرُّوْنَ ، جُنْتُ مَائِلَةٌ ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشْبُونَ الْفَتَنَ ، وَتُؤَلِّوْنَ الذُّبُرَ ، إِلَّا عَنِ
حُرْمِ اللَّهِ ، فَلَيْتَا دَرَيْتُكُمْ ^(١) ، وَحُرْمِ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهَا مَقْرَأُكُمْ ، أَمَّا وَحُرْمَةُ الدَّبُورَةِ
وَالْحِلَالَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِفَافًا وَقِتَالًا أَوْ لَأُوسِمَنَّكُمْ إِرْغَامًا وَتَكَالَا .

١٧٨
٢

ومطرب صالح بن علي :

يَا أَعْضَادَ الْفِتَاقِ ، وَتَعَمَدَ الصَّلَاةِ ، أَغْرَكُمُ لَيْنَ إِيسَامِي ^(٢) ، وَطَوَّلَ إِينَامِي ،
حَتَّى ظَنَنْتُ جَاهِلِيَّكُمْ أَنْ ذَلِكَ لِقَوْلِ حَدِّ ، وَفُتُورِ جِدِّ ، وَخَوَرِ قَنَاءِ ، كَذَبَتِ
الظُّلُونُ . لَيْسَ الْمَتَرَةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا قَدْ أَسْتَمَرَّتْ أَمَّ الْعَاقِيَةَ ، فَمَعْدِي فَصَال ^(٣)
وَفِطَام ، وَسَيْفٌ يَقْدُ الْهَامَ ، وَإِنِّي أَقُولُ :

أَغْرَكُمُ أَنَّى بِأَكْرَمِ شَيْعَةٍ رَفِيقٌ وَأَنَّى بِالْفَوَاحِشِ أُخْرَقُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَأْ أَحْسَنَ سَتِيهِ تَكَلَّمُ مُعَاهٍ فِيهَا فَتَنْطَلِقُ
لَمْ تَمْرِي لَقَدْ قَا حَشَنِي فَتَلْبَنِي هُنَيْثَا سَرِيثًا أَنْتَ بِالْبَحْشِ أَرْفَقُ

١٥

ومطرب داود بن علي بالمرينة :

قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، حَتَّامٌ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ ، أَمَّا أَنْ لَرَأَيْتُكُمْ أَنْ يَهْبُ
مِنْ نَوْمِهِ ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغْرَكُمُ الْإِهْمَالُ حَتَّى
حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ، هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ وَالسُّوْطُ [فِي] كَفِّي وَالسَيْفُ مُشْهَرٌ :
حَتَّى يُبَيِّدَ قَبِيلَةَ قَبِيلَةٍ وَيَقْتَصُّ كُلُّ مُتَقَفٍّ ^(٤) بِالْهَامِ

٢٠

(١) الفريفة : الحلقة يحلم الظن والرى عليها .

(٢) الإيساس : صوت الرامي عند الحلب يسكن به الناقة

(٣) في بعض الأصول : « استوليت » و « فكلك » مكان « استوليت » و « فصال » .

(٤) يريد بالتقف : الرمح .

وَيَقْنَنَ رَبَّاتِ السُّدُورِ حَوَاسِرًا يَمْسَحْنَ غُرُصَ ذَوَائِبِ الْأَبْثَامِ

[خطبة داود بن علي بمكة]:

وخطب داود بن علي بحجة : شُكْرًا شُكْرًا ، والله ما خَرَجْنَا لِنُخْفِرَ فِيكُمْ
نَهْرًا ، وَلَا لِنُبْنِي فِيكُمْ قَمَرًا ، أَظُنُّ هَذَا اللَّهُ أَنْ لَنْ نَظْفِرَ بِهِ إِذْ مُدَّ لَهُ فِي عِنَانِهِ ،
• حَقَّى عَثْرَ فِي فَضْلِ زِمَامِهِ ، فَالآنَ عاد الأمرُ في نِصَابِهِ ، وَأَطْلَمَتِ الشَّمْسُ مِنْ
مَشْرِقِهَا ، وَالآنَ [حيث] تَوَلَّى الْقَوْسَ بَارِبُهَا ، وَعَادَتِ النَّبِيلُ إِلَى النَّزْعَةِ ،
وَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، أَهْلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَعْمُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَجْعَلُوا التَّمَّ الَّتِي أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سَبَبًا إِلَى أَنْ تُبَيِّحَ
هَلَكَتَكُمْ ، وَتُزِيلَ التَّمَّ عَنْكُمْ .

١٠ خطبة للمهمدي :

الحمد لله الذي أَرْضَى الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ ، وَرَضَى بِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، أَحَدَهُ عَلَى آلَاتِهِ ،
وَأَجْهَدَهُ لِبِلَاتِهِ ، وَأَسْتَعِينَهُ وَأُؤْمِنَ بِهِ وَأَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، تَوَكَّلْ رَاضٍ بِقَضَائِهِ ، وَصَابِرٍ
لِبِلَاتِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ لِلْصُّلْفِيِّ ،
وَنَبِيِّهِ الْمُجْتَبَى ، وَرَسُولُهُ إِلَى خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ عَلَى وَحْيِهِ ، أَرْسَلَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ،
١٥ وَطُمُوسِ الْعِلْمِ ، وَأَقْتَرَابِ مِنَ السَّاعَةِ ، إِلَى أُمَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ ، مُخْتَلِفَةِ أُمِّيَّةٍ ، أَهْلِ عَدَاوَةٍ
وَتَضَاغُنٍ ، وَفُرْقَةٍ وَتَبَايُنٍ ، تَدَأْسُهُوْتُهُمْ شَيَاطِينُهُمْ ، وَعَابَ عَلَيْهِمْ قُرْآنُهُمْ ،
فَاسْتَشْعَرُوا الرَّدَى ، وَسَلَكُوا الْقَصَى ، يُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَكَرَّمَ تَوَابَهَا ،
وَيُنْذِرُ مَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ وَأَلِيمَ عِقَابِهَا ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ ، وَيُهَيِّمَ مَنْ حَقَّ
عَنْ بَيْتِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ
٢٠ عَلَيْهَا سَلَامَةٌ ، وَالْتِزَامُ لَهَا نِدَامَةٌ ، وَأَحْشَكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ ، وَتَوْقِيرِ كِبَرِيَّاتِهِ
وَقُدْرَتِهِ ، وَالْإِتِّهَامُ إِلَى مَا يُقَرَّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُنْجِي مِنْ سُخْطِهِ ، وَيُنَالُ بِهِ
مَالِيهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ ، وَجَزِيلِ الْمَأْثَبِ . فَاجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمْ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ

- العقاب ، وأليم العذاب ، ووَعِيد الحساب ، يوم تُوقَفون بين يدي الجَبَّار ،
 وتُعرضون فيه على النار ، يوم لا تَكَلِّمُ نفسُ إلا بإذنه ، فمنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ ،
 يومَ يُفَرِّقُ المَرءُ من أخيه وأُمه وأبيه وصاحبته وبنيهِ ، لكلٍّ أمرىٌّ منهم يومئذٍ
 شأنٌ بيّنيه ، يوم لا تُجْزَى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبلُ منها عَدْلٌ ولا تَنفَعُها
 شفاعَةٌ ولا هم يُنصرون ، يوم لا يُجْزَى والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جَازٍ عن
 والده شيئاً ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ ، فلا تُفَرِّقَنَّكم الحياةُ الدنيا ولا يُفَرِّقَنَّكم باللهِ التَّوَرُّ ،
 فإنَّ الثَّغْنِيَا دارُ غُرُورٍ ، وبَلاٌ وشُرُورٍ ، وأَصْحَمَلَلٌ وزَوَالٌ ، وتَقَلُّبٌ وأَنْتَقَالٌ ، قد
 أَفْنَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهى عاتِلَةٌ عليكم وعلى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا
 صَرَعَتْهُ ، وَمَنْ رَتَّقَ بِهَا خَاتَمَهُ ، وَمَنْ أَثْلَمَهَا كَذَّبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَذَلَتْهُ ، عِزُّهَا
 ذُلٌّ ، وَغِنَاها فَقْرٌ ، والسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَها ، والشَّقِيُّ فِيها مَنْ آتَمَّها ، والمُتَّقِبُونَ فِيها ١٠
 مَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادُ اللَّهِ ، والتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، والرحمةُ
 مُبْسُوطَةٌ ، وبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ
 بِالْكُفْمِ ^(١) ، وَتَنْدَمُوا فَلَا تَقَالُونَ ^(٢) بِالنَّدَمِ ، فِي يَوْمِ حَسْرَةٍ وَتَأْسَفٍ ، وَكَأَبَةٍ
 وَتَلَفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ كَالْأَيَّامِ ، وَمَوْقِفٌ ضَنْكُ الْمَقَامِ . إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ
 الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ١٠
 وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ : (أَلْهَامُ الْفِكَارِ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَنَابِرَ) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ
 بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَّهُمْ كَعَتَانَهُمْ كَاللَّهِ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ،
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

خُطْبَةُ هَارُونَ الرَّسِيدِ :

٢٠

الحمد لله نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ ، وَنُسَمِّعِيهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ عَلَى أَسْأَأَتِهِ

(١) الكُفْمُ : الخلق أو القم أو حرج النفس .

(٢) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ « تَقَالُونَ » .

وَتُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا ، وَتَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوَّضِينَ إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، يَسْتَهْ عَلَى قَفَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَدُرُوسٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَإِذْ بَارِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ ، بِشِيرًا بِالنَّجْمِ الْمُقِيمِ ، وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ عَذَابِ أَلِيمٍ ، فَيُلَاحِظُ الرِّسَالَةَ ، وَتَسْمَعُ الْأُمَّةَ ، وَجَاهِدُ فِي اللَّهِ ، فَأَذِي عَنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَوَعِيدَهُ ، حَتَّى آتَاهُ الْيَقِينُ ، فَمِلِ النَّهْيَ مِنَ اللَّهِ صَلَاةً وَرَحْمَةً وَسَلَامًا .

• أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ ، وَتَضْيِيفَ الْحُسْنَاتِ ، وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ ، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ . وَأَحْذَرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُبْلَى فِيهِ الْأَسْرَارُ ، يَوْمَ الْبَيْتِ وَيَوْمَ الثَّنَائِنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِ وَيَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ ، وَلَا يُرْدَادُ فِي حَسَنَةٍ ، يَوْمَ الْأَزْفَةِ ، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخُنَاجِرِ كَالْمُطْلَعِ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطْلَعُ ، يُسَلِّمُ فِيهِ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُغْفَى الصُّدُورُ ، ١٠ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ لَمْ تَخْلُقُوا عَبَثًا ، وَلَنْ تُفْرَكُوا سُدًى ، حَقِّمُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ ، وَدِينَكُمْ بِالْوَرَعِ ، وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا زَكَاةَ لَهُ . ١٥ إِنَّكُمْ سَفَرُ مُجْتَازُونَ ، وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ تَنْتَقِلُونَ مِنْ دَارِ فَنَاءٍ إِلَى دَارِ بَقَاءٍ ، فَسَارِعُوا إِلَى الْغَفْرِ بِالْقُرْبَةِ ، وَإِلَى الرَّحْمَةِ بِالتَّقْوَى ، وَإِلَى الْهُدَى بِالْإِنَابَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَوْجِبَ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَمَغْفِرَتَهُ لِلتَّائِبِينَ ، وَهُدَاهُ لِلْمُنِيبِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، وَقَالَ : (وَإِنِّي لَنفَارِ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَحَمَلَ صَالِحَاتِهِمْ أَهْلِي) . وَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانَةَ ، فَقَدْ غَرَّتْ وَأَزْدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا ، حَتَّى أَكْذَبْتَهُمْ مَنَاقِمًا ، فَتَنَاشَوْا^(١) التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، فَأَخْبِرْكُمْ رَبُّكُمْ عَنِ التَّغْلُتِ فِيهِمْ ، وَصَرِّفِ الْآيَاتِ ، وَصَرِّبِ

الأمثال ، فرغب بالوعْد ، وقَدَّم إليكم الوعيد ، وقد رأيتُمْ وقائمه بالقرُون الخلوالى
 جيلاً فجيلاً ، وتهدتُم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر بأختلاف الموت إياهم من
 بُيوتكم ومن بين أظهركم ، لا تَذَقُّون عنهم ولا تَعُولُون دونهم ، فزالَت عنهم
 الدنيا ، وأتقطعت بهم الأسباب ، فأسلتْهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب
 والمقاب ، ليُجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويُجزى الذين أحسنوا بالحسنى . إن
 أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله عز وجل : (وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) . أعوذ بالله العظيم من الشيطان
 الرجيم ، إنه هو السميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ
 الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . آمُرُكُمْ بما أَمَرَ اللهُ به ،
 وَأَنْهَيْكُمْ عما نَهَاكم اللهُ عنه . وأستغفر الله لى ولكم .

١٠

خطبة المأمور في يوم الجمعة :

الحمد لله مُستغليص الحمد لنفسه ، ومُستوجبه على خلقه ، أحده وأستعينه ،
 وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
 أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله
 ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما
 عنده ، والتنبذ لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يتعلم إلا من أتقاه ورجاه ،
 وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله ، وبادرُوا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعُوا
 ما يَبْقَى بما يَزُول عنكم وَيَفْنَى ، وترحلُوا عن الدنيا ، فقد جَدَّ بكم ، وأستعدُّوا
 للموت فقد أَظْلَمَ لكم ، وكونوا كقوم صبيح فيهم فَأَتَقَبَّهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست
 لهم بدار فَاسْتَبْدَلُوا^(١) ، فإن الله عز وجل لم يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، ولم يترككم سدى ،
 وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموتُ أَنْ يَنْزِلَ به ؛ وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا
 اللحظة ، وتهبطها الساعة الواحدة ، لجذيرة بِقِصَرِ المدة ؛ وَإِنْ غَايَةً يَحْدُوهُ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « فاستبدلوا » .

الجديديان الليل والنهار، جذيرُ بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يحملُ بالفوز أو بالشقوة
لمستحق لأفضل العدة. فأتقِ عيذُ ربِّه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب
شهوته؛ فإنَّ أجله مستور عنه، وأمله خادعٌ له، والشيطانُ موكلٌ به، يُزَيِّنُ له
للمصيبة ليركبها، ويُمَيِّنُهُ التَّوْبَةَ لِيَسُوِّفَهَا، حتى يَهْجُمَ عليه منيته، أغفلَ ما يكون
عنها. فيالها حَسْرَةً على كلِّ ذى غفلة، أن يكون عُمره عليه حِجَّةً، أو تَوْدِيَةً
منيته ^(١) إلى شِقْوَةٍ. نَسْأَلُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنا وإِيَّاكُمْ مَنْ لَا يُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تَقْصُرُ
به عن طاعة ربه غفلة، وَلَا تَحْمِلُ به بعد اللوت فُرْقَةً، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، يَدُهُ
الْخَيْرُ وهو على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَمَنْ لَمَّا يَرِيدُ.

وخطبة المأمور يوم الأضحية :

١٠ قال بعد التكبير والتحميد : إنَّ يومَكُمْ هذا إِيَّانُ الله فَضْلُهُ، وَأَوْجِبَ
تَشْرِيفَهُ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ، وَوَقَّعَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ صَفْوَتَهُ، وَأَبْتَلَى ^(٢) فِيهِ خَلِيلَهُ. وفدى
فيه بالذَّبْحِ الْعَظِيمِ نَبِيَّهٖ، وجعله خَاتَمَ الْأَيَّامِ لِلْمَعْلُومَاتِ مِنَ التَّشْرِعِ، وَمُقَدِّمَ الْأَيَّامِ
لِلْمُدُودَاتِ مِنَ التَّفَرُّقِ ^(٣)، يومٌ حَرَامٌ، من أَيَّامِ عِظَامٍ، في شهر حَرَامٍ، يومُ الْحَجِّ
الْأَكْبَرِ، يومٌ دَعَا اللهُ فِيهِ إِلَى مَشْهُدِهِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ بِتَقْطِيعِهِ، قَالَ
اللهُ عَنْ وَجَلٍ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِيَ الْأَلْوَاعِ لَكُمْ مِنْهُ مَبْغُوتٌ عَظِيمٌ) ١٥
مِنْ كُلِّ فَبَجٍّ عَمِيقٍ)، فَتَفَرَّبُوا إِلَى اللهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِذَبَائِحِكُمْ، وَعَقَلُوا شَعَائِرَ
اللهِ، وَأَجْلِسُوا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ، وَبَصَحَةُ ^(٤) التَّقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ :
(لَنْ يَبْتَالَ اللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَبْتَالُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) . ثُمَّ التَّكْبِيرُ
والتَّحْمِيدُ . وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى . ثُمَّ ذَكَرَ
٢٠ اللُّوتَ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا مِنْ بَسَدَةٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ، عَظُمَ قَدْرُ الْفَارِسِ، وَارْتَفَعَ

(١) في عيون الأخبار : (ج ٢ ص ٢٥٣) : « أَيْلَهُ » .

(٢) في بئس الأصول : « وَاجِبٌ » . وما أُنْبِتْنَا عَنْ سَائِرِ الْأَجْوَالِ وَعيون الأخبار

(ج ٢ ص ٢٥٤) . (٣) يوم التفر : يوم ينظر الناس من منى .

(٤) في بئس الأصول : « وَلَتَصْبَحَ » . وما أُنْبِتْنَا عَنْ سَائِرِ الْأَجْوَالِ وَعيون ،

(ج ٢ ص ٢٥٤) .

جزاء المتلین ، وطالت مدة التریقین . الله الله ، فوالله إنه الجسد لا اللعب ،
والحق لا الكذب ، وما هو إلا اللوث والبعث والليزان والحساب والصراط
والقصاص والثواب واليقاب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد
خاب ، الخیر كله فی الجنة ، والشر كله فی النار .

١٨١
٧

وعظبة المحامورة فی الفطر :

قال بعد التکبیر والتحمید : ألا وإن یومکم هذا یوم عید وسنة ، وأبتهال
ورغبة ، یوم ختم الله به صیام شهر رمضان ، وأفتتح به حج بیتہ الحرام ، فجعله
أول أيام شهور الحج ، وجعله تمعیناً لمفروض صیامکم ، ومتنفل^(١) قیامکم ،
أهل الله لکم فی الطعام ، وحرّم علیکم فی الصیام ، فاطلبوا إلى الله حوائجکم ،
وأستغفروه لتغریطکم ، فإنه یقال : لا کثیر مع ندم وأستغفار ، ولا قلیل مع
تمناد وإصرار . ثم کبر وحّد ، وذکر النبی صلی الله علیه وسلم ، وأوصی بالیز
والتقوی ، ثم قال : اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أعتدل فیہ یقینکم^(٢) ،
ولم یخضر الشک فی أحدًا منکم ، وهو اللوث المكتوب علیکم ، فإنه لا تستقال
بمده عثرة ، ولا تحظر قبله توبة ، وأعلموا أنه لا شیء [قبله إلا دونه ، ولا شیء]
بمده إلا فوقه ، ولا یمن علی جزعه وعلّزه^(٣) وکُربّه ، وحلی القبر وظلمته ،
وضيقه ووحشته ، وهول مطلقه ، ومسألة ملکّیّه ، إلا العمل الصالح الذي أمر الله
به ؛ فمن زلت عند اللوث قدّمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاتته استقالته^(٤) ، ودعا
من الرجعة إلى ما لا یجاب إلیه ، وبذل من القذیة ما لا یقبل منه . فافقه الله
عباد الله ، کونوا قوماً سألو الرجعة فأعطوها إذ منّهم الذين طلبوها ، فإنه لیس

(١) کذا فی بعض الأصول : والیون . والقی فی سائر الأصول : « متقبل » .

(٢) فی بعض الأصول : « عدل فی نیکم » .

(٣) کذا فی بعض الأصول والیون . والیز : ما یصیب للریض عند حمرجة اللوث

من رعدة واضطراب . والقی فی سائر الأصول : « وعکره » .

(٤) فی بعض الأصول : « استظلمته »

يَتَقَرَّبُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا أَجَلٌ لِلْبَسُوطِ لَكُمْ ؛ فَأَحْذَرُوا مَا حَذَرَكَ اللَّهُ ،
وَأَتَمُّوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكَ اللَّهُ فِيهِ ؛ لَوْضَعُ موازِينِكُمْ ، ونَشْرُ صُحُفِكُمْ ، الحَافِظَةُ
لأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَيْدٌ مَا يَنْصَحُ فِي مِيزَانِهِ مَا يَنْقَلُ بِهِ ، وما يُنْقَلُ فِي صَحِيفَةِ الْحَافِظَةِ
لِما عَلَيْهِ وَلَهُ ؛ أَلَا قَدْ حَكِيَ اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمُفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ
عِنَهَا ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : (وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَرَقَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَنْظُرُ رَبُّكَ أَحَدًا) . وقال : (وَنَضَعُ لِلْوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ
أُنْتَبِهَا وَكُنِيَ بِنَاسِحِينَ) . ولستُ أَنُهَاكُمُ عَنِ الدُّنْيَا بِأَكْثَرِ مَا نَهَيْتُكُمْ بِهِ
الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يُعَذَّرُ مِنْهَا ، وَيُنْهَى عَنْهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا
يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مَا رَأَيْتُهُ أُعِينَكُمْ مِنْ جَانِبِهَا وَزَوَّالَهَا دُمْ كِتَابُ اللَّهِ لَهَا
وَالنَّهْيُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (فَلَا تَقْرَأُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَتَرَكُمُ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ) . وقال : (أَعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) ، فَانْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا . وبِإِخْبَارِ اللَّهِ
عِنَهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَحْرَكَهُمْ عِصْمَةُ اللَّهِ فَحَذَرُوا مَصَارِعَهَا ،
وَجَانِبُوا حَدَائِشَهَا ، وَأَتَرَوْا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا ، وَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا يَتَرَكُونَ مِنْهَا ^(١) .

(٢) خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية :

قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عِيَّانِ بْنِ عَفَّانَ بِفَتْحِ إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَأَخْبَرَهُ مُشَاهِدَةً ،

(١) في رواية قولها « منها » : « هم الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب بحمد الله
وعونه وحسن توقيفه . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله في الجزء الثاني منه خطبة ابن الزبير
حين قدم بفتح إفريقية ويتلوه يتم كتاب الواسطة إن شاء الله » .

(٢) قبل هذا العنوان في : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم » .

- وَمَنْ عَلَيْهِ كَيْفَ كَانَتِ الرَّقْعَةُ . فَأَعْجَبَ عُمَانٌ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، أَتَقُومُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ فِي النَّاسِ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا أَهْيَبُ لَكَ مِنْهُمْ . فَقَامَ عُمَانٌ فِي النَّاسِ خَطِيئًا لِحَمْدِ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَيْكُمْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يُحَرِّكُ خَيْرَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
- وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى جَانِبِ النَّبْرِ ، فَقَامَ خَطِيئًا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خُطِبَ ٥ إِلَى جَانِبِ النَّبْرِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَجَمَلْنَا مُتَعَابِينَ بَعْدَ الْبَغْيَةِ ، الَّتِي لَا تُجْعَدُ نَمَائِزُهُ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمَدَ نَفْسَهُ ، وَكَأَمْ هَوَاهُ ، أُنْتَبَخَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْتَارَهُ بَعْلُهُ ، وَأَثْنَمَهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ وَحُبَّهُ ، فَأَمْنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَوَقَرُّوهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى جِيَّاهُ ، فَأَسْتَشْهَدُ اللَّهَ مِنْهُمْ مَنْ أَسْتَشْهَدُ ، ١٠ عَلَى الْبَيْتِ الْوَاضِعِ ، وَالتَّبِيعِ الرَّاحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْهَةٌ لَا تُؤْمَرُ . أَيُّهَا النَّاسُ : رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؛ إِنَّا خَرَجْنَا لِلْوَجْهِ الَّذِي عَلَّمَهُ ، فَكُنَّا مَعَ وَالٍ حَافِظٍ ، حَفِظَ وَصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ يَسِيرُ بِنَا الْأَبْرَدِينَ ^(١) ، وَخَفَضَ ^(٢) بِنَا فِي الظُّهَارِ ، وَيَتَخَذُ اللَّيْلَ جَمَلًا ، يُعْجِلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَدْبِ ، وَيُعْطِلُ اللَّابِثَ فِي الْمَنْزِلِ الْخَصْبِ ، فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ نَعْرِفُهَا مِنْ رَبَّنَا ^(٣) ، حَتَّى أَتَيْنَاهَا إِلَى ١٥ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَنَزَلْنَا مِنْهَا بِمَجِيئِ يُسْمَعُونَ صَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَرُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَقَفَقَةَ السِّلَاحِ . فَأَقْنَأْنَا أَيَّامًا نُجِيزُ كُرَاعَنَا ^(٤) ، وَنُصْلِحُ سِلَاحَنَا ، ثُمَّ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْدُخُولِ فِيهِ ، فَأَبْجَدُوا مِنْهُ ؛ فَسَأَلْنَاهُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ صَنَارٍ ، أَوْ الصَّلَاحِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَبَدًا ، فَأَقْنَأْنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ نَتَأْتَاهُمْ ، وَتَخْتَلِفُ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنْهُمْ ٢٠ قَامَ خَطِيئًا لِحَمْدِ اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وَمَا لِمَا صَبَرَ وَأَحْتَسَبَ . ثُمَّ نَهَضْنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَصَبَرَ فِيهِ

(١) الْأَبْرَدَانِ : الْفَتَاةُ وَالْمَعَى . (٢) خَفَضَ بِالْكَسْرِ : أَلَامَ .

(٣) مِنْ رَبَّنَا ، أَيْ مَا قَدْ عَوَدَنَا اللَّهُ .

(٤) الْكُرَاعُ : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ . وَأَجْمَ الْفَرَسِ : تَرَكْ رُكُوبَهُ فَمِنْ مِثْلِهِ وَذَهَبَ إِمَامُهُ .

القرىبان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، وأستشهد لله فيهم رجال من
 للمسلمين ؛ فبيننا وباتوا ، وللمسلمين دوى بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون
 في حُجورهم وملاعبهم ، فلما أصبحنا أخذنا مصافنا الذي كُفنا عليه بالأس ،
 فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صَبْرَهُ ، وأنزل علينا نَصْرَهُ ؛ ففتحناها
 • من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيثا واسما ، بلغ فيه الخمس خمسة ألف ،
 فصَفَّقُ^(١) عليها مروان بن الحكم ، فتركت المسلمين قد قَرَّتْ أعينهم وأغنام النمل ،
 وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من
 الشرك . فاحمدوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه ، من بأسه الذي
 لا يردّه عن القوم المجرمين ، ثم سكت . فنهض إليه أبوه الزبير فقتل بين عينيه
 ١٠ وقال : ذرية بعضهما من بعض والله سميع عليم ، يا بُنَيَّ : ما زِلْتُ تنطق بلسان
 أبي بكر حتى صَمَتَ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب^(٢) :

صَدَقَ النُّبْرَ فَحَمَدَ الله وَأَثْنَى عليه ثم سكت ، فجعل لونه يحمّرُ مرةً ويصفّرُ
 مرةً ، فقال : رجلٌ من فُرَيْشٍ لرجلٍ إلى جانبه : ماله لا يتكلم ، فوالله إنه الليب
 ١٥ الخُطْبَاءُ . قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير
 ملوم . ثم تكلم ، فقال : الحمد لله الخَلْقُ والأمر ، والدُّنْيَا والآخرة ، يُؤْفَى
 الملك من يشاء ، ويَنزَعُ الملك من يشاء ، ويُعْزَمُ من يشاء ، ويُذَلُّ من يشاء .
 أما بعد : فإنه لم يُعْزَمِ الله من كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طُوراً ، ولم
 يُذَلَّ من كان الحقُّ معه ، وإن كان قَرَدًا . ألا وإن خيراً من العراق أنما أنا فأحزننا
 ٢٠ وأفرحنا ؛ فأما الذي أحزننا ، فإن لعراق الحليم لوعةً يجدها حميمه ، ثم يعوى ذود
 الأبواب إلى الصَّبرِ وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرحنا ، فإن قَتَلَ مُصْعَبَ ، له

(١) صفق الباب : أغلقه . يريد أن مروان بن الحكم حفظها في خزائنه وأغلق عليها .

(٢) قتله عبد الملك بن مروان سنة ١٧ هـ .

شهادة ، ولنا ذخيرة ، أسلمه النعمان المسلم^(١) الآذان . ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه^(٢) ، وكانوا الخليار الصالحين . إنا والله لأموت حَتَفًا ولكن قَعَصًا^(٣) بالرَّماح ، وموتنا تحت ظلال الشيوف ، ليس كما يموت بنو مروان ، ألا إنا الدنيا عارية من المليك الأعلى الذي لا يَبِيد ذِكْرُه ، ولا يَذِلُّ سُلْطَانُه ، فإن تُقْبِل الدنيا على ، لم آخذها أخذ الأشر البطر ؛ وإن تَذَبَّر عَقِي ، لم أهلك عليها بكاء الخرق المهين ، ثم نزل .

خطبة زباد البصرة :

قال أبو الحسن المدائني عن مسئلة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال :
قَدِمَ زِيَادُ الْبَصْرَةَ وَالْيَا لِمَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَ[صَمَّ] إِلَيْهِ خِرَاسَانَ ١٠
وَسَجِسْتَانَ ، وَالْفَسَنُ بِالْبَصْرَةِ ظَاهِرٌ فَاشٌ ، فَخُطِبَ خُطْبَةٌ بِتَرَاءٍ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهُ فِيهَا . وَقَالَ غَيْرُهُ بَلْ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِفْسَالِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَنَسَأَهُ الْمَزِيدُ مِنْ رِقْمِهِ وَإِكْرَامِهِ ، اللَّهُمَّ كَمَا زِدْتَنَا نَبَأًا فَأَلْهَمْنَا شُكْرًا ، أَمَا بَدَّ : فَإِنَّ الْجَهْلَةَ الْجَهْلَاءُ ، وَالضَّلَالَةَ الْقَتِيَاءُ ، وَالْمَتَى^(١) الْمَوْفَى بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ ، مَا فِيهِ سَفَهَاؤُكُمْ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حُلَاؤُكُمْ ، مِنْ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ؛ يَنْبُئُتُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَحَاشَى عَنْهَا ١٥
الْكَبِيرُ . كَأَنكُمْ لَمْ تَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، فِي الرِّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ ؟ أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ بَعِينَتُهُ^(٢) الدُّنْيَا ، وَصَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشُّهُوتُ ، وَأَخْتَارَ الْغَايَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ، وَلَا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ

(١) المسلم : القطر .

(٢) يشير إلى مقتل أخيه المنذر بكرة سنة ١٤ عند غزو يزيد لها ، وإلى مقتل أبيه الزبير

بوادي البياض يد عمرو بن جرموز ، وإلى مقتل ابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن

العوام يوم الباز . (٣) مات قعصا ، إنا أصابعه خربة أو رمية فأت مكاه .

(٤) في والبيان والبيان (ج ٢ ص ٢٩) : « والي » .

(٥) طرفت عنه الدنيا ، أي طمعت بصره إليها وإلى زخرفها وشغلتها عن الأخرى . ٢٥

أَلَحَثَتِ الذِّى لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ ، مِنْ تَرَكَكُمْ هَذِهِ الْمَوَاقِفُ لِلتَّصَوُّبِ ، وَالضَّعِيفَةِ ^(١)
 لِلتَّسْلُوبِ ، فِي النَّهَارِ الْمُبْصَرِ ، وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ . أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَهْأَةً تَمْنَعُ الْغَوَاةَ
 عَنْ دَلَجِ ^(٢) اللَّيْلِ وَغَارَةِ النَّهَارِ ؟ قَرَّبْتُمْ الْقِرَابَةَ ، وَبَاعَدْتُمْ الدِّينَ ، تَمْتَذِرُونَ بَيْنَ
 الْفُتْرِ ، وَتَقْضُونَ عَلَى الْخُفْتَلَسِ ^(٣) . كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَنِيهِ ، صَنِيعَ
 مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا . مَا أَنْتُمْ بِالْخُلَاءِ ، وَلَقَدْ أَتَيْتُمْ الشُّفَاهُ ، فَلَمْ
 يَزَلْ بِكُمْ مَا تَزُونَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ ، حَتَّى أَتَيْتُمْ حُرْمَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَطْرَقُوا
 وَرَاءَكُمْ ^(٤) ، كُنُوسًا فِي مَكَانِ الرِّيبِ ^(٥) . حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى
 أَتُوبَهَا بِالْأَرْضِ هَذِمًا وَإِحْرَاقًا . إِنِّي رَأَيْتُ آخَرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا
 صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِ صَفْتٍ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ؛ وَإِنِّي أَتُسَمُّ بِاللَّهِ لَا أَخَذَنَّ
 ١٠ الْوَلَى بِالْمَوْلَى ، وَالْمَقْبِلُ بِالْمُدْبِرِ ، وَالصَّحِيحُ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولَ : أَنْجَيْتُمْ قَدْ هَلَكَ سُمَيْدٌ ، أَوْ تَسْتَعِينُ لِي قَنَازِكُمْ .
 إِنَّ كَذِبَةَ الْأَمِيرِ ^(٦) بِلِقَاءِ ^(٧) مَشْهُورَةٍ ، فَإِذَا تَطَقَّتْ عَلَى يَكْذِبَةٍ قَدْ حَلَّتْ لَكُمْ
 مَقْصِدِي . مَنْ يُقَبِّ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَائِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فَإِنِّي وَدَلَجِ اللَّيْلِ ،
 فَإِنِّي لَا أُوَدِّنُ بُدْلَجِ إِلَّا سَفَكَتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أَجَلْتُمْ فِي ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا بَأَى الْخَبَرِ
 ١٥ الْكَوْفَةُ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ، وَإِنِّي وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَخَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ ، وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانَا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحَدْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ
 عُقُوبَةٌ ، فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَقْنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ قَتَلَ بَيْنَنَا
 نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكَلَّفُوا عَنِي السَّفَتَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

(١) كَذَا فِي ي وَالْيَان . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الصَّفَّة » . وَفِي سَائِرِهَا : « الْغَرَفُ لِلْمَكُونَةِ » .

(٢) الدَّلَجُ (مَحْرَكَةٌ) : الْبَحِيرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَيَقْضُونَ عَلَى الْمَجْلِسِ » . وَالتَّصَوُّبُ مِنْ سَائِرِ الْأَصُولِ وَالْيَان .

(٤) أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ : اتَّخَذُوا بِكُمْ .

(٥) الْكُنُوسُ : جَمْعُ مَكْنَسٍ ، مَفْعَلٌ مِنَ الْكُنَسِ . وَهُوَ اللَّوْضُ الَّذِي يُؤْوِي إِلَيْهِ وَيُجْتَابُ فِيهِ .

(٦) فِي الْبَيَانِ : « لِلنَّبِيِّ » .

(٧) فِي الْأَصُولِ : « ثَلَاثِي » . وَمَا أَجْتَنَّهُ عَنِ الْبَيَانِ .

أَكْفَ عَنْكُمْ بَدَى وَلِسَانِي ، وَلَا يَظْهَرُونَ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيَّةٌ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ
عَائِدَتُكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِ إِحْسَنَ ، فَجَلْتُ ذَلِكَ دَرَأَ ذَنْبِي
وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ
عَنْ إِسَاءَتِهِ ، إِنِّي لَوَعَلْتُ أَنْ أَحَدَكُمْ تَدْفَعُ قَتْلَهُ الشُّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ
لَهُ قَنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ ^(١) .
فَأَسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَسْتَعِينُوا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبَّ مُبْتَئِسٍ يُقَدِّمُونَا سُلَيْمًا ،
وَسُرُورٍ يُقَدِّمُونَا سَيِّئًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ،
تَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بَقِيَّةَ اللَّهِ الَّذِي حَوَّلَنَا ؛ فَلَنَا
عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيَا أَحِبِّينَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيَا وَلِيِّنَا ، فَأَسْتَوْجِبُوا ^{١٨٤}
عَدْلَنَا وَتَقَبَّلُوا بِمُنَاسَحَتِكُمْ لَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا أَقْصَرَ فَإِنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثَ :
لَسْتُ مُتَحَبِّبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا لَيْلٍ ، وَلَا حَاطَبًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا
عَنْ إِيَّانِهِ ، وَلَا مُجَسِّرًا ^(٣) لَكُمْ بَقِيَّةً . فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَعْتَمِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ
الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَهَفُوكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا
قُلُوبَكُمْ بِبُغْضِهِمْ فَيَسْتَدْلِكُوا أَسْفَكُمْ ، وَيَطُولُ لَهُ حُزْنُكُمْ ^(٤) ، وَلَا تُذَرِّكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ،
مَعَ أَنَّهُ لَوْ اشْتَجَبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ؛ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ .
وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَلْفَدَّ فِيكُمْ أَمْرًا فَأَنْقِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ^(٥) . وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنْ لِي فِيكُمْ
لَصَرْعَى كَثِيرَةٌ ، فَلْيَحْذَرْ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ ، ثُمَّ نَزَلَ .
فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهِمِّ ^(٦) ، قَالَ : أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيتُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « أَنْظُرْهُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « وَأَعِينُوا » .

(٣) كَفَا فِي ي . وَتَجْسِيرُ الْبَيْتِ : جَعْلُهُمْ فِي التَّنَوُّرِ وَحِسْبِهِمْ عَنِ السُّودِ إِلَى أَهْلِهِمْ ، وَمِنْهُ
حَدِيثُ الْمَرْزَبَانِ : إِنْ كَسَرَى جَرِيثٌ فُلُوسًا . وَالتَّقَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ :
« وَلَا تَخْذَأْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) كَفَا فِي ي وَالْبَيَانِ . وَالتَّقَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « حَرِّبْكُمْ » .

(٥) عَلَى أَذْلَالِهِ ، أَيْ عَلَى وَجْهِهِ وَطَرَفِهِ . وَأَذْلَالُ جَمْعُ ذَلٍّ (بِالْكَسْرِ) ، وَذَلُّ الطَّرِيقِ :
مَاسِدُهُ مِنْهُ وَذَلَالٌ . (٦) فِي الْأَمَالِي (ج ٣ ص ١٨٠) : « سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَهِمِّ » .

الحكمة وقُتل الخطاب . فقال له كذبت ، ذاك داودُ صلى الله عليه وسلم . فقام
الأحنف بن قيس ، فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحدُ بعد التطاء ، وإنّا لن
نُثني حتى تبتلى . قال له زياد : صدقت . فقام أبو بلال ، وهو يهتمس ، ويقول :
أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلت ، قال الله تعالى : (وإبراهيمَ الذي وفى . ألا تزرُ
وازره وزرَ أخرى . وأنّ ليس للإنسان إلا ما سعى) . [وأنت تزعم أنك تأخذ
الصحيح بالسقيم ، والطيب بالمعاصي ، والقبل بالمدر] . فسَمِعَهَا زياد ، فقال : إنا
لا نبلغ ما نريدُ فيك وفي أصحابك حتى نَخوضَ إليكم الباطلَ خَوْضًا .

وعظبة لزياد :

أستوصوا بثلاث منكم خيرًا : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني شيخٌ
يحدثُ استخفَّ به إلا أوجمته ، ولا يأتيني عالمٌ يجهلُ استخفَّ به إلا تكَلَّفتُ
به ، ولا يأتيني شريفٌ يرضعُ استخفَّ به إلا ضربته .

وعظبة لزياد :

خطب زياد على المنبر فقال : أيها الناس ، لا يجمعكم سوء ما تعملون هنا
أن تنقصوا بأحسن ما تستمعون منا ، فإن الشاعر يقول :
أعمل بقولِي وإن قصرتُ في عملي ينفمك قولي ولا يضركُ تقصيري

وعظبة لزياد :

التي قال : لما شهدتُ الشهود زياد ، قام في أعقابهم فحميد الله وأثنى
عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهدْ أوله ، ولا علم لي بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين
ما بلسكم ، وشهدتُ الشهود بما سمعتم . فالحمد لله الذي رفعَ منا ما وضع الناس ،
وحفظَ منا ما ضيعوا . فأما عبيد ، فأما هو والد^(١) مبرور ، أو كافل^(٢) مشكور .

(١) في الأصول : « عبيد الله فأما هو والد » . والصواب ما أثبتنا . فقد ولد زياد على

فراش عبيد ، مولى حليف ، فكان يقال له زياد بن عبيد ، ثم استلحقه مساوية .

(٢) كذا في بعض الأصول والأمال (ج ٣ ص ١٨٥) . والتي في سائر الأصول :

« ربيب » .

خطبة لجامع المحاربى :

— وكان شيخنا صالحا خطيبا لسانا^(١)، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بَنَيْتَهَا فِي غَيْرِ بِلَدِكَ ، وَأَوْرَثْتَهَا غَيْرَ وَلَدِكَ —

- شَكَاَ الْحَجَّاجُ سُوءَ طَاعَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَتَمَمَ^(٢) مَذْهَبَهُمْ ، وَنَسَخَ طَرِيقَهُمْ ، فَقَالَ جَامِعٌ : أَمَّا إِنَّهُمْ لَوَاحِثُوكَ لِأَطَاعُوكَ ، عَلَى أَنَّهُمْ مَا شَتَّوْكَ لِنَسَبِكَ ، وَلَا لِبِلَدِكَ ، وَلَا لِنَاثِ نَفْسِكَ ؛ فَدَعَّ عَنْكَ مَا يُبْغِضُكَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ، وَأَتَمَسَ الْعَاقِبَةَ مِنْ دُونِكَ تَمَطُّهَا مِنْ قَوْلِكَ ، وَلِيَكُنْ إِيْقَاعُكَ بِعَدُوِّكَ ، وَوَعِيدُكَ بِعَدُوِّكَ . قَالَ الْحَجَّاجُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ أُزْدَ بَنَى الْكَيْسِيَّةَ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسِّيفِ . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ السِّيفُ إِذَا لَاقَى السِّيفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : الْخِيَارُ يَوْمُئِذٍ . قَالَ : أَجَلٌ ، وَلَكِنْ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَعْطُهُ اللَّهُ . وَغَضِبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ^(٣) ! إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فَقَالَ جَامِعٌ :
- وَالْحَرْبُ سَيِّئًا وَكُنَّا مُحَارِبِينَ إِذَا مَا الْقِتْلَانِ أَمْسَى مِنَ الطُّغَمَانِ أَسْمَرَ
- وَالْبَيْتَ الْخُضْرَى^(٤) — قَالَ الْحَجَّاجُ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْطَعَ لِسَانَكَ فَأُضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ . قَالَ جَامِعٌ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغَضِبْنَاكَ ، وَإِنْ فَشَلْنَاكَ أَغَضِبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبَ الْأَمِيرُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلٌ . وَشَغَلَ الْحَجَّاجَ بَعْضُ الْأَسْرِ ، فَأَنْسَلَ جَامِعٌ ، فَرَبَعَ بَيْنَ صُفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ حَتَّى جَاوَزَهُمْ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ — وَكَانَ الْحَجَّاجُ لَا يَخْطُلُهُمْ — فَأَبْصَرَ كَيْسِيَّةً فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ وَقَيْسَ الْعِرَاقِ وَتَمِيمَ الْعِرَاقِ وَأَزْدَ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأُوا إِلَيْهِ وَبَلَغَهُمْ

(١) كُنَّا فِي الْبَيَانِ (ج ٢ ص ٦٨) . وَاقَى فِي الْأَصُولِ هُنَا وَفِيهَا مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ (ص ١٧٩) : « لَبِيَّا » .

(٢) كُنَّا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَتَمَمَ : كَرَّمَ . وَاقَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَقَمَ » . وَاقَى فِي الْبَيَانِ : « تَمَمَ » .

(٣) مِنْ : كَلِمَةٌ يَكْنَى بِهَا عَنْ اسْمِ الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ تَرَادَّدَ الْأَلْفُ وَالْهَاءُ فِي آخِرِهَا عِنْدَ التَّنَادُّهِ خُصَّةً ، وَتَصْبِيحُ هَذِهِ الْهَاءِ تَاءً فِي الْوَسْلِ .

(٤) فِي الْأَصُولِ : « الْخُضْرَى » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْبَيَانِ .

خُرُوجُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ دَافِعَ اللَّهُ لَنَا عَنْ نَفْسِكَ . فَقَالَ : وَيَحْكُمُ أَعْمُوهُ بِالْخُلُوعِ كَمَا يُحْكُمُ بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعَا التَّمَادِي ^(١) مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا ظَنَرْتُمْ تَرَا جَعْتُمْ وَتَمَادَيْتُمْ . أَيُّهَا التَّجَمُّعِيُّ ، هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الْأَزْدِيِّ ، وَأَيُّهَا الْقَيْسِيُّ ، هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ التَّنْظَلِيِّ ، وَلَيْسَ يَنْظُرُ بَعْنَ نَاوَأَهُ مِنْكُمْ إِلَّا بَعْنَ بَقِيٍّ مَعَهُ . وَهَرَبَ جَامِعٌ مِنْ قُوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَجَارَ بَرْقُرْبَنَ الْحَارِثِ .

خطبة للحجاج بن يوسف :

خَطَبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَرِنِي النَّفِيَّ عَنِّيَا فَاجْتَنِبْهُ ، وَأَرِنِي الْمُهْدَى هُدًى فَأَتَّبِعْهُ ، وَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي فَاضِلٌ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِي بِمَا مَتَى هَذِهِ ، وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبَهُ بِمَا مَضَى مِنَ اللَّاءِ بِالْمَاءِ .

١٠ وخطبة للحجاج :

قَالَ الْحَكِيمُ بْنُ عَدِيِّ : خَرَجَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ يَوْمًا مِنَ الْقَصْرِ بِالسُّكُوفَةِ ، فَسَمِعَ تَكْبِيرًا فِي الشُّوْقِ ، فَرَاغَهُ ذَلِكَ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الرَّاقِ ، يَا أَهْلَ التَّقَاتِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، وَبَنِي الْحَكِيمَةِ ، وَبَعِيدِ الْعَصَا ، وَأَوْلَادِ الْإِمَاءِ ، وَالْقَفْعِ ^(٢) بِالْقَرْقَرَةِ ، إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَا يُرَادُ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ ابْنُ بَرَّاقٍ الْهَمْدَانِيُّ :
وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْنُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالْهَمْدَانِ ظَالِمٌ
مَتَى تَجَمُّعَ الْقُلُوبِ الدَّكِيُّ وَصَارَمًا وَأَنفَا سَحِيمًا تَجَتَّنَبُكَ لِلظَّالِمِ
أَمَا وَاللَّهِ لَا تُقْرَعُ عَصَا بِعَصَا إِلَّا جِطَّتْهَا كَأَنَّهَا مَسَّ الدَّابِرَ .

خطبة للحجاج بعد دبر الجماجم ^(٣) :

خَطَبَ أَهْلَ الرَّاقِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الرَّاقِ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبَطَنَكُمْ فَخَالَطَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « النَّعَالِ » .

(٢) النِّقْمُ : السَّكَاةُ الْبَيْضَاءُ الرَّخْوَةُ . وَالْقَرْقَرُ : الْأَرْضُ لِلتَّنْفِضَةِ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ أَذَلُّ مِنَ هَذِهِ السَّكَاةِ فِي الْأَرْضِ لِلتَّنْفِضَةِ لَا تَخْتَمُ عَلَى مَنْ اجْتَنَمَا .

(٣) وَهِيَ دُبُرُ الْجَمَاجِمِ : كَانَتْ بَيْنَ الْحَجَّاجِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْأَشْثَمِ قَرِبَ السُّكُوفَةِ سَنَةَ ٨٣ هـ وَفِيهَا هَزَمَ ابْنُ الْأَشْثَمِ .

الحم والدِّم والعصب والسماع والأطراف والأعضاء والشَّناف، ثم أفضى إلى
الخلنج والصبائح^(١)، ثم ارتفع قَمَشٌ، ثم باض وقرّخ، فشاكم شفاطاً ونفاطاً،
وأشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤامراً تستشيرونه.

- وكيف تنفعكم تجربة، أو تبطئكم وقفة، أو يحجزكم إسلام، أو يردكم إيمان!
ألسن أصحابي بالأهواز^(٢)، حيث رُمتم للكر، وسقيتم بالقدر، واستجتم للكفر،
وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا،
وتهمزون سراعا؛ ثم يوم الزاوية^(٣)، وما يوم الزاوية! بها كان فشلكم وتنازعكم
وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونكوص وليه عنكم؛ إذ واثمت كالإبل
الشوارد إلى أوطانها، التوازع إلى أعطائها، لا يسأل للرء منكم عن أخيه،
ولا يلوى الشيخ على بنيه، حتى عصمكم السلاح، وقصمكم الزماح؛ ثم يوم دبر
الجام، وما دبر الجام! بها كانت المارك واللامح، بضرب يزيل الهام عن
مقيطه^(٤)، ويذهل الضليل عن خيله. ي أهل العراق، والكفّرات بعد الفجّرات،
والفدّرات بعد الصفّرات، والنزوات بعد النزوات، إن يشتكم إلى شئوركم فقامت
وختمت، وإن أمّنتم أرجمتم، وإن خفتم نأقتم، لا تذكروا حسنة^(٥)، ولا
تشكرون نعمة. ي أهل العراق، هل استعظكم ناكث، أو استفواكم غاو،
أو استفزكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استمضدكم خالغ، إلا وثقتموه وأوثقتموه
وعزّرتموه ونصرتموه ورَضِيتموه؟ ي أهل العراق، هل شغب شاغب، أو نعب
ناعب، أو تقق ناعق، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ ي أهل العراق،
ألم تهكم للواعظ، ألم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: ي أهل الشام،

١٨٦
٧

(١) الخلنج: جمع منخ. والصبائح: جمع صباخ، وهو من الأذن، الحرق الباطن الذي
يفضي إلى الرأس. وفي بعض الأصول: «الأعناخ والأصباخ». وما جمان
غير واردين. (٢) يشير إلى وقعة تش.
(٣) الزاوية: موضع بالبحيرة كانت به الوقعة بين الحليج وعبد الرحمن بن الأشعث.
(٤) مقيطه: أي موضعه. يريد الأعناق.
(٥) في بعض الأصول: «خشية».

إنما أنا لكم كالظلم^(١) القاب عن قواحه ، ينفى عنها التدبر ، ويباعد عنها الحرج ، ويكتفها عن الطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب . يأهل الشام ، أتم الجنة^(٢) والرداء ، وأتم الشدة والحذاء^(٣) .

وعظبة للحجاج :

- ٥ قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة جلست قريباً من النهر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : أسرو حساب نفسي ، أسرو واقب ربه ، أسرو زور^(٤) عمله ، أسرو فسكر فيا يقرؤه غذا في صحيفته ، ويراه في ميزانه ، أسرو كان عند حمة ذا كرا^(٥) ، وعند هواه زاجراً ، أسرو أخذ بينان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . [إننا والله ما خلقنا ١٠ للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما نفتقل من دار إلى دار]^(٦) .

خطبة للحجاج بالبصرة :

اتقوا الله ما أستطعتم ، فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : وأتبعوا وأطيعوا ، فهذه لعبد الله وخليفة الله وخبيب الله عبد الملك بن مروان . والله لو أمرتُ الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره^(٧) لكانت دماؤهم لي

- ١٥ (١) الظلم : ذكر التمام .
(٢) في بعض الأصول : « الجنة » .
(٣) انظر البيان (ج ٢ ص ١١٧) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٤٥) ومروج الذهب (ج ٢ ص ١٣٥) . وترجم نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١ ص ١١٤) قين النصوص خلاف .
(٤) زور محله : حسنة .
٢٠ (٥) كذا في البيان (ج ٢ ص ٨٨) . والقي في الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) : « آسرا » .
(٦) التكلفة عن بعض الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) والبيان (ج ٢ ص ٨٨) وابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٥٠) .
٢٥ (٧) في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٤٣) : « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا التميم فدخلوا غيره » .

حلالاً من الله ، ولو قُتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً . عذري ^(١) من هذه الخسارة ^(٢) ، يرثي أحدهم بالهجرة إلى السماء ويقول : يكونُ إلى أن يقع هذا خير ^(٣) . والله لأجسلهم كأسئ الناس . عذري من [عبد] هذيل ^(٤) ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب ^(٥) ، والله لو أدر كُتبت لقتلته .

خطبة للمعراج بالبصرة :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَفَانَا تَشْوَةَ الدُّنْيَا ، وَأَمَرَنَا بِطَلَبِ الآخِرَةِ ، [فليت الله كفانا مؤونة الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا] . ما لي أرى علماءكم يُدهنون ، وجمالكُم لا يتعلمون ، وشراركم لا يتوبون ! ما لي أراكم تَحْرِصُونَ عَلَى مَا كُنْتُمْ تَنْصِفُونَ مَا بِهِ أَسْرَتُمْ ! إِنَّ الْعِلْمَ يُوشِكُ أَنْ يَرْفَعَ ، وَرَفْعُهُ ذَهَابُ الْعِلْمِ . أَلَا وَإِنِّي أَعْلَمُ بِشِرَارِكُم مِّنَ الْبَيْطَارِ بِالْفَرَسِ : الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا هُجْرًا ^(٦) ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُزْبًا ^(٧) . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، بِأَكْلِ مِنْهَا الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ . أَلَا وَإِنَّ الآخِرَةَ أَجَلٌ مُّسْتَأْخِرٌ ، يَتَحَكَّمُ فِيهِ مَلَكٌ قَادِرٌ . أَلَا فَأَعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ، وَأَعْمَلُوا أَنْتُمْ مَلَاقِهِمْ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَائِرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَذَائِرِهِ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ مَن يَمَلُ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَمَلُ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِسْكَ .

(١) العذير : التمسير ، وما يروم الرجل وما يحاول مما يندرج عليه إذا فاته .

(٢) الخسارة : المصير ، ليباضهم . وقد نزل قوم منهم البصرة .

(٣) في سروج الذهب : « ياتي أحدهم الحبيب إلى الأرض ويقول إلى أن يبلغها يكون ٢٠ فرج الله » .

(٤) يريد ببند هذيل عبد الله بن مسعود . (انظر السروج) .

(٥) كذا في بعض الأصول ولزوج . والذي في سائر الأصول : « ما هو إلا رحم الأعراب » مكان « يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب » . وفيها تحريف ظاهر .

(٦) الحجير : الترك والإغفال . يريد أنهم يتكلمون القرآن ويعرضون عنه .

(٧) دُزْبًا ، أي في آخر وقتها .

خطبة للحجاج :

حَظِبُ الْحَجَّاجِ أَهْلَ الرِّقَاقِ نَقَالَ : يَا أَهْلَ الرِّقَاقِ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ لَكُمْ دَوَاءَ
أَدْوَى ^(١) لَدَائِكُمْ مِنْ هَذِهِ لِلْفَازِي وَالْبُعُوثِ ، لَوْلَا طِيبُ كَيْلَةِ الْإِيَابِ ، وَفَرْحَةُ
الْقَفْلِ ، فَإِنَّهَا تُغَيِّبُ رَاحَةَ ؛ وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْقَرْحَ عِنْدَكُمْ وَلَا الزَّوْاحَةَ
بِكُمْ . وَمَا أَرَأَيْكُمْ إِلَّا كَارِهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُؤَيِّتُكُمْ أَكْرَهَ . وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ
مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ مَا حَمَلْتُ نَفْسِي مُقَاسَاةً لَكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى
النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ حُسْنَ التَّوَنِّ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة للحجاج مبعوثاً من أراء الحج :

يَا أَهْلَ الرِّقَاقِ ، إِنِّي أَرَدْتُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَبِي مُحَمَّدًا ،
وَمَا كُنْتُ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَأَوْصَيْتُهُ بِكُمْ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الْأَنْصَارِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْصَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنٍ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَأَنَا
أَوْصَيْتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنٍ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَاتِلُونَ
بَعْدِي مَقَالَةً لَا يَتَنَعَّمُ مِنْ إِنْطَارِهَا إِلَّا خَوْفِي ، تَقُولُونَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةَ .
وَإِنِّي أَجْعَلُ لَكُمْ الْجَوَابَ : فَلَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ . ١٨٧
٧

خطبة للحجاج : ١٥

قَالَ : خَرَجَ الْحَجَّاجُ بِرِيدِ الرِّقَاقِ وَالتَّيَا عَلَيْهَا فِي أَتْنِي عَشَرَ رَاكِبًا عَلَى
النَّجَابِ ، حَتَّى دَخَلَ السَّكُوفَةَ حِينَ أَتَتْشَرَّ النَّهَارِ ، وَقَدْ كَانَ يَشْرَبُ مِنْ سَرَّوَانٍ
بَعَثَ الْمُهَلَّبَ إِلَى الْخُرُودِيَّةِ ، فَبَدَأَ الْحَجَّاجُ بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ ، ثُمَّ صَدِدَ الْمَيْتَرُ وَهُوَ
مُتَّكِمٌ بِمَهَامَةِ حِمْرَاءَ ، فَقَالَ : عَلَى النَّاسِ ، فَحَسَبَوْهُ وَأَصْحَابَهُ خَوَارِجَ ، فَهَتَّوْا بِهِ ،
حَتَّى إِذَا أَجْتَمَعَ النَّاسُ فِي لِلْمَسْجِدِ قَامَ ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) أَدْوَى ، أَيِ أَمَلِكِ وَأَضْلَعِ .

أَنَا ابْنُ جَلَّاءٍ وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَنَى أَصْعَ الْعِيَامَةِ تَعْرِفُونِي^(١)
 صَلِيبُ الْهُودِ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحِ^(٢) كَنَفُ السَّيْفِ وَصَاحُ الْجَلِيلِينَ
 وَمَاذَا يَتَنَفَّى^(٣) الشَّرَاهُ مَنَى وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو حَمْسِينَ مُجْتَمَعُ أَشْدَى وَتَجَذَّنِي^(٤) مُدَاوِرَةُ الشُّثُونِ
 وَإِنِّي لَا يَتَوَدُّ إِلَى فِرْنِي غَدَاةَ الصَّبِّ إِلَّا فِي قَرِينِ^(٥) ■
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْلَى الشَّرِّ بِحُكْمِهِ ، وَأَحْذَوْهُ بِنَفْسِهِ ، وَأَجْزِيَهُ بِمَثَلِهِ ، وَإِنِّي
 لَأَرَى رَدْمًا قَدْ أَبْنَعْتَ وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ [إِلَى]
 الدَّمَاءِ بَيْنَ الْعَاهِمِ وَالْحَيِّ تَذَرُّقُ : * قَدْ شَرَّعْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرِي *
 [ثُمَّ قَالَ] :

هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ^(٦) فَأَشْتَدُّ زَيْمِ^(٧) قَدْ لَقِهَا الْفِيلُ بِسَوَاقِ حُطَمِ^(٨)
 لَيْسَ بِرَايِئٍ لِإِبِلٍ وَلَا غَنَمِ وَلَا بِمُجْزِرٍ عَلَى ظَهَرٍ وَصَمِ^(٩)

(١) هذه الأبيات لسم بن زبيل الراسي . (انظر الأغانى ج ١٢ ص ١٤ طبعة
 بلاق) . وابن جلا : الصبح ، وهو الأسر الظاهر المتكشف .
 (٢) في بعض الأصول : « تزلر » . ورواية هذا الشعر في الأغانى :

■ إلى ابن النضر من سلفي رياح *
 (٣) في لسان العرب (مادة تجذ) : « يدري » . ويدري : يفتل .
 (٤) كفا في اللسان (مادة تجذ) . وللتجذ من الرجال : الذي جرب الأمور وعرفها
 وأحكمها . ومداورة الشئون : مداولة الأمور ومعالجتها . والقي في الأصول :
 « وتجنذني » . والقي في الأغانى : « وتعدوني » .

(٥) في الأصول : « غداة ألب إلا أى حين » . وما أجهته عن الأغانى . والصبي :
 من ميا الجيش ، إذا رتبته في مواضع وحياء الحرب . وفي قرين ، أى مع قرين .
 (٦) كفا في الأغانى . والشدد : العدو . والقي في الأصول : « الحرب » .
 (٧) زيم : اسم فرس أو ناقة .

(٨) الحطم : الراسي الظالم للماشية . وهذا الشعر لرويش بن رميش النبري يقول
 في الحطم ، وهو شرح بن نسيمة ، وكان شريح غزا اليمن في جوع جمعها من
 ربيعة ففتم وسي ، بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدي بن
 معد يكرب ، عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مفازة ، فقتل بهم دليهم
 ثم حرب منهم ، ومات فرعان في أيديهم عطفاً ، وهلك منهم ناس كثير بالمطش ،
 وجبل الحطم يسوق بأصحابه سونا عتفا حتى نجا من بقى معه ، فقال رويش هذا
 الشعر . فلقب شرح الحطم بقول رويش فيه : « يسوق حطم » . (انظر الأغانى
 ج ١٤ ص ٤٥ ، ٤٦ طبعة بلاق) . (٩) الرضم : كل ما قطع عليه اللحم .

[ثم قال :

قد لَمَّها الليلُ بعَصَلِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى^(١)

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَافِي^(٢)

قَدْ شَقَرْتُ عَنْ سَاقِهَا قَشْدُوا مَا عَلَّقَى وَأَنَا شَيْخٌ إِذْ^(٣)

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَزَرْعُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدَّ^(٤)

إِنِّي وَاللَّهِ يَا هُلَ الْبِرَاقِ ، وَمَتَدِنُ الشَّقَاقِ وَالْفَنَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ،
لَا يُفْتَمِزُ جَانِبِي كَتِفَازِ التَّيْنِ ، وَلَا يَقْتَفِعُ لِي بِالشُّنَانِ^(٥) ، وَلَقَدْ فَرَزْتُ عَنْ
ذَكَ^(٦) ، وَفُتِّتْ عَنْ تَجَرِبَةٍ ، وَأُجْرِيَتْ إِلَى الْغَايَةِ [الْقَصْوَى] ، وَإِنِّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَرَ كِفَاتَهُ [بَيْنَ يَدَيْهِ] ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا ، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عَوْدًا ،
وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا ، فَوَجَّعَنِي إِلَيْكُمْ ، وَزَمَاكَ لِي ، فَإِنَّهُ قَدْ طَلَمَّا أَوْضَعْتُمْ^(٧) فِي
الْفَتَنِ ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ النَّبِيِّ ، وَابْتِغَايَ لِحُلُوفِكُمْ لِحَوِّ الْمَصَا ، وَلَا قَرْعَ غَضَبِكُمْ قَرْعَ
لِلرَّوَةِ^(٨) ، وَلَا غَضَبِيكُمْ غَضَبَ السَّلَهِ^(٩) ، وَلَا ضَرْبِيكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ .
أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَعْدِلُ إِلَّا وَقَفْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ^(١٠) . وَإِلَايَ وَهَذِهِ [الشَّعَاءُ]
وَالزُّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ ، وَقَالَآ وَقِيلَا ، وَمَا يَقُولُونَ ، وَفِيمَ أَتَمُّ [وَذَاكَ] ؛ وَاللَّهِ
لَتَسْتَعْتِمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدْعُنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ، مِمَّنْ

(١) المصلي : الشديد القوي . والأروع : الذكي ، أو من يسببك بשיبائه . والهووى :

جمع دوىة ، وهي القفلة الواصلة ، ويريد بها الشفاعة .

(٢) يريد أنه ترك البؤلول للذن ، فأفاد خيرة وحكمة لم يقدمها الأعراف في بداوته .

(٣) إذ : داهية . (٤) عرد : شديد .

(٥) القصة : تحريك المصلي الياس الصلب مع صوت ، مثل السلاح وغيره ، والشنان .

جمع شن (بالفتح) ، وهو القفرة البالية . ولم يحركونها إذا أرادوا حبس الإبل

على السير لتفزع فتسرع . وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له .

(٦) فر الغاية : السكف من أسناتها ليعرف مجراها . يقول : إنه أخير من ذكاء .

(٧) الإيضاع : الإسراع .

(٨) الروة : واحدة الرو ، وهي ججارة يمشى برافة تورى النار .

(٩) السلة : شبر كثير الفوك . والأشجار تصيب أغصانها ثم تحيط بالشيء ليقوط

الورق ويهتج العيون . (١٠) أخلق : أفكر . وألرى : أطلع .

وجدته بعد ثلاثة من بَثَّ المَهْلَبُ سَفَكَتُ دَمَهُ ، وَأَتَهَيْتُ مَالَهُ ، وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ ،
فَشَقَّرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَهْلَبِ . فَلَمَّا رَأَى لَأْلَبَ ذَلِكَ قَالَ : لَقَدْ وَلى الرِّاقِ
خَيْرٌ ذَكَرُ^(١) .

خطبة الجماجم لما مات عبد الملك :

- قام خُطيبًا فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
نَحَى نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .
وَقَالَ : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَتُغْلِبُتُمُ
عَلَى أَغْيَابِكُمْ) . فَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ التَّخْلُفَاءُ الرَّاشِدُونَ
الْمُؤَدِّونَ الْهَدْيُونَ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُمَانُ الشَّهِيدُ الْمَظْلُومُ ، ثُمَّ تَبِعَهُمُ
مُؤَاوِيَةُ ، ثُمَّ وَلِيكَمُ الْبَازِلُ^(٢) الَّذِي كَرَّ ، الَّذِي جَرَّبَتْهُ الْأُمُورُ ، وَأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ،
مَعَ الْفَقْهِ ، وَقَرَأَهُ الْقُرْآنَ ، وَلِلرَّوَدَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَاللَّيْنِ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، وَالْوُطْدِ لِأَهْلِ
الزَّيْغِ ، فَكَانَ رَاسِمًا مِنَ الْوَلَاةِ الْمُهْدِيَّةِ الرَّاشِدِينَ ، فَأَخْتَارَ اللهُ لَهُ مِمَّا عِنْدَهُ ،
وَأَلْفَحَهُ بِهِمْ ، وَهَدَى إِلَى شِبْهِهِ فِي الْمَقْلِ وَالرَّوَدَةِ وَالْحَزْمِ وَالْجَلَدِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللهِ
وِخْلَافَتِهِ ، فَأَصْحَمُوا لَهُ وَأَطَاعُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ . وَإِنَّا كُمْ وَالزَّيْغُ ، فَإِنَّ الزَّيْغَ لَا يَحْبِقُ
إِلَّا بِأَهْلِهِ . وَرَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ، وَصَرَفْتُ خِلَافَكُمْ ، وَقَبِلْتُكُمْ^(٣) عَلَى مَعْرِفَتِي بِكُمْ ،
وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْكُمْ مِنِّي أَوْ أَعْرَفَ بِكُمْ مَا وَلَيْتُكُمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ وَإِنَّا كُمْ ،
مِنْ تَكَلُّمٍ قَتَلْتَهُ ، وَمِنْ سَكَتٍ مَاتَ بِدَائِهِ غَمًّا ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة الجماجم لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد :

أَيُّهَا النَّاسُ ، مُحَمَّدَانِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّهُمَا مَعِي فِي

(١) انظر الكامل (١ : ١٨١) والبيان والتبيين (٢ : ١٦٤) وصحيح الأعمش .
(٢ : ٢١٨) وعبود الأخبار (٢ : ٢٤٤) ورسود الذهب (٢ : ١٣٢)
فيمن التمسوا خلاف .

(٢) البازل : البير انتق فاه ، وذلك في السنة التاسعة . وبه يشبه الرجل الكامل
علا وتحريرة . يريد به عبد الملك (٣) في بني الأصول : « ولييك » .

الدنيا، مع ما أرجو لها من ثواب الله في الآخرة، وإيم الله، لئوشكن الباقي منا ومنكم أن يفتي، والجديد منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت، وأن تدال الأرض منا كأدلتنا منها، فتأكل من لحومنا، وتشرب من دماننا، كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها، ثم يكون كما قال الله: (ونفس في الصور فإذا هم من الأحداث إلى ربهم ينسلون). ثم تمثل بهذين البيتين:

عزائي نبي الله من كل ميت وحسي ثواب الله من كل هالك
إذا ماتت الله عني راحتي فإن سرور النفس فيا هنالك
خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة، فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظر، والرب لا يعذر. فأمر به إلى الحبس. فأتاه أكل الرجل وقالوا: إنه يجنون، فقال: إن أقر على نفسه بما ذكرتم خلعت سبيله. فقال الرجل: لا والله، لا أذم أنه ابتلاني وقد عافاني.

خطبة للحجاج:

ذكروا أن الحجاج ترص فقرح أهل العراق، وقالوا: مات الحجاج. فلما بلغه، تحامل حتى صعد المنبر فقال: يا أهل الشقاق والنفاق، نفخ إبليس في مناخركم فتلثم: مات الحجاج، مات الحجاج. فته، والله ما أحب ألا أموت، وما أرجو العير كله إلا بمداومت، وما رأيت الله عز وجل كتب الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه، إبليس. ولقد رأيت التبد الصالح سأل ربه وقال: (رب أغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بقدي إنك أنت الوهاب). فقل، ثم أتمهل كأن لم يكن^(١).

(١) انظر شرح البيون (ص ١٢٧) وشرح ابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٠١) وعبود الأخبار (ج ٢ ص ٢٤٤). فين التمس خلاف.

خطبة للحجاج :

خطب فقال في خطبته : سَوَّلَى سَتْفَى ، وَنَجَّاهُ فِي عُنُقَى ، وَثَأْنُهُ فِي بَدَى ،
وَدُّبَاهُ تِلَادَةً لِمَنْ أَغْتَرَى . فقال الحسن : يُوسَى هَذَا ، مَا آخِرُهُ يَا اللَّهُ !
وحلف رجل بالطلاق : إِنْ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ آتَى زَوْجَتَهُ ، فَهَنَمْتُ نَفْسَهَا ،
فَأَتَى ابْنَ شُرَيْمَةَ يَدْفَعْتِيهِ ، فقال : يَا ابْنَ أَخِي ، أَمْضِ فَسَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ
الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ تَزُورَنِي .
هَذَا مَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا مِنَ الْخُطْبِ لِلْحَجَّاجِ ، وَمَا بَقِيَ مِنْهَا فَهُوَ مُسْتَقْصَاةٌ
فِي كِتَابِ الْيَتِيمَةِ الثَّانِيَةِ ، حَيْثُ ذَكَرْتُ أَخْبَارَ زِيَادِ وَالْحَجَّاجِ ، وَإِنَّمَا مَذْهَبُنَا فِي
كِتَابِنَا هَذَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ ، وَنَحْذِفَ الْكَثِيرَ الَّذِي يُجْتَرَأُ
مِنْهُ بِالْقَلِيلِ .

١٠

خطبة لظاهر بن الحسين :

لَمَّا أُنْتُخِبَ مَدِينَةُ السَّلَامِ صَيْدُ الْمُنْبَرِ ، وَأُحْضِرَ جَعَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالتَّوَادُ
وغيرهم فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ يُوقِي الْمُلُوكَ مِنْ إِشَاءِ ، وَيَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ
إِشَاءِ ، وَيُعِزُّ مِنْ إِشَاءِ ، وَيُذِلُّ مِنْ إِشَاءِ ، وَلَا يُصْلِحُ حَمَلُ الْفُوسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَائِنِينَ . إِنْ ظَهَرَ غَلْبَتُنَا لَمْ يَكُنْ عَنْ أَيْدِنَا^(١) وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ
اللَّهُ الْخِلَافَةَ ، إِذْ جَعَلَهَا عَمُودًا لِدِينِهِ وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، مَنْ يَسْتَقِلَّ بِأَعْيَانِهَا ،
يَضْطَلِعُ بِمَحْمَلِهَا .

١٥
١٢٩
٧

خطبة لعبد الله بن مظهر :

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج^(٢) ، فقال : إِنَّكُمْ فِتْنَةُ اللَّهِ
لِلجَاهِدُونَ عَنْ حَقِّهِ ، الْقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ ، الْقَاتِلُونَ عَنْ تَحَارِمِهِ ، التَّاعُونَ إِلَى

٢٠

(١) فِي بَنِي الْأَسْوَلِ : « أَيْدِنَا » .

(٢) لِلرُّزُوفِ أَنْ الَّذِي قَتَلَ حَرْبَ الْخَوَارِجِ هُوَ ظَاهِرُ بَنِي الْحُسَيْنِ أَيْمَنُ الْأَمُونِ ،
ثُمَّ تَوَلَّاهَا بِنْدَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَيْشَابُورِيِّ . وَانْتَهَتْ الْحَرْبُ بِمَوْتِ حِزَّةِ الْخَارِجِيِّ .
(انظر الفرق بين الفرق) .

ما أسره به ، من الاعتصام بحبّه ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فأستجروا موعد الله ونصروه بمجاهدة عدوه وأهل مصلحته ، الذين أشيروا وتبرّءوا ، وشقوا المصا ، وفارقوا الجماعة ، وصرفوا من الدين ، وسفّوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ، فليكن السّبر ممقّلكم الذي إليه تلجئون ، وعُدّتكم التي بها تستظفرون ؛ فإنه الوَزَرُ للنبي ، الذي ذلكم الله عليه ، واللجنة الحليفة التي أسركم الله بلباسها . غَضُّوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والأستمان به ، كما أسركم الله ، فإنه يقول : (إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . أيدكم الله ١٠ بمنزلة السّبر ، ووليكم بالحياطة والتصر .

خطبة فضيلة بن مسلم :

قام محمّد بن عثمان حين خلق سليمان بن عبد الملك ^(١) ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أتدرون من ثيابيون ؟ إنما ثيابيون يزيد بن ثروان — يعني هبة القيس ^(٢) — كما فيكم ، وحكم جائر قد أتاكم يحكمكم في أموالكم ١٥ ودمائكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ! لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يجمع فرخ الخريز ^(٣) من منابت الشّيح والقيصوم ^(٤)

(١) وذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ولي بعده ويخلع سليمان ، ودس إلى الثّواد والشعراء بذلك ، فبايحه على خلق سليمان الحبلاج وفتية . (انظر الطبري) .

(٢) هو يزيد بن ثروان ، هبة ذو الودعات ، ويكنى أبا نافع ، أحد بني يرس من ثلبة . وكان يضرب به الثّل في الخلق فيقال أحق من هبة . وكان سليمان يعلّي الأغنياء ويحرم الفقراء . وإذا سئل من ذلك قال : أصلي ما أصلي الله وأفسد ما أفسد الله . وما أشبهه في هذا بهبة حين كان يحسن إلى النّاس من إله ، ويهلل للهازل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأمين ما أماته . وهنا ما أراد فتية أن يهلك : « إنما ثيابيون... الخ » . (انظر النجاشي ١ : ١٤٦ والبيان ١ : ٢٢٦)

(٣) الخريز (بجم) : نبت كالسم ينقى على آكله .

(٤) الشّيح والقيصوم : من نبات السهل .

والنفل^(١)، يَرْكَبُونَ الْبَقَرَ وَيَأْكُلُونَ الْهَيْدَ^(٢). فحطّهم على الخليل، وألبسهم السلاح، حتى سَمِعَ اللهُ بهم البلاد، وجبى بهم النى^(٣). قالوا: مرّنا بأمرك. قال: غُرّوا غيرى^(٤).

وعُظِمَ لِقَيْمِ بْنِ مَسْلَمٍ:

- يَا أَهْلَ الرِّاقِ، أَلَسْتُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُمْ. أَنَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَنَمُ^٥ .
السَّدَقَةُ؟ وَأَنَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، فِعْلَجَةٌ^(٦) بَطْرَاءُ لَا تَمْنَعُ^(٧)
رَجُلَيْهَا؛ وَأَنَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ عَبْدِ الْقَبَسِ، فَأَضْرَبَ التَّيْرَ بِذَنْبِهِ^(٨)؛ وَأَنَا هَذَا الْحَيُّ
مِنَ الْأَزْدِ، فَتَلَوَّجَ خَلْقُ اللهِ وَأَنْبَاطُهُ. وَأَيُّمَ اللهُ، لَوْ مَلَكْتُ أَسْرَ النَّاسِ لَنَفَقَشْتُ
أَيْدِيَهُمْ؛ وَأَنَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ نَجْمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْقَدَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ.

وقال الشاعر:

- ١٠ إذا كنتَ مِنْ سَنَدٍ وَخَالَكَ مِنْهُمْ بَعِيداً فَلَا يَتَرُوكَ خَالَكَ مِنْ سَنَدٍ
إذا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كَهَوْلُهُمْ إِلَى الْقَدَرِ أَذْنِي مِنْ شَبَابِهِمْ لِلرَّدِّ

وعُظِمَ لِقَيْمِ بْنِ مَسْلَمٍ:

- يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ، قَدْ جَرَّ بِكُمْ الْوَلَادَةَ قَبْلِي، أَنَا كَمُ أُمِّيَّةٍ^(١) فَكَانَ كَأَسْمِهِ، أُمِّيَّةٌ
[الرأى]، [وأُمِّيَّةُ الدِّينِ]، فَكُتِبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ: إِنَّ خُرَّاجَ خُرَّاسَانَ لَوَكَانَ

(١) النفل: بنت بنت في الجهد وظغل السهل. ينثر إلى بقلة الحربى وتفرقه بين منابت هذه الثلاثة. (٢) الهيد: حب الحنظل.

(٣) انظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٧) والطبرى فيمن النصوص خلاف.

(٤) العلجة: أقي الملح، وهو الرجل من كفار العميم: وبطراء: بنية البظر ملوثة.

(٥) والبظر: ما بين الاسكتين من المرأة.

(٦) في البيان: «لا تجميع».

(٧) العير: الحمار. وكفى بما يضره العير بذنبه عن جاعته، وها موضع الرقين من است الحمار. يصغهم بالضة واللهاته.

(٨) هو أُمِّيَّةُ بَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَبِي سَيْدٍ بْنِ أَبِي النَّاسِ، وَكَانَ عَامِلًا لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى خُرَّاسَانَ ثُمَّ عَزَلَهُ سَنَةَ ٧٨.

في مَطلبه لم يَكفه . ثم أتاكم [بمده] أبو سعيد^(١) فلانا^(٢) ، لا تدرون أني طاعة الله أنتم أم في مَصِيته ! ثم لم يَجِبَ فينا ، ولم يَبُلْ^(٣) عَدُوًّا ، ثم أتاكم بنوه بمده مثل أَعْيَاء^(٤) السَّكَلِيَّةِ ، منهم ابن دَحْمَةَ^(٥) ، حِصَان يَضْرِبُ في عانة^(٦) ؛ لقد كان أبوه يَخافه على أُنْهات أولاده . ثم أَمْسَيْتُمْ وقد فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ البلادَ ، حتى إِنَّ الظَّعِينَةَ لتُخْرِجَ من مَرَوْ إلى سَمَرْقَنْد في غير جوار .

• قوله : أبو سعيد ، يريد المَهْلَب بن أبي صُفْرة ، وقوله : ابن دَحْمَةَ ، يريد يزيد بن المَهْلَب .

مطلبٌ ليزير بن المهلب :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ،
 ١٠ إلى أسمع قول الرِّعَاع : قد جاء التَّبَّاس ، قد جاء مَسْئَلَةٌ ، قد جاء أهلُ الشام .
 وما أهل الشام إلا نِسْمَةُ أَسْيَاف ، منها سَبْعة مِصْرِي ، وأثنان عِلِّيٌّ ؛ وما سَئَلَةٌ إلا
 ١٩٠ جَرادة صَفْراء ؛ وأما التَّبَّاس ، فبسطوس بن بسطوس^(٧) ، أتاكم في بَرابرة ،
 وصقالبة وجَرَامقة وأَقْبَاط وأنباط وأَخْلَاط ، أَقْبَل إليكم الفَلَّاحون والأَوْباش
 كأَشْلاء اللحم ، والله ما لَقَرُوا قَطُّ حَدًّا كَحَدِّكُمْ ، ولا حديدًا كَحَدِيدِكُمْ . أَعِيرُونِي
 ١٩ سِوَاعِدِكُمْ ساعة [من نهار] تصفقون بها خراطيمهم^(٨) ، فإِنما هي غَدَوَةٌ أَوْ زَوْحَةٌ ،
 حتى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وهو خَيْرُ الحَاكِمِينَ .

- (١) هو المَهْلَب بن أبي صُفْرة ، وقد ولي خراسان من قبل المَهْلَب بعد أُمَيَّة .
 (٢) يريد ثلاث سنين . والقي في الطبري : « قدوم بكم ثلاث سنين » . والقي في البيان :
 « قدوم بكم البلاد لا تدرون ... الخ » . (٣) في البيان : « لم يَبُلْ » .
 (٤) الأَطْيَاء : جمع طَي (كفعل) . وهو قات الخب والظلف ، كالتدب للراة .
 (٥) نسبة إلى أمه دَحْمَة ، انظر القاموس مادة (دحم) والطبري . والقي في الأصول
 والبيان : « ابن الرحمة » . وظاهر أنه عرف عما أُنْهات .
 (٦) العانة : الأُكُن .
 (٧) كذا في الأصول وروج الذهب . والقي في البيان : « فبسطوس بن بسطوس »
 ولها : « بسطوس بن بسطوس » نسبة إلى الناطرة ، إحدى فرق السبيعة .
 يشير إلى أصل البساس بن الوليد إذ كانت أمه رومية .
 (٨) صفقه بالسيف : ضرب . والخراطيم : جمع خرطوم ، وهو الألف .

(١) **خطبة نضى بن ساعدة اليماني :**

أبن عباس قال : قَدِمَ وَقَدِ إِيَادَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
أَيْكُمْ يَعْرِفُ قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ ؟ قَالُوا : كَلْنَا يَعْرِفُهُ . قَالَ : فَمَا قَدِلَ ؟ قَالُوا :
هَلَكَ . قَالَ : مَا أَنْشَأَ بِسُوقِ عُكَاظٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ وَهُوَ
يَخْطُبُ النَّاسَ ، وَيَقُولُ ؛ أَصَمُّوا وَصُؤَا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ،
وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ خُسِيرٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَيَبْرَأُ ، سَحَابٌ
تَمُورُ ، وَتُجُومٌ تَقُورُ ، فِي فَلَكَ يَدُورُ ، وَيُقَسِّمُ قُسٌّ قَسْمًا ، إِنْ لَقِيَ لَدَيْنَا هُوَ أَرْضِي
مِنْ دِينِكُمْ هَذَا . ثُمَّ قَالَ : مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا
بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؛ أَأَيْكُمْ يَرَوِي مِنْ شِعْرِهِ ؟ فَأَنْشُدْ بَعْضَهُمْ :

١٠ في الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِيْنَ نِ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَادِدًا لِلْوَيْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْصَوْهَا يَمْضِي الْأَكَابِرُ وَالْأَصَاغِرُ
لَا يَرْجِعُ لِلْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِيْنَ غَايِرُ
أَبْقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا لَهْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

١٥ **خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل :**

قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، صَهْ صَهْ ، إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةٌ الْأُمُومَةِ ، وَحَقٌّ (١)
الْمَوْعِظَةُ ، لَا يَنْهَى إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ (٢) ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَيْنَ سَخْرَى (٣) وَنَخْرَى ، فَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، لَهُ أَذْخَرُنِي رَبِّي ،

(١) جرى للولف فيما مضى من كتاب الخطب على متابعة الصور عميرا بعد عصر ،

٢٠ في الخطب التي أوردتها ، وإيرادها هنا خطبة قس وما بعدها مختلفة لا جرى
عليه أولا .

(٢) كلنا في بعض الأصول وبلغات النساء (ص ٧) . وفي سائر الأصول : « حق
الأمومة وجريمة الموعظة » .

(٣) أوردت قوله تعالى : « ينظركم الله أن تعودوا لمثله أبداً » .

٢٥ (٤) السحر : الرقة .

وخلصني^(١) من كل بضع^(٢) ، وفي مَيزْ مُؤْمِنِكُمْ مِنْ مُنَافِكِكُمْ^(٣) ، وفي أَرْحَصِ
الله لكم في صَعِيدِ الْأُبْوَاءِ^(٤) ، ثم إِنِّي نَاقِي أَتَيْنِ الله نَاقِيَهُمَا ، وَأَوَّلُ مِنْ يُعْنَى
صِدِّيقًا . مَعْنَى رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّافُهُ أَعْبَاءُ الْإِمَامَةِ ،
ثُمَّ أَضْطَرَبَ حَبْلُ الدِّينِ بَعْدَهُ فَمَسَكَهُ أَنِي بَطْرَفِيهِ ، وَزَيَّنَ لَكُمْ فَتَقَى التَّفَاقِي ،
وَأَغَاضَ^(٥) تَبَعِ الرُّدَّةِ ، وَأَطْلَفَا مَا حَشَتْ^(٦) يَهُودُ ، وَأَتَمَّ يَوْمَئِذٍ جُحُظَ السُّيُونِ^(٧) ،
تَنْظُرُونَ التَّدْوَةَ^(٨) ، وَتَسْمَعُونَ السَّيِّئَةَ ، قُرْأَبِ الثَّانِي^(٩) ، وَأَوْدُ^(١٠) مِنْ
النَّظَلَةِ ، وَامْتِنَاحُ^(١١) مِنَ الْهُوَةِ^(١٢) ، حَقٌّ أَجْتَنَى^(١٣) دَفِينِ الدَّاءِ ، وَحَقٌّ أَعْطَنَ
الرَّوَادِ^(١٤) ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرَ ، وَعَلَّ النَّاهِلَ ، فَبَيَضَ اللهُ إِلَيْهِ وَأَطْلَفَا عَلَى هَامَاتِ
التَّفَاقِي ، مَذْكِيًا نَارَ الْحَرْبِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ طَاعَتُكُمْ بِعَيْلِهِ ، فَوَلَّى أَسْرَكِ
رَجُلًا مُرْعِيًا^(١٥) إِذَا رَكِبَ إِلَيْهِ ، سَيْدًا مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ^(١٦) إِذَا ضَلَّ ، حُرْكَةً لِلْأَذَاةِ

- (١) فِي بِلَافَاتِ النِّسَاءِ وَلِسَانِ الرِّبِّ (مَادَةُ بَضْعٍ) : « وَحَصْنِي » .
- (٢) كُنَّا فِي بِلَافَاتِ النِّسَاءِ ، أَيْ مِنْ كُلِّ نِكَاحٍ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا
بِكُرًا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ . وَاقْتَى فِي الْأَصُولِ : « بِضَاحَةٍ » .
- (٣) تَفْسِيرٌ لِلْحَدِيثِ الْإِسْلَامِيِّ وَتَزُولُ الرُّوحُ بِرَادَتِهَا بِهِ تَمَيُّزَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَهِيَ
مِنْ بَرَادَتِهَا مِنَ الْمُتَافِقِينَ ذَمُّوا إِلَى إِتْمَانِهَا .
- (٤) الصَّعِيدُ : التَّرَابُ . وَالْأُبْوَاءُ : لِلنَّفَاةِ ، وَبُرَى : « الْأَقْوَالِ » . وَالْأَقْوَاءُ : جَمْعُ
قَوَاءٍ (كَسَابٍ) ، وَهُوَ الْفَقْرُ ، تَرِيدُهَا كَانَتْ سَبَابًا فِي رِخْصَةِ الْتَيْمِ ، لِمَا
شَاعَ مَقْدَحًا فِي السَّفَرِ وَطَلْبُوهُ ، غَاسِبُوا وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَتَزَلَّتْ آيَةُ الْتَيْمِ .
انْظُرْ صَحِيحَ الْبَيْهَقِيِّ فِي بَابِ الْتَيْمِ (ج ١ ص ٧٠) . وَلِسَانُ الرِّبِّ (مَادَةُ قَوَى) .
- (٥) أَغَاضَ : تَقَنَّصَ . (٦) حَشَتْ : أَوْقَعَتْ .
- (٧) جُحُظَ السُّيُونِ ، أَيْ قَدْ بَرَزَتْ عِيُونُهُمْ ، وَشَخَصَتْ أَيْصَارُهُمْ ارْتِبَاكَ وَجْهَةٍ ، قَدْ
أَسْقَطَ فِي يَدِهِمْ .
- (٨) كُنَّا فِي بِلَافَاتِ النِّسَاءِ . وَالْمَدْوَةُ : الْوَبَةُ . وَاقْتَى فِي الْأَصُولِ : « الْمَدْوَةُ » .
- (٩) الثَّانِي : الْإِنْسَادُ . (١٠) أَوْدُ : عَطَفَ وَالْآنَ .
- (١١) كُنَّا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَبِلَافَاتِ النِّسَاءِ . وَامْتِنَاحُ : انْتِزَعُ . وَاقْتَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ :
« انْتِشَاحُ » . وَانْتِشَاحُ : أَخْرَجُ .
- (١٢) فِي بِلَافَاتِ النِّسَاءِ : « لِلْهَوَاةِ » . (١٣) أَجْنَى : اسْتَأْصَلَ .
- (١٤) أَهْطَنَ الرَّوَادِ : حَسِبَ إِلَيْهِ عِنْدَ اللَّاهِ . وَهَذَا كِتَابَةٌ مِنْ تَأْمِينِ السَّبِيلِ .
- (١٥) صَرِيحًا ، مِنَ الْمَرَاخَاةِ ، وَهِيَ الْحَفْظُ وَالرَّقْصُ وَتَخْفِيفُ الْأَفْعَالِ .
- (١٦) اللَّابَتَانِ : مَتْنِ اللَّابَةِ ، وَهِيَ الْحَمْرَةُ ، تَرِيدُ أَنْهُ وَاسِعٌ لِلْحَمْلَةِ حِينَ يَضِلُّ النَّاسُ مَصَادِرَهُمْ .

بِحَبْنِهِ^(١)، صُفُوحًا عَنْ أَذَى الْجَاهِلِينَ، يَقْضَانِ اللَّيْلَ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، فَسَلَكَ مَسَلَّكَ السَّابِقِينَ، فَفَرَّقَ شَتْلَ الْفِتْنَةِ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ، وَأَنَا نُصَبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا^(٢)، لَمْ أَلْمَسْ إِنَّمَا، وَلَمْ أُورَثْ^(٣) فِتْنَةً أَوْ طَشَكُوهَا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ يُخَلِّقَ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الرُّسُلِينَ.

خطبة^(٤) لعبد الله بن مسعود:

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَوْثَقُ الثَّرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى^(٥). أَكْرَمَ لِلَّهِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. خَيْرُ الشُّعْنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَرُّ الْأُمُورِ مُخَالَفَتُهَا، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا^(٦). مَا قُلْتُ وَكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى. أَنْفُسُ نَحْمِيهَا^(٧) خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُخَصِّمُهَا. خَيْرُ النَّفْسِ غَضَى النَّفْسِ. ١٠ خَيْرٌ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ. الْخَيْرُ جَمَاعُ الْآثَامِ. النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ. الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ. حُبُّ الْكَفَايَةِ مِفْتَاحُ التَّعْجِزَةِ. شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا^(٨). سِيَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ. مَنْ يَتَأَلَّكْ^(٩) عَلَى اللَّهِ يُكْذِبْهُ، وَمَنْ يَغْفِرْ

- (١) الرُّكْ: الْهَلَكُ. وَيُقَالُ: عَرِكَ بِجَنْبِهِ مَا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِ، كَأَنَّهُ حَكَمَ حَقَّ عَفَاةٍ.
- (٢) نَصَفَ بِالِاحْتِمَالِ. (٣) أَيْ لَهَا عَرَضَةٌ لِأَنَّ نَسْلًا عَنْ خُرُوجِهَا الْمَخْرُجَتِ لَهُ.
- (٣) أُورِثَ: أَشْمَلُ وَأَوْقَعُ. وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «أَدْلَسُ».
- (٤) أَكْثَرُ مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا يُوَثِّرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- (٥) كَفَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَإِيجَازُ الْقُرْآنِ (ص ١٢٢).
- وَالْقَى فِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «التَّقْوَى خَيْرٌ زَادَ».
- (٦) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ وَالتَّحْقِيقِ (ج ٢ ص ٢٧). وَهَاقِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «مِنْهَا مِمَّا» (٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «نَحْمِيهَا».
- (٨) دَبْرًا، يَرُودُ بِالْقَسَمِ وَالْفَتْحِ، وَهُوَ آخِرُ أَوَّلَاتِ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.
- وَالْهَجْرُ: التَّرْكُ وَالْإِغْفَالُ. يَرِيدُ تَرْكَهُ لَذِكْرِهِ وَإِحْرَاسِهِ عَنْهُ.
- (٩) يَتَأَلَّكُ: يَتَسَمَّى. وَمَنْ تَأَلَّى عَلَى اللَّهِ، أَيْ مِنْ حَكْمٍ عَلَيْهِ تَعَالَى وَخَلَفَ، كَقَوْلِهِ مِنْ يَقُولُ: وَأَلَهُ لِيَنْبِسَ إِلَهُ سَمَى فَلَانٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: وَيَلِ لِلتَّائِبِينَ مِنْ أَمْنٍ.

يَتَى الْيَقِينَ يَحْكُمُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُونَ فَلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانٌ فِي النَّارِ.

يُعْزَلُهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عَنِّي عَنْهُ . الشَّقِيُّ شَقِيٌّ^(١) .
فِي بَطْنِ أُمِّهِ . التَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بِمِثْرِهِ . الْأُمُورُ بِمَوَاقِبِهَا . مَلَكَ الْأُمْرَ خَوَاتِمُهُ .
أَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بِمَدِّ الْهَدْيِ . أَشْرَفُ الْوَلَدِ
الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكِرُهُ .

٥ خطبة لعنبة بن عذرة بعد فتح الأندلس :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنَّ الدُّنْيَا
قَدْ تَوَلَّتْ وَقَدْ آذَنْتْ أَهْلَهَا مِنْهَا بَعْضُكُمْ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُيُبَاتُ كُصْبَابَةِ الْإِنَاءِ
يَعْمَلُهَا صَاحِبُهَا . أَلَا وَإِنَّكُمْ مُفَارِقُوهَا لَا مَحَالَةَ ، فَفَارِقُوهَا بِأَحْسَنِ مَا يَعْضُرُكُمْ .
أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنَّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الصَّخْرَ
الضَّخْمَ يَرْمِي بِهِ فِي شَقِيرِ جَهَنَّمَ قَيْهَوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابَ ،
يَبِينُ كُلِّي بَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ ثَمَنِي مِائَةِ عَامٍ ، وَلِيَأْتَيْنَ عَلَيْهَا سَاعَةٌ وَلَهَا كَطَلِيطُ^(٢) بِالرَّحَامِ .
وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا ذُرْقُ
الْبَشَامِ^(٣) ، حَتَّى فَرِحْتُ أَشْدَّافُنَا ، فَوَجَدْتُ أَنَا وَسَعْدُ^(٤) [بِنِ مَالِكِ] تَمَرَةً فَشَقَقْتُهَا
بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَصْفَيْنِ ، وَمَا مَنَّا أَحَدُ الْيَوْمِ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى بَعْضٍ . وَإِنَّهُ لَمْ نَكُنْ
كِبْرَةً تَطُ إِلَّا تَنَاسَخْتُ^(٥) ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَقْلِيًا ، وَفِي
١٥ أَهْنِ النَّاسِ صَغِيرًا .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مِنْ شَقِيٍّ » .

(٢) كَطَلِيطُ ، أَيْ امْتَلَأَ . وَانْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ كَطَط) قَدْ سَمِعْتَ الْيَابِرَةَ هُنَاكَ
فِي ذِكْرِ بَابِ الْجَنَّةِ مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ .

(٣) الْبَشَامُ : شَجَرٌ عَطَّرَ الرَّاحَةَ بِسَائِغِهِ .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَالْكَفَلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ (ج ٢
ص ١٨٨) . وَالْأَثَرُ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَعِيدٌ » .

(٥) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ نَخ) . وَتَنَاسَخْتُ : تَدَاوَلْتُ . وَيُشِيرُ
لِلْمُتَحَوِّلِ الْأُمُورِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَفِي الْبَيَانِ : « تَنَاسَخْتُهَا جَبْرِيَّةً » . وَالْجَبْرِيَّةُ :
الْجَبْرُوتُ . يُرِيدُ مَا مِنْ ضَعْفٍ إِلَّا اسْتَحَالَ قُوَّةً وَسُلْطَانًا . وَالْأَثَرُ فِي سَائِرِ
٢٥ الْأَصُولِ : « تَنَاسَخْتُهَا » .

خطبة لعمر بن سعيد الأوسري :

لما عقد معاوية يزيد البيعة قام الناس يخطبون ، فقال لعمر بن سعيد :
 ثم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد بن
 معاوية أمل تأملونه ^(١) ، وأجل تأمنونه ^(٢) ، إن استصغرت إلى حظه وسعكم ، وإن
 احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفقرتم إلى ذات يده أحناكم ؛ جَدَعَ قَارِح ^(٣) ،
 سُوْبِقَ فَسْبَقَ ، وَمُوجِدَ فَمَجَّدَ ، وَقُورِعَ قَرَّرَ ، فهو خاف أمير المؤمنين ولا
 خلف منه . فقال له معاوية : أودست أبا أمية ، فأجلس .

وخطبة لعمر بن سعيد بالمدينة :

قال أبو [الفضل] المباس بن الفرج الرضائي : حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ :
 قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشعث للمدينة أميراً ، ففرج إلى منبر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه وتحنن عيني ، وعليه جبة خز قرمز ، ومطرف خز
 قرمز ، وعباءة خز قرمز . فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها . فتفتح
 عينيهِ فلذا الناس ينظرون إليه ، فقال : ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى
 أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضررونا بسؤوفكم ! أغركم أنكم قتلتم
 ما قتلتم قتلتموا عنكم ! أما إنه لو أنيتم بالأولى ما كانت الثانية . أغركم أنكم
 قتلتم عثمان فواقتم قاتراً ^(١) متاريفاً ، قد فني غضبه ، وبقي حلمه ! أغتنموا
 أنفسكم فقد والله ملكناكم بالشباب للقتل ، البعيد الأمل ، الطويل الأجل ،
 حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ؛ حلیم حديد ، لين شديد ؛ رقيق كثيف ،
 رقيق عنيف ؛ حين أشد عظمه ، وأعتدل جسمه ؛ ورمى الدهر ببصره ، وأستقبله

(١) يشير إلى ما ستكون عليه مدة خلافة من الطول لأنه تولاها شاباً .
 (٢) أي حدث ولكنه كامل مجرب . والجذع ، في الأصل : الفرس في سنه الثانية .
 والقارح : الذي كُتلت أسنانه ، وذلك إذا استتم الحاسة ودخل في السادسة .
 (٣) واقم . وجعدتم . والثائر : الآخذ بالثار .

بأشده ؛ فهو إن عَصَى نَهْسٌ ^(١) ، وإن سَطَا فَرَسٌ ^(٢) ؛ لَا يُقْبَلُ لَهُ الْهَامِي ^(٣) ،
وَلَا تُقْرَعُ لَهُ التَّمَا ^(٤) ، وَلَا يَمْشِي السَّمِي ^(٥) . قَالَ : فَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا ثَلَاثٌ
سِتِينَ وَخَمَانِيَّةٌ أَشْهَرُ حَتَّى قَسَمَهُ اللَّهُ .

١٩٢
٧

وَعُظْمَى لِعَمْرٍو بِمَكَّةَ :

٥ الْمُتَمَيِّ قَالَ : أَسْتَعْمَلُ سَمِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ وَالِي عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
سَمِيدٍ وَالْيَا عَلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ لَمْ يَلْقَهُ قُرَشِيٌّ وَلَا أُمَوِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَارِثُ
ابْنَ نَوْفَلٍ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ : يَا حَارِ ، مَا الَّذِي مَنَعَ قَوْمَكَ أَنْ يَلْقَوْنِي كَمَا لَقَيْتَنِي ؟
قَالَ : مَا مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا أَسْتَقْبَلْتَنِي بِهِ ، وَاللَّهِ مَا كَتَبْتَنِي وَلَا أُنَمِّتَ
أُسْمِي ، وَإِنَّمَا أَتَاهَاكَ فِي التَّكْبَرِ ^(٦) عَلَى أَكْفَانِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَزِيدُكَ عَلَيْهِمْ
وَلَا يَنْصَحُهُمْ لَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَسَأْتُ لِلْوَعْظَةِ وَلَا أَتَهَمُكَ عَلَى التَّصْبِيحَةِ ، وَإِنْ
الَّذِي رَأَيْتَ مَنَى لَخَلْقٍ . فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ قَامَ عَلَى اللَّيْلِ فَصَدَّ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ فَمِمْ
قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، مَشَشَرُ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَإِنَّمَا سَكَنَاهَا حِجْبَةً ^(٧) ، وَخَرَجْنَا عَنْهَا رَهْبَةً ،
وَكَذَلِكَ كُنَّا إِذَا رُفِضَتْ لَنَا لَهْوَةٌ ^(٨) بَعْدَ لَهْوَةٍ أَخَذْنَا أَسْنَاهَا وَتَرَكْنَا أَعْلَاهَا ؛ ثُمَّ
شَدَخَ ^(٩) أَمْرُ بَيْنِ أَسْرَبِينَ ، فَهَقَلْنَا وَقَتَلْنَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعُ عَنَّا ، حَتَّى

(١) يقال : نهس اللحم ، إذا أخذه بمقدم أسنانه ونطقه .

(٢) فرس الفريسة : ذئب منهاها .

(٣) التقلية : شدة اضطراب الشيء وتحركه . وقد تقلقل صغار الحصى في الخلطة ونحوها
توهم فرسك بأنه قوم أو غيره . يريد أنه حذر لا يندفع .

(٤) أي أنه لا يخطئ حتى يذهب إلى خطئه بقرع الصبا . يشير إلى التل : إن الصبا قرعت
فدى الحلم .

(٥) السمي : الباطل والكذب . ويقال : جرى فلان السمي ، أي جرى إلى غير
أمر يرفه .

(٦) في بعض الأصول : « التفسر » . والتفسر : التوعد والتهديد . وإن صحت فقله
يريد بها لازم مناهها ، فلا جوعه ولا يتهدد إلا من علا ، ومع الباطل يكون التكبر .

(٧) في بعض الأصول : خبطة .

(٨) الهوة (بالضم والتض) : البطية . ويريد بها الرولة .

(٩) شدخ ، أي فرق وباعد . والشدخ (ق الأصل) : الكسر . وفي بعض الأصول :

« شرح » .

١٥

٢٥

٢٨

شَرِبَ الدَّم دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْم لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعِظَمَ عِظًا ؛ قَوْلِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ إِثَابَهُ ، وَأَخْتِيَارَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ قَوْلِي أَبُو بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وَقَضَلَهُ ؛ ثُمَّ قَوْلِي عُمَرُ ، ثُمَّ أُجْبِلَتْ قِدَاحُ تُرْعَنَ مِنْ شُعْبٍ ^(١) حَوْلَ ثُبَّةٍ ، فَقَازَ بِحُطْبِهَا ^(٢) أَصْلُهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضَ قِدَاحِهَا ، ثُمَّ شَذَخَ ^(٣) أَسْرَ بَيْنَ أَسْرَيْنَ ، فَقَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا عَنْهُ حَتَّى شَرِبَ الدَّم دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْم لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعِظَمَ عِظًا ، وَعَادَ الْحُرَامَ حِلَالًا ، وَأَشَكَّتْ كُلُّ ذِي حِسٍّ عَنْ ضَرْبٍ مُهْنَدٍ ، عَرَّكَ عَرَّكَ ، وَعَسَفَا عَسَفًا ، وَخَزَا وَتَهَسَا ، حَتَّى طَابُوا عَنْ حَقِّنَا نَفْسًا . وَاللَّهُ مَا أَعْلَوْهُ عَنْ هَوَادَةٍ ، وَلَا رَضُوا فِيهِ بِالْقَضَاءِ ، أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقَّنَا غُلْبَنَا عَلَيْهِ ، فَجَزَيْنَا هَذَا بِهَذَا وَهَذَا فِي هَذَا . يَا هَلْ مَكَّةَ ، أَنْفَسَكُمْ أَنْفَسَكُمْ ، وَسُقَاهَاكُمْ سُقَاهَاكُمْ ، فَإِنَّ مَعِيَ سَوْطًا نَكَالًا ، وَسَيْفًا وَيَالَا ، وَكُلُّ مَصْبُوبٍ ^(٤) عَلَى أَهْلِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ . ١٠

عُظْبَةُ لِعُزْصَفِ بْنِ قَيْسٍ :

قَالَ بَعْدَ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَالتَّوْنَاءِ عَلَيْهِ : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ وَرَبِيبَةِ ، أَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْمَهْرِ ، وَأَشْقَاتُنَا فِي النَّسَبِ ، وَجِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَيَدُنَا عَلَى الْمَلِكِ . وَاللَّهُ لَأَزْدُ الْبَصْرَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الْكَوْفَةِ ، وَلَأَزْدُ الْكَوْفَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الشَّامِ ، فَإِنْ اسْتَشْرَى ^(٥) شَنَا نَكَمَ ، [وَأَبْنَى] حَسَدَ صُدُورِكُمْ ، ١٥
فَفِي أَحْلَامِنَا وَأَمْوَالِنَا سَمَةٌ لَنَا وَلَكُمْ .

عُظْبَةُ لِيُوسُفَ بْنِ عُمَرَ :

قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : أَتَقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَكَمْ مُؤَمِّلٌ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٌ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، [وَمَانِعٌ] عَنَّا ^(٦) سَوْفَ يَتْرَكُهُ ؛ وَلِلَّهِ مِنْ بَاطِلِ جَمْعِهِ ، وَمِنْ

- (١) كُنَّا فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ . وَالنَّسَبُ : الْأَعْمَامُ ؛ الْوَاحِدُ : شُعْبَةٌ . يُشِيرُ إِلَى أَصْحَابِ الثَّوْرِيَّةِ السَّيِّئَةِ ، شَبَّهَهُمْ بِأَعْمَامِ النَّبِيِّ . وَالدِّيُّ فِي سَائِرِ الْأَسْوَلِ : « شَابَ جَوْلَةٌ سَمَةٌ » . وَفِيهَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ . (٢) فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : « بِحُطْبِهَا » . (٣) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٩ (ص ١٣٣) . (٤) فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : « مَتَّصِبٌ » . (٥) فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : « اسْتَعْرِفَ » . (٦) فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : « مَانِعٌ » . وَمَا أَجْتَنَّهُ عَنْ سَائِرِ الْأَسْوَلِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٧١) وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (ج ٧ ص ٢٥٥) .

حق منكم . أصابه حراما ، وأورثه عدوا حلالا ؛ فأحتمل إيمره ^(١) ، وبأه
يؤزره ، وورد على ربه أسفا لهما ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو
الخسران المبين .

خطبة لشراء بر أوسى الطائي :

• حمد الله وأثنى عليه وقال : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ
وَالنَّاجِرُ . أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلَكٌ قَادِرٌ . أَلَا إِنَّ الْغَيْرَ كُلَّهُ
بِخِذَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا إِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِخِذَائِهِ فِي النَّارِ . فاعملوا مَا عَمِلْتُمْ وَأَنْتُمْ
فِي يَقِينٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَتْرُوضَةٌ أَعْمَالِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، (فَن يَفْعَلُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَمْتَلِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

خطبة لخالد بن عبد الله الحسري :

صِدِّ النَّبِيِّ يَوْمَ مُجْمَعَةٍ وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ فَذَكَرَ الْحِجَابُ فَأَمَحَدُ ^(٢) طَاعَتَهُ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ خَيْرًا . فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
يَأْمُرُهُ فِيهِ بِشَتْمِ الْحِجَابِ وَذِكْرِ عِيُوبِهِ وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ . فَصَدَّ لِلنَّبِيِّ فَصَدَّ
اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظَاهِرُ مِنْ طَاعَةِ
اللَّهُ مَا كَانَتْ لِلْمَلَائِكَةِ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِيْثِهِ وَخُبَيْثِهِ مَا خَفِيَ
عَلَى مَلَائِكَتِهِ ^(٣) ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَجْلَاهُ بِالشُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَ
يُخْفِيهِ عَنْهُمْ ، فَلَمَنُوهُ ؛ وَإِنَّ الْحِجَابَ كَانَ يُظَاهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا
تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِيْثِهِ وَخُبَيْثِهِ عَلَى مَا خَفِيَ
عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ فَضِيحَتَهُ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَالْمَنُوهُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ .

١٩٣
١١

خطبة لمصعب بن الزبير :

قَدِمَ الْبَرَاءُ فَصَدَّ النَّبِيُّ ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (طَمِمْ ، تَلَاكَ

(١) الإمير : القبط . (٢) أحدهما : أي عندما عودت مرضية .

(٣) في بعض الأصول : « عليها » مكان « على مَلَائِكَتِهِ » .

- آيَاتِ الْكِتَابِ لِلْبَيْنِ ، تَقُولُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) — وأشار بيده نحو الشام (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) — وأشار بيده نحو الحجاز — (وَنُكَنِّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) — وأشار بيده نحو العراق .

قطبة للنعمان بن بشير بالكوفة :

- قال : إني والله ما وجدتُ مثلي ومثلكم إلا الضمير والضمير ، أنيا الضمير في جُجره ، قالوا : أبا حنبل ، قال : أجبنيكم ؟ قال : جئناكم نختمكم ؛ قال : في بيته يؤتى بالحكم ؛ قالت الضمير ؛ فتحت عيني ؛ قال : قتل النساء قتل ؛ ١٠ قالت : فقلعت ثمرة ؛ قال : خلوا أجنيتي ؛ قالت : فأخطتها ثمالة ؛ قال : لنفسه بني العير ؛ قالت : فقلعت له لكمة ؛ قال : حقاً قضيت ؛ قالت : فقلعتني أخرى ، قال : كان حراً فأنتصر ؛ قالت : فاقض الآن بيننا ؛ قال : حدثت امرأة حديثين ، فإن آيت فأربع ، أي أسكت^(١) .

قطبة بسبب بن سبيبة :

- ١٥ قيل لبعض الصُلفاء إن شبيب بن شبيب يستعمل الكلام ويستعمله^(٢) ، فإن أمرته أن يصعد للنبر لرجوت أن يفتضح . قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فصعد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الحادير ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريح الناضر . فأما ٢٠

(١) ويرى : فأربع ، يقطع الهزلة : أي إن لم تفهم فكرر القول أربع مرات .
(انظر القسان مادة رجم وجمع الأمثال للبيداني (ج ٢ ص ١٣) .
(٢) كلما في بعض الأصول . والقي في سائر الأصول : «ويستعمله» . انظر الحاشية رقم ٤ و ٥ ص ١٣٨) من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

الأسد الخادر ، فأشبه منه صَوْلَتَهُ وَمَصَادَهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّائِرُ ، فَأَشْبَهَ مِنْهُ
جُودَهُ وَعِطَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ ، فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورَهُ وَضِيَاءَهُ ؛ وَأَمَّا الزَّيْبُ
النَّاصِرُ ، فَأَشْبَهَ مِنْهُ حُسْنَهِ وَبَهَاءَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ [عَنْ الْمَنِيرِ] وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَمَوْقِفٌ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ أَهْلِي النَّتَارَ وَتَرَمَّيْتُ بِهِ الْعَدُوَّ
فَمَا زِلْتُ وَمَا أَقْبَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرَّجَالُ عَلَى أَشْثَالِهِ زَلَقُوا

وخطبة لعنبة بن أبي سفياه :

بلنه عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى
عليه : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، إِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِسَيْفِ حَمِيدٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ فِيكُمْ ذِي بَيْعٍ^(١)
بِعَمَّانَ ، أَرْجُو أَنْ يُؤَيِّنِي اللَّهُ نُسْكَهَ^(٢) . إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَأْمِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِدِ الْفَرْقَةِ ،
فَاعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَكَانَ وَاللهُ أَذْكَرَكُمْ إِذَا ذُكِرَتْ بَطْلَةٌ ، وَأَحْسَنَكُمْ
بِدِ الْقُدْرَةِ مِنْ حَقِّهِ ؛ نَمَّةً مِنْ اللَّهِ فِيكُمْ ، وَمِنَّةً^(٣) مِنْهُ عَلَيْكُمْ . وَقَدْ بَلَّغْنَا
عَنْكُمْ نَجْمَ قَوْلٍ^(٤) أَظْهَرَ تَقَدُّمَ عَفْوِ مِنَّا ، فَلَا تُصِيرُوا إِلَى وَخْشَةِ الْبَاطِلِ بِدِ
أَنْسِ الْحَقِّ ، يَا حَيَاهُ الْفَنِّ ، وَإِمَانَةَ الشُّنَنِ ، فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَطَاعَةَ لَا وَتَقِ مَعَهَا ،
حَتَّى تُنْكَرُوا مَعِيَ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ، وَتُسْتَخْشِنُوا مَا كُنْتُمْ تَسْتَلِينُونَ ، وَأَنَا
أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْقَدَى يَلْمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الشُّدُورُ .

وخطبة لعنبة بن أبي سفياه :

يَا حَامِلِ الْأَمْرِ أَنْوَفَ رُكْبَتَيْنِ أَعْيُنَ ، إِنَّمَا قَلَّتْ أَفْئَادِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ
مَسَى إِيَّاكُمْ ، وَسَأَلْتُكُمْ صِلَاحَكُمْ إِذَا كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ، فَأَنَا إِذَا أَيْتَمْتُ
إِلَّا الطَّمَنُ عَلَى الْوَلَاةِ ، وَالتَّنْقِصُ لِلْكَفْلِ ، فَوَاللهِ لَا أَقْطَعُنَّ عَلَى ظُهُورِكُمْ بَطُونُ
الشَّيَاطِ ، فَإِنْ حَسَمْتُ دَاخِلَكُمْ ، وَإِلَّا فَالْسَيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ . وَلَسْتُ أُجْبِلُ عَلَيْكُمْ

١٩٤
٢

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْمَالِ : « ذِي بَيْعٍ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْمَالِ : « نَمَّةٌ » .

(٣) أَيُّ بَاحِرَةٍ مِنْ كَلَامٍ .

(٤) السَّلَكُ : الْهَمُّ .

بالمُتَوَبِّة إِذَا جُدْتُمْ لَنَا بِالتَّعْصِيَةِ ، وَلَا أُؤَيِّسُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْعُسْفَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى
الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ وَأَتَمَّى ^(١) .

وعظية لعتبة بن أبي سفيان :

لَمَّا أَشْتَكَيْ شِكَاكَهَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا تَحَامِلٌ إِلَى اللَّيْلِ ، فَقَالَ : يَا هَلْ مِصْرُ ،
لَا غَيْفَ عَنِ الرَّبِّ ، وَلَا تَهَرَّبَ مِنْ ذَنْبٍ . إِنَّهُ قَدْ تَقَدَّسَتْ مَقَى إِلَيْكُمْ عُقُوبَاتُ •
كُنْتُ أَزْجُو بِوَمَثَدِ الْأَجْرِ فِيهَا ، وَأَنَا أَخَافُ الْيَوْمَ الْوَرْزَ مِنْهَا ، فَلْيَتَّقِنِي لَا أَكُونَ
أَخْرَجْتُ دُنْيَايَ عَلَى مَعَادِي ، فَأَصْلَحْتُمْ بَفْسَادِي . وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ فِيكُمْ ؛ قَدْ خِفْتُ مَا كُنْتُ أَزْجُو فَقَامًا عَلَيْهِ ، وَرَجَوْتُ مَا كُنْتُ أَخَافُ
أَغْتِيَالًا ^(٢) بِهِ ، وَقَدْ شَقِيَ مَنْ هَلَكَ بَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ ^(٣) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
سَلَامٌ مِنْ لَا تَرَوْنَهُ عَائِدًا إِلَيْكُمْ . قَالَ : فَلَمْ يَمُدَّ .

١٠

وعظية لعتبة :

الْمُتَّبِعُ : قَالَ سَدُّ الْقَصْرِ ^(٤) : أَحْبَبْتُ عَنَّا كُتُبَ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
حَتَّى أَرْجِفُ أَهْلُ مِصْرَ بِمَوْتِهِ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَصَدِدَ عُتْبِيَةَ لِلَّيْلِ
وَالْكِتَابَ فِي يَدِهِ ، فَحَبَدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا هَلْ مِصْرُ ، قَدْ طَالَتِ
مُعَانِقَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، وَظُلُمَاتِ الشَّيُوفِ ، حَتَّى صِرْنَا شَجَبِي •
فِي لَهَوَاتِكُمْ ^(٥) مَا تُسَيِّفُهُ خُلُوفُكُمْ ، وَأَنْذَاءُ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَنْظُرُفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ .
أَلْغَيْنَ أَشْتَلَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، وَأَسْتَرَحْتُ عَقْدَ الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَتَلًا ،
أَزْجَيْتُمْ بِالْعَلْفِيَّةِ ، وَأَزْدَيْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ ، وَخَضَعْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَأَنْقَدُمْ

(١) انظر السككل للبريد (ص ٧٨٣ طبعة أوربة) والأمال (ج ١ ص ٢٤٥)
وضيح الأمل (ج ١ ص ٢١٦) . فبين القصص خلاف .
(٢) في : « اعتباطاً » . يقال : اعتباط القبيصة ، إذا غرما من غير علة .
(٣) في بعض الأصول : « وعلاه » .
(٤) كذا في ي والسككل والمعارف . والقي في سائر الأصول : « القصير » .
(٥) في بعض الأصول : « لهام » . وما أبتناه من سائر الأصول وميون الأخبار
(ج ٢ ص ٢٣٩) .

٢٥

عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ ؛ فَأَرْجَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْبَغْدَادِ السَّارِ عَنْهُ وَالتَّهْدِ الْقَرِيبَ مِنْهُ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَيْدَانِكُمْ دُونَ
قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْلَحُوا لَنَا مَا ظَهَرَ وَتَكَلَّمُوا إِلَى اللَّهِ فَيَا بَطْنُ ، وَأَعْلَمُوا خَيْرًا وَإِنْ
أَضْمَرْتُمْ شَرًّا ؛ فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ أَنْ تَوَكَّلَ بِهِ أَسْتَعِينُ .
ثم نزل .

وخطبة لعنبة في الموسم :

سعد القصر^(١) مولى عتبة بن أبي سفيان قال : دَفَعَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
بِالْمَوْسِمِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَالنَّاسُ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِالْعَتَبَةِ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَ
اللَّهُ وَأَنْثَى عَلَيْهِ : إِنَّا قَدْ رَلَيْنَا هَذَا لِلْقَامِ الَّذِي يَضَاعِفُ اللَّهُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِينَ الْأَجْرَ ،
وَاللِّسِينَ الْوِزْرَ ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا لَهُ ؛ فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ،
فَإِنَّا نَتَقَطَعُ مِنْ دُونِنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ ، حَقَّقَهُ فِي أَشْنَيْتِهِ . أَتَيْلُونَا^(٢) مَا قَبِلْنَا الْعَافِيَةَ
فِيكُمْ وَقَبِلْنَاهَا مِنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَلَوْ ، فَإِنْ لَوْ قَدْ أَنْمَيْتَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَلَمْ تَرْجُحْ مِنْ
بَعْدِكُمْ ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ، قَالَ : لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُجِئِدْ ؛
[فَقَالَ : يَا أَخَاهُ ؛ قَالَ] : سَمِعْتُ قَوْلَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ تُحَسِّنُوا وَقَدْ أَسَأْنَا خَيْرٌ
لَكُمْ مِنْ أَنْ تُسَيِّرُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا ، فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ لَكُمْ فَأَحَقُّكُمْ بِاسْتِغْنَائِهِ ،
وَإِنْ كَانَ لَنَا فَأَحَقُّكُمْ بِتُكْأَانَا ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ حَنْصَةَ يَطْلُقَاكُمْ
بِالْمَوْسِمِ ، وَيَحْتَصِمُ إِلَيْكُمْ بِالْمَوْسِمِ ، وَقَدْ كَثُرَ عِيَالُهُ ، وَقَطَنَ زَمَانُهُ ، [وَبِهِ قَرَأَ] ،
وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ . قَالَ عُتْبَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَوْنَ عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ أَسْرَتْ لَكَ بِفَنَّاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعِنَا إِلَيْكَ يَقُومَ بِإِطْلَانِنَا عَنْكَ .

(١) في بنى الأصول هنا : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ من ١٣٨) .

(٢) في الأصول (ج ١ : ص ٢٣٨) : « أَتَيْلُونَا الْعَافِيَةَ مَا قَبِلْنَا مِنْكُمْ » .

وخطبة لعننه بن أبي سفيان :

سمعت القصر^(١) قال : وجه عتبة بن أبي سفيان ابن أخي^(٢) أبي الأور الشلمي
إلى مصر ، فتموه الخراج ، فقدم عليه عتبة فقام خطيباً فقال : يا أهل مصر ، قد
كنتم تستذرون لبعض اللئع منكم ببيض الجوز عليكم ، فقد وليكم من يقول
ويتفعل ، ويتفعل ويقول^(٣) ، فلن زدكم رذكم بيده ، وإن استصعبتم رذكم^(٤)
بسيفه ، ثم رجا في الآخر ما أثل في الأول . إن البثيمة مشابهة^(٥) ، فلنا عليكم
السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأبنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله
ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بدلناها
لكم ناجزاً بناجز ، ومن حذر كن بشر . قال : فنادوه^(٦) : سمما وطاعة ،
فناداهم . عدلاً وعدلاً .

١٠

وخطبة لعننه :

قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر : إن قبلك قوماً يتعلمون على الولاة ،
ويبيعون السلف . فخطبهم فقال : يا أهل مصر ، خف على ألسنتكم مدح^(٧)
الحق ولا تملونه ، وذم الباطل وأتم تأتونه ، كالجار يحمل أسفارا ، أثقله
سجلها ، ولم ينقمه عليها^(٨) ، وإيم الله ، لا أداويكم بالسيف ما صلحتكم على السوط ،
ولا أبلغ بالسوط ما كفتني الفرّة ، ولا أبطي عن الأولى ما لم تُشرعوا إلى
الآخرى ، فألزموا ما أمركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ، وإيتاكم

١٥

- (١) في بعض الأصول : « القصير » . وانظر الحاشية (رقم ٤ ص ١٣٨) .
(٢) في السكتي : « ابن أخت » . (٣) أي أنه شجاع لا يخشى عاقبة ما يفعل .
(٤) في بعض الأصول : « ترادف » .
(٥) كذا في . وللحاشية : للتاج . والتي في سائر الأصول : « متناهية » .
صوابها : « متناهية » .
(٦) في بعض الأصول : « فنادوه » . مكن « فنادوه » .
(٧) في الأصول : « مدح » . وما أجتناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٩) ،
وأبعد النافذة (ج ١٣ ص ٣٦١) .
(٨) في الأصول : « ثلها » . وما أجتناه عن عيون الأخبار وأبعد النافذة .

٢٠

٢٥

وقال ويقول ، قيل أن يُقال فُلٌ ويُفعل ، وكوّنوا خَيْرَ قَوْسٍ سَهْمًا ، فهذا اليوم
الذي ليس قَبْلَهُ عِقَابٌ ، ولا بَعْدَهُ عِقَابٌ .

خطب الخوارج

خطبة^(١) قطري بن الفجاءة في ذم الرنبا :

- ٥ صَمِدَ قَطْرِي بْنِ الْفَجَاءَةِ مِنْبِرِ الْأَزَارَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي مَازِنَ بْنِ عَمْرِو بْنِ
تَيْمٍ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ
خَصْرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْمَاجِلَةِ ، وَغُيِّرَتْ بِالْأَمَالِ ،
وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَأَزْيِنَتْ بِالْفُرُورِ ، لَا تَدُومُ خُسْرَتُهَا ، وَلَا تُؤْمَنُ قَبِيحَتُهَا ،
غَدَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَفَاقِدَةٌ بَائِلَةٌ ، لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَةٍ
أَهْلُ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (كَاهُ أَنْزَلْنَاهُ
١٥ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَلُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) . مَعَ أَنَّ أَسْرَأَ مَا يَكُونُ مِنْهَا فِي حَيَرَةٍ إِلَّا أَغْبَقَتْ بِسُوءِ عَيْوَةٍ ،
وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا بَلْفًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ سَرَّائِهَا غَلَرًا ، وَلَمْ تَطْلُ مِنْهَا دِيمَةً
رَخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُرَّةٌ بِلَاءٍ ؛ وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَصَرَّةٌ أَنْ تُنْمَى
١٥ لَهُ خَاذِلَةٌ مُتَفَكِّرَةٌ ، وَإِنْ جَانِبَ مِنْهَا أَعْذُوبٌ وَأَحْلَى ، أَمَرَتْ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ
فَأَوْبَى ، وَإِنْ لَيْسَ أَسْرَأُ مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاهِيَتِهَا نِعْمًا ، أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا غَمًّا ،

(١) جاءت هذه الخطبة في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٤٢) بين خطب الإمام علي
كرم الله وجهه ، وقال ابن أبي الحديد في التلخيص عليها : « وهذه الخطبة ذكرها
شيخنا أبو علي الجاحظ في البيان والبيان ، ورواها قطري بن الفجاءة ، والناس
يروونها لأبي المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب للوقت لأبي عبد الله
المرزبان سرودة لأبي المؤمنين عليه السلام ، وهي بكتام أمير المؤمنين أخيه . وليس
يبدو عندي أن يكون قطري . قد خطب بها بعد أن أخفها عن بعض أصحاب
أبي المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي
قطري أكثرهم » .

- ولم يُبْسِ أسروها في جناح آمن ، إلا أصبح منها على قوادم خوف . غرارة
 غرور ما فيها ، فانية فإن ما عليها ، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى ، من
 أقل منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منها^(١) استكثر مما يؤبه . كم وائق
 بها قد فجعته ، وذى طمأنينة إليها قد صرّعته ، وكم من [ذى] اختيال^(٢) فيها
 قد خدعه ؛ وكم [من] ذى أئمة فيها قد صوّته خيرا ، وذى نغوة فيها قد ردّته
 ذليلا ، وذى تاج قد كيّته للدين والتم . سلطانها دُول ، وعيشها رثق ،
 وعذبتها أجاج ، وحلواها مرّ ، وغذاؤها سمام ، وأسبابها رمام^(٣) ، وقطافها
 سلع^(٤) . حبّها يمرض موت ، وصحبها يمرض شتم ، ومنيعها يمرض احتضام .
 مليكها مشلوب ، وعنبرها مشلوب ، وصحبها وسلبها منكوب ، وحائرها^(٥)
 وجامعها محروب ، مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول الشطع ،
 والوقوف بين يدي الحكم القذل ، ليجزى الذين أسادوا بما عملوا ويجزى
 الذين أحسنوا بالصنى . ألسم في مساكن من كان منكم أطول أعمارا ، وأوضح
 آثارا ، وأعدّ عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعدت عتادا ، وأطول عمادا أنتميدوا
 للذنيا أن تمجد ، وآروها أن يشار ، وظلموا عنها بالكره والصغار ! فهل
 بلّغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا يفيذة ، وأغنت عنهم قيا قد أكلتهم
 به بخل^(٦) ! بل أكلتهم^(٧) بالفوادح ، وضغضغتهم بالنواذب ، وعقرتهم
 للفساخ ، وأعانت عليهم زيب اللنون ، وأزهدتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكروا
 لمن دان لها وآورها وأخذ إليها ، حتى ظننوا عنها لفراق الأبد ، إلى آخر
 الأمد . هل زودتهم إلا الشقاء ، وأحلتهم إلا الشنك ، أو نوّرت لهم إلا
- (١) في بنى الأصول بعد قوله « منها » : « لم يدم له وزال عما قليل منه ما استكثر
 ... إلخ » . وانظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٤) وصبح الأعشى (ج ١ ص
 ٢٢٢) وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥٠ ونهاية الأرب ج ٧ ص ٢٥٠) ، فين
 التصوص خلاف . (٢) في بنى الأصول : « وكم من اختال بها » .
 (٣) رمام : بالية . (٤) السلع : عجر مر ، وهو أيضا ضرب من الصبر .
 (٥) في بنى الأصول : « وجارها » . (٦) في بنى الأصول : « وأزهدتهم » .
 (٧) في بنى الأصول : « بخل بجملة » .

(٣) في معنى الأصول : « جِئَاء » .

خطبة لأبي حمزة بمكة :

- خطبهم أبو حمزة الشَّارِي بمكة . فَصَدَّ النَّبْرَ مُتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ ، فَغَمَبَ خُطْبَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، تُبَيِّرُونَنِي بِأَحْبَابِي ، تَرْعَوْنَ أَنَّهُمْ شَبَابٌ ، وَهَلْ كَانَ أَحْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَبَابًا ! نِمِ الشَّبَابُ مُكْتَهَلِينَ ، نَعِيَّةَ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ ، بَطِيئَةً عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ . قَدْ نَظَرَ اللَّهُ
- إِلَيْهِمْ فِي آثَاءِ الْإِيلِ مُنْتَهِيَةِ أَصْلَابِهِمْ بِمَقَالِي الْقُرْآنِ ، إِذَا مَرَّ أَحَدُهُمْ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ بَكَى شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ شَقِيَ شَهْقَةً كَأَن زَفِيرَ جَهَنَّمَ فِي أُذُنِهِ . قَدْ وَضَعُوا كَلَالًا لِيَلْهَمَ بِكَلَالِ نَهَارِهِمْ ، أَنْقَاءَ عِبَادَةٍ ، قَدْ أَكَلَتْ الْأَرْضُ جِبَاهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَرُكَبَهُمْ . مُصَفَّرَةً أَلْوَانَهُمْ ، نَاحِلَةً أَجْسَادَهُمْ ، مِنْ كَثْرَةِ الْأَسْيَامِ ، وَطُولِ الْقِيَامِ ، مُسْتَقِيلُونَ لِنَفْسِكَ فِي جَنِّبِ اللَّهِ ، مُؤَنِّفُونَ بَعْدَ اللَّهِ ،
- مُسْتَنْجِزُونَ لَوَعْدِ اللَّهِ . إِذَا رَأَوْا سِهَامَ الدَّوِّ قَدْ فُوقَتْ ، وَرِمَاحَهُ قَدْ أَثْرَعَتْ ، وَسُيُوفُهُ قَدْ أَتَضَّيَّتْ ، وَرَكَتِ السَّكَنِيَّةُ وَزَعَدَتْ بِصَوَاقِ اللَّوْتِ ، أَسْتَأْنُوا بِوَعْدِ السَّكَنِيَّةِ لَوَعْدِ اللَّهِ ، قَمَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قَدَمًا حَتَّى تَخْتَلِفَ رِجْلَاهُ عَلَى حَقِّ فَرْسِهِ ، قَدْ رُمَّتْ ^(١) مَحَاسِنُ وَجْهِهِ بِاللَّمَاءِ ، وَعُفِّرَ جَبِينُهُ بِالزَّرَى ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ سَبَاحُ الْأَرْضِ ، وَأَنْعَطَتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ . فَكَمْ مِنْ مُقَلَّةٍ فِي مَنَاقِرِ طَائِرٍ ، طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ وَكَمْ مِنْ كَفٍّ بَانتَ عَنْ مِقْسَمِهَا ، طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي سُجُودِهِ ؛ وَكَمْ مِنْ خَدِّ عَتِيقٍ ، وَجَبِينِ رَمِيقٍ ، قَدْ فُلِقَ بِسَاقِ الْحَدِيدِ . رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْأَيْدَانِ ، وَأَدْخَلَ أَرْوَاحَهَا فِي الْجِنَانِ . نِمِ النَّاسُ مَنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ إِلَّا عَابِدٌ وَتَنٌ ، أَوْ كُفْرَةٌ أَهْلِي الْكِتَابِ ، أَوْ إِمَامًا جَائِرًا ، أَوْ شَاڈًا عَلَى عَصَدِهِ ^(٢) .

وخطبة لأبي حمزة بالمدينة :

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : خَطَبَنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّلَتْ فِيهَا السَّبْعِمِ

(١) رَمَتْ : لَطَفَتْ ، بِالْبِنَاءِ لِلْجَهْلِ فِيهَا .

(٢) أَي مَبْنًى لِهَذَا الْحَاكِمِ الْجَائِرِ . يُقَالُ : شَدَّ فُلَانٌ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، أَي قَوَاهُ وَأَمَانَهُ .

وردت المراتب ، قال : أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والتعلل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتظيم ما صرّفت الجبارة من حق الله ، وتضمير ما عظمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الخلق ، وأن يطاع الله ويصطفى المبدأ في طاعته ، فالطاعة لله ^(١) ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لخلق في منافية الخالق . ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والتذل في الرعية ، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها . وإنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا فها ولا لبا ، ولا لدولة منك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قد نزل منا ؛ ولكن لما رأينا الأرض قد أغلقت ، ومعال الجور قد ظهرت ، وكثر الأدعاء في الدين ، ومحل بالموى ، وعطلت الأحكام ، وقُتل القائم بالسط ، وعُف القائل بالحق ، وسمنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ^(٢) ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأبنا الله وأبنا بنصره ، فأضبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا . بأهل المدينة ، أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أظمت قراءكم وفقهاءكم فأختاركم عن كتاب غير ذي هوج ، بتأويل المجاهلين ، وأنتحال اللبطلين ، فأصبحت من الحق ناكين ، أمواتا غير أحياء وما تشمرون . بأهل المدينة ، بأبناء المهاجرين والأنصار والذين أتبهم بإحسان ، ما أصح أصلكم ، وأستم فرعكم إكان أبائكم أهل اليقين وأهل التعرف بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواحية ، وأتم أهل الصلاة والجمالة ، استعبدتكم الدنيا فأذلتكم ، والأمانى فأصلتكم ، فتح الله لكم باب الدين فأفقدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ، سراع إلى الفتنة ، بطاء عن السنة ،

(١) في بعض الأصول : « إلهاد » . وهو تحريف . وانظر الطبري والأفاني (ج ٢٠)

ص ١٠٤) وفرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٨) فين النصوص خلاف .

(٢) زيد في بعض الأصول : بد قوله « الله » كلمة « الآية » . يريد قوله تعالى :

(ومن لا يجب داعي الله فليس يحجز في الأرض) .

عَمَى عَنْ الْإِثْمَانِ ، ثُمَّ عَنْ الْمَرْفَافِ ، عَبِيدُ الطَّمَعِ ، خُلَفَاءُ الْجَزَعِ . نَهْمٌ
 مَا وَرَّكُمْ أَبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبِئْسَ مَا تُورَثُونَ أَبْنَاءُكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نَفَرُوا
 اللَّهُ أَبَادَكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عِدَدُ أَبَائِكُمْ قَلِيلًا طَلَبِيًّا ، وَعِدَدُكُمْ
 كَثِيرٌ خَبِيثٌ . أَتَبِعْتُمُ الْهَوَى فَاذْدَاكُمْ ، وَاللَّهُو فَاثْبَاهَكُمْ ، وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ
 تَزَجِرُكُمْ فَلَا تَزْدَجِرُونَ ، وَتُعَيِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ عَنْ وَلَاتِكُمْ هَؤُلَاءِ ٥
 فَقُلْتُمْ : وَاللَّهِ مَا فِيهِمْ الَّذِي يَمْدُلُ ^(١) ، أَخَذُوا الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ،
 وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِنَهْرِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَا فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً
 بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، وَجَعَلُوا مَقَاسِمَنَا وَحُقُوقَنَا فِي مَهْوُورِ النِّسَاءِ ، وَفُرُوجِ الْإِمَاءِ .
 وَقُلْنَا لَكُمْ تَمَالَوْا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا
 بِنَهْرِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ ؛ فَقُلْتُمْ لَا تَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، وَوَدِدْنَا أَنَا أَصْبَيْنَا مِنْ يَكْمِينَا ؛ فَقُلْنَا :
 ٢٠ نَحْنُ نَكْمِيكُمْ ، ثُمَّ اللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنْ ظَلَمْنَا لَنُعْطِيَنَّ كُلَّ دِي حَقَّهُ .
 ١٩٨
 ٢ فَحَبِشْنَا فَأَتَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَالسُّيُوفَ بِوُجُوهِنَا ، فَمَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ ،
 فَتَاقَلْتُمُونَا ، فَأَيَّدَكُمْ اللَّهُ ١ فَوَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا تَعْلَمُهُ لَكُنَّا
 أَعْدَاؤُكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَا عُدُوَّ لِلْجَاهِلِ ؛ وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْطَلِقَ بِالْحَقِّ عَلَى
 أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ . ثُمَّ قَالَ : النَّاسُ مَتَانٌ وَمِنْهُمْ الْإِثْلَاقَةُ : ١٥
 حَاكَا جَاءَ بِنَهْرِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ ، أَوْ مُتَّبِعَا لَهُ ، أَوْ رَاضِيَا بِمَعْلِهِ .

أَسْتَعْلَنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا كَانَ مِنْ طَلَبَتِهِ عَلَى الْخُلَفَاءِ ؛ فَإِنَّهُ طَلَعَ فِيهَا عَلَى
 عَثَانَ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضَوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، وَعَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَزِينِ . وَلَمْ يَتْرَكْ
 مِنْ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَكَثُرَ مَنْ يَسُدُّهَا ، فَلَمَسَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . إِلَّا أَنَّهُ
 ذَكَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ رَجُلًا أَصْنَى إِلَى الْمَلَأَى وَالْمَحَازِفِ ، وَأَضَاعَ أَمْرَ الرِّعْيَةِ ، قَالَ : ٢٥
 كَانَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ^(٢) مِنْ عِدَدِ الْخُلَفَاءِ عِنْدَكُمْ ، وَهُوَ مُضْغِعٌ لِلدِّينِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَمْثَلِ : « يَمْدُلُ » .

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ خَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ . (انظر التقرى ص ١١٧ والأغاني

والدنيا . أشترى له بُرْدَيْن بألف دينار ، أُوْزَرَ بأحدهما والتحف بالآخر ، وأَقَمَدَ حَبَابَةَ عن يمينه وسَلَامَةَ من يساره ، فقال : يا حَبَابَةُ غَنَيْتِي وَيَا سَلَامَةَ اسْقِينِي ، فَإِذَا أَمْتَلَأْتُ سُكْرًا أَوْ أَزْدَمِي طَرِبَا شَقَّ ثَوْبِيهِ وَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ؟ فَطُيِّرَ إِلَى النَّارِ وَبُئِسَ لِلصَّيْرِ . فَهَذِهِ صِفَةُ خُلَفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى !

وخطبة لأبي حمزة :

أما بعد ، فَإِنَّكَ فِي نَاشِءٍ فِتْنَةٍ ، وَقَائِمٌ ^(١) ضَلَالَةٍ ، قَدْ طَالَ جُثُومُهَا ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْكَ هُمُومُهَا ، وَتَلَوْتُ ^(٢) مَصَائِدَ عُلُوِّ اللَّهِ مِنْهَا وَمَا نَصَبَ مِنَ الشَّرِّكَ لِأَهْلِ الْفِتْنَةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهَا . فَلَنْ يَهْدَى عَمُودُهَا ، وَلَنْ يَنْزِعَ أَوْتَادُهَا ، إِلَّا الْقَدَى يَبْدُو مِنْكَ الْأَشْيَاءُ ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ بَقَايا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَتَحَيَّرُوا فِي ظُلْمِهَا ، وَلَمْ يُشَايِسُوا أَهْلَهَا عَلَى شُبُهَائِهَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاجِهِمْ تَزْهَوُ ، وَالسُّتُومُ بِحُجُجِ الْكِتَابِ تَنْطَلِقُ ، رَكِبُوا سَبْحَ السَّبِيلِ ، وَظَامُوا عَلَى السَّيْلِ الْأَعْظَمِ . هُمُ خُصَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِهِمْ يُضْلَعُ اللَّهُ الْبِلَادَ ، وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ . طُوبَى لِمَنْ وَلِلسُّتُوبِيعِينَ بَنُوهُمْ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْطِنَا مِنْهُمْ .

من أرتج عليه في خطبته

مئات وزيد
وثابت قطنة

١٥ أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ تَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنْ أَعِشْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ضُرِّيسِرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَا عَلَيْهَا لِأَبِي بَكْرٍ ، خُطِبَ النَّاسُ فَأُتِجَ عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى حُدُودِهِ ، ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، فَمَادَ إِلَى الْحُدُودِ ، ثُمَّ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، حَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْدَ عَصْرِ يُسْرًا ، وَبَعْدَ عَمِيٍّ بَيَانًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ فَاعِلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَأَسْتَحْصَنَهُ . صَدَقَ ثَابِتُ قُطْنَةِ مَدَنٍ سَجِسْتَانُ ، فَقَالَ :

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « وَوَلَدَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « تَلَوْتُ » .

الحمد لله، ثم أرتج عليه، فنزل وهو يقول :
فَإِنْ لَا أَكُنْ فَبِهِمْ خَطِيئًا فَإِنِّي بَسِيقِي إِذَا جَدَّ الْوَعَى لَلْعَطِيبِ
قيل له : لو قُلْتَهَا فَوْقَ النَّبِيِّ لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ .

مأوية وخالد
القسري

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَلِيَ فَخَصِرَ ، قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي
كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فَيْكُمْ فَصَحِبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ ، وَأَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ عَدْلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ،
وإِنِّي آمُرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . وَصَدَّ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ لِلنَّبِيِّ : فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ
مَلِيًّا لَا يَحْكُمُ . ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ [السَّكَلَامُ] فَتَكَلَّمَ فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا السَّكَلَامَ
يَجِيءُ أَيْمَانًا ، وَيَتَرُوبُ أَحْيَانًا ، فَيَسِيحُ عِنْدَ عَجْمِيهِ سَيْبُهُ ، وَيَمُرُّ عِنْدَ عُرْوَةِ
طَلْبِهِ ، وَلَوْ بِمَا كُوبِرُ فَأَنِّي ، وَعُولُجُ فَنَائِي ، فَالْتَأَتْنِي لِحْيَتُهُ خَيْرٌ مِنَ الصَّالِطِ
لَأَيْتِهِ ، وَتَرَكُهُ عِنْدَ تَنَكُّرِهِ أَفْضَلُ مِنْ طَلْبِهِ عِنْدَ تَعَدُّرِهِ ، وَقَدْ يُرْتَجَّ عَلَى الْبَلِيغِ
لِسَانُهُ ، وَيَخْتَلِجُ مِنَ الْجَرَى جَنَانُهُ ، وَسَاعُودُ فَأَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١٩٩
٧

أبو المنبس
ودجل من بني
هاشم

صَعِدَ أَبُو الْقَنْبَسِ مِنْبَرًا مِنْ مَنَابِرِ الطَّائِفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنْتَدِرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ؛ قَالَ :
فَا تَنْفَعُكُمْ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ صَعِدَ
لِلنَّبِيِّ وَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنْتَدِرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟
قَالُوا : نَمْ ؛ قَالَ : فَا حَاجَتُكُمْ إِلَيَّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ مَا عَلِمْتُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا كَانَتْ
الْجُمُعَةُ الثَّلَاثَةُ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَنْتَدِرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ
لَكُمْ ؟ قَالُوا : بَعْضُنَا يَدْرِي وَبَعْضُنَا لَا يَدْرِي ؛ قَالَ : فَلْيُنْخِرِ الْقَدَى يَدْرِي مِنْكُمْ
الْقَدَى لَا يَدْرِي ، ثُمَّ نَزَلَ . وَاتَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمِ الْبِيَامَةِ ، فَلَمَّا صَعِدَ النَّبِيُّ
أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : حَيَّا اللَّهَ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجِئْتَنِي فِدَايَا ، قَدْ أَسْرَتُ طَائِفًا بِاللَّيْلِ
أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا فِي بَيْتِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

٢٠

وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يتلأ الناس أنه يصنع الكلام لثدوبة لفظه وبلاغة منطقه، فبينما هو يخطب يوما إذا وقعت جراحة على ثوبه، فقال: سُبْحَانَ مَنْ الجرادُ مِنْ خلقه، أدمج قوائمها وطرفها وجناحيها^(١)، وسلطها على مَنْ هو أعظم منها. خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى، فأرتج عليه، فسكت ساعة ثم قال: والله لا أجمع عليكم عينا ولؤما، من أخذ شاة من الشوق ضى له ونمها على^(٢). قيل لمبدل لك بن مروان: عجّل عليك للشيب يا أمير المؤمنين. فقال: كيف لا يعجل وأنا أهرض عقلى على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين.

خطب النكاح

١٠ خطبة نطاح:

خطب عثمان بن عفان بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته. فأقعدته على فخذيه، وكان حدثا، فقال: أقرّب قريب خطب أحبّ حبيب، لا أستطيع له ردّا، ولا أجِد من إسعافه بُدّا، قد زوّجتها وأنت أعرّ على منها، وهي ألصق بقلبي منك، فأكرّمها يتدب على لسان ذِكرك، ولا تُهنّها فيسفرَ عندي قدرك، وقد قرّبتك مع قرّبك، فلا تُبمد قاي من قلبك.

وخطبة نطاح:

التمّتي قال: زوّج شبيب بن شيبة ابنه بنتَ سَوار التماسي، قلنا: لسوار التماسي اليوم يَجب عبا به. فلما أجمعوا، تكلم فقال: الحمد لله، وصلى الله على رسول الله. أما بعد، فإنّ للرفقة متا ومنكم وبنا وبكم تمتعنا من الإكثار، وإنّ فلانا ذكر فلانة.

(١) هذا الخبر خريب عن عنوان هذا الباب.

(٢) في بعض الأصول: «جناحها».

وعظبة نطاح :

المتنبى قال : كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح بعد الحمد لله والثناء عليه : أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام للقطعة ، والأنساب للفرقة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يئذل من الصداق كذا ، فأستخيروا الله ورُدُّوا خيراً برحمكم الله .

الحسن البصري

وعظبة نطاح :

المتنبى قال : حضرت ابن القُفَيْر^(١) خطب على نفسه امرأة من باهية فقال : وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تدمم وتُدحُّ وإن فلاة ذُكرت لي .

ابن القفير

وعظبة نطاح :

المتنبى قال : يستعجب للخاطب إطالة الكلام ، وللخطوب إليه تقصيره . فخطب محمد بن الوليد إلى عمر بن العزيز أخته ، فتكلم محمد بكلام طويل . فأجابه عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد ، فإن الرغبة منك دعوتك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك فلنا من أودعك كريمته ، وأختارك ولم يغتر عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله ، إيساكاً بمعرف أو تسميحاً بإحسان .

عمر بن
عبد العزيز

وعظبة نطاح :

خطب بلال إلى قوم من ختم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنا بلال وهذا أخى : كفا ضالين فهذان الله ، عبيدين فأعتقنا الله ، نصيرين فأغنانا الله ؛ فإن رُؤِونا فالحمد لله ، وإن رُؤِونا فالاستعانة بالله .

بلال ولسر بن
عبد العزيز

(١) له من ولد عبد الله بن مسلم أثنى قتبية . (انظر التفاضل ج ٣ ص ١٥٥ طيبة أوردت).

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زوّجك أمير المؤمنين أبنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطيّة ، وكفّيت المسألة .

نظم العبد :

- ٥ . الأصمعيّ قال : زوّج خالد بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد : لو دعوت الناس وخطبت ! قال : أدهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، فقال : إن الله أعظم وأجل من أن يُذكر في نكاح هذين السكّين ، وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

- ١٠ . الأصمعيّ قال : خطب أعرابيّ فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممّرة ، والبعض الأعراب والآخرة دار ممّرة ، فخذوا من ممّركم لممّركم ، ولا تهتكوا أستاذكم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، فيها حَيِّيمٌ ، ولنهرها خُلُقَمٌ ؛ اليومَ عمل بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل . إن الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ قدّموا بشئاً ، يكون لكم قرضاً ، ولا تنزّكوا كلاً ، فيكون عليكم كلاً . أقول قولي هذا والحمد لله ، ولصلى عليه محمد ، وللدعوة له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر ، قوموا إلى صلاتكم .

ونظمه لأعرابي :

- ٢٠ . الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن الضمق لأعرابي في أرجال الخطب لممكن ، والكلام لا ينشئ حتى يُنشئ عنه ، والله تبارك وتعالى لا يدرك واصف كنهه صِفته ، ولا يبلغ خطيب منتهى مدّحته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فأنهضوا إلى صلاتكم ، ثم نزل فصل .

فطلبه أهرابى لقوم :

الحمد لله ، وصلى الله على النبي للمصطفى وعلى جميع الأنبياء . ما أقيح بمثل
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويبتغيه ، وقد قال الأول :
وَدَعَّ مَا لُمْتُ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُكَلِّمَكَ مَنْ تَكَلَّمَ

لأمرابى يخط
قوما

أحمدنا الله وإياكم تقواه ، والمصل برضاه ^(١) .

وفى الأم زيادة من غير أصلها ، فأوردتها كهيئتها ، وهى خطبة للى
كرم الله وجهه أوردت فى هذه المجتبية تلوه خطبة المأمون يوم عيد الفطر ^(٢) :

جاء رجل إلى على كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لَنَا رَبَّنَا
لتزداد له محبة ، وبه مفرقة . فنضب على كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة

خطبة للى بن
أبو طالب يصف
الرب

جامعة . فأجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ، ثم صعد المنبر وهو
مُتَّصِبٌ مُتَّخِذٌ اللون ، فَحَمَدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ
صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لله الَّذِى لَا يَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ ، وَلَا يَكْذِبُ
الإعطاء ، بَلْ كُلُّ مُقَرَّرٍ يَنْقُصُ سِوَاهُ ، هُوَ الْمَتَّانُ بِفِرَائِدِ ^(٣) النَّيِّمِ ، وَعَوَائِدِ
المزِيد ، وَبِحُجُودِهِ صُنِّتْ عِيَالُهُ ^(٤) الْخَلْقُ ، وَنُهِجَ سَبِيلُ الطَّلَبِ لِقَرَابَتِهِ إِلَيْهِ .

وليس بما يسأل أجود منه بما لا يسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه
حال ، ولو وهب ما أنشئت عنه معادن الجبال ، وضجعت عنه أصداف البحار ،

٢٠١
٢

(١) فى ١ بعد هذا : « تم الجزء السادس والمصريون من كتاب القدر ، وهو الوساطة
فى الخطب من تحفة حسين جزء بحمد الله وعونه وتوقيعه . يتلوه فى الجزء
السابع والمصريين المجتبية الثانية فى التوقيعات والضموم والصدور وأخبار الكتب .
وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وفى ٢ : « صلى الله على محمد وآله والحمد لله رب
العالمين . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الأول من كتاب المجتبية الثانية وحسبنا الله
ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

٢٠

(٢) فى ٢ : « وجدت فى بعض النسخ خطبة للى عليه السلام أوردت فى الجزء الأول
من هذه المجتبية تلوه خطبة المأمون يوم الفطر فألحقها ها هنا وهى . وقد أغفلتها
أولم تذكرها كالم تذكر أى إشارة إليها .

٢٥

(٣) فى بعض الأصول : « بفوائده » .

(٤) عال الخلق عيالة . كفاهم وماتهم وقاتهم . وفى بعض الأصول : « ضنن ... الخ » .

- من ظَلَمَ اللّٰجِينَ ، وسبائك البقيان ، وشَذَرُ^(١) الدُّرِّ ، وَحَصِيدُ الرُّجَانِ ،
لبعض عبادِه ، ما أثر ذلك في مُلكِه ولا في جُودِه ، ولا أَعَدَّ ذلك سَمَةً ما عنده .
فَئِنَّه^(٢) من الأفضال ما لا يُفَنِّدُه مَطْلَبٌ وسؤال^(٣) ، ولا يَحْطِرُ لَكُم على
بال ؛ لأنَّه الجوادُ الذي لا تَنْقُصُه اللوَاهِبُ ، ولا يُبرِمُه إلحاحُ اللّٰجِينَ بالحوامِجِ ،
إنما أَسْرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقول له كُنْ فيكون . فاعْلَمُوا أنَّه هو هكذا ولا
هكذا غيرُه ؟ سبحانَه وبِحَمْدِه ! أيها السائل ، أعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل
أحدًا بَعْدِي ، فإنِّي أكتفيك مؤونة الطَّلبِ ، وشِدَّةَ التَّمَقُّقِ في اللَّذْبِ .
وكيف يُوَصِّفُ الذي سألتني عنه ، وهو الذي عَجَزَتْ عنه الللائكةُ ، على قُرْبِهِم
من كَرَمِي كرامته ، وطُولِ وَلَمِهِم إليه ، وتَنْظِيهِم جلالَ عِزَّتِه ؛ وقُرْبِهِم من
غَيْبِ مَلَكُوتِه ، أن يَتَقَلَّوْا مِنْهُ إلَّا ما عَلِمُهم ، وهم من مَلَكُوتِ العرشِ
بَحِثْ هُم ، ومن مَعْرِفَتِه على ما فَطَرَهُم عليه ، فقالوا : سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلَّا
ما عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العليمُ الحَكِيمُ . فَدَحَّ اللهُ أَعْتَرَاهِم بِالْعَجْزِ عما لم يَحِيطُوا به
عِلْماً ، وَتَمَيَّيْ تَزَكَّيْهِم التَّمَقُّقِ فيما لم يُكَلِّمُهُم البَحْثُ عَنْهُ رُسُوخاً . فَأَقْصِرْ على
هذا ، ولا تَقْدِرْ عَظَمَةَ اللهِ على قُدْرِ عَقْلِكَ ، فتكونَ من الهالِكِينَ . وأَعْلَمُ أَنَّ
اللهَ الذي لم يَخْدُثْ فِيمَكِنَّ فِيهِ التَّنْزِيْرُ وَالْإِنْتِقَالُ ، ولم يَتَغَيَّرْ في ذاته بِمَرُورِ
الأحوالِ ، ولم يَخْتَلَفْ عليه تَمَاقُبُ الأَيَّامِ وَالْأَيَّالِ ، هو الذي خلقَ الخلقَ على
غَيْرِ مِثَالٍ أَمْتَلَه ، ولا مِقْدَارٍ أَحْتَذَى عليه مِنْ خَالِقٍ كان قَبْلَه ؛ بل أَرانا من
مَلَكُوتِ قُدْرَتِه ، ومَجَانِبِ رُبُوبِيَّتِه ، مما نَطَقَتْ به آثارُ حِكْمَتِه ، وأَضْطَرَّ
الحاجة من الخلقِ إلى أن يُفَهِّمَهُم بَيِّناتُ قُوَّتِه^(٤) ، ما دَلَّنا بَقِيامِ الحُجَّةِ له بِذلك
علينا على مَعْرِفَتِه . ولم نَحْطْ به الصِّفَاتِ بِأَدْرَاكِها إِيَّاهُ بِالْحُدُودِ مُتَنَاهِيَةً ، وما

(١) في بعض الأصول : « شاره »

(٢) في بعض الأصول : « ولكن كان عنده » مكان « فئِنَّه » .

(٣) في بعض الأصول : « السؤال » .

(٤) في بعض الأصول « تهيؤته » .

- زال ، إذ هو الله القى ليس كمثل شئ ، عن صفة المخلوقين مُتَمَالِيَا ، انحصرت
 الميئون عن أن تتأله ، فيكون بالبيان مَوْصُوفًا ، وبالذات التي لا يَتَلَهَا إِلَّا هو
 عند خلقه مَعْرُوفًا . وفات لعلوه عن الأشياء مَوَاقِعَ وَهْمِ التَّوَهُّمِينَ ، وليس له
 مِثْلٌ فيكون بالخلق مُتَمَجِّيًا ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشياء والأنداد
 منزهًا . وكيف يكون من لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ مُقَدَّرًا في روايات الأوهام ، وقد
 ضَلَّتْ في إدراك كَيْفِيَّتِهِ حَوَاسُّ الْأَنَامِ ؛ لأنه أَجَلٌ من أن تُعَدَّهُ أَلْبَابُ الْبَشَرِ
 بِنَظَرٍ . فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين ، وسُبْحَانَهُ وتعالى عن إغلك الجاهلين .
 أَلَا وَإِنَّ فِيهِ مَلَائِكَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ، لو أَنَّ مَلَكَ حَبَطَ مِنْهُمْ إِلَى الْأَرْضِ
 لَمَا وَسَّعَتْهُ ، لِعَظَمِ خَلْقِهِ وَكَثْرَةِ أَجْنَحَتِهِ ؛ ومن ملائكته مَنْ سَدَّ الْأَفَاقَ بِجَنَاحِ
 من أَجْنَحَتِهِ دُونَ سَائِرِ بَدَنِهِ ؛ ومن ملائكته مَنْ السَّمَوَاتُ إِلَى حُجْرَتِهِ ^(١)
 وَسَائِرِ بَدَنِهِ فِي جِزْمٍ ^(٢) الْمَوَادِّ الْأَسْفَلِ ، وَالْأَرْضُونَ إِلَى رُكْبَتِهِ ؛ ومن ملائكته
 من لو أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ مَا وَصَفُوهُ ، لُبْدٍ مَا بَيْنَ مَنَاصِلِهِ ،
 وَلِحْسِنِ تَرْكِيبِ صُورَتِهِ ؛ وكيف يُوصَفُ مَنْ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ مَنَسْكِبِيهِ
 إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِيهِ ؛ ومن ملائكته من لو أَلْقَيْتِ الشُّفْنَ فِي دُمُوعِ عَيْنِيهِ تَلَبَّرَتْ
 دَهْرَ النَّاهِرِينَ . فَأَيْنَ أَيْنَ بِأَحَدِكُمْ أَوَّيْنِ أَيْنَ [أَنْ] يَدْرِيكَ مَا لَا يُدْرِكُ ^(٣) ١٥

(١) الحبة : منه الإزار .

(٢) في بعض الأصول : « في جزء » .

(٣) جاء في بعض الأصول بعد الفراغ من هذه الخطبة : « ثم الإلحاق . وهو خطبة

على كرم الله وجهه » .

(١١) فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولنا في الخطب ٢٠٢
وفضائلها ، وذكر طواها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بمون الله ٢
وتوقيفه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب ٥
وفضل الإعجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنا ، وأرقه قدرا ، وأعظمه
من القلوب مؤثما ، وأقله على اللسان عملا ، ما دلّ بعضه على كله ، وكفى تليده
عن كثيره . وشهد ظاهره على باطنه ؛ وذلك أن ثقل حروفه ، وتكثّر
معانيه . ومنه قولهم : رُبّ إشارة أبلغ من لفظ . ليس أن الإشارة تُبين ١٠
ما لا يبيّن الكلام ، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ، ولكنها إذا قامت مقام
اللفظ ، وسدّت مسدّ الكلام ، كانت أبلغ ، لقلة مؤنثها وخفة محلها (١).

قال أبو زيد لكتابه : أجمع الكثير مما تريد من المعنى (٢) ، في القليل
مما تقول . يحضه على الإعجاز وينهاه عن الإكثار في كتبه . ألا تراهم كيف
طمعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من
الإسهاب ! قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : للسهب (٣) الذي يتخلل لسانه تتخلل ١٥
الباتر (٤) ، ويشول به شولان الزوق (٥) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) في قبيل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصل الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه » . ولعل هنا : « ثم الجزء السابع والمعمرون من كتاب الفقه وهو كتاب المجنب الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب » .

(٢) في بعض الأصول : « لحقة مؤنثها وقلة محلها » .

(٣) في بعض الأصول : « اللفظ » .

(٤) السهب ، بفتح الهاء وكسرهما ، وأنكر بعضهم الكسر . وقيل : السهب (بالفتح) : الذي يكثر الكلام في الخطأ . فإن كان في صواب فهو بالكسر .

(٥) الباتر : جماعة البتر . (٦) الروق : البرز والرمح .

لأبروز ثم
اصحاب ثم قتي
صل الله عليه
وسلم في عيب
الإكثار

أَبْنَضَكُمْ إِلَى الثَّرَاوِينِ لَتَشْدُونَ . يُرِيدُ أَهْلُ الْإِكْثَارِ وَالتَّعْمِيرِ فِي الْكَلَامِ .
 وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ يَلُمُ الْإِيْجَازَ وَيَقْدَحُ فِيهِ وَيَعْبِيهِ وَيَطْمَنُ عَلَيْهِ .
 وَنَحْبُ الْعَرَبِ التَّخْفِيفَ وَالْحَذْفَ ، وَلَوْ رَءَاهَا مِنَ التَّنْقِيلِ وَالتَّطْوِيلِ كَانَ قَصْرُ
 لَلْتَدْوِدِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ مَنَدِّ الْقُصُورِ ، وَتَشْكِينُ الْمُتَحَرِّكِ أَخَفَّ عَلَيْهَا مِنْ
 تَحْرِيكِ السَّاكِنِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ عَمَلٌ وَالشُّكُونَ رَاحَةٌ . وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ ٥
 الْأَخْتِصَارُ وَالْإِطْنَابُ ، وَالْأَخْتِصَارُ عِنْدَهُمْ أَحَدٌ فِي الْجُمْلَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِلْإِطْنَابِ
 مَوْضِعٌ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ . وَقَدْ تَوَسَّيْتُ إِلَى الشَّيْءِ فَتَسْتَعْنِي عَنِ التَّفْسِيرِ بِالْإِيْجَازِ ،
 كَمَا تَالُوا : لَمَعَةُ دَالَّةٌ .

العرب والإيجاز

كَتَبَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ إِلَى ضَمْرَةِ الْعَرُورِيِّ كِتَابًا ، فَنَظَرَ فِيهِ جَمْعُ بْنُ
 يَحْيَى فَوَقَعَ فِي ظَهْرِهِ : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِيْجَازُ مُقْتَصِرًا ، وَإِذَا كَانَ ١٠
 الْإِيْجَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا . وَبَعَثَ إِلَى سُرَوَانَ بْنِ عَمْدٍ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ
 بِفَلَامِ أُسُودَ ، فَأَمَرَ عَمْدَ الْحَمِيدَ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِلُحَاهِ وَيُخَفِّفَ ، فَكَتَبَ
 وَأَكْثَرَ ، فَاسْتَقْبَلَ ذَلِكَ سُرَوَانُ ، وَأَخَذَ الْكِتَابَ فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِهِ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ
 عَلِمْتَ عَدْدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْ نَاسِئًا مِنْ أُسُودَ لَبَعَثْتَ بِهِ . وَتَكَلَّمَ رِيْمَةُ الزَّأْنَى
 فَأَكْثَرَ وَأَعْجَبَهُ إِكْثَارُهُ ، فَأَلْفَتْ إِلَى أَعْرَابِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَصْدُونَ ١٥
 الْبِلَاغَةَ عِنْدَكُمْ يَا أَعْرَابِيٍّ ؟ قَالَ لَهُ : حَذَفَ الْكَلَامَ ، وَإِيْجَازَ الصَّوَابِ . قَالَ :
 فَاتَمَذُّونَ الْعِيَّ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ فِيهِ مَقْدُومًا . فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا .

لجفر على كتاب
 لأن مسعود ثم
 لروان على كتاب
 قاله ثم بين
 ربيعة الرأي
 وأما ابن

أول من وضع الكتابة

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ وَالسَّرْيَانِيَّ وَسَائِرَ الْكُتُبِ آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ سَنَةٍ ، كَتَبَهُ فِي الطِّينِ ثُمَّ طَبَخَهُ ، فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ ٢٠
 أَصَابَهُ الْأَرْضُ مِنَ الرِّقِّ وَجَدَ كُلُّ قَوْمٍ كِتَابَتَهُمْ ، فَكَتَبُوا بِهِ ٢١ . فَكَانَ

آدم عليه السلام

(١) فِي الْأُمُورِ : « فَلَمَّا كَانَ مَا أَصَابَ » . وَمَا أَتَيْنَا عَنْ الْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ
 الْجَهْمِيَّ (ص ١ طبعة الحلبي) . (٢) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْفَهْرَسْتِ هَذَا
 الْكَلَامَ عَنْ كُتُبِ ، وَقَالَ : « وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ » .

أدريس
عليه السلام

قوم من الجبل
في الآخرة
مخزون

4701

بنو إسماعيل

الكتاب
أول الإسلام

- ५०

- ٢٥

[الناصر ، و [خالد بن] سميد أخوه ، وأبو] حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والملاء بن الحضرى ^(١) ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد ^(٢) ، وعبد الله بن سعد بن أبي مروح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت بن مخزومة .

استفتاح الكتب

- ٥ إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها : (بسم الله عزها ومزاسها) ، فكتب : بسم الله ؛ ثم نزلت سورة بنى إسرائيل : (قل أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ) ، فكتب : بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت سورة النمل : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) ، فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأسراره جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان . وكذلك كانوا يكتبون إليه ، يبدءون بأنفسهم ، فمن كتب إليه وبدأ بنفسه : أبو بكر والملاء بن الحضرى وغيرهما ، وكذلك كتب الصحابة والتابعين ، ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك ، فظلم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بمضموم بعضا ، ففجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فأتتهما تحيلا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد ، والتموم عليه إلى اليوم .

لإبراهيم الشيباني
في معنى هذا
السنن

ختم الكتاب وعنوانه

- وأما ختم الكتاب وعنوانه : فإن الكتب لم تزل مشهورة ^(٣) ، غير معنونة .
- (١) هؤلاء الثغر السعة عمر من قرش ، أما الملاء هذا فسكان من حلفاء قرش .
- (٢) كذا في سياق من هذا الجزء عند الكلام على الحلفاء . وهو أبو سلمة عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي ، وكان أبا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاة . (واظفر الإصابة) ، والنبي للأسود هنا : « أبو سلمة بن عبد الأسد » وهو تحريف . واظفر البلاذرى .
- (٣) أي مشهورة بقرا ما فيها من غير أن يفسد ختمها .

سبب ختم الكتب
وعنوانها

ولا محتومة ، حتى كتبت بحيفة للتلخيص ، فلما قرأها خُتمت [الكتاب] وعُوتت .
وكان يُوقَى بالكتاب فيقال : مَنْ عَقِيَ بِهِ ، فَسَمِيَ عَنْوَانَا .

شعر لحسان
في قتل عثمان

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَمُّوا بِأَشْمَطِ عَنْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْلِيحًا وَقُرْآنًا

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمعتُ بها جيلها للذي أحببتُ عَنْوَانَا

لبعض أهل
التفسير

وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا) أَيْ
مُخْتَموم ، إذ كانت كرامة الكتاب ختمه .

تأريخ الكتاب

- ١٠ لا بد من تأريخ الكتاب ، لأنه لا يُدْرَك على تحقيق الأخبار وقرب عهد
الكتاب وبمُده إلا بالتأريخ . فإذا أردت أن تُؤرِّخ كتابك فانظر إلى ماضى
من الشهر وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت :
لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف ،
جملت مكان : مضت ، بقيت . وقد قال بعضُ الكتاب : لا تكتب إذا
أُرخت إلا بما مضى من الشهر ، لأنه معروف ، وما بقى منه مجهول ؛ لأنك
لا تدري أين الشهر أم لا .

سجادة الكتاب
وما جرى بين
ابن طاهر وبعض
معلمه

ولا تجعل سجادة^(١) كتابك غليظة ، إلا في كُتب المهود والسجلات التي
يحتاج إلى بقاء خواتيمها وطواحيها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعضُ
عماله على العراق كتابًا ، وجعل سجادة^(٢) غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب
إليه ، فلما ورد عليه ، قال عبد الله بن طاهر : إن كانت ملك فأس فأقطع
ختم كتابك ثم أرجع إلى عملك ، وإن عُدت إلى مثلها عُدنا إلى إشخاصك

(١) سجادة القراطيس وسجادة وسجادة : ما سجي منه ، أي لُغِر وأخذ .
وكذلك القلمة الصغيرة منه . فإذا شدته بسجادة ، قلت : سجيته ، بالشد .

تعلما . ولا تُعظم الطينة جدًّا ، وطِنَ كُتُبِكَ بعد كُتُبِكَ عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طينت قبل العنوان فأدب مُنتحل ^(١) .

تفسير الأُمى

- فأما الأُمى فجازؤه على ثلاثة وجوه : قولهم أُمى ، منسوب إلى أُمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويقال : رجل أُمى ، إذا كان من أم القرى . قال الله تعالى :
 • (لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) . وأما قوله تعالى : (النبي الأُمى) فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب . والأُمىة فى النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ، لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا يُنشده .

- قال اللأمون لأبى العلاء للنقري : بَلَفَى أَنْكَ أُمى ، وَأَنْكَ لَا تَقِيْمُ الشَّعْرَ ، وَأَنْكَ لَنْحَنَ فِي كَلَامِكَ . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا أَقْحَنُ ، فَرَبَّمَا سَبَقْنِي لِسَانِي بِالشَّيْءِ مِنْهُ ؛ وَأَمَّا الْأُمِيَّةُ وَكَسْرُ الشَّعْرِ ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِيًّا ، وَكَانَ لَا يُنْشِدُ الشَّعْرَ . فقال اللأمون : سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثَةِ عُيُوبٍ فِيكَ فَزِدْنِي رَابِعًا ، وَهُوَ الْجَهْلُ ؛ أَمَا عَلِمْتَ يَا جَاهِلُ أَنَّ ذَلِكَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضِيلَةٌ ، وَفِيكَ وَفِي أَمْثَالِكَ تَقِيْعَةٌ !

بين اللأمون وأبى العلاء للنقري

شرف الكتاب وفضلهم

- فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَتَلَمَّ) . وقوله تعالى : (كَرَامًا كَاتِبِينَ) . وقوله : (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ) . وللكتاب أحكام بيّنة ، كأحكام القضاة ، يُعرفون بها ، ويُنسبون إليها ، ويُقلدون التدبير وسياسة لذلك [بها] دون غيرهم ، وبهم ^(٢) يُقام أَوْد

بعض ما أثر فى فضلهم

(١) فى بعض الأصول : « طبت ... مستحل » .

(٢) فى بعض الأصول : « وبأهلها » .

الدين ، وأمور المالمين .

- فمن أهل هذه الصناعة : علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونبله وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب الوحي ، ثم أفضت إليه الخلافة . بعد الكتابة ؛ وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا ، كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه ، وكان للثيرة بن شعبة والحُصَيْن بن مُخَيْر يكتبان ما بين الناس ؛ وكانا ينويان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا ، وكان عبد الله بن الأرقم ^(١) ابن عبد يغوث والملاء بن عتبة يكتبان بين القوم في قبائلهم وميماهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خُرس ^(٢) ثمار الحجاز ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ، وقيل : إنه تعلم بالفارسية من رسول كِشْرَى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام . ورؤى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام الحاجة ، فقال لي : ضَع القلم على أذنك فإنه أذكر لُصْلَى وأقضى للحاجة . وكان مُتَّقِيْب بن أبي فاطمة يكتب مَنَام النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حَنْظَلَة بن الربيع بن اللُزْع ^(٣) بن صَيْق ، ابن أخي أكرم بن صَيْق الأَسَيْدِي ^(٤) ، خليفة كُلِّ كاتب من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ، فنُتِب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال

(١) كذا في الوزراء والكتاب والإصابة والطبري . والحق في الأصول هنا : زيد بن أرقم . وهو تحريف .

(٢) الحرس : حزر ما على التخل من الزلب وما على الكرم من العنب زيبا .

(٣) في الأصول : « للربيع » وهو تحريف . انظر القاموس مادة ربيع .

(٤) في الأصول : « الأسيدي » . وما أثبتنا عن الاشتقاق والبلادى .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

له : الزنى وأذكرني بكل شيء أنا فيه ، وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء . وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأمرأة مقترلة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : ألحق خالداً وقل له : لا تقتل ذرية ولا حسيفاً^(١) . ومات حنظلة بمدينة الرها^(٢) ، فقالت فيه أمرأته ، وحكى أنه من قول الجين ، وهذا محال :

٥

يا عَجَبَ الدهرِ لمَحْزُونَةٍ^(٣) تَبْكِي على ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبِ
إن تَسْأَلْنِي اليومَ ما شَفَى أَخْبَرُكَ قِيلاً ليس بالكاذبِ
أَنْ سَوَّادَ الرَّأْسِ أَوْ ذِي به وَجْدِي على حَنْظَلَةَ الكاتبِ

ولما وَجَّهَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعداً إلى العراق وكتب إليه أن

- يُسَبِّحَ القبائل أسباحتاً ، ويَجْمَلِ على كل سُبُع رجلاً ، ففعل سعد ذلك ، وجعل ١٠
الشَّعْب الثالث ثَمِيماً وأَسَدًا وخطفان وهوازن ، وأَمِـرَهم حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الكاتب ؛
وكان أحد من سُرِّ إلى بَرْذَجٍ يدعوه إلى الإسلام . وكان العُصَيْن بن نُصَيْر^(٤) ،
من بني عبد مناة ، شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليكتب صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، فأبى ذلك مُسَهِّل^(٥) بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا
رجل منا ، فكتب علي بن أبي طالب . ورؤى عنه عليه السلام أنه قال : لما ١٥
جاء مُسَهِّل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّةِ حين صالَحَ
قُرَيْشًا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ يكتب له ، ثم أرند ولحق
بالشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شِئْتُ . فسمع ذلك رجل من الأنصار ،
فَحَلَفَ بالله إن أَمْسَكَنَهُ الله منه ليضربنه ضرباً بالسيف ، فلما كان يومَ فَتْحِ
مكة ، جاء به عُثْمَانُ ، وكان بينهما رَضاع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عبدُ الله قد ٢٠

(١) السيف : الأجير . (٢) كان موته في إمارة سلوية .

(٣) في بنى الأوسول : « لحيوية » . وما أجبنا عن سائر الأوسول والاشتقاق .

(٤) في بنى الأوسول : « زهير » .

(٥) في بنى الأوسول : « سهل » . وما أجبنا عن سائر الأوسول والسيرة .

أقبل تاجاً ، فأعرض عنه ، والأنصاري مُطِيفٌ به ومعه سيفه ، فذَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده وبأيه ، وقال للأنصاري : لقد تَكَلَّمْتُكَ ^(١) أَنْ تُوفِي بِنَذْرِكَ . فقال : هَلَّا أَوْضَعْتُ إِلَى . فقال صلى الله عليه وسلم : لَا تَذْبَنِي لِي أَنْ أَوْضَعَ .

• أيام أبي بكر

رضى الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عَمَانُ بْنُ عَفَانَ ، وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ . وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْأَرْقَمِ كَتَبَ لَهُ ، وَ[أَب] حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّيْعِ [كَتَبَ لَهُ أَيْضًا] . وَلَمَّا تَقَلَّدَ الْخِلَافَةَ دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ شَابٌّ حَافِلٌ لَا تَهْمُكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُنْتَ تَكْتُبُ الرُّوحَى ، نَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَأُجْمَعُ ، وَفِيهِ يَقُولُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ :

فَنَ لِلْقَوَائِي بِدَحْثَانٍ وَأَبْنَسِهِ وَمَنْ لِلثَّنَائِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

أيام عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

كَتَبَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقَمِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْفِ الْخُرَاعِيِّ ، أَبُو مَلُوحَةَ الطَّلَحَاتِ ، عَلَى دِيْوَانِ الْبَيْعَةِ . وَكَتَبَ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ السَّكُونَةِ أَبُو جَبِيَّةٍ ^(٢) بْنُ الضَّحَّاكِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٣) ابْنُ زِيَادٍ فَرَزَهُ وَوَلِيَ مَكَانَهُ حَبِيبُ بْنُ سَعْدٍ الْقَيْسِيُّ .

(١) الطوم : الاضطرار والخلب .

(٢) كذا في الوزراء والطبرى وتهذيب التهذيب . والقى في الأصول : « أبو جبرة » .

(٣) في بعض الأصول : « عبيد » .

أيام عثمان بن عفان

رضي الله عنه

- كان يكتب لثمان مروان بن الحَكَم . وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة على ديوان الكوفة ، وعبدُ الله بن الأرقم على بيت اللال ، وأبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار ، من بني دُهمان ، من قيس عيلان^(١) ، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أهيب ، مولاه ، وُهمران ، مولاه . ٢٠٦
٢

أيام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

- كان يكتب له سعيد بن نِشان التَّمَداني^(٢) ، ثم ولي قضاء الكوفة لأبْن الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له . وروى أن عبد الله بن حسن^(٣) كتب له ، وكان عبد الله^(٤) بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب . ١٠
(٥)

- وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان سعيد بن أنس الغساني^(٦) . وكانت يزيد بن معاوية سرجون^(٧) بن منصور . وكانت مروان بن الحكم حميد بن عبد الرحمن بن عوف^(٨) . وكانت عبد الملك بن مروان سالم مولاه^(٩) ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . وكانت الوليد بن ١٥

(١) في الأصول : « حمدان ... عيلان » . والتصويب عن الطبري والوزراء .

(٢) في الأصول : « سعد بن همران » . وما أئبنا عن الوزراء والأغاني (ج ١٦ ص ٨) .

(٣) في الوزراء : « جبير » . (٤) في الطبري : « عبيد الله » .

(٥) ظاهر أن هنا سقطاً من التاسعة يشبه أن يكون : « دولة بني مروان » . على نحو ما جاء بعد ، أو « أيام بني مروان » على مثال ما سبق . ٢٠

(٦) في الوزراء : « عبيد الله بن أوس الغساني » . وفي الطبري : « عبيد بن أوس » .

(٧) في الأصول والأغاني (ج ٨ ص ٢٩٠) طبعة دار الكتب : « سرجون » وما أئبنا عن الوزراء والطبري .

(٨) حفا غير ما في الوزراء . (٩) حفا غير ما في الوزراء . ٢٥

عبد الملك جَنَاح مولاة . وكاتبُ سُلَيْمان بن عبد الملك عبدُ الحَديد الأصغر .
وكاتبُ عمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رَقِيَّة ، مولى أُمِّ الحَكَم ، وكتب له
رِجاء بن حَيوة ونُصص به ، وإسماعيل بن أبي حَكِيم مولى الزُّبير ، وسليمان بن
سعد الخُشَنِي على ديوان الخراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده . وكاتبُ يزيد
ابن عبد الملك عبدُ الحَديد^(١) أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبني أُمَيَّة إلى أيام مروان بن
محمد وأُنقضاء دولة بني أُمَيَّة . وكان عبد الحَديد أول من فُتق أ كَام البلاغة ،
وسَهَّل طُرُها ، وفَلَّك رِقَاب الشَّعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتبُ أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب اللورياني^(٢) الأهوازي . كتاب بي العباس
وكاتبُ موسى الهادي بن محمد المهدي إبراهيم بن ذَكْوَان الحِمْيَرِي . وكاتب
هارون الرشيد بن محمد المهدي يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم
إبراهيم بن صَبِيح . وكاتبُ محمد بن زُبَيْدة الأمين الفضل بن الربيع . وكاتبُ
عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضل بن سَهْل ، ثم الحسن بن سَهْل ، ثم
عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف . وكاتبُ أبي إسحاق محمد المصمّر بن
هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك
الزيات . وكاتبُ الواثق هارون بن محمد المصمّر محمد بن عبد الملك الزيات أيضاً .
وكاتبُ المتوكل جعفر بن محمد المصمّر إبراهيم بن العباس بن صُول ، مولى لبني
العباس . وكاتبُ للمصمّر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمد بن الخميمب ،
ثم كتب للمستعين أحمد بن محمد المصمّر ، فظهر من عجزه وعِيه ما أسخطه عليه ،
ثم جل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سَخَط
عليهما فقتلها ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يَزْدَاد ، ثم صرفه وقلد

(١) هو عبد الحَديد بن يحيى . انظر القد نيا سبأني وابن خلكان (ج ١ ص ٣٠٨) .

(٢) في الأصول : « الرزباني » ، والنسوب من الوزراء والطبى والعسرى .

وزارته محمد بن الفضل الجرجاني . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمُعتز ، قتل
 للمُعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما أَسْتَقَام الأُمُور وزارته إلى أحد
 ابن إسرائيل . وكانهُ المهتدي ^(١) محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ،
 ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر للمعتد أحمد بن التوكل
 عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ، وكان سبب
 موته أنه صدّقه غلامٌ له في الليدان يقال له رَشِيق ، فعُصِّل إلى منزله فأت به
 ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتد أحمد بن طلحة ، والموفق بن جعفر التوكل
 عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمُكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد
 بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المُقتدر بالله بن المعتضد بالله
 علي بن محمد بن الفُرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ،
 ثم ^(٢) حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مُقلة ، الذي وصف خطه بالجمودة ،
 ثم سليمان بن الحسن ^(٣) بن مخلد ، ثم عبيد الله بن محمد السكّودي ^(٤) ، ثم الحسين
 بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولُقّب بميمد الدولة ، وكان يكتب
 على كتبه : من حميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة ، وذُكر لقبه على الدنانير
 والدرهم ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفُرات . وتقلد الوزارة للقاهر بالله
 أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مُقلة ، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ،
 ثم القاسم بن عبيد الله المُصنّف ^(٥) . وتقلد الوزارة للرازي بالله أبي العباس محمد
 ابن جعفر المُقتدر محمد بن علي بن مُقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير
 علي بن عيسى ، ثم ^(٦) محمد بن القاسم السكّرخي ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن

٣٠ (١) في الأصول : « المهدي » .
 (٢) في الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب من الوزراء والفتوى .
 (٣) في الأصول : « الحسين » والتصويب من الفتوى .
 (٤) في بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد السكّودي » .
 (٥) فَيَاسِيَّاتِي في المقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحسيني » . والقي في مروج
 الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحسيني » .
 (٦) في الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب من الفتوى .

الفرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمُتقي بالله إبراهيم بن جعفر ابن القنديل كاتبه أحد بن محمد بن الأفلح ، ثم أبو إسحاق القراري ، ثم علي بن محمد بن مقله^(١) . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المستكفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري ، للمستكفي أبا الفرج . ثم ولي للطبع بالله الفضل بن القنديل ، فوزر له الحسن بن هارون^(٢) .

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان للنيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري . وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن هبة بن مسعود ، وكان قاضياً بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري ، مع ثبته وقبحه وورعه وزهده ، كاتباً للرَّبيع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمرو بن عبد العزيز ، فقيل له : من وليت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيّد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري . وكان محمد بن سيرين ، مع علمه وورعه كاتباً لأنس بن مالك بفارس . وكان زياد ابن أبيه ، مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في أدعائه ، يكتب للمؤيرة ابن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز^(٣) ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم لأبي موسى الأشعري . فوجهه أبو موسى من البصرة لعمرو بن الخطاب ليرفع إليه حسابه ، فأمره عمر بألف درهم ، لما رأى منه من الذكاء ، وقال : له لا ترجم لأبي موسى ؛ قال : يا أمير المؤمنين . أعن خيانة صرّفتني أم عن تقصير ؟ قال : لا من واحدة منها ، ولكني أكره أن أحلّ فضل عقلت على الرعية ؛ ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشامي مع قبحه وعلمه وثبته كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد ، عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ؛

(١) في الأصول : « محمد بن علي بن مقله » . والتصويب عن مروج الذهب والنفوس .

ومحمد بن علي بن مقله توفي سنة ٣٢٨ ، أي قبل ولاية التقي التي كانت سنة ٣٢٩ .

(٢) له الحسن بن محمد المهدي . (انظر التقد في سياتي وابن خلكان ج ١ ص ١٤٢) .

(٣) في الأصول : « كرز » . وهو تحريف . (انظر الملوف والطبري) .

ثم ولى قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لمعد الملك على ديوان الخاتم^(١) . وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الضراعى ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة ، رضى الله عنها . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان يزيد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن زمنة^(٤) بن الأسود بن اللطاب بن أسد ابن عبد الشرى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده محمد بن عبد الرحمن بن عوف الأموى^(٥) .

أشراف [الكتاب]

- ١٠ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم .
كتب له عشرة كتاب : على بن أبي طالب ، ومُحمر بن الخطاب ، وعُثمان ابن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاصى ، وأبان بن سعيد بن العاصى ، وأبو سعيد بن العاصى ، وعمر بن العاصى ، وشريحيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والقلاء بن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان^(٦) ، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .
- ١٥ وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاصى

كتاب التمهيد
الله عليه وسلم

من إشراف
الكتاب

- (١) زيد بن يسر الأصول كلة : « بيد » بعد قوله : « الخاتم » .
(٢) في الأصول : « زيد » . وما أئتمناه عن سائر الأصول والطبرى .
(٣) في الأصول : « سعيد » . وما أئتمناه عن الطبرى .
(٤) في الأصول : « ربيعة » وما أئتمناه عن الطبرى والإصابة والسيرة .
(٥) في يسر الأصول : « بن » وهو تحريف .
(٦) ذكر المؤلف في هذا الباب قبضة وعبد الله بن خلف وخارجة ويزيد بن عبد الله ، مع أنهم ممن كتبوا لخلقاء . (٧) كذا في أكثر الأصول . ولم على هذا أحد عبرا وذكروهم (ى) ولم تذكرتهم أبان . وانظر الوزراء والكتاب في أسماء من ثبت على كتابته صلى الله عليه وسلم . ثم انظر ما سبق في هذا الجزء (ص ١٦٠ — ١٦٣) ضد الكلام على صرف الكتاب وفصلهم .

كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المنيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتباً للربيع ابن زياد الحارثي بخراسان . وكان سعيد بن جبهر كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلاً . وكان زياد كاتباً للمنيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ، ثم لعبد الله بن هيثم . وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع ، وهو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير . وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك ، على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبيزى كاتباً نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبيد الله ^(١) بن أوس النشائي ، سيد أهل الشام ، كاتباً معاوية . وكان سعيد بن يثربان ^(٢) الحمداي ، سيد همدان ، كاتباً على بن أبي طالب ، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لصبر وحيثان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد ابن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن زمنة بن الأسود بن لطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية . وكان بمده محمد ، ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، صاحب النهي صلى الله عليه وسلم .

من نبيل بالكتابة وكان قبل خاملاً

٢٠ مَرْجُون بن منصور الرضوي ، كاتب لمعاوية ويزيد أبوه ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، إلى أن أسره عبد الملك بأمر فتوائى فيه ، ورأى منه

(١) كذا في بعض الأصول ، والقي في الطبري : « سعيد بن أوس » . وقد مر في هذا الجزء باسم : « سعيد بن أس » . والقي في سائر الأصول : « عبد الله » .
(٢) كذا في الوزراء والطبري والأغانى (ج ١٦ ص ٨) طبعة بلاي . والقي في الأصول : « سعيد بن عمران » .

- عبدُ الملك بعضَ التفریط ، فقال لسليمان بن سَند كَاتِبِهِ عَلَى الرِّسَالِ : إِنَّ سَرَجُونُ يُدَلِّ عَلَيْنَا بِصَنَاعَتِهِ ، وَأُظْهِرَ أَنَّهُ رَأَى ضَرُورَتَنَا إِلَيْهِ فِي حِسَابِهِ ، فَمَا عِنْدَكَ فِيهِ حِيلَةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، لَوْ شِئْتُ لَحَوَّلْتُ الْحِسَابَ مِنَ الرُّومِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ . قَالَ : أَفْضَلُ . قَالَ : أَنْظِرْنِي أَتَانِ ذَلِكَ . قَالَ : لَكَ نَفْطَرَةٌ مَا شِئْتُ . فَحَوَّلَ الدَّبِيرَانِ ، فَوَلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ جَمِيعَ ذَلِكَ . وَحَسَّانُ الْقَتَبِيُّ ^(١) كَاتِبُ الْحِجَابِ ، وَصَالِمُ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ الْأَكْبَرُ ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ ^(٢) ، وَجَبَلَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقَصْدَمُ ، جَدُّ الْوَلِيدِ ^(٣) . بَنَ هِشَامُ الْقَتَبِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي قَلَّبَ الدَّوَاوِينَ مِنَ الْفَارَسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ^(٤) . وَمِنْهُمْ : الْفَرَّاءُ ^(٥) ، كَاتِبُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ . وَمِنْهُمْ : الرَّبِيعُ ، وَالْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، وَيَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ، وَأَبُو [مُحَمَّدٍ] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُتَّقِعِ ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، ١٠ وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ [مُحَمَّدٍ] ^(٦) الْأَشْثِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، وَأَبُو عَبْدِ السَّلَامِ الْجَنْدُبِيُّ سَابُورِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ ، وَالْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَيْسَاسِ الصُّوْلِيُّ ، وَنَجَّاحُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ [بْنِ] اللَّذْبَرِ . فَهَؤُلَاءِ كَتَبُوا بِالْكِتَابَةِ وَأَسْتَحَقُّوا أَسْمَاءَهُمْ .

- ١١ من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها
- صالح بن شهزاد ، وجعفر بن سابور ، كاتب الأفشين ، والفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَدَاوُدُ بْنُ الْبَرَزَجِ ، وَأَبُو صَالِحٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ دَادَ ، وَأَحْمَدُ

- (١) كَانَ حَسَّانُ نَصْرَانِيًّا وَلَمْ يَسْلَمْ إِلَّا أَيَّامَ هِشَامٍ عَلَى يَدِ ابْنِ الْمُنْتَصِرِ . (انظر الوزراء) .
 (٢) لَهُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَبَانَ . (انظر الوزراء والكتاب) .
 (٣) فِي صَبِيحِ الْأَعْمَى (ج ١ ص ٤٠) : « جَدُّ الْحِجَابِ » .
 (٤) الَّذِي فِي الْوِزَرَاءِ أَنَّ الَّذِي قَلَّبَ الدَّوَاوِينَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ هُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيَّامَ الْحِجَابِ ، وَكَانَ أَسْتَاذًا لِكَثِيرِينَ مِنْهُمْ قَدْ عَلَّمَ هَذَا .
 (٥) فِي الْوِزَرَاءِ أَنَّ كَاتِبَ هَذَا هُوَ : « مَرْوَانَ بْنُ يُونُسَ » .
 (٦) الْفَسْكَةُ مِنَ الْوِزَرَاءِ .
 (٧) فِي صَبِيحِ الْأَعْمَى (ج ١ ص ٤٠) : « ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ » .

٢٠٩ ابن الخصيب . فهو لاء لعلخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها ^(١) .

٢

لبعض الشعراء
في ابن شبرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شبرزاد :

حَارَّ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَّعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ
فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ غَرَّقْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِلْدَادِ

لأبي أيوب في
وفاة أم سليمان
ابن وهب

ومنهم : أبو أيوب ، ابن أخت أبي الوزير ^(٢) ، وهو القائل يرثي أم سليمان

ابن وهب الكاتب :

لَأُمِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْنَا مُصِيبَةٌ مُغْلَقَةٌ ^(٣) مِثْلُ الْحُصَامِ الْيَوْتِ
وَكُنْتُ سِرَاجَ الْبَيْتِ يَا أُمِّ سَالِمٍ فَأَخْبَى سِرَاجَ الْبَيْتِ وَسَطَ الْقَابِرِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل في ، ماتت أمي

١٠ فرميت بمثل هذا الشعر ، وتقل أمي من سليمان إلى سالم .

صفة الكاتب

لإبراهيم الشيباني
في معنى هذا
النون

^(٤) قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدالُ القامة ، وصغرُ

القامة ، وخفةُ اللهازم ^(٥) ، وكثافةُ اللحية ، وصِدْقُ الحِسِّ ، ولُطْفُ اللَّذْهِبِ ،

وحلاوةُ الشبائل ، وحسنُ ^(٦) الإشارة ، وملاحةُ الزُّبَى ، حتى قال بعضُ المهالبة

١٥ لولده : تَزَيَّنَا بِزِيَةِ الْكِتَابِ ، فإن فيهم أدبُ اللوك وتواضعُ الشوكة . وقال

إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة أن يكون الكاتب : نَقِيَّ

لِللَّبْسِ ، نَظِيفَ لِلْجِلْسِ ، ظَاهِرَ لِلرُّوَّةِ ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، صَادِقَ

الحِسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِيِ الْأَسَانِ ، حُلُوَّ الْإِشَارَةِ ، بَلِيغَ الْأَسْتِمَارَةِ ،

(١) في : • • • ومجنوها • مكان : « وما دانوها » .

(٢) هو أبو الوزير عمر بن مطرف ، كتب للهدى والرشيد . (انظر الوزراء) .

٢٠

(٣) في بعض الأصول : « مغلقة » .

(٤) في صبيح الأعشى (ج ١ ص ٦٧) : « محمد بن إبراهيم الشيباني » .

(٥) الهمزتان : مستثنان في أصل الحديث .

(٦) في صبيح الأعشى ونهاية الأرب (ج ٧ ص ١٧) : « وخلف » .

لطيف السالك ، مُستَقَرَّ التركيب ^(١) ؛ ولا يكون مع ذلك فَصْفَاضُ الْجَنَّةِ ^(٢) ،
مُتَفَاوَتُ الأجزاء ، طَوِيلُ الأَحْيَةِ ، عَظِيمُ الهَامَةِ ؛ فَإنهم زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ
لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا اللَّهُ كَاهُ وَالْقِطْنَةِ . وَأَنشُدْ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي إِبرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :
رَأَيْتُ لَهُازِمَ الْكِتَابِ خَفَّتْ وَلَهَزَمَتَاكُ شَأْنُهُمَا الْقِدَامَةَ ^(٣)

لَا يَنْحَدِرُ فِي
إِبْنِ الْعَبَّاسِ

- وَسَكَّتَابُ الْمُلُوكِ لَمْ يَبَيَّنْ كَيْثُلُ الثَّرَقَةِ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ
وَأَنْتَ إِذَا نَقَطْتَ كَانَ عَيْبًا يُلُوكُ بِمَا يَفُوهُ بِهِ لِجَامَتِهِ

بعض الشعراء وقال آخر :

- عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَيِّقٍ رَشِيقٍ زَكِيٍّ فِي تَكْمِائِهِ حِرَارَةٍ
تُفَاجِيهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ فَيَفْهَمُ رَجْعَ لَحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ
وَنَظَرَ أَحَدٍ مِنَ الْخَصِيبِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكِتَابِ : قَدَّمَ الْمُنْظَرُ ^(١) ، مُضْطَرِبٌ ١٠
اَلْخَلْقُ ، طَوِيلُ الْمُتَنُونِ ، قَال : لِأَنَّ يَكُونُ هَذَا فَيَنْطَاسُ مُرَكَّبٌ أَشْبَهُ مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا .

لَا يَنْحَدِرُ فِي
كَاتِبِ

- فَإِذَا أَجْتَمَعَتِ الْكَاتِبُ هَذِهِ الْخِلَالَ ، وَأَنْتَقَلَبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِلَالُ ، فَهُوَ
الْكَاتِبُ الْبَلِغُ ، وَالْأَدِيبُ التَّعْزِيرُ ؛ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آتَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآلَاتِ ،
وَقَصُرَتْ بِهِ أَدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ ، فَهُوَ مُنْقَوِصُ الْجَمَالِ ، مُنْكَسِفُ الْحِصْنِ ، ١٥
مِنْ خُصُوصِ التَّصْيِبِ .

مَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ نَفْسُهُ

- قَالَ إِبرَاهِيمُ الشَّيْبَانِيُّ : أَوَّلُ ذَلِكَ حُسْنُ الْخَطِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ
الصَّمِيرِ ، وَسَيِّيرُ الْعَقْلِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرَةِ ، وَسِلَاحُ الْتَرْفَةِ ، وَأَنْسُ الْإِخْوَانِ عِنْدَ
الْفَرَقَةِ ، وَمَحَادَثُهُمْ ^(٥) عَلَى بَعْدِ الْمَسَافَةِ ، وَمُسْتَوْدَعُ الْمَرْءِ ، وَدِيَارُ الْأُمُورِ .
وَلَسْتُ أَجِدُ أَحْسَنَ الْخَطِّ حَذًّا أَتَفَّ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ [بِنِ رَبَّنَا] ٢٠

لِإِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيِّ

(١) فِي نَهْجَةِ الْأَرْبَابِ : « مَسْطَرَّةُ الرُّكْبِ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْجَبَةِ » .
وَمَا أَتَتْ عَنْ سَائِرِ الْأَصُولِ وَمَسِيحِ الْأَعْمَى . (٣) الْقِدَامَةُ : الَّتِي عِنْدَ الْكَلَامِ .
(٤) أَيْ غَلِظَ صَبْرَهُ . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَجَادَتْهُمْ » .

النصراني الكاتب^(١)، فإني سألتُه وأستوصفُته الخطَّ، فقال: أعلِّك الخطَّ في كلمة واحدة، فقلت له: تفضَّل بذلك، فقال: لا تكتبَ حرفاً حتى تَشْفِرَ جِهْدُكَ في كتابة الحرف، وتَجْعَلَ في نفسك أنك لا تكتبَ غيره حتى تَمُجِّزَ عنه، ثم تَنْقُلْ إلى ما بعده. وإياك والتَّنْقُط والشَّكْل في كتابك إلا أن تمر بالحرفِ المُضِل الذي تعلم أن المكتوبَ إليه يَمُجِّز عن أَسْمَخِراجِه؛ فإني سمعتُ سعيدَ بنَ حميد [بن عبد الحميد] الكاتب يقول: لأنَّ يُشَكِّل الحرفُ على الفارسي أحبُّ إليَّ من أن يُعَابَ الكتاب بالشَّكْل. وكان المأمونُ يقول: إِيَّاكَ والشَّوْزِيز^(٢) في كُتُبِك — يعني التَّنْقُط والإِعْجَام. ومن ذلك أن يُصْلَح الكاتبُ آتاهُ التي لا يَذْنُها، وأدأته التي لا تَتَمُّ^(٣) صناعتهُ إلا بها، مثل دَوَاهِها، فَلَيْتَنِي رُبَّهَا^(٤) وإصلاحها، وليتَحَيَّر من أنابيب القصبِ آتاهُ عُقْدًا، وأَكْثَرُهَا لَهَا، وأصلبُه قَشْرًا، وأعدله أَسْتَوًا، ويجعلُ لِقُرْطاسِه سِكِّينًا حادًا لتكونَ عَوْنًا له على بَرَى أَفْلامِه، ويؤْرِبها من ناحية نَباتِ القَصْبَةِ. وأعلم أن محلَّ القلم من الكاتب كحلِّ الرَّمَح من الفارس.

قال المتأني: سألتُ الأصمعيَّ [يومًا] في دار الرُّشيد: أيُّ الأنابيب للكتابة أصلَحُ وعليها أصبر؟ فقلتُ له: ما تُشِفُ بالهجير ماؤه، وسرته من تلويحه غشاؤه، من التَّثَرِيَةِ القُشُور، القَرِيَةِ الظُّهُور، الفِضِّيَةِ الكُسُور. قال: فأني نوع من البريِّ أصوبُ وأُكْتَبُ؟ فقلت: البرِّيَّةُ المُستَوِيَّة القَطْعَةُ، التي عن عَيْنِ سِنِّها قُرَّةٌ^(٥) تَأْمِنُ معها اللَّجَّةُ عند اللَّذَّةِ واللَّطَّةِ، للهواءِ في شَقِّها فَيَقِينُ

(١) انظر الطبري والمقبة وابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣٠٩) وفهرست ابن التديم

(ص ٣١٦). وقد ذكره ابن التديم من مؤلفاته كتابًا في الآداب والأعمال

على مناهب الفرس والروم والعرب. وفي الأصول: «الصرافاني».

(٢) الشويز: الجبة السوداء، فارسي. (٣) في بعض الأصول: «لا شر».

(٤) ربها: إصلاحها.

(٥) القرية (الضم): الطرف الفاضل من كل شيء، أو زاوِته أو شعبته أو ما تَنبَأ منه. وفي بعض الأصول: «برية». وهو تحريف.

للأصمعي في وصف الأنابيب

والربيع في جَوْنَهَا خَرِيقٌ^(١) ، والدَّادُ في خُرطوها رقيق . قال المتأني : فبقى
الأممى شاكساً إلى ضاحكا لا يُحير مسألة ولا جواباً .

من سلات
الكاتب

- ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم
آخره . وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابته دليل على حاجته ، كما أن
أفضل الأبيات ما دل أول البيت على قافيته . فلا تطيلن صدر كتابك إطالة
تُخرجه عن حده ، ولا تقصّره دون حده ، فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد
صدور كتب اللوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .
وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة تجزأت في أبدان مُفترقة .

لهي
وابن وهب

- فأما الكاتب للستحق أسم الكتابة ، والبلغ للحكموم له بالبلغة ، من
إذا حاول صيغة كتاب سالت من قلبه عيون الكلام من يبايها ، وظهرت من
معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب .

من سلات
الكاتب أيضاً

- بلغني أن صديقاً لكثوم المتأني أتاه يوماً فقال له : أصنع لي رسالة ،
فاستمدّ مدّة ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً هناك .
فقال له المتأني : إني لما تناولتُ القلم تداعت على اللما في من كل جهة ، فأحببتُ
أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجنتُ لك أحسنها . قال أحد بن
محمد : كنتُ عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يُملى على كاتب له ،
فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فقلج لسان قلم الكاتب عن تقييد
إملائه ، فقال له : اكتب يا حمار . فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه
لما هطلت شائب الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كلّ القلم عن إدراك
ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .
وقال له يوماً وقد مضى^(٢) حرفاً في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طمّيان في القلم .

بيت الحادي
وصديق له يمد
يزيد . وكاتب له

(١) ربيع خريق : راحة غير مستمرة المير ؟ أو هي اللينة المسهلة .

(٢) في بعض الأصول : « نط » .

ما يحتاج إليه
الكاتب

فإن كان لا بد [لك] من طلب أدوات الكتابة فتصنع من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأمثال ما يتنوع به منقطعك ، ويطول به قطفك ، وانظر في كتب اللغات والخطب ، ومجوبة الترتيب^(١) ، ومعاني المعجم ، وحدود اللغز ، وأمثال النثر ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووفائهم ومكابدهم في حروبهم^(٢) ، والوثائق والشور وكتب السجلات والأمانات ، وفرض الشعر الجيد ، وعلم العروض ، بعد أن تكون متوسطاً [في] علم النحو والترب ، لتكون ماهراً تنزع أي القرآن في مواضعه ، والأمثال^(٣) في أمالكها ، فإن تضمن للثل السائر ، والتبث الغابر البار ، مما يزين كتابك ، ما لم تحاطب خليفة أو مليكاً جليل القدر ؛ فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلقاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد^(٤) في أهتبه .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم^(٥) من الشعر وصار بناحية الرقة ، قال لمرو بن مسعدة^(٦) : ما زلت تسألني في الرؤي^(٧) حتى وليته الأهواز ، فعد في سريرة الدنيا يأكلها خضياً وقضاً ، ولم

- (١) في بيش الأصول : « العرب في حروبهم » .
- (٢) في بيش الأصول : « في حروبهم بعد أن تكون متوسطاً في علم النحو والترب والشور وكتب السجلات والأمانات لتكون ... في أمالكها وفرض الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمن » . وفيه تقديم وتأخير لا يستقيم به .
- (٣) في بيش الأصول : « واختلاف الأمثال » . (٤) في : « فإن ذلك مما ينفذ » .
- (٥) كذا في الأصول وصحيح الأعمى (ج ١ ص ١٤٧) . والمروفي أن عمرو بن مسعدة تولى في حياة المأمون سنة ٢١٧ . وأن للصمم ولي الخلافة في رجب سنة ٢١٨ .
- (٦) هو عمرو بن الفرج ، كما في صحيح الأعمى . والرعي : لية إلى رعي ، كورة ومدينة من نواحي كابل . وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام التوكل . (انظر معجم البلدان) . وفي بيش الأصول : « الرعي » . وهو تصفيف .

- يُوجِبُهُ إِلَيْنَا بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ . أَخْرُجْ إِلَيْهِ مِنْ سَاعَتِكَ . قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيْدَى
الْوِزَارَةِ أَصْدِرُ مُسْتَعْتَبًا عَلَى عَامِلِ خَرَجٍ ١ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ بَدَأًا مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، قُلْتُ : أَخْرُجْ إِلَيْهِ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَحْلَفْ لِي أَنَّكَ لَا تَقِيمُ
بِبَغْدَادٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا . خَلَفْتُ لَهُ ، ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادٍ ، فَأَصْرَتُ قُرْشٌ لِي
زَوْزُقٌ ^(١) بِالطَّيْرِ ، وَغُشْيٌ ^(٢) بِالسَّيْفِ ^(٣) ، وَطُرْحٌ عَلَيْهِ الْكُكْرُ ^(٤) . ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَلَمَّا
صِرْتُ بَيْنَ دَرِّ هَزْلٍ وَدَرِّ الْعَاقُولِ ^(٥) إِذَا رَجُلٌ بِصَيْحٍ : يَا مَلَأَحُ ، رَجُلٌ مُتَقَطِعٌ .
قُلْتُ لِلْمَلَأَحُ : قَرَّبْ إِلَى الشَّطِّ . قَالَ : يَا سَيْدِي ، هَذَا شَحَّاذٌ ، فَإِنْ قَدَّمَ مَعَكَ
آذَاكَ . فَلَمْ أَنْضِ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَسْرَتُ النِّلْسَانَ فَأَدْخَلُوهُ ، فَقَعَدَ فِي كَوْنَتِلِ ^(٦)
الزَّوْزُقِ . فَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الْغَدَاءِ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى طِمَاعِي ، فَدَعَوْتُهُ ،
فَجَلَسَ بِأَكْلِ كُلِّ جَائِعٍ بَهَامَةً إِلَّا أَنَّهُ نَفَّيْتُ الْأَكْلَ . فَلَمَّا رَفَعَ الطِّعَامُ أَرَدْتُ أَنْ ١٠
يَسْتَمْلِعَ مِنِّي مَا يَسْتَمْلِعُ الْعَوَامُ مَعَ الْخَوَاصِ : أَنْ يَقَوْمَ فَيَسْلُ بِدَهْ فِي نَاحِيَةٍ ،
فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَغَبَرَهُ النِّلْسَانُ فَلَمْ يَقُمْ ، فَتَشَاغَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ قُلْتُ : يَا هَذَا ، مَا صَنَاعَتُكَ
قَالَ : حَائِلٌ ^(٧) . قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ شَرٌّ مِنْ الْأُولَى . فَقَالَ لِي : جُمِلْتُ
فِدَاكَ ، قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِنَاعَتِي فَأَخْبَرْتُكَ ، فَمَا صِنَاعَتُكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ فِي
نَفْسِي : هَذِهِ أَعْظَمُ مِنْ الْأُولَى ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَهُ الْوِزَارَةَ ، قُلْتُ : أَتَمْتَعِرُ لَهُ ١٥
عَلَى الْكِتَابَةِ ، قُلْتُ : كَاتِبٌ . قَالَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، الْكِتَابُ عَلَى خِصَةِ
أَصْنَافٍ : فَكَاتِبٌ رَسَائِلُ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْقَصَلَ مِنَ الْوَصْلِ ، وَالْمُتَدَوِّرَ ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « زَلَالٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « وَحْشِي » .

(٣) السَّيْفُ (بِالْكَسْرِ) : الْجِلْدُ . وَفِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « بِالطَّلِجِ » . ٢٠

(٤) الْكُكْرُ (بِالْفَتْحِ) : الْكِبَاءُ .

(٥) دَرِّ هَزْلٍ : دَرِّ مَشْهُورٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَعَسْكَرٍ مُكَرَّمٍ . وَدَرِّ الْعَاقُولِ : بَيْنَ مَدَائِنِ

كُسْرَى وَالتَّيْمَانِيَةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَادِ خِصَةِ عَشْرِ فَرَسَخَاتٍ . (انظر مَعِجَمُ الْبُلْدَانِ) .

(٦) الْكَوْنَتُ : مَوْضِعُ السَّيْنَةِ أَوْ سَكَنُهَا .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « حَائِلُ الْكَلَامِ » .

والتهاني ، والتمازي ، والترغيب والترهيب ، والقصور والحدود ، ومجملات
الربنية ؛ وكتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة ، والأشغال^(١)
والطسوق^(٢) ، والتقسيم ، والحساب ؛ وكتب جند يحتاج إلى أن يعرف مع الحساب
الأطباع^(٣) ، وشيأت الدواب ، وحلى^(٤) الناس ؛ وكتب قاضي يحتاج إلى أن يكون
• عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والنسوخ والحلال والحرام والوارث ؛
وكتب شرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجورح والقصاص والعقول^(٥) والديات .
فأبهم أنت أعزك الله ؟ قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني إذا كان لك صديق
تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أ^ه ، فكيف
تكتب له ، أنهتبه أم تميزه ؟ قلت : والله ما أقف على ما تقول . قال : فلست
بكاتب رسائل ، فأبهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج . قال : فما تقول أصلحك
١٠
الله وقد ولأك السلطان عملاً قَبِئْتُكَ عمالك فيه ، فجاءك قوم يظنون من بعض
٢١٢
عمالك ، فأردت أن تنتظر في أمورهم ، وتنفصمهم إذ كنت تحب العدل والبر^(٦) ،
وتؤثر حسن الأحدثوة وطيب الذكر ، وكان لأحدم قراح^(٧) ، كيف كنت
تسمحه ؟ قال : كنت أضرب المطوف في العمود ، وأنظر كم مقدار ذلك . قال :
١٥ إذن تظلم الرجل . قلت : فأسمح السمود على حدة . قال : إذن تظلم السلطان .
قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج ، فأبهم أنت ؟ قلت : كاتب

- (١) الأشغال : جمع شغل . وهي التوقيآت عليها من حملها أو وضعها سبحة أفعر
جف لبنها ؛ الواحدة : شائلة . (٢) كفا في الأصول . والطسوق : جمع
طسق ، وهو ما يوضع من الوظيفة على الجريان من الخراج المقر على الأرض ،
فارس مبر . وفي صبح الأعشى : « السلوح » . وهو تحريف .
(٣) الأطباع : الرواتب الجارية على الجند في الأوقات التي يستحقونها فيها على ما يقتضيه
كل زمان . (انظر الاقتضاب ص ٧٤) . وفي بعض الأصول : « التقدير » .
(٤) حلى (كهدى ويضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء) جمع حلية (بالكسر) وهي الصفة .
(٥) العقل : البنية ، ومجيت البنية عقلا ، لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيطولونها بفناء ولي
الفتول ، ثم كفر ذلك حتى قيل دية عقل وإن كانت دناير أو دراهم .
(٦) في بعض الأصول : « والسير » .
(٧) القراح : للزراعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر . وفي بعض الأصول :
« قراح فائل ضيا » . وفي صبح الأعشى : « قراح فائل ضيا » .

- جند . قال : فاقول في رجلين أسم كل واحد منهما أحد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ قال : كنت أكتب : أحد الأعلم وأحد الأعلم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ، فتظلم صاحب الألف ا قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكتاب جند ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض . فقال : فاقول أصلحك الله في رجل توفي وخلف زوجة ومصرعة^(١) ، وكان للزوجة بنت وللمصرعة ابن ، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرة ابن المصرعة فادعته ، وجعلت أبنها مكانه ، فتنازعا فيه ، فقالت هذه : هذا أبني ، وقالت هذه : هذا أبني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟ قلت : والله لست أدرى . قال : فلست بكتاب قاض ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فاقول أصلحك الله في رجل وثب على رجل فشبهه شجرة موضحة^(٢) ، فوثب عليه المشجوع فشبهه شجرة مأمومة^(٣) ؟ قلت : ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، [قد سألت] ففسر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه فكتب إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجزى بشير بحاب للخلقين والله يختار للمباد ، فغار الله لك في قبضها إليه ، فإن التبر أكرم لها ، والسلام ؛ وأما القراح ، فتضرب واحداً في مساحة المطوف ، فنتم بأبه ؛ وأما أحد وأحد ، فتكتب حلية للمقطوع الشفة العليا : أحد الأعلم ، والمقطوع الشفة السفلى : أحد الأشرم ؛ وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان أخف فهي صاحبة البنت ؛ وأما الشجة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلاثا ، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلاثا . قلت : أصلحك الله ، فما تزع بك إلى هذا ؟ قال : ابن عم لي

(١) السرية (بالضم) : الدلوكة يتسراها صاحبها .

(٢) الموضحة من السجاج : التي بلغت العظم فأوهنت عنه .

(٣) مأمومة ، أي بلغت أم الرأس .

كان عاملا على ناحية ، فخرجتُ إليه فالتقيته مَترولا ، فَبَطَعَ بِي ، فَأَنَا خَارِجٌ
أُضْطَرُّ بِفِي الْمَاشِ . قُلْتُ : أَلَسْتُ ذَكَرْتُ أَنَّكَ حَائِكٌ ؟ قَالَ : أَنَا أُحَوِّكُ
الْكَلَامَ وَلَسْتُ بِحَائِكِ الثِّيَابِ . قَالَ : فَدَعَوْتُ الزَّيْنَ فَأَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَأَدْخَلَ
الْحِمَامَ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ ثِيَابِي . فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى الْأَهْوَازِ كَلَّتِ الرُّخْجِيُّ
فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَرَجَعَ مَعِيَ ، فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :
مَا كَانَ مِنْ خَبْرِكَ فِي طَرِيقِكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي حَتَّى حَدَّثْتُهُ حَدِيثَ الرَّجُلِ .
فَقَالَ لِي : هَذَا لَا يُسْتَفَى عَنْهُ ، فَلَأَيْ شَيْءٍ يَصْلُحُ ؟ قُلْتُ : هَذَا أَعْلَمُ النَّاسِ
بِالسَّاحَةِ وَالْمُهَنْدِسَةِ . قَالَ : فَوَلَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْبِنَاءَ وَالتَّرْتِيبَ . فَكُنْتُ وَاقِفَهُ
أَتَقَاهُ فِي الْمَوْكَبِ النَّبِيلِ فَيَنْتَحِلُ عَنْ دَابَّتِهِ ، فَأَحْلِفَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !
إِنَّمَا هَذِهِ نَفْسُكَ ، وَبِكَ أُنْذِرُهَا ^(١) .

فضائل الكتابة

قَالَ أَبُو عَثَانَ الْجَلِيزِيُّ : مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَتَقَدَّ طَرِيقَةً فِي الْأَدَبِ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْكَتَّابِ ، فَإِنَّهُمْ اتَّسَمَوْا مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَوَعَّرًا وَحَشِيًّا ، وَلَا سَائِعًا
سُوقِيًّا . وَقَالَ بَعْضُ الْمُهَالِبَةِ لِبَنِيهِ : تَزَيَّرُوا بِزَيِّ الْكَتَّابِ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا أَدَبَ
الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعُوا السُّوقَةَ . وَعَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْكَتَّابِ فَأَمَرَ
بِحَبْسِهِمْ ، فَرَفَعُوا إِلَيْهِ رُقْعَةً لَيْسَ فِيهَا إِلَّا هَذَا الْبَيْتُ :

وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَانَا قَهْنًا لِلْعُكْرَامِ الْكَاتِبِينَ

فَعَفَا عَنْهُمْ وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِمْ .

وَقَالَ الْمَوْئِدُ : كُتِّبَ لِلْمُلُوكِ عُيُونُهُمْ [الْغَاظَةُ] ، وَأَذَانُهُمُ الْوَاعِيَةُ ،
وَأَسْتَمَتُهُمُ النَّاطِقَةُ . وَالْكَتَابَةُ أَشْرَفُ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْخِلَافَةِ ، وَهِيَ صِنَاعَةٌ
جَلِيلَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : [الْكَتَابَةُ] أَوَّلُ
زِينَةِ الدُّنْيَا الَّتِي إِلَيْهَا يَنْتَهَى الْقَصْلُ ، وَعِنْدَهَا تَقِفُ الرُّغْبَةُ .

(١) انظر صبح الأعشى ، فيبين الصنم خلاف كبير .

الجاحظ لم يرض
المهالبة ينصح بيه
ثم لفوم من
كتاب التصور
نظفوا إليه

٢١٣
٢

اللؤي ثم لسهل
ابن هارون في
فضل الكتابة

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

إبراهيم الشيباني
في طبقات
الكتاب

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والملاء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقهم ، فخطب كلا على قدر أهله وجلالته ، وعُلوّه وأرتقاعه ، وفطنته وانقباهه . وأجل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ^(١) ؛ منها : الطبقات السليّة أربع ، والطبقات الأخر ، وهي دونها ، أربع ؛ لكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمها ، لا ينبغي للكتّاب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلّب معناها إلى غيرها . فالخذ الأول : الطبقات الثعلبية ، وغايتها ^(٢) التصوري الخلافة ، التي أجل الله قدرها وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير ؛ والطبقة الثانية لوزرائها وكتّابها الذين يخاطبون الخلفاء بمقولم وأستهم ، ويرثقون الفتوح بأرائهم ؛ ١٠ والطبقة الثالثة أمراء قُصورهم وقواد جُنودهم ، فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره ومؤلفه ، وحظه وقدرته وإجزائه ، واضطلاعهم بما حمل من أعباء وأمورهم وجلالهم أعالمهم ؛ والرابطة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع الملاء ، وحليّة الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة وهيبّة الأسماء . وأما الطبقات الأربع الآخر فهم : الملوك الذين أوجب نعمهم تظليلهم في الكتّاب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها ؛ والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين [بهم] تفرع أبوابهم ، وبنائهم تستباح أموالهم ؛ والثالثة هم الملاء [الذين] يجب توقيهم في الكتّاب بشرف العلم وعلوّ درجة أهلهم ؛ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والخلالة والطلاوة ، والنظر والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأهبيتهم وتصقّصهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم . ٢٠ واستغني عن الترتيب للسوق والموام والتجّار باستغنائهم بمهنتهم ^(٣) عن هذه الآلات ،

(١) انظر الاقتصاب في شرح أدب الكتاب (ص ٦٦ - ٧٠) فيين طبقات الكتاب هنا وهناك تباين . (٢) في بعض الأصول : « والثانية » .

(٣) في بعض الأصول : « مهنتهم » .

واشتغالهم بمهماتهم من هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراها في مراسلتك إليهم في كتبك ، فترى كلامك في مخاطبتهم بميزاته ، وتسطيه قسمة ، وتوقيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضمت له لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلط بهم غير مسلكهم ، ويجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنفلم جوهر كلامك في غير سلكه .

٥

فلا تمتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً لا تنها عن كآبته ، ومثلنا بمن راسلته ؛ فإن إلباسك المعنى ، وإن صحت وشرفت ، لفظاً متخلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عاداتهم ، تهجين للمعنى ، وإحلال بقدره ، وعظم بحق المكتوب إليه ، ونقص بما يجب له ؛ كما أن في أتباع تعارضهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجررت

١٠

$\frac{214}{7}$

به سنتهم ، قطعاً لمذرم ، وخروجاً من حقوقهم ، وولوجاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أديهم . فن الألفاظ للرغوب عنها ، والصدور للمستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمرء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمركم ملياً . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنًا ، وأنه قدرًا في مخاطبة

١٥

كما أنهم جعلوا : أكرمك الله ، و : أبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جُعلت فداك ، على اشتراك معناه ، وأحتمل أن يكون فداءه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءه من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أزم فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد . على أن كُتِبَ التسكرو عوامتهم قد دلوا بهذه اللفظة حتى أستعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هيبة في مخاطبة الشريف والوضيع ، والسكرير

٢٠

والصغير . ولعلك قال محمود الوراق :

كَلَّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مَنْ رَى مِنَ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يَدْخُلُ الْأَمْلَاكَ
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مِثْلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لَلْكَتَبِ يَا جُعِلَتْ فِدَاكَ

وكذلك لم يميزوا أن يكتبوا بمثل ، أبقاك الله ، وأمتع بك ، إلا في الابن والخدام المنقطع إليك ؛ وأما في كتب الإخوان ، فغير جائز بل مذموم مَرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

- أَحَلَّتْ عَمَّا عَهِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتَ مُسْكَافَتِهِ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ نَقَصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ •
أَكُنْ حَقًّا كِتَابَ ذِي رِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعْ بِكَ
أَتُنَبِّئُكَ فِي مُكَاتِبَتِي حَسْبُكَ مَا قَدْ لَقِيتَ فِي تَبِكَ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ :

- صَاحِبُ أَخَوْنِ الْإِخَاءِ يَا أَمَلِي وَكَلَّ شَيْءٌ أَنَاؤُ مِنْ سَبَبِكَ
أَنْصَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ وَلَنْ تُرَاهُ يَحْطُ فِي كُتُبِكَ ١٠
إِنَّ يَكْ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي قَدْ بَفَضَ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكَ
فَاعْفُ قَدْ تَنَكَّ الثُّغُوسُ عَنْ رَجُلِي يَعْيشُ حَقَّ الْمَلَةِ فِي أَدَبِكَ
وَلِكُلِّ مَسْكُوتٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوَزَنٌ ، يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَلَّا يَتَجَاوَزَ بِهِ عَنْهُ ،
وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ دُونَهُ . وقد رأيتهم عابوا الأحرص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله :

- وَأَرَاكَ تَقْعَلُ مَا تَقُولُ وَبِضْهُم مَتَّقِ الْحَدِيثَ يَقُولُ مَا لَا يَقْعَلُ^(١)
وهذا معنى صحيح في اللدح ، ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يُمدحوا بما تُمدح به السوام ؛ لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو واجب على العامة ، والملوك لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم بالتوافل ؛ لأن اللادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تَرْتَضِي بِمَحَلَّةِ جَارِكَ ، وإنك لا تَحْمِلُ مَا اسْتَوْدَعْتَ ، وإنك لاتصدق في وَعْدِكَ وتُخَيِّرُ بِعَهْدِكَ ، فكانه قد أنشئ بما يجب ، ولو قصد بثناؤه إلى مقصده^(٢) كان أشبه في الملوك^(٣) .

(١) متق الحديث ، أي في حديثه مداورة ومواربة . (٢) أي تناؤه على الملوك بالتوافل لا بالفرائض . (٣) في الملوك ، أي في مدح الملوك .

و نحن نعلم أنَّ كلَّ أمير يتولَّى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ،
غير أنهم لم يُطلقوا هذه القطة إلا على ألقاب خاصة . ونحن نعلم أنَّ الكيس هو
العاقِل ، لكن لو وصفت رجلاً قفلت : إنه لما قفل ، كفت مدحته عند الناس ،
وإن قلت : إنه لكيس ، كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره ،
إلا عند أهل العلم بالغة ؛ لأنَّ المأمة لا تلتفت إلى معنى الكلمة ، ولكن إلى
ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال المأمة لهذه الكلمة
مع الأقدان والفترة وخسارة القدر وصغر السن . وقد روينا عن عليٍّ كرم الله
وجهه أنه نسي بالكيس حين بنى سجن الكوفة ، فقال في ذلك :

أما تراني كيساً مُكيساً^(١) بنيتُ بسد نافع مُحْكَم^(٢)

حصناً حصيناً^(٣) وأميناً كيساً

وقال الشاعر : ما يصنع الأحقُّ المزوق بالكيس^(٤)

وكذلك نعلم أنَّ الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ،
كذلك روينا عن ابن عباس . وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخه له يلهي ويقول
في تلبيته : لبّيك يا ذا المارج ، فقال : نحن نعلم أنه ذو المارج ، ولكن ليس
كذا كنّا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنّا نقول : لبّيك
اللهم لبّيك . وكان [أبو] إبراهيم المزني^(٥) يقول في بعض ما خاطب به داود
ابن خلف الأصمباني^(٦) : فإنّ قال كذا فقد خرج عن الله ، والحمد لله .

(١) كيساً مكيساً ، أي طريفاً ظاهراً .

(٢) المحبس : سجن كان بالكوفة غير مستوفى البناء من قصب ، فكان المحبسون
يمرون منه ، لهذا بني على المحبس . ويسى السجن المحبس ، بفتح الياء المشددة ،
لأن الناس يمشون فيه ويؤمنون نزوله ، أو المحبس ، بكسر الياء المشددة ،
لأنه يجلس المحبوسين .

(٣) في اللسان مادة خيس « بال كبيراً وأميناً » . (٤) الكيس : السبل .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم اللّذي ، أخذ عن الشافعي ، وكان ورماً فقيهاً ،
وتوفى بمصر سنة ٢٦٤ (انظر فهرست ابن التميمي) .

(٦) في الأنساب : « داود بن علي » ، وفي رسائل البلغاء : « داود بن علي بن خلف
الخراسي » وهو من أصحاب الظاهر ، الذين يهرون النصوص على ظاهرها .

فنفى ذلك عليه داود ، وقال فيآرد عليه : تَحْمَدُ اللهَ على أن تُخرجَ أمراً مُسلماً من الإسلام ، وهذا موضع أسترجاع ، وللهمد مكان يليق به ! وإنما يقال في المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأمثل هذه المذاهب ، وأجر على هذه القواعد^(١) ، وتحفظ في صدور كتبتك

- وفصولاً وخواتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر التلوي بمثل : نَسألُ اللهَ دَمْعَ المَحْدُور ، وصرف المكره ، وأشباه هذا ؛ وفي موضع ذكر المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً . فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدّها ويتحفظ فيها^(٢) ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضم كل معنى في موضعه ، ويسلق كل لفظة على طبقها من المعنى . واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أنت به آئى القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعام والعام بالخاصّ ؛ لأنّ الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه جلّ ثناؤه أمره ونهيه ووراده ، والرسائل إنما يُخاطب بها أقوامٌ دخلوا على اللغة ، لا علم لهم بلبان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب يُكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْمَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وكقوله تعالى : (بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ، احتاج الكاتب أن يُبين معناه : بل مكرم بالليل والنهار ؛ ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأنّ الشاعر مُضطر ، والشعر مقصور بقيّد الوزن والقوافي ؛ فذلك أجازوا لم حصرّف ٢٠ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ، وأغضفوا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التّقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُستساغ

(١) في بعض الأصول : « القوام » .

(٢) في بعض الأصول : « يحفظ بها » .

في الرسائل ولا جائز في البلاغات . فما [أجيز] في الشعر من الحذف [مثل]
 قول الشاعر^(١) : قواطعاً مَكَّةَ من وُزْقِ الصَّحَى^(٢) يعني الحمام
 وقول الآخر : صِفِرَ الوِشاحِينَ صَمِيتَ الخُلُخُل^(٣) يريد : انخلخل
 وكقول الآخر : دَارُ لِسَكْنَى إِذْ مِنْ هَوَاكَ يريد : إذ هي
 وكقول الخبطية :

فَهِمَا الرَّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِقَةٍ جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ مَنُوعِ سَلَامٍ^(٤)
 يريد : سليمان . وكقول الآخر^(٥) :

مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ وَالشَّيْخَ عُمَانَ أَبِي عَفَانَ
 أَرَادَ : عُمَانُ بْنُ عَفَانَ . وَكَأَنَّ قَالِ الْآخَرَ^(٦) :

وَسَائِلُهُ بِتَلْبَةٍ بِنِ سَيِّرٍ وَقَدْ عَلِقَتْ بِتَلْبَةٍ الْمُتَوَقَّى^(٧)
 وأراد : تَلْبَةُ بْنُ سَيَّارٍ . [وَكَأَنَّ قَالِ الْآخَرَ :

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَشْتَعِيهِ وَلَاكِ اسْقَى إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ
 أَرَادَ : وَلَكِنْ .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصغَّرَ الاسم في موضع التعظيم ، وإن كان
 ذلك جائزاً ، مثل قولهم : دُوحِيَّةٌ ، تصغير داهية . وجُذَيْلٌ ، تصغير جذل .
 وعُذَيْقٌ ، تصغير عذق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

(١) هو المباح . (انظر لسان العرب مادة حم وقطن) .

(٢) حذف اللام وقلب الألف ياء ، وهو حذف شاذ . ولعل إنما حذف الألف من
 الحمام ، فبقيت الحَمْ ، فاجتمع حرفان من جنس واحد فلزمه التثنية ، فأبدل ياء
 من الليم .

(٣) قال ابن منظور في اللسان (مادة خلخل) : والخلخل (بالفتح) والخلخل (بالضم) :
 من الخلل ، معروف . ثم قال : والخلخل (بالفتح) : لغة في الخلل أو مضمور
 منه ، واحد خلخل النساء . (٤) في لسان العرب (مادة جدل) :

فيه الجياد وفيه كل سَابِقَةٍ جدلاء بحكمة من نسج سلام

(٥) ذكر ابن منظور (مادة سلم) صدر هذا البيت مجزأ لصدر آخر وهو :

• ودعا بحكمة أمين سَكَمًا • ولبه للأسود بن يفر .

(٦) هو الفضل البكري . (انظر لسان العرب مادة علق) . (٧) الطوق : التية .

وكلُّ أناس سوف تَدْخُل بينهم دُويهةٌ تَصَفَّرُ منها الأناملُ
وقال الحلياب بن المُنذر ، يومَ سَقِينة بنى ساعدة : أنا عُذْبِيهَا التُّرْجَبُ ،
وَجُدْبِلْهَا المُحَكَّكُ . وقد شرحه أبو عبيد ^(١) .

وبما لا يميز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً مثل قولهم : كَلَمْتُ إِيَّاكَ ،
وأعنى إِيَّاكَ ، وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :

وأَحْسِنُ وَأَجْمِلُ في أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْمُرْ كَأَيِّكَ أَمِيرُ
وقال الراجز :

• إِيَّاكَ حَتَّى يَلْقَى إِيَّاكَ •

فتَغَيَّرَ من الألفاظ أَرْجَحُهَا لَفْظاً ^(٢) ، وأَجَزُهَا مَعْنًى ، وأَشْرَفُهَا جَوْهَرًا ،
وأَكْرَمُهَا حَسَبًا ، وأَلْيَقُهَا في مَكَانِهَا ، وأشْكَلُهَا في مَوْضِعِهَا ؛ فَإِنْ حاولتَ صَنَعَةَ رسالة

فَإِنَّ اللَّفْظَةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ ، وطَافَ الرُّكْلَةُ بِمِيزَانِهَا
إِذَا سَمَحَتْ ، فَإِنَّهُ رَجَاءٌ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا
فَاعِلٌ ، أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ : أَنَا أَفْضَلُ ، ومَوْضِعٌ آخِرُ يَكُونُ فِيهِ : أَسْتَفْضَلْتُ ،
أَحْلَى مِنْ : قُلْتُ . فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَمَّا كُنْهُ ^(٣) ، وَقَلْبُهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ ، فَأَيُّ
لَفْظَةٍ رَأَيْتَهَا [أَخْفَ] فِي الْمَكَانِ الَّتِي نَدَبْتُهَا إِلَيْهِ ، وَأَنْزَعِ إِلَى الْمَوْضِعِ ^(٤) الَّتِي رَاوَدَتْهَا
عَلَيْهِ ، فَأَوْضِعْهَا فِيهِ ، وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي مَوْضِعِهَا ، نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا ، فَإِنَّكَ

مَتَى فَلَمْتَ هَجَمْتَ الْمَوْضِعَ الَّتِي حاولتَ تَحْسِينَهُ ، وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّتِي
أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ ؛ فَإِنْ وَضَعْتَ الْأَلْفَافِظَ فِي غَيْرِ أَمَّا كُنْهَا ، وَتَصَدَّقَ بِهَا إِلَى غَيْرِ
مُصَابِهَا ^(٥) ، إِنَّمَا هُوَ كَتَرْتِيقِ الثَّوبِ الَّتِي لَمْ تَتَشَابَهَ ^(٦) رَقَاعُهُ ، وَلَمْ تَتَضَارَبْ أَجْزَاؤُهُ ،

- (١) المذيق : تمييز خلق ، يفتح العين ، وهو النخلة . والمرج : الذي جعل له
رجية ، وهي دامة يبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كرمة وطالت
تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف . والجذيل المحكك : عود ينصب
في مبارك الإبل تنمرس به الإبل الجري . وفي بني الأصول : « وقال سرحة
أبو عبيدة » . وهو تحريف . (٢) في نهاية الأرب (ج ٧ من ١٨٨)
طبعة دار الكتب : « وزنا » . (٣) وفي رواية : « وأكلها حسنا » .
(٤) في بني الأصول : « أمكانه » . (٥) في بني الأصول : « فأنزعها إلى المكان
التي أوردتها » . (٦) في بني الأصول : « تشابهه » .

نخرج من حَدِّ الجِدَّة ، وتَهَرَّحُشْنَه ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الجَلِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ تَبَيَّنَ النَّاسُ ^(١) أَنَّ التَّوْبَ مَرْتَوْعٌ
وكذلك كلما أحلوا الكلامَ وعَذَّبَ وراقَ وسَهَلَتِ مخارجه كان أسهلَ
وَلَوْجًا ^(٢) في الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقُلوْب ، وأخفَّ على الأَفْوَاه ؛ لا سيَّما إِذَا
• كان المعنى البديعَ مُترَجِّماً بلفظٍ مُوثِقٍ شريف ، ومُضَامَرٍ بِكَلَامٍ عَذْبٍ لم يَسْمَه
التكليف بِمِيسَمِه ، ولم يُفسدِه التَّعْقِيدُ بِاسْتِفْلَافِه ^(٣) .

وكتب عيسى بن مُلَيْمَةَ إلى أخيه أبي الحسن وَزَّوْرَ ^(٤) كلامه وجاوز
لِلْقَدَارِ فِي التَّنَطُّعِ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِه :

أَنِّي يَكُونُ بَلِيغًا مِنْ أَسْمِهِ كَانَ عِيًّا ^(٥)
وَتَالَتْ الْحَرْفَ مِنْهُ ^(٦) أَذَى كُفَيْتِ سِيَّتِي ^(٧)

١٠

قال : وبلشني أن بعض السكتاب عاد ببعض الملوك فوجده يُنَبِّئُ مِنْ عِلَّةٍ ،
فخرج عنه وسرَّ باب الطاق ^(٨) ، فإذا بطَّير يدعى الشَّفَانِينَ ^(٩) ، فأشتره
وبعث به إليه ، وكتب كتاباً وتنطع في بلافته : وتذكرك أنه يقال له شَفَانِينَ ،
أرجو أن يكون شفاه من أنين . فوقع في أسفل الكتاب : والله لو عطست ضيًّا
١٥ ما كنت عندنا إلا نبطيًّا ، فأقصر عن تنطعك ^(١٠) ، وسهَّلَ كلامك .

قوله : لو عطست ضيًّا ، يريد أن الضباب من غمام الأعراب وفي يدهم ؛
فقال : لو عطست فنثرت ضيًّا من غطاسك لم تُلحِقْ بالأعراب ولم تسكن إلا

(١) في بعض الأصول : « بين الناس » . (٢) في بعض الأصول : « وأرجأ » .

(٣) في بعض الأصول : « باستهلاكه » . (٤) في بعض الأصول : « وسدر » .

(٥) يشير إلى الحرفين الأولين من « عيسى » .

(٦) يشير إلى السين والألف وما فيهما من معنى الإساءة .

(٧) مسياً : مسياً ، ثم سهلت الحزرة وأدثمت الياء في الياء .

(٨) باب الطاق : علة كبيرة ينداد بالجانب العرق . (انظر معجم البلدان) .

(٩) في حياة الحيوان للسيبسي : « الثفنين بكسر التثنية المسببة » ، وهو متولد بين

نوعين مأكولين ، وعده الجاحظ في أنواع الحمام . ويضبط يقول : الثفنين هو

الذي تسميه العامة الحمام ، وجه شفانين .

(١٠) في بعض الأصول : « بشبك » .

٢٠

٢٥

بين عيسى بن
مليمه وأخيه

بين بعض الملوك
وكاتب

نَبَطِيًّا . وقد جاء في بعض الحديث : إن القَطَّ من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الأسد ، وإن القَارَّ من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الْخَنَزِيرِ . قال هذا : لو أن الضَّبَّ من نَثْرَتِكَ لم تكن إلا نَبَطِيًّا . وفي هذا للمعنى قال تَحْمِلُ الموصلِي بهجو حَبِيْبَا :

تَحْمِلُ الموصلِي
بِهِجْو حَبِيْبَا

- أَنْتَ عِنْدِي عَرِيْقٌ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ
شَقَرُ سَاقِيكَ وَفُخْذِي لَكَ خُرَاقِي وَتُغْلَامٌ^(١)
وَقَدْ قَدَى عَيْنُكَ صَبِيغٌ وَتَوَاصِيكَ تَغْلَامٌ^(٢)
وَضُلُوعُ السِّدْرِ مِنْ شَيْءٍ وَكَ تَنْعٍ وَبَتَّامٌ^(٣)
لَوْ تَحَمَّرْتَ كَذَا أَذَى جَعَلْتَ مِنْكَ تَغْلَامٌ
وَطَبْلَاءُ رَاتِمَا تَ وَرَّابِعِ عِطْلَامٌ^(٤)
وَحَمَامٌ يَتَقَى حَبْنًا ذَاكَ ائْتِلَامٌ
أَنَا مَا ذَهَبَ لَأَنْتَ كَذَّبَنِي فَيْكَ الْأَلَامُ
وَقَى^(٥) يَحْلِفُ مَا إِنْ عَرَقَتْ فِيهِ الْكَرَامُ^(٦)
ثُمَّ قَالُوا جَاسِمِي^(٧) مِنْ بَنِي الْأَنْبِاطِ حَامٌ
كَذَّبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرِيْقٌ وَالسَّلَامُ

- ١٥ وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجبان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجَزَلُ لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام مُتَّسِقًا ، وتساوَلُ المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتساوَلُ الحُسْنَاءِ فِي الْأَطْيَارِ الرِّثَاءُ

- وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ وإشارة وعقد وخط . وقد ذكر له أرسطاطاليس صِنْفًا خامسًا في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى

- (١) الخُرَاقِي والثَّام : بجان . (٢) التَّغْلَام : نبت .
(٣) البَغْلَام : شجر عطر الرائحة وورقه يسود الفرس ويساك بقصبه .
(٤) البَرَابِيم : جمع بَرَبُوع ، دويبة فوق الجُرَذ ، الذكر والأنثى فيه سواء .
(٥) في بعض الأصول : « واقفا » . (٦) يقال : عرق فيه أحماسه (التضمين)
وأعمرقوا ، إذا خالطه ذلك وتخلق بأخلاقهم . (٧) كذا في ي . وجاسمي :
مُسَوَّبٌ إِلَى جَاسِمٍ ، حي قديم . والمضى في سائر الأصول : « هاشمي » .

- ٢١٨
٧ النصبية^(١). والنصبية : الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، ومُشيرة إليك بغير يد . وذلك ظاهر في خَلْق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المَعْنَى ، وسافرة عن وجوها . وأوضح هذه الدلائل وأنصح هذه الأصناف ، صِنْفان : ٥ : ١ : القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجَان . فأما اللسان فهو الآلة التي يفرج الإنسان بها عن حدِّ الاستبهام إلى حدِّ الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حدُّ الإنسان الحي الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رنح درجة ألسان فأنتقه بين الجوارح . وقال علي بن عبيدة : إنا يُبَيِّن عن الإنسان اللسان ، وعن المودة المينان . وقال آخر : الرجل تحبوه تحت لسانه . وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . وقال الشاعر :
- ١٠ وما المرء إلا الأصفران لسانه ومثقله والجسمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
فإن طُرَّة^(٢) رافتك يوماً فرجما أمرٌ مذاقُ الثود والثود أخضر
- وللخط صورة معروفة ، وحليّة موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه^(٣) يقوم مقامها في الإيضاح عند المشهد ، ويُفَضِّلُها في الغيب ، ١٥ لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباعدة ، والبلدان المتفرقة ، وتُدْرَس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذكناً فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره .

البلاغة

- قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة . وقيل لجعفر بن [يعقوب] بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرُّب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير . ٢٠ وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قِلَّةُ الحَصَر ، والجرأة على البشر ؛ قيل له :

(١) النصبية : كل ما نصب فجعل علماً .

(٢) كذا في ي . وطرة ، أي هيئة حسنة وجمال . وفي سائر الأصول : « ترها » .

(٣) في بعض الأصول : « ليست هذه الأوصاف إلا لأنه ... الخ » وهي ظاهرة الاضطراب .

فما الربي؟ قال: الإغراق من غير فكرة، والتتبع من غير علة. وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تطويل القصير، وتقصير الطويل. وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: حذف الفضول، وتقريب البعيد. وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حُسن الاستعارة. وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إيضاح المُعْضِل، وفكّ المشكل. وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قُرب طَرَفاه، وبعد مُنتَهاه. وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والتقصّد للصُّعْبَة. وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تصوير الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق. وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة والإصابة.

تضمين الأسرار في الكتب

- وأما تضمين الأسرار في الكتب [حق] لا يقرؤها غير المكتوب إليه ١٠ فيه أدب نجيب معرفته. وقد تملقت المائئة بكتاب التتبع^(١) والأصهباني^(٢). وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف^(٣) لى منها أشياء جليلة من تبديل الحروف، وذلك مُحْكَن لكل إنسان. غير أن العُطيف من ذلك: أن تأخذ أمتنا حاليما فتكتب به في القُرطاس، فيَئِذْ المكتوبُ له عليه زَماداً سَخِناً من زَماد القراطيس، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله. وإن شئتَ كتبت بماء الزَّاج الأبيض، ١٥ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أَسْرَ عليه شيئاً من غُبار الزَّاج، وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويُقرأ بالليل فاكُتبه بمرارة الشَّلْحَفَة.

(١) النسي، وجلان: أحدهما لإسماعيل بن محمد، وله من الكتب: كتاب الهند وكتاب السُّلَّال. والآخر لى بن موسى، وكان أحد الفقهاء العراقيين المشهورين. (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٥، ٢٠٧، طبعة أوربة). وظاهر أن المعنى ٢٠ منهما هنا لإسماعيل.

(٢) هو أبو علي الحسن بن عبد الله، أصله من الموصل. دخل الحضرة وأخذ عن أخذ منه أبو حنيفة الدينوري. وله من الكتب: الرد على الشراء، كتاب المنطق. كتاب علل النسي. كتاب التسمية. كتاب المعاشة والبشاشة، وغيرها. (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨١) طبعة أوربة. ٢٥

(٣) في بعض الأصول: «وضع».

قولهم في الأقلام

قالوا : القلم أحدُ الأسانين ، وهو المُخاطب للمُيون يسرأثر القلوب ، على
لغات مختلفة ، من معانٍ مَقْشُورَةٍ بِحُرُوفٍ مَقْلُومَةٍ مَوْقُوعَةٍ^(١) ؛ مُتَبَايِنَاتٍ الصَّوَرِ ،
مُخْتَلِفَاتٍ الْجِهَاتِ ؛ لِقَاحِهَا التَّفَكُّيرَ ، وَنِتَاجُهَا التَّنْذِيرَ ؛ تَحْرُسُ مُنْفَرِدَاتٍ ، وَتَنْطَلِقُ
مُزْدَوِجَاتٍ ؛ بِأَصْوَاتٍ مَسْمُوعَةٍ ، وَلَا أَلْسُنَ مَحْدُودَةٍ ، وَلَا حُرُكَاتٍ ظَاهِرَةٍ ؛
خِلَافَ^(٢) قَلَمِ حَرْفٍ بَارِيهِ قَطْعُهُ لِيَتَمَلَّقَ الْمَدَادُ بِهِ ، وَأَرْهَفَ نِجَانِيهِ لِيَرَدَّ مَا أَتَشَرَّ
عَنهُ إِلَيْهِ ، وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَبِسَ^(٣) الْمَدَادُ عَلَيْهِ ، فَهَنَالِكَ أَسْتَمِدَّ الْقَلَمُ بِشَقِّهِ ،
وَتَثَرَفَ الْقِرطاسُ بِحَطِّهِ ، حُرُوفًا أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ^(٤) ، وَجَرَى عَلَى أَسْلَتِهِ^(٥) الْكَلَامُ ،
الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ ، وَأَلْجَأَهُ الْإِسْنَانُ ، وَنَهَسَتْهُ الْإِهْوَاتُ ، وَقَطَعَتْهُ الْأَسْنَانُ ، وَلَقَطَتْهُ
الشَّفَاهُ ، وَوَعَتْهُ الْأَسْمَاعُ ، مِنْ أَصْحَاءِ شَقِيٍّ مِنْ صِفَاتِ وَأَمْنَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ،
وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْمَاشِمِيِّ :

وَأَسْمَرَ طَاوِي الْكَشْحِ أَخْرَسَ نَاطِقِي لَهُ ذَمَلَاتٌ فِي بُلُونِ الْهَارِقِ^(٦)
إِذَا اسْتَجْلَتْهُ الْكَفَا أَمَطَرُ وَبُلْهِ بِأَصَوْتِ إِرْعَادٍ وَلَا ضَوْءِ^(٧) بَارِقِ
إِذَا مَا حَدَا غُرُ الْقِسَافِ وَأَيْتَهَا مُجَلِّتَةٌ تَمْضِي أَمَامَ السَّوَابِقِ
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ خِلَّةٌ إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ مَرْثَةً بِالصَّوَامِقِ
كَأَنَّ اللَّالِي وَالزَّرَجْدُ نَطَقَهُ وَتَوَزَّوْا الْخُرَاصِي فِي عُيُونِ الْحَدَائِقِ

لعلوى

وقال العلوى في صفة القلم :

وَعَرِيَانٌ مِنْ خِلْمَةٍ مُكْتَسِبٍ يَمِيسُ مِنَ الْوَقْفِ فِي يَلْمِي^(٨)

- (١) في بعض الأصول : « مَقْشُورَةٍ بِحُرُوفٍ مَقْلُومَةٍ . . . » .
(٢) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالعلم .
(٣) في : « لِيَحْتَبِسَ » . (٤) في : « أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ » .
(٥) في بعض الأصول : « وَأَوَّلُ الْاسْتِحْبَابِ » .
(٦) القملان : ضرب من السير ، وقيل هو السير اللين .
(٧) في : « بَرَقَ » . (٨) اليلقي : الغباء ، غرسي ، مغرب يله .

تَحَذَّرُ مِنْ رَأْسِهِ رِيْقَةً^(١) تَسِيلُ عَلَى ذُرْوَةِ التَّفْرِقِ
فَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لَهُ مُطْلَقٌ وَكَمْ مِنْ طَلِيقٍ لَهُ مُوقِفٌ
يُقِيمُ وَيُوطِنُ غَرْبَ الْبِلَادِ وَيَنْهَى وَيَأْمُرُ بِالْمَشْرِقِ
قَلِيلٌ كَثِيرٌ ضُرُوبُ الْخُلُوطِ وَأَخْرَسُ مُسْتَمِعُ الْمُنْطَقِ
يَسِيرُ بِرَكْبٍ ثَلَاثَ عِجَالٍ إِذَا مَا حَذَا الْقِسْكَرُ فِي مَهْرَقِ ٥
وَقَالَ آخَرُ فِي الْقَلَمِ :

لبعض الشعراء

لَكَ الْقَلَمُ لِلطَّيْمِكِ غَيْرَ أَنَا وَجَدْنَا رَمْعَهُ خَوْفَ الْمَطَاعِ
لَهُ ذَوَاتَانِ مِنْ أَزَى هَفَى وَمِنْ شَرَى وَبَى ذَى اسْتِنَاعِ^(٢)
أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْتَقِ مِنْ سِوَاهُ فَيَسْمَعُ وَهُوَ لَيْسَ بِذَى اسْتِنَاعِ
إِذَا اسْتَسْقَى بِلَاغَتِكَ اسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِ سَمَاءُ فِكْرِكَ بِأَنْدِغَاعِ ١٠
وَقَالَ :

وَبَيْتٌ يَتَلَيَّاءُ الْقِلَافَةَ بَنِيهِ بِأَسْمَرٍ مَشْقُوقِ الْخِلَاشِيمِ بُرْعَفُ
كَأَنَّ عَلَيْهِ تَلْبَسًا جِلْدَ حَيَّةٍ مُعِمْ فَا يَمْضَى وَمَا يَتَخَلَفُ
جَلِيلٌ شُئُونُ الْخُلُوبِ مَا كَانَ رَاكِبًا يَسِيرُ وَإِنْ أَرْجَلَتَهُ فَضْغَفُ
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ : ١٥

حبیب

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَاتُهُ^(٣) يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْفَاعِلِ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُمَائِهِ وَأَزَى الْخَفَى أَشْنَاتُهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنْ وَتَمَّهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَابِلِ
فَسَبَّحَ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْمَحُ لَيْفَ خَاطِبَتِهِ وَهُوَ رَاكِبُ
إِذَا مَا مَطَّيَ الْحَسَنُ الْطَّافِ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ النَّصِ كَرَوْحِي حَوَافِلِ ٢٠
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ التَّنَا وَتَقَوَّضَتْ لَتَجْعُوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِلْيَامِ الْجَحَافِلِ ٢٢٠
٢٢٠

(١) الرِيْقَةُ : رَخَابُ النَّمْلِ .

(٢) الْأَزَى : السَّل ، أَوْ مَا يَجْمَعُهُ النَّمْلُ فِي أَجْوَانِهَا تَمَّ تَلْفِظُهُ . وَالْمَغْرِبَى : الْحَنْظَلُ ، أَوْ شَجَرُهُ . (٣) كُنَّا فِي بَعْضِ الْأَسْوَدِ وَصَبَحَ الْأَعْمَى (ج ٢ ص ٤٤٨)

وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (ج ٧ ص ٧٥) . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « بَشَاتُهُ » . ٢٥

إذا استغزى الدهن الجلي وأقبلت أعالیه فی القزطاس وظی أسافل
وقد زقدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف صقى وسهينا خطبه وهو ناعل
ولما قال حبيب هذا الشعر حسده اخلتعمى ، فقال لأبن الزيات :

ما خطبة القلم التي أنبئتها وردت عليك لشاعر مجدود

وأندد المجرى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تألق في الندى كلاله الـ مصقول (١) خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت (٢) أنلامه ثم أنتجت برقت مصابيح الدجى في كعبه
باللفظ يقرب فهمه في (٣) بعده منا ويهمد نيله في قربه
حكيم فاسمها خلال بنانه متدفق وقلبيها في قلبه
وكانها والسمع مقنود بها شخص الحبيب بدا لين محبه

وأندد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :

قلم الكتابة في يمينك آمين مما يتود عليه فبا يكتب
قلم به ظفر العدو مقلّم وهو الأمان لما يخاف ويرهب
يبدى السرائر وهو عنها مخجّب ولسان حجبته بصمت يعرب

ومن قولنا في القلم :

بكفه ساحر البيان إذا أداره في صحيفة سحرًا
يتطق في محبة بلطفته يُصم عنها وتسمع البصر
نوادير يفرح القلوب بها إن تستبينها وجدتها صورًا
نظام ذو الكلام ضمته حيكًا لخط الكتاب مستعرا (٤)
إذا امتطى الخنصران أذكر من سحبان فبا أطل وأختصرا

(١) كذا في ديوان البحتري . والذي في الأصول : « في البيوت كلامه المجدود » .

(٢) في بعض الأصول والديوان : « دجت » .

(٣) في الأصول : « عن » وما أمثنا عن الديوان . (٤) مستعرا ، أى مكتوبا .

البحتري يصف قلم
الحسن بن وهب

لأحمد بن
أبي طاهر

لابن عبد الوه
في القلم

- يُخاطَبُ النَّائِبَ البعيد بما يُخاطَبُ الشاهد الذي حَضَرَ
تَرَى لِلْقَادِرِ تَسَدُّفٌ^(١) ه وَتُنْفِذُ الحَادَثَاتُ مَا أَسْرَأَ
شَغَتْ^(٢) ضَمِيلٌ لِقْشُهُ خَطَرٌ أَعْظَمُ بِهِ فِي مُلْتَمَسَةِ خَطَرِهَا
تَمَيَّجٌ فَكَاةً رَيْقَةً صَفَرَتْ وَخَطَبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَبُرَا^(٣)
تَوَاقَعُ النَّفْسُ مِنْهُ مَا حَذَرَتْ وَرَبَّمَا جَنَّبَتْ بِهِ الْحَذَرَ
مُتَهَمٌ تَزْدَهِي بِهِ مُخَفٌ كَأَنَّمَا حَلَّتْ بِهِ دُورَا
كَأَنَّمَا تَرْتَعُ الْعِيُونَ بِهَا خِلَالِ رَوْضٍ مُكَلَّلٍ زَهْرَا
إِنْ قَوَّيْتُ مَرْوَلًا^(٤) طَوَابُهَا مَا فُضَّ طِينٌ لَهَا وَلَا كُسِيرَا
يَكَادُ عَنَانُهَا لَوْعَتُهُ يُنبِّئُكَ عَنْ سِيرَتِهَا الَّذِي أَسْتَقْرَا
- ١٠ ومن أحسن ما شُيِّبَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَشَبَّهَ بِهَا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :
كَأَنَّ أَنْوْفَ الطَّيْرِ فِي حَرَصَاتِهَا خِرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَخْطُ وَتَنْجِمُ
ومثله قول عدي بن الرِّقَاعِ فِي وَلَدِ الْهَقْرَةِ :
تُرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ لِبَرَةٍ رَوَّحَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاءِ مِدَادَهَا
ومن قولنا^(٥) :
يَخْرُجْنَ مِنْ فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ
ومنه قول للآمُونِ :
كَأَنَّمَا قَابِلُ الْقَرْطَاسِ إِذْ مُشَقَّتٌ^(٦) مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ
ومثله قولنا :
إِذَا أَدَارَتْ بِنَانَهُ قَلَمًا لَمْ تَقْدِرْ لَشَبِّهِهَ أَيُّهَا الْقَلَمُ .

في الرمة في
وصف العلم

لابن الرقاع
في مثله

لابن مبدوه

للآمون في مثله

لابن مبدوه

٢٢١
٧

- (١) تسدفت ، أي تسهل وتيسر . وفي بعض الأصول : « تسدق » .
(٢) الشغت (بالفتح ومجرر) : الفتيق الضامر لامتزال . (٣) الرقة : ماء الفم .
(٤) كذا في ي . ومرسل أي نزعت وطارت كما يمرط الریش ؛ أي أن أخلاصها تلغ
يألف لس . والقي في سائر الأصول : « فرط » .
(٥) جاء في بعض الأصول البيت الآتي منسوباً لعدي وبيت عدي قبله منسوباً للمؤلف .
(٦) محقت ، أي استعدت . شبه الأصابع في دقتها بالأقلام .

ومن قولنا في الأعلام :

ومعشر تنطق أقلامهم بحكمة تلقنها الأعين
تلفظها في الصك أقلامهم كأنما أقلامهم ألسن

ومن قولنا في الأعلام :

• يا كاتباً نقش^(١) أناملُ كنهه سحرَ البيان بلا لسان ينطق
إلا صفيل للئن ملوَم القوى حُذت لمازمه وشقَّ التفرق
فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً في مغرب أصغى إليه للشرق
يجرى بريقة أزه أو شره يبكي ويضحك من سراه الشهر^(٢)

ولعبد الله بن الممنون كلامٌ يصف فيه القلم : القلم يخدم الإرادة ، ولا يعل
الاستزادة ؛ يسكت واقعاً ، وينطق ساكناً ؛ على أرض يباضها مظلم ، وسوادها
مضيء . وقال سليمان بن وهب ، وزير الهدى : كل قلم تطيل جلته^(٣) فإن الخط
يخرج به أو قص^(٤) .

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :
أما بعد ، فليكن تلك بحرياً ، لا سمينا^(٥) ، ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغلظ ،
ضيق الثقب . فأبره بزياً مستويا كنفار الحمامة ، أعطف قطعه^(٦) ، ورفق
شفرته^(٧) . وليكن مدادك صافياً^(٨) ، خفيفاً إذا استمددت منه^(٩) ، فأقمه ليلة ثم
صنه في الواة . وليكن قرطاسك رقيقاً مستوي الدسج ، تخرج السحاة مستوية من
أحد الطرفين إلى الآخر ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك . وليكن
أكثر تمطيطك في طرف القرطاس الذي في يسارك وأقله في الوسط ، ولا تملط

٢٠ (١) في ي : « بشت » . (٢) في بعض الأصول : « يدل » مكان

« يجرى » . والأرى : السبل . والصدى : الحظال أو شجرة .

(٣) الملقبة من القلم (بالكسر ويضع) تما بين مراء إلى سفته .

(٤) الرقس : قصر في التقي مع ميل . شبه به مثله من الخط .

(٥) في بعض الأصول : « متينا » . (٦) في بعض الأصول : « بطنه » .

٢٥ (٧) في بعض الأصول : « شفته » . (٨) في بعض الأصول : « فارسيا » .

(٩) في بعض الأصول : « وزه » مكان « استمددت منه » .

لا بن الليث يصحب
لجسر بن يحيى
الخط

في الطرف الآخر ، ولا تخطّ كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى
 بنبرمة : فإنك إذا قرّنت^(١) القليل كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سيّما .
 ثم أبتدىء الألف برأس القلم كله واخططه بمرضه وأختمه بأسفله . واكتب
 الباء والتاء والسين والشين ؛ واللطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف
 والعين والغين ، ورأس كلّ مُرسل ، برأس القلم . واكتب الجيم والحاء والخاء
 والذال والذال والراء ، وللطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف
 والعين والغين بالنسبة الشفلى من القلم ، وامطط بمرض القلم . وللط نصف الخط ،
 ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنظر إلى
 اليد في استعمالها الحركة ، والسلام .

- ١٠ وقال ابن طاهر لكتابه : ألقى دَوَاتِكَ ، وأطّل سِنَ نَدِكَ ، وفرّج بين
 السطور ، وقرّمت بين الحروف . وقال^(٢) إبراهيم بن جبلة : مرّ بي عبد الحميد ، وأنا
 أخط خطاً رديئاً ، فقال لي : أحب أن يجود خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطّل
 جلفه القلم وأثمنها ، وحرف قطعتك وأثمنها . فعملت فجاء خطي . وقال السّتابي :
 يبكاه القلم تبكس السّكتب . وقال بعض الحكماء : أمرُ الذين والدنيا تحت
 شبة^(٣) السيف والقلم . وقال حبيب الطائي :

لولا مُناشدةُ القُرْبى لنادركم
 حصائدُ للرّهقَيْن : السيف والقلم
 وقال أرسطاطاليس : يقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حَكِيمَة :
 كنتُ أكتب الصّاحف ، فرّبي عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقال :
 أجلّ قلبك . فقصمت من قلبي قصّة . فقال : هكذا ، نوّره كما نوّره الله .

لا بن طاهر ثم
 عبد الحميد يوصي
 ابن جبلة ثم السّتابي
 وبعض الحكماء
 ثم شرح حبيب

لأرسطاطاليس
 ثم لسل يوصي
 أبا حَكِيمَة ثم
 لابن سبّيرين

(١) في بعض الأصول : « قرّنت » .
 (٢) في مسج الأعمى (ج ٢ ص ٤٥٩) : « وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان
 لرشبان . وكان يكتب بقلم قصير البرية » .
 (٣) في الأصول : « شنان » .

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقاً^(١)، وقال: أجود الخطأ أبينه.

لسليمان بن وهب
وغيره في معنى
ما سبق

وقال سليمان بن وهب: زينوا خطوطكم بإسبال ذوائبها. وقال عمرو بن

مسعدة: الخط صورة ضئيلة، لها مكان جليلة، وربما ضاق على العيون، وقد

ملا أقطار الفنون^(٢). وذكر علي بن عبيدة^(٣) القلم فقال: أصم يسمع النجوى،

أعيا من باقل، وأبلغ من سحبان وائل، يُجهل الشاهد، ويجهز النائب،

ويجهل الكتب بين الإخوان السنا ناطقة، وأعيننا لاحظة، وربما صَنَمَها من

ودائع^(٤) القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة. وقال أحمد بن يوسف

الكتاب: ما عبرت الفوائ في خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في خدود

الكتب. وقال الدتاني: الأقلام مطايا القطن. وتُخَير^(٥) غلامان في بعض الدواوين

فقال إلى أستاذهما يترضان عليه خطوطهما، فسكره أن يُفَضِّل أحدهما على الآخر،

فقال لأحدهما: أما خطك أنت قَوْشِيٌّ مَحْوُوك. وقال للآخر: وأما خطك أنت

فذهب مَسْبُوك، تكافئنا في غاية، وتوافئنا في نهاية. وقال آخر: دخلتُ

الدريان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عِقيان وعليه مكتوب:

وا بآبي ، وا بآبي من كَفَّ من يكتب بي^(٦)

شعر لأبي هنان
في وصف القلم

وقال أبو هنان يصف القلم:

وإذا أَسَرَ على التمارق كَفَّهُ بأنامل يحملن شَخْتاً مَرَهَقاً^(٧)

ومقصراً ومطوّلاً ومقطّعا وموصّلا ومُشْتَتَا ومؤلّفا

كلّحيّة الرخضاء إلا أنه يستنزل الأروى إليه تَلَفُفًا^(٨)

يهفو بها قلم يبيح لُجَاجه فيعود سيفاً صارماً ومُثَقِّفاً

(١) للفق في الكتابة: مدحرونها. (٢) في: «رواه».

(٣) في بعض الأصول: «علي بن عبيد».

(٤) في بعض الأصول: «أخطار الفنون». (٥) تخاير: تخاصر.

(٦) في بعض الأصول: «من كفه تكتب».

(٧) الشنت (بالفتح ويحرك): الدقيق الضامر لا يزال.

(٨) الأروى: جمع كثرة للأروية، وهي أنثى الوعل.

شعر لبعضهم
في وصف الدواة

وقال آخر في وصف الدواة :
مُسَوَّدَةُ الْأَرْجَاءِ قَدْ خُضَّتْ حَالَهَا
وَرَوَّيْتُ مِنْ قَسْرِ لَهَا غَيْرَ مُنْتَبِطٍ^(١)
خَمِيسَ الْحَشَى يَرَوِّى عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ
أَمِينًا عَلَى سِرِّ الْأَمِينِ لِلْمُسْلَطِ
وقال بعض الكتاب :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ
نَدَى الْأَسْحَارِ يَأْرَجُ بِالْغَدَاةِ
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمِ
تَوْدِيهِ الْأَفَاوِهِ مِنْ دَوَاةِ
وقال آخر في وصف محبرة :

وَلَبِجَةٌ بِبَحْرِ أَحْمَرٍ الشَّبَا
بِإِذَا غَاسَ فِيهِ أَخُو غُرُوضَةٍ
بِأَنْفَسِ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ
بِدَيْعِ الْكَلَامِ لَهُ جَوْهَرٍ
وَأَكْرَمُ بِبَحْرِ لَهُ لَبَّةٌ
جَوَاهِرُهَا حَكَمٌ تُنْذَرُ

٢٢٣
٧

وقال ثُمَامَةُ بْنُ أَنَسٍ : مَا أَثَرُهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَطْعَمَ فِي دَرْسِهِ الْأَيَّامُ . وَنَظَرَ
لِلْأَمُونِ فِي النَّظْمِ
لِلْأَمُونِ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهِ تَخْطُ خَطًّا حَسَنًا ، قَالَ فِيهَا :

وَزَادَتْ لِيَدَيْنَا حُظُوتَهُ حِينَ أَطْرَقَتْ
وَفِي إِصْبِغِهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَسْمَرٌ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مُتَحَرِّكٌ
يُنَالُ جَسَمَاتُ اللَّيْلِ وَهُوَ أَعْجَبُ
وقال بعض الكتاب :

شعر لبعض
الكتاب

إِذَا مَا التَّقْنِيْنَا وَأَنْتَضَيْنَا صَوَارِمَا
تَسَاقَطُ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ
يَكَادُ يُعْصِمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
كَثْلُ اللَّالِي نَغْمُهَا وَتَثْوِيرُهَا

قَالَ يَشْرَبُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ : الْقَلْبُ تَمْدُنُ ، وَالْجِلْمُ^(٢) جَوْهَرٌ ، وَاللِّسَانُ مُسْتَنْبِطٌ ،
وَالْقَلَمُ صَانِعٌ ، وَالْخَطُّ صِيْمَةٌ^(٣) . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ : الْقَلَمُ لِسَانُ الضَّمِيرِ ، إِذَا ٢=

ليسر بن المعتز
 وابن هارون
 وغيرهما

(١) الخال : الطين الأسود . ويريد به : اللباد . وأنبط للباد ، إذا استنبطه وانتهى

إليه . يريد أنها غير بيضاء اللون . (٢) باد ، أى ظاهر القعر .

(٣) الحسك : القل . (٤) في بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .

رَءَفَ^(١) أَعْلَنَ^(٢) أَسْرَارَهُ ، وَأَبَانَ أَسْرَارَهُ . وَقَالُوا : حُسْنُ الْخَطِّ يُتَنَاخَلُ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَيُوضَّحُ الْحُجَّةُ ، وَيُمْكِنُ لَهُ ذَرَكُ الْبُغْيَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الْخَطُّ الرَّدِيُّ زَمَانَةٌ^(٣) الْأَدِيبِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى خِلَالٍ ، مِنْهَا : جَوْدَةُ بَرَى الْقَلَمِ ، وَإِطَالَةُ جَلْفَتِهِ ، وَتَحْرِيفُ قَطْعَتِهِ ، وَحُسْنُ التَّائِي لِإِطْطَاءِ^(٤) الْأَنَامِلِ ، وَإِرسَالُ اللَّذَّةِ بِقَدْرِ اتَّسَاعِ الْحُرُوفِ ، وَالتَّحَرُّزُ عِنْدَ فَرَاغِهَا مِنَ الْكُسُوفِ ، وَتَرْكُ الشَّكْلِ عَلَى الْخَطِّ ، وَالِإِهْجَامُ عَلَى التَّصْحِيفِ ، وَأُسْتَوَاءُ الرِّسْمِ ، وَحَلَاوَةُ لِلْقَاطِعِ .

وَقَالَ سَمِيدُ بْنُ سُمَيْدٍ : مِنْ أَدَبِ الْكَاتِبِ أَنْ يَأْخُذَ قَلَمَهُ فِي أَحْسَنِ أَجْزَائِهِ وَأَبْدَ مَا يَتِمَكَّنُ لِلدَّادِ فِيهِ ، وَيُعْطِيهِ مِنَ الْقِرْطَاسِ حَقَّهُ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : كُلُّ كِتَابٍ غَيْرِ مَخْتُومٍ فَهُوَ غَفْلٌ^(٥) . وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا) . قَالَ : مَخْتُومٌ . وَرُفِعَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قِصَّةٌ قَدْ أَكْثَرَ صَاحِبُهَا إِعْجَازَهَا ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَ ، إِلَّا أَنَّكَ أَكْثَرْتَ شَوْنَهَا . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٦) : لَا يُقَالُ : كَأْسٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا شَرَابٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ زَجَاجَةٌ ؛ وَلَا مَائِدَةٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهَا طَعَامٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ خِيَانٌ ؛ وَلَا قَلَمٌ ، إِلَّا إِذَا رُئِيَ ، وَإِلَّا فَهُوَ قِصْبَةٌ . وَقَالَ آخَرُ : جُلُوسُ الْأَدِيَاءِ عِنْدَ الْوَرَّاقِينَ ، وَجُلُوسُ الْحَمَّاتِينَ عِنْدَ النَّصَّاسِينَ ، وَجُلُوسُ الطَّافِلِيِّينَ عِنْدَ الْعُلَّيَّانِينَ .

وَكُتِبَ عَلَى بَنِي الْأَزْهَرِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يَسْأَلُهُ أَقْلَامًا يَبِيعُ بِهَا إِلَيْهِ : أَمَا بَدَأَ ، فَإِنَّا عَلَى طَوْلِ الْمَارِسَةِ لِهَذِهِ الْكِتَابَةِ الَّتِي غَلِبَتْ عَلَى الْأَسْمِ ، وَلَزِمَتْ لَزُومَ الرِّسْمِ ، غَلَبَتْ مَحَلَّ الْأَنْسَابِ ، وَجَرَتْ تَجَرُّي الْأَقْلَامِ الصُّحْرِيَّةِ^(٧) أَسْرَعَ

- ٢٠ (١) رَعَفَ (كَتَمَ) وَنَعَى وَكَرَّمَ وَمَعَى (وَمَعَى) : خَرَجَ مِنْ أَفْئِئَةِ النَّاسِ . وَهُوَ شَبِيهُ سَيْلَانٍ لِلدَّادِ مِنَ الْعِلْمِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَغْلَقَ » : تَحْرِيفٌ . (٣) الزَّمَانَةُ : الطَّاعَةُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « زَمَانَةُ الْأَدَبِ » . (٤) فِي ١ : وَنَهَايَةُ الْأَرْبَعِ (ج ٧ ص ٢) : « لِإِطْطَاءِ » . وَمَا يَمْنَى . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَغْلَفَ » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ » . (٧) الصُّحْرِيَّةُ : نِسْبَةٌ إِلَى الصُّحْرَةِ ، وَهِيَ جَوِيَّةٌ تَتَبَلَّبُ وَسَطَ الْحَرَّةِ وَتَكُونُ أَرْضًا لَيِّنَةً تَطْلِفُ بِهَا حَبَابَةٌ .

في الكواغد ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في التراطيس ،
 وأين^(١) في الماطف ، وأشد لتصرف الخط فيها ، ونحن في بلد قایل القصب
 رديته ، وقد أحبيت أن تقدم في اختيار أقلام بحرية^(٢) ، وتناق في أنتقائها
 قبلك ، وتطلبها في مطاها ومنايتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن
 تقيم^(٣) باختيارك منها الشديدة للخص^(٤) ، الصلبة للمعن ، النفية الخدود ،
 القليلة الشحوم ، السكترة اللحوم ، الضيقة الأجراف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها
 أبقى على الكتابة ، وأبعد من الكفاء ، وأن تصد بأنتقائك الرقاق التضبان^(٥) ،
 المقومات للتون ، الملس الماقد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة
 ما بين الكموب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكة ميسا ، وهي
 فاعمة على أصولها ، لم تنجل عن إبان ينمها ، ولم تؤخر إلى الأوقات للخوفة
 عليها من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجبت عندك أمرت بقطعها
 ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً ، ثم هيأت منها حزمًا فيما يصونها من الأوهية ، ووجهتها
 مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بمدتها
 وأصنافها ، بنهر تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

١٥ قولهم في الخبر

لبعض الكتاب قال بعض الكتاب : عطرُوا دفاتر آدابكم بحميد الخبر ، فإن الأدب عَوافى ،
 والخبر غَوافى . ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر اللداد وهو يسره ،
 فقال له :

لا تميزن من اللداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

- (١) في بنى الأصول : « وأسرع » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصح الأعمى ٢٠
 (ج ٢ ص ٤٥١) ونهاية الأرب (ج ٢ ص ٢١) .
 (٢) في الأصول : « صخرة » . والسياق يبد يقتضى ما أثبتنا .
 (٣) في صبح الأعمى : « تئين » .
 (٤) المحس : قوة الخلق مع ضور . (٥) في بنى الأصول : « للعميات » .

وأنى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بحومة ، فقال له : وما حُرمتك ؟
قال له : كنت تكتب من يحرقني عند الأعمش ، فوثب وكيع ودخل منزله ،
ثم أخرج له بضعة^(١) دنائير ، وقال له : أعدرُ قدامك غيرها .

وفي الأعلام

- أهدى ابنُ العَرُون^(٢) إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أعلاما وكتب
إليه : إنه لما كانت الكتابة ، أبغاك الله ، أعظم الأمور ، وقوام الخلافة ، وعمود
الملكمة ، خصصتك من آتيا بما يخف تحمله ، وتثقل قيمته ، ويعظم نفعه ،
ويجمل خطره ، وهى أعلام من القصب النابت في الشجر^(٣) ، الذى نشف في حرّ
المهجير مائه ، وساره من تلويحه غشاؤه ، هى كاللآلى للكنونة في الصدف ،
والأنوار المحجوبة في الشدّف ، تزيّنة التشوّد ، دُرّة الظهور ، فضية الكسور ،
قد كستها الطبيعة جواهر كالوشى للحرير ، وفريد الديباج المنير^(٤) .

قولهم في الصمص

- نم الأنيس إذا خلوت كتابُ تَلْهُو به إن ملك الأحيابُ
لا مُفْشِيًا سرًّا إذا استودعته وشاد منه حِكْمَةً وصواب
وقال آخر :

ولكل صاحبٍ لَقِيَّ منزّه^(٥) أبداً ونزّهة عالم في كُتُبِهِ

(١) في بنى الأصول : « نفقة » .
(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصم بن الحرون . وفي بنى الأصول : « ابن
المروزي » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصيغ الأفعى ونهاية الأرب .
(٣) الصر : جمع صخرة (انظر الحاشية رقم ٦ من ١٩٩) من هذا الجزء . والقى في
صبيح الأفعى : « الصخرة » . والقى في نهاية الأرب : « الصبراء » .
(٤) الفرند : الثوب . وفي بنى الأصول : « الفرند » وهو بمناء . وللنير : الذى
جمل له نير (بالكسر) وهو علم الثوب ، أو القصب والمحيوط إذا اجتمعت .
(٥) في بنى الأصول : « نزّه » .

وقال حبيب :

ليب

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ النُّرَابِ وَقِرطاسٌ كَكِرْقَانِ السَّرَابِ
وَأَقَاطُ كَأَقَاطِ الثُّنَانِي وَخَطٌّ مِثْلُ وَثْمٍ يَدِ الْكَتَابِ
كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ^(١)

وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

- ٥ لقد جئني كتابك كلَّ بَتٍّ جَوٍّ وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرَّيِّ^(٢)
فَضَضْتُ خَتَمَهُ فَتَبَلَّجْتُ لِي غَرَائِبَهُ عَنِ الْخَيْرِ الْخَلِيِّ
وَكَانَ أَغْضَى فِي عَيْفَى وَأَنْدَى عَلَى كِبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقَعًا مَعِيَ وَعِنْدِي مِنَ الْبُشْرَى أَنْتَ بَعْدَ النَّدَى
وَضَمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمِّنْ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْعُلَى
فَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ مَعْنَى خَطِيرٍ وَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ لَفْظٍ بَعِيٍّ
فِيَا ثَلَجَ الْقَوَادِ وَكَانَ رَضْفًا وَبِأَشْيَبِي بَرَوْتَهُ وَرِيٍّ^(٣)
فَكَمْ أَنْصَحْتَ عَنِ بَرٍّ جَلِيلٍ بِهِ وَوَأَيْتَ مِنْ وَأَيِّ سَتِيٍّ^(٤)
كَتَبْتَ بِهِ بِلَا لَفْظٍ كَرِيهِ عَلَى أُذُنٍ وَلَا خَطِّ قَتِيٍّ^(٥)
رِسَالَةً مِنْ مَتَمِّعٍ مِنْدَحِينَ وَمَتَمِّعًا مِنَ الْأَدَبِ الْوَضِيِّ^(٦)
لَنْ غَرَبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بِكَرًا لَقَدْ زُفْتُ إِلَى قَلْبِ وَفِيٍّ^(٧)
وَأَنْ يَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الْعَمَائِي قَرِيبَ هَدْيَةٍ لَكَ كَالْمَدْيِ^(٨)

وقال ابن أبي طاهر في ابن نوبة :

لابن أبي طاهر
في ابن نوبة

- في كل يوم صدور الكتب صادرة من رأيهِ وَنَدَى كَفَّيهِ عَنِ مُثُلِ
عَنْ خَطِّ أَقْلَامِهِ خَطَّ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْمَوْتِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسْوَلِ^(٩)

- (١) لم يذكر في ديوان أبي تمام البيت الأول والثاني . وذكر هذا البيت الثالث في
تصديقه له يجمع بها محمد بن المهيم . (٢) جو : شديد . وفي بعض الأصول :
« جرى » . والثناكلة : الحاضرة . (٣) الرصف : الحيازة الحماة .
(٤) الرأى : الرعد . وفي الأصول : « فكم كسفت ... » . وأيت من رأى .. .
وما أمهنا عن الديوان . (٥) بقي ، أسله في بالمعز ، فسهل
ثم أذغم . والقي : الصغير القليل . (٦) في الديوان : « الرضى » .
(٧) في الديوان : « لقد جليت على معك كتي » . (٨) الهدى ، الروس .

لما بها عِلَلٌ في الصلر تَفْتَهُ^(١) ووبما كان فيسه التفع للعلل
كان أسطارها في بطن مهرتها تَوَرَّضُ ضاحك دمع الواكف الخليل

البحتري

وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرّفت في الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
في نظام من البلاغة ماشك أسرو أنه نظام فريد ٥

وبدع كأنه الزهر الضا حك في رزق الربيع الجديد
ما أعيرت منه بطون^(٢) القراطيس وما حلت ظهور البريد
حُجِّجَ نَحْرُ الألد بالقسا ظ فردى كالجوهر للعدود
حُزْنَ مُستعمل الكلام اختيارا وتحتين غلقة التعقيد
كالقذاري غدوّ في الحلال البه ض^(٣) إذا رخن في الخطوط السود ١٠

لعل بن الجهم

وقال علي بن الجهم في رقة جاءته بخط جيد^(٤) :

ما رقة جاءتك متفتحة كأنهم أخذوا على خد
نثر سواد في بياض كما ذرّ قيعت للثك في الوزد
سأه الأستطر مصروفة عن جهة التزل إلى الجد
يا كاتباً أسلني عتبة إليك حشني منك ما عفى ١٥

لأبان ثم لأبن
نواس في الرد عليه

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق
إلى الفضل بن يحيى بن خالد رقة بأبيات له يصف فيها قامة ، وكثافة لحية ،
وحلاوة شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغة قله ، فقال :

أنا من بُنية الأهر وكَنَز من كُنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب أديب لبيب ناصح زلد على الناصح ٢٠

(١) في بعض الأصول : « ملل يهته » .

(٢) كذا في ديوان البحتري . والذي في الأصول : « ما اعتفت منه في بطون » .

(٣) كذا في بعض الأصول والديوان . والذي في سائر الأصول : « في حل صفر » .

(٤) في بعض الأصول : « جارية » مكان « جيد » .

شاعرٌ مُلقًى أخف من الرئيسة مما^(١) تكون تحت الجناح
لى فى النحر فطنةً ونفاذ أنا فيه قلادة بوشاح^(٢)
لورى بن الأمير أسلمه الله رماحاً صدمت حد الرماح
ثم أروى من^(٣) ابن سيرين فى الفقه بقول منور الإفصاح
لست بالشمع فى زوائى ولا القدر م ولا بالمجد الصداح^(٤)
لحية كثرة وأنف طويل وأقدار كثيرة للصباح
وكثير الحديث من ملع الناس بصبر بخلافات ملاح
كم وكمد خبات عندي حديثاً هو عند الأمير كالقفاح
أبى الناس طائراً يوم صيد فى غدق أو بكرة أو رواح
أعلم الناس بالجوارج والصيد وبالغرد الحسان لللاح
كل هذا جئت والحد لله على أنى ظريف للراح
لست بالناسك للشمس توبىبه ولا الفاتك الخليج الوفاح
لو دعانى الأمير عاب منى شمرياً كالبليل^(٥) الصداح^(٦)

قال : فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من إزمينية فرمى به إليه وقال له :
أجيب . فأجاب بما فى غرضه وأحسن . فأمر له بألف ألف درهم ، وكنا نراه
أول داخل وآخر خارج ، وكان إذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد :
فبلغ هذا الشعر أبان نواس فقال :

أنت أولى بقلة الخط منى يا مسمى بالبليل^(٧) الصداح^(٨)
قبلوا منه حين عز لهمهم أخر من القول غير ذى إنصاح

- (١) كذا فى ديوان أبى نواس . وفى سائر الأصول : « لا » .
(٢) فى ديوان أبى نواس : « واقاه » مكان « وقاتاه » . والبوشاح (بالهم والكسر) :
كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما مطروف أحدهما على الآخر .
(٣) فى بعض الأصول : « من » . وما أبيتنا عن سائر الأصول والديوان .
(٤) الصداح : التصير . وفى الديوان : « المجدد الصداح » .
(٥) كذا فى الأغانى (ج ٢٠ ص ٧٥) . والشمى (بفتح الشين والهم المشددة) ،
وكسرهما : الماضى فى الأمور الحرج . والذى فى الأصول : « صميراً كالبليل » .
(٦) فى بعض الأصول : « الصباح » .
(٧) فى الأصول : « أأ ... » : لى بالبليل » . وما أبيتنا عن الديوان .

- ثم بالزئيش شبه النفس في الخِلسة مما يكون تحت الجناح
فإذا الشَّم من شاربِخ رَضوى خِفة عنده نوى للسباح^(١)
لم يكن فيك غيرُ شَيْئينِ مِمَّا قَلتَ في نَمَتِ خَلْقِكَ التَّحْدِاح
لِعيَةِ جَسَدَةٍ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ وَسَوَى ذَاكَ ذَاهِبٌ فِي الرُّيَاح
فيك ما يحمل اللوك على الشَّعْ فِرْ وَيُرْزَى بِالْمَاجِدِ الْجَمْعِاج
بارِدِ الظَّرْفِ مُظْلَمِ الثَّابِ تَيَا مُعِيدُ الْحَدِيثِ تَمْجِجِ الزَّيَاح^(٢)
قال : فبعت إليه أبان بأن لا تُذيعها وَخُذِ الْآلَفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فبعت إليه
أَبُو نُوَاسٍ : لَوْ أُعْطِيتُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لَمْ أَجِدْ بَدَأًا مِنْ إِذَاعَتِهَا . فيقال :
إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى لَمَّا سَمِعَ شِعْرَ أَبِي نُوَاسٍ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي أَبَانٍ ، قَدْ
رُمِيَ بِجَمَسٍ فِي بَيْتٍ لَا يَقْبَلُهُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَاهِلٌ ، فَقِيلَ لَهُ : كَذَبَ
عليه . قَالَ : قَدْ قَبِلَ ذَلِكَ ، فَأَقْصَاهُ . وَإِنَّمَا أَغْرَى أَبَا نُوَاسٍ بِهَذَا الْكَتَابِ أَبَانُ
بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَحَقُّ أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى أَصْلَاهُ مَا لَا يُفَرِّقُهُ فِي الشَّرَاءِ وَيُسْطَى
كُلٌّ وَاحِدٌ عَلَى قَدَرِهِ ، فَبِعتَ إِلَى أَبِي نُوَاسٍ بِدِرْهَمٍ زَائِفٍ نَاقِصٍ ، وَقَالَ :
إِنِّي أُعْطِيتُ كُلَّ شَاعِرٍ عَلَى مَقْدَارِ شِعْرِهِ ، وَكَانَ هَذَا أَوْفَرَ نَصِيبِكَ عِنْدِي .
١٥ فَبِجَاهِ ذَلِكَ^(٣) .

^(١)توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بُنيانِ يَبْنِيهِ ، فَوَقَّعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

(١) يريد بالسباح : السبعة . (٢) في بعض الأصول والديوان : « مظلم الكذب » .
ويعني الفهم هنا وفي الديوان خلاف غير قليل .

(٣) في يد سعد : « تم الجزء السابع والمعرون من كتاب النقد وهو مكتاب
الجنة الثانية في التوقيعات من تجزئة حجت جزء الجزء الثامن والمعرون
بأبي كتاب الجنة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب
وتوقيعات الخلفاء » . (٤) قيل هذا العنوان في : « الجزء الثامن والمعرون
من مكتاب النقد ، وهو باقي كتاب الجنة الثانية في التوقيعات والفصول
والصدور وأخبار الكتبة وتوقيعات الخلفاء » ثم « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أَبْنِ مَا يَكُنْكَ مِنَ الْمَوَاجِرِ وَأَذَى لِلطَّرِّ . وَوَقَّعَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : كُنْ
لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وَقَعَ فِي قِصَّةِ قَوْمٍ تَطَلَّعُوا مِنْ سَهْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَمْرٌ بِوَجْهِهِ
أَعْنَاهُمْ : فَإِنْ قَسَّوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَوَقَّعَ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا
عِيْلَةً^(١) : قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ .

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وَقَّعَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ
جَاهٍ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رَأَى الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ شَهِيدٍ^(٢) الْغَلَامِ .
وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَكَانَ سَأَلَهُ كَيْفَ يُحَابِّبُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :
يُحَابِّبُونَكَ بِأَرْزَقُونَ . وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ الْحَصِينِ بْنِ اللَّذْذَرِ إِلَيْهِ يَذْكُرُ أَنَّ
السَّيْفَ قَدْ أَكْثَرَ فِي رِبْعَةٍ : بِقِيَّةِ السَّيْفِ أُنْعِمَ عِدْدًا . وَفِي كِتَابِ جَاهٍ مِنَ
الْأَشْجَرِ الْقَنْصِيِّ فِيهِ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلُّهُ ؟ وَفِي كِتَابِ صَمْعَةَ
ابْنِ صَوَّحَانَ يَسْأَلُهُ فِي شَوْءٍ : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

١٥ معاوية بن أبي سفيان

كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فِي أَمْرِ عَاتِيَةٍ فِيهِ ، فَوَقَّعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :
بَيْتُ أُمِّيَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَشْرَفَ مِنْ بَيْتِ حَبِيبٍ^(٣) . فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ تَرَاهُ .
وَفِي كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يُقْطِعَهُ مَالًا بِالطَّائِفِ : عَشْرٌ رَجَبًا تَرَى
عَجْبًا . وَفِي كِتَابِ زِيَادٍ يُخْبِرُهُ بِطَعْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي خِلَافَتِهِ : إِنَّ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عِيْلَةٌ عَلَيْهِ » . (٢) كَذَا فِيهَا مِمَّنْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .
وَبَعْضُ الْأَصُولِ هُنَا . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ هُنَا : « جَلَّة » .

(٣) هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ .

أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مِسلّاح واحد ، وذلك حِلْف لا يَحُلُّهُ
 سُوءُ أَدَبِكَ ^(١) . وكتب إليه ربيعة بن عِسلّ اليزيدي يسأله أن يعينه في بناء
 داره بالبصرة بأثنى عشر ألف جذع : أدارك في البصرة أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

• وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستمعيه ^(٢) لرجال من خاصته : أحكم
 لهم بأمرهم إلى منتهى آجالهم . فتحكم بتسعمائة ألف ، فأجازها . وكتب إليه مسلم
 ابن عُبَيْة للرّعي بالذي صنع أهل الحرّة ، فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس
 على القوم الفاسقين . وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد أستقطاه
 في الخراج : قليل العتاب يُعْصِمُ سرائر الأسباب ، وكثيره يقطع أواخي
 ١٠ الانتساب . ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خراسان : القراءة
 واشجّة ، والأضال متباعدة ، فخذ لحكم من نفعك . وإلى عبيد الله بن زياد :
 أنت أحد أعضاء ابن حمك فأحرص أن تكون كلها .

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أتاه من الحجاج : جئني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها
 ١٥ شفاء من المطلب . وكتب إليه الحجاج يحذره بسوء طاعة أهل العراق وما
 يُقاسى منهم ، ويستأذنه في قتل أشرافهم ، فوقع له : إن من يُمن السائس
 أن يتألف به المختلفون ، ومن سُوءه أن يختلف به المؤتلفون . وفي كتاب
 الحجاج يحذره بقوة ابن الأشعث : بضغفك قوّي ، وبخرفك طلّع ^(٣) . ووقع
 في كتاب ابن الأشعث :

٢٠ فإِ بال من أسى لأجبر عظمه حفاظاً وبنوى من سفاوته كثرى ؟

(١) في بعض الأصول : « وأيك » . (٢) في بعض الأصول : « يستمعه » .

(٣) في بعض الأصول : « وبخرفك خلع » .

ووقع أيضا في كتاب :

كيف يزجون سقاطى بعدما شمل الرأس مشيب وصلح ؟

الوليد بن عبد الملك

- كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، يُسكرك ذلك عليه ويُعرفه أنه [على] غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمنّ لئال جمع من يعيش أبدا ، ولأفرقته تفريق من يموت غدا . ووقع إلى عمر بن عبد العزيز : قد رأب الله بك الهاء ، وأودم^(١) بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

- كتب فُقيبة بن مُسلم إلى سليمان يتهذه بالطلع ، فوقع في كتابه :
 ١٠ ذم الفرزدق أن سيقتل مَرَبَما أبشر بطول سلامة يا مَرَبِج
 ووقع في كتابه أيضا : العاقبة للفتنين . وإلى فُقيبة أيضا جواب وعيده :
 وإن تصبروا وتقفوا لا يضركم شيئا .

مهر بن عبد العزيز

- كتب بعض السَّمال إليه يستأذنه في مرّة مدينته ، فوقع أسفل كتابه :
 ١٥ أنها بالتدل ، ونق طرقها من الظلم . وإلى بعض محمّله في مثل ذلك : حسنّها
 ٢٧٨ ونفسك بتقوى الله . وإلى رجل ولّاه الصدقات ، وكان دميما ، فعدل وأحسن :
 ٧ ولا أقول للذين ترّددوا أعينكم لن يؤثّرهم الله خيرا . وكتب إليه صاحب
 الرقاق يُبصره من سوء ظامة أهلها ، فوقع له : أرض لم ماترخص لنفسك ،
 وخُذهم بهرائهم بعد ذلك . وإلى عدي بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخر
 ٢٠ آية أنزلت : (وَأَقُوا يَوْمَما ترْجسونَ فيه إلى الله) . وإلى عامله على السكوة ،
 وكتب إليه أنه قل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدّى الله

(١) أودم : شد .

فبهدام أفتده . وإلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقع في كتابه : الله أعلم أنك [لست] أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يُخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليا ، وكان إماما مرضيا . وإلى عامله بالمدينة ، وسأله أن يعطيه موصعا يثنيه ، فوقع :
 ٥ كُنْ من اللوت على حذر . وفي قصة مظلم : العدلُ إمامك . وفي رُقة محبوبس : نُبْ تطلق . وفي رُقة رجل قتل : كتاب الله يثني وينك . وفي رُقة مُتصَّح : لو ذكرت اللوت شفتك عن نصيحتك . وفي رُقة رجل شكاه أهل بيته : أتما في الحق سيان . وفي رُقة امرأة حُبس زوجها : الحق حبه . وفي رُقة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصفك منه فأنا ظلمتك .

يزيد بن عبد الملك

١٠

وقع إلى صاحب خراسان : لا تفرتك ^(١) حسن رأي فأتما نفسده عثرة . وإلى صاحب المدينة : عثرت فأستقل . وفي قصة مظلم : سيظل الدين ظلوا أي مُنقلب يُنقلبون . وفي [قصة] مظلم شكاه بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صحت عنه وأستوصلتني .

هشام بن عبد الملك

١٥

في قصة مظلم : أذاك النوث إن كنت صادقا ، وحل بك النكال إن كنت كاذبا ، فتقدم أو تأخر . وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صبح ما أذعيتهم عليه عزلناه وعاتبناه . وإلى صاحب خراسان حين أسره بمحاربة الترك : أحذر ليالي البليات . وإلى صاحب المدينة وكتب يُخبره بوثوب
 ٢٠ أبناء الأنصار : أحفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبهم له . ووقع في رُقة محبوبس لزومه الحد : نزل بحدك الكتاب . ووقع في قصة رجل شكاه إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حُرمة : ليمالك في بيت مال

(١) في بنى الأصول : « لا تترك » .

- للمسلمين سهم ، ولكم بمؤمنكم ميتاً مثلاً . وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَعِ سَيْفَكَ فِي كِلَابِ النَّارِ ، وَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ . وإلى جماعة يشكون تمدى عاملهم عليهم : لِنَفَوْصَتِكُمْ ، فَإِنِّي خَصِمٌ دُونَكُمْ . وفي كتاب عامله يُخْبِرُهُ فِيهِ بِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ فِي بِلَادِهِ : مُؤَمِّمٌ بِالْأَسْتَفْغَارِ . وإلى سهل ابن سَيَّار : خَفِ اللَّهَ وَإِمَانَكَ فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وَقَعَ إِلَى مَرْوَانَ : أَرَاكَ مُتَقَدِّمَ رَجُلًا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى ، فَإِذَا أَنَاكَ كِتَابِي هَذَا فَأَعْتَمِدْ عَلَى أَيُّهَا شَيْتَانُ . وَإِلَى صَاحِبِ خُرَّاسَانَ فِي السُّوْدَةِ : نَجْمُ أَمْرٍ أَنْتَ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مَتَى بِسَالِمٍ .

١٠ مروان بن محمد

- كَتَبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي أَمْرٍ أَبِي مُسْلِمٍ : تَحْوِيلُ ^(١) الظَّاهِرِ يَدُكَ عَلَى ضَعْفِ الْبَاطِنِ ، وَاللَّهُ لَلْأَسْمَانِ . وَوَقَعَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ أَمِيرِ خُرَّاسَانَ : الْأَمْرُ مُضْطَرَّبٌ ، وَأَنْتَ نَائِمٌ وَأَنَا سَاهِرٌ . وَإِلَى حَوْثَرَةَ بْنِ سَهِيلٍ ^(٢) حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى قَضَطِبَةَ : كُنْ مِنْ بَيَّاتِ الرِّقَّةِ عَلَى حَذَرٍ . وَوَقَعَ حِينَ أَنَاهُ خَرِقٌ ^(٣) قَضَطِبَةَ وَأَنْهَزَامَ ابْنَ هُبَيْرَةَ : هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَنَ رَأَى مَيِّتًا هَزَمَ حَيًّا . وَفِي جَوَابِ أَيْبَاتِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرَى خَلَلَ الزَّمَادِ وَمِيعُضَ الْجَزْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ :

الْحَاضِرُ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّائِبُ ، فَأَحْصِ التَّوَلُّولَ ^(٤) . فَكَتَبَ نَصْرٌ : التَّوَلُّولُ قَدْ أَمْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ ^(٥) ، وَعَظُمَتْ نِكَابَتُهُ . فَوَقَّعَ إِلَيْهِ : يَدَاكَ أَوْ كَفَا وَفُوكَ تَقَنِّعَ ^(٦) .

٢٢٩
٣

- (١) في بعض الأصول : « نجوم » . (٢) في الأصول : « الحويرة بن سهل » .
(٣) وما أبتنا عن الطبرى . (٤) في بعض الأصول : « خرو » .
(٥) في بعض الأصول : « اشتدت أعضاؤه » .
(٦) هذا مثل . وأمسله أن رجلاً كان في جزيرة فأراد أن يعب على رزق لم يحسن إحصاءه ، حتى إذا توسط البحر خرجت منه الريح ، فلما أعرف على الفرق استغاث بالآخر ، فقال له هذا النيل .

٢٥

توقيعات بني العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أسس على غير تقوى ؛ ثم أمر بدفع رِجَمٍ منازلهم إليهم . ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يجارب ابن هُبيرة بواسط : إن حلك أفسد حُلك ، وترَاحيتك أترَ في طاعتك ، فخذُ لي منك ، ولك من نفسك . ووقع إليه في ابن هُبيرة بعد أن راجعه فيه ^(١) غير مرة : لستُ منك ولستُ متى إن لم تقتله . وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خلفته ، وإذنك لك . ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك ^(٢) في التهمة ؛ ثم أمر بأرزاقهم . وإلى عامل نُظِّل منه : وما كنتُ متخذُ للصلين عضداً . وفي قوم شكوا غرق ^(٣) ضياعهم في ناحية الكوفة : وقيل بعداً للقوم الظالمين .

أبي جعفر

وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عه : لا تجعل للأيام وفيك نصيباً من حوادثها . ووقع إليه أيضاً : (أذفع بآتي هي أحسن) إلى قوله : (وما يُلقّاها إلا ذو حظٍ عظيم) . فاجعل الحظ لي دونك ^(٤) يكن لك كله . ووقع إلى عبد الحميد ^(٥) صاحب خراسان : شكوتُ فأشكيناك ، وعبتتُ فأعتبناك ؛ ثم

(١) في بعض الأصول : « في » . (٢) في بعض الأصول : « شورك » .

(٣) في بعض الأصول : « حرق » .

(٤) في بعض الأصول : « لك دون » .

(٥) كذا في الأصول .

- خرجت عن العامة ، فتأهب لفرار السلامة . وإلى أهل الكوفة ، وشكوا عاملهم :
 كما تكونون يؤمر عليكم . وإلى قوم تظلموا من عاملهم : لا ينال عهدى الظالمين .
 وفي قصة رجل شكّا عيّلة : سأل الله من رزقه . وفي قصة رجل سأل أن يبنى
 بقربه مسجداً^(١) فإن مُصَلّا على بُد : ذلك أعظم ثوابك . وفي قصة رجل قُطعت
 عنه أرزاقه : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا تُمنسك لها) الآية . وفي قصة
 رجل شكّا الدين : إن كان دينك في مرضاة الله قضاء . وإلى صارورة^(٢) سأل أن
 يحج : (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) . وإلى صاحب
 مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكريك من الفساد يعطك النيل
 القياد . وإلى عامله على حصص ، وجاءه منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكتابك
 وإلا استبدل بك . وإلى صاحب إرمينية : إن لي في ففأك عينا ، وبين عينيك ١٠
 عينا ، ولها أربع آذان . وإلى رجل أستوصله : لا مانع لما أعطاه الله . وفي
 كتاب أناه من صاحب الهند يُخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقال بيت
 اللال فأخذوا أرزاقهم^(٣) منه : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وقيت لم ينهبوا .

المهدي

- ١٠ وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى
 الحق كما يقاد الجمل المشوش^(٤) يريد عيسى ولده . ووقع إلى صاحب إرمينية ،
 وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : خذ التفوّ وأمر بالفوف وأعرض عن
 الجاهلين . وإلى صاحب خراسان في أنس جاءه : أنا ساهر وأنت نائم . وفي
 قصة قوم أصابهم قحط : يُقدّر لهم قوت سنة القحط والسنة التي تليها . وإلى

٢٠ (١) في بعض الأصول : « متزلا » .
 (٢) صارورة : التي لم يحج . وفيها لغات أخرى .
 (٣) في : « الفرام » .
 (٤) الجمل المشوش : الذي يدخل في عظم أنه خشيبة .

شاعر، أظنه مروان بن أبي حفصة : أسرفت في مديحك قَعْمَرَنَا في حَيَاتِكَ .
وفي قصة رجل من الفارميين : خُذ من بيت مال المسلمين ما تَقْضِي به دينُكَ ،
وَيُقِرَّ به عَيْنُكَ . وفي قصة رجل شكَا الحاجة : أَتَاكَ التَّوْتُ . وإلى رجل من
بطانته أَسْتَوْصَلَهُ : لَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومُ بِإِطْلَانِنَا عَنْكَ . وفي قصة قوم تَطَلَّوْا
من عاملهم وسألوه إِشْخَاصَهُ إِلَى بَابِهِ : قَدْ أَنْصَفَ الْفَارَةَ مَن رَامَاهَا^(١) . وفي قصة
رجل حُبِسَ في دَمٍ : وَلَسَكُم في الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أَوْلَى الْأَبْلَابِ . وإلى صاحب
خُرَّاسَانَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ يُخَيِّرُهُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ : خُذْهُم بِالْمَدْلِ فِي الْمَسْكِيَالِ وَاللِّيزَانِ .
وإلى يوسف الْبَزْمِ^(٢) حين خرج^(٣) بخُرَّاسَانَ : لَكَ أَمَانِي وَمَوْكُدُ أَيْمَانِي .

٢٣٠
٧

موسى الهادي

١٠ كُتِبَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ فِي أَمْرِ رَاجِعِهِ فِيهِ : قَدْ أَنْكَرْنَاكَ مِنْذُ لَزِمْتَ
أَبَا حَنِيفَةَ^(١) ، كَفَانَاهُ اللَّهُ . وَإِلَى صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةٍ فِي أَمْرِ فَرَطٍ مِنْهُ : يَا بْنَ الْخُفَاءِ ،
أَنِّي تَعَمَّرُ^(٢) .

هارون الرشيد

١٥ وَفَّعَ إِلَى صَاحِبِ خُرَّاسَانَ : دَاوِ جُرْحَكَ لَا يَتَسَمَّ . وَإِلَى عَامِلِهِ عَلَى مِصْرَ : أَحْذَرِ
أَنْ تُعْرَبَ خِزَانَتِي وَخِزَانَةُ أَخِي يُوسُفَ ، فَيَأْتِيكَ مِنِّي^(١) مَا لَا يَقِيلُ لَكَ بِهِ ، وَمِنْ اللَّهِ
أَكْثَرُ مِنْهُ . وَفَّعَ فِي قِصَّةِ [رَجُلٍ مِنْ] الْبَرَامِكَةِ : أَبْنَيْتُهُ الطَّاعَةُ وَحَصَدُهُ الْمَعْصِيَةُ .

(١) الْفَارَةُ : قَبِيلَةٌ ؟ وَكَانُوا رَمَاةً وَالْمَاجَلِيَّةُ . وَزَعَمُونَ أَنَّ رَجُلَيْنِ التَّمِيَا أَحَدَهُمَا قَارِي ،
وَاخْتَارَ الْآخَرُ الْمَرَامَاةَ ، فَقَالَ الْقَارِي هَذَا الْمَثَلُ .

(٢) كَفَانَا فِي وَطْئِهِ . وَالطَّبْرِيُّ (ق ٣ م ٤٧٠) : طَبْعَةُ أُورُوقِ . وَهُوَ يُوسُفُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ الْبَزْمِ . وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَى الْمُهَدِيِّ بِخُرَّاسَانَ سَنَةَ سِتِينَ وَمِائَةٍ . وَالْقِي
فِي سَائِرِ الْأَسْوَالِ : « الْرُوسَى » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ « ظَفَر » .

(٤) لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ حَرْبُ بْنُ قَيْسٍ . (انْظُرِ الطَّبْرِيُّ) .

(٥) يُقَالُ : تَمَرَسَ الرَّجُلُ ، إِذَا مَلَسَ الْفَتَى وَخَرَجَ عَلَى إِمَامِهِ .

(٦) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « مِنْهُ » .

٢٤٠

٢٥٠

- وإلى عامله على فارس : كُنْ مَتَى عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الْبَيَّاتِ . وإلى عامل خراسان :
 إِنَّ الْمَوْتَ يُؤْتِرُ عَنْهُمْ الْحَزْمَ ^(١) . وإلى خُرْمِذَةَ بْنِ خازِمٍ ، إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَضَعَ
 [فِيهِم] السَّيْفَ حِينَ دَخَلَ أَرْضَ بِرْمِيَّةَ : لَا أُمُّ لَكَ ! تَقْتُلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .
 وَفِي قِصَّةِ مَحْبُوسٍ : مَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ نَجَا . وَفِي قِصَّةِ مُتَغَلِّمٍ : لَا يُجَاوِزُ بِكَ الْعَدْلُ ،
 وَلَا يُقْصِرُ بِكَ دُونَ الْإِنْسَانِ . وَإِلَى صَاحِبِ السُّنْدِ ، إِذْ ظَهَرَتِ الْمَصِيبَةُ ^(٢) : كُلُّ
 مِنْ دَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ ، تَمَّجَّلَ إِلَى النَّبِيِّ . وَإِلَى عَامِلِهِ عَلَى خِرَاسَانَ : كُلُّ مَنْ رَفَعَ
 رَأْسَهُ فَأَزَلَّهُ عَنْ يَدَيْهِ . وَفِي رُفْعَةِ مُتَغَلِّمٍ مِنْ عَامِلِهِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ بِالْمُتَغَلِّمِ
 عَارِفًا : قَدْ وَلَيْتُكَ مَوْضِعَهُ فَتَنَكَّبَ سِيرَتَهُ . وَفِي كِتَابِ بَكَارِ الزُّبَيْرِيِّ ^(٣) إِلَيْهِ
 يُخْبِرُهُ بِسِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ الطَّالِبِيِّينَ : جَزَى اللَّهُ الْفَضْلَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي اخْتِيَارِهِ لِيَاكَ ،
 وَقَدْ أَتَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَائَةً أَلْفَ بَحْسَنٍ نَيْتِكَ . وَإِلَى عِفْوَظٍ ^(٤) صَاحِبِ خِرَاجٍ ١٠
 بِمِصْرَ : يَا عِفْوَظُ ، اجْعَلْ خَرَجَ مِصْرَ خِرَجًا ^(٥) وَاحِدًا وَأَنْتَ أَنْتَ . وَإِلَى صَاحِبِ
 الْمَدِينَةِ : ضَعْ رَجْلَيْكَ عَلَى رِقَابِ أَهْلِ هَذَا الْبَطْنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَطَالُوا لَيْلِي بِالشَّهَادِ ،
 وَتَفَوُّوا عَنِّي لَذِيذِ الرِّقَادِ . وَوَقَّعَ إِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ : خَيْفَ اللَّهِ وَإِمَانَتِكَ
 فَوَمَا نَجَانُكَ . وَإِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ فِي كِتَابٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُ يَذْكُرُ فِيهِ وَثُوبَ
 أَهْلِ دِمَشْقَ : أَسْتَحْيَيْتُ لَشَيْخٍ وَلَهُ لِلنَّصُورِ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ وَلَدَتِهِ كَيْدَةَ وَطِيقٍ ، ١٥
 فَهَلَّا قَاتَلْتَهُمْ بِوَجْهِكَ ، وَأَبْدَيْتَ لَهُمْ مَصْعَعَتَكَ ^(٦) ، وَكَفَتَ كَمَرُوانُ ابْنَ عَمِكَ
 إِذْ خَرَجَ مُصْلِطًا سَيْفَهُ مَقْتَتِلًا بَيْتَ الْجَعْفَانِ بْنِ حُكَيْمٍ :
 مُتَعَلِّدِينَ صَفَانِحًا هِنْدِيَّةً يَتَرَكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كُنْ لَمْ يُؤْلَدِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « هَتَا الْخَطَّ » . وَلَوْلِ « الْخَطَّ » عَرَفَهُ عَنْ « الْخَطَّ » ،

يُرِيدُ أَنْ هَفُوَ الْمَوْتُ مَقْهُورَةٌ يَأْتِيهَا النَّاسُ بِضَهْمٍ عَنْ بَعْضٍ . ٢٠

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « الْمَصِيبَةُ » .

(٣) لَهُ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْبُوحِ الزُّبَيْرِيِّ . (انْظُرِ الطَّرِيقَ) .

(٤) هُوَ عِفْوَظُ بْنُ سُلَيْمَانَ . (انْظُرِ الْوَلَاةَ وَالْقَضَاةَ لِلْكَنْدِيِّ) .

(٥) الْحَرْجُ : الْإِتَاوَةُ ، كَالْحِرَاجِ . وَفِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « فَرَجٌ ... فَرَجًا » .

(٦) زَيْدٌ فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « وَبَنَيْتَ لَهُمْ مَصْعَعَتَكَ » . وَهِيَ كَأَنَّهَا لَا تَنْتَمِي مَعَ غَيْرِهَا ٢٥

مِنَ الْبَارِبَاتِ الَّتِي تَتَبَدَّلُ أَمْرُهُ بِأَسْوَاطِ الْعَدَّةِ وَالنَّسْوَةِ .

فجاء به حتى قُتل^(١)، فله أم ولدته، وأب أنهضه ! وكتب مُتَمَلِّك^(٢) الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي، وكل بطل في جندي . فوقع في كتابه : سيلم الكافر من عُنُقِي الدَّار . وكتب إليه يحيى بن خالد من المجلس حين أحسن بالموت : قد تقدّم الخضم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وسبقك فتعلم . فوقع فيه الرشيد : الحكم الذي رَضِيَتْهُ في الآخرة لك هو الذي أعدى الخضم [في الدنيا] عليك ، وهو من لا يرد حكمه ، ولا يصرف نضاه .

الأمور

وقع إلى [علي] بن هشام في أمر تظلم فيه منه : من علامة الشرف أن يتظلم من فوقه ويتظلم من دونه ، فأبى الرجلين أنت ؟ وإلى هشام^(٣) : لا أذنيك ولك بياني خصم . وإلى الرشيد في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون أبيتك من ذهب وفضة ، وغريمتك خاو ، وجارك طاو . وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، أعر نفسك بالعدل ، فإن الجور يهدمها . وفي قصة متظلم من أبي عبيد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة . وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : ١٥ فإذا نفع في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وفي قصة متظلم من حميد الطوسي : يا أبا غانم^(٤) ، لا تفتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان . وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمد الله أبا الطيب إذ أحك من خلفته محل نفسه^(٥) ، فما لك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده . وفي

٢٣١
٣

(١) في بعض الأصول بدل قوله « قتل » : « إمادة وإما خلا أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا أن يقال لقلت رحمه الله »

٢٠

(٢) في ي : « ملك » .

(٣) في ي : « أحمد بن هشام » .

(٤) في بعض الأصول « يا أبا هثم » . وما أبيتنا عن سائر الأصول والأغاني (ج ١٨ ص ١٠٧ و ١١٢) .

(٥) في بعض الأصول : « خليفة محل نفسه من نفسه » .

٢٥

- كتاب يشر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله [عليه] في مُناجاتي إيتاه . وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فذلك^(١) حين أمره بردها : قد أَرْضِيَتْ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي فُذْكَ كَمَا أَرْضَى اللَّهُ رَسُولَهُ^(٢) فيها . وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بِنَاءَكَ وَشَكَاةَ خُلُقِكَ ، فَأَنَا ظُلْمُكَ لِرَعِيَّةٍ فَأَنَا لَا نَحْتَمِلُهُ . ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه أَسْتَصْلِحُهَا .
- وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إِنْ غَفَرْتَ فَبَفَضْلِكَ ، وَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ . فوقع في كتابه : الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ الْخَلْفِيَّةَ ، وَالتَّدْمُ جُزءٌ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَيُنْهِنُهُا عَنْهُ اللَّهُ . ووقع في رُقعة مولى طلب كُسوة : لو أَرَدْتَ الْكُسُوَّةَ لَأَزِمْتَ الْحُلْمَةَ ، وَلَكِنَّكَ آتَرْتَ الرُّقَادَ ، فَحُظُّكَ الرُّثُيَا . ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه ، وقد وافته الأموال : يُؤْمَرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لَطُولَ حِمَّتِهِ^(٣) . وَلِثَمَامَةِ بْنِ أَشْرَسَ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ لَتَرَكَهُ مَا لَا يَبْعِيهِ . وَلِأَبِي عَمْدٍ الْيَزِيدِي : يُؤْمَرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِكِبَرِهِ . وَلِلْمَلِيِّ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِمَصْحَبِ نَيْتِهِ . وَلِلْإِسْحَاقِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِمُذَقِّ حِمَّتِهِ . وَلِلْمُبَاسِّ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِقَصَاحَةِ مَنَظِقِهِ . وَلِلْأَحْمَدِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ بِأَلْفٍ لِمُخَالَفَةِ شَهْوِهِ . وَلِلْإِبْرَاهِيمِ بْنِ بُوَيْهِ كَذَلِكَ لِسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ .
- وَلِلرَّيْسِيِّ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ لِإِسْبَاحِ وَضُوهِهِ . وَلِمُبْدِ اللَّهِ بْنِ يَشَرَ بِمِثْلِهَا لِحُسْنِ وَجْهِهِ .

(١) فُذْكَ (بالفتح) : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أعادها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا ، وأدعت فاطمة أن الرسول نحلها إياها . ثم أعطاها عمر إلى ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما ولي عمر بن عبد العزيز ردها إلى ولده فاطمة . فلما ولي يزيد قبضها . حتى ولي السفاح فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي . فلما ولي المنصور قبضها . فلما ولي المهدي أعادها . ثم قبضها المهدي إلى أيام المأمون ، فسكتب بها سبلا لبني علي بن أبي طالب . (انظر - جم البيان) .

(٢) في بعض الأصول : « خليفته » .

(٣) في ي : « ووقع في رُقعة غسان بن عباد يوصى له بثلاثة ... الخ » مكلن قوله :

« ووقع في يوم عاشوراء » إلى هنا .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وَقَعَ إِلَى بَعْضِ عَمَلِهِ : قَدْ كُنْتُ عَلَى الشُّعَارِ ، وَإِخْلَاكِ دَاعِرًا . وَكُتِبَتْ
إِلَيْهِ عَائِشَةُ فِي وَصَاةِ بَرَجِل ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهَا : هُوَ بَيْنَ أَبِيهِ . وَإِلَى صَاحِبِ
خُرَّاسَانَ فِي أَمْرِ خَالَتِهِ فِيهِ : أَشْتَرُ بَعْضَ دِينِكَ بِبَعْضٍ وَإِلَّا ذَهَبَ كُلُّهُ . وَإِلَى
عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ : أَمِطِ الْخُدُودَ عَنْ ذَوَى اللُّرَوَاتِ . وَفِي قِصَّةِ مَعْظَلَمْ : أَنَا مَعَكَ .
وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ رَفَعُوا عَلَى عَامِلٍ [رَفِيعَةً ^(١)] : مَنْ أَمَالَهُ الْبَاطِلُ قُوَّةَ الْحَقِّ . وَفِي
قِصَّةِ مُسْتَمْنَعٍ : لَكَ لِلْوَأَسَةِ . وَإِلَى عَامِلِهِ فِي خَوَارِجٍ خَرَجُوا بِالْبَصْرَةِ : النِّسَاءُ
نَحَارُ بِهِمْ دُونَكَ . وَفِي قِصَّةِ سَارِقٍ : الْقَطْعُ جَزَائُكَ . وَفِي قِصَّةِ أَمْرَأَةٍ حُبِسَتْ
زَوْجُهَا : حُكِّمَ إِلَى اللَّهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ تَقَبُّوا : تَغْتَبُ ظُهُورَهُمْ . وَفِي قِصَّةِ تَبَاشٍ :
يُدْفَنُ حَيًّا فِي قَبْرِهِ . وَفِي قِصَّةِ مَعْظَلَمْ : الْحَقُّ يَسْمُكُ . وَفِي قِصَّةِ مَخْنُصَحٍ :
• هَلَّا قَدْ أَبْلَغْتَ إِسْمِي ^(٢) •

وَفِي قِصَّةِ مَعْظَلَمْ : كُفِّتِ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا إِلَيْهِ عُقُوقَ ابْنِهِ : رُبَّمَا كَانَ
عُقُوقُ الْوَلَدِ مِنْ سُوءِ تَأْدِيبِ الْوَالِدِ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا الْحَاجَةَ : لَكَ فِي مَالٍ
اللَّهُ نَصِيبٌ أَنْتَ آخِذُهُ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ جَارِحٍ : الْجُرُوحُ قِصَاصُ . وَفِي قِصَّةِ
مُحِبُّوسٍ : التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ شَكَوَا غَرَقَ
ضِيَاعِهِمْ : لَا تَعْرِضْ فِيمَا تَقَرَّدَ اللَّهُ بِهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ أَشْتَكَاوا اجْتِنَاحَ الْجَرَادِ
لِزُرُوعِهِمْ : لَا حُكْمَ فِيمَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .

الحجاج بن يوسف

٢٠ وَقَعَ فِي كِتَابِ أَنَاةٍ مِنْ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَشْكُو كَثْرَةَ الْجَرَادِ وَذَهَابَ الْقَلَاتِ

(١) الرِّفِيعَةُ : مَا رَفَعَ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ . (٢) حَفَا عِزَّيْتُ لِأَبِي قَيْسٍ بْنِ الْأَسَدِ
الْأَنْصَارِيِّ وَصَفَرَهُ : • نَالَتْ وَلَمْ تَقْعِدْ لِفَيْلِ الْحَنَاءِ • (انظر للمُعْطِيَاتِ) .

- وما حل بالناس من القحط : إذا أُرِفَ خراجك فأَنْظِرْ لرحمتك في مصالحتها ،
 فبيئت للمال أشدَّ اضطلاماً بذلك من الأرملة واليتيم وذى القعدة . وفي كتاب
 قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لا تُخاطر بالمسلمين حتى تعرفَ
 موضع قدمك ، وترى سهامك . وفي كتاب صاحب الكوفة يُخبره بسوء
 طاعتهم وما يُقامى من مُداراتهم : ما ظنك بقوم قتلوا مَنْ كانوا يُعبدونه . وفي
 قصة عُميرس ذكرُوا أنه تاب : ما على اللّٰهين من سبيل . وإلى قتيبة : خذ
 عسكرك^(١) بتلاوة القرآن ، فإنه أَمْنٌ من حصونك . وفي كتابه إلى بعض مُماله :
 إيتاك وللإلهي حتى تستنظف^(٢) خراجك . وفي كتابه إلى ابن أبيه :
 ما ركب يهودي قبلك منبراً . وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مُسلم : أنت أبرُّ عبدة
 هذا القرن .

١٠

أبو مسلم

- وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي : لِسِكْلٍ بَأْسٌ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ
 تَقْلَمُونَ . وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة : قلَّ طريقٌ سهَّلَ تُلْقَى
 فيه الحجارة إلا عادَ وَغَرًا ، والله لا يَصْلُحَ طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبداً . وإلى ابن
 قسطلبة : لا تَنْسَ نصيبك من الدنيا . وإليه : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
 وللوعظة الحسنة . وإليه : لا تَرَكِبُوا إلى الذين ظلموا أنفسكم النار . وإلى محمد
 أن صُولَ ، وكتب إليه بسلامة أطرافه : وأما بعمرة ربك فحَدَّث . وكتب إليه
 قسطلبة^(٣) : إن بعض قوادِه خرج إلى عسكر ابن ضُبارة راعياً ، فوقع في كتابه :
 (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً) الآية . وإلى عامه يَبْلُغُ : لا تؤخِّرْ عمل
 اليوم لند . وإلى أبي سَلَمَةَ الخَلَّلِ حين أنكر نيته : وإذا لقوا الذين آمنوا

٢٠

(١) في بعض الأصول : « أمل عسكرك » .

(٢) يقال : استنظف الرأى ما عليه من الخراج ، إذا استوفاه .

(٣) هو قسطلبة بن شبيب البجلي .

قالوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم .

جعفر بن يحيى

- وَقَعَ فِي قِصَّةِ مَحْبُوسٍ : لِسَكَلٍ أَجَلَ كِتَابٍ . وَفِي مِثْلِهِ : الْقَذْلُ يُؤْبَقُهُ ^(١) ،
وَالْتَوْبَةُ تَطْلُقُهُ . وَفِي قِصَّةِ مُتَنَصِّحٍ : بَعْضُ الصَّدَقِ قَبِيحٌ . وَإِلَى بَعْضِ مُعْهَلٍ ^(٢) :
٥ تَدَكَّرْتُ شَاكُوكَ ، وَقَتْلَ شَاكِرُوكَ ، فَمَا عَدَلْتُ ، وَإِنَّمَا أَعْتَزَلْتُ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ
شَكَا بَعْضَ خَدَمِهِ : خُذْ بَأْذَنِهِ وَرَأْسَهُ فَهُوَ مَا لَكَ . وَإِلَى عَامِلٍ فَارَسَ فِي رَجُلٍ
كَتَبَ إِلَيْهِ بِالْوَصَاةِ : كُنْ لَهُ كَأَبِيهِ لَوْ كَانَ مَكَانَكَ . وَإِلَى عَامِلٍ مَصْرَفِي رَجُلٍ
مِنْ بَطَالَتِهِ يُوصِيهِ : إِنَّهُ رَغِبَ إِلَى شِعْبِكَ ، فَأَرْغَبْ فِي اصْطِنَاعِهِ . وَفِي قِصَّةِ مُعْظَمٍ
مِنْ بَعْضِ مُعْهَلٍ : إِنِّي ظَلَمْتُكَ دُونَهُ . وَفِي قِصَّةِ مَحْبُوسٍ : الْجَنَايَةُ حَبَسَتْهُ ، وَالتَّوْبَةُ
١٠ تَطْلُقُهُ . وَإِلَى قَوْمٍ : عَيْنُ الْخَلِيفَةِ تَسْكَلُوكُمْ ، وَنَظَرُهُ يَمْتَكِمُ . وَفِي رُفْصَةٍ صَارِدَةٍ
أَسْتَأْذِنُهُ فِي الْحِجِّ : مَنْ سَافَرَ إِلَى اللَّهِ أَنْجَحَ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا ضُرُوبَهُ : الصَّوْمُ
لَكَ وَجَاءَ ^(٣) . وَفِي رُفْصَةٍ رَجُلٍ سَأَلَ وَلَايَةَ : لَا أُولَى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا . وَفِي
قِصَّةِ رَجُلٍ سَأَلَ أَنْ يُقْتَلَ أَبْنَاهُ فَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنْهُ : قَبِيَّةُ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَتْ أَطْوَلَ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ تَغْلَمُ مِنْ بَعْضِ مُعْهَلٍ : أَنَا لِمَلَّةٍ حَتَّى يُنْصَفَكَ . وَفِي
١٥ قِصَّةِ قَوْمٍ شَكَا سَوْءَ جَوَارِ بَعْضِ قَرَابَتِهِ : يَرْحَلُ عَنْكُمْ . وَفِي قِصَّةِ مُسْتَمْتَحٍ قَدْ
كَانَ وَصَلَهُ مَرَارًا : دَعِ الضَّرْعَ يَذِيرُ لِنِيرِكَ كَمَا ذَكَرَكَ . وَإِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ،
وَجَاءَهُ مِنْهُ كِتَابُ غَنَمِهِ وَأَكْرَبَهُ : كَثْرَةُ مُلَاحَاةِ الرِّجَالِ رُبَّمَا أَرَأَقْتَ الْقَمَاءَ .
وَإِلَى مَبْنُورِ بْنِ زِيَادٍ فِي أَمْرٍ عَاتَبَهُ فِيهِ : لَمْ تَزْرَعْكَ لِلنَّحْصَدِكَ . وَإِلَى بَعْضِ مُعْهَلٍ :
اجْعَلْ وَسِيلَتَكَ إِلَيْنَا مَا يَرِيدُكَ عِنْدَنَا . وَإِلَى بَعْضِ نُدْمَانِهِ : لَا تَبْتَدِ عَنْ ضَمَّتِكَ .
٢٠ وَوُتِّعَ إِلَى مُتَنَصِّلٍ مِنْ ذَنْبٍ : حُكْمُ الْقَلَتَاتِ خِلَافُ حُكْمِ الْإِصْرَارِ .

(١) فِي ي : « أَوْتَقَهُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَدِ : « وَفِي رَجُلٍ شَكَا بَعْضَ مُعْهَلٍ » .

(٣) الْوَجَاءُ : شَيْءٌ بِالْخِصَاءِ .

الفضل بن سهل

- كعب إلى أخيه الحسن : أحد الله يا أخي ، فما سببت خليفة الله إلا على ذكرك . وإلى طاهر : ليخير ما أنصت ^(١) . وإليه : لشر ما سموت . وإلى هرمثة وأشار عليه برأى : لا يحمل ما عقدت . وفي قصة متظلم : كفى بالله المظالم ناصراً .
- وفي قصة رجل تآب بيت اللال : يدرأ عنه الحد إن كان له فيه سهم . ووقع إلى حاجبه : تمهل وتسهل . وإلى صاحب الشرطة : ترفق توفق . وإلى رجل شكاً غلبه الدين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسنشفعها بمثلها ليرغب للمستمنعون ^(٢) .
- وفي قصة متظلم : طيب نفساً فإن الله مع المظلوم . وإلى رجل شكاً إليه الدين : الذين سوء يبيض الأحناق ، وقد أمرنا بقضائه . وفي قصة قوم قطعوا الطريق : (إنما جراه الذين يحاربون الله ورسوله ويستؤمن في الأرض فساداً) . الآية . ١٠
- وفي امرئ قاتل شهد عليه المدول فشفع فيه : كتاب الله أحق أن يُتبع . وفي قصة رجل شهد عليه أنه شتم أباً بكر وعمر : يضرب دون الحد ويُسهر ضرباً .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

- وقع في قصة متظلم : ينظر نيا رفع : فإن الحق منيع ، وإلا فشفاء السقم ^(٣) دواء السقم . وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الحق أولى بنا ، والعدل يُبيننا ، ١٥
- وإن صح ما أدهمت عليه صرّفناه وعاقبناه . وفي قصة امرأة حبس زوجها : الحق يحبس والإنصاف يطلعه . وفي قصة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب إليه رجل من الشراء ^(٤) يقول له :

٢٠

(١) في بعض الأصول : « ما استطعت » .

(٢) في بعض الأصول : « المستمنعون » .

(٣) في بعض الأصول : « فتأن السلم دواء السقم » .

(٤) فيما مر من هذا الكتاب (ج ١ ص ٢١٦) أن هذا الشعر للبطين وكان كتب به

إلى علي بن يحيى الإرميني .

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ قَوْسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَابِيرُ
فَقَالَ قَوْمٌ لَمْ يَهْمُ وَمَرْفَةٌ رَأَيْتُ خَيْرًا وَالْأَحْلَامُ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَرَّخَدَا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فِي الْحَلْمِ خَيْرًا وَفِي النَّوْمِ الْقَبَاشِيرُ^(١)
فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كَتَابِهِ : أَضْفَأْتُ أَحْلَامَ وَمَا مَعْنَى بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِهَاطِلِينَ .
وَأَطْلُقُ لَهُ مَا أَلْتَمَسَهُ .^(٢) ودخل بعضُ السَّمَاءِ^(٣) عَلَى [عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ] يَشْرِبِينَ
مَرْوَانَ فَأَنْشَدَهُ :

أَخْفَيْتُ عِنْدَ الْمَبِيعِ نَوْمَ مُسْهَدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَا مَهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ دُخْتُ بَوَلِيدَةٍ رُحْبُوبَةٍ حَسَنَ عَلَى قِيَامِهَا^(٤)
وَيَبْذُرَةٌ حُلَّتْ إِلَى وَبَسَلَةٍ دَهْمَاءُ مُشْرِفَةٍ يَسْبِلُ لِحَا مَهَا
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةَ عِيَا يُمِيبِكِ بَرْدَهَا^(٥) وَسَلَا مَهَا
لَيْتَ لِلنَّابِرِ يَابْنَ مَرْوَانَ النَّدَى أَنْجَحْتُ وَأَنْتَ خَطِيئَتُهَا وَإِمَامِهَا^(٦)
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشَرَ : فِي كُلِّ شَيْءٍ أَصَبْتُ إِلَّا الْبَغْلَةَ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ
إِلَّا شَهِيَاءَ . فَقَالَ لَهُ : إِسْرَأْنِي طَالِقُ إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَهَا إِلَّا شَهِيَاءَ ، إِلَّا أَنِّي غَلِطْتُ .

ظاهر بن الحسين

١٥ وقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب : طلبت الحق في
دار الباطل . وفي قصة رجل طلب قبالة^(١) بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ،
ولو كانت صلاحاً ما كنت لها موصفاً . وإلى السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ ، وَجَاهٌ مِنْهُ

(١) رواية هذا السبج نيامر : • تعبير ذلك وفي المال التباشير •
(٢) هذا الخبر غريب على هذا الباب ، فهو لا ينحصر في الباب وتوقيعات الحسن بن سهل
فصل المؤلفات سالفه للشاكلة ، أو لعله كان تحت عنوان آخر .
(٣) الظاهر هو الحكم بن عبدل . لا انطرح ١ ص ٣١٦ من هذه الطبعة . والأغاني
(ج ٢ ص ٤٠٧) طبعة دار الكتب للبررة . وقد ذكر من هذا السرايات
في الأغاني (ج ٢ ص ٧٤) طبعة بلاغ مطبوعة لمؤنة بن يمش .
(٤) جارية رصوبية : يعنيها سبعة وطلبة حلوة . (٥) في بعض الأصول : « درها » .
(٦) بين الأبيات عنا وفي الأغاني خلاف في بعض الألفاظ . (٧) القبالة : الكفالة .

كتاب يستعمله فيه : عِشْ مَا لَمْ أَرْكَ . وإلى خُرَيْمَةَ بْنِ خَازِمٍ : الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا ، وَالصَّنِيعَةُ بِأَسْتَدَامَتِهَا ، وإلى النّايَةِ مَا جَرَى الْجِرَادُ ، فَحُمِدَ السَّابِقُ ، وَذُمَّ السَّاقِطُ . وإلى العباس بن موسى الهادي وأستبطلاه في خراج ناحيته :

وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَاتِ مِثْلَ بَاتِ نَائِمًا وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ يَبِيتُ عَلَى رَحْلِ^(١)

وفي رُقعة مُتَمَتِّحٍ : سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وفي قصة ٥٠ محبوس : يُطْلَقُ وَيُعْتَقُ . وفي رُقعة مُتَوَصِّلٍ : يُقَامُ أَوْدَهُ^(٢) وَكُتِبَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ مُبَيْدٍ : أَبَا عَمَّانَ ، أَعْنَى بِأَحْبَابِكَ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْمَدْلِ ، وَأَحْبَابُ الصَّدَقِ ، وَلِلْوَثْرُونَ لَهُ . فَوَقَّعَ فِي كِتَابِهِ : أَرْفَعُ حِلْمَ الْحَقِّ يَنْقُصُكَ أَهْلُهُ .

توقيعات العجم

- ٢٣٤
٢ وقع أَرْدَشِيرُ فِي أَمْزَةٍ حَمَّتْ لِلْمَلِكَةِ : مِنَ الْمَدْلِ أَنْ لَا يَفْرَحَ لِلْمَلِكِ وَرَعِيَّتُهُ عَزْزُونَ . ثُمَّ أَسْرَ فَفُرِّقَ فِي الْكُورِ جَمِيعٌ مَا فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ . وَرَفَعَ رَجُلٌ إِلَى كَسْرَى بْنِ قُبَادٍ رُقْعَةً يُخْبِرُهُ فِيهَا أَنَّ جَاعَةً مِنْ بَطَانَتِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتِهِمْ وَخَبِلَتْ ضَائِرُهُمْ ، مِنْهُمْ فَلَانٌ وَفَلَانٌ . فَوَقَّعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : إِنَّمَا أَمْلَكُ ظَاهِرَ الْأَجْسَامِ لَا النِّيَّاتِ ، وَأَحْكَمُ بِالْمَدْلِ بِالْمَهْوَى ، وَأَخْصَ عَنْ الْأَعْمَالِ لَا عَنْ السَّرَائِرِ . وَوَقَّعَ كَسْرَى فِي رُقْعَةٍ مَدَّحٍ : طَلُوبِي لِلدُّوْحِ إِذَا كَانَ لِلْمَدَّحِ مُسْتَحَقًّا ، ١٥ وَلِلْقَادِي إِذَا كَانَ لِلْإِجَابَةِ أَهْلًا . وَكُتِبَ إِلَيْهِ مُتَمَتِّحٌ : إِنْ قَوْمًا مِنْ بَطَانَتِهِ أَجْتَمَعُوا لِلْمُنَادَةِ ، فَصَابِرُهُ وَتَلَوُّهُ . فَوَقَّعَ : لَنْ كَانُوا تَقَطُّوا بِالْسِّنَةِ شَقًى لَقَدْ أَجْتَمَعَتْ مَسَاوِيَهُمْ عَلَى لِسَانِكَ ، فَجَبْرُحُكَ أَرْغَبُ^(٣) ، وَلِسَانُكَ أَكْذَبُ . وَرَفَعَ إِلَيْهِ جَاعَةً مِنْ بَطَانَتِهِ [رُقْعَةً] يَشْكُونَ فِيهَا سُوءَ حَالِهِمْ . فَوَقَّعَ : مَا أَنْصِفُكَ مِنْ إِلَى الشَّكَايَةِ أَجْوَدَ مِنْكُمْ ؛ ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَا وَسَعَهُمْ وَأَغْنَاهُمْ . وَوَقَّعَ أَبُو شُرَوَانَ ٢٠

(١) في بعض الأصول : « وجل » . (٢) يلاحظ أن هذا التوقيع لا يندرج

تحت توقيعات هذا الباب . فليقل مكاة مع توقيعات أبي جعفر فيما مضى من هذا

الكتاب (ص ٢١١) . (٣) أرغب : أوسع .

إلى صاحب خراجِه : ما أَسْتَنْزِرُ الخراجَ بِمِثْلِ الدَّلَلِ ، ولا أَسْتَنْزِرُ بِمِثْلِ الجُبُورِ .
 ووقع في قصة رجل تظلم منه : لا يَنْبَغِي للملك الظلم ، ومن عنده يُلتَمَسُ العدل ،
 ولا البخلُ ، ومن عنده يُتَوَقَّعُ الجُودُ ؛ ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين
 يديَّ للوَيْدِ^(١) . ووقع في قصة محبوبوس : مَنْ ركب ما نُهي عنه حيلَ بينه وبين
 ما يَشْتَعِي . وَرَفَعَ إليه بعضُ خُدَمِهِ رقعةً يُخْبِرُهُ فيها بِكثرةِ عِيَالِهِ ، وسوءِ حالِهِ ،
 فَعَرَفَ كذِبَهُ ، فَوَقَعَ : إِنَّ اللَّهَ خَفَّفَ ظَهْرَكَ فَتَقَلَّضْهُ ، وَأَحْسِنْ إِلَيْكَ فَكَثِّرْهُ ،
 فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ يُتَّبَ عَلَيْكَ . ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل : بالسانِ
 أَحْضَرُ رَأْسَكَ . ووقع في قصة رجل ذَكَرَ أَنَّ بعضَ قرابةِ لَلَّكَ ظَلَمَهُ وَأَخْذَمَالَهُ :
 لا تَصْلَحُ العائِةُ إِلَّا بِبَعْضِ الْكَيْفِ عَلَى الْخَاصَةِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أُبْحَثَكَ جَمِيعُ
 ١٠ مَا يَمْلِكُكَ . فَلَمْ يَتَظَلَّمْ بَعْدَهَا أَحَدٌ مِنْ قَرَابَتِهِ .

فصول في المودة

كعب عبدُ الرحمن بن أحمد الخواري إلى محمد بن سهل : أَمَرَكَ اللَّهُ ، إِنَّ
 كُلَّ مَجَازاةٍ قَاصِرَةٌ عَنْ حَقِّ السَّابِقِ^(٢) إِلَى أَفْتِتَاحِ الْوَدِّ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ
 أَسْتَقْبَلُكَ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ بِمَا لَمْ تَسْتَدْعِهِ ، وَأَعْتَمِدُكَ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيكَ
 ١٥ بِمَا لَمْ تُؤَلِّهِ .

وفصل لأبي عليّ البصير : قد أَكَّدَ اللَّهُ بَيْنَنَا مِنَ الْوَدِّ^(٣) ، مَا نَأْمَنُ بِهِ
 عَلَى حُلِّ عَقْدِهِ ، وَتَقْضَى مِرَاثُهُ ، وَمَا يَسْتَوِي فِيهِ تَهْنَأُ بِأَنْفُسِنَا لَكَ ، وَتَهْتِنَا^(٤)
 بِمَا مَعْدُكَ .

(١) المويد : نقيه الفرس ، كالوَيْدَانِ .

(٢) فِي : « السائل » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « المودة » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تهننا » .

وفصل له : الحالُ فيما بيننا تحتمل الدالة ، وتوجب الأناش والثقة ، ويسقط
اللسان بالاستزادة ، وأنا أشت إليك بالمرمة المقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي
تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حبلاً^(١) ، والصناعة تؤلفنا
أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في إلقاء ، أو تخلف في مكانة ، موضوع
بيننا يجب التذرع فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبَّ إليك ، ساهى الطرف نحوك ،
وذكرك ملصق بلساني ، وأتمك خلوعى لهواي ، وشخصك مائل بين هينى ،
وأنت أقرب الناس من قلبي ، وآخذهم بمجامع هواي .

وفصل له : لنحن أحقُّ بأبدانك بما ابتدأنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقك إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديتُ مودتي إليك رغبةً ، ووَضِيتُ
بالقبول منك مشوبةً ، فِصْرَتَ بقبولها قاضياً لحق ، ومالكاً لرق ، وصرتُ
بالنسرع إلى الهدية ، والتنتظرُ^(٢) للثوبة ، مُرْسِئُ اللسان بالجزاء^(٣) ،
واليدن بالوفاء .

وفصل له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسى ، فأنا غيرُ محمود على الأتياد
لك بنير زمام ، لأنَّ النفس يقود بعضها بعضاً . وقال أبو البتاهية :

ولقلِّبْ على القلبِ دليلُ حينِ يلقاؤِ
ولنَّاسٍ مِنَ النَّاسِ مقاييسُ وأشساب

(١) في بعض الأصول : « محبتها » .

(٢) في بعض الأصول : « والتغير » .

(٣) في بعض الأصول : « بالرضا » .

وفصل له : لسانى رطب بذكرك ، وقلبي مقصور بمحبتك ، حضرت أو غيبت ، سرت أو قمت ، كقول مقفل أخى أبى دؤف :

لعمري لئن قرئت بقرئك أعين^(١) لقد سَخِنتُ بالتيين منك مَحوين
فيسر أو أقم وُضِعَ عليك مودتى مكانك من قلبي عليك مَصون

• وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب تحير وسائل ؛ فأنا الإخبار ، فمن تصرف الخطوب بما^(٢) يُوجب المُنذر عند صديق العزيز مَلَى في إبطائي بالتصديده ؛ وأما السؤال ، فمن إمساك هذا الأَخ الودود للودود عن مثل ذلك ؛ وإن المُنذر^(٣) كاشف ما سلف ، مُصلح لما أستؤنف .

فصول في الزيارة

١٠ كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له : نحن في مأذبة لنا نُشرف على روضة تُضاحك الشمس حُسناً ، قد باتت السماء تَطْلُها^(١) ، فهي شَرقة^(٢) بمائها ، حالية بَنُوأراها ، فبادر إلينا^(٣) لتكون على [سواء من] استمتاع بعضنا ببعض . فكتب إليه : هذه صفة لو كانت في أقاصى الأطراف لوجب أُنْتِجاعها ، وحثُ الطغي في أبقائها ، فكيف في موضع أنت تَسْكُنه ، وتُجمِع إلى أنيق مَنظَره ، حُسْن وجهك ، وطَلَب شمالك ، وأنا الجواب .

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في لَسير إليه ، وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي فكتب إليه : هدى من أنا عنده ، وحُجَّتنا عليك^(١) إعلامنا إليك .

(١) في بعض الأصول : « على ما » .

(٢) في بعض الأصول : « البذل » .

(٣) في بعض الأصول : « تطلها » .

(٤) في بعض الأصول : « معرفة » .

(٥) في بعض الأصول : « قرأ بك فينا » .

(٦) في بعض الأصول : « إليك » .

وفصل : إنه من ظمئ شوقه من رؤيتك ، أستوجب الرضى من زيارتك .

ثم كتب تحت هذا :

مِنْ إِلَيْنَا تَقْدِيكَ نَفْسُ مِنَ الشُّو • فَقَدْ طَالَ عَهْدُنَا بِالتَّلَاقِ
وَأَجْمَلُنْ ذَاكَ إِنْ رَأَيْتَ جَوَابِي فَلَقَدْ خِفْتُ سَطْوَةَ الْأَشْتِاقِ

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لفتيتك ، وفَرَطُ الحزن من فراقك ،
ونظَّم الأيام بِسَدِّكَ ، وأقول كما قال بعضُ للحدثين :

غَضَارَةُ دُنْيَا أَظْلَمُ الْعَيْشُ بِمَدَّهَا • وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يُعْرِفُ قَدُّهَا

وفصل : الشوقُ إليك وإلى عهد أيماننا الذى حَسُنْتَ [بك] حقى كأنها

أعياد ، وقَصُرَتْ [بك] حقى كأنها ساعات ، يفوت الصِّفَات ؛ وما يجدده

وَيُكَثِّرُ دَوَاعِيهِ تَصَابُغَ الْبَيَّارِ ، وقُرْبَ الْجَوَارِ ، تَمِّمُ اللهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمَجْدُودَةَ فِيكَ ١٠
بالنظر إلى الغرة للباركة ، التى لا وَحْشَةَ معها ولا أُنْسَ بعدها .

وفصل : مَثَلُنَا — أَعَزَّكَ اللهُ — فى قُرْبِ نَجَارُونَا ، وَيُبْدِ تَزَاوِرُنَا ، مَا قِيلَ

فى أهل القُبُورِ :

هُمْ حَبِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَنَا مَزَارِمُ • فِدَائِي ، وَأَمَا لِللَّتْقَى قَبِيْعِدُ

وكل عِلَّةٍ مَعَكَ مُحْتَمِلَةٌ ، وكل جَنْوَةٌ مَنفُورَةٌ ؛ لَشَفِّ بِكَ ، وَالثَّقَّةُ بِحُسْنِ ١٥

نَيْتِكَ ، وَسَنَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَمِ :

وَيُكْرِهَانَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُنَا • وَتَقْفَلُ عَنْ إِيْتَانِهِنَّ قَتَمَعْدُرُ

وفصل : كتب حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : يَا أَخِي ، إِنَّ أَيَّامَ السُّرْأَقْلِ مِنْ أَنْ

تَحْتَمِلَ الْمَتَبِّرُ ، وَالسَّلَامُ .

وفصل : كتب أَحَدُ بَنِي يُوسُفَ : لَا يَجُوزُ قَطْعِيْمَةُ [الصديق] لِأَنهَا لَا تَحْمِلُ مِنْ ٢٠

أَحَدٍ وَجْهَيْنِ : إِمَّا ضَعْفٌ فِي نَفْسِ الْأَخْتِيَارِ ، وَإِمَّا بَلَلٌ . وَكَلَامُهَا لَا حُجَّةَ فِيهِ .
٣٣٩
٧

وفصل : طال المهْدُ بالأجتماع حتى كِدْنَا نَتَنَاكَر عند الالتقاء ، وقد جعلك الله للسرور نظامًا ، وللأنس تَمَامًا ، وجعل للشاهد مَوْحِشَةً إِذَا خَافَ مِنْكَ .
وكتب الحسنُ بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب الشذر في تراخي اللقاء ما تَوَالَى مِنْ هذه الأنواء
٥ فسلامُ الإله أهديني . قَى كُلَّ يَوْمٍ لِسَيِّدِ الزُّرَّاءِ
لست أدرى ماذا أقول وأشكو مِنْ مَياءِ تَعَوَّقِي عَنْ مَياءِ
غير أنى أدعو على تلك بالثُكُلِ وأدعو لمُدِّهِ بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمدًا فإذا ألتقينا تكلمت الضائرُ في الصدور
١٠ فأرجع لم أُلِمَّه ولم يُلْنِي وقد رضى الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

كتب الحسنُ بن وهب إلى مالك بن طوق في [ابن أبي الشيمس : كتابي إليك خططته بيمينى ، وفرت له ذهني ، فسا غلنك بحاجة هذا موقعها منى ؟
أترانى أقبل العذر فيها ، أو أقصر في الشكر عليها ؟ وأبن أبى الشيمس قد عرفته
١٥ و [عرفت] نسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط بيده ما عدانا إلى غيرنا ،
فاكتب بهذا منا .

وفصل : كتابي إليك كتاب مثنى بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ، ولأن يضع بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب المتأبى فكاد أن يُخل باللعنى من شدة الاختصار ،
٢٠ فكتب : حامل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا ، والسلام .

وفصل الحسن بن سهل : فلان قد أستغنى بأعطناك إياه عن تحريكى إليك فى أمره ، فإن الصنيفة حُرمة للصنوع إليه ، وسيلة إلى مُصطنعه ، نبتط الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وفصل لـ : مُوصِّل كتابي إليك أنا ، فكُنْ له أنا ، وتأمله بعين مُشاهدتي
وخلقِي ، فلهأنه أشكرُ ما آتيت إليه ، وأدُم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

كتب أحمد بن يوسف : لولا حُسن الظنِّ بك — أعزَّكَ اللهُ — لكان
في إغضائك عني ما يقبضني من الطُّلبة إليك ، ولكنَّ أَمْسَكَ بَرَمَق من الرجاء
عليَّ برأيك في رعاية الحق ، وبَسَطَ يَدَكَ إلى الذي لو قبضتها عنه لم يكن له
إلا كَرَمًاكَ مُذْكَرًا ، وسُوددكَ شافها .

فصل : ما أبعد البرء من مريض داوؤه في دوائه ، وعِلَّته في رَحِيته ، وأنا
منك كالنَّاصِ بالماء لا تَسْمُغُ له . وكما قال الشاعر :

كُنْتُ من كُرْبِي أَفْرُ إلىهم وعمُّ كُرْبِي ، فأين الفِرَارُ ؟
فصل : أنا مُنتظرٌ واحدة من اثنتين : عُنْتي تكونُ منك ، أو عُنْتي
تُعْنِي عنك .

فصل : أما بعد فقد كنتَ لنا كُلُّكَ ، فأجمل لنا بَعْضَكَ ، ولا تَرْضَى
إلا بالسَّكُلِ لَيْلٍ مِنْهُ ^(١) .

فصل : أنا أبقى على ودك من عارض يغيِّره ، أو عتاب ^(٢) يقدح فيه ،
وَأَمْلُ عَائِدًا من حُسن رأيك يفتي عن أفضائك .

فصل : أَلَمَّاكَ اللهُ من الرُّشد بحسب ما تَنَحَّكَ من الفضل . ولو أنَّ كلَّ
مَنْ تَرَعَ إلى الصَّرم قَلْبُهُ عِنانَ الهجر لَكُنَّا أُولَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ ، وَلَكِنَّا
نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، ونَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ .

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : أما بعد ،
فقد عاقني الشكُّ في أمرِكَ من عزيمَةِ الرأْيِ فيكَ ، ابتدأتني بُلُطفٍ عن غير

(١) في بعض الأصول : « لنا منك » . (٢) في بعض الأصول : « كتاب » .

خيرة ، وأعقبته جناء من غير ذنب ، فأطمعني أولئك في إخالتي ، وآيسني آخرئك من وفائتي ، فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك من عزيمة الرأى فيك ، فأقنا على أئلاف ، أو افترقنا على أخلاف .

فصل : إذا جعلت الظن شاهداً تُدلل به شهادته ، بعد أن جعلته حَكماً
يُحيف في حكومته ، فأين الموثل من جورك ، ولست أسلك طريقاً من التنب
عليك ، إلا سده ما أنطوى عليه من مودتك . ولا سبيل إلى شكايته إلا
إليك ، ولا استمناة إلا بك ، وما أحق من جعلك على أمره عوناً أن تكون له
إلى النجاح سبباً . وقال الشاعر :

عجبتُ قلبك كيف أقلبُ ومن طول ودك ، أني ذهب ؟
وأعجبُ من ذا وإذا أتيتُ أراك بين الرضا والنصب ١٠

وفصل : إن مسألتني إليك حوائجي مع عتبك على لمن أقوم ، وإن
إمساكي عنها في حال ضرورة إليها مع طلي بكرمك في الشخط والرضا لتعجز ؛
غير أني أعلم أن أقرب الوسائل في طلب رضاك مُساملتك ما سئح من الحاجة ،
إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع مفروك .

١٥ وفصل : لو كانت الشكوك تختلجني في صيغة مودتك ، وكره إخالتي ،
ودوام عهدك ، لطال عتبي عليك في نوازير كُتبي وأحقباس جواباتها عني ؛ ولكن
الثقة بما تقدم عندي تمذك ، وتُحسن ما يُنبئ به جفاؤك ، والله يُديم نعمته
لك ولنا بك .

وفصل لأبن الدبر : وصل كتابك للفتتح بالعتاب الجليل ، والتفريع
اللطيف : فلو لا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لتعلمتُ عما يعتابك الذي
لطف حتى كاد يحنني عن أهل الرقة والظلمة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل
والبله . فلا أعدمني الله رضاك مجازياً على ما أستحقه عتبك ، وأنت ظالم

فيه ، فهو ^(١) ولي الخرج منه .

وقال أبو الرداء : عتاب الأخ خير من قَدَمه وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ

وقال آخر في ^(٢) هذا المعنى :

- إذا كنت تَغْضَبُ من غير ذَنْبٍ وَتَعْتَبُ في كُلِّ يَوْمٍ عَلَيَّ
طلبتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَّيْ عَدَدْتُكَ مَنِيًّا وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا
فلا تَمَجِّنْ بِمَا فِي يَدَيْكَ فَأَكْثُرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدَيَّ

وفصل في عتاب : العتابُ قبل العقاب ، فليكن إيقاظك بعد وعيدك ،
ووعيدك بعد وعيدك .

- وفصل : قد حيتُ جانبَ الأملِ فيك ، وقطعتُ أسبابَ الرجاءِ منك ،
وقد أَسْلَمْتُ اليأسُ منك إلى العزاءِ عنك ، فإن تَرَفَّبَ من الآن فَصَنِّعْ
لا تُثْرِبَ منه ، وإن تَمَادَيْتَ فَهَجِرْ لا وَصَلَ بده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيم أملٍ فيك ، ما أتيتُ فيما بيني وبينك ذنبًا .

- مُخْطِئًا وَلَا مَتَمِّدًا ، وَلَسْتُ قَلْتُهُ لِمَ أَتَيْتُ لَهَا فَأَوْطَيْتُهَا أَعْتَذِرًا ، وَإِنْ تَكُنْ
فَنَفْسُهُ ^(٣) حاسدٌ زَخرَها على لسانِ رَاشٍ تَبْذُها إِلَيْكَ في بعضِ رَغَرَاتِكَ أَصَابَتْ
مَنْ مَقْتَلًا ، وَشَفَتْ مِنْهُ ^(٤) غَلِيلاً .

وفصل : ليس يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَلْكِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ ،

وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رِجَائِكَ عَتَبُ حَدَثِ مَنْكَ عَلَيَّ ، بَلْ أَرْجُو أَنْ يَقْضَى كَرَمُكَ

- ٢٠ إِنْجَازَ وَعْدِكَ ؛ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّغْمَاءِ إِلَيْكَ ، وَأَوْجِبَ الرِّسَالِ لَمَبِّكَ .

(١) في بنى الأصول : « وعتابك » مكان « فهو » .

(٢) في بنى الأصول : « في غير هذا » .

(٣) في بنى الأصول « قبيحة » . (٤) في بنى الأصول : « منك » .

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالتقوى والتقوية من أن تُجازي بالشوء .
على ذنب لم أجهه بيد ولا لسان ، بل جناه على لسان واث . فأما قولك إنك
لا تُسهل سبيل الضر ، فأنت أعلم بالكرم ، وأزعم لحقوقيه ، وأعرف^(١)
بالشرف ، وأحفظ لنماياته^(٢) من أن تزد يد مؤمك صفرًا من عقوك إذا
آلمته ، ومن عذرك إذا جعل فضلك شافعًا فيه ، وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته ، إذا ضاقت
بالمذنب مغفرته :

وفصل : يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر^(٣)
الدهر عندى ، وأنى مُعلق فى حبال من لا يعرف موصى ، ولا يحلو عنده
موقى ، أطلب منه الخلاص فيزيدنى كلفًا ، وأزغى منه الحق فيزداد به ضنًا ،
فالتواء ثواء مقيم ، والنتية ثية ظاعن ، والزماح زماح^(٤) مُرتمل . ما أذهب إلى
ناحية من الحيلة إلا وجدت من دونها مانعًا من العوائق ، فأحمل الدنب على
الدهر ، وأرجع إلى الله بالشكوى^(٥) ، وأسأله جميل التقى ، وحسن الصبر .

فصول فى حسن التواصل

١٥ للفُضَّل أن يَحْصُ بفضلَه مَنْ شاء ، وله الحمد^(٦) فإِذَا أَعْطَى . وَلَا حُجَّةَ
عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . [وَأَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَإِنِّي قَدْ أَوْلَيْتَكَ^(٧) خَالَصَةَ سِرِّى ،
أَرَى بِيَقَاتِكَ بَقَاءَ سُرُورِى ، وَبِدَوَامِ النِّسَمَةِ عِنْدَكَ ، دَوَامَهَا عِنْدِى .

(١) فى بعض الأصول : « وأهد » .

(٢) التمامات : جمع ذمامة (بالفتح والكسر) وهى العهد .

(٣) فى بعض الأصول : « شر » .

(٤) الزماح (كسحاب وكتاب) : اللغناء فى الأمر والنزيم عليه . وفى بعض الأصول :

« وزبام الرأى » . (٥) فى بعض الأصول : « بالشكر » .

(٦) فى بعض الأصول : « وشاء وقلة الحمد ثم له نيا » .

(٧) فى بعض الأصول : « واجد أمرى » مكان « قد أوليتك » .

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن القرية إليك، والأستانة عليك، لأنَّ
حُسْن الظن^(١) فيك، وتأميل^(٢) نُبُح الرغبة إليك، فوق^(٣) الشفعا عندك.
وفصل: قد أفردتك برجائي بعد الله، وتسجّلت راحة اليأس ممن يوجد
بالزّعد، ويضنّ بالإنجاز، ويحسّن الفضل ويَزهد في أن يتفضل، ويعيب
الكذب ولا يصدق.

وفصل: صفّي - أكرمك الله - من نفسك حيث وضعتُ نفسي من
رجائك، أصاب الله بحمرك مواضعه، وبسط بكل خير يدك.

وفصل: لا أزال - أبقاك الله - أسأل الكتاب إليك. فرة أتوقف
توقّف الخُفّ عنك من المؤونة، وسمرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة،
وللعتد منك على اللّقة^(٤). لا أعدمتا الله دوام عزّك، ولا سلب الدنيا بهيتها
بك، ولا أخلانا من الشّع لك، فأنا لا نرف إلا نمتك، ولا نجد الحياة
طعماً إلا في ظلك، ولئن كانت الرغبة إلى نقر^(٥) من الناس خسارة وذلاً، لقد
جمل الله الرغبة إليك كرامة وعزاً، لأنك لا تعرف حُرماً قصد به دهره إلا
سبقت مسألته بالعطية، وضعت وجهه عن الطلب واللّقة.

وفصل: لي عليك حقّ التأميل في الزيادة بما أبتدأت من العروف، ولك
عليّ حقّ الأصطناع والفضل، والتّقوية بالاسم والشكر^(٦)، وليس يمتنع عليّ
زيادة^(٧) حقك على ما أبلغه من شُكرك من مُساءلتك للزّيد، إذ كنت قد

(١) في بعض الأصول: « يا لله فيك ».

(٢) في بعض الأصول: « وتأويل ».

(٣) في بعض الأصول: « دون ».

(٤) اللّقة: الحبة.

(٥) في بعض الأصول: « بعر ».

(٦) في بعض الأصول: « التأمل والشكر بما اجتمعت... بالاسم والزيادة في القدر ».

(٧) في بعض الأصول: « عليك زيادة ».

اتَّهَيْتُ إِلَى مَا بَلَغَهُ الْجُهْدُ ، وَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلَةِ الْإِضَاعَةِ وَالْتَقَصِيرِ ؛ وَإِذْ كُنْتُ تَسْمَحُ بِالْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَتَطْلُبُ نَفْسًا عَنْ حَقِّكَ ^(١) ، وَتُنْكَرُ الْبَسِيرَ ، وَلَا تُكَلِّفُ أَحَدًا شُكْرَكَ عَلَى الْكَثِيرِ .

وفصل : لك — أَصْلَحَكَ اللَّهُ — عِنْدِي أَيُّدٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ ، وَمَعْرُوفٌ يُوجِبُ عَلَيْكَ الرَّبَّ ^(٢) وَالْإِنْعَامَ .

وفصل : أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنْجِزَ لِي مَا لَمْ تَزَلِ الْفِرَاسَةُ تَعِدُّنِيهِ فَيْكَ .
وفصل : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ مِنَ الْأَعْتِدَارِ ، وَأَغْنَاكَ ^(٣) فِي الْقَوْلِ [مِنْ الْاِعْتِلَالِ] ، وَأَوْجِبَ عَلَيْنَا ^(٤) أَنْ نَقْنَعُ بِمَا فَسَلْتَ ، وَنَرْضَى بِمَا أَتَيْتَ ^(٥) ، وَصَلْتَ أَوْ تَعَلَّمْتَ .

فصول في الشكر

١٠

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن الممتنع إلى عبد الله بن طاهر الخراساني ، فكان في فصل منه : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة منتظرة لها [لكفى] . ثم قال لحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما فرطان بينهما وجه حسن .

وفصل لأحسن بن وهب : مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ نَزَلَتْهُ أُنْفَذَتْهُ إِيَّاهَا ؛ فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا ، وَحُشَاةٍ أَبْقَيْتَهَا ، وَرَمَقٍ أَمْسَكَتَ بِهِ ، وَفَتٍ بَيْنَ التَّلَفِّ وَبَيْنِهِ . فَلَكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَذُّ نَتْنِهَا إِلَيْهِ ، وَمَنْدَى يُوقِفُ عَنْدهُ ، وَغَايَةُ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ ، خِلَا هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي قَدْ نَاقَتْ الرِّصْفَ ، وَطَالَتْ الشُّكْرَ ، وَتَجَاوَزَتْ كُلَّ قَدَرٍ ، وَأَنْتَ مِنْ

٢٣٩
٧

- ٢٠ (١) في بعض الأصول : « حَفَّكَ عَلَى مَا بَلَغْتَهُ مِنْ شُكْرِكَ وَشُكْرِ الْبَرِّ » .
(٢) الرب : الزيادة . وفي بعض الأصول : « للوادة » .
(٣) في بعض الأصول : « وَأَغْنَانِي » .
(٤) في بعض الأصول : « عَلَيْكَ » . (٥) في بعض الأصول : « أَتَيْتَ » .

وراء كل غاية ؛ رَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْمَوْتِ ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الْحَسُودِ ، فَجَنَحْنَا نَاجِئاً
مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكَفَّفَ كَرِيمٍ . فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ
جَهْدُ الْجَهْدِ ؟

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ يَشْكُرُ لِلْأَمُونِ :

- رَدَدْتُ مَالِي وَلَمْ تَمُتْنِ عَلَيَّ بِهِ وَقَبِلَ رِزْقَكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَيْيِ
فَأَبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَلْتَنِي رِثْمًا هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ ^(١) وَمِنْ عَدَمِ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَيْيَ أَهْنَى رِضَاكَ بِهِ وَلِلَّالِ حَقُّ السُّؤْلِ التَّمَلُّ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَسَتْ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُكَلِّمْ
الْبُزْبُزِي مِنْكَ وَطَلَى الشُّذْرَ عِنْدَكَ لِي فِيمَا أَتَيْتُ ظَمَّ تَعْتَبَ وَلَمْ تَكَلِّمْ
وَقَامَ حِلْيَتُكَ بِي يَحْتَاجُ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدَلٍ غَيْرِ مَسْهُومٍ ١٠

فصول في البلاغة

- كُتِبَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ : وَصَلَّ كِتَابُكَ فَمَا رَأَيْتُ
كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا ، وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا ، وَلَا أَكْثَرَ حُيُونًا ، وَلَا أَحْسَنَ مَقَاطِعَ
وَمَطَالِعَ ، مِنْهُ ؛ أُنْجِزَتْ فِيهِ عِلْدَةُ الرَّأْيِ ، وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ ، وَعَادَ الْفَنُّ يَقِينًا ،
وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا ، وَالْحَدُّ لَهَّ الْقِيَّ بِنِقْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتِ . ١٥

فصل : السَّكَلَامُ كَثِيرَةٌ فُنُونُهُ ، قَلِيلَةٌ حُيُونُهُ ؛ فَهُوَ مَا يُنْفَكُّهُ الْأَسْمَاعُ ،
وَيُؤَنِّسُ الْقُلُوبَ ، وَمِنْهُ مَا يُحْمَلُ الْأَذَانُ ثِقَلًا ، وَيَعْلَا الْأُذْهَانُ وَحْشَةً .

فصول في المدح

وَكُتِبَ أَبُو مَكْرَمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الدُّبَرِ : إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ

(١) فِي الْأَمَالِ (ج ١ ص ١٩٩) : « وَفَرَّ » . وَبَيْنَ الْأَيَّاتِ هُنَا وَهَنًا خِلَافَ ق ٢٠
بِسْمِ الْأَقْلَافِ . وَانْظُرْ سَمْعَ الْأَكَلِ (ج ١ ص ٤٧٧ — ٤٧٨) .

يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ ، فَإِذَا أَتَتْهُوَ إِلَيْكَ أَقْرَبُوا لَكَ ، وَيَتَنَافَسُونَ [فِي] الْمَنَازِلِ ، فَإِذَا بَلَغُوا وَفَوَّاهَا دُونَكَ . فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ ^(١) وَفِيكَ ، وَجَمَلْنَا بِمَنْ يَتَقَبَّلُهُ رَأْيُكَ ، وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارَكَ ، وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْاقِفِكَ ، وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

٥ وفصل ٨ : إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَّقَى عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنُ التَّفْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ السَّكْذِبِ ، وَلَا يَنْتَهَى بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةِ الْإِلَاجِ فَضْلًا تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَمَادَةِ جِدِّكَ أَنَّ الْقَدَاعَى لَا يَبْغِي كَثْرَةَ الشَّاسِعِينَ ^(٢) لَهُ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِمَّه .

١٠ وفصل : إِنَّ مِمَّا يُعْطَمَنُ فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَيَزِيدُنِي بِصِيَرَةٍ فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ ، أَنْكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَسْتَوْجِبْتُهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا ؛ وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَنَّفَ ، وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ أَنْ تَتَقَارَبَ ^(٣) ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ إِلَى مَدَنِهِ ، وَيَحْتَمِلُ إِلَى عُصْمِهِ ، فَإِذَا صَادَفَ مُنْبِتَهُ ، وَنَزَلَ فِي مَغْرَسِهِ ، ضَرَبَ بِمَرْقَةٍ ، وَتَمَقَّقَ ^(٤) بِفَرْعِهِ ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ ، وَتَبَيَّنَ تَبَيَّنَ الطَّبِيعَةِ .

١٥ وفصل : إِنِّي فِيمَا أَتَمَاطِي مِنْ مَذْحِكِ كُلِّخَيْرٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، الَّذِي لَا يَحْتَجُّ عَلَى كُلِّ نَظَرٍ . وَأَيَقُنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَنْتَهَيْتُ بِالنَّوَلِ مُنْسَوِّبٍ إِلَى الْمَجْزِ ، مَقْصَرٍ عَنِ النَّصَابَةِ ، فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الشَّاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدَّمَاءِ لَكَ ، وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عِنْدَكَ إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ .

وقصع لحمد بن المحمَّد : إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ ، وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا ، وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا ، فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَبْتَغِدُونَ وَدُكَ ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ ، فَمِنْ أَثْبَتِ اللَّهُ لَكَ عِنْدَكَ وَدًّا قَدَّ وَضَعْتَ ^(٥) خُلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرِّهَا . ٢٤٠/٤

(١) فِي : « مَنَك » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمُنَاسِبِينَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَتَقَارَبُ » . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَتَمَقَّقَ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَضَعَتْ » .

وفصل لابن مكرم : السيفُ القتيقُ إذا أصابه الصدأُ أَسْتَقِفُ بالقليل
من الجلاء حتى تعود جذته ويظهر فِرْنْدُه ، لِلهِ نَظِيمَتُه ، وَكَرَّمَ جَوْهَرُه ،
وَلَمْ أَصِفْ نَفْسِي لَكَ حُجْبًا ^(١) بَلْ شُكْرًا .

وفصل لـ : زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا ، أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَفِيرٌ ، وَعِنْدَ
النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ قَالَ :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَفِيرٌ
تَنَاسَاهُ كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

وفصل للعتابي : أَنْتِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ مَلِكِكَ ، وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ
مَلِكِكَ ، الْمَسْدُودَةُ بِقَلَمِهِمُ ، الْمُجَدَّدُ بِقَدِيمِ شَرَفِهِمْ ، وَالْمُحْيَا بِهَ أَيَّامِ شَتِيمِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَغْفُلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثَهُ ، وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتِ سَالِكَةَ سَبِيلِهِ ،
وَلَا أَعْمَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفَتْهُ فِي رُبُعَتِهِ .

فصول في الذم

كُتِبَ أَحَدُ بَنِي يُوسُفَ : أَمَا بَدَ ، فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِلْمَعْرُوفِ طَرِيقًا أُوعِزُ
مِنْ طَرِيقِهِ إِلَيْكَ ؛ فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ ؛ وَإِنَّمَا
ظَائِبُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْقِرَهُ ، وَفِي وَلِيِّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ .

وَكُتِبَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ مَتْنِ بْنِ زَائِلَةَ : أَمَا بَدَ ، فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ
فِي طَلَبِ نَائِلِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ ، وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ ، فِرَارًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَرَجَاءً لِلخَفَى ،
فَازْدَدْتُ بِهِمَا بُقْدًا مِمَّا فِيهِ تَقَرَّبْتُ ، وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَيَّدْتُ . وَنَدَّ قَسَمْتُ اللَّامَةَ
بِبَنِي وَيْنِكَ ؛ لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي ، أَمَرْتُ بِالْيَأْسِ مِنْ
أَهْلِ الْبِخْلِ فَسَأَلْتُهُمْ ، وَنَهَيْتُ عَنْ مَنَعِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فَمَنَعْتُهُمْ . وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :
فَرَرْتُ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي إِلَى بُخْلِ مَحْظُورِ النَّوَالِ مُنَوَّرِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « حُبًّا بِكَ » .

- فَأَعْقَبَنِي الْحِزْمَانُ غِيبَ مَطْلَمِي كَذَلِكَ مَنْ تَلَقَّاهُ غَيْرَ عَنُوعٍ^(١)
وغيرُ بَدِيعٍ مَنَعَ ذِي الْبُهْلِ مَالَهُ كَأَبْنُلْ أَهْلَ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعٍ
إِذَا أَنْتَ كَشَفْتَ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ لَأَعْرَاضَهُمْ مِنْ حَافِظٍ وَمُضْعِجٍ^(٢)
وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفتَ فضل الحسن
• لتجنبتَ شَيْنَ القبيح ، ورأيتك أَمَرُ القول عندك ما يضرُّك ، فكنتُ فيما كان
منك ومنا ، كما قال زهير بن أبي سلمى :
وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَا يُبْلِمُ بِهِ نَهْوُ قَائِلِهِ
عِبَاتٌ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتَ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بِإِدِّ مَقَاتِلِهِ
فصل : إنَّ مودةَ الأشرار متصلةٌ بالذَّلةِ والصَّغار ، تَمِيلُ مَعَهُمَا ، وَتَتَصَرَّفُ
فِي أَمَارِهِمَا . وقد كنتُ أَحِلُّ مودتك بالهَلْ التَّفْهِيس ، وَأَتَزَلُّهَا بِالتَّنْزِلِ الرَّفِيع ، حَتَّى
رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعَمَةِ ، وَضَرَعَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتَتَبَرَّكَ عِنْدَ الْأُسْتَفْهَاءِ ،
وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الضَّغَاءِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ
مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ ، لَا يَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا يَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا .
فصل للمثنوي : نَأْتِينَا إِفَاتَتُكَ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَتَرْقُبُنَا أَنْبَاهُكَ مِنْ
رَقْدَتِكَ ، وَصَبْرُنَا عَلَى تَجَرُّعِ النِّيفِظِ فِيكَ ، حَتَّى بَانَ لَنَا الْيَأْسُ مِنْ خَيْرِكَ ،
وَكُشِفَ لَنَا الصَّبْرُ عَنْ وَجْهِ الْغَلَطِ فِيكَ . هَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَمْدِيكَ لَطَوْرِكَ ، وَأَطْرَاحَكَ حَقَّ مِنْ غَلَطٍ فِي اخْتِيَارِكَ .

فصول في الأدب

٢٤١
٣

- كتب سعيد بن سعيد : إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَزْمِ وَضَعَةُ الرَّأْيِ فِي الرَّجُلِ تَرَكَه
الْأَمْسَاسَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً لِنَاءٍ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَشَقَاءَ لَا دَرَكَ
فِيهِ . وقد سمحت في أَمْرِ تَخْبِيرِكَ وَأَوَائِلُهُ عَنْ أَوَاخِرِهِ ، وَتُبْنِيكَ بِدَوْنِهِ عَنْ عَوَاقِبِهِ ،
لَوْ كَانَ لِهَذَا الْخَيْرِ الصَّادِقِ مُسْتَمِيعٌ حَازِمٌ . وَرَأَيْتُ رَائِدَ الْهَوَى مَالِ بَيْتِكَ إِلَى

(١) في ديوان أبي الطاغية : « مَنْ يَلْقَاهُ » . (٢) في الديوان : « وَمُذِيعٌ » .

هذا الأمر ميلاً أيا من رَغَب فيك ، ودَلَّ عدوك على مَعَاييك ، وكشف له عن مَنَاتِكَ . ولولا عِلْمِي بَأَن غِلْظَةَ النَّاصِح تَوْدِي إِلَى نَفْعٍ فِي أَعْتِقَادِ صَوَابِ الرَّأْيِ ، لَكُنَّ غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ أَوَّلِي بَكَ . وَاللَّهِ يَوْفُقُكَ لِمَا يَحِبُّ ، وَيُوفِّقُ لَكَ مَا تَحِبُّ .

وفصل : أنت رجل لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ، قدّم على نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دُنْيَاهُ وفيما يُؤْخِذُ بِالْمَعِينِ كَانَ آخِرُهُ أَنْ يُخْطِئَ فِي أَمْرِ دِينِهِ وفيما يُؤْخِذُ بِالْعَقْلِ .

وفصل : قد حسدك من لا ينال دون الشفاء ، وطلبك من لا ينال دون الظفر ، فأشدُّ حِيَاظَ مَكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع بما تلم ، ولا يكن غيرك فيما يُبْلَغُهُ أَوْثَقُ مِنْ نَفْسِكَ فيما تَرَاهُ .

وفصل : لست بحالٍ برضى بها حُرٌّ ، ولا يُقِيمُ عليها كَرِيمٌ ، وليس برضى لك بهذا إلا من يبتغى لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مُقِيمٌ ، وأنا دافع مُقَرَّمٌ ^(١) ، فإن كنتَ شاكرًا فما مضى ، فأعذر فيما بقى .

وفصل للمتابي ، أما بعد ، فإن قريبتك من قُرب منك خيرٌ ، وأبْنُ حَمَتِكَ مِنْ تَحَمُّلِ قَعْمِهِ ، وعشيرتك من أحسن عِشْرَتِكَ ، وأهدى الناسِ إِلَى مَوَدَّتِكَ مِنْ أَهْدَى بَرٍّ إِلَيْكَ .

٢٠ فصول إلى عليل

ليست حالي — أكرمك الله — في الأعتام بسلتك حالًا للمُشَارَكِ ^(٢) فيها

(١) التمرم (ككرم ، بصيغة اسم المفعول) : أسير الدين .

(٢) في بعض الأصول : « المُشَارَكَا » .

بأن يتلقى نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل أجمع على أنها أنى غصص بها دونك ، مؤلم منها بما يؤلمك ، فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل ، كأنى سليم يسهر على سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جعل عافيتك فى عافيتك أن يمنحنى بها قيك ، فإنها شاملة لى ولك .

• وفصل : ابن الذى يعلم حاجتى إلى بقاءك ، قادر على المدافعة عن حوائك^(١) . فلو قلت إن الحق قد سقط عنى فى عيادتك لأنى عليل بملتك ، لقام لى بذلك شاهد عدل فى ضميرك ، وأثر بار فى حالى إيمانك . وأصدق أنكر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تفلقت عن عيادتك بالشر الواضح من الملة لما أغفل قلبى ذكرك ، ولا لسانى فصحا عن خبرك ، فخص من تقسم^(٢) جوارحه وصوبك ، وزاد^(٣) فى ألمها أثلك ، ومن تتصل^(٤) به أحوالك فى السراء والضراء . ولما بلغتنى إفاقتك كتبت ههنا بالعافية ، مُعِينًا من الجواب ، إلا بتخير السلامة إن شاء الله .

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وسب الملة ونصبها ، ووفّر أجرها وثوابها ، وجعل فيها من إرغام الدو بمتبها ، أضعاف ما كان عنده من الشرور بفتح^(٥) أولها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنت به فكرك فاهو إلا سعيد يوتر ، أو شق يوتر .

(١) الجواب : النفس .

(٢) فى بعض الأصول : « يجب أن تقسم » مكان « لخص من تقسم » .

(٣) فى بعض الأصول : « وإن زاد »

(٤) فى بعض الأصول : « وإن تضل » .

(٥) فى بعض الأصول : « يفتح » .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المؤمن : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة^(١) ، محمود التقية ، مؤثماً بما أخذ الله عليه ، مضطرباً بما حمله منه ، مؤدياً إلى الله حقه ، مؤثراً له بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ، ولا ينطق إلا فصلاً ، راعياً لعينه وأمانته ، كافاً ليدنه ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم ، وتقوم أودم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدمُ محسنهم ، ويؤخرُ مُسئئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .
وفصل لـ : إن أعظم الحقِّ حقُّ الدين ، وأوجبُّ الحرمة حرمة المسلمين .
فصحيح لمن راعى ذلك الحقَّ وحفظ تلك الحرمة أن يراعى له حسب ما راعاه الله ١٠ به ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

وفصل لـ : إن الله أوجب لخلفائه على عبادته حقَّ الطاعة والنصيحة ، ولتبيده على خلفائه بسط التذلل والرافة ، وإحياء الشئب الصالحة . فإذا أدى كلُّ إلى كلِّ حقه كان سبباً لتمام اللعونة ، وانصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة .

١٥ وفصل : ليس من نعمة يُجدها الله لأمر المؤمنين في نفسه خاصة إلا اتصل برحمته عامة ، وشملت للمسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شكره عليها ؛ لأنَّ الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، ويتديروه وذبه عن دينه حفظ حريمهم ، وبحياطته حقن دماهم وأمن سبلهم . فأطال الله بقاء أمير المؤمنين^(٢) ، مؤيداً بالنصر ، معزراً بالتمكين ، موصول بالبقاء بالنعم القيم .

(١) الضريبة : الطيبة .

(٢) زيد في بعض الأصول بد قوله « المؤمنين » : « ينطوي القلب على مناسبه » .

ومكانها في الفصل الثاني حيث هي .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته ، مُعطوياً القلب على مُناصحته ، مشحوز السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الفخر ، ودَوَّخ له البلاد ، وشرَّد به القدو ، وخصَّه بِشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبرّاً وبعراً .

وفصل : أفعال الأمير عندنا مفسولة كالآمانى ، مُتصلة كالأيام ، ونحن نؤاتر الشكر لكرمِ رِقله ، ونواصل الدعاء له مُواصلةً برّه ؛ إنه الناهض بَكَلِّنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حُقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد أنتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يتخلو من إحدى منزلتين ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حُجَّة ، ويُزيل لائمة : إمَّا تَقْصِيرٌ فى عمل^(١) دعاك للإخلال بالكَرْم والتَّعْرِيط فى الواجب ، وإمَّا مُظَاهَرَةٌ لأهل الفساد ومُداينة لأهل الرِّيب . وأية هاتين كانت منك لِحِيلَةُ الشُّكْرِ^(٢) بك ، ومُوجِبَةُ الثُّقُوبَةِ عليك ، فولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنَّظَرَةِ ، والأخذ بالحُجَّة ، والتَّعَدُّم فى الإحذار والإنذار . وعلى حَسَب ما أَهْلَتْ من عَظِيمِ العُتْرَةِ يَجِبُ^(٣) أَجْتِهَادُكَ فى تَلَاغِي التَّصْصِيرِ والإِضَاعَةِ ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين ، حين أخذ بفداد ، إلى إبراهيم بن المهدي :
١٥ أما بعد ، فإنه عزَّزَ على أن أكتب إلى أحد من بيت الخِلافة يغير كلام الإمرة وسلاهما ، غير أنه بلغنى عنك أنك مائلُ الهوى والرأى لناكث للخُلُوع ، فإن كان كما بلغنى فكثيرٌ ما كتبتُ به قليل^(١) لك ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وقد كتبتُ فى أسفل كتابي أبيضاً فقد برَّها :

٢٠ (١) فى بنى الأصول : « مملك » .

(٢) النكر : الأمر الشديد .

(٣) فى بنى الأصول : « ما يجب » .

(٤) فى بنى الأصول : « قليل . . . كثير » .

رَكُوبُكَ التَّوَلَّ مَا لَمْ تَلْفِ^(١) فُرُوسَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِصْحَامِ تَقْرِيرُ
أَهْوَنُ بَدْنِيَا يُصِيبُ الْمُخْطَلُونَ بِهَا حَقٌّ لِلصَّيْبِينَ وَاللَّغْوَرِ مَعْرُورِ
فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرِ
فَإِنْ ظَفَرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوَى الْأَلْبَابِ مَمْدُورِ
وَأِنْ ظَفَرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلٌ أَعَانَتْهُ لِلْقَادِرِ

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالجُدُّهُ مُتَمِّمُ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، الْهَادِي إِلَى
شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عِيْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِنْ
الْفَضَائِلِ مَا فَرَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ ، وَجَمَلَ ثِرَاتِهِ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِمَخْلَقَتِهِ ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

١٠ فصول لعمر بن بحر الجاحظ

منها فصول في عتاب : أما بعد ، فَإِنَّ الْكَفَاةَ بِالْإِحْسَانِ قَرِيضَةٌ ،
وَالْتَفَتُّ عَلَى [غَيْرِ] ذَوَى الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .

أما بعد ، فليكن^(٢) السَّكُوتُ عَلَى لِسَانِكَ ، إِنْ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ مِنْ شَانِكَ .
أما بعد ، فَلَا تَزْهَدْ فِيمَنْ رَغِبَ إِلَيْكَ فَتَكُونَ لِحَفْظِكَ مُعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ

جَاحِدًا .

١٥ أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَىٰ ضِدَّانِ ، فَتَقَرُّنُ الْعَقْلَ التَّوْفِيقَ ، وَتَقَرُّنُ
الْهَوَىٰ الْحِذْلَانَ ، وَالتَّنَفُّسُ طَالِبَةٌ ، فَبَيَّاهُمَا ظَفَرْتَ كَانَتْ فِي حَرْبِهِ .
أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتِ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَافُ
كَالْخَمَارِ .

٢٠ أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ، وَالْمَقُولَ مَعَادِنُ ، فَمَا فِي الرِّوَاءِ يَنْفَدُ إِذَا لَمْ
يُمَدِّدْ لِلدَّنِ .

(١) في بعض الأصول : « تَلَقَّ » .

(٢) في بعض الأصول : « فَلْيَكُنْ » .

أما بعد ، فسكني بالتجارب تأديباً ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت متعة ، وبذكر كرك الموت زاجرا .

أما بعد ، فإن أحتال الصبر على قذع الغضب أهون من إطفائه بالثَّم والقذع .

أما بعد ، فإن أهل النظر في المواقب أولو الاستعداد للنوائب ، وما عظمت

نشة^(١) أمرى إلا استغرقت الدنيا محمته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغلُه جمل الأيام مطايا عمله ، والآخرة متقبل مرَّجعه .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرِّزق والأجل ، والاستغناء غير ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلَّم^(٢) أمسك ، وقد يستجمل^(٣) الحليم حين يستغفه المجرى^(٤) .

١٠

أما بعد : فإن أحببت أن تتم لك اللقاة في قلوب إخوانك ، فاستقل كثيراً مما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة من لطف حتى كَفَّ حربَ عدوه بالصفح والتجاوز ، وأستلَّ حقدَه بالرفق والتحبُّب .

١٥

وكتب إلى أبي حاتم السَّجِسْتَانِي ، وبلغه عنه أنه نال منه : أما بعد ، فلو كفت عَنَّا من غزبك لَكُنَّا أَهْلًا لَنَلَّكَ منك ، والسلام . فلم يُمَدَّ أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

ورد فصول في وصاف : أما بعد ، فإن أحقَّ من أسفَّته في حاجته ، وأجبتَه إلى طَلْبته ، من توسَّل إليك بالأمل ، وزرع نحرَكَ بالرجاء .

٢٠

(١) في بعض الأصول : « بنية » .

(٢) في بعض الأصول : « حلَّم » .

(٣) يقال : استجمله ، إذا حمله على شيء . ليس من خلقه فيغضبه .

(٤) في بعض الأصول : « يستحق المجران » .

أما بعد ، فإذ أُقْبِحَ الأحدثون من مُستمنحِ حُرْمَتِهِ ، وطالبِ حاجةِ رددته ، ومُتأخِّرِ حُجْبَتِهِ ، ومُنْبَسِطِ إِلَيْكَ قَبْضَتِهِ ، ومُقْبِلِ إِلَيْكَ بِمَنَانِهِ لَوِيَتْ عَنْهُ . فَتَنَيْتَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا تُطْلِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ ، فَمَا زِلْنَا بِنَعِيمٍ .

أما بعد ، فَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا ، يُلْزِمُنَا ذِمَامُهُ عِنْدَنَا بُلُوغَ مَوَاقِفِهِ مِنْ أَيْدِيكَ ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ . فَأُولَئِكَ فِيهِ مَا نَعْرِفُ بِهِ ٥ مَوْضِعًا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا .

أما بعد ، قَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ ، وَلَهُ لَدَيْنَا مِنَ الذِّمَامِ مَا يُلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ ، وَنَحْنُ مِنَ الْمُنَايَةِ ^(١) بِأَمْرِهِ عَلَى مَا يُكَافِي ^(٢) حُرْمَتَهُ ، وَيُؤَدِّي شُكْرَهُ .

وَلَمْ فَصُولُ فِي اسْتِقْبَازِ وَهْدٍ : أما بعد ، قَدْ رَسَفْنَا فِي قِيُودِ مَوَاعِيدِكَ ، ١٠ وَطَالَ مُلَامَنَّا فِي سُجُونِ تَطْلُكَ ، فَأَطْلِقْنَا — أَبَيْكَ اللَّهُ — مِنْ ضَيْقِهَا وَشَدِيدِ عَقَبِهَا ، بِـ « نَقَمٍ » مِنْكَ مُشْمُوعٍ أَوْ « لَا » مُرِيحَةٍ .
أما بعد ، فَإِنْ شَجَرَةَ مَوَاعِيدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ ، فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَائِحِ اللَّطْلِ .

أما بعد ، فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ بَرَقَتْ ، فَلْيَكُنْ وَبِلَهَا سَالِمًا مِنْ صَوَاقِقِ ١٥ اللَّطْلِ وَالْإِعْتِلَالِ .

وَلَمْ فَصُولُ فِي الِاعْتِرَارِ : أما بعد ، فَيَنْتَمِ الْبَدِيلُ مِنَ الزَّلَّةِ الْأَعْتَازِ ، وَيُبْسُ الْعِوَضُ مِنَ التَّوْبَةِ الْإِصْرَارِ .

أما بعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عَطَفْتَ عَلَيْهِ بِحِمْلِكَ مَنْ لَمْ يَنْشَقِعْ إِلَيْكَ بَنِيوك . ٢٤٤
أما بعد ، فَإِنَّهُ لَا عِوَضَ مِنْ إِخْثَاكَ ، وَلَا خَلْفَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَقَدْ ٢٠ انْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَهَائِكَ ، فَأَطْلِقْ أَسِيرَ نَشْوَتِي إِلَى لِقَائِكَ .

(١) فِي بَسْنِ الْأَسْوَلِ : « الْحَبِجَةُ » .

(٢) فِي بَسْنِ الْأَسْوَلِ : « مَا كَانَ فِي » .

أما بعد ، فإنني بمرقتي ببلغ^(١) حِلْك ، وغاية عَفْوِكَ ، ضمنتُ لنفسِي
المغفر من زَلَّتْهَا عندكَ .

أما بعد ، فإنَّ مَنْ جَحَدَ إِحْسَانَكَ بِسوءِ تَقَالَّتْ فِيكَ مُكَذِّبٌ نفسه بما
يبدو للنَّاسِ منه .

٥ أما بعد ، قدَّ مَسَّيَ من الأَلَمِ بقطيمنتك ما لا يَشْفِيهِ غَيْرُ مُوَاصِلَتِكَ ، مع
حَبْسِكَ الْأَعْتِازِ من هَفْوَتِكَ ؛ وَلَكِنْ ذَنْبِكَ تَفْتَرُهُ مَوَدَّتِكَ ، فَأَمِنْ عَلَيْنَا
بِصَلَّتِكَ تَكُنْ بِدَلَا مِنْ مَسَاءَتِكَ ، وَهَوَاضَا مِنْ هَفْوَتِكَ .

أما بعد ، فلا خَيْرَ فِيمَنْ أَسْتَغْفِرْتَ مَوْجِدُهُ عَلَيْكَ قَدْزَكَ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَتَسَعِ
لِهِنَاتِ الْإِثْمَانِ [صَدْرُهُ] .

١٠ أما بعد ، فإنَّ أَوَّلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى يَلْسِكَ الْفَتَاسُ
رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ .

أما بعد ، فإنَّ كُنْتَ ذَنْمَتْنِي عَلَى الْإِسَاءَةِ فَلَمْ رَضَيْتَ لِنَفْسِكَ الْكَفَاةَ .
وَرَفِضُ فُصُولٍ فِي التَّعَاذِي : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْآخِرَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ ، وَالْبَاقِي
بِعْدَكَ لِلْأَجُورِ فِيكَ ، وَإِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

١٥ أما بعد ، فإنَّ فِي اللَّهِ الْقِرَاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَاتَّخَلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ،
وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَمَرَّ بِمَزَاةِ اللَّهِ تَنْقَطِعَ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَةً .

أما بعد ، فإنَّ الصَّبْرَ بِمَقْبِهِ الْأَجْرُ ، وَالْجَزَعَ بِمَقْبِهِ الْمَلْعُ ، فَتَمَسِّكْ بِحِظِّكَ
مِنَ الصَّبْرِ تَنَلَّ بِهِ الْقُدَى تَطْلُبُ ، وَتُدْرِكُ بِهِ الْقُدَى تَأْمَلُ .

أما بعد ، فقد كُنِيَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَاعْتِلَاً ، وَلَدَوَى الْأَلْبَابِ زَاجِرَاً ، فَطَلِيقُ
٢٠ بِالْقَلَاوَةِ تَنْجِجُ مِمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ [بِهِ] أَهْلَ الْمَصِيَةِ .

صدور الى خليفة: وثق الله أمير المؤمنين بالتفوق فيما قلده وأيده، وأصلح به وعلى يديه — أكرم الله أمير المؤمنين بالتفوق، وأيده بالتصديق في دوام نعمته، وحاط الرعية بطول مدته.

صدور الى ولي عهد: منّ الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير، وأجرى على يديه قتل الجليل، وأنسّ بولايته المؤمنين — مدّ الله للأمير النعمة، وأسعد بطول عمره الأمة، وجعله غياثاً ورحمة — أكل الله له الكرامة، وحاطه بالنعمة والسلامة، ومنّ به الخاصة والعامة — منّ الله بسلامتك أهل الحرمة، وجمع لك شمل الأمة، وأسقطك بالرفقة والرحمة.

صدور الى ولي شرط: أنصف الله بك المظلوم، وأغاث بك الملهوف، ١٠ وأيدك بالتثبيت، ووثقك للصواب — أرشدك الله بالتوفيق، وأنطقك بالصواب، وجعلك عصمة للدين، وحصنك للمسلمين — أعانك الله على ما قلّك، وحفظ لك ما أستمكت بما يرضى من ضلك — سدّدك الله وأرشدك، وأدام لك فضل ما عوّذك — زادك الله شرفاً في المنزلة، وقدرأ في قلوب الأمة، ورؤفة عند الخليفة — نصر الله بسدك المظلوم، وكشف بك كربة للمهوف، وأعانك ١٥ على أداء الحقوق.

صدور الى قاضي: أهلك الله الضجة، وأيدك بالتثبيت، وردّ بك الحقوق. — أهلك الله الاعتصام بحبله بالملم، والتثبت في الحكم — أهلك الله الحكمة وفصل الخطاب، وجعلك إماماً لنوى الألباب — زين الله بفضلك الزمان، وأنطق بشكرك اللسان، وبسط يدك في اصطناع المروف، وأدام ٢٠ الله لك الإنفال، وحقق فيك الآمال.

صدور الى عالم: جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة، وسبباً إلى النجاة،

وزُفَّة عند الله — نفع الله بطوك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المُتحرِّين ^(١) ،
وأوضح بك سُنن الدين ، وشرائع المسلمين — أدام الله لك التطول بإسعاف
الراغب ، وأمنح بك حاجة الطالب ، وأثمنك مكروه المواقب .

٢٤٥
٧

صـرور الى اخوانه : مَتَّعَ اللهُ أَبْصَارَنَا بِرُؤْيُكَ ، وَقَلُوبَنَا بِدَوَامِ أَفْئَتِكَ ،
• وَلَا أَخْلَانَا مِنْ جَمِيلِ عِشْرَتِكَ ، وَوَهَبَ لَكَ مِنْ كَرِيمِ نَفْسِكَ بِحَسَبِ مَا تَنْطَوِي
عليه مودَّتكَ ، وأبْهَجَ اللهُ إِخْوَانَكَ بِقُرْبِكَ ، وَجَمَعَ الْقَتَمَ بِالْأَنْسِ بِكَ ، وَصَرَفَ
اللهُ عَنْ أَفْئَتِنَا عَوَاقِبَ الْقَدَرِ ، وَأَعَاذَ صَفْرَ إِخَانِنَا مِنَ الْكَدْرِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَنْمِ
اللهِ عَلَيْهِ فَشَكَرَ — تَرَى اللهُ عَلَيْنَا بِطَوْلِ مُدَّتِكَ ، وَأَنْسَ أَيَّامَنَا بِمَوَاصِلَتِكَ ،
وهَذَا النِّعْمَةُ بِسَلَامَتِكَ — قَرَّبَ اللهُ مَنَا مَا كُنَّا نَأْمُلُ مِنْكَ ، وَجَمَعَ شَمْلَ
الشُّرُورِ بِكَ — نَزَّهَ اللهُ بِقُرْبِكَ الْقُلُوبَ ، وَبَرَّؤَيْتَكَ الْأَبْصَارَ ، وَبَحْدَيْتَكَ
الْأَسْمَاعَ — أَقْبَلَ اللهُ بِكَ عَلَى أَوْدَانِكَ ، وَلَا أَبْتَلَامَ بِطَوْلِ جَفَانِكَ — أَدَالَ
اللهُ حِرْصَنَا مِنْ مُتَوَرِّكِ عَنَّا ، وَرَغِبْنَا فِيكَ ^(٢) مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي أُمُورِنَا — حَفِظَ اللهُ
لَنَا مِنْكَ مَا أَوْحَشَنَا نَقْدَهُ ، وَرَدَّ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نَأْلَقُهُ وَنَمْهَدُهُ — رَحِمَ اللهُ
فَاقَةَ الْحَيْنِ إِلَيْكَ ، وَمَا بِي مِنْ تَبَارِجِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ حُرْمَتَنَا
• مِنْكَ ، الشَّقِيمَ لَدَيْكَ — يَسَّرَ اللهُ لَنَا مِنْ صَعْبِكَ مَا يَسَّعُ تَقْصِيرَنَا ، وَمِنْ
حَلِكِكَ مَا يَرُدُّ سَخَطُكَ عَنَّا — زَيْنَ اللهُ أَفْئَتَنَا بِمَعَاوِدَةِ صِلَتِكَ ، وَاجْتِنَاعِنَا
بِزِيَارَتِكَ — أَعَادَ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ إِخْلَانِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ مَا يَكُونُ مَعُودًا
مِنْكَ ، وَمَأْلُوفًا لَكَ .

صـرور في هـتاب : أَنْصَفَ اللهُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ مِنْ جَفَانِكَ لَنَا ، وَأَخَذَ
٢٠ لِيَرْتَابِكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ عَنَّا .

(١) يقال : تحرم منه بحمة ، أي تمنع ونحى بحمة .

(٢) في بعض الأصول : « عتاك » .

(١) وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وقفاً الله
 لرُشدك . بلغني كلامك فإذا أوله بقر ، وآخره خور ، ومن أبطره الفنى
 أذله الفقر ، وما ضدان مُخادعان للمرء عن عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدَّواء
 من يبين له الدواء ، والسلام . فأجابه : طاولتُك النِّعم وطاولت بك . حلوا .
 • إنصافك يؤمن سطوة جورِكَ ، ذكرتَ أنى نطقتُ بما تكبره ، وأنا مخدوع ،
 وقد علمتُ أنى ملأتُ إلى محبتك ولم أخدع ، ومثلُك من شكر سعى مُعتذر ،
 وعفا زلة مُعترف (٢) .

(١) هنا الكلام إلى آخر الباب لا يندرج تحت العنوان الذى هو « فصول لسرو
 ابن بحر الجاحظ » .

- (٢) فى ي بيد هنا : « ثم الجزء الثامن والمفردون من كتاب المقدم ، وهو باقى كتاب
 الحجة الثانية فى التوقيعات بحمد الله وعونه من تميزه حسين جزءا وهو السادس من
 الترح . يتلوه الجزء التاسع والمفردون من كتاب المقدم كتاب المسجدة الثانية فى
 أيام الخلفاء وتواريخهم وأيامهم من تميزه حسين جزءا » .

فرش كتاب العسجدة الثانية

في الخلفاء وتواريثهم وأخبارهم

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى لنا قولنا في التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا كتاب الفناء في أخبار الخلفاء •
• وتواريثهم وأيامهم ، وأسماء كُتّابهم وحُجّابهم .

أخبار الخلفاء

نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم

رَوَى أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ^(١) من أشياخه :
هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب ^(٢) بن هاشم
ابن عبد مناف بن قصي ^(٣) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن
١٠ فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ^(٤) بن إلياس بن
مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنَةُ بنت وهب بن عبد مناف بن
زُهرَةَ بن كلاب بن مرة بن كعب .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم — قالوا : وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه
١٥ وسلم عام الفيل لأَنتَى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وقال بعضهم : ليلتين
خَلَّتَا منه . وقال بعضهم : بعد الفيل بثلاثين يوماً . فهذا جمع ما اختلفوا فيه من
مولده ^(٥) . وأوحى الله إليه وهو ابنُ أربعين عاماً . وأقام بمكة عشرًا ، وبالمدينة

(١) كُتِبَ في فهرست ابن النديم . وفي أنساب السمعاني (ص ٥١٥) : « أبي شبيب »
وفي الأصول : « أبي يوسف » . (٢) اسم عبد المطلب : شَيْبَة ، وقيل عامر .
(انظر السيرة لابن هشام والمعارف وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨١) .
(٣) اسم هاشم : عمرو . واسم عبد مناف : النضر . واسم قصي : زيد .
(٤) اسم فهر : قرين ، وقيل بل فهر اسمه وقرين لقب له . واسم النضر : ليس .
واسم مدركة : عامر . (٥) في بنى الأصول : « في مولده » .

عشرا . وقال ابن عباس : أنام بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرا . ولجميع عليه أنه أنام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا .

اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم — هاجر إلى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول . ومات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول ، اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم .
 جعلنا الله من رد حوضه ، وبنال مُراقفته في أهل عليين من درجات الفردوس ، وأسأل الله الذي جعلنا من أمته ولم تره أن يتوَقَّنا على ملته ، ولا يجرِّمنا رُؤيته في الدنيا والآخرة .

- صفر الذي صلى الله عليه وسلم — ربيعة بن [أبي] عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، مُشرباً بحمرة ^(١) ، ضخم الرأس ، أزج ^(٢) الحاجبين ، عظيم العينين ، أدمج أهدب ^(٣) ، شثن ^(٤) الكفين والقدمين . إذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صيب ، ويمشي في صمد كأنما يتقلع من صخر . إذا التففت الثفت جعيا . ليس بالعمد القطط ولا السبط ^(٥) . ذا وفرة إلى شحمة أذنيه . ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتطامن . قرّفه أطيب من السك الأذفر . لم تله النساء قبله ولا بعده مثله . بين كتفيه خاتم النبوة كبيضة الحتماة . لا يضحك إلا تبشماً . في عَنَفَقته شرار يبيض لا تكاد تبين .
- وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيب الذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة . وقيل له : يا رسول الله ، عجل عليك الشيب . قال : شيبني هود وأخواتها .
- هيئة النبي وقدرته صلى الله عليه وسلم — كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويمشي في الأسواق ، ويلبس العباءة ، ويجالس الساكين ، ويقعد القُرُصاء ، ويتوسّد يده ، ويلق أصابعه ^(٦) ،
- (١) في بنى الأصول : « بحمرة » . (٢) الزجج في الحاجبين : دلتها في طول . (٣) أدمج : أسود اللون واسمها . وأهدب : كثير أشعار العينين . (٤) شثن : غليظ . (٥) الجعد : القصير ، وكذلك القطط . والبسط (بالفتح ويحرك وكسخت) هجين الجعد . (٦) زيد في بنى الأصول بد قوله « أصابعه » : « وخفى من تسمه » .

ولا يأكل مأكلا ، ولم يرق قط ضاحكاً ملة فيه . وكان يقول : إنا أنا عبد
أكلُ كما يأكل العبد ، وأشربُ كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراع
لأجبت ، ولو أهدى إلى كراع لقبلت .

- سُرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم :
- أنا سيد البشر ولا فخر ، وأنا أفصح العرب ، وأنا أول من يقرع باب الجنة ،
وأنا أول من ينشق عنه التراب . دعا لي إبراهيم ، وبشرني عيسى ، ورأت
أُمِّي حين وُضعتُ نورا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه
وسلم : إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم قرناً فجعلني في خيرهم
فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت ؛
١٠ فإنا خيرُكم بيتاً وخيرُكم نسباً . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابنُ التواضع^(١)
والتواضع من سليم ، وأسْتُرضعتُ في بني سعد بن بكر . نزل القرآن بأعراب
اللغات ، فشكل العرب فيه لغة ، ولبنى سعد بن بكر سبع لغات . وبنو سعد
ابن بكر بن هوازن أفصح العرب ، فهم من الأعجاز ، وهي قبائل من مُضَر متفرقة ،
وكانت ظنَّ النبي صلى الله عليه وسلم التي أَرْضَعته حليلة بنت أبي ذؤيب ،
١٥ من بني ناصرة [بن قصية بن نمر] بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوته
في الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وخِذامة^(٢) بنت
الحارث ، وهي التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم في أشرى حنين ، فبسط لها

(١) في التماموس (مادة فلم) : « التواضع : اللان ولان النبي صلى الله عليه وسلم
قرشية وقبيحان وعاتقان وأزدية وخزاعية » . ثم في مادة (علك) : « والروائع
في جدات النبي صلى الله عليه وسلم تسع ، ثلاث من سليم : بنت هلال بن فالح أم
والد حاتم ، وبنت مرة بن هلال أم حاتم ، وبنت الأوقس بن مرة بن هلال أم وهب
بن عبد مناف . والروائي من غير بني سليم » .

(٢) كذا في بعض الأصول والإصابة ، وهي بكسر الخاء المسجدة ، كما نيه على ذلك
السبكي وأبو ذر . وفي السيرة : « خِذامة » . وقد ذكرها أيضاً السبكي وأبو ذر
وابن حجر على أنها رواية أخرى ، وزاد أبو ذر أنها هي الصواب . وفي الطبري
والبلغات : « جندمه » بالميم واللام للمهملتين . وفي سائر الأصول : « جندمة » .

رداءه ووهب لما أشرى قوما . والعوانك من سُلَيْم ثلاث : عاتكة بنت [ثروة
 ابن] هلال ، ولدت هاشماً وعبد شمس ونوفلاً^(١) ؛ وعاتكة بنت الأوقص بن
 هلال ، ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة ؛ وعاتكة بنت [هلال بن] قالج^(٢) .
 وقال عليُّ للأشعث إذ خطب إليه : أغزك ابنُ أبي قُصافة إذ زَوَّجك أُمَّ قُرَّة^(٣) ،
 وإنها لم تكن من القواطم من قُرَيْش ، ولا العوانك من سُلَيْم .

- أبو النبي صلى الله عليه وسلم — عبدُ الله بن عبد المطلب ، ولم يكن له
 ولدٌ غيره ، صلى الله عليه وسلم ، وتوفي وهو في بطن أمه . فلما ولد كَفَله جدُّه
 عبدُ المطلب إلى أن توفى ، فكَفَله عمُّه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه ،
 فمن ذلك كان أشفقَ أعمام النبي صلى الله عليه وسلم عليه وأولام به . وأما أعمام
 النبي صلى الله عليه وسلم وعمَّاته ، فإنَّ عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لُصْلُبُه
 عشرة من الذكور وستة من الإناث . وأسماء بنيه : عبد الله ، والد النبي عليه
 الصلاة والسلام ، والزبير ، وأبو طالب ، وأسمه عبدُ مناف ، والمُبَارَك ، وضِرار ،
 وحِمْزَة ، وللقَوم ، وأبو لهب ، وأسمه عبد المطلب ، والحارث ، والقيداق ، وأسمه
 حَبِيل^(٤) ، ويقال تَوَفَّل . وأسماء بناته ، عمات النبي صلى الله عليه وسلم : عاتكة ،
 والبَيْضاء ، وهي أم حكيم ، وبرة ، وأميمة ، وأزوى ، وصَفِيَّة .

- ١٥ ولد النبي صلى الله عليه وسلم — وُلِدَ له من خَدِيجَةَ : القاسمُ والطيبُ
 وفاطمةُ وزَيْنَب ورُقِيَّة وأم كلثوم . وولد له من مارية القَبْطِيَّة : إبراهيم . فجميعُ
 ولده من خَدِيجَةَ غير إبراهيم .

- أزواجه صلى الله عليه وسلم — أولهن خَدِيجَةُ بنت خُوَيْلِد بن أسد بن
 عَدِيْلَة الخزْزَمِي ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت . ثم تزوج سَوْدَةَ بنت زَمْعَة ، وكانت

(١) في السيرة لابن هشام : « المطلب » . وفيها أيضاً أن « نوفلاً » أمه وإقدة بنت
 عمرو المازنية .

(٢) في الأصول : « قالج » . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٥١) من هذا الجزء ، والطبري .

(٣) كُنَّا نَها سَيَّاتِي في الأصول والمبارف والطبري والاستيعاب . وهي أم قُرَّة بنت

أبي قُصافة ، أخت أبي بكر ، أم عبد بن الأشعث . وفي الأصول هنا : « أم قُرَّة » .

٢٥ (٤) ويقال لأن اسم حَبِيل : المنهية . انظر القاموس وعره مادة حَبِيل .

تحت السكران بن عمرو ، وهو من هاجرة الحبشة ، فمات ولم يُعقب ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده . ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكراً ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وهي أبنه ست ، وأبقى عليها أبنه تسع ^(١) ، وتوفي عنها وهي أبنه ثمان عشرة سنة ، وعاشت بعده إلى أيام معاوية ، وماتت سنة ثمان وخمسين وتد قاربت السبعين ، ودُفنت ليلاً بالقيع ، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير . وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت تحت خنيس بن ^(٢) حذافة السهمي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى كسرى ، ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، أول شهيد كان بيدرس . ثم تزوج زينب بنت جحش الأسديّة ، وهي بنت عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أول من مات من أزواجه في خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة ، وأنها زملة بنت أبي سفيان ، وهي أخت معاوية ، وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي ، فتصّر ومات بأرض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وكانت تحت أبي سلمة ، فتوفي عنها وله منها أولاد ، وبقيت إلى سنة تسع وخمسين . وتزوج ميمونة بنت الحارث ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت أبي رُم العامري ^(٣) . وتزوج صفية بنت حمّان بن أخطب النضرية ، وكانت تحت رجل من يهود خيبر ، يقال له كنانة ^(٤) ، فضرِب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبى أهله . وتزوج جويرية بنت الحارث ، وكانت من سبى بني المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

- ٢٠ (١) انظر السيرة لابن هشام .
 (٢) في بعض الأصول : « خنيس بن عديلة بن خنيفة » . وما أثبتنا من سائر الأصول والسيرة والطبري .
 (٣) في الأصول : « أبي سيرة بن أبي رُم » . وما أثبتنا من السيرة والطبري .
 (٤) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .
 (٥) قيل إن التي وهبت نفسها هي ميمونة بنت الحارث ، وقيل أم هانئ الأزدية .
 انظر السيرة والمعارف .

وتزوج أسراء يقال لها عترة ، فطلقها ولم يتبين بها ، وذلك أن أباها قال له : وأزديك أنها لم تعرض قط . فقال : ما لهذه عند الله من خير ، فطلقها . وتزوج أسراء يقال لها : أميمة^(١) بنت النعمان ، فطلقها قبل أن يطلقها . وخطب امرأة من بني مرة بن عوف ، فردّه أبوها ، وقال : إن بها برصا . فلما رجع إليها وجدها برصاء .

- كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومروءه — كُتِبَ الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد بن ثابت ، ومساوية بن أبي سفيان ، وحَنْظَلَةُ بن الربيع الأسدي ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أرتد وطلق بمكة مشركا . وحاجبه : أبرأثة^(٢) ، مولاه . وخادمه : أنس بن مالك الأنصاري ، ويكنى أبا حمزة . وخازنه على خاتمه : مُمِيقِب بن أبي قاطمة . ومؤذناه : بلال وابن أم مكتوم . وحراسه : سعد بن زيد الأنصاري ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص . وخاتمه فِصَّة ، وفَصَّة حبشي مكتوب عليه : محمد رسول الله ، في ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر . وفي حديث أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم : وبه تَخْتَم أبو بكر وعمر ، وتَخْتَم به عثمان ستة أشهر ، ثم سقط منه في بئر ذي أَرْوَان^(٣) ، فطلب فلم يوجد .

٢٤٨
٢

- وفاته النبي صلى الله عليه وسلم — تُوُفِيَ صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٥ لثلاث حشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وحُفِرَ له تحت فراشه في بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جميعا بلا إمام ، الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ودُفِنَ ليلة الأربعاء في جوف الليل ، ودُخِلَ القبر على ، والفضل وقُم ، أبنا العباس ، وشقران مولاه ، ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله ، وكُفِّنَ

(١) كذا في الأصول والمعارف . والحق في السيرة والطبرى : أسماء .
(٢) في الأصول : « أبو أئمة » . والتصويب عن شرح التاموس (مادة أنس) .
ويقال : « أئمة » .

(٣) ذو أروان : بئر بالبدية . ولقد جاء فيها : ذروان ، وأروان . غير أن الجمع عليه هو أن الحاتم سقط في بئر أريس . (انظر الطبرى والطبقات ومجمع ما استعجم لبيكري ومجمع البلدان لياقوت) .

في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة^(١) ، ليس فيها قميص ولا عمامة . وأختلف في سَنِّه .
 فقال عبد الله بن عباس وعائشة وجريُّ بن عبد الله ومعاوية : تُوفِّي وهو ابن
 ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقَتادة : اثنتين وستين سنة .

نسب أبي بكر الصديق وصفته

رضي الله عنه

هو عبد الله بن أبي قُحافة ، وأسم أبي قُحافة عَنان بن عمرو بن كعب بن
 سعد بن تميم بن مُرَّة ، وأمه أُمّ الكلْب بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
 تميم بن مُرَّة .

وكأَنَّهُ : عَنان بن عَنان . وحاجُّه : رشيدٌ ، مولاه . وقيل : كتب له
 ١٠ زَيْدٌ بن ثابت أيضا . وعلى أمره كُلُّه وعلى القضاء عمرُ بن الخطاب ، وعلى بيت
 المال أبو عُبَيْدة بن الجراح ، ثم وجهه إلى الشام . ومُؤَدِّه : سعد القرظ ، مولى
 عمار بن ياسر .

قيل لعائشة : صِفِي لنا أبَاكَ . قالت : كان أبيض ، نحيف الجسم ، خفيف
 العارضين ، أحمر لا يستمسك إزاره ، مرقق الوجه ، غائر العينين ، نافي الجبهة ،
 ١٥ عارِي الأشجاع ، أقرع . وكان عمر بن الخطاب أصلع . وكان أبو بكر يُخَضَّب
 بالحناء والكُم^(٢) . وقال أبو جعفر الأنصاري : رأيتُ أبا بكر كأنَّ لِعَينته
 ورأسه بحر النَّفَى . وقال أنس بن مالك : قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 المدينة ، وليس في أصحابه أشمطٌ^(٣) غَيْر أبي بكر . ففلَّحها بالحناء والكُم .

(١) يروى : سَحُولِيَّة (بالفتح) : نسبة إلى السحول ، وهو القصار ، لأنه يسهلها ، أي
 يسهلها ؛ أو إلى سحول ، وهي قرية باليمن . كما يروى : سَحُولِيَّة (بالضم) جمع سهل ،
 وهو الثوب الأبيض النقي ، ولا يكون إلا من قطن ، وفيه شقوق ، لأنه نسب
 إلى الجمع . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضا . (انظر النهاية لأن الأثير) .

(٢) الكُم (بحركة) : نبت يخلط بالحناء ويخضَّب به الصر فيبقى لونه . وإذا طبخ
 أصله بالماء كان معادا للكتابة .

(٣) الأشمط : الذي يخالط بياض رأسه سواد .

وَوُفِيَ سَاءَ لَيْلَةٍ الثَّلَاثَاءِ ، لثَمَانِ لَيَالٍ بَقِيَ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنَ التَّارِيخِ . فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَ لَيَالٍ . وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ أَبِي بَكْرٍ : نِعْمَ الْقَادِرُ اللَّهُ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِدْرَاسٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ : مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمُرْ هَؤُلَاءِ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . قَالَ : مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمُرْ هَؤُلَاءِ ، فَقُلْتُ حَفْصَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَتَاكَ مِنْ صَاحِبِ يُونُسَ ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ .

أَبُو جَسَدٍ عَنْ الْأُبَيْرِ قَالَ : قَالَتْ حَفْصَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ مَرَضْتَ فَقَدَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : لَسْتُ أَتَى قَدَمَتُهُ ، وَلَكِنْ اللَّهُ قَدَّمَهُ .

أَبُو سَلَمَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرِيضٌ سِتَّةَ أَيَّامٍ .

النَّضْرُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : قِيلَ لَعَلَّ : عَلَامٌ بَابِعَتْ أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْتَ فَبَجَاةً ، كَانَ يَأْتِيهِ بِاللَّاحِ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي مَرَضِهِ يُؤْذَنُ بِالصَّلَاةِ ، فَيَأْتِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَقَدْ تَرَكْنِي وَهُوَ يَرَى مَكَانِي ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ الْمُسْلِمُونَ لِدَنِيَّامٍ مَن رَضِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدَنِيَّامِهِمْ ، فَبَايَعُوهُ وَبَايَعْتُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ مَكَّةَ ، بَوَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ ، عَبْدُ رَبِّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ اللَّخَزَوِيُّ ، فَقَالَ لَهُ

أبو قحافة : من ولى الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر أبُوك . قال : فرضى بذلك بنو عبد مناف ؟ قال : نعم . قال : لا مانع لما أعطى الله ولا مُعطى لما منع الله .
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو سفيان غائب فى مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنصرف لقي رجلاً فى بعض طريقه مُتبِلاً من المدينة ، فقال له : مات محمد ؟ قال : نعم . قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر . قال أبو سفيان : فما فعل المُستضعفان على والمُتأس ؟ قال : جالسين . قال : أما والله لئن بقيتُ لها لأرضن من أعقابهما ، ثم قال : إني أرى غيرَها لا يُطغها إلا دم . فلما قدم المدينة جعل يطوف فى أزقتها ويقول :

١٠ بنى هاشم لا تطمع الناسُ فيكمُ ولا سِيا تيمُ بنُ مُسهة أو عدى
فما الأمرُ إلا فيكمُ واليكمُ وليس لها إلا أبو حسن على
فقال عمر لأبي بكر : إن هذا قد قَدِمَ وهو فاعلٌ شرٌّ ، وقد كان النبی صلى الله عليه وسلم يستألفه على الإسلام ، فدفع له ما بيده من المُدقة ، ففعل . فرضى أبو سفيان وبأبيه .

سقيفة بنى ساعدة

١٥

أحمد بن الحارث عن أبي الحسن عن أبي مَشرعن القهري : أن المهاجرين بينهم فى حُجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبضه الله إليه ، إذ جاء مثنى بن عدى وعويم بن ساعدة ، فقالا لأبي بكر : بابُ فتنة إن يُطلَقَ الله بك ، هذا سعد بن حُباب والأُنصار يُريدون أن يُبايَعوه . ففنى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة حتى جاءوا سقيفة بنى ساعدة ، وسعد على طينسة مُشككا على وسادة ، وبه الخنثى ، فقال له أبو بكر : ماذا ترى أبا ثابت ؟ قال : أنا رجلٌ منك . فقال حُباب بن المنذر : متاً أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فإن عمل المُهاجرى فى

- الأنصارى شيئاً ردّ عليه ، وإن عمل الأنصارى في المهاجرى شيئاً ردّ عليه ، وإن لم تعملوا فأننا جُذيلها المُحكِّك وعُدِّيها المُرجَّب ^(١) ، لنُمِدِّنها جُدعة ^(٢) . قال عمر : فأردتُ أن أنكلم ، وكنت زوّرت كلاماً في نفسي . فقال أبو بكر : على رِسلك يا عمر ، فأنزك كلمة كنت زوّرتها في نفسي إلا تكلم بها ، وقال : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأمشهم برسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، وأنتم إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الدين ، نصرتم وواسيتهم ، فجزاكم الله خيراً ، فمنعنا الأسراء وأنهم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قُريش ، فلا تنفُسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأئمة من قُريش . وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين — يعني عمرَ ١٠ ابن الخطاب وأبا سُبَيْدَةَ بنَ الجُرَّاح — فقال عمر : يكون هذا وأنتَ حى ! ما كان أحدٌ يُؤْخِرُكَ عن مقامك الذى أُمِّمْتَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضَرَبَ على يده نِيايَه ، وبَايَه الناسُ وأزْدَحَمُوا على أبى بكر . فقالت الأنصار : قتلتم سعداً . فقال عمر : اقتُلوه قَتَلَهُ اللهُ ، فإنه صاحبُ فتنة . فبَايَعَ الناسُ أبا بكر ، وأتوا به المسجدَ يُبَايِعُونَهُ ، فسمع النُبَّاسُ وعُلى التَّكْبِيرُ فى المسجد ، ١٥ ولم يَفِرُّوا من غَسَلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال على : ما هذا ؟ قال النُبَّاسُ : ما رَأَيْتُ مثْلَ هذا قطُّ ، أما قُلْتُ لك !

٢٥٠
٧

- ومن حديث الثُّمَّانِ بنِ بَشِيرٍ الأنصارى : لما قُتِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تكلم الناس من يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال قوم : أبى بن كعب . قال الثُّمَّانُ بن بَشِيرٍ : فَأَتَيْتُ أُبَيَّا فَقُلْتُ : يَا أُبَيُّ ، ٢٠

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٨٦) من هذا الجزء .

(٢) الجُدعة : الصبغة ، وهى من الصبغة ما كانت فى الثانية ، ومن ذوات الحافى ما كانت فى الثالثة ، ومن الإبل ما كانت فى الخامسة . وإذا أُلْفِطَتْ حرب بين قوم فقال بعضهم : إن شتم أعدائنا جُدعة ، فمعنى شتمناهم من جديد .

إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَكَّرُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَخْلِفُ أَبَا بَكْرٍ أَوْ إِيَّاهُ ،
فَأُتْلِقَ حَتَّى نَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا أَنَا بِذَاكَرِهِ حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ أُنْطَلِقُ . وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَدِ
الصُّبْحِ ، وَهُوَ يَحْصُو حَسَنًا فِي قَصَّةٍ مَشْعُوبَةٍ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي قَالَ :
هَذَا مَا قُلْتُ لَكَ . قَالَ : فَأَوْصِ بِنَا . فَخَرَجَ يَخْطُبُ بِرَجْلَيْهِ حَتَّى صَارَ عَلَى اللَّيْلِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ تَزِيدُونَ ، وَأَصْبَحْتَ الْأَنْصَارُ
كَأَمَى لَا تَزِيدُ ، أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ يَكْتُمُونَ وَقِلَّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا
كَالْمَلْعِ فِي الطَّعَامِ ، فَمَنْ وَلَّى مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئًا فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلْيَنْصِبْ مِنْ
مُسِيئِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلَ . فَلَمَّا تَوَفَّى قِيلَ لِي : هَاتِيكَ الْأَنْصَارُ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ
يَقُولُونَ : نَحْنُ أَوْلَى بِالْأَمْرِ ، وَلِلْمُهَاجِرِينَ يَقُولُونَ : لَنَا الْأَمْرُ دُونَكَ . فَأَنْتِ
أَيُّمَا فَرَعْتَ بَابَهُ ، فَخَرَجَ إِلَى مُلْتَمَعَا ، قُلْتُ : أَلَا أُرَاكَ إِلَّا قَاعِدًا بَيْتِكَ مُتَمَلِّقًا
حَلِيكَ بِأَبْكَ وَهَؤُلَاءِ قَوْمُكَ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ يُنَازِعُونَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرُجْ إِلَى
قَوْمِكَ . فَخَرَجَ ، قَالَ : إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي شَيْءٍ ، إِنَّهُ لَمْ
دُونَكَ ، يَلِيهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلَانِ ، ثُمَّ يُقْتَلُ الثَّلَاثُ ، وَيُنْزَعُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ
هَاهُنَا ، وَأَشَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِمَبُولٍ بَرِيْقٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَدَخَلَ .

وَمِنْ حَدِيثٍ حَذِيفَةٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَ : إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فَيْكُمْ ، فَاقْعُدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَيْتِي ، وَأَشَارَ إِلَى
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَيْدَى عَمَّارٍ ، وَمَا حَدَّثَكُمْ أَبُو مَسْعُودٍ فَصَدَّقُوهُ .

الرَّبِيعُ تَخَفُّوْا عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ — عَلَى وَالْمُبَاسِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ .
فَأَمَّا عَلَى وَالْمُبَاسِ وَالزُّبَيْرِ ، فَسَدُّوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ حَتَّى بَشَّ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ عَمْرَ
ابْنَ الْخَطَّابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَبَوَا فَاطِمَةَ لَمْ . فَأَقْبَلَ

بَقِسَ من نار على أَنْ يُضرم عليهم النار ، فلقيته فاطمة ، فقالت : يا ابن الطغلب ، أجبْتِ لتُحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيها دخلتُ فيه الأمة . فخرج عليّ حتى دخل على أبي بكر فبأيه ، فقال له أبو بكر : أكرهت إمارتي ؟ فقال : لا ، ولكني آليتُ أن لا أرتدى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن ، فعليه حَبِسْتُ نفسي .

ومن حديث الأهرى عن حُرّة عن عائشة قالت : لم يُبَايع عليّ أباً بكر حتى ماتت فاطمة ، وذلك لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم . فارتحل عليّ إلى أبي بكر ، فأتاه في منزله فبأيه ، وقال : والله ما نَفَسنا عليك ما ساق الله إليك من نَصْلٍ وَخَيْرٍ ، ولكنّا كُنّا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوننا ، وما نُنكر فضلك . وأما سعد بن عبادَة فإنه رحل إلى الشام . ١٠

أبو اللذر هشام بن محمد الكلبي^(١) قال : بسّ عمرُ رجلاً إلى الشام ، فقال : أدعه إلى البَيْعة وأحلّ له بكل ما نَدَرْتُ عليه ، فإنّ أبي فأستعن الله عليه . فقدم الرجلُ الشام ، فلقيه بجُحران في حائطٍ ، فدعاه إلى البَيْعة ، فقال : لا أبايع قُرُشياً أبداً . قال : فإني أقاتلك . قال : وإن فانتلقتني ! قال : أنفارجُ أنت مما دخلتُ فيه الأمة ؟ قال : أمّا من البَيْعة فأنا خارج . فرماه بسهم ، قتلَه . ١٥

ميمون بن مهران عن أبيه قال : رُمي سعد بن عبادَة في حِمَامٍ بالشام ، فُقتل . سعيد بن أبي عروبة عن ابن سيرين قال : رُمي سعد بن عبادَة بسهم فوجد دفينا في جسده . فمات ، فبَكَته الجنّ ، فقالت :

وَقَتَلْنَا^(٢) سَيِّدَ الْخَرْجِ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ

وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نَقْطَعْهُ^(٣) قُوَادَهُ ٢٠

(١) في بعض الأصول : « أبو محمد عن الكلبي » .

(٢) في بعض الأصول : « نحن قتلناه » .

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٤٤٠) : « لم نَقْطَعْهُ » . وخطأ . يضطّر . مثل أخطأ يخطئ .

فضائل أبي بكر رضي الله عنه — محمد بن المنكدر قال : نازع عمرُ
أبا بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركونى وصاحي ؟
إن الله يمتحنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة ، فقالوا جميعاً : كذبت ،
وقال أبو بكر : صدقت . وهو صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجليسه
في النار ، وأوّل من صلى معه وآمن به وأتبعه .

وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيّدنا ، وأعقَب سيّدنا . يريد بلالاً .
وكان بلال عبداً لأُمَيّة بن خلف ، فأشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان من مؤلّفى
مكّة ، أبوه زيلح ، وأمه حمّامة .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أوّل من قام معك في هذا الأمر ؟
قال : حُرٌّ وعبد . يريد بالحرّ أبا بكر ، وبالعبد بلالاً . وقال بعضهم :
عليّ وخبّاب .

أبو الحسن الدائنى قال : دخل هارون الرشيدُ مسجدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فبث إلى مالك بن أنس ، فقيه المدينة ، فأتاه وهو واقف بين قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم [والمنبر] ، فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة ،
قال : يا مالك ، صِف لى مكان أبى بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحياة الدنيا . فقال : مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من نبره .
فقال : شَفِيتْنى يا مالك .

الشّعبى عن أبى سلمة^(١) : إن حُلّياً سئل عن أبى بكر وعمر ، فقال : على
الخبر سقطت ، كانا والله إمامين صالحين مُصلحين ، خرّجا من الدنيا صحيحين .
وقال عليّ بن أبى طالب : سبق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتقى
أبو بكر ، وثَلّت عمر ، ثم خبطتُنا فتنةٌ حمياء كما شاء الله .

وقالت عائشة : توفّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سحري وسحري ،

(١) كذلك بنى الأصول : وهو يفتى مع ما فى التهذيب (ج ١٢ ص ١١٦) . والذى
فى سائر الأصول : « أبو سلمة من الشّعبى » .

- فلو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي لهذهما ، أشرباً التناق ، وأردت العرب ، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بخطها وغناها ^(١) في الإسلام .
- عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة ، أنه بلغها أن أناسا يتناولون من أبيها ، فأرسلت إليهم ، فلما حضروا قالت : إن أبي والله لا تطوه الأيدي ^(٢) ، طود
- مئيف ، وظل ممدود ، أصبح إذا كدبتهم ^(٣) ، وسبق إذونيم « سبق الجواد إذا استولى على الأمد » ^(٤) . فقي قريش ناشتا ، وكفها ^(٥) كهلا . يفلك عانيها ، ويريش مملتها ^(٦) ، ورأب [صدعها ، ويملئ] شعثها . فاجرت شكيمته في ذات الله تشدد حتى اتخذ بنتاه مسجداً يحى فيه ما أمات المبطلون . وكان
- وقيد الجوانح ^(٧) ، غرير القنمة ، شحى النسيج . وأصفت ^(٨) إليه نسوان مكة وولدائها يسخرون منه ويستهنون به ، والله يستهزئ بهم ويمدّم في عليانيهم يسمعون ، وأكبرت ذلك رجالاً قريش ، فاقولوا له صفاة ، ولا تصفوا ^(٩) قناة ، حتى ضرب الحق بجرانه ، وألقى بركه ^(١٠) ، ورست أوتاده . فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رؤاه ، ومد طنبيه ، ونصب حيائه ، وأجلب بخيله ورجله ، فقام الصديق حاسراً مشمراً . فرد [نشر] الإسلام على غيره ^(١١) ،
- (١) تريد أنه كان يري الصواب فيما اختلفوا فيه فينوز بالثناء والتواب . وفي بعض الأصول : « فوالله ما طاروا في لفظة إلا خطها وغناها » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء . (٢) كنا في بني الأصول وبلاغات النساء . ولا تطوه : لا ينبله . والله في سائر الأصول : « لا تطوه إلى الأبد » .
- (٣) أصبح ، أى أعطى ويسر . وأكدى : منح . والله في الأصول : « ونجح إذا كدبتهم » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء . (٤) أى إذا بلغ الغاية .
- (٥) الكهف : للبلأ . (٦) يرش مملتها ، أى يصلح حاله .
- (٧) وقيد الجوانح ، أى عزوز القلب ، كان الحزن قد كسره وضمفه . ولما كانت الجوانح تحبس القلب وتحويه ، فأضاف القول إليها . وفي بعض الأصول : « وقيد » . قال ابن منظور في مادة وفد : « قال ويقال : تركبه وقيدا ووقيطا . قال الوجه عندى والقياس أن يكون الظاء بدلاً من القال » .
- (٨) أصفت إليه : اجتمعت . وروى : « وأصفت له » وحى بمناعا . (انظر لسان العرب مادة سبق) . وفي بعض الأصول : « تصفت » .
- (٩) في بعض الأصول : « تصموا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء . (١٠) البرك من البير : مسدود .
- (١١) التمر (بالفتح) : كل كسر مثق في ثوب أو جلد ، ومنه : اطو الثوب على غره الأول . كما كان مطويا . أرادت عائشة تدبيره أمر الردة ومطابقة ذاتها بدوائها .

وأقام أَوْدَه بِقَفَاهُ ، فَأَبْذَرَهُ^(١) التَّفَاقُ بَوَطُهُ ، وَأَنْتَاشَ^(٢) النَّاسَ بِمَدْلُهُ ، حَقَّ
أَرَاخَ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِهِ ، وَحَقَّنَ الدِّمَاءَ فِي أَهْبَاهَا . ثُمَّ أَنْتَهَ مِنْبَتُهُ ، فَبَدَتْ ثَلَمَتُهُ
نَظِيرُهُ فِي اللَّحْرِجَةِ ، وَشَقِيقَتُهُ فِي اللَّمَدَةِ ، ذَلَّتْ ابْنُ الْخَطَّابِ . فَهَذَا قَدْ أَمَّ حَفَلَتْ لَهُ
وَدَوَّرَتْ عَلَيْهِ . فَفَتَحَ الْفُتُوحَ ، وَشَرَّدَ الشُّرَكَ ، وَبَيَّعَ الْأَرْضَ ، قَدَّامَتْ
أَكْلَهَا^(٣) ، وَلَقَطَتْ جَنَائِهَا ؛ تَرَامُهُ وَيَأْبَاهَا ، وَتُرِيدُهُ وَيَمْدِفُ عَنْهَا ، ثُمَّ تَرَكَهَا
كَمَا صَحَبَهَا . فَأَرُونِي مَا تَرْتَابُونَ^(٤) ؟ وَأَيُّ يَوْمٍ أَبْيَ تَنْقَسُونَ ؟ أَيُّ يَوْمٍ إِقَامَتُهُ إِذْ عَدَلَ
فِيكُمْ ، أَمْ يَوْمَ طَعْنَتِهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ^(٥) ؟ أَقُولُ [تَوَلَّى] هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

٢٥٢
٧

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الْأَيْبِيُّ بْنُ سَعْدٍ عَنِ الْأَمْهَرِيِّ قَالَ : أَهْدَى لِأَبِي بَكْرٍ طَعَامًا وَعِنْدَهُ الْحَارِثُ
ابْنُ كَلْبَةَ فَأَكَلَا مِنْهُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : أَكَلْنَا سَمًّا سَنَةً ، وَإِنِّي وَإِيَّاكَ لِمَيْتَانِ عِنْدَ
رَأْسِ الْكُمُولِ . فَاتَا جَمِيعًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ عِنْدَ أَقْضَاءِ السَّنَةِ . وَإِنَّمَا سَمِعْتُهُ يَهُودِيًّا
سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ فِي ذِرَاعِ الشَّاةِ . فَلَمَّا حَضَرَتِ النَّهْيُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاةُ قَالَ : مَا زَالَتْ أَكَلَةُ خَيْرٍ تُمَادِنِي حَتَّى قَطَعْتُ أَبْهَرِي . وَهَذَا
مِثْلُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) . وَالْأَبْهَرُ وَالْوَتِينُ : عِرْقَانِ فِي
الشَّلْبِ إِذَا قُطِعَا أَحَدُهُمَا مَاتَ صَاحِبُهُ .

الْأَمْهَرِيُّ عَنْ حُرَّةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَغْتَسَلَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ
خَلَوْنَ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ ، وَكَانَ يَوْمًا بَارِدًا ، فَصُمَّ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا لَا يُخْرَجُ إِلَى
صَلَاةٍ ، وَكَانَ يَأْمُرُ عَمْرَ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ . وَتُوفِيَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَةِ لثَانِ يَتَيْنِ مِنْ مُجَادَى
الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنَ التَّارِيخِ . وَغَسَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ أَصْحَابُهُ بَنَاتُ مُعَيْسِرٍ .

- ٢٠ (١) الْاِیْمَرُ : تَفَرَّقَ وَتَبَدَّدَ . وَفِي بِلَافَاتِ النِّسَاءِ : « الْاِیْمَرُ » وَهِيَ مِجْمَاعُهَا .
(٢) أَنْتَاشَ : أَهْبَشَ . (٣) بَيْعَ الْأَرْضِ ، أَيْ شَقَهَا وَأَذَلَّهَا ، تَكُنْ عَنْ فَوْحِهِ .
وَقَدَّامَتْ أَكْلَهَا ، أَيْ أَظْهَرَتْ نَبَاتَهَا وَخَزَائِنَهَا .
(٤) كَلْنَا فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٧ ص ٢٣١) وَصَبَّحَ الْأَعْمَى (ج ١
ص ٢٤٨) . وَفِي سَائِرِ الْأَسْوَلِ : « مَا لَا تَرَوْنَ » .
(٥) يَوْمَ طَعْنَتِهِ ، أَيْ يَوْمَ وَفَاتِهِ . وَأَرَادَتْ بِنَظَرِهِ لَمْ يَمُتْ مَعَهُدِهِ بِالْخَلَاةِ إِلَى عَمْرٍ .

وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والدير ، وكثير أربابا .

الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : لما توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة البُتُوح ، فبلغ ذلك عمرَ نهاناً ، فأبين . فقال لحشام بن الوليد : أخرج إلى بنت أبي سُفْعانة ، فأخرج إليه أُمّ قُرَوة ، فسلها بالبردة ضرباً ، فتفرقت النوايح .

وقالت عائشة وأبوها يَمِضُ ، رضى الله عنه :

وأبيضُ يُسْتَقَى النَعامُ بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل^(١)

قالت عائشة : فنظر إلى وقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أغشى عليه . فقالت :

لمسرك ما ينفى التُّرارة عن النَّقى إذا حُشِرَتْ يوماً وضاق بها الصدر^(٢)

فنظر إلى كالفُضبان وقال : قولى : (وجاءت سَكْرَةُ الموتِ بالحقِّ ذاك ١٠ ما كنتُ منه تُعِيد) . ثم قال : انظروا ملائكتين خَلَقْنِى^(٣) فاعسولها وكفنتونى فيهما ، فإن الحىَّ أخرجُ إلى الجديد من البيت .

عروة بن الزبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة أن يدفن

إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى حُفِرَ له وجعل رأسه بين

كُفَيْتَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأسُ عمرَ عند حَقْوَى أبى بكر . وبقى ١٥

فى البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن على أوصى بأن يدفن مع

جدّه فى ذلك الموضع . فلما أراد بنو هاشم أن يحفروا له تمنعهم سروان ، وهو والى

للدينة فى أيام معاوية . فقال أبو هريرة : علام تمنعه أن يدفن مع جدّه ؟ فأشهد

لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيِّدا شباب

أهل الجنة . قال له سروان : لقد ضَيَّعَ الله حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠

إذ لم يَرَوْهُ غيرُكَ . قال : أنا والله لقد قلتُ ذلك ، لقد سمعته حقَّ عرفْتُ مَنْ

(١) هذا البيت لأبى طالب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم من قضيدة له يدفع به عن الرسول صلى الله عليه وسلم . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩١ — ٢٩٩ طيبة الحامية) .

(٢) البيت لحاتم بن عبد الله من أبيات له . (انظر ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٧) من جملته الطيبة . (٣) فى بعض الأصول : « بِلَدْنِى خَلَقْنِى » .

- أحبّ ومن أبيض ، ومن نقي ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه . قال :
وسُطّح قبرُ أبي بكر كما سُطّح قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورُش بالماء .
- هشام بن عروة عن أبيه : إن أبا بكر صُلّي عليه ليلاً ودُفِن ليلاً . ومات
وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم . وعاش أبو حنيفة
بعد أبي بكر أشهراً وأياماً ، وهب نصيبه في ميراثه لولده أبي بكر . وكان نقش
خاتم أبي بكر : نم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سُجّي بشوب ، فأُرجعت المدينة
من البكاء ، ودُشّ القوم كيوم قبض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وجاء
علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول . رحمت
الله أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاماً ، وأصدقهم إيماناً ، وأشدّهم بقيناً ،
وأعظمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدّهم على
الإسلام ، وأحam عن أهله ، وأنسهم برسول الله خلقاً فضلاً وهدياً وسمتاً ؛
فجراك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . صدّقت رسول الله
حين كذّبه الناس ، وواسيته حين بغلوا ، وقت معه حين قدروا ، وسماك الله في
كتابيه صدّيقاً ، فقال : (والذي جاء بالصدق وصدّق به) يريد محمداً ويريدك .
- كنت والله للإسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تُضلل حجّتك ، ولم تضعف
بصيرتك ، ولم تجين نفسك . كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تُزيله
القواصف . كنت كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفاً في
بدنك ، قويّاً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ،
كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك ملع ولا هوى ، فالضعيفُ عندك
قويّ ، والقويّ عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوي وتأخذه للضعيف ،
فلا حرمك^(١) الله أجرُك ، ولا أضلنا بك .

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي

(١) في بعض الأصول : « حرمنا » .

- توفي فيه فقالت : يا أبت ، أعهد إلى خاصتك ، وأنتذ وأبئك في عاتقك ^(١) ،
وانقل من دار جهازك إلى دار مُقامك ، إنك تحضور ومقتصل بي لوعتك ،
وأرى تخاذل أطرافك وانتفاع لوك ، فإلى الله تمزيقي عنك ، ولديه ثواب
حزني عليك . أرقاً فلا أرقاً ^(٢) ، وأشكو فلا أشكي . قال : فرفع رأسه ،
وقال : يا أئنه ^(٣) ، هذا يوم يُحلى ^(٤) لي فيه عن غطائي ، وأشهد جزائي ؛ إن فرحاً
فدائم ، وإن رحاً فمقيم . إني اضطلعت بإمامة ^(٥) هؤلاء القوم حين كان
النكوص إضاعة ، والخلل ^(٦) تقريظاً ؛ فشهدى الله ، ما كان بقلبي ^(٧) إلا إياه ،
فتبليت بصحتهم ، وتملت بدرة لقحتهم ، فأقت صلاي ^(٨) معهم ، لا محتالا
أشيراً ، ولا مكاتراً بطراً . لم أعد سداً الجوعة ، وتورية التورية ^(٩) ، وإقامة
القيام ، من طوي مغمض ^(١٠) ، تهفو منه الأحشاء ، ونحيف له الأمعاء ،
فاضطرت إلى ذلك اضطراب الجريض ^(١١) إلى [اللاء] الليف الآجن . فإذا أنا مت
فردى إليهم صحتهم وصددم ولقحتهم ورحام ودائرة ما فوق أقتيت بها البرد ،
وورارة ما تحتي أقتيت بها أذى الأرض ، كان حشوها قطع السف .
قال : ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بمدك
تمباً ، ووليتهم نصيباً ، فنهيت من شق غبارك ! فكيف الحق بك ا .

- (١) في بلاغات النساء : « حلتك » . « سالتك » . والحامة ، والامة ، والسامة : الخاصة .
(٢) أي أسكن نفسي فلا تسكن .
(٣) هي وإن كانت بنته إلا أنها أم للزنتين ، فهو يغاملها بهذا .
(٤) نيا ص (ج ٣ ص ٢٤١ من هذه الطبعة) : « يحل فيه من » .
(٥) في بعض الأصول : « أطلت أمانة » . (وانظر ج ٣ ص ٢٤١ من هذه الطبعة) .
(٦) الخزل ، أي التراجع . (وانظر ج ٣ ص ٢٤١ من هذه الطبعة) .
(٧) في بعض الأصول : « يتيلق » .
(٨) الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذي أربع . وإقامة صلاة ، كناية
عن مساوأة بينهم وبين نفسه .
(٩) تورية المودة ، أي سترها . وفي بعض الأصول : « ووري » .
(١٠) كئنا في بعض الأصول وبلاغات النساء . ومغضى : موجه . والقي في سائر
الأصول : « عصى » .
(١١) كئنا في بعض الأصول . والجريض : الذي يطلع ريقه بجهد . والقي في سائر الأصول :
« المتبرض » . والمتبرض : التبلىغ في العيش بالبلغة وتطلبه من هنا وهنا قليلا قليلا .

استخلاف أبي بكر لعمر

عبد الله بن محمد التيمي عن محمد بن عبد العزيز: إن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وكتب به مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأه على الناس، فلما اجتمع الناس قاما قالا: هذا عهد أبي بكر، فإن تقرأ به نقرأه، وإن تُسكروه نرجعه. قال: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدينار خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب. إني أشرت عليكم عمر بن الخطاب، فإن عدل وأتقى فذاك طاقى به ورجائى فيه، وإن بدّل وغيره فغير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله.

٢٥٤
٧

١٠ قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح، قال: حدثني محمد بن رافع^(١) بن المهاجر التميمي قال: حدثني الليث بن سعد عن عوان عن صالح بن كيسان عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر رضى الله عنه في مرضه الذى توفى فيه فأصابه مقيقا، قال: أصبحت بحمد الله بارئاً. قال أبو بكر: أترأه؟ قال: نعم. قال: أما إني على ذلك لشديد الرجوع، ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجى. إني وليتُ أمركم خيركم فى نفسى فكلّكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر [من دونه]، ورأيت الدنيا مقبلة، ولن^(٢) قبل — وهى مقبلة — حتى تتخذوا سطور الحر ونضائد البياض، وتألوا الأضطجاع على الصوف الأذرى^(٣) كما يألم أحدكم الأضطجاع على شوك السعدان. والله لأن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يتخوض فى غمرة الدنيا. ألا وإنكم أول ضال بالناس غدا فتصدّوم عن الطريق عينا وشمالا. ياهدى الطريق

٢٠

(١) انظر الكامل للمبرد والطبرى وإيجاز القرآن (ص ١١٦) فيمن التصور خلاف.

(٢) فى بعض الأصول: «زجج». وانظر تهذيب التهذيب والكنزى.

(٣) فى بعض الأصول: «ولما». (٤) نسبة إلى أفريجان.

- إنما هو القبر أو التجبر^(١). قال : قلت له : خضع عليك يرحمك الله ، فإن هذا يهينك على مابك ، إنما الناس في أمرك بين رجلين ، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه ، وصاحبك كما تحب ، ولا تعلمك أردت إلا الخير ، ولم تزل صالحا مصلحا ، مع أنك لاتأمن على شيء من الدنيا .
- فقال : أجل ، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فماتهن وودت أني تركتهن ، وثلاث تركتهن ووددت أني فعلتهن ، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن . فأما الثلاث التي فعلتهن ووددت أني تركتهن : فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا أغلقوه على الحرب ؛ ووددت أني لم أكن حرقت النجاة^(٢) السلي ، وأنني قتلته سريحا أو خليته نجيبا^(٣) ؛ ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الأمر في عنق أحد الرجلين ، فكان أحدهما أميراً وكنته له وزيرا — يعني بالرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح — وأما الثلاث التي تركتهن ووددت أني فعلتهن : فوددت أني يوم أنبت بالأشعث بن قيس أسيرا ضربت عنقه ؛ فإنه يُحيل إلى أنه لا يرى شرّاً إلا أعان عليه ؛ ووددت أني يوم سهرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقت بذى القصة^(٤) فإن نظف للسلون ظفروا وإن أنهزموا كنت بصدد لقاء أو تدد ؛ ووددت أني وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت همر

(١) البجر (بالفتح والغم) : الداهية والأمر العظيم . أى إن انتظرت حتى يخفى النجر بصرت الطريق ، وإن خبطت الظلمات أفضت بك إلى الكروه . وروى : « البجر » بلقاء للهمة . يريد غمرات الدنيا . شبهها بالبحر لتجبر أهلها فيها .

(٢) في الأصول : « النجاة » . والتصويب عن الطبرى . وكان من حديث النجاة هذا أنه أتى أبا بكر فادعى الإسلام وطلب إليه جهاد من ارتد وأن يحمله ، لحله وأعطاه سلاخا ، فقد ظفرت على كل مسلم . ولا أمكنت أبا بكر الفرصة منه أوقد ناراً ثم رى به فيها حقنوطا .

(٣) سريحا : سريحا . ونجيبا : وشيكا . وفى بعض الأصول : « شدينا » مكان « سريحا » . وما أميقتنا عن سائر الأصول والطبرى وابن عساکر فى ترجمة أبى بكر .

(٤) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا . وه تزل أبو بكر فى خلافة لما وجه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة . (انظر مسجم البلدان) .

ابن الخطاب إلى العراق ، فأكون قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله . وأما الثلاث التي وددتُ أني أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم : فاني وددتُ أني سألته : لمن هذا الأمر من بعده فلا يتنازعه أحد ، وأنى سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب فلا يُظلموا نصيبهم منه ، ووددتُ أني سألته عن بنت الأنخ والقامة ، فإن في شئيهما شيئاً .

نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن علي بن محمد قال : هو عمر بن الخطاب بن نُقيل بن عبد المزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك . وأمه حنثمة بنت هاشم ^(١) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ^(٢) بن مخزوم . وهاشم هو ذوالرُحَيْن . قال أبو الحسن : كان عمر رجلاً آدم مُشرباً بحمرة طويلاً أصمغ له جفانان ^(٣) ، حسن الخدين والأنف واليمين ، غليظ القد ، وبه والكفَّين ، مجذول اللحم ، حسن الخلق ، ضخم الكراديس ^(٤) ، أعسر يسر ^(٥) ، إذا مشى كأنه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقرين من مجامد الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ . وطمن ثلاث بقرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من التاريخ . فمات ثلاثاً أياماً ، ويقال سبعة أيام .

١٥ ممدان بن أبي حصّة ^(٦) ، قال : قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، في رواية الشعبي . ولها مات أبو بكر ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٥٥
٢

- (١) وقيل بنت هشام أخت أبي جهل (:نظر الاستيعاب والسمة) .
- (٢) في بعض الأصول : « عمرو » وهو تحريف . (انظر البيرة) .
- (٣) الخفان (ككتاب) : الطرة من الشعر حول رأس الأصم .
- (٤) الكراديس : رهوس الظلم ؛ واحدهما كرادوس .
- (٥) أعسر يسر ، أى يسره يديه جيماً .
- (٦) في بعض الأصول : « صلحة » . وله « ممدان بن أبي طلحة » . (انظر الطبري) .

٢٠

فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشهب^(١) عن الحسن^(٢)، قال : عاتب عُبَيْنَةُ عُمَانَ ، فقال له : كان عمر خيراً لنا منك : أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فأثقتنا . وقيل لعثمان : ما لك لا تكون مثل عمر ؟ قال : لا أستطيع أن أكون مثلَ عُثْمَانَ الحكيم .

- القاسم بن عمر قال : كان إسلام عمر فتحةً ، وهجرة نصرًا ، وإمارته رحمة . وقيل : إن عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها اللُثَيَّة ، فزوّجها اللُثَيَّة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا زوّجتم عمر ؟ فإنه خير فريش أولها وآخرها ، إلا ما جعل الله لرسوله .

الحسن بن دينار عن الحسن ، قال : ما فضّل عمرُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة ، وأكثرم صيامًا ؛ ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم في أمر الله . وتظلم رجل من بعض مُخَلَّال عمر ، وأدّعى أنه ضربه وتمدّى عليه ، فقال : اللهم إني لا أحلّ له لم أشعارهم ولا أبشارهم . كل من ظفّه أميرُه فلا أميرَ عليه دوني ، ثم أظاده منه .

- عَوَانَةُ^(٣) عن الشعبي قال : كان عمر يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخوصوم .

وقال للثُيَّة بن شُعبَة ، وذكر كرمُ ، قال : كان والله له فضلٌ بمنّته [من] أن يتحدّ ، وعقل بمنّته [من] أن يتخذع . فقال عمر : لست بحبيبٍ ولا الخَلْب يتحدّني . عكرمة عن ابن عباس ، قال قال : بينا أنا أمشي مع عمر بن الخطاب في خلافته وهو عائد لحاجة له وفي يده الثُّرَّة ، فأنا أمشي خلفه وهو يُحدّث نفسه

(١) هو أبو الأشهب الطلّدي جعفر بن حيان . (انظر للمرف) .
 (٢) هو الحسن البصري .
 (٣) هو عوانة بن الحكم الكلبي .

ويضرب وحشاً قديمه يذره ، إذ التفت إلى ، قال : يا بن عباس ، أئدرى ما حلقى على مقاتلي ^(١) التي قلت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال : الذي حلقى على ذلك أتى كنت أقرأ هذه الآية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا بأخف أعمالنا ، فهو الذي دعاني إلى ما قلت .

١٠ ابن دأب قال : قال ابن عباس : خرجت أريد عمر في خلافته ، فالتقيته راكباً على حمار قد أُرْسِنه بحبل أسود ، وفي رجله نملان مخصوفتان ، وعليه إزار قصير وقيص قصير ، قد أُنكشفت منه ساقاه ، فشيت إلى جنبه وجعلت أجيد الإزار عليه ، فجعل يضحك ويقول : إنه لا يطعك . حتى أتى العالية ، فصنع له قوم طعاماً من خبز ولحم ، فدعوه إليه ، وكان عمر صاعماً ، فجعل يبتذ إلى الطعام ويقول : كل لي ولك .

ومن حديث ابن وهب عن الليث [بن سعد] : أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجري عليه من النية درهما ، إلا أنه أَسْتَلَف منه مالا ، فلما حضرته الوفاة أمر عائشة برده . وأما عمر بن الخطاب فكان يجري على نفسه درهمين كل يوم . فلما ولي عمر بن عبد العزيز قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ قال : كان عمر لا مال له ، وأنا مالي يُنفقني ؛ فلم يأخذ منه شيئاً .

(١) يريد مقاتله : إن رجلاً من الناقطين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران . قد ظف عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فيلقطن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو حاتم عن الأصمعي، قال : قال عمر وقام على الرِّدم^(١) : أين حقلك يا أبا سفيان بما هنا ؟ قال : بما تحت قدميك إلى . قال : طالبا كنتَ قدِمَ الظلم ، ليس لأحد فيها وراءَ قدَمي حق ، إنما هي منازل الحاجج .

قال الأصمعي : وكان رجلٌ من قريش قد تقدّم صدرٌ من داره عن قدَمي عمر فهدمه . وأراد أن يُغَوِّرَ البئر ، فقيل له : في البئر للناس منفعة ، فتركها .
قال الأصمعي : إذا ودّع الحاجج ثم بات خلفَ قدَمي عمر لم أرَ عليه أن يرجع . يقول : قد خرج من مكة .

مقتل صمر

أبو الحسن : كان للشُّيرة بن شُعبة غلام نصراني يقال له : فَيروز أبو لؤلؤة ، وكان تجاراً لطيفاً ، وكان خِراجُه^(٢) ثقيلاً ، فشكا إلى عمر ثقل الخِراج ، وسأله أن يكلم مولاَه أن يخفّفَ معه من خِراجِه ، فقال له : كم خِراجك ؟ قال ثلاثة دراهم في كل شهر . قال وما صناعتُك ؟ قال : نجار . قال : ما أرى هذا ثقيلاً في مثل صناعتك . ففرج مُنضِباً ، فأستل^(٣) خِنجراً محدودَ الطرفين . وكان عمر قد رأى في المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات ، فتأوله رجلاً من العجم يطمعنه ثلاثَ طعنات . فطمعنه أبو لؤلؤة فيخنجره ذك في صلاة الصبح ثلاثَ طعنات ،
إحداها بين سُرته وعانته ، فخرقت الصفاق ، وهي التي قتلتَه . وطعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة . فأقبل رجلٌ من بني عجم ، يقال له حِطَّان ، فألقى كساده عليه ثم احتضنه . فلما علم الحليج أنه مأخوذ طمّن نفسه . وقَدَّمُ عمر صُهيبيّاً يصلي بالناس ، فقرأ بهم في صلاة الصبح : (قل هو الله أحد) في الركعة الأولى ، و (قل يا أيها الكافرون) في الركعة الثانية . واحتمل عمر إلى بيته ،
٢٠

(١) الردم : موضع بمكة . (٢) ضبطه التهاوي ، بالبيارة ، بالكسر .

(٣) في بنى الأصول : « فاستسل » .

فماض ثلاثة أيام ثم مات . وقد كان أستاذنا عائشة أن يُدفن في بيتها مع صاحبيه ، فأجابته وقالت : والله لقد كنت أردتُ ذلك للضعف لضعفي ولأثرته اليوم على نفسي . فكانت ولاية عمر عشر سنين . صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ، ودُفن عند غروب الشمس كائبه : زيد بن ثابت ، وكتب له معيقيب أيضا . وحاجبه : رِفْأً ، مولاه . وخازنه : يسار . وعلى بيت ماله : عبد الله ابن الأرقم .

وقال البيهقي بن سعد : كان عمر أول من جدد الأجناد ، ودَوَّن القُدُورَين ، وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين ، وهم : علي وعثمان وطائفة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، ليعتاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين . وأوصى أن يحضر عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من أمر الشورى شيء .

أمر للشورى في خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال : قال ابن عباس : دخلت على عمر في أيام طائفته ، وهو مضطجع على وسادة من آدم ، وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل : ليس عليك بأس . قال : لأن لم يكن علي اليوم ليكون بعد اليوم ، وإن الحياة لنصيباً من القلب ، وإن الموت لكربة ، وقد كنت أحب أن أنجي نفسي وأنجو منكم ، وما كنت من أمركم إلا كالفرق يرى الحياة فيرجوها ، ويخشى أن يموت دونها ، فهو يركض بيديه ورجليه ؛ وأشد من الفرق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول . ولقد تركت زهرتك كما هي ، ما لبستها فأخلفتها ، وتركتم يانعة في أكمامها ما أكلتها ، وما جنيت ما جنيت إلا لكم ، وما تركت ورائي درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ، ثم بكى وبكى الناس معه . قلت : يا أمير المؤمنين ، أبشر ، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ ، وإن للسلمين راضون عنك . قال : للفرور والله من غررتوه ، أما والله لو أن لي ما بين الشرق والغرب لافتديتُ به من هول اللطم .

داود بن أبي هند عن قتادة قال : لما ثقل عمر قال لولده عبد الله : ضَعْ خَذِي عَلَى الْأَرْضِ . فَسَكَرَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ . فَوَضَعَ عِرْضَهُ عَلَى الْأَرْضِ .
وقال : وَيْلٌ لِمَنْ وَلِئَمْ هَرِ إِنْ لَمْ يَتَعَفَّ اللَّهُ عَنْهُ .

أبو أمية بن بعل عن نافع قال : قيل لعبد الله بن عمر : تَفَسَّلَ الشَّهَدَاءُ ؟ قال : كَانَ عَمْرَ أَفْضَلَ الشَّهَدَاءِ ، فَتَفَسَّلَ وَكَفَّنَ وَصَلَّى عَلَيْهِ .

يونس عن ^(١) الحسن ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال ^(٢) : لما طعن عمرُ بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ، لو استخلفتُ ؟ قال : إِنْ تَرَكْتُمْ قَدَّ تَرَكْتُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ اسْتَخْلَفْتُ قَدَّ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ : سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ : إِنَّهُ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ حَيًّا لاسْتَخْلَفْتُهُ ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ : سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ : إِنْ سَأَلْنَا لِيُصِيبَ اللَّهُ حُبًّا لَوْ لَمْ يَخْفَ مَا عَصَاهُ . قِيلَ لَهُ : فَلَوْ أَنَّكَ عَهَدْتَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَهُ أَهْلٌ فِي دِينِهِ وَفَضْلُهُ ١٥
وقدِمَ إسلامه . قال : يَحْتَسِبُ أَلِ الْخَطَّابِ أَنْ يُحَاسِبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ عَنْ أُمِّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ دَعَتْ أُنَى نَحْوِ ثَمَانِ مِائَةِ كُفَّافًا لَأَلَى وَلَا عَلَيَّ . ثُمَّ رَاحُوا فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ عَهَدْتَ ؟ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَجْمَعْتُ بَدْرَ مَقَاتِلِي لَكُمْ أَنْ أُولَى رَجُلًا أَمْرَكُمْ أَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ عَلَى الْحَقِّ — وَأَشَارَ

(١) في بنس الأصول : « بن » مكان « من » . وهو تحريف . وروى عن الحسن البصري يونس بن أبي إسحاق ويونس بن أبي الفرات ؛ كما يروى عنه من أصحابه يونس بن عبيد ، وقد يكون هو الذي هنا . (انظر الطبري) .

(٢) في بنس الأصول : « قال » .

إلى عليٍّ - ثم رأيتُ أن لا أتحمّلها حتّى وميتاً ، فليكن بهؤلاء الرّهط الذين
قال فيهم النبيّ صلى الله عليه وسلم . إنهم من أهل الجنة ، منهم سعيد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل ، ولست مُدخِلَه فيهم ، ولكن السّنة : عليٌّ وعثمان ، أبنا
عبد مناف ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والزبير ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمّته ، وطلحة الخير ، ٥
فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا وُلّوكم والياً فأحسِنُوا مُؤازرته . فقال العباس لميٍّ :
لا تدخُلْ معهم . قال : أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تكره . فلما
أصبحُ حُضرُ دُعا عليّاً وعثمان وسعداً والزبير وعبد الرحمن ، ثم قال : إني نظرتُ
فوجدتُكم رؤساء الناس وقادّتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وإني
١٠ لا أخاف الناسَ عليكم ، ولكنّي أخافكم على الناس ، وقد قبضَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض ، فأجتمعوا إلى حُجرة عائشة يأخذنها ،
فتشارروا واختاروا منكم رجلاً ، وليُصلِّ بالناس صُهيّب ثلاثة أيّام ، ولا يأتي
اليومَ الرابع إلا وعليكم أمرٌ منكم ، ويحضركم عبدُ الله مُشيراً ، ولا شيء له من
الأمر ، وطلحةٌ شريككم في الأمر ، فإن قَدِمَ في الأيام الثلاثة ^(١) فأحضره أمركم ،
١٥ وإن مَضَتِ الأيام الثلاثة قبل قُدومه فأمضوا أمركم ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد :
أنا لك به إن شاء الله . ثم قال لأبي طلحة الأنصاري ^(٢) : يا أبا طلحة ، إن الله قد
أعزّ بكم الإسلام ، فاخترتُ من رجلاً من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرّهط
حتى يختاروا رجلاً منهم . وقال للقداد بن الأسود الكِنديّ : إذا وضعتوني
في حُفرتي فأجمع هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلاً منهم . وقال لمُهيّب : صلِّ
٢٠ بالناس ثلاثة أيّام ، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن وطلحة ، إن

(١) في معنى الأصول : « في الثلاثة أيّام » .

(٢) هو أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، كان من فضلاء الصحابة . مات سنة

أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . (انظر الاستيعاب) .

- حضر ، [بيت عائشة] وأحضر عبد الله بن عمر ، وليس له في الأمر شيء ، وتم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اجتمع أربعة فرضوا وأبى الأثنان فأضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا يعبد الله فكنوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ، إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا . فقال على لقوم معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومكم فلن يؤثروكم أبدا وتلقاه العباس فقال له : عدلت عنا . قال له : وما أعلمك ؟ قال : قرن بى عثمان ، ثم قال : إن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة^(١) رجلا فكنوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، [فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن حور عثمان ، لا يختلفون] ، فلو كان الآخرون معى ما تفانى . ١٠
- فقال العباس : لم أذعنك فى شيء إلا رجيت إلى مستأخرا بما أكره ، أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن تسأله فيمن] هذا الأمر فأبيت ، وأشرت عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تماجل الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين مماتك عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت ، فاحفظ عني واحدة : كل ما عرض عليك القوم فأمسك إلى ١٥ أن يوتوك ، واحذر هذا الرهط فلأنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به^(٢) غيرنا . فلما مات مر وأخرجت جنازته تصدنى على عثمان أبهما يصلى عليه . فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الأمر ، لستما من هذا فى شيء ، هذا صهيبي ، أستخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام . فصلى عليه صهيبي . فلما دفن عمر جمع للقداد بن الأسود ٢٠ أهل الشورى فى بيت عائشة بأذنهما وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب ،

(١) فى بنى الأنول : « رجلا ... ورجلا » يمكن : « ثلاثة وثلاثة » .

(٢) فى بنى الأسول : « فيه » .

وأمرنا أبا أطلحة^(١) فجيهم . وجاء عمرو بن الماص والتهيرة بن شعبة فجلسا
بالباب ، فخصهما سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولاً : حضرنا وكنتا
في [أهل] الشورى ! فتنافس القوم في الأمر ، وكثر بينهم الكلام ، كل يرى
أنه أحق بالأمر . فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدفوها أخوف مني
لأن تنافسوها^(٢) ، لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة
التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها
نفسه ويتقلدها على أن يؤتيا أنضلكم ؟ فلم يجبه أحد . قال : فانا أنخلع منها .
قال عثان : أنا أول من رضى ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الأرض . فقال القوم : رضينا ،
وعلى ما سكت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : إن أعطيني مؤثقا
لتؤتوا الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تحصى ذارحم ، ولا تألو الأمة نصحا .
قال : أعطوني موافقتكم على أن تكونوا معي على من نكل ، وأن ترضوا بما
أخذت لكم . فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن . فخلا بعل ،
فقال : إنك أحق بالأمر لقرباك وسابقتك وحسن أثرك ، ولم تبعد ، فن أحق
بها بمدك من هؤلاء ؟ قال : عثان^(٣) . ثم خلا بعثان فسأله عن مثل ذلك . قال :
على . ثم خلا بسعد ، فقال : عثان^(٤) ، ثم خلا بالزبير . فقال : عثان^(٥) .

(١) كذا في الطبري . وفي الأصول : « أبا فروة » .

(٢) في بعض الأصول : « لا تنافسوا فإن أخاف أن تنافسوها » مكان قوله « أنا

كنت ... تنافسوها » . (٣) في بعض الأصول : « على » .

(٤) في بعض الأصول : « على » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبري .

(٥) زيد في بعض الأصول بدو قوله عثان ما يأتي : « قتال عمار بن ياسر لبني عبد الرحمن : إن

أردت أن لا يختلف عليك اثنين قول عليا . وقال ابن أبي سرح : إن أردت أن

لا يختلف عليك فرحى قول عثان . وقال عبد الرحمن : والله ما خلت نفسي وأنا

أرى فيه خيرا ؟ لأنى علمت أنه لا على بداي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره .

فلما أحدث عثان ما أحببت من تولية الأحداث من أهل بيته وتقديم قرابته ، قيل

لبني عبد الرحمن : هذا كله فلك ، قال : لم أظن هذا به ، ولكن الله على أن أكله

أبنا . فلما أحدث عبد الرحمن وهو مهاجر لميثان ، ودخل عليه عثان عائدا فقصول عنه

إلى الحائط ولم يكلمه . ثم اضطربت في سرد الحديث على غير ما أثبتنا فقدمت وأخرت .

أبو الحسن قال : لما خاف عليّ بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف والأثير وسعدا أن يكونوا مع عثمان لقي سعدا وسعه الحسنُ والحسين ، فقال له : (اتقوا الله الذي تسألون به والأزحام إن الله كان عليكم رقيباً) . أسألك بَرَحَ أبيّ هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَرَحَ عني حزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا عليّ لثُمان ، فإني أدل إليك بما لا يُدلى به عثمان .
ثم دار عبدُ الرحمن لياليه تلك على مشايخ قُرَيش يُشارهم ، فكلمهم يُشير بثمان ، حتى إذا كان في الليلة التي استكمل في صبيحتها الأجل أتى منزلَ للسور بن خُمره بمد هَجْعة من الليل فأيقظته ، فقال : ألا أراك [إلا] ناعما ولم أدق في هذه الليالي نوما ، فأطلق قُادعُ لي الأثير وسعدا ، فدعا بهما . فبدأ بالأثير في مؤخر المسجد ، فقال [له] : خلّ بني عبد مناف لهذا الأمر . فقال : نسيب لي لعلّي . فقال
لسعد : أنا وأنت كالألة فاجعل نصيبك لي فأختار . قال : أما إن اخترت نفسك فتم ، وأما إن اخترت عثمان فعلى أحبّ إليّ منه . قال : يا أبا إسحاق ، إني قد خلمت نفسي منها على أن أختار ، ولو لم أفضل وجُعل لي الخيار ما أردتها ، إني رأيتُ كافي في روضة خضراء كثيرة العُشب ، فدخل فعلم لم أر مثله فغلا أكرم منه ، فزكاه مَهَم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها ، ودخل بغير يتلوه فأتبع أثره حتى خرج إليه من الروضة ، ثم دخل غلّ عبقري يجر خطامه يلتفت يميناً وشمالاً ويحصى قصَدَ الأولين ، ثم خرج من الروضة ، ثم دخل بغير راجع فرتع في الروضة ، ولا والله لا أكون البعير الرابع ، ولا يقوم بمد أبي بكر ومُحر أحد فيرضى الناسُ عنه . ثم أرسل للسور إلى عليّ ، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر . ثم أرسل للسور إلى عثمان فواجه طويلا حتى فرّق بينهما أذان الصبح . فلما صلّوا الصبحُ جمع إليهِ الرهطَ وبعث إلى من حصره من المهاجرين والأنصار ، وإلى أسراء الأجناد ، حتى أرتح المسجد بأهله

قال : أيها الناس ، إنَّ الناس قد أحثُّوا أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم . فقال عمار بن ياسر : إنَّ أردت أن لا يختلف للسلوك فبايع علياً . قال القنَادُ بن الأسود : صدق عمار ، إن بايعت علياً قلنا : سمعنا وأطعنا . قال ابن أبي سَرْج : إنَّ أردت أن لا يختلف قريش فبايع عُثْمَانَ ،

٥ إن بايعت عُثْمَانَ سمعنا وأطعنا . فَنَشَمَّ عمارُ ابن أبي سَرْج ، وقال : متى كنتَ تنصح للسلين ! ففكلم بنو هاشم وبنو أمية . فقال عمار : أيها الناس ، إن الله أكرمنا بنبيِّنا وأعرَّنا بدينه ، فأني تَصْرِفون هذا الأمرَ عن بيت نبيِّكم ! فقال له رجلٌ من بني مخزوم : لقد عدوت طُورَكَ يا ابنُ سُمَيَّة ، وما أنت وتأميرُ قريش لأفسها . فقال سعدُ بن أبي وقَّاص : يا عبد الرحمن ، أفرغ قبل أن يفتن الناسُ . [فقال عبد الرحمن : إني قد نظرت وشاورت] ، فلا تجعلُ أيها الرجلُ

١٠ على أنفسكم سبيلاً . ودعا علياً فقال : عليك عهدُ الله وميثاقه لئلا تملنَّ بكتاب الله وسنة نبيِّه وسيرة الخليفَتين من بعده ؟ قال : أعمل بمبلغ عليٍّ وطاقي . ثم دعا عُثْمَانَ ، فقال : عليك عهدُ الله وميثاقه لئلا تملنَّ بكتاب الله وسنة نبيِّه وسيرة الخليفَتين من بعده ؟ قال : نعم ، فبايعه . فقال عليٌّ : حيَّوْته مُحَابَاةً ،

١٥ ليس ذا بأول يوم تظلمهم فيه علينا ، أما والله ما وليت عُثْمَانَ إلا ليرة الأمر إليك ، والله كلُّ يومٍ هو في شأن . فقال عبدُ الرحمن : يا عليٌّ ، لا تجعل على نفسك سبيلاً ، فأني قد نظرتُ وشاورتُ الناسَ فإذا هم لا يُقْدِلون بِعُثْمَانَ أحداً . فخرج عليٌّ وهو يقول : سيبُلُغُ السَّكَنابُ أَجَلَهُ . فقال القنَادُ : يا عبد الرحمن ،

أما والله لقد تركته من الذين يَفْضُونَ بالحقِّ وبه يَتَدَلُّون . فقال : يا مقداد ، والله لقد اجتهدتُ للسلين . قال : لئن كنتَ أردتَ بذلك الله فأنا بك الله

٢٥ نوابِ المحسنين . ثم قال : ما رأيتُ مثلاً ما أوتى أهلُ هذا البيت بعد نبيِّهم ، [إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إنَّ أحداً أعلمُ منه ، ولا أخصى

بالعدل ، ولا أعرفَ بالحق ، أما والله لو أجد أعوانا ! قال له عبدُ الرحمن :
يا مقداد ، اتقِ الله فإني أخشى عليك الفتننة .

قال : وقدم طلحة في اليوم الذي بُيع فيه عثمان ، فقيل له : إنَّ الناسَ
قد بايعوا عثمان . فقال : أكلُّ قُرَيْشٍ رضوا به ؟ قالوا : نعم . وأنى عثمانُ ،
فقال له عثمانُ : أنت على رأس أمرِك . قال طلحةُ : فإنَّ أبيتُ أنرُدَّها ؟ قال :
نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : قد رضيتُ ، لا أُرغب
عما اجتمعت الناسُ عليه ، وبإيase .

وقال الثُّغيرة بن شُعبة لعبد الرحمن : يا أباعمد ، قد أصبحتَ ذا بَيْتَ عثمان
ولو بايستَ غيره ما رضينا . قال : كذبتُ يا أهور ، لو بايستَ غيره لبايستته
وقلت هذه المقالة .

١٠

وقال عبدُ الله بن عباس : ما شئتُ عمرَ بن الخطاب يوماً فقال لي :
يا ابن عباس ، ما يمنع قومك منكم وأنتم أهلُ البيت خاصة ؟ قلت : لا أدرى .
قال : اسكني أدرى ، إنكم فضلتُموم بالقوة ، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة
لم يُبقوا لنا شيئاً ، وإن أفضلَ الذَّصِيبين بأيديكم ، بل ما إخللنا إلا بمُجتمعة لكم
وإن نزلت على رغم أنف قريش .

١٥

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجَلَّة
من أصحاب محمد ، قيل لعبد الرحمن : هذا عملك ، قال : ما ظننتُ هذا ، ثم مضى
ودخل عليه وعاتبه ، وقال : إنما قدَّمْتُك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ،
غافلتكما وحايبتَ أهل بيتك وأوطأتهم رقابَ للمسلمين . قال : إنَّ عمر كان
يَقطع قرايتي في الله وأنا أصِل قرايتي في الله . قال عبدُ الرحمن : لله على أن
لا أكلك أبداً ، فلم يُكَلِّمه أبداً حتى مات ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه ،
فتمحَّل عنه إلى الحائط ولم يُكَلِّمه .

٢٠

ذكروا أنَّ زيادا أوفد ابن حُصَيْن^(١) على معاوية ، فأقام عنده ما أقام ، ثم إنَّ معاويةَ بثَّ إليه ليلا ، غلابه ، فقال له : يا ابن حُصَيْن ، قد بلغتُ أنَّ عندك ذهنا وصقلا ، فأخبرني عن شيء أسألك عنه . قال : سئلتُ عما بدا لك . قال : أخبرني ما الذي شئتُ أمرَ المسلمين وفرَّقَ أهواءهم^(٢) وخالفَ بينهم ؟ قال : نعم ، قَتَلَ الناسَ عِثَانَ . قال : ما صنعتَ شيئا . قال : فسيرُ علىَّ إليك وقتلَهُ إليك . قال : ما صنعتَ شيئا . قال : فسيرُ طلحةَ والزُّبيرَ وعائشةَ وقتلَهُ علىَّ إِيَّاهم . قال : ما صنعتَ شيئا . قال : ما عندي غيرُ هذا يا أميرَ المؤمنين . قال : فأنا أخبرُكَ ، إنه لم يُشَقَّتْ بينَ المسلمين ولا فرَّقَ أهواءهم [ولا خالفَ بينهم] إلا الشورى التي جعلها عمرُ إلى سُنَّة نَفَر ، وذلك أنَّ اللهَ بثَّ محمدا بالهدى ودينَ الحقِّ ليُظهره على الدين كله ولو كرهَ المشركون ، فَعَمِلَ بما أمره الله به ، ثم قَبِضَهُ اللهُ إليه ، وقَدَّمَ أبابكرَ للصلاة ، فوضَّوه لأمرِ دُنْيَاهم إذ رَضِيَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ، فَعَمِلَ بِسُنَّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وسارَ بِسِرِّهِ ، حتى قَبِضَهُ اللهُ ، وأستخلفَ عمرَ ، فعملَ بِمِثْلِ سِيرَتِهِ ، ثم جعلها شورى بين سَنَةِ نَفَر ، فلم يكن رجلا منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومُه ، وتطلَّمتْ إلى ذلك نفسُه . ولو أنَّ عمرَ أَسْتَخْلَفَ عليهم كما أَسْتَخْلَفَ أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف .

١٥ وقال المُعَوِّذُ بنُ شُعْبَةَ : إني لَمُنْدَعِرُ بنَ الخطَّابِ ، ليس عنده أحدٌ غيري ، إذا أتاه أت فقال : هل لك يا أميرَ المؤمنين في نَفَرٍ من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، يزعمون أنَّ الذي فعل أبو بكر في نفسه وفيك لم يكن له ، وأنه كان بنيرَ مشورة ولا مؤامرة ، وقالوا : تماهوا نتماهوا أن لا نمود إلى مثلها . قال عمر : وأين هم ؟ قال : في دارِ طَلْحَةَ . فخرجَ نحوهم وخرجتُ معه ، وما أعلمه يُبَصِّرُنِي من شِدَّةِ الغضب ، فلما رأوا ه كرهوه وظنُّوا الذي جاء له . فوقفَ عليهم ، وقال : أتمُّ القاتلون ما قُتِلَتم ؟ والله لن^(٣) تتحابوا حتى يتحاب الأربعة : الإنسان والشيطان

٢٥٩
٧

(١) هو عمران بن حصين .

(٢) في بعض الأصول : « وعلام » مكنن « وفرق أهواءهم » .

(٣) في بعض الأصول : « لا » .

- يُنبوه وهو يلمنه ، والنار والساء يطفئها وهي تحرقه ، ولم يَأْنِ لَكُمْ بَدْ ، وقد
 أَنَّ مِمَادُكُمْ مِمَادُ السَّيْنِ^(١) متى هو خارج . قال : ففتزقوا فسلك كل واحد
 منهم طريقا . قَالَ الْمُنِيرَةُ : [ثُمَّ] قَالَ لِي : أَذْرِكُ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأُحْبِسَهُ عَلَيَّ .
 قُلْتُ : لَا يَفْصِلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مُنِيرٌ^(٢) . فَقَالَ : أَذْرِكُهُ وَإِلَّا قُلْتُ
 لَكَ يَا بِنْتَ الدَّبَّاعَةِ . قَالَ : فَأَذْرَكْتُهُ ، قُلْتُ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ لِإِمَامِكَ وَأَحْلُمْ
 فَإِنَّهُ سُلْطَانٌ وَسَيَنْدُمُ وَتَنْدُمُ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عَمْرٌ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ هَذَا الْأَمْرُ
 إِلَّا مِنْ قَمِيَّتِي بِكَ . قَالَ عَلِيٌّ : أَتَقِي أَنْ لَا^(٣) تَكُونَ الْقِيَّ نَطْلِعُكَ فَتَفْتَنُكَ . قَالَ :
 وَنَحْبُ أَنْ تَكُونَ هُوَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُكَ الْقِيَّ نَسِيَتْ . فَالْتَفَتَ إِلَى
 عَمْرٍ فَقَالَ : أَنْصَرَفَ ، قَدْ صَحَّ مَتَا عِنْدَ النَّصَبِ مَا كَفَاكَ . فَتَنَحَّيْتُ قَرِيبًا ،
 وَمَا وَقَعْتُ إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ فَأَكُونَ قَرِيبًا ، فَتَكَلَّمَا كَلَامًا غَيْرَ
 غَضْبَانِينَ وَلَا رَاضِيَيْنِ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا يَضْحَكَانِ وَتَفَرَّقَا . وَجَاءَنِي عَمْرٌ ، فَخَشَيْتُ
 مِنْهُ وَقُلْتُ : يَنْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَغَضِبْتَ ؟ قَالَ : فَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا
 دُعَاؤُهُ فِيهِ مَا شَكَكْتُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَإِنْ نَزَلْتُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ قَرِيشٍ .
- الْمُنْعَى عَنْ أَبِيهِ : إِنْ عُتِبَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي دَارِ
 كُنْدَةَ ، إِذَا أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمَعْدُ ، بَنُو عَلِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ ، قُلْتُ :
 ١٥ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا ، وَلَيْسَ مِثْلُهُمْ كَلْبٌ ، وَمِنْ
 يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَاهُمْ كَانَ يَعْلَمُ . فَقَالَ : إِلَيْكَ مِنْ صَوْتِكَ ، قَدْ قَرُبَ الْقَوْمُ ، فَإِذَا
 قَامُوا فَذَكِّرْنِي بِالْحَدِيثِ ، فَلَمَّا قَامُوا قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ
 مِنَ الْحَدِيثِ ؟ قَالَ : كُلُّ الْقَوْمِ كَانَ يَعْلَمُ وَكَانَ أَبُوهُمْ مِنْ أَعْلَاهُمْ . ثُمَّ قَالَ :
 قَدِمْتُ عَلَى عَمْرٍ بِنْتُ الْخَطَّابِ ، فَأَتَى عِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ
 ٢٠ وَسَعْدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَمِنْ يَتَدَاخِلُونَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « لِلسَّيْحِ » بِالْمَاءِ الْمُهْمَلَةِ .

(٢) مِنْدُ : غَضْبَانٍ . وَفِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « فَوَاللَّهِ مَا غَدَدْتُ أَقْبَسَهُمْ » .

(٣) أَيْ لَيْلَا تَكُونَ .

وَيَضْحَكُونَ ، فلما رآهم عُرِ نَكَّسَ ، فطُفوا أَنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ ، فقاموا كما دخلوا .
فلما قاموا أَتَبَهُمْ بِصَرَّةٍ ، فقال : فِتْنَةٌ ^(١) ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وقد كَفَانِي اللَّهُ
شَرَّهُمْ . قال : ولم يكن عَرَبًا لَجِل يُسَالُّ عَمَّا لَا يُفَسِّرُ . فلما خَرَجْتُ جِلْتُ
طَرِيقِي عَلَى عِمَّانَ فَخَذَّتْهُ الْحَدِيثَ وَسَأَلَتْهُ السَّيْرَ . قال : نَمَ ، عَلَى شَرِيطَةٍ .
قلت : هِيَ لَكَ . قال : تَسْمَعُ مَا أَخْبَرُكَ بِهِ وَتَسْكُتُ إِذَا سَكَتُ . قلت : نَمَ .
قال : سِتَّةٌ يُقَدِّحُ بِهِمْ زَنَادَ الْفِتْنَةِ يَجْرِي الدَّمُ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعَةٍ . قال : ثُمَّ سَكَتَ .
وخرَجْتُ إِلَى الشَّامِ ، فلما قَدِمْتُ عَلَى عَمْرٍو خَذْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا حَدَّثَ ، فلما
مَضَى الشُّوْرَى ، ذَكَرْتُ الْحَدِيثَ ، فَأَتَيْتُ بَيْتَ عِمَّانَ وَهُوَ جَالِسٌ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ،
فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَذَكَّرَ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي ؟ قال : فَأَزَمَ عَلَى الْقَضِيبِ
عَصًا ، ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ وَقَدْ أَثَّرَ فِيهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا مَعَاوِيَةَ ، أَيُّ شَيْءٍ ذَكَرْتَنِي ؟
لَوْلَا أَنِّي يَقُولُ النَّاسُ خَافَ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَيْهِ لَخَرَجْتُ إِلَى النَّاسِ مِنْهَا . قال :
فَأَبَى تَضَاهُ اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَى .

٢٦٠
١٠

وَمِمَّا تَقَمُّ النَّاسُ عَلَى عِمَّانَ أَنَّهُ آوَى طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ، وَلَمْ يُؤْوَهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَسَيَّرَ
أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرُّبَّةِ ، وَسَيَّرَ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ بْنُ أَسِيدٍ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَتَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَهْزُورٍ — مَوْضِعُ مَوْقِ الدِّينَةِ — عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَتَطْعَمُوا الْحَارِثَ بْنَ
الْحَكَمِ ، أَخَا مَرْوَانَ ، وَأَقْطَعَ فَلَنَكَ ^(٢) مَرْوَانَ ، وَهِيَ مِصْدَقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَافْتَتَحَ إِفْرِيقِيَةَ ، وَأَخَذَ نَحْمَةَ نَوَهْبِهِ لِمَرْوَانَ . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
حَنْبَلٍ ^(٣) الْجَمْحِيُّ :

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِتْنَةٌ » .

(٢) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ (رَجُمَ ١ ص ٢١٦) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « جَمَل » . وَمَا أَتَيْنَا عَنْ سَائِرِ الْأَصُولِ وَالْمَآرِفِ وَالطَّبَرِيِّ .

فَأَخْلِفُ بِاللَّهِ رَبَّ الْأَنَا مَا كَتَبَ^(١) اللَّهُ شَيْئاً سُدَى
وَلَكِنْ خُلِقْتُ لَنَا فِتْنَةً لِكَيْ تُبَيَّنَ بِكَ أَوْ تُبَيَّنَ
فَإِنَّ الْأَمِيَّتَيْنِ عَدَّيْنَا مَتَاراً لِحَقِّ عَلَيْهِ الْهُدَى
فَمَا أَخْذَا دِرْهَمًا غِيَةً وَمَا تَرَكََا دِرْهَمًا فِي هَوَى
وَأَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خُمْسَ الْعِبَا دِهْمَاتِ شَاوِكَ مِمَّنْ شَأَى^(٢) •

نسب عثمان وصفته

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
أمه أروى بنت كُرُز بن زُبَيْمَة بن حَبِيب بن عبد شمس . وأما البيضاء بنت
عبد المطلب بن هاشم ، عمه النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عثمان أبيض مشرباً
صُفْرَةً ، كأنها فضة وذهب ، حسن القامة ، حسن الساعدين ، سبط الشعر ،
أصلع الرأس ، أجمل الناس إذا أَعْمَى ، مُشْرِف الأنف ، عَظِيم الأُذُنِيَّة ، كثير
شعر الساقين والفرعاعين ، ضَخَم الكراديس ، بعيد ما بين اللُكْبَيْن . ولما
أَسَنَّ شَدَّ أَسْنَانَهُ بِالْقَدِّهِبِ ، وَسَلَسَ بَوَؤُهُ ، فَكَانَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ . وَلِىَ
الْخِلَافَةَ مُتَسَلِّخَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَقُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ عِيدِ
الْأَحْيَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَنُ :

صَحَّوْا بِأَشْمَطِ هُنُوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^(٣)
لِنَسَمٍ وَشَيْكَأً فِي دِيَارِمِ^(٤) اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ
فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَتَقَى عَشْرَةَ سَنَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا . وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ
سَنَةً . وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ — وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ صَاحِبَ شَرْطَةٍ — عَبِيدُ اللَّهِ

(١) في بعض الأصول : « ما ترك » .

(٢) في بعض الأصول : « تشاء » .

(٣) هذا البيت ليس من أبيات الديوان .

(٤) في الديوان : « في دياركم » .

ابن مُنفذ^(١) . وطلّى بيت المال ، عبد^(٢) الله بن أرقم ، ثم أستغفاه . وكاتبه : مروان . وحاجبه : سُحران ، مولاه .

فضائل عثمان

سالم^(٣) بن عبد الله عن عبد الله بن عمر ، قال : أصاب الناس جماعة في غزوة تبوك ، فأشترى عثمان طاماً على ما يصلح المسكر ، وجزّ به غيراً . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى سواد مقبل ، فقال : هذا جمل أشقر قد جاءكم بميرة^(٤) . فأنبخت الزكّاء ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء وقال : اللهم إني قد رضيتُ من عثمان فارضَ عنه . وكان عثمان حليماً سعيّاً مُحِبّاً إلى قريش ، حتى كان يقال : « أحبك والرحمن ، حبّ قُريش عثمان » . وزوّجه النبي صلى الله عليه وسلم رُقَيّة أُنبتة ، فأتت عنده ، فزوّجه أمّ كلثوم أُنبتة أيضاً .

الزهري عن سعيد بن السُّبَيْب^(٥) ، قال : لما ماتت رُقَيّة جَزَعَ عثمان عليها ، وقال : يا رسول الله ، انقطع صِهْرِي منك . قال : إنَّ صِهْرَكَ مَعِيَ لَا يَنْقَطِعُ ، وقد أسرّني جبريلُ أن أزوجه أختها بأمر الله .

عبد الله بن عباس قال : سمعتُ عثمان بن عفان يقول : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، فرآني ضجيجاً^(٦) لَأُمِّ كلثوم ، فاستمِر^(٧) . فقلت : والذى بيمينك بالحق ما أضطجعتُ عليه^(٨) أننى بدها . فقال : ليس لهذا

(١) الذي في الاعتناق لابن دريد : « فنقد بن حمير بن جهمان » .

(٢) في بعض الأصول : « سيد » .

(٣) في بعض الأصول : « بنجر » .

(٤) للسبب ، كحدث ، بصفة اسم الفاعل ، ويخرج .

(٥) في بعض الأصول : « ضججاً » .

(٦) في بعض الأصول : « فاستمر » .

(٧) عليه ، أي على فراش رُقَيّة . وفي بعض الأصول : « ما أضطجت على » .

استمرت^(١)، فإن الثياب للحي وللميت الحجر، ولو كن يا عثمان عشراً
لزوجنكم واحدة بعد واحدة.

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فأبى منها، فشكا عمر
إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: سيزوج الله أبنتك خيراً من عثمان،
ويزوج عثمان خيراً من أبنتك. فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة،
وزوج أبنته من عثمان بن عفان.

[ومن حديث الشعبي أن النبي عليه السلام] دخل عليه عثمان، فسوى
ثوبه عليه وقال: كيف لا أستحي ممن تستحي منه لللائكة!

مقتل عثمان بن عفان

الرائي عن الأعمى قال: كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر
عثمان أربعة: عبد الرحمن بن عديس التتوخي، وحكيم بن جبلة التبتدي،
والأشتر التتخي، وصيد الله بن فديك الخزاعي. فقدموا المدينة فحاصروه،
وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار، حتى دخلوا عليه فقتلوه ولصحف
بين يديه. ثم تقدموا إليه وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر، وأرادوا أن يقطعوا
رأسه ويذهبوا به، فرمت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة، وابنة شيبه بن
ربيعة^(٢)، فتركوه وخرجوا. فلما كان ليلة السبت أُنْتُدب لدفعه رجال، منهم: جبير
ابن مطعم، وحكيم بن حزام، وأبو الجهم^(٣) بن حذيفة، وصيد الله بن الأشير،
فوضوه على ياب صئير، وخرجوا به إلى البقيع، ومعهم نائلة بنت الفرافصة
بيدها السراج. فلما بلغوا به البقيع منّهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة،

(١) في بني الأصول: «استمرت».

(٢) حم رمة بنت شيبه بن ربيعة. وفي بني الأصول: «عليه» تعريف. (انظر
الطبري والطبقات).

(٣) في الإساءة والطبقات والطبري: «وأبو جهم».

فردوه إلى حُصْن كوكب^(١)، فدفنوه فيه، وصلى عليه جُبَيْر بن مُطْعِم، ويقال: حَكِيم بن حِزَام. ودخلت القبرَ نائلة بنت الفرافصة، وأم البتين بنت عيينة^(٢)، وزوجاه، وها دلتاه في القبر.

والحُصْن: البستان. وكان حُصْن كوكب، اشتراه عثان، فجعله أولاده

• مقبرة للمسلمين.

يعقوب بن عبد الرحمن: من محمد بن عيسى القُشَاشِي عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزُهري قال: قلت لسميد بن اللُسَبِي: هل أنت نخعري كيف قُتل عثان؟ وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: قُتل عثان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان مذموراً. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن عثان لما ولى كَرِه ولايته نقر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن عثان كان يُحب قومه، فولى الناس أثنى عشرة سنة، وكان كثيراً ما يولى بنى أمية، ممن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صُحبة، وكان يجرى من أمرائه ما يُنكره^(٣) أصحاب محمد، فكان يُستمتب فيهم فلا يعزلم. فلما كان في الحجج الآخرة^(٤) استأثر ببنى عمه فوَلَّاهم وأمرهم بقتول الله، فخرجوا. وولى عبد الله بن أبي سرح مصر، فسكت عليها سنيين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه. ومن قبل ذلك كانت من عثان هَنَاءة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذرٍّ وعمار بن ياسر. فكانت هُذَيْل وبنو زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود. وكانت بنو غِفَار وأحلافها ومن غَضِب لأبي ذرٍّ في قلوبهم ما فيها. وكانت بنو تَحْزُوم قد خَفِفت على عثان بما نال^(٥) عمار بن

٢٠ (١) كوكب، ألقى أضيق إليه «حش» اسم رجل من الأضرار. وحسن كوكب: عند قبيح القرد، اشتراه عثان بن حطان وزاده في البقيع. (انظر مجمل البلدان).

(٢) في الأصول: «حبة».

(٣) في بنى الأصول: «ما يكره».

(٤) في بنى الأصول: «الباقية».

(٥) في بنى الأصول: «بمال» مكن «بما نال».

- ياسر . وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتاباً ينهذه ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه ، وضرب رجلاً من أتى عثمان ، قتله . فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجد ، وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : قد تقدّم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزّل هذا الرجل فأبيت أن تمرّه ، فهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك . ودخل عليه عليّ ، وكان متكلّم القوم ، فقال : إنما سألوك رجلاً بكان رجل ، وقد أدعوا قبله دماً ، فأعزله عنهم ، وأنص ينهم ، وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه . فقال لهم : أختاروا رجلاً أولّه عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر . فقالوا : أستمع علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده وولّاه ، وأخرج معهم عهده من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح . فخرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بـغلام أسود على بئر يحيط الأرض خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يطلب . فقال له أصحاب محمد : ما قستك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب . فقال : أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر . فقالوا : هذا عامل مصر معنا . قال : ليس هذا أريد . وأخير بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه ، فأتى به ، فقال له : غلام من أنت ؟ قال : فأقبل مرّة يقول : غلام أمير المؤمنين ، ومرة : غلام مروان ، حتى عرفه رجل منهم أنه لعنان . فقال له محمد : إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر . قال : بماذا ؟ قال : برسالة . قال : معك كتاب ؟ قال : لا . ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا إداوة قد بيست فيها شيء يتقلقل ، فخرّكه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح . فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم شك

الكتاب بمحض منهم ، فإذا فيه : إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحمل بقتلهم ، وأبطل كتابهم ، وقرء على عمك حتى يأتيك رأيي ، وأحتبس من جاء ينظلم منك ليأتيك في ذلك رأيي إن شاء الله . فلما قرءوا الكتاب فزعوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة ، وحتم محمد الكتاب بخواتم التوم الذين أرسلوا معه ، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فكوا الكتاب بسحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام ، وأخبرهم الكتاب . فلم يبق أحد في المدينة إلا حقيق على عثمان ، وأزداد من كان منهم غاضبا لأبن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر غضبا وحققا ، وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلمحقوا منازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو متم بما قرءوا في الكتاب . وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بن تميم وغيرهم ، وأعانهم طلحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرضه ^(١) كثيرا . فلما رأى ذلك على بث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يذرى ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبير ، وقال له على : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . والبير بميرك ؟ قال : نعم . والخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . قالت كعبت الكتاب ؟ قال : لا ، وخلف بالله : ما كعبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام إلى مصر قط . وأما الخط ففروا أنه خط مروان ، وشكوا في أمر عثمان وسأله أن يدفع إليهم مروان ، فأبى . وكان مروان عنده في البار . ففرج أصحاب محمد من عنده فضايا ، وشكوا في أمر عثمان ، وعلموا أنه لا يتخلف باطلا ، إلا أن قوما قالوا : لا نبرئ عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان ، حتى نمتحنه ونترى أمر هذا الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بنير حق ! فإن يك عثمان كعبه عزله ، وإن يك مروان كعبه على لسانه نظرنا

(١) الترضي : المدح والثناء ، والمراد هنا الثاني .

- في أسره ، ولزموا بيوتهم . وأبى عُمَانُ أَنْ يُخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِرْوَانَ ، وَخَشِيَ عَلَيْهِ الْقَتْلَ .
وحاصرَ النَّاسُ عُمَانَ وَمَتَعُوهُ الْمَاءَ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : أَفَيْكُمْ عَلِيٌّ ؟ قَالُوا :
لا . قَالَ : أَفَيْكُمْ سَمْدٌ ؟ قَالُوا : لا . فَكَتَبَتْ ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَحَدٌ يُبَلِّغُ عَلِيًّا فَيَسْقِينَا
مَاءً ؟ فَبَلَّغَ ذَلِكَ عَلِيًّا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ قِرَابٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً ، فَمَا كَادَتْ تَصِلُ إِلَيْهِ ،
وَجُرِحَ بِسَبِيحِهَا عِدَّةٌ مِنْ مَوَالِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي أُمَيَّةٍ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ الْمَاءُ .
فَبَلَّغَ عَلِيًّا أَنَّ عُمَانَ يَرَادُ قَتْلَهُ ، قَالَ : إِنَّمَا أُرَدُّ مِنْهُ مِرْوَانُ ، فَأَمَّا قَتْلُ عُمَانَ فَلَا .
وَقَالَ لِحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ : أَذْهَبَا بِسَيْفَيْكُمَا حَتَّى تَقُومَا عَلَى بَابِ عُمَانَ فَلَا تَدْعَا
أَحَدًا يَعْمَلُ إِلَيْهِ بِمَكْرِهِ . وَبَعَثَ الزُّبَيْرُ وَلَدَهُ ، وَبَعَثَ طَلْحَةُ وَلَدَهُ عَلَى كُرْهِهِ مِنْهُ .
وَبَعَثَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ لِيَمْنُوا النَّاسُ أَنَّ
يَدْخُلُوا عَلَى عُمَانَ ، وَسَأَلُوهُ إِخْرَاجَ مِرْوَانَ . وَرَمَى النَّاسُ عُمَانَ بِالسَّهَامِ حَتَّى
خُصِبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِالْهَمَاءِ عَلَى بَابِهِ ، وَأَصَابَ مِرْوَانَ سَهْمٌ فِي الْبَارِ ، وَخُصِبَ
عُمَدُ بْنُ طَلْحَةَ ، وَشُجَّ فَنُفِرَ ، مَوَلَى عَلِيٍّ . وَخَشِيَ عُمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنْ تَقْصِبَ
بَنُو هَاشِمٍ لِحَالِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَيُثِيرُ وَهْنَهَا ، فَأَخَذَ يَبْدِي رَجُلَيْنِ فَقَالَ لَهَا : إِذَا
جَاءَتْ بَنُو هَاشِمٍ فَأَرَاوُا الْهَمَاءَ عَلَى وَجْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ كُشِفَ النَّاسُ مِنْ
عُمَانَ وَيَطْلُ مَا تُرِيدُ ، وَلَكِنْ مَرُّوا بِنَا حَتَّى تَسْوَرَ عَلَيْهِ النَّارَ فَنَقْتَلَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ . فَتَسَوَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَصَاحِبَاهُ مِنْ دَارِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ .
وَيَقَالُ مِنْ دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ . وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَحْوَصِ :
لَا تَرْتَمِينَ لِحَزْمِي ظَلِمْتَ بِهِ طُورًا وَلَوْ طُرِحَ الْحَزْمِيُّ فِي النَّارِ ^(١)
النَّاسِحِينَ بِمِرْوَانَ بَدَى خُصْبٌ وَالْمُدْخِلِينَ عَلَى عُمَانَ فِي الْبَارِ ^(٢)

(١) انظر الأغاني (ج ١ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٢٣٨) طبعة دار الكتب فيين
الروايتين خلاف .

(٢) ذو خشب : دار على مسيرة ليلة من المدينة . والناسحين بمروان . يريد الطاردين لمروان
والمزججين له ؟ يقال : نخس بئلان ، إذا نخس حاجته من خلفه وطرده وسيره في البلاد .
يشير إلى قصة طرد مروان من ذي خشب بعد أن مضى إليها ونخس حرث رفاصة .

به حتى كاد يسقط عن ناقته . (انظر الأغاني ج ١ ص ٢٣ طبعة دار الكتب) .

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة ، وللمصحف في حجره ، ولا يعلم أحد ممن كان معه ، لأنهم كانوا على البيوت . فقدم إليه محمد وأخذ بلحيته ، فقال له عتيان : أرسل لحقي وابن أخي فلوراك أباك لساء مكانك . فتراخت يده من لحيته ، ونحز الرجلين فوجأه بمشاقص معهما حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وخرجت امرأته فقالت : إن أمير المؤمنين قد قُتل . فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عتيان متدبوحا ، فأكبوا عليه يبكون . وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عتيان فوجدوه مقتولا ، فأسترجعوا . وقال علي لأبنائه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأتيا على الباب ؟ ورضع يده فلطم الحسين ، وضرب صدر الحسن ، وشم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير . ثم خرج علي وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه . فلقبه طلحة فقال : مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال : عليك وعليهما لعنة الله ، يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ، ولم تقم بينة ولا حجة . فقال طلحة : لو دفع مروان لم يقتل . فقال : لو دفع مروان قُتل قبل أن تثبت عليه حجة . وخرج علي فأتى منزله . وجاءه القوم كلهم يهرعون إليه ، أصحاب محمد وغيرهم ، يقولون : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . فقال : ليس ذلك إلا لأهل بدر ، فن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا ، فقالوا : ما نرى أحدا أولى بها منك ، فمد يده فبأيده . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فكان أول من بايحه طلحة بلسانه ، وسعد بيده . فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فكان أول من صعد طلحة فبايحه بيده ، وكانت إصبعه شلاء ، فتطير منها علي ، وقال : ما أخلقه أن يتركك . ثم بايحه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ، ودعا الناس ، وطلب مروان فهرب منه .

وخرجت عائشة باكية تقول : قُتل عثمان مظلوما ! فقال لها عمار : أنتِ بالأمس تُحرضين عليه ، واليوم تَبْكِينَ عليه ! وجاء عليٌّ إلى امرأة عثمان ، فقال لها : من قَتَلَ عثمان ؟ قالت : لا أدري ، دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجوههما ، وكان معهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر . فدعا عليٌّ بمحمد ، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد : لم تكذب ، وقد والله دخلتُ عليه وأنا أريد قتله ، فذكر لي أبي ، قمتُ وأنا نائب ، والله ما قتلته ولا أمسكته . قالت امرأة عثمان : صدق ، ولكنه أدخلهما .

للمتعم من أبيه عن الحسن : إن محمد بن أبي بكر أخذ بلحية عثمان ، فقال له : يابن أخي ، لقد قدمتَ متى مقعداً ما كان أبوك ليقعده . وفي حديث آخر : إنه قال : يابن أخي ، لوراك أبوك لساء مكانك . فأسترخى يده ، وخرج ١٠ محمدٌ . فدخل عليه رجلٌ والصحف في حجره ، فقال له : بيني وبينك كتابُ الله ، فخرج وتركه . ثم دخل عليه آخر ، فقال : بيني وبينك كتابُ الله ، فأهوى إليه بالسيف ، فألقاه بيده ، فقطعهما . فقال : أما إنها أول يد خَطَّتْ ٢٦٦
٧ الفصل (١)

١٥ القواد الذين أقبلوا إلى عثمان

الأصمعي عن أبي عوانة قال : كان القواد الذين أقبلوا إلى عثمان : علقمة ابن عثمان ، وكنانة بن بشر ، وحكيم بن جبلة ، والأشقر النخعي ، وعبد الله ابن بُدَيْل .

وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعليٍّ : قُمْ معنا إلى هذا الرجل . قال : لا والله لا أقوم معكم . قالوا : فلم كتبتَ إلينا ؟ قال : والله ما كتبتُ ٢٠ إليكم كتاباً قط . قال : فنظر القوم بعضهم إلى بعض ، وخرج عليٌّ من المدينة .

الأعمش عن عيينة عن مسروق قال : قالت عائشة : «مُصْتَو» ^(١) مؤسس الإثاء حتى تركتموه كالنوب الرحيض ^(٢) نقياً من الدنس ، ثم عدوتم فقتلتهم ! فقال مزوان : قتلنا : هذا عمك ، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه . وقالت : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسواد في بياض ، حتى جلست في مجلسي هذا . فكأنوا يرون أنه كتب على لسان علي وعلى لسانها ، كما كتب أيضاً على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً لفتنه .

وقال أبو الحسن : أقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البجلي ، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة القبدي ، وأهل الكوفة عليهم الأشتر ١٠ — وأمه مالك بن الحارث التميمي — في أمر عثمان حتى قدموا المدينة .

قال أبو الحسن : لما قدم أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا : كتبت فينا كذا وكذا ؟ قال : إنما ما أفتان ، أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أملت ، ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل ، وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا : قد أحل الله دمك ، وحصروه في الدار . فأرسل عثمان إلى الأشتر ، فقال له : ١٥ ما يريد الناس مني ؟ قال : واحدة من ثلاث ليس عنها بُد . قال : ما هي ؟ قال : يُخبروك بين أن تخلع لهم أرمهم فتقول : هذا أرمكم قللوه من شتم ؛ وإما أن تنقص من نفسك ؛ فإن أبيت فالقوم فأتوك . قال : أما أن أخلع لهم أرمهم ، فما كنت لأخلع مراً لآسريني الله فتكون سنة من بدى ، كلما كره القوم ٢٠ إمامهم خللوه ؛ وأما أن أنقص من نفسي ، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين

(١) الواس : غسل لين ، والله باليد .

(٢) الرحيض : للفضول . وفي بعض الأصول : « الرحيض »

يدى قد كانا يأتان ، وما يقوى بدنى على القصاص ؛ وأما أن تقتلوني ، فلن تقتلوني لا تتعاطون بمدى أبداً ولا تُصلون بمدى جميعاً أبداً .

قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على التوى جميعاً ، وإن قلوبهم مختلفة .

وقال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان وقال : إنه لا يحل سفك دم امرئ

- مسلم إلا فى إحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحسان ، أو قتل نفس بغير نفس ، فهل أنا فى واحدة منهن ؟ فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم ، فنزل الجبل حتى همت أحجاره أن تتساقط ، فقال : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : شهدوا لى ورب الكعبة .

١٠

قال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان فقال : السلام عليكم ، فارذ أحدٌ عليه السلام . قال : أيها الناس ، إن وجدتم فى الحق أن تصنعوا رجلى فى القبر فضعوها . فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أستغفر الله إن كنت ظلمتُ ، وقد غفرتُ إن كنت ظلمت .

- ١٥ يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لى عليه سمّاً وطاعة أن يكف يده ويُلقي سلاحه . فألقى القوم أسلحتهم .

٢٦٧
٧ ابن أبى عروبة عن قتادة : إن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار ، فقال : إن هذه الأنصار بالباب وتقول : إن شئت كُنّا أنصار الله مرتين . قال : لا حاجة لى فى ذلك ، كُفُوا .

٢٠

ابن أبى عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع : إن عبد الله بن عمر لبس

دِرْزَعِه وَتَقْلَدُ سَيْفَهُ يَوْمَ الْهَارِ ، فَمَزَمَ عَلَيْهِ عُمَانُ أَنْ يَخْرُجَ وَيَضَعَ سِلَاحَهُ وَيَكْفُ يَدَهُ ، فَفَعَلَ .

محمد بن سيرين قال قال سَلَيْطُ : نهانا عُمَانُ عنهم ، ولو أَدِنَ لَنَا عُمَانُ فِيهِمْ لَفَرَّ بِنَاهِمُ حَتَّى نُخْرِجَهُمْ مِنْ أَقْطَارِنَا .

ما قالوا في قتلة عُمَانِ

الشَّعْبِيُّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثَ : لَقِيتُ الزُّبَيْرَ قَادِمًا ، فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا بَالُكَ ؟ قَالَ : مَطْلُوبٌ مَطْلُوبٌ ، يَطْلُبُنِي أَبِي ، وَيَطْلُبُنِي ذَنْبِي .
قَالَ : فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقُلْتُ : أَبَا إِسْحَاقَ ، مَنْ قَتَلَ عُمَانَ ؟ قَالَ : قَتَلَهُ سَيْفُ سَلْتِهَ عَائِشَةَ ، وَشَعْبَةُ طَلْحَةَ ، وَمَعْمَرٌ عَلِيَّ . قُلْتُ : فَا حَالُ الزُّبَيْرِ ؟ قَالَ : أَشَارَ بِيَدِهِ وَصَمَّتْ بِلِسَانِهِ .

وَقَالَتِ عَائِشَةُ : قَتَلَ اللَّهُ مَذْمُومًا بِسْمِيهِ عَلَى عُمَانَ ، تَرِيدُ مُحَمَّدًا أَخَاهَا ، وَأَهْرَقَ دَمَ ابْنِ بُدَيْلٍ عَلَى ضَلَالَتِهِ ، وَسَاقَ إِلَى أَعْيُنِ بَنِي تَيْمٍ هَوَانًا فِي بَيْتِهِ ، وَرَمَى الْأَشْتَرُ بِهِمْ مِنْ سِهَامِهِ لَا يُشَوِّي . قَالَ : فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَدْرَكَتْهُ دَهْوَةُ عَائِشَةَ .

سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ : لَقِيَ الْأَشْتَرُ مَسْرُوقًا قَالَ لَهُ : أَبَا عَائِشَةَ ، مَا لِي أَرَاكَ غَضَبِيَانٍ عَلَى رَبِّكَ مِنْ يَوْمِ قَتَلَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ ؟ لَوْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ الْهَارِ وَنَحْنُ كَأَصْحَابِ جِبِلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ !

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِمَسَارِ بْنِ يَاسِرٍ : لَقَدْ كُنْتُ عِنْدَنَا مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِلُّ الْحِمَارِ^(١) فَلَنْتُ وَفَلَنْتُ ، يُعْرَضُ لَهُ

٢٠ (١) هُوَ أَمِينُ بْنُ ضَبِيحَةَ الْهَجَاسِيُّ ، مِنْ بَنِي تَيْمٍ . وَفِي بَعْضِ الْأَمْثُولِ : « أَمِينُ بْنُ تَيْمٍ » . تَحْرِيفٌ . (انظر التلويح) .

(١) مِنْ أَتْلَافِهِمْ : أَهْصَرُ مِنْ ظِلِّ الْحِمَارِ ، لِأَنَّهُ لَا يَصِيرُ عَلَى السَّطْحِ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ وَالظُّلْمُ : مَا يَنْبَغِي مِنَ الْمَرْجِنِ ، طَوِيلًا كَانَ أَوْ قَصِيرًا . وَأَهْصَرُ الْأَطْفَالُ ظِلُّ الْحِمَارِ . يَرِيدُ : لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا يَسِيرٌ .

بقتل عثمان . قال عمار : أى شئ أحب إليك ؟ مودةً كلَّي دَخَلَ أَوْ هَجَرَ جَمِيل ؟
قال : هَجَرَ جَمِيل . قال : فقلَّه على أَلَا أَكَلَك أَيْدَا .

دخل المنيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ، لو رأيته يوم الجمل
وقد فُتِنَتْ النِّسَالُ^(١) هَوْدَجِي حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهَا إِلَى جِلْدِي . قال لها المنيرة :
وددت والله أن يصفها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ قال :
لعلها تكون كفارة في ستيك على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم
الله أنى أردت قتله ، ولكن علم الله أنى أردت أن يُقَاتَلَ قَتولتُ ، وأردت
أن يُرْمَى فَرَميت ، وأردت أن يُسَمَى فسميت ، ولو علم منى أنى أردت
قتله لقتلت .

وقال حسان بن ثابت لعل : إنك تقول : ما قتلت عثمان ولكن خذلته ،
ولم آمر به ولكن لم أنه عنه ، فأنخلازل شريك القاتل ، وألأسكتُ شريك القاتل .
أخذ هذا للمنى كعب بن جميل التَّهْلِي ، وكان مع معاوية يوم صفين ، فقال
في علي بن أبي طالب :

وما في عليٍّ لِمُسْتَحْدِثٍ^(٢) مقالٍ سوى قصصه^(٣) المُحْدِثِينَا
وإِثَارِهِ^(٤) لأهالي القُتُوبِ وَزَفَعَ الْقِمَاصِ مِنَ الْقَاتِلِينَا
إِذَا سِيلَ عَنْهُ زَوَى وَجْهَهُ^(٥) وَحَمَى الْجَوَابِ عَلَى السَّائِلِينَا
فليس براضي ولا ساخطٍ ولا في التَّهَاةِ وَلَا الْآمِرِينَا

- (١) يقال : فُتِنَ السهم الرمية ، إذا خالط جوفها ثم خرج طرفه من الفخ الآخر
وسأله فيها . وفي بعض الأصول : « أخذت النمل » .
(٢) في الكامل للبهر (ص ١٨٤) طلبة أوربة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
(ج ١ ص ١٥٨) : « لمستحب » .
(٣) في الكامل وابن أبي الحديد : « ضمه » .
(٤) في الكامل وابن أبي الحديد : « وإثاره اليوم أهل » .
(٥) في الكامل وابن أبي الحديد : « حبا شبة » . وحدا : ساق .

ولا هو ساء^(١) ولا سره^(٢) ولا آمن^(٣) بعضنا أن يكونا^(٤)
^(٥) وقال رجل من أهل الشام في قتل عثمان رضي الله تعالى عنه :

خذلته الأنصارُ إذ حَضَرُ لُو تُ وكانت هِمَاتِهِ الْأَنْصَارُ
 مَرَبُّوا بِالْبِلَاءِ فِيهِ مَعَ النَّاسِ وَفِي ذَلِكَ لَلْعَرِيَّةِ طَارُ
 حُرْمَةُ بِالْبِلَادِ مِنْ حُرْمِ اللَّهِ ٥ وَوَالٍ مِنَ الْوَلَاةِ وَجَارُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْخِلَاءِ إِذْ مَنَعَ لِلَّهِ ٦ فَدَنَّهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
 مَنَ عَذِيرِي مِنَ الرُّبُوبِ وَمِنْ طَلِّ ٧ سَعَةً هَاجَا أَمْرًا لَهُ إِنْصَارُ
 تَرَكَوا النَّاسَ دُونَهُمْ حَيْرَةً الْمَيْمَنُ لَمْ فَشَيْتَ وَسَطَ لِلدِّينَةِ نَارُ
 هَكَذَا زَاغَتِ الْيَهُودُ عَنِ الْحَقِّ بِمَا^(٨) زَخَرَتْ لَهَا الْأَحْبَارُ
 ثُمَّ وَافَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَجَارًا وَخَلَفَهُ عَمَّارُ
 وَعَلَى فِي بَيْتِهِ يَسْأَلُ النَّبَا مِنْ أَهْدَاءٍ وَعِنْدَهُ الْأَخْبَارُ
 بَاسْطًا قَلْبِي يُرِيدُ يَدِيهِ وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَقَارُ
 يَرْقُبُ الْأَمْرَ أَنْ يُرْفَ إِلَيْهِ بِالْقَتْلِ سَبَّيْتُ لَهُ الْأَقْدَارُ
 قَدْ أَرَى كَثْرَةَ الْكَلَامِ قَبِيحًا كُلُّ قَوْلٍ يَشِينُهُ إِكْثَارُ
 ١٠ وقال حسان يرقى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه :

مَنْ سَرَّهُ لِلْوُتُ صِرْنَا لَا مِرَاجَ لَهُ قَلِيَّاتٍ مُنَاسِدَةٍ فِي دَارِ عُثْمَانَ
 صَبْرًا يَدْعَى لَكُمْ أَمْيَ وَمَا وَلَدْتَ قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي اللَّسْكَرِ وَأَحْيَانَا
 لَكُمْ أَنْ تَرَوْا يَوْمًا بِمَنْقِطَةٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِيكُمْ كَالَّذِي كَانَ
 إِنِّي لَنَهُمْ^(٩) وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا مُيِّتَ حَسَانَا

- ٢٠ (١) ساء، أي ساءه، خلف الهزرة وسهل . وفي الكلبل وابن أبي الحديد : « ساء » .
 (٢) في الكلبل وابن أبي الحديد : « ولا بد من ينس » .
 (٣) نسب هذا الشعر في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ٤٤٧ طبعة البنية)
 لسان بن ثابت .
 (٤) في بعض الأصول : « قلة » (٥) في بعض الأصول : « حيا » .
 (٦) أي إني لنهم برى .

يا ليت شِعري وليت الطير تُخبرني ما كان شأنُ عليٍّ وأبنِ عَفانا
لتسمنَ وشمكا في ديارهمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانا
صَحَّروا بأشمطِ عنوانِ الشجود به يُقطعُ الليلَ تسبيحاً وقرأنا

في مقتل عثمان بن عفان

- أبو الحسن عن مسلمة عن ابن عون^(١) : كان ممن نصر عُثمانَ سبعمئة ، فيهم الحسنُ بن عليٍّ ، وعبدُ الله بن الزبير . ولو تركهم عُثمانُ لضر يوم حتى أخرجهم من أقطارها .

أبو الحسن عن جبير بن سيرين قال : دخل ابنُ بُذَيْلٍ على عُثمانَ وبِيدِهِ سيفٌ ، وكانت بينهما شَحَناءٌ ، فضر به بالسيف ، فألقاه بيده فَقطَعها ، فقال :
أما إنها أولُ كَفٍ خَطَّتْ لِلْقَصَلِ^(٢) .

١٠

أبو الحسن قال : يوم قُتل عُثمانُ يقال له : يوم الدار . وأُغلق على ثلاثة من القتل : غلام أسود كان لعثمان ، وكنانة بنِ يَشْرٍ ، وعُثمان .

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوْحٍ الخزازي لمعرو بن الماص : كان بينكم وبين الفتنة بابٌ فكسرتوه فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نُخرج الحق من حَيِّرة^(٣) الباطل وأن يكون الناس في الحق سواء .

١٥

مجاهد عن الشعبي قال : كتب عُثمانُ إلى مُعاوية : أن أمدني . فأمدته بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كُرُوز البجلي^(٤) . فقتلناه الناس بقتل عُثمان فأُضرِف ، فقال : لو دخلتُ المدينة وعُثمان حيٌّ ما تركتُ بها مُختلفاً إلا قتلته ، لأن الخِلاذل والقاتل سواء .

٢٠ قيس بن رافع قال قال زيد بن ثابت : رأيتُ عليًّا مُضطجعاً في المسجد ،

(١) في نسخة الأصول : « ابن عوف » .

(٢) القصص : القرآن . وكان عُثمان من كُتُب الوحي . (٣) البغية المفرة .

(٤) في الأصول : « السيل » ، وما أُميتا من الطبرى .

قلت : أبا الحسن ، إن الناس يَرَوْنَ أنك لو شئت رددت الناس من عُمان .
فجلس ، ثم قال : والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلتُ في شيء من شأنهم . قال :
فأنت عُمان فأخبرته ، فقال :

وحرَّق قيسٌ على البسلا دَحَقٍ إذا اضطربت أجذما^(١)

الفضل عن كثير عن سعيد اللقيرى قال : لما حصرُوا عُمانَ ومنعوه الماء ،
قال الزبير : وجيلَ بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشياعهم من قبل .

ومن حديث الزهري قال : لما قتل مُسلمُ بن عُمَرة أهل المدينة يوم
الحرَّة^(٢) ، قال عبدُ الله بن عمر : فسلمهم في عُمانَ وربُّ السكبة .

ابن سيرين عن ابن عباس قال : لو أمطرت السماء دماً لقتل عُمانَ لكان
قيللاً^٤ .

أبرسعيد مولى أبي حذيفة^(٣) قال : بعث عُمانُ إلى أهل الكوفة : مَنْ كان
يُطالِبني بدينار أو درهم أو لطة فليأت يأخذ حقه ، أو يتصدق فإن الله يجزى
المصدقين . قال : فبكي بعضُ القوم ، وقالوا : تصدَّنا .

ابنُ عون^(٤) عن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم أشدَّ على عُمانَ من طلحة .

أبو الحسن قال : كان عبدُ الله بن عباس يقول : لينزلن معاويةُ وأصحابه
عليَّ وأصحابه ، لأن الله تعالى يقول : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا) .
أبو الحسن قال : كان عُمامة الأنصاري حاملاً لعُمانَ ، فلما أتاه فقتله بكى ،

(١) البيت لربيع بن زياد الهبي . والإحزام : الإسراع . يقول : ألهب نيس بن زهير
البلاد على فلان استمرت حرب ، وذلك لأن قيساً ترك أرض العرب وانتقل إلى عُمان
بعد إثارة الفتن في سبقي فاحس . والقي في الأصول : «أحبنا» مكان «أجذما» .
وما أثبتنا من حرج الحفاة .

(٢) هي حرَّة واقم ، إحدى حرق المدينة ، وهي العربية . وفي هذه الحرَّة كانت
وقعة الحرَّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في الطبري : «أبرسعيد مولى أبي أسيد الأنصاري» .

(٤) في بعض الأصول : «ابن عوف» . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبري .

وقال : اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف ، فن غلب على شيء أكله .

- أبو الحسن عن أبي مخنف عن ميم بن وعلة عن الشعبي : أن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير ، وبعثت إليه بقميص عثمان مخصوباً بالدماء ، وكان في كتابها : من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإني أدهوك إلى الله الذي أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهذاكم من الضلالة ، وأهذكم من الكفر ، ونصركم على السوء ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بتزم الله عليكم ، فإنه قال : (وإن طاقتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بفث إحداهما على الأخرى قتلتا التي تنبئ حتى تقبى إلى أمر الله) . فإن أمير المؤمنين بني عليه ، ولو لم يكن لثمان عليكم إلا حق الولاية لحق على كل مسلم رجوع إمامته أن ينصره ، فكيف وقد علمتم قدمه في الإسلام ، وحسن بلاده ، وأنه أجاب الله ، وصدق كتابه ، وأتبع رسوله ، والله أعلم به إذ أنتخبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .
- وإني أقص عليكم خبره ، إني شاهدة أمره كله : إن أهل المدينة حصروه ١٥ في داره وخرسوه ليلهم ونهارهم ، قياماً على أبوابه بالسلاح ، يمنعون من كل شيء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ، فكث هو ومن معه خمسين ليلة ؛ وأهل مصر قد استندوا أمرهم إلى علي ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير ، فأمرهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهمينة ومزينة وأنباط يثرب ، هؤلاء كانوا أشد الناس عليه . ثم إنه حصر ٢٠ فرشق بالنبل والحجارة ، ففجرح من كان في الدار ثلاثة نفر معه ، فأتاه الناس يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم ، فردوها عليهم ؛ فما زادم ذلك في القتل إلا جرأة ، وفي الأمر إلا

إغراتكاً ، فخرقوا باب الفار . ثم جاء نفرٌ من أصحابه فقالوا : إن ناساً يريدون أن يأخذوا بين الناس بالسبل فأخرج إلى المسجد يأتوك . فانطلق جلس فيه ساعةً وأسلحه القوم مطلةً عليه من كل ناحية ، فقال : ما أرى اليوم أحداً يبدل ، فدخل الدار . وكان معه نفرٌ ليس على عاتقهم سلاح ، فلبس درعه وقال لأصحابه : لولا أنتم ما لبست اليوم درعى . فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابن الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة يث بها إلى عثمان : عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تقرّوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا ، فوضع السلاح ، ولم يكن إلا وضعه . ودخل عليه القوم يقدّمهم محمد بن أبي بكر ، فأخذ بلحيته ، ودعّوه بالقب . فقال : أنا عبدُ الله وخليفته عثمان . فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في القتل ، فسقط عليه وقد أمتنوه وبه حياة ، وهم يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به ، فأتته ابنة شيبه بن ربيعة فألقت بنفسها ممي ، فوطئنا وطئنا شديداً ، وعزّينا من خليفنا . وحرمة أمير المؤمنين أعظم ، قتلوا أمير المؤمنين في بيته مقهوراً على فراشه . وقد أرسلت إليكم بشو به عليه دمه ، فإنه والله إن كان أنتم من قتلته فما سلم من خله ، فانظروا أين أنتم من الله . وأنا أشتكى كلّ ما مسّنا إلى الله عز وجل ، وأستخرج بصالحى عباده . فرحم الله عثمان ولئن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الجزى والمذلة ، وشقى منهم المصدور .

خلف رجال من أهل الشام أن لا يمشوا غسلًا حتى يقتلوا علياً أو تقى أرواحهم . ٢٠

وقال الفرزدق في قتل عثمان :

إن الخلافة لما أظلمت ظلمت من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا صارت إلى أهلها منهم ووارثها لما رأى الله في عثمان ما أتهكوا

السافكي دمه ظلماً ومغصيةً أي دم لا هُدُوا من غيهم صفكوا
وقال حسان :

إن نُمِسَ دارُ بني عُمانَ خاويةً بابُ صريعٍ ويثُ مُحَرَّقُ خَرِبُ
قد يُصادفُ باغِي الخَيْرِ حاجته فيها ويأوى إليها المجدُ والحسبُ
باعتسَرِ الناسُ بُدُوا ذاتُ أقمسِكُم لا يَسْتَوِي الحقُّ عندَ الله والكذبُ ^(١)

تبرؤ على من دم عُمان

قال علي بن أبي طالب على المنبر : والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عُمان لا دخلها أبداً ، ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عُمان لا دخلها أبداً .
وأشرف علي من قصره بالكوفة ، فنظر إلى سفينة في دجلة فقال : والقي
أرسلها في بحره مُسْفَرَةً بأمره ما بدأت في أسر عُمان بشيء ، ولئن شامت بنو
أمية لأباهلهم ^(٢) عند الكعبة خمسين يمينا ما بدأت في حق عُمان بشيء .
فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال : إني لأحسبه صادقا .

قال معبد الخزاعي : لقيتُ طليبا بمد الجبل ، فقلت له : إني سألتك عن
مسألة كانت منك ومن عُمان ، فإن نجوت اليوم نجوت غداً إن شاء الله . قال :
سَلْ عما بدا لك . قلتُ : أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قُتل عُمان ولم تنصره ؟
قال : إن عُمان كان إماماً وإنه نهى عن القتال ، وقال : مَنْ سَلَّ سيفه فليس
متى ، فلو قاتلنا دونه عصينا . قال : فأى منزلة وسعت عُمان إذ أسلم حتى قُتل ؟
قال : المنزلة التي وسعت ابن آدم ، إذ قال لأخيه : (لئن بسطت إلى يدك
لنقتلن ما أنا بيأسط يدي إليك لأقتلك إني أخافُ الله رب العالمين) . قلت :
فهلَّا وسعتك هذه للمنزلة يوم الجبل ؟ قال : إنا قاتلنا يوم الجبل من ظُلْمنا ، قال

(١) انظر ديوان حسان (ص ٢٨) طبعة أوربة . فيهن الشعر هنا وهناك خلاف يسير
في الألفاظ .

(٢) للباهة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

الله: (ولن أنصبر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيلُ على الذين يظلمون الناس ويُبغنون في الأرض ينير الحقُّ أولئك لهم عذابٌ أليم . ولن صبرٌ وغفرٌ إن ذلك لمن عَزَمَ الأمور) . فقاتلنا نحن مَنْ ظَلَمنا وصبرَ عثمانُ ، وذلك من عَزَمَ الأمور .

٥ ومن حديث بكر بن حماد : إن عبد الله ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين ، فقال له : أخبرتني عن تخرجك هذا ، تضرب الناس بعضهم ببعض ، أعهدُ إليك عهدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأيَ أرتأيتَه ؟ قال علي :

٢٧١
٣ اللهم إني كنتُ أولَ من آمن به فلا أكون أولَ مَنْ كذب عليه ، لم يكن

عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تركتُ أخا تيم وعدي على منابرها ؛ ولكن

١٠ نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة ، عرض أياها وليالي ، قدَّم أبا بكر على الصلاة ، وهو يراني ويرى مكاني . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضيناه لأمر دنيانا إذ رضي به رسول الله لأمر ديننا . فسَلْتُ له ^(١) وبايْتُ وصممتُ وأطعْتُ ، فكنتُ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين

١٥ يديه . ثم أتته مدينته ، فرأى أن حرَّ أطوقَ لهذا الأمر من غيره ، والله ما أراد به للحياة ، ولو أرادها لجلسها في أحد ولديته . فسَلْتُ له وبايْتُ وأطعْتُ وصممتُ ،

فكنتُ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يديه . ثم أتته مدينته ، فرأى أنه من استخلف رجلاً فصل بغير طاعة الله عَذَبَ الله به في قبره ، فجعلها سُورَى بين سِنَّةٍ ثَمَر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠ وكنتُ أهدم ، فأخذ عبدُ الرحمن مَواثيقنا ومُهودنا على أن يخلع نفسه وينظر

لمائة المُسلمين ، فبسط يده إلى عثمان فبايعه . اللهم إن قلتُ إني لم أجد في نفسي فقد كذبتُ ، ولكنني نظرتُ في أمري فوجدتُ طاعتي قد تقدَّمتُ مَنصيتي ، ووجدتُ الأمر الذي كان بيدى قد صار بيد غيري . فسَلْتُ وبايْتُ وأطعْتُ

- وصحمت ، فكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يدي .
ثم نَمَّ الناس عليه أموراً فقتلوه . ثم بقيتُ اليومَ أنا ومُعاوية ، فأرى نفسى أحقَّ
بها من مُعاوية ؛ لأنني مُهاجِرٌ وهو أعْرابي ، وأنا ابنُ عمِ رسولِ الله وصهره ،
وهو طليقُ ابنِ طليق . قال له عبدُ الله بنُ الكوّاء : صدقتَ ، ولكنَّ طلحةَ
والزُّبيرَ ، أما كان لهما في هذا الأمرِ مثلُ الذي لك ؟ قال : إن طلحةَ والزُّبيرَ ٥
بابائي في المدينة ونكثا بيّتي بالعراق ، قاتلتُهما على نكثهما ، ولو نكثا بيمة
أبي بكرٍ ومُحمَّدٍ لقاتلتُهما على نكثهما كما قاتلتُهما . قال : صدقتَ ، ورجع إليه .
وأستحلَّ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانٍ نافعَ بنَ حَلَفمةَ بنِ صَفْوانٍ على مكة ، فغلب
ذات يوم ، وأبانُ بنُ عُثْمانٍ قاعدٌ عند أصل اللِّبَرِ ، فنال من طلحةَ والزُّبيرَ ، فلما
نزل قال لأُبان : أرضيتك من اللُّدْهِنِ في [أمر] أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ١٠
ولكنك سؤتي ، حسبي أن يكونا بريئين من أمره . وعلى هذا للمعنى قال إسحاق
ابن عيسى : أعيد عليّ بالله أن يكون قتلُ عُثْمانَ ، وأعيد عُثْمانَ أن يكون قتلُه
عليّ . وهذا الكلامُ على مذهب قول النبي صلَّى الله عليه وسلم : إنَّ أشدَّ الناس
عذاباً يومَ القيامة رجلٌ قتلَ نبيّاً أو قَعْلَه نبيّ .
- ١٥ سعيد بن جُبَيْرٍ عن أبي الصَّهْبَاء : إن رجلاً ذكروا عُثْمانَ فقال رجلٌ من
القوم : إني أعرفُ لكم رأيي علىّ فيه . فدخل الرجلُ على عليّ ، فقال من
عُثْمانَ ، فقال عليّ : دَعِ عنك عُثْمانَ ، فوالله ما كان بأثراً ، ولكنه وُلِّيَ فاستأثر
خزناً فأساء الحرمان ^(١) .
- وقال عُثْمانُ بنُ حَنْفٍ ^(٢) : إني شهدتُ مشهداً أجمع فيه علي وعمار ومالك
الأشتر وصُصَّمة ، فذكروا عُثْمانَ ، فوقعَ فيه عمار ، ثم أخذ مالكٌ لُحْذاً حَذْوَهُ ، ٢٠
ووجهه على بَئْشَرٍ ^(٣) ، ثم تكلم صُصَّمة ، فقال : ما على رجلٍ يقول : كان والله

(١) في بعض الأصول : « غلبتنا فأساءا الحرم » .

(٢) في بعض الأصول : « حبيب » وما أجمعنا من سائر الأصول والطبرى .

(٣) يجمع : غيظاً .

أَوَّلَ مَنْ وُلِّيَ فَاسْتَأْثَرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَفَرَّقَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ! فَقَالَ عَلِيٌّ : إِلَى أَبِي الْقَيْظَانِ ، لَقَدْ سَبَقَتْ لِعُمَيَّانِ سَوَابِقُ لَا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بِهَا أَبَدًا .

مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ يَوْمَ الْجَلِّ : أَنْتَ لَقَدْ أَتَيْتَنِي بِقَوْمِكَ فَأَتَيْنَهُمْ كُنْجِي وَقَوْلِي . فَقُلْتُ : إِنْ قَوْمِي إِذَا أَتَيْتَهُمْ يَقُولُونَ : مَا قَوْلُ صَاحِبِكَ فِي عُثْمَانَ ؟ فَقَالَ : أَخْبِرُهُمْ أَنَّ قَوْلِي فِي عُثْمَانَ أَحْسَنُ الْقَوْلِ ، إِنْ عُثْمَانُ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ لِلْحَسَنِينَ .

٢٧٢
٢

جُرَيْرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ عَلِيًّا أَتَاهُمْ فِي دِمِ شُمَّانٍ حَتَّى يُرْجِعَ ، فَلَمَّا بَوَّعَ أَتَاهَهُ النَّاسُ .

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَقَفِيَّةِ : إِنِّي عَنْ يَمِينِ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَلِّ وَأَبْنُ عَبَّاسٍ عَنْ يَسَارِهِ ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَنَا قَالَا : مَا هَذَا ؟ عَائِشَةُ تَلَعَنَ قَتْلَهُ عُثْمَانَ . فَقَالَ عَلِيٌّ : لِمَنْ اللَّهُ قَتْلَةُ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ .

مَا تَقَمَّ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ

ابْنُ دَأْبٍ قَالَ : لَمَّا أَنْكَرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ مَا أَنْكَرُوا مِنْ تَأْمِيرِ الْأَحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَى الْحِلَّةِ الْأَكْبَرِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : هَذَا عَمَلُكَ وَأَخْتِيَارُكَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : لَمْ أَظُنْ هَذَا بِهِ . وَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُكَ عَلَى أَنْ تَسِيرَ فِينَا بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَقَدْ خَالَفْتَهُمَا . فَقَالَ : عَمْرُكَ يَقْطَعُ قَرَابَتِي فِي اللَّهِ وَأَنَا أَصْلُ قَرَابَتِي فِي اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ عَلَى أَنْ لَا أَكَلِّكَ أَبَدًا . فَتَابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ لَا يُكَلِّمُ عُثْمَانَ .

وَلَمَّا رَدَّ عُثْمَانُ الْحَكَمَ بَنَ أَبِي الْعَاصِ ، طَرِيدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَرِيدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَى الدِّينِيَّةِ ، تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : مَا يَنْتَقِمُ النَّاسُ مِنِّي ! إِنِّي وَصَلْتُ رَحْمًا وَفَرِيتُ قَرَابَةً^(١) .

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَدِ : « عِيَا » .

حُصَيْنُ بْنُ زَيْدٍ بن وَهْبٍ قال : مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَنْزِلِهِ .
 قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ قَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالنَّهْصَةَ وَلَا
 يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّمَا هِيَ فِي أَهْلِ
 الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : إِنَّمَا لَفَيْنَا وَفِيهِمْ . فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ : أَقْبِلْ . فَلَمَّا قَدِمْتُ
 رَكِبْتُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْفِي قَطُّ ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ . قَالَ : لَوْ
 أَعْتَرَلْتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَزِلْتُ هَذَا الْمَنْزِلَ ، فَلَا أَدَعُ قَوْلِي ، وَلَوْ أَشْرَوْا عَلَى
 عَبْدًا حَبَشِيًّا لَأَطَعْتُ .

الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ السَّوَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً
 لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) . قَالَ : لَقَدْ زِلْتُ وَمَا نَدْرِي مِنْ يَخْتَلِفُ لَهَا .
 قَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمْ جِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : وَيْحَكَ ، إِنَّمَا
 نَنْظُرُ وَلَا نُهْبِرُ .

أَبُو نَضْرَةَ ^(١) عَنْ أَبِي سَمِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : إِنَّ نَاسًا كَانُوا عِنْدَ نُسُطَاطٍ
 عَائِشَةٍ وَأَنَا مِنْهُمْ بِمَكَّةَ ، فَتَرَبَّعْنَا عُثْمَانَ ، فَبَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا لَعْنَهُ غَيْرِي ،
 فَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَ عُثْمَانُ عَلَى الْكُوفَةِ أَجْرًا مِنْهُ عَلَى
 غَيْرِهِ ، قَالَ : يَا كُوفِي ، أَنْشَأْتَنِي ؟ فَلَمَّا قَدِمَ لِلدِّينَةِ كَانَ يَتَهَدَّدُ . قَالَ : فَقِيلَ
 لَهُ : عَلَيْكَ بَطْلُحَةٌ . قَالَ : فَأُتِيَ بِهَا مِنْهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ . فَقَالَ عُثْمَانُ : وَاللَّهِ
 لَا أَجْلِدُنَّ مَائَةَ سَوَاطٍ . قَالَ بَطْلُحَةٌ : وَاللَّهِ لَا أَجْلِدُنَّ مَائَةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَانِيًا .
 قَالَ : وَاللَّهِ لَأَحْرِمَنَّ عَطَاءَهُ . قَالَ : اللَّهُ يَرْزُقُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي قَتَيْبَةَ ^(٢) عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ : خَرَجَ
 عَلَيْنَا ابْنُ مَسْعُودٍ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَأَمِيرُ الْكُوفَةِ
 الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَقَدْتُ مِنْ بَيْتِ مَالِكِ

(١) حو لنذر بن مالك البدي (انظر الطبري وتهذيب التهذيب) .

(٢) كنز في الأصول ص ١٤٥ . وفيها سياق بد قليل : «أبو بكر بن أبي شيبة» . وقد كانت

وفاة الأعشى سنة ١٤٥ هـ أي قبل وفاة أبي قتيبة بنحو تسعين سنة .

اليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها برامة . قال : فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك ، فترعه عن بيت المال .

ومن حديث الأعمش يرويه أبو بكر بن أبي شعبة قال : كتب أصحاب عثمان عيبيه وما ينقم الناس عليه في صحيفة ، ثم قالوا : من يذهب بها إليه ؟ قال عثمان : أنا . فذهب بها إليه . فلما قرأها قال : أرغم الله أنفك . قال : وأنف أبي بكر وعمر . قال : فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه . ثم ندم عثمان وبعث إليه طلحة والزبير يقولان له : أختر إحدى ثلاث : إما أن تقفو ، وإما أن تأخذ الأرض ^(١) ، وإما أن تقتص . فقال : والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى الله . قال أبو بكر : فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح ، فقال : ما كان على عثمان أكثر مما صنع .

ومن حديث الليث بن سعد قال : مرَّ عبد الله بن عمر بمُحذيفة فقال : لقد اختلف الناس بعد نبيهم ، فامنهم أحد إلا أعطى من دينه ما عدا هذا الرجل .

وسئل سعد بن أبي وقاص عن عثمان فقال : أما والله لقد كان أحسننا وضوءاً ، وأطولنا صلاة ، وأتقانا لكتاب الله ، وأعظمتنا نفقة في سبيل الله . ثم ولي فأنكروا عليه شيئاً ، فأتوا إليه أعظم مما أنكروا .

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سميد بن الناص : أما بعد . فإني كنت وليتكم الوليد بن عقبة غلاماً حين ذهب شرّخه ، وثاب حلمه ، وأوصيته بكم ولم أوصكم به ، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سريره . وقد وليتكم سميد بن الناص ، وهو خير عشرينه ، وأوصيكم به خيراً فاستوصوا به خيراً . وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه ، وكان عاملاً على الكوفة ، فصلّى بهم الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدّكم .

فقات عليه البيّنة بذلك عند عثمان ، فقال لطلحة : قم فاجله . قال : لم أكن من الجالدين . قام إليه على فخذه .

وفيه يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالمذر
(١) ليزيدم خيراً ولو قبّـلوا لجمت^(٢) بين الشفع والوتر
مسكوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى

ابن داب قال : لما أنكر الناس على عثمان ما أنكروا وأجمعوا إلى على وسأله أن يلقى لهم عثمان . فأقبل حتى دخل عليه فقال : إن الناس ورائي قد كلّموني أن أكلك ، والله ما أدرى ما أقول لك ، ما أعرفت شيئاً تنكره ، ولا أملك شيئاً يجمله ، وما ابن الخطاب أولى بشيء من الخير منك ، وما أبصرك من عبي ، وما تفعلك من جهل ، وإن الطريق لبين واضح . تعلم يا عثمان أن أفضل الناس عند الله إمام عدل ، هدى وهدى ، فأحياسنة معلومة ، وأمات بدعة مجهولة ؛ وأن شر الناس عند الله إمام ضلالة ، ضل وأضل ، فأحياء بدعة مجهولة ، وأمات سنة معلومة . وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالإمام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا له عاذر فيلقى في جهنم قيدور دوز^(٣) الرّحى يرتطم بجمرته النار إلى آخر الأيد . وأنا أحذرك أن تكون إمام هذه الأمة للقتول ، يفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة ، يمرّج به أمرهم ويمرّجون . فخرج عثمان ، ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة .

وكان على كفا أشعكي الناس إليه أمر عثمان أرسل أبنته الحسن إليه ، فلما أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لا يتعلم ما يتعلم ، ونحن أعلم بما تفعل ، فكفّ عنا . فلم يبعث على أبنته في شيء بعد ذلك .

(١) قبل هنا البيت في الأماي (ج ٤ ص ١٧٨ طيبة بلاق) :

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم غلا وما يدرى
(٢) في الأماي : « فأبوا أبوا وبوا ولو أذنوا » ففرت .

وذكروا أَنَّ عِثَانَ صَلَّى الْمَعْرُومَ خَرَجَ إِلَى يَمُودَ فِي مَرَضِهِ ، وَمَرَّوَانُ مَعَهُ ، فَرَأَاهُ ثَقِيلًا . فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَرَى مِنْكَ مَا كُنْتُ أَنْتَكُم بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَنْتَكُم بِهِ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيُّ يَوْمَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَوْ أَبْغَضُ ، أَيُّ يَوْمٍ حَيَاتِكَ أَوْ يَوْمٍ مَوْتِكَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتَ لَا أَعْطِمُ شَامَتًا يُعْذِّكَ كُفْنًا^(١) ، وَيَتَخَذُكَ عَضْدًا ، وَلَئِنْ مِتُّ لَا أَجْعَلُ بِكَ . خَفَّيْ مِنْكَ حَظَّ الْوَالِدِ الْمُشْفِقِ مِنَ الْوَلَدِ الْعَاقِ ، إِنْ عَاشَ عَقَّهُ ، وَإِنْ مَاتَ فَجَسَّهُ . فَلَيْتَكَ جِئْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ عَمَّا نَقَفَ عَلَيْهِ وَنَعَرَفَهُ ، إِمَّا صَدِيقٌ سَلَامٌ وَإِمَّا عَدُوٌّ مُمَادٍ ، وَلَمْ تَجِئْنِي كَالْمُخْتَلِقِ بَيْنَ السَّيَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَرْقَى بِيَدٍ ، وَلَا يَهْبِطُ بِرِجْلِ . أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُكَ لَا أَصِيبُ مِنْكَ خَلْفًا ، وَلَئِنْ قَتَلْتَنِي لَا تَصِيبُ مِنِّي خَلْفًا ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَتَيْكَ بِعَذِّكَ . قَالَ مَرَّوَانُ : أَيُّ وَاللَّهِ وَأُخْرَى ، إِنَّهُ لَا يُبَالُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِنَا حَتَّى تُكْسِرَ رِمَاحُنَا وَتُقَطِّعَ سِيوفُنَا ، فَاخْزِ الْعَيْشَ بِعَدِّ هَذَا . فَضَرَبَ عِثَانُ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : مَا يَذْخُكُ فِي كَلَامِنَا ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنِّي وَاللَّهِ فِي شُغْلٍ عَنْ جَوَابِكَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : (فَصَّرُوهُ جِيلٌ وَاللَّهِ لَلْسُتَمَانِ عَلَى مَا تَصِفُونَ) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ : أُرْسِلْ إِلَى عِثَانَ فَقَالَ لِي : أَكْفَيْتُ ابْنَ عَمِّكَ . فَقُلْتُ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي لَيْسَ بِالرَّجُلِ يَرَى لَهُ وَلَكِنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ ، فَأُرْسِلْنِي إِلَيْهِ بِمَا أَحْبَبْتَ . قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَخْرُجْ إِلَى مَا لَهُ بِالْيَتِيمِ فَلَا أُخْشَمُ بِهِ وَلَا يَنْتَمِ بِي . فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : مَا آخِذْنِي عِثَانُ إِلَّا نَاحِيًا ، ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

فَكَيْفَ بِهِ أَيُّ أَدَاوِي جِرَاحِهِ فَيَذْوِي فَلَا مِلَّ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ
أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيَخْتَبِرُ الْقَوْمَ . فَأَتَيْتُ عِثَانَ ، فَخَذْتُهُ بِالْمَدِيثِ كُلِّهِ إِلَّا الْبَيْتَ الَّذِي أَنْشَدَهُ . وَقَوْلُهُ : إِنَّهُ لِيَخْتَبِرُ الْقَوْمَ . فَأَنْشَدَ عِثَانُ :

فَكَيْفَ بِهِ أَيُّ أَدَاوِي جِرَاحِهِ فَيَذْوِي فَلَا مِلَّ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ
وَجِئْتُ يَقُولُ : يَا رَحِمَ ، انْصُرْنِي ، يَا رَحِمَ ، انْصُرْنِي ، يَا رَحِمَ ، انْصُرْنِي ..

قال : فخرج عليّ إلى يَنْبَع ، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ الأمر : أما بعد .
قد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطَمِعَ في مَنْ كان يَصُفِّ
عن نفسه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يَتَلَبَّكْ مثلُ مُغَلَّبٍ (١)
فأنبل إلى عليّ أيّ أمريك أحببت ، وكُنْ لي أم عليّ ، صديقاً كنتَ
أم عدواً :
فإن كنتَ ما كولا فكن خيراً كلِّ وإلا فأدركني ولما أُمِرْتُ (٢)

خلافة علي بن أبي طالب

رضى الله عنه

- ١٠ قال : لما قُتل عثمان بن عفان ، أقبل الناس يُهرعون إلى علي بن أبي طالب
فقرأت عليه الجماعة في البيعة ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بدر
ليُبايعوا . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأتوا فبايعوا ، ثم بايعه المهاجرون
والأنصار ، ثم بايعه الناس . وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة
سنة خمس وثلاثين ، وكان أول من بايع طلحة ، فكانت إصابته شلاء ، فتطير
منها عليّ ، وقال : ما أخلته أن يَنفَكْتُ . فكان كما قال عليّ رضي الله عنه . ١٥

نسب علي بن أبي طالب وصفته

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة
بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته ، كان أصلح بطليحاً وحش (٣) السابقين .

(١) هذا البيت لاصريّ التيس من قصيدة نظمها :

٢٠ خليل صها بي على أم جندب . تنقضي حاجات القواد المطلب
(انظر المقد الثاني ص ١١٦ — ١١٧ طبعة أوربة) .

(٢) هذا البيت من أبيات المزيقي العبدى قالها لعمرو بن هند . (انظر ج ٢ ص ١٦٣
— ١٦٤ من هذه الطبعة) .

(٣) حش السابقين : دقيقهما .

صاحبُ شُرطته متغل بن تيس الرّياحى ، ومالك بن حبيب اليزيدى ، وكان به سعيد بن نمران^(١) ، وحاجبه قنبر ، مولاه . وقُتل يوم الجمعة بالكوفة ، وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصبح ، لسمع يقين من شهر رمضان ، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، صلى عليه ولله الحسن ، ودُفن برحبة الكوفة ، ويقال فى الحِيف^(٢) الحيرة ، وعُمى قبره . واختلف فى سنة ، فقال الشّعبى : قُتل على رَحمة الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ووُلد على بركة فى شعب بنى هاشم .

فضائل على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

٢٧٥
١٠ أبو الحسن قال : أسلم على وهو ابنُ خمس عشرة سنة ، وهو أول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : من كنتُ مولاهُ فعلىٌ مولاه . اللهم والى من والاه وعاد من عاداه . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما رضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ وبهذا الحديث سمّت الشيعة على بن أبى طالب الوصى ، وتأولوا فيه أنه استخلفه على أمته إذ جعله منه بمنزلة هارون من موسى ؛ لأن هارون كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم ، وقال السيد الخمينى رحمه الله تعالى :

إني أدین بما دأب الوصى به . وشاركت كفه كفى بصفيّنا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فألقى عليهم كساءه وضّمهم إلى نفسه ثم تلا هذه الآية : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . فتأولت الشيعة الرّجس ها هنا بالخوض فى عمرة^(٣)

(١) كذا فى الطبرى . والله فى الأصول هنا : « سعد بن مهران » . وانظر الحاشية

(رقم ٢ ص ١٦٤) من هنا الجزء .

(٢) السيف (بالكسر) : المص . (٣) فى بنى الأصول : « فى عمرة » .

الدنيا وكُدورتها^(١). وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لا يبغي حتى يفتح الله له. فندما علياً، وكان أرمداً، ففعل في عينيه، وقال: اللهم قه داء الحر والبرد. فكان يلبس كسوة الصيف في الشتاء، وكسوة الشتاء في الصيف ولا يضره.

- أبو الحسن قال: ذكر عليّ عند عائشة فقالت: ما رأيت رجلاً أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا رأيت امرأة كانت أحبّ إليه من أمراته.

وقال عليّ بن أبي طالب: أنا آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، لا يقولها بدي إلا كذّاب.

- ١٠. الشعبي قال: كان عليّ بن أبي طالب في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم في بني إسرائيل، أحبه قومٌ فكفروا في حبه، وأبغضه قوم فكفروا في بغيته.
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرُ منهما.

- ١٥. أبو الحسن قال: كان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يُقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيئاً، ثم يُفرش^(٢) له ويَقِيل فيه. ويتمثل بهذا البيت:

هذا جَنَائِ وخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ فِيهِ^(٣)

كان علي بن أبي طالب إذا دخل بيت المال ونظر إلى ما فيه من الذهب

- ٢٠. والفضة قال:

(١) في بعض الأصول: «وَلَقَاتَهَا». (٢) في بعض الأصول: «يرش».

(٣) هذا مثل، وأول من تكلم به عمرو بن عدى، وذلك أن جذبة أمر الناس أن

يجتنبوا له الكفاة، فكل من وجد خياراً أثر به نفسه إلا همراً. يقول: هذا ما

اجتنبته ولم آخذ لنفسي خير ما فيه إذ كل جان يده مائلة إلى فيه يأكله. (اعظم

قراءة الآلا ج ٢ ص ٣٤٩).

أُبَيْثَى وَأَصْفَرَى وَغُرَى غَيْرِي إِنِّي مِنَ اللَّهِ بِكُلِّ خَيْرٍ

ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصري فقال : يا أبا سعيد ، إنهم يزعمون أنك تبغض علياً . قال : فبكي الحسن حتى أخضلت لحيته ، ثم قال : كان علي بن أبي طالب نهما صائياً من سراي الله على عبده ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن بالشؤمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا للولة^(١) في ذات الله ، ولا الشؤمة لخال الله . أعطى القرآن عزاءه ففاز منه برياض مؤتة [وأعلام بيئته] ، ذلك على بن أبي طالب يا كعم .

يوم الجمل

١٠ أبو اليقظان قال : قدِم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتلقاهم الناس بأهل الزيد ، حتى لو رموا بحجر ما وقع إلا على رأس إنسان ، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة ، وكثر اللفظ ، فجعل طلحة يقول : أيها الناس ، أنصتوا . وجعلوا يركبونه ولا ينصتون . فقال : أف أف أفرأش نار ، وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الأنصاري عامل علي بن أبي طالب على البصرة ، فخرج إليهم في رجاله ومن معه ، فتوافوا حتى زالت الشمس ، ثم أطماعوا ، وكتبوا بينهم كذاباً أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب ، ولثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال ، فكفوا . ووجه علي بن أبي طالب الحسن ابنه وعمار بن ياسر إلى أهل الكوفة يستنفرانهم ، فنفر معها سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال لهم عمار : أما والله إنني لأعلم أنها زوجة في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لتقيموه أو تنقموها . وخرج علي في أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعة من شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . وراية علي مع ابنه محمد

(١) في بعض الأصول : « للولة » . وانظر (ج ٢ ص ٢٢٩) من هذه الطبعة .

ابن الحنفية، وعلى ميمته الحسن، وعلى ميسرة الحسين، وعلى الخليل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس. ولوا^(١) طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام، وعلى الخليل طلحة بن عبيد الله، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير. فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس. وكانت الوقعة يوم الجمعة.

- وقالوا: لما قدم على بن أبي طالب البصرة قال لأبن عباس: ائت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين، وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً بقره يركب المشوبة، ويقول: هي أسهل، فأقره السلام، وقُلْ له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز، وأنكرتنى بالعراق، فما عدا ما^(٢) بدا؟ قال ابن عباس: فأتيته فأبلغته. فقال: قل له: بيننا وبينك عهدٌ خليفة، ودمٌ خليفة، واجتماع ثلاثة، وأفراد واحد، وأم مبرورة، ومشاورة المشيرة، ونشر للمصاحف، نحيل ما أحلت، ونحرّم ما حرّم.

وقال على بن أبي طالب: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته عنّا.

- وقال طلحة لأهل البصرة وسأله عن نبيمة على فقال: أدخلوني في حش ثم وضعوا الحج على قتي فقالوا: بايع وإلا قتلناك. قوله: الحج، يريد السيف، وقوله: قتي، لغة طي، وكانت أمه طائية.

- وخطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل فقالت: أيها الناس، صه صه، كأنما قطعت الألسن في الأفواه. ثم قالت: إن لي عليكم حرمة الأمومة، وحق^(٣) اللوعة، لا يتهمني إلا من عصي ربه. مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري وسحري، وأنا إحدى نسائه في الجنة، له أذخرني ربي وسلفي^(٤) من كل

(١) في بنى الأصول: «وأبو». (٢) في بنى الأصول: «عما».

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧٨) من هذا الجزء.

(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٧٩) من هذا الجزء.

بُضِعَ^(١)، وفي تَيَز بين مُنَاصَحكم ومُؤْمِنكم، وفي أَرْخَص لكم في صَمِيد الأَبْرَاءِ^(٢).
ثم أُنِيَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ من الْمُؤْمِنِينَ وثَانِي أُتْنِينَ في النَّارِ، وأَوَّل من مَعَى صِدِّيقًا، مَعَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ، وَلَوْ قَدْ طُوقَ^(٣) الإِمَامَةَ. ثم أَضْطَرَبَ
حَبِلُ الدِّينِ فَتَسَلَّكَ أَبِي بَطْرَفِيهَ، وَرَتَّقَ لَكُمْ أَثْنَاءَهُ^(٤)، قَوِّمَ^(٥) التَّفَاقُ، وَأَغَاضَ نَبِيَّ
الرَّذَّةِ، وَأَطْلَفَا مَا حَسَتْ^(٦) يَهُودَ، وَأَتَمَّ يَوْمُنَا جُحُطَ الْعِيُونَ، نَنْظُرُونَ الْعُدُوَّةَ^(٧)،
وَتَسْمَعُونَ الصَّبِيحَةَ، فَرَأَبَ الثَّأْيَ^(٨)، وَأَوْدَمَ التَّطَلَّةَ^(٩)، وَأَنْتَاشَ^(١٠) من الْهُوَّةِ،
وَأَجْجَحَى^(١١) دَفِينَ الدَّاءِ، حَتَّى أُعْطِنَ الْوَارِدُ^(١٢)، وَأُورِدَ الْمَاصِرَ، وَعَلَّ
النَّاهِلَ، فَتَمَبَّضَهُ اللَّهُ وَاطْلَقًا عَلَى هَامَاتِ التَّفَاقِ، مُذْ كَيَا نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ.
وَأَنْتَظَمْتَ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ. ثُمَّ وَلَّى أَسْرَكَكُمْ رَجُلًا مَرَحِيًّا إِذَا رُكِّنَ إِلَيْهِ، بِعِيدًا

- ١٠ (١) كُنَا فِي بِلَاطَاتِ النِّسَاءِ، أَيْ مِنْ كُلِّ نِكَاحٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا
بِكُرَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ. وَاقْتَضَى فِي الْأَصُولِ: «جُضَاعَةُ».
- (٢) تَعْمُرُ إِلَى حَدِيثِ الْإِنْفَاقِ وَتَزُولُ الْوَسْطُ بِيَرَاتِهَا، فِيهِ تَمَيُّزٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَفَّقُوا مِنْ
بِرَاتِهَا مِنْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَتْلَاسِهَا.
- (٣) فِي بِلَاطَاتِ النِّسَاءِ: «وَهَفَ» مَكَانَ «طُوقَ» وَالْوَهْفُ: التَّثَلُّصُ. وَفِي لِسَانِ
الرَّبِّ (مَادَهُ وَهَفَ): «فَلَقَدْ رَسَّوْهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَفَ الْأَمَانَةَ».
- ١٥ وَفِي رِوَايَةٍ: وَهَفَ الدِّينَ. أَيْ فَلَقَدْ التَّيَامَ حُرْفَ الدِّينِ بِمَعْنَى... وَقِيلَ وَهَفَ
الْأَمَامَةَ، فَتَطْلَعُهَا.
- (٤) كُنَا فِي بِنَى الْأَصُولِ وَبِلَاطَاتِ النِّسَاءِ. وَالرَّتْقُ: مَدُّ التَّفَاقِ. وَأَتَمَّ الْعَمَلُ:
- تَوَامَ. وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «وَزَيْنَ لَهُ أَتْيَاءَهُ».
- (٥) وَقَدْ: تَهَرَّهَ وَأَذَلَهُ. وَفِي بِلَاطَاتِ النِّسَاءِ: «وَقَدْ». وَالْوَقْدُ: الْكُسْرُ وَالْجَمْعُ.
- ٢٠ (٦) حَسَّ النَّارَ: أَوْقَدَهَا.
- (٧) السُّدُودَةُ: الْوَبِيَّةُ. وَفِي الْأَصُولِ: «الْفَرَّةُ». وَمَا أَتَيْنَا مِنْ بِلَاطَاتِ النِّسَاءِ.
- وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ (رَقْمُ ٨ ص ١٢٩) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.
- (٨) رَأَبَ: أَسْلَحَ. وَالثَّأْيُ: بِالْفَتْحِ وَالشَّرْكَاءُ: الْإِنْفَادُ.
- ٢٥ (٩) السَّلَطَةُ: كَالْفَرَحَةِ مِنْ الدَّلَاءِ: الَّتِي انْقَطَعَ وَذَمُّهَا، وَفِي السُّيُورِ بَيْنَ أَكْثَانِ الدَّلْوِ
وَالرَّاقِي. وَأَوْدَمَهَا: هَدَمَهَا. وَلِيَا مِنْ هَذَا الْجُزْءِ (ص ١٢٩): «وَأَوْدَمَ
مِنْ التَّلَطَّةِ».
- (١٠) أَنْتَاشَ: أَخْرَجَ.
- (١١) أَجْجَحَى: اسْتَأْصَلَ.
- (١٢) أُعْطِنَ الْوَارِدُ: حَبَسَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّاءِ. وَهَذَا كِتَابِيَّةٌ عَنْ تَأْمِينِ السَّبِيلِ.
- ٣٥

ما بين اللابئين^(١) إذا ضلّ، عُرُوكة للأذاة بجنبه^(٢)، يَفْظَن الليل في نصرة الإسلام، فسلك مسلك السابقين، ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاء ما جمع القرآن، وأنا نَصَبُ للسَّأَةِ عن مسيرى^(٣) هذا. لم أتمس إثمًا، ولم أُؤرث^(٤) فتنة أوطككوها. أقول قولي هذا صِدْقًا وعدلا، وإعذارًا وإنذارًا^(٥)، وأسأل الله أن يُصلي على محمد وأن يحلّقه فيكم بأفضل خلافة المرسلين.

٢٧٧
٧

وكتبتم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين إذ عنمت على الخروج يوم الجبل: من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة أم المؤمنين، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، إنك^(٦) سُدَّة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته، حجاب^(٧) مضروب على حرمة. قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه^(٨)، وسكر خفارتك فلا تبثليها^(٩). فاقه من وراء هذه الأمة. لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النساء يمتدعن الجهاد عهد إليك. أما علمت أنه قد نهاك عن القراطة^(١٠) في البلاد^(١١)، فإن عمود الدين^(١٢) لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن

(١) اللابان: مثنى اللابة، وهي الحرة. تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس.

(٢) المرك: الدلك. ويقال: مرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. ١٥

تصفه بالاحتمال.

(٣) أي أنها حريضة لأن يسأل عن خروجها لم خرجت.

(٤) أؤرث: أشمل وأودد.

(٥) في بعض الأصول: «وتنفرا».

(٦) في بعض الأصول: «قد حكتك» مكان «إنك سدة» وما أئمتنا عن سائر ٢٠

الأصول وبلاغات النساء.

(٧) في بلاغات النساء: «حجابك».

(٨) فلا تندحيه، أي لا توسيه بخروجك إلى البصرة. وفي بعض الأصول: «ذوئك فلا تسبيها».

(٩) كذا في الأصول، وسكر: حبس. ومنه قوله تعالى: «سكرت أجيابنا» أي ٢٥

حبست من النظر، أو غطيت وغفيت. وفي بلاغات النساء ولسان العرب (مادة مقر): «وسكن الله عقيرك فلا تصبريها» أي أسكنك الله بيتك وعقارك

وسترك فيه فلا تهزري. والشقير: مصغر مشتق من جقر النار.

(١٠) القراطة: التقدم. (١١) في بعض الأصول: «في الدين».

(١٢) في الأصول: «الدين». وما أئمتنا من بلاغات النساء. ٣٠

إن أنصدع ؟ جهاد النساء غرض الأطراف ، ومنه الذبول ، وقصر المودة .
ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك يممض هذه القلوات
ناصة^(١) قعودا ، من مهل إلى مهل ؟ وغدا تردن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأقسم لو قيل لي : يا أم سلمة ، ادخل الجنة ، لاستحييت أن ألقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه علي . فأجملية سترك ،
وقاعة البيت حصنك ؛ فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قدمت عن
نصرتهم . ولو أني حدثتك بمحدث مسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتهشني^(٢) بهش الحية الرقشاء المظروقة . والسلام .

فأجابها عائشة : من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة ، سلام عليك ، فإني
أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فأقبلني لوعظك ، وأعرضني لحق
نصيحتك ، وما أنا بمعتمة^(٣) بعد تعريج ، ولئيم اللطع مطلع فرقت فيه بين
فتنتين متشاجرتين من المسلمين ، فإن أصد فمن غير حرج ، وأن أمض فإني
ما أخطئ في عن الأزداد منه . والسلام .

وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان إذ قدمت البصرة : من عائشة أم
المؤمنين إلى أبيها الخالص زيد بن صوحان ، سلام عليك . أما بعد ، فإن أباك كان
رأسا في الجاهلية وسيدا في الإسلام ، وإنك من أهلك بمنزلة المصلّي من السابق ،
يقال كاد أو لحق ، وقد بلغت الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان ،
ونحن قادمون عليك ، والعيان أشقى لك من الغر . فإذا أتاك كتابي هذا فقبض
الناس عن علي بن أبي طالب ، وكُن مكانك حتى يأتيك أسرى . والسلام .

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين . سلام عليك ،
أما بعد ، فإنك أمرت بأمر وأمرنا بفهره ، أمرت أن تقرّ في بيتك ، وأمرنا

(١) الصدود (بالفتح) : من الإبل يقتحمه الرامي في كل حاجة . وناصة : اسم جاهل
من النّس ، وهو أن تستخرج من النّافة أقصى سيرها .

(٢) في بعض الأصول : « تمعت » . وما أمبنا من سائر الأصول والإمامة والسياسة .

(٣) الاعتار : الزيرة . تريد أنها ليست راجعة عما عنمت عليه .

أَنْ تُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً . فَتَرَكْتُ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَكَتَبْتُ تَنْهِيًا عَمَّا أَمَرْنَا بِهِ ، وَالسَّلَامُ .

- وخطب على رضى الله عنه بأهل الكوفة يوم الجبل إذ أقبلوا إليه مع الحسن بن عليّ فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر الرسلين ، أما بعد . فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين كافة ، والناس في أختلاف ، والعربُ بِشَرِّ النّازل ، مُسْتَضْعَفُونَ لِمَا بِهِمْ ، فَرَأَبَ اللَّهُ بِهِ الثَّأْيَ ، وَلَأَمَ بِهِ الصَّدْعَ ، وَزَنَى بِهِ الْقَفْقَ ، وَأَثَنَ بِهِ السَّيْلَ ، وَحَقَّنَ بِهِ الدَّمَاءَ ، وَقَطَعَ بِهِ الْمَدَاوَةَ الْمَوْغِرَةَ^(١) لِقُلُوبِ ، وَالضَّخَّانَ الْمُشْحَنَةَ^(٢) لِلْمَدُورِ ، ثُمَّ قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَشْكُوراً سَمِيحاً ، مَرْضِياً عَمَلَهُ ، مَتَّفِقُوراً ذَنْبَهُ ، كَرِيماً عِنْدَ اللَّهِ تَزَلَهُ . فَيَا هَذَا مِنْ مُصِيبَةٍ حَثَّتِ السَّلَامِينَ ، وَخَسَّتِ الْأَقْرَبِينَ . ١٠
- قَوْلِي أَبُو بَكْرٍ فَسَارَ فِينَا بِسِيرَةِ رِضَا ، رَضِيَ بِهَا السَّلَامُونَ . ثُمَّ وَلِيَ عَمْرٍ فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ثُمَّ وَلِيَ عُثْمَانُ فَنَالَ مِنْكُمْ وَنَلِمَ مِنْهُ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، أَنْ يَتَمَوَّهَ فَيَقْتُلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَنْ يَتِمَّوْنِي فَيَقْتُلْتُمْ : لَوْ بَايَعْتُنَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَضِلُّ ، وَقَبِضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعْتُمْ كَفِّي فَبَذَلْتُمُوهَا ، وَقُلْتُمْ : لَا تَرْضَى إِلَّا بِكَ ، وَلَا نَجْعَمُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَتَرَاكُمْ عَلَى تَرَاكُمِ الْإِبِلِ الْمِيمِ عَلَى حَيَاتِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ قَاتِلِي وَأَنْ بَعْضَكُمْ قَاتِلِي بَعْضاً ، فَبَايَعْتُمُونِي ، وَبَايَعِي طَلْحَةَ وَالزَّيْيرَ ، ثُمَّ مَا لَبِثْنَا أَنْ أَسْتَأْذِنَانِي إِلَى الشُّمْرِ . فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَتَاتَلَا بِهَا السَّلَامِينَ ، وَقَتَلَا بِهَا الْأَفَاعِيلَ ، وَهَمَّا يَمْلِكَانِ وَاللَّهُ أَتَى لَسْتُ بِدُونِ مَنْ مَضَى ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطْعَا قَرَابَتِي ، وَتَكْثِيرَا بَيْتِي ، وَأَلْبَا عَلَى هَدَوِي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكَمْ لِمَا مَا أَرَمَا ، وَأَرَامَا لِمَا سَاءَ فِيمَا عَمَلَا . ٢٠
- وَأَمْلَى عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ مَسْلَمَةَ^(٣) بْنِ مُحَارِبٍ مِنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « الْوَاغِيَّة » .

(٢) لِلْمُشْحَنَةِ ، أَيْ لِلزُّرْقَةِ ؟ يُقَالُ : شَمِنَ عَلَيْهِ ، كَفَرَحَ : إِذَا حَفَدَ . وَفِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « الْمُحْفَنَةُ » . مِنَ الْمُحْفَنَةِ (بِالْكَسْرِ) : الْحَفْدُ .

(٣) فِي الْأَسْوَالِ : « سَلْمَةُ » . وَمَا أُنْجِنَا مِنَ الطَّيْرِ .

حَرَبَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ إِلَى عَائِشَةَ قُلْنَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرِينَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا . عَهْدَ عَهْدِهِ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَمْ رَأَى رَأْيَيْهِ ؟ قَالَتْ : بَلِ رَأَى رَأْيَيْهِ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، إِنَّا تَقَمْنَا عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِالسُّوْطِ ، وَمَتَّعَ الْمَسْحَاةَ لِلْعَجَلِ ، وَإِسْرَةَ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ^(١) ، فَعَدَوْنَاهُ عَلَيْهِ فَأَسْتَحْلَمَ مِنْهُ الثَّلَاثَ الْحَرَمَ : حُرْمَةَ الْبَلَدِ وَحُرْمَةَ الْخِلَافَةِ وَحُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بَعْدَ أَنْ مَضَى كَمَا يُحَاسُّ^(٢) الْإِنَاءَ ، فَفَضَّيْنَا لَكُمْ مِنْ سَوَاطِ عُثْمَانَ ، وَلَا تَغْضَبْ لِعِثَانَ مِنْ سَيْفِكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَنْتَ وَسَيْفُنَا وَسَوَاطِ عُثْمَانَ ، وَأَنْتَ حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْرُكَ أَنْ تَقَرَّعَ فِي بَيْتِكَ فَجِئْتَ تَقْرِيِبَ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ! قَالَتْ : وَهَلْ أَحَدٌ يَقَاتِلُنِي أَوْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَتْ : وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ مُبْلَغُ عَنِّي بِإِعْرَانِ ؟ قَالَ : ١٠ لَسْتُ مُبْلَغًا عَنْكَ حَرْفًا وَاحِدًا . قُلْتُ^(٣) : لَكُنْتِي مُبْلَغُ عَنْكَ ، فَهَاتِ مَا شِئْتَ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ اقْتُلْ مُدْمَغًا قَصَاصًا بِعِثَانَ ، وَأَرْمِ الْأَشْرَ بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِكَ لَا يَشْوِي ، وَأَذْرِكْ عَمَارًا بِخَفَرِهِ بِعِثَانَ^(٤) .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَدِمْنَا لِلدِّينَةِ وَنَحْنُ رُبِدَ الْحَجِّ ، فَأَنْطَلَقْتُ فَأَنْتَيْتُ طَلْعَةَ وَالزَّيْرَ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَرَى هَذَا^(٥) إِلَّا مَقْتُولًا ، فَنَافَرَانِي بِهِ كَأَنَّ رَضِيَانَهُ لِي ؟ قَالَا : نَأْمُرُكَ بِسَلَى . قُلْتُ : فَتَأْمُرَانِي بِهِ وَرَضِيَانَهُ لِي ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَنَا قَاتِلُ عُثْمَانَ وَبِهَا عَائِشَةُ

(١) سَعِيدٌ ، هُوَ ابْنُ السَّامِ . وَالْوَلِيدُ ، هُوَ ابْنُ عَقِيلَةَ . وَهَذَا الْكُفْرَةُ لِعِثَانَ ، وَلِهَا الْوَلِيدُ ثُمَّ وَلِهَا سَعِيدٌ فَأَتَيْنَا مَا أَنْكَرَهُ النَّاسُ عَلَيْهِمَا . (انظر ص ٢٩٤ من هذا الجزء) .
(٢) اللُّوسُ : صَلَافُ لَيْلٍ ، وَالْبَلَكُ يَالِدُ . (انظر ص ٢٩٤ من هذا الجزء) .
(٣) الضَّيْرُ فِي قُلْتُ : « لَوْلَا أَنِّي الْأَسْوَدُ » الَّذِي خَرَجَ مَعَ ابْنِ حُصَيْنٍ وَابْنِ حُنَيْفٍ إِلَى عَائِشَةَ . وَهَذَا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْخَبَرِ .

(٤) يُقَالُ : خَفَرْتُ بِهِ خَفَرًا وَخَفُورًا ، إِذَا تَقَضَّى عَهْدَهُ وَغَدَرَهُ . (انظر القاموس مادة خفر) . وَفِي بَعْضِ الْأَمْوَالِ : « بِجِهَةِ عَلِيٍّ عَيْنٌ » . وَهَذَا مِنْ هَذَا الْخَبَرِ مِنْ عَائِشَةَ (ص ٢٩٤) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ .
(٥) يُرِيدُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ .

- أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ : مَنْ تَأْمُرِينِي أَنْ أَبَايَعُ ؟ قَالَتْ : عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .
 قُلْتُ : تَأْمُرِينِي بِهِ وَتَرْضِيْنِي بِهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَرَرْتُ عَلَى عَالِيٍّ بِالْمَدِينَةِ
 فَبَايَعْتُهُ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ اسْتَقَامَ ؛ فَارَاعَنَا إِلَّا
 قُدُومَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ قَدْ نَزَلُوا جَنَابَ الْخُرَيْبَةِ ^(١) . قَالَ : قُلْتُ :
 مَا جَاءَ بِهِمْ ؟ قَالُوا : قَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْكَ يَسْتَنْصِرُونَكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ ، إِنَّهُ قُتِلَ مَظْلُومًا .
 قَالَ : فَأَتَانِي أَفْطَحُ أَمْرٌ لَمْ يَأْتَنِي قَطُّ . قُلْتُ : إِنَّ خِيْلَانِ هَؤُلَاءِ وَمَعَهُمْ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَشَدِيدٌ ، وَإِنْ قَاتَلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَمَرُونِي بِبَيْعَتِهِ لَشَدِيدٌ . قَالَ : فَلَسَا أَنْتَهُمُ قَالُوا :
 جِئْنَاكَ نَسْتَصْرِكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ ، قُتِلَ مَظْلُومًا . قَالَ : قُلْتُ : يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 أَتَشُدُّكَ اللَّهُ ، أَقُلْتُ لَكَ : مَنْ تَأْمُرِينِي بِهِ وَتَرْضِيْنِي بِهِ ، قُلْتُ : عَلَى ؟ قَالَتْ : بَنِي ،
 وَلَكِنَّهُ بِذَلِكَ . قُلْتُ : يَا زُبَيْرُ ، يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَيَا طَلْحَةَ ، نَشُدُّكَ بِاللَّهِ ،
 قُلْتُ لَكُمَا : مَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِي بِهِ ، فَقُلْتُمَا عَلَى ؟ قَالَا : بَنِي ، وَلَكِنَّهُ بِذَلِكَ .
 قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُكُمْ وَمَعَكُمْ أُمُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا أَقَاتِلُ عَلِيًّا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ أَخْتَارُوا مَنِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ تَقْتَحِنُوا
 لِي بِبَابِ الْجِسْرِ فَأُلْحِقَ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَقْضَى ، وَإِمَّا
 أَنْ أُلْحِقَ بِكُمْ فَأَكُونَ بَهَا ، أَوْ أَتَحَوَّلَ فَأَكُونَ قَرِيبًا ؟ قَالُوا : نَأْتِمُرُ ثُمَّ نُرْسِلُ
 إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَتَمَرُوا وَقَالُوا : نَقْتَحِنُ لَكَ بِبَابِ الْجِسْرِ فَيُلْحِقُ بِهِ الْفَارُوقُ وَالْخَالِدُ ،
 أَوْ يُلْحِقُ بِكُمْ مَيْمَنُشْكَمُ بْنُ قُرَيْشٍ وَيُجْبِرُهُمْ بِأَخْبَارِكُمْ ، أَجْلَاوَهُ هَاهُنَا قَرِيبًا حَيْثُ
 تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَأَعْتَزَلَ بِالْجَلْعَاءِ ، مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى فَرَسَيْنِ ، وَاعْتَزَلَ مَعَهُ زُهَاءُ
 سِتَّةَ آلَافٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ .

مقتل طلحة

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَبَلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي النِّصْفِ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ ،

(١) الْخُرَيْبَةُ (يُلْفِظُ الصَّغِيرَ) : مَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ ، وَمَتَدُهُ كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَبَلِ بَيْنَ عَلَى
 وَمَعَالِيقَةٍ . (انْظُرْ مَعِجَمُ الْجَلَّانِ) .

التَّقُوا فَكَانَ أَوَّلَ مَضْرُوعٍ فِينَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَاهُ سَهُمٌ قَرَبٌ ^(١)
فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَسْكُوهُ قَتَرَ الدَّمَ ، وَإِذَا تَرَكَوهُ أَتَفَجَّرَ ، فَقَالَ
لَهُمْ : أَتَرَكَوهُ ، فَأَنَا هُوَ سَهُمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ .

٥ حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحةُ يومَ الجَلِ :
نَدِمْتُ نَدَامَةَ السَّكْسَى ^(٢) لَمَّا طَلَبْتُ ^(٣) رَضًا بَنَى حَزْمٌ ^(٤) بَزْعُمِي
اللَّهُمَّ خُذْ مَنِي لَعْنَانٍ حَتَّى يَرْضَى .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : لما رأى مروان بن الحكم يوم
الجل طائفةً بن عُبيد الله قال : لا أُنْتَظَرُ بعدَ اليومَ بئاري في عُثْمَانَ ، فانتزع
له سَهْمًا ^(٥) فَقَتَلَهُ .

١٠ ومن حديث سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قال : لما أَتَقَضَى يَوْمَ الْجَلِ خَرَجَ عَلَيَّ بَنُ
أَبِي طَالِبٍ فِي لَيْلَةٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَعَهُ مَوْلَاهُ وَبِيَدِهِ شُعْمَةٌ يَتَصَفَّحُ وَجْهَهُ الْقَتْلُ ،
حَتَّى وَقَفَ عَلَى طَالِحَةَ بِنْتِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَطْنٍ وَادٍ مُتَعَفِّرًا ، فَجَلَّ يَمْسَحُ الْفُبَارَ عَنْ
وَجْهِهِ وَيَقُولُ : أَحْزَنُ عَلَيَّ يَا أَبَا عَمْدٍ أَنْ أُرَاكَ مُتَعَفِّرًا تَحْتَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَفِي بَطْنِ
الْأَوْدِيَةِ ، إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . شَقِيتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي ، إِلَى اللَّهِ
١٥ أَشْكُو مُجَرِّى وَمُجَرِّى ^(٦) . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَالِحَةُ
وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : (وَتَزَعَّنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا كُلٌّ
سُورٍ مُتَقَابِلِينَ) وَإِذَا لَمْ نَسْكُنْ نَحْنُ قَتْنٌ هَمْ ؟

- (١) سهم غرب ، بالإضافة وفتح غرب ويحرك ، وسهم غرب ، هنا : أى لا يدري راييه .
(٢) السكسكى الذى يضرب به الخلل في الندامة ، رجل رام روى بعد أن أسدف الليل
عينا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، وقبل تطلع أصبحه ، ثم ندم من اللد
٢٠ حين نظر إلى المير متولا وسهمه فيه .
(٣) في بعض الأصول : « صريت » . وما أجهتا من سائر الأصول والمروج (ج ٢ ص ١١) .
(٤) في بعض الأصول « جرم برغمي » .
(٥) انتزع له سهما : رماه به . وفي بعض الأصول : « فانتزعه بسهم » .
(٦) عبره وبجره : عيوبه وأحزاه ، وما أبدى وما أخفى .

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مكرّم: أن علي بن أبي طالب أجلس طلحة يوم الجمل وسبح التبار عن وجهه وبكى عليه .

ومن حديث سفيان : أن عائشة بنت طلحة كانت ترى في نومها طلحة ، وذلك بعد موته بمسرين يوما^(١) ؛ فكان يقول لها : يا بُنية ، أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذي . فلما أذهبت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشتة ، فوجدته صحيحا كما دُفن لم تنحصر له شجرة ، وقد اخضر جنبه كالساق من الماء الذي كان يسيل عليه ، فلقته في اللاحف وأشرت له عرسا بالبيصرة فدفنته فيها ، وبنت حوله مسجدا . قال : فلقد رأيت المرأة من أهل البيصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها ، فلم ير أن يفيضان ذلك حتى صار تراب قبره مشكا أذفر .

ومن حديث الخشي قال : قال لما قُتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا في تركته ثلثمائة دينار من ذهب ونقصة . وال دينار : وزن من جلد بعير^(٢) . وقع قوم في طلحة عند علي بن أبي طالب فقال : أما والله لئن قُلت فيه إنه لسكا قال الشاعر :

ففي كان يذنيه النقي من صديقه إذا ما هو أستغنى ويبيعه الفقر
كان الثريا علقت في يمينه وفي خده الشرى وفي الآخر البذر

مقتل الزبير بن العوام

شريك عن الأسود بن قيس قال : حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يتعص الخيل بالرمح قمصا ، فتوه به علي : أبا عبد الله ، أتذكر يوما أنا الذي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال : أتناجيه ! والله ليقاتلك وهو ظالم لك . قال : ٢٠
فصرف الزبير وجهه دابته وأنصرف .

(١) في بعض الأصول : سنة .

(٢) قال ابن منظور مادة (بهر) : البهار (بالهمزة) شيء يؤزن به ، وهو ثلاثة رطل .

ثم نقل هذا الكلام . فقال : « إن ابن الصبية ، سبي طلحة بن عبيد الله ، كان

يقال لأمه الصبية بترك ما لبهار ، وفي كل بهار ثلاثة فاصير ذهب ونقصة ، فجاء وما . » ٢١

قال أبو الحسن : لما أُنْهَازَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَلِّ مَرَّ بِمَاءٍ لَبَنِيٍّ نَحْمٍ ، فَقِيلَ
لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ أَقْبَلَ . قَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِهِ أَنْ سَمِعَ مِنْ
هَذَيْنِ الْفَزَائِيَّيْنِ ^(١) وَتَرَكَ النَّاسَ وَأَقْبَلَ — يَرِيدُ الْفَزَائِيَّيْنِ ^(٢) الْمُسْكِرِينَ — وَفِي مَجْلِسِهِ
عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ الْجَاشَعِيُّ ، فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَأَتْبَعَهُ حَتَّى وَجَدَهُ
بِوَادِي السَّيَّاحِ نَأْمًا فَقَتَلَهُ ، وَأَقْبَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . فَقَالَ عَلِيٌّ : أَبْشُرْ
بِالنَّارِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بِشَرِّ رِجَالِ الزُّبَيْرِ النَّارُ .
فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ وَهُوَ يَقُولُ :

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهَا زُفَّةً
فَبَشَّرُ بِالنَّارِ قَبِيلَ الْعِيَانِ فَبُئْسَ بِشَارُهُ ذِي التَّحَفَةِ

١٠ ومن حديث ابن أبي شيبَةَ قَالَ : أَقْبَلَ رَجُلٌ بِسَيْفِ الزُّبَيْرِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ
عَلِيٍّ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهِ ، أَدْخَلَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَنَادَاهُ
إِيَّاهُ وَقَالَ : هَذَا سَيْفُ الزُّبَيْرِ . فَأَخَذَهُ عَلِيٌّ ، فَغَطَّرَ إِلَيْهِ مَلْيَأْتَهُمْ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ
الزُّبَيْرَ . لَطَّلْنَا فَرَجَّحَ بِهِ الْكُرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَتْ
أُمُّ رَأْسِ الزُّبَيْرِ ^(٣) تَرْتِيهِ :

١٥ غَدَرُ ابْنِ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهْمَةٌ ^(٤) يَوْمَ الْحِيَاكِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَدِّدٍ
يَا عَمْرُو لَوْ تَبَيَّنَتْ لَوْجَدْتُهُ لَا طَائِشًا رَمَسَ الْجَنَانَ وَلَا التَّيْدَ
تَكَلَّمْتُكَ أَمَّا أَنْ قَتَلْتَ لُسْلُمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَصِّدِ
وَقَالَ جَرِيرُ يَنْعَى عَلَى ابْنِ مُجَاشَعٍ قَتَلَ الزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
إِنِّي تُدَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً تَدْعُو بِبَيْطَانِ الْوَادِيِّينَ ^(٥) هَدِيدًا ^(٦)

(١) التزوي : جمع فاز . وفي بعض الأصول « التازين » .

(٢) هي عائكة بنت زيد بن خيل ، أخت سميد بن زيد .

(٣) فارس بن جهم : لا يثنى عن شيء أرادته .

(٤) كذا في الأصول . والقي في الألفاظ وديوان جرير ومجمع البيان في رسم « التخلين »

« تدعو بمجمع تخلين » . والتخلان : عن يمين بستان ابن حاصر ، إحدىاهما النخلة

الغالبية . والقي في السكاك للبرد : « تدعو بأهل الأيكين » .

(٥) الهديل : فرخ ترمع الأعراب أنه كان في عهد توح عليه السلام مات عطشا فلا زالت

الحمام تذبذبه .

قالت فُريش ما أذلَّ مُجاشعاً جاراً وأكرمَ ذا القَتِيلِ قَتِيلًا
لو كُذِّتَ حرّاً يابنَ قَيْنٍ^(١) مُجاشعٍ شَيِّعَتِ ضَيْفَكَ فَرَسَخًا أَوْ مِيلًا
أفبعدَ قَتْلِكَ^(٢) خليلَ عَمْدٍ تَرْجُو الْقِيُونَ^(٣) مع الرسولِ سَيِّيلًا^(٤)

هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : دعاني أبي يومَ الجمل
فمُتُّ عن يمينه ، فقال : إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وما أراني إلا
سأقتل مظلوما ، وإن أكرهني ديني ، فيع مالي ثم أنقض ديني ، فإن فضل
شيء فثله لوليك ، وإن عجزت عن شيء يا بُني فاستمن مولاي . قلت : ومن
مولاك يا أبت ؟ قال : الله . قال عبدُ الله بن الزبير : فوالله ما بقيتُ بعد ذلك
في كربة من دينه أو عُسرة إلا قلت : يا مولاي الزبير ، أنقض عنه دينه ، فيفضيه .

- قال : فقتل الزبير ونظرتُ في دينه فإذا هو ألف ألف ومائة ألف . قال : فبيعت
١٠ ضِمةً له بالثابة^(٥) بألف ألف وستائة ألف ، ثم ناديتُ : مَنْ كان له قبل الزبير
شيء فليأتنا نَقْضِهِ . فلما قضيتُ دينه أناني إخواني فقالوا : أقسم بيننا ميراثنا .
قلت : والله لا أقسم حتى أنادي أربع سنين بالمؤمس : من كان له على الزبير
شيء فليأتنا نَقْضِهِ . قال : فلما مضت الأربع السنين أخذت الثلث لولدي ، ثم
قسمتُ الباقي . فصار لكل امرأة من نسائه — وكان له أربع نسوة — في ربيع
١٥ الثمن ألف ألف ومائة ألف . فجميع ما ترك مائة ألف ألف وسبعائة ألف ألف .

ومن حديث ابن أبي شيبَةَ قال : كان عليٌّ يُخرج مُناديه يومَ الجمل يقول :
لا يُسلَبن قَتِيل ، ولا يُتْبِع مُذْبِر ، ولا يُجْهَز على جريح .

- (١) في بعض الأصول « فيس » . وما أئبنا من سائر الأصول والديوان .
٢٠ (٢) في الكامل : « متركك » . وفي لسان العرب مادة سبل : « مطلقك »
(٣) في بعض الأصول : « القيون » . وما أئبنا من سائر الأصول والديوان والكامل
ولسان العرب .
(٤) سبيلا ، أي سببا ووصلة .
(٥) الثابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة . (انظر معجم
٢٥ البلدان) .

قال . وخرج كعب بن ثور من البصرة قد نقله للمصحف في عنقه ، فجعل
يُنشره بين الصغين ويُناشد الناس في دِمائهم ، إذ أتاه سهم فقتله وهو في تلك
الحال لا يدري من قتله .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل للأشتر ، وهو مالك بن الحارث ، وكان
على اليمينة : اجل . فحمل . فكشف من يازاته . وقال لهائثم بن عتبة ، أحد بني
زُهرة بن كلاب ، وكان على الميسرة : اجل . فحمل ، فكشف من يازاته . فقال
على لأصحابه : كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي !

ومن حديث الجمل^(١)

الأنشئ عن أبي حاتم السجستاني قال : أنشدني الأعمى عن رجل شهيد
١٠ الجمل يقول^(٢) :

شهدتُ الحروب وشيئني فلم تر عيني كيوم الجمل
أخره^(٣) على مؤمنٍ فتنةً وأفتك منه لخرقٍ بطل^(٤)
فليت الظلمينة في بيتها وليتك عسكرُ لم تره تحمل

ابن مُنيّة^(٥) وهبه لمائشة وجعل له هودجاً من حديد ، وجهاز من ماله خمسة
١٥ فارس بأسلحتهم وأزودتهم . وكان أكثر أهل البصرة مالا . وكان على بن

(١) في بعض الأصول : « الجمل » . تحريف .

(٢) روى المسعودي في الكلام على يوم الجمل هذه الأبيات لامرأة من عبد القيس
خرجت تطوف بين القتلى فوجدت ابنه لها قتلاً ، وقد قتل زوجها وأخوان
لها فبين قتل قبل يحيى . على البصرة .

(٣) كذا في المروج وفي الأصول : « أخير » .

(٤) الخرق (بالكسر) : السحق والحق الحسن للكرم الخليفة . ورواية هذا النظم
في المروج : « وأهله لشياع بطل »

(٥) في الأصول : « منه » تحريف (انظر المعارف والطبرى والمتقى) . ومنية ، أمه .
وهي منية بنت الحارث بن جابر ، من بني مازن . وقد مر ذكره في الجزء الأول
من هذه الطبعة (س ٢٩٩ - ٣٠٠) .

أبي طالب يقول: بُليت بأنّس^(١) الناس وأنطق الناس وأطوع الناس في الناس .
يريد بأنّس^(٢) الناس: يعلى بن مُنية، وكان أكثر الناس ناصاً^(٣)؛ ويريد
بأنطق الناس: طلحة بن عبيد الله؛ وأطوع الناس في الناس عائشة أم المؤمنين .
أبو بكر بن أبي شعبة عن محمد بن عبيد الله عن التميمي قال: كانت
رابة على يوم الجمل سوداء، ورواية أهل البصرة كالجل .

الأعشى عن رجل سمّاه قال: كنت أرى علياً يوم الجمل يحمل فيضرب
بسيّفه حتى ينفق، ثم يرجع فيقول: لا تلوموني ولوموا هذا، ثم يسود ويقومه .
ومن حديث أبي بكر بن أبي شعبة قال: قال عبد الله بن الزبير: التقيتُ
مع الأشتر يوم الجمل، فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة، ثم جرّ
برجلي فألقاني في الخندق، وقال: والله لولا قُرْبُكَ من رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم ما أجمع فيك عضو إلى آخر .

أبو بكر بن أبي شعبة قال: أعطت عائشة التي بشرها بحياة ابن الزبير،
إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل، أربعة آلاف .

سميد عن قتادة قال: قُتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً، منهم ثمانمائة
من بني ضبة .

وقالت عائشة: ما أنكرتُ رأس جلي حتى فقدتُ أصوات بني عدى^(٤) .
وقُتل من أصحاب عليّ خمسمائة رجل، لم يعرف منهم إلا علباء^(٥) بن الميثم
وهذه الجلي، قُتلها ابن الليثي^(٦)، وأنشأ يقول:

(١) أنس، أي أكره الناس ناصاً. والناس من الطاع: ما تحول ورثاً أو ميئاً. ومن

الأصمى: اسم البراء والدناير عند أهل الحجاز والناس. وفي بعض الأصول: ٢٠

« أنسى » وما أتينا من سائر الأصول والمعارف .

(٢) في بعض الأصول: « بأنسى » انظر الحاشية السابقة .

(٣) انظر الحاشية رقم ٩ .

(٤) في الطبري: « ما زال رأس جلي مبتدلاً حتى فلتت بنو ضبة حولى » .

(٥) كذا في الطبري، وكذا جاء في غير (ج ٣ ص ٣٤٣ من هذه الطبعة) . وفي ٢٥

اللسان (مادة جل): « علباء » دون ذكر أبيه . والقي في الأصول هنا: « عمار

ابن الحارث » . (٦) هو محمد بن الليثي .

إِنِّي لَمَنْ يَجْهَلُنِي ابْنُ الْيَثْرِبِيِّ^(١) قَتَلْتُ عَلَيْهِ^(٢) وَهْنُ الدَّجَلِيِّ^(٣).
عبد الله بن عَوْنٍ عن أَبِي رَجَاءٍ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَلَّالَ حِينَئِذٍ وَهُوَ كَظْهِرِ
الْقُنُذُوقِ مِنَ النَّبْلِ ، وَرَجُلٌ^(٤) مِنْ بَنِي صَبَّةٍ آخِذٌ بِمِطْمَاهِ وَهُوَ يَقُولُ :
نَحْنُ بَنُو صَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَلِّ . لَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْقَسْلِ
تَقْنَى ابْنُ عَفَّانٍ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ^(٥)

عُنْدَرُ^(٦) قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ
سَلَمَةَ ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَلِّ ، وَالْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ ، وَكَانَ مَعَ
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَتَذَكَّرُوا وَقَعَةَ الْجَلِّ ، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
مِثْلَ يَوْمِ الْجَلِّ ، لَقَدْ أَشْرَعُوا رِمَاحَهُمْ فِي صُدُورِنَا وَأَشْرَعْنَا رِمَاحَنَا فِي صُدُورِهِمْ ،
وَلَوْ شَاءَتِ الرِّجَالُ أَنْ تَسْخَى عَلَيْهِمَا لَمَسَتْ ، يَقُولُ هُؤَلَاءُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ،
وَيَقُولُ هُؤَلَاءُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ،
وَأَنِّي أَعْمَى بِمَقْطُوعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ : وَاللَّهِ مَا يُسْرَتُنِي
أَنِّي عَشِيتُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا عَنْ مَشْهَدِ شَهِدَةٍ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِحُمَرِ النَّعَمِ .
٢٨٢
٧
١٥ عَلِيٌّ بْنُ حَاسِمٍ عَنْ حُسَيْنٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَحِيصَةَ الْبِكَاءُ قَالَ : إِنِّي لَفِي
الصَّفِّ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ عُقِرَ بِأَمِ الْمُؤْمِنِينَ جُلُهَا ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ

(١) انظر البيان والجزء الثالث من هذه الطيبة (س ٣٤٣) في صدر البيت خلاف في الرواية .

(٢) في الأصول : « دمار » . انظر الحاشية (رقم ٥ س ٣٢٦ من هذا الجزء) .

(٣) هو هند بن عمرو . وزاد الطبري على هذا الرجز بيتا وهو :

« وابنا لصويان على دين علي »

يريد يزيد بن صوحان ، وكان ثالث من قتلهم ابن اليربوعي في هذا اليوم .

(٤) إسم هذا الرجل الحارث . (انظر الطبري) .

(٥) في مروج الذهب :

« ردوا علينا شيئا ثم يجل مثل ردوا بأطراف الأسل »

(٦) هو محمد بن جعفر البصري ، مولى حنبل . وغندر ، كعندب ونظف : صهيح ناعم ،

وهو لقبه . وكان أكثر من السؤال في مجلس ابن جريج ، قال له : ما تريد يا غندر ؟

فأقوله . (انظر المازني والطبري والقايس وشرحه مادة غندر) .

وعمار بن ياسر يشتدّان بين الصّفيّين أيهما يسبق إليها ، ففقطعا عارضة الرّجل وأحتملاها في هودجها .

ومن حديث الشّعبي قال : من زعم أنّه شهد الجبل من أهل بدر إلا أربعة ، فكذبّه ، كان على وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية .

- أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبي النعمان عن ابن أبي رزّي قال : أتني عبد الله بن بُديل إلى عائشة وهي في المودج ، قال : يا أمّ المؤمنين ، أنشدك الله ، أتملين أنّي أتيتك يوم قُتل عثمان فقلت لك : إن عثمان قد قُتل فما تأمريني [به] . فقلت لي : الزم عليّا ؟ فوالله ما غيّر ولا بدّل ، فسكت . ثم أعاد عليها . فسكت . ثلاث مرّات . فقال : اعبروا الجبل ، مفعروه . فنزلت أنا وأخوها محمد بن أبي بكر فأحتملنا المودج ١٠ حتى وضعناه بين يدي عليّ ، فسرّ به ، فأدخل في منزل عبد الله بن بُديل .

وقالوا : لما كان يوم الجبل ما كان ، وظفّر عليّ بن أبي طالب دنا من هودج عائشة ، فكلّمها بكلام . فأجابته : ملكت فأسجّع . فجهرّها عليّ بأحسن الجهاز وبثّ منها أربعين امرأة — وقال بعضهم : سبعين امرأة — حتى قدّمت للدينة .

١٥

- عكرمة عن ابن عباس قال : لما اتقى أمر الجبل دعا عليّ بن أبي طالب بأجرّين فلاحا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب الهيمة ، رعا فحتم ، وعقر فهُزمت ، نزّلت شرّ بلاد ، أبسدها من السماء ، بها مفيض كلّ ماء ، ولها شرّ أسماء ، هي البصرة والبصرة وللؤنسكة وتذسر ، أين ابن عباس ؟ قال : فدعيت له من كل ناحية ، فأقبلت إليه ، فقال : أنت ٢٠ هذه المرأة ، فلخرج إلى بيتها التي أمرها الله أنّ تقرّ فيه . قال : فجلست فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لي ، فدخلتُ بلا إذن ومددت يدي إلى وسادة في البيت فجلستُ عليها . قالت : تالله يا ابن عباس ما رأيتُ مثلك ! تدخل

يَبْتَئَا بِلَا إِذْنَنَا ، وَتَجْلِسُ عَلَى وَسَادَتِنَا بِغَيْرِ أَمْرِنَا . فَقُلْتُ : وَاللهُ مَا هُوَ يَبْتَئُكَ ،
وَلَا يَبْتَئُكَ إِلَّا الْهَيْئَةُ أَسْرَكَ اللهُ أَنْ تَقْرَى فِيهِ فَلَمْ تَفْعَلْ ، إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِأَسْرَكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى بَلَدِكَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهُ . قَالَتْ : رَحِمَ اللهُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، ذَاكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قُلْتُ : نَمَ ، وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ . قَالَتْ : أَيْتُ أَيْتُ . قُلْتُ : مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا فَوَاقٍ نَاقَةً بِكَيْتِهِ ^(١) ،
ثُمَّ صَرَبَتْ مَا تُحْلِلِينَ وَلَا تُحَرِّمِينَ ^(٢) ، وَلَا تَأْمُرِينَ وَلَا تَنْهَيْنَ . قَالَ : فَبَكَتُ حَتَّى
عَلَا نَشِيْطُهَا . ثُمَّ قَالَتْ : نَمَ ، أَرْجِعْ ؛ فَإِنْ أَبْغَضَ الْبِلَادُ إِلَى بِلَادِ أُمَّتِمْ فِيهِ . قُلْتُ :
أَمَّا وَاللهُ مَا كَانَ ذَلِكَ جَزَائُكَ مِنْكَ إِذْ جَعَلْنَاكَ لِلْمُؤْمِنِينَ أُمًّا ، وَجَعَلْنَا أَبَاكَ لَمْ
صِدِّيقًا . قَالَتْ : أَتَمُنُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ يَا بَنَ عَبَّاسٍ ؟ قُلْتُ : نَمَ ، تَمَنُّ عَلَيْكَ بِمَنْ
لَوْ كَانَ مِنْكَ عِزْلَتُهُ مَتَى لَمُنْتُ بِهِ عَلَيْنَا . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَتَيْتُ عَلَيْهِ فَاخْبَرْتُهُ ،
فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْ ، وَقَالَ : يَا بَنِي ذَرِيَّةٍ بِمَضْهَانٍ مِنْ بَعْضِ اللهِ وَاسْمِعْ عَلِيمَ .
وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ ابْنِ فَضِيلٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ : أَنَّ
قَاضِيًا مِنْ قَضَاةِ أَهْلِ الشَّامِ أَتَى عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
رَأَيْتُ رُؤْيَا أَنْظَمْتَنِي . قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَقْتَتِلَانِ
وَالنَّجْمُ مَعَهُمَا نَصْفَيْنِ . قَالَ : فَعِجْ أَتَيْتَا كُنْتَ ؟ قَالَ : مَعَ الْقَمَرِ عَلَى الشَّمْسِ .
قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ : (وَجَعَلْنَا الْآثِيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَحَقَّوْنَا آيَةَ الْآثِيلِ وَجَعَلْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) فَانْطَلَقَ ، فَوَاقَهُ لَا تَعْمَلُ لِي عَمَلًا أَبَدًا . قَالَ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ
قُتِلَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِصَفَيْنَ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : أَقْبَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ ^(٣) ، وَكَانَتْ لَهُ مُحَبَّةٌ مَعَ

٢٠ (١) الْفَوَاقُ (بِضْمِ الْهَاءِ وَتَضْمِينِهَا) : مَا بَيْنَ الْحَبَشِينَ مِنَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّ النَّاقَةَ تَحْلُبُ ثُمَّ تَرْتَدُّ
مَوْجِيَةً يَرْضَعُهَا الْفَحِيلُ لِيُدْرِمَ ثُمَّ تَحْلُبُ . وَيُقَالُ : مَا أَطَامَ عَدُوَّهُ إِلَّا فَوَاقًا ، أَيْ قَدَرًا
مَا بَيْنَ الْحَبَشِينَ . وَالْبَكَيْتُ مِنَ الْوَقْتِ : الَّذِي قَلَّ لِبَنِيهَا .

(٢) يُقَالُ : فَلَانٌ مَائِرٌ وَمَا يَحْلِي ، (مُضَارِعٌ أَمْرٌ وَأَحْلَى) أَيْ مَا يَكْتُمُ بِحُلُوِّهِ وَلَا مَرٍّ ، وَلَا
يَقِلُّ عَمَلًا حُلُوًّا وَلَا مَرًّا . فَلَانٌ قَبِيْتُ هُنَا أَنْ يَكُونَ مَرًّا صَرَةً وَحُلُوًّا أُخْرَى ، قُلْتُ :
مَا يَمُرُّ وَمَا يَحْلُو (مُضَارِعٌ مَرٌّ وَحَلَا) .

٢٥ (٣) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ بْنُ الْجَوْنِ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ بْنِ مَتْعَدٍ بْنِ دِيْسَةَ . وَمَاتَ فِي رَجَبِ
الْأَخْرِى سَنَةِ عَشْرِ وَسِتِينَ . (انظر تهذيب التهذيب) .

الذي صلى الله عليه وسلم ، إلى علي بن أبي طالب بسد وقعة الجبل ، فقال له :
تَنَانَاتُ^(١) وَتَرْحَظَتْ وَتَرْبَعَتْ ، فكيف رأيت الله صنع ؟ قال : يا أمهر المؤمنين ،
إن الشوط بطين^(٢) ، وقد بقي من الأمور ما تعرف به عدوك من حديقك .

وكتب علي بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس بسد الجبل ، وكان والياً

- لعثمان على أذربيجان : سلام عليك ، أما بعد . فلو لا هنات كنّ منك لكنت
أنت المُتَقَدِّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ أمرَك يحمل بعضه بعضاً إن
انقوت الله ، وقد كان من بيعة الناس إيتى ما قد بلغك ، وقد كان طلعة
والزير أول من يابى ثم نكثا بيثى من غير حدّ ولا سبب ، وأخرجوا
أمّ المؤمنين ، فساروا إلى البصرة ، وسرت إليهم فيمن يابى من المهاجرين
والأنصار ، فالتقينا ، فدهوتهم إلى أن رجعوا إلى ما خرجوا منه ، فأبوت ، فأبقت^{١٠}
في الدماء وأحسن في البقيا ، وأسرت ألا يذف^(٣) على جريح ولا يتبع مهزم
ولا يسلب قتيل ، ومن ألقى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن . واعلم أن عملك
ليس لك بطئمة ، إنما هو أمانة في عنقك ، وهو مال من مال الله ، وأنت من
خزائى عليه حتى تؤديه إلى إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

- ١٥ فلما بلغ الأشعث كتاب علي قام فقال : أيها الناس ، إن عثمان بن عفان
ولأني أذّر ببجان فهاك ، وقد بقيت في يدى ، وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له
واجبة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان ، وهو المأمون على من غاب
من ذلك المجلس ، ثم جلس .

قولهم في أصحاب الجبل

- ٢٠ أبو بكر بن أبي شيبة قال : سئل علي عن أصحاب الجبل : أمشركون
م ؟ قال : من الشرك فرّوا . قال : فنأقون م ؟ قال : إن المناققين لا يذكرون
الله إلا قليلاً . قال : فما م ؟ قال : إخواننا بقوا علينا .

(١) تنانات : صرت ومجرت .

(٢) بطين ، أى بيد .

(٣) ذف على الجريح : أجهز .

وسمى على * بقتلى الجبل فقال : اللهم اغفر لنا ولم ، ومعه محمد بن أبي بكر وعمار
ابن ياسر ، فقال أحدها لصاحبه : أما نسمع ما يقول ! قال : اسكت لا يزيديك .
وكيع عن مسعر عن ^(١) عبد الله بن رياح عن عمار قال : لا تقولوا : كفر
أهل الشام ، ولكن قولوا : فسقوا وظلموا .

• وسئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجبل فقال : أما والله إنا لنعلم أنها
زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتعيمونه أم تقتلونها .
وقال علي بن أبي طالب يوم الجبل : إن قوما زعموا أن النبي كان
منا عليهم ، وزعمنا أنه منهم علينا ، وإنا اقتتلنا على النبي ولم نفتتل
على التكفير .

١٠ أبو بكر بن أبي شيبة قال : أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجبل قالوا :
ما أحل لنا دماءهم وحرم علينا أموالهم ! فقال علي : هي السنة في أهل القبلة .
قالوا : ما ندرى ما هذا ؟ قال : فهذه عائشة رأس القوم ، أنتسأهون عليها !
قالوا : سبحان الله ! أئمننا . قال : فهي حرام ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه يحرم من
أبنائها ما يحرم منها .

١٥ قال : ودخلت أم أوفى التميمية على عائشة بعد وفاة الجبل فقالت لها : يا أم
المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت :
فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد ؟
قالت : خذوا بيد عدوة الله .

وأمات عائشة في أيام معاوية ، وتدقارت السبعين وقيل لها : تدنين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : لا ، إني أحدثت بعده حدثاً
فادفنونني مع إخواني بالبيصح .

(١) في بعض الأصول : « سمعة بن جندب » الخ . تحريف . فوكيع يروي
عن مسر بن حبيب فيمن يروي عنه . كما يروي مسر بن حبيب عن عمار بن
ياسر . (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦ وج ١٢ ص ١٢٤) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا حمراء ، كَأَنِّي بَكَ تَنْبَحُكَ
 كِلَابُ الْحَوْبِ^(١) . فقاتلن علياً وأنت له ظالة . والحوب ، بضم الحاء وتثنية
 الواو ، وقد زعموا أَن الحَوْبَ ماء في طريق البصرة . قال في ذلك بعضُ الشيعة :
 ٢٨٤
 ٧
 إِنِّي أُدِينُ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ وَبِقِيِّ الْوَصِيِّ شَمْسُودِمٍ وَالْتِمِيبِ
 وَأَنَا الْبَرِيءُ مِنَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَمِنَ الْتِي نَبِحتْ كِلَابُ الْحَوْبِ •

أخبار على ومعاوية

كتب على بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله ، وكان وجهه إلى معاوية
 في أخذ بيئته ، فأقام عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة ، فكتب إليه على : سلام
 عليك ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل ، وخبره بين حرب
 مجلية ، أو سلم مخفية^(٢) . فإن أختار الحرب فأنيذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب
 الخائنين ، وإن أختار السلم فخذ بيئته وأجل إلى .

وكتب على إلى معاوية بعد وقعة الجمل : سلامٌ عليك . أما بعد . فإن
 بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام ، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان
 على ما يوعوا عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للنايب أن يرد ، وإعما
 الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل ومموه إماماً كان
 ١٥ ذلك لله رضاء ، وإن خرج عن أمرهم خارج ردوه إلى ما خرج عنه ؛ فإن أبي
 قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاء الله ما تولى وأصله جهنم وساءت
 مصيراً . وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كرتنهما^(٣) ،
 فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون .

(١) هذا غير ما ذكره ياقوت في معجمه والسان والصحاح وفيها : « الحواب » بالهمز .
 وذكره البكري في معجم ما استعجم فقال : « الحواب » بزيادة هزتين الواو والياء .
 قال ابن الأثيري : وتخفف الهزة ، يقال : حوب .

(٢) كذا في كتاب صفين . والحق في بعض الأصول : « معضلة ... مجزئة » . والذي
 في سائر الأصول : « محربة » . (٣) في بعض الأصول : « كرتنهما » .

فادخل فيها دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية . وقد
أكثر في قتلة عثان ، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيها
دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى ، حلتك وإيام على كتاب الله . وأما
تلك التي تريد ما فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولمرئى لئن نظرت بعقلك دون
هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثان . وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحمل
لم الخيانة ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن
عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والمجرة ، نبيانه ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه معاوية : سلام عليك . أما بعد ، فلمرئى لو يايتك الذين
ذكرت وأنت ترى من دم عثان لكنت كأبي بكر وعمر وعثان ، ولكنتك
أغرقت بدم عثان وحذلت الأنصار ، فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثان ، فإن قلت كانت
شورى بين المسلمين . وإنما كان الحجازيون هم الحكماء على الناس والحق
فيهم ، فلما فارقوه كان الحكماء على الناس أهل الشام . ولمرئى ما حبتك على
أهل الشام كحبتك على أهل البصرة ، ولا حبتك على كحبتك على طلحة
والزبير ، [إن] كانا يايتك فلم يايتك أنا . فأما فضلك في الإسلام وقرابتك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليست أدفعه .

فكتب إليه على : أما بعد . فقد أنا كتابك ، كتاب أمرى ليس له
بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجاب ، وقاده فأتبعه . زعمت أنك
إنما أفسد عليك يبعث خفوري^(١) لعثان . ولمرئى ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين
أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على صلاة
ولا ليضربهم بالعصى . وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فأخاف

(١) يقال : أخفر القمعة ، إذا لم يف بها : والمخفور ، هو الإخفار نفسه من قبل المخفر ،
من غير فعل . ويقال : خفرت ذمة فلان (البناء للجهول) خفورا ، إذا لم يوف
بها ولم تم . وفي بعض الأصول : « خفري » .

على نفسى قصاص القتال . وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز . فهات رجلان من أهل ^(١) الشام يُقْبَلُ في الشورى أو يُحْمَلُ له الخلافة ، فإن سَمِيتَ كَذَبَكَ المهاجرون والأنصار . ونحن نأتيك به من أهل ^(٢) الحجاز . وأما قولك :

ادفع إلى قتلة عثمان . فما أنت وذاك ؟ وهاهنا بنو عثمان ، وهم أولى بذلك منك . $\frac{٢٨٥}{٢}$

- فإن زعمتَ أنك أقوى على طلب دم عثمان منه ، فأرجع إلى البيعة التي لزمك وحاكم القوم إلى . وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير . فلمرى ما الأسر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة لا يتأثر فيها النظر ولا يُستأنف فيها الخيار . وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقديري في الإسلام ، فلما استطعت دفعته لدفعته .

- ١٠ وكتب معاوية إلى علي : أما بعد . فإنك قتلت ناصرك ، واستنصرت وارثك . فأيم الله لأرْمِيَنَّكَ بشهاب تركيه الريح ولا يُطفئه الماء . فإذا وقع وقب ^(٣) ، وإذا مسَّ قَب ، فلا تحسبني كسُجيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن . فأجابه علي : أما بعد . فوالله ما قتل ابن هكَّ غيرك ، وإني أرجو أن أهلكك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته . وإن السيف الذي ضربت به أهلك ^(٤) لمي دائم . والله ما استحدثتُ ذنباً ، ولا استبدلتُ نبياً ، وإني على النهج الذي تركتموه طائفين ، وأدخلتم فيه كارهين .

- وكتب معاوية إلى علي بن أبي طالب : أما بعد . فإن الله أصطفى محمداً وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واختار له من المسلمين أحوالاً أبده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحبهم لله ورسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة ^(٥) الثالث ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت . عرفنا ذلك في نظرك الشر ،

(١) في بعض الأصول : « فريش » .

(٢) وقب : دخل وهجد .

(٣) في بعض الأصول : « أبك وأهلك » .

وتفلسك الضمراء ، وإبطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير
 الخشوش^(١) ، حتى تباع وأنت كاره . ولم تكن لأحد منهم أشدّ حسداً منك
 لأنّ ملك عيان ، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك في قرابته وصهره . فتعلّمت رحمة ،
 وقبّحت محاسنه ، وألبت عليه الناس ، حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وشهر
 عليه السلاح في حرم الرسول ، قتل ملك في الحلة وأنت تسمع في داره الهامة^(٢) ،
 لا تؤدّي عن نفسك في أمره بقول ولا فعل برّ . أنتم قسماً صادقاً لو قت في أمره
 مقاماً واحداً تهنين الناس عنه ماعدل بك بمن قبّلنا من الناس أحد ، ولما ذك
 عنك ما كانوا يعرفونك به من الجانية لثمان ، فهم بطانتك وعضدك وأنصارك .
 فقد بلغت أنّك تنقّي من دمه ، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به ،
 ثم نحن أسرع الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف .
 ١٠ والذى نفس معاوية بيده لأطالبنّ قتلة هيمان في الجبال والرّمال والبرّ والبحر
 حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله .

فأجابه على : أما جد . فإنّ أخاخو لان قدّم على بكتاب منك تذكر فيه
 محمد صلى الله عليه وسلم وما أنتم الله به عليه من الهدى والرّحى . فالحمد لله
 الذى صدقه الوعد ، وتّم له النصر ، ومكّنه في البلاد ، وأظهره على الأعدى من
 قومه ، الذين أظهروا له التّكذيب ، وتابذوه بالمدّاة ، وظاهروا على إخراج
 وإخراج أصحابه ، وألبوا عليه العرب ، وحزّروا الأحزاب ، حتى جاء الحق وظهر
 أمر الله وهم كارهون . وذكرت أنّ الله اختار من المسلمين أعواناً أيده بهم ،
 فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم
 ٢٠ في الإسلام^(٣) وأنصحبهم الله ولوسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده .

(١) يقال : خشت البعير فهو خشوش ، إذا جلت في أهله خشاشاً ، وهو ما يدخل
 في عظم آلف البعير من خشب .

(٢) الهامة : الصوت القديد تخرج منه .

(٣) في بعض الأصول : « أفضلهم ابن عمك في الإسلام » .

- ولعمري إن كان مكاتبهما^(١) في الإسلام عظيما ، وإن كان المصاب بهما^(٢) اجزأ في الإسلام شديدا ، فرحهما الله وغفر لهما . وذكرت أَنَّ عَمَانَ كان في القَصَل ثالثا ، فَإِنَّ كان مُحَسَّنا فسيلقى رباً شكوراً يُضاعف له الحسنات ويخزيه الثواب العظيم ، وإن يك مُسَيِّئاً فسيلقى رباً غفوراً ، لا يتماغمه ذنبٌ ينفره . ولعمري إني لأرجو إذا الله أعطى الأُشْهُم^(٣) أَنْ يكون سَهْمُنا أهل البيت أوفر نصيب . وأيم الله ، ما رأيتُ ولا سمعتُ بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ، ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله ، ولا أصر على البلاء والأذى في مواطن الخوف ، من هؤلاء النفر من أهل بيته ، الذين قُتِلوا في طاعة الله : عُبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحجرة بن عبد المطلب يوم أحد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة . وفي المهاجرين خير كثير ، جزام الله بأحسن أعمالهم . وذكرت إبطائى عن الخلفاء وحسدى إيام ١٠ والبتنى عليهم . فأما البنى ، فمأذ الله أَنْ يكون . وأما الكراهة لهم ، فوالله ما أعجز للناس من ذلك . وذكرت بِنْفِي على عَمَانَ وَقَطْعِي رحمه ، فقد عمل عَمَانَ بما قد علمت ، وقيل به الناس ما قد بانك . فقد علمت أَنى كنتُ من أمره في عُرْلة ، إلا أَن يَحْقَى ، فتجنّ ما شئت . وأما ذِكْرُكَ قِتْلَةَ عَمَانَ وما سألت من دفعهم إليك ، فإني نظرتُ في هذا الأمر وضربت أنفه وعيْته ، فلم يسعنى ١٥ دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن عَيْتِكَ لنعرفنك عما قليل يطلبونك ولا يكفونك أَنْ تَطْلُبهم في سهل ولا جَبيل ، ولا بَرَّ ولا بحر . وقد كان أبوك أروسيان أتاني حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبسط يدك أبيك ، فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر . فكنتُ أنا الذي آيت عليه مخافة ٢٠ الفُرقة بين المسلمين ، لثُرب عهد الناس بالكفر . فأبوك كان أعلم بحقِّ منك ، وإن تعرف من حقِّ ما كان أبوك بعرفه تُصِيب رشدك ، وإلا فستعين الله عليك .

(١) في بعض الأصول : « مكاتبهم » .

(٢) في بعض الأصول : « بهم » .

(٣) في بعض الأصول : « الإسلام » .

وكتب^(١) عبد الرحمن بن الحكم إلى معاوية :
ألا أبلغ معاوية بن حرب كتاباً من أخى رقة يلوم^(٢)
فإنك والكتاب إلى علي كدابة وقد حل الأديم^(٣)

يوم صفين

٥ أبو بكر بن أبي شيبة قال : خرج علي بن أبي طالب من الكوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً ، وخرج معاوية من الشام في بضع وثمانين ألفاً ، فالتقوا بصفين . وكان عسكر علي يُسمى الرحضة ، لشدة حره ، وعسكر معاوية يسمى الخضرية ، لاسوداده بالصلاح والدروع .
أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ، ولم تكن هزيمة بين الفريقين إلا على حامية ثم يكرهون .

١٠ أبو الحسن قال : كان مئادى علي يخرج كل يوم وينادى : أيها الناس ، لا تجهزوني على جريح ، ولا تبغضوا مولياً ، ولا تملأين قتيلاً ، ومن أتى سلاحه فهو آمن .

١٥ أبو الحسن قال : خرج معاوية إلى علي يوم صفين ، ولم يبايحه أهل الشام بالخلافة ، وإنما بايعوه على نصرته عثمان والطلب بدمه . فلما كان من أمر الحكمين ما كان ، بايعوه بالخلافة . فكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص يدعوهم إلى القيام معه في دم عثمان : سلام عليك . أما بعد . فإن أحق الناس بِنصرة عثمان أهل الشورى من فريش ، الذين أثبتوا حقّه ، واختاروه على غيره ، ونصرة طلحة والزبير ، وهما شريكاك في الأمر ، ونظيراك في الإسلام .

٢٠ (١) نسب هذا الشعر في اللسان (مادة حلم) لوليد بن عتبة يحض فيه معاوية على قتال علي عليه السلام .

(٢) رواية بجز هذا البيت في اللسان : * بأهلك من أخى رقة ملوم *

(٣) حلم الأديم ، أن يقع فيه دود فيكتب . يقول : أنت نسي في إصلاح أمر دم نساذه ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم ، فلا ينطق به .

وَحَتَّ لَنَلَك أُمُ الْوُثَمَيْنِ ، فَلَا تَكْرَهْ مَارُضُوا ، وَلَا تَرَدَّ مَا قَبَلُوا ، وَإِنَّمَا نَزِيدُ أَنْ زَرَدَهَا سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . وَالسَّلَامُ .

فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَمَّا بَعْدُ . فَإِنْ عَمَّرَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُدْخَلْ فِي الشُّورَى إِلَّا مَنْ صَعَلَ لَهُ الْخِلَافَةُ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَوْلَى بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِنَا عَلَيْهِ . غَيْرَ أَنْ عَلِيًّا كَانَ فِيهِ مَا فِينَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِينَا مَا فِيهِ ، وَلَوْ لَمْ يَطْلُبْهَا وَلَزِمَ بَيْتَهُ لَطَلَّبَتْهُ الْعَرَبُ وَلَوْ بِأَتَصَى الْيَمِينَ . وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ كَرِهْنَا أَوَّلَهُ وَكَرِهْنَا آخِرَهُ . وَأَمَّا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَلَوْ لَزِمَا بَيْوتَهُمَا لَسَكُنَا خَيْرًا لَهَا . وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَأُمِّ الْوُثَمَيْنِ مَا أَتَتْ .

٢٨٧
٢

وَكُتِبَ بِمَعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ عُبَادَةَ : أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّمَا أَنْتَ يَهُودِيٌّ ابْنُ يَهُودِيٍّ ، إِنْ ظَنَرْتُ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ عَزَلْتُكَ وَاسْتَبَدَلْتُ بِكَ ، وَإِنْ ظَنَرْتُ أَبْغَضُ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ قَتَلْتُكَ وَتَكَلَّلْتُ بِكَ . وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَوْتَرَ قَوْسَهُ وَرَمَى غُرْضَهُ ، فَأَكْثَرَ الْحَرْبَ وَأَخْطَأَ الْفَصِيلَ ، فَغَذَلَهُ قَوْمُهُ ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ، ثُمَّ مَاتَ طَوِيدًا بِحُورَانَ ^(١) .

فَأَجَابَهُ قَيْسٌ : أَمَّا بَعْدُ . فَأَنْتَ وَثَقِيُّ ابْنِ وَثَقٍ . دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كُرْهًا ، وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا ، لَمْ يَقْدَمْ لِيْمَانُكَ ، وَلَمْ يُحْدَرْ تَقَالُفُكَ . وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّتِي دَخَلْتَ فِيهِ . وَالسَّلَامُ .

وَخَلَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَهُ يَوْمَ صَمِّينَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْوَتَّ طَالِبٌ لَا يُجْزِئُهُ هَارِبٌ ، وَلَا يَفُوتُهُ مُتَمِّمٌ ، أَنْدِمُوا وَلَا تَنْسَكُلُوا ، فَلَيْسَ عَنِ الْوَتِّ تَحْيِيسٌ . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، إِنْ حَرَبَ سَيْفُ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ الْفِرَاشِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا السَّيُوفَ بِوُجُوهِكُمْ ، وَالرُّمَاحَ بِصُدُورِكُمْ ، وَمَوْعِدِي وَإِلَّاكُمْ الرَّايَةُ الْحَمْرَاءُ ^(٢) .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الرَّاقِ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ خَطِيئًا يَخْطُبُنَا ! يَا مَعْرُتَا أَنْ

(١) حوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٢) يريد راية معاوية .

نَتَقَى السِيوفَ بِوُجُوهِهَا ، وَالرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَبِعِدْنَا رَايَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا مَائَةُ أَلْفِ سَيْفٍ .

قال أبو عبيدة في التاج : جمع على بن أبي طالب رياسة بكر كلها يوم صفين لخمين بن النذر بن الحارث بن وعله ، وجعل ألويتها تحت لوائه ، وكانت له راية سوداء يخفق ظلها إذا أقبل ، فلم يئن أحد في صفين غناه . فقال فيه على بن أبي طالب رضى الله عنه :

لَمِنْ رَايَةٍ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا
يُقَدِّمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزَيِّرَهَا حِيَاضُ اللَّيْلِ تَقَطُرُ السَّمَاءُ وَالْأَمَا
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَلِمَةٍ رِيْسَةٌ خَيْرًا مَا أَهَفْتُ وَأَكْرَمًا^(١)

١٠ وكان من تهمدان في صفين حسن . فقال فيهم على بن أبي طالب رضى الله عنه :

لَهْمَدَانُ أَخْلَاقٌ وَدِينٌ يَزِينُهُمْ وَأَبَاسٌ إِذَا لَاقَوْا وَحُشْنُ كَلَامٍ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهْمَدَانُ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

أبو الحسن قال : كان على بن أبي طالب يخرج كل غداة لصفين في ١٥ سَرَّعَانَ الْحَيْلِ^(٢) فيقف بين الصفين ثم ينادى : يا معاوية ، علام يقتل الناس ؟ ابرز إلى وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب . فقال له عمرو بن العاص : أذهبك الرجل . فقال له معاوية : أردتها يا عمرو ، والله لا رضيتُ عنك حتى تُهَارِزَ عَلِيًّا . فبرز إليه متتكراً ، فلما غشيه على بالسيف رمى بنفسه إلى الأرض وأبدى له سواته ، فضرب على وجه فرسه وأنصرف عنه . فجلس معه ٢٠ معاوية يوماً فنظر إليه فضحك . فقال عمرو : أضحك الله سنك ، ما الذي أضحكتك ؟ قال : من حضور ذعنك يوم بارزت علياً إذ انقشيت بصورتك . أما والله

(١) رواية هذا البيت في الطبري :

جَزَى اللَّهُ قَوْمًا صَابَرُوا فِي لِقَائِهِمْ لَقِيَ لَوْتُ قَوْمًا مَا أَهَفْتُ وَأَكْرَمًا

(٢) سرعان الحيل : أولائها .

لقد صادفت مَنَانًا كريمةً ، ولولا ذلك تَكْرَمَ رَفَعِيكَ ^(١) بِالْوَمَح . قال عمرو بن العاص : أما والله إني عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحولت حينك : ورباً سَحَرَك ^(٢) ، وبدا منك ما أكره إذ كره لك .

- وذُكِرَ عمرو بن العاص عند علي بن أبي طالب ، فقال فيه علي : عجبا لأبن النابغة ^(٣) ! يزعم أنني بلفظه أعافس وأمارس ^(٤) ، أنني وشرُّ القول أكذبه ، إنه يسأل فيكحف ، ويسأل فيبيخل . فإذا أحرَّ البأس ، وحسَى الوطيس ، وأخذت السيوف مأخذها من هام الرجال ، لم يكن له هم إلا ترَّعه ^(٥) ثيابه ، ويمسح الناس أسنانه ، أعفَّه ^(٦) الله وترَّعه ^(٧) .

مقتل عمار بن ياسر

الثقي قال : لما ألتقى الناسُ بصَفَيْنَ نَظَرِ معاويةَ إلى هاشم ^(٨) بن عُتبة الندي ^{٢٨٨}/_٧ يقال له : للرقال ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : أَرْقَلُ لَيْتُونَ . وكان أعور ، والزاية بيده ، وهو يقول ^(٩) :

أعور يَبْنِي نَفْسَهُ مَحَلًّا قد علجَ الحياةَ حتى مَلَا
لا بُدَّ أَنْ يُقْلَ أَوْ يُقْلَا

- نقال معاويةَ لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا للرقال ، والله لئن زَحَفَ ١٥
بالزاية زَحَفًا إنه ليومُ أهل الشام الأطول . ولكفى أرى ابن السوداء إلى

(١) الرغ (بالضم) وبضم : أصل الضم .

(٢) السحر (بالفتح وبجر) وبضم : الرثة . وربا : احتضن فرما .

(٣) في بعض الأصول : « الباغية » تحريف .

(٤) اللافسة : المألجة . والممارسة : للناعبة .

(٥) في بعض الأصول : « غرة » .

(٦) في بعض الأصول : « غصه » . (٧) ترعه : أحزنه .

(٨) في بعض الأصول : « هشام » وما أمثنا من سائر الأصول وللمارف والكمال

والإصابة واللسان (مادة رقل) .

(٩) في رواية أن هذا الشعر لعمار بن ياسر يخاطب به الرقال . (انظر الإصابة في ٢٥

ترجمة الرقال) .

جنبه ، يعني عماراً ، وفيه محجلة في الحرب ، وأرجو أن تقدمه إلى التهلكة .
وجعل عمار يقول : أبا عتبة ، تقدم . فيقول : يا أبا اليقطنان ، أنا أعلم بالحرب منك ، دعي أرحف الراية زحفاً . فلما أضجره وتقدم ، أرسل معاوية خيلاً فاخطفوا عماراً ، فكان يسمى أهل الشام قتلَ عمار فتح الفتوح .

٥ أبو بكر بن أبي شيبة : عن يزيد بن هارون عن السَّوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ
أُسُودِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَالَ : لِنِي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ أَتَاهُ
رَجُلَانِ يُخَصِمَانِ فِي رَأْسِ عِمَارٍ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَنَا قَتَلْتُهُ . فَقَالَ لَهَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : لِيَطْلُبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ : تَقْتُلُ الْقَتْلَةَ الْبَاغِيَةَ .

١٠ أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عُثَيْبَةَ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ
قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : تَقْتُلُ عِمَارًا الْقَتْلَةَ الْبَاغِيَةَ .
أَبُو بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ عَنْ أَبِي سَمُرَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ ^(١) قَالَ :
مَا زَالَ جَدِّي خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ كَأَفَّا سِلَاحَهُ يَوْمَ صِفِّينَ حَتَّى قُتِلَ عِمَارٌ ، فَلَمَّا قُتِلَ
سَلَّ سَيْفَهُ وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : تَقْتُلُ عِمَارًا الْقَتْلَةَ
الْبَاغِيَةَ . فَازَالَ يُقَاتَلُ حَتَّى قُتِلَ .

أَبُو بَكْرٍ عَنْ غُفَلَرٍ عَنْ شُعْبَةَ ^(٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
سَلَمَةَ قَالَ : رَأَيْتُ عِمَارًا يَوْمَ صِفِّينَ شَيْخًا آدَمَ طَوَالًا أَخَذَ الْحَرْبَةَ بِيَدِهِ ،
وَبِيْدُهُ تُرْعَدُ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ قَاتَلْتُ بِهِدَ الْحَرْبَةَ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَهَذِهِ الرَّابِعَةُ . وَاللَّهِ نَفْسِي بِيَدِهِ
٢٠ لَوْ ضَرَبْنَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَفَاتِ هَجَرٍ لَمَرَفْتُ أَنَا عَلَى حَقِّ وَأَنْهُمْ عَلَى بَاطِلٍ .

(١) في الأصول : « عبادة » . وما أثبتنا من الطبري .

(٢) في الأصول هنا : « غنفر عن عمرو بن شعبة » والمخروف أن غنفر يروى عن
شعبة وقد مرّت روايته عنه (ص ٣٢٧) من هذه الجزء . ثم إن المراجع إلى بين
أيدينا فقد من اسمه عمرو بن شعبة .

ثم جعل يقول : صبرا عباد الله ، الجنة تحت ظلال السيوف .

أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سُفيان عن حبيب عن أبي التبعثري^(١) قال : لما كان يوم صفين واشتدت الحربُ دعا عمارُ بشربة لبن وشربها وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن .

أبو ذر عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أسر بالبين يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أردتهم وأكسبهم رجزهم ويقولون ويسلمون :

لئن قمنا والنبي يسلمُ ذاك إذا لعلَّ مُصلُّ

قالت : وكان عيان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتَنظِّفاً ، فكان يحمل الأبنية ويحافي بها عن ثوبه ، فإذا وضمها قصص كفيه ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه . فنظر إليه على رضى الله عنه فأنشده :

لا يستوى من يسمر للساجدا يدأبُ فيها راكعاً وساجداً
وقاماً طَوَّراً وطَوَّراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعا عمار بن ياسر بفصل يرتجزها وهو لا يدري من يلقى . فسمعه هنان ، فقال : يا بن سمية ، ما أهرقني بمن تُعرض ، ومعه جريدة ، فقال : لتكفن أولاً تعرضن بها وجهك . فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في غل حائط ، فقال : عمار جلدة ما بين عيني وأنتي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني ، وأشار بيده فوضعها بين يمينيه . فسكت الناس عن ذلك ، وقالوا لسائر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك وتخاف أن ينزل فينا

(١) هو سعيد بن فيروز .

قرآن . فقال : أنا أرضيه كما غضب . فأقبل عليه فقال : يا رسول الله ، مالي ولأصحابك ؟ قال : وما لك ولم ؟ قال : يُريدون قتل ، يَحْمِلُونَ لِينَةً وَيَحْمِلُونَ على كَيْنَتَيْن . فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : يا بنِ مُمَيَّة ، لا يَمُتْكَ أَحَاصِي ، ولكن تَقْتُلُ الفَتَّةُ الباغِية .
٥ فلما قُتِلَ بَصْفَيْنَ وَرَوَى هذا الحديثَ عبدُ الله بنُ عمرو بنُ العاص ، قال معاوية : هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل . فلما بلغ ذلك عليًّا قال : ونحن قتلنا أيضًا حمزة لأننا أخرجناه .

من حرب صفين

أبو الحسن قال : كانت أيامُ صفينَ كلها مُواقعةً ، ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين إلا على حامية ثم يَكْرُونَ^(١) .

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال : انقضت وقعة صفينَ عن سبعين ألف قتيل ، خسين ألفًا من أهل الشام ، وعشرين ألفًا من أهل العراق . ولما أنصرف الناس من صفينَ قال عمرو بن العاص :

سَبَتْ الحربُ فأعدتُ لها مُشْرِفَ الحارِثِ تَحْبُوكَ التَّيْبِ^(٢)
١٥ يَصِلُ الشَّرَّ بَشَرًا فَإِذَا وَثْبُ الخَيْلِ من الشرِّ مَتَّعِ^(٣)
جُرُشُعُ^(٤) أعظمَ جُفْرَةٍ^(٥) فَإِذَا أَبْقِلَ من الماء خَرَجَ^(٦)
وقال عبدُ الله بنُ عمرو بنُ العاص :

فإن شهدتُ جُلَّ مَقَامِي ومَشْهَدِي بصفينَ يومًا شاب منها القوالبُ

- (١) مر هذا الخبر (ص ٣٣٧) من هذا الجزء مع خلاف قليل .
(٢) التَّيْبُ : الوسط ، وما بين السَّكَلِ إلى الظُّهْرِ .
(٣) اللُّجُجُ : سرعة السر ، (٤) جُرُشُعُ : عظيم الصدر .
(٥) الجُفْرَةُ : وسط الفرس . وفي بعض الأصول : « حُفْرَةٌ » .
(٦) يريد أنه إذا ركض وعرق خرج في حدة ونشاطه وفات غيره . وفي هذا المعنى قول سُلَيْمَةَ بنِ الحَرْشَبِ :

من اللطائف بجانبها إذا ما بل حمزها الحم
٢٠ لرب هذا الشعر في شرح تهج البلاغة (ج ٢ ص ٧٨٧) لشمس بن عمرو بن العاص .

عَشِيَّةَ جَا^(١) أَهْلُ الرِّاقِ كَانَتْهُمْ سَحَابٌ خَرِيفٌ صَفَقَتْهُ الْجَنَابُ^(٢)
 إِذَا قُلْتُ قَدْ وُلِّوْا مَرَامًا بَدَتْ لَنَا^(٣) كِتَابٌ مِنْهُمْ وَازْجَحَّتْ كِتَابُ
 فَدَارَتْ رَحَانًا وَأَسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ سِرَاةَ النَّهَارِ مَا تُؤَلِّي لِلنَّاكِبِ
 وَقَالُوا لَنَا إِنَّا نَرَى أَنْ تُبَايَسُوا عَلَيَّ فَقُلْنَا بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارِبُوا

وقال السيد الحميري ، وهو رأس الشيعة ، وكانت الشيعة من تعظيمها له •
 تلقى له وساداً بمسجد الكوفة :

إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِيْنَا
 فِي سَفَكٍ مَا سَفَكَتَ مِنْهَا إِذَا أَحْتَضَرُوا وَأَبْرَزَ اللَّهُ لِلْقِسْطِ الْمَوَازِينَا
 تِلْكَ الدُّنْيَا مَعَ يَارَبِّ فِي عُنُقِي ثُمَّ أَسْقَى مِثْلَهَا آمِينَ آمِينَا
 ١٠ آمِينَ مِنْ مِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ فِي رَغِيَةِ هَلْبَرُوا فِي اللَّهِ شَارِبِينَا
 لَيْسُوا يُرِيدُونَ غَيْرَ اللَّهِ رِثْمُهُمْ رِثْمُ الرُّوَادِ تَوَخَّاهُ لِلرُّيْدُونَا
 وقال التجاشي يوم صفين ، وكتب بها إلى معاوية^(٤) :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ^(٥) لِلْبِدْيِ عِدَاوَتُهُ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ أَيْ الْأَمْرِ قَاتِلَتِمْ
 فَلَنْ نَقُصَّ عَلَى الْأَقْوَامِ مَجْدَهُمْ فَابْسُطْ يَدَيْكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ مُبْتَقَدِرُ
 ١٥ وَأَعْلَمُ بَأَنَّ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ نَفَرِ شَمُّ الْقِرَائِينَ لَا يَعْلُومُ بَشَرُ
 رِثْمُ الْفَقِي أَنْتَ^(٦) إِلَّا أَنْ يَبْنِكَ كَمَا تَفَاضَلُ ضَوْهَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
 وَمَا إِخْلَاكَ إِلَّا لَسْتُ مُنْتَهِيَا حَقِي بِنَالِكَ مِنْ أَظْفَارِهِ ظَفَرُ

(١) في شرح نهج البلاغة : « غداة غدا » مكان « عشيّة جيا » .

(٢) الجناب : جمع جنوب ، والجنوب من الرياح حارة . وصفات الريح السحاب ، إذا
 سرعته واخطفته عليه . ورواية مجزأة هذ البيت في الأصل :

٢٠

• سحباب ربيع رفضه الجناب •

وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

(٣) في شرح نهج البلاغة :

• إذا قلت يوماً قد دونوا برزت لنا •

٢٥

(٤) وكان معاوية قد تنهده . (انظر شرح نهج البلاغة) .

(٥) في شرح نهج البلاغة : « الرجل » .

(٦) في الأصول : « هو » . وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : عَلِمَ مُعَاوِيَةُ وَاللَّهِ إِنَّ لَمْ يَبْيَاهِهِ عَمْرُو بْنُ يَتِّمَ لَهُ أَمْرٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ، أَتُبْعُنِي . قَالَ : لِمَاذَا ؟ لِلْآخِرَةِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا مَعَكَ آخِرَةٌ ، أَمْ لِلدُّنْيَا ؟ فَوَاللَّهِ لَا كَانَ ٥
حَتَّى أَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا . قَالَ : فَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . قَالَ : فَارْتَبِئْ لِي مَعْرَ وَكُورَهَا . فَكَتَبَ لَهُ مَعْرَ وَكُورَهَا ، وَكَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : وَعَلَى عَمْرِو السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . قَالَ عَمْرُو : وَأَكْتُبُ : إِنْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ شَرْطِهِ شَيْئًا . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى هَذَا . قَالَ عَمْرُو : حَتَّى تَكْتُبَ . قَالَ : فَكَتَبَ ، وَاللَّهِ مَا يَجِدُ بَدْءًا مِنْ كِتَابَتِهَا .

١٠ وَدَخَلَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ يَكَلِّمُ عَمْرًا فِي مَعْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : إِنَّمَا أَنَا بِمَكَاتٍ بِهَا دِينِي . فَقَالَ عَتَبَةُ : أَتُكْذِبُنِي الرَّجُلَ بَدِينَهُ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ :

١٥ مُعَاوِيَةُ لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَلَمْ أَتْلُ بِهِ مِنْكَ دُنْيَا ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ وَمَا الدِّينُ وَاللَّذْنِيَا سِوَاهُ وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تُعْطِي وَرَأْسِي مُقْلَعٌ فَإِنْ تُعْطِي مَعْرًا فَأَرْجِي صَفْقَةً أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يُضَرُّ وَيَنْفَعُ

وَقَالُوا : لَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَامَ مَعَهُ فِي شَأْنِ عَلِيٍّ ، بَعْدَ أَنْ جَمَلَ لَهُ مَعْرُ طُعْمَةً ، قَالَ لَهُ : إِنْ بَارَضْتُكَ رَجُلًا لَهُ شَرَفٌ وَأَسَمٌ ، وَاللَّهِ إِنْ قَامَ مَعَكَ اسْتِهْوَيْتَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، وَهُوَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ . فَأَوْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ . ٢٠
فَلَمَّا أَتَاهُ وَسَّعَ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا . فَصَمَدَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَأَثَقَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ عِبَادَةِ وَسَابِقَتِهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ سُفْيَانَ وَمَا نَالَهُ ، وَحَسَنَهُ عَلَى الْقِيَامِ مَعَهُ . فَقَالَ عِبَادَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، أَتَدْرِي إِنْ لَمْ جَلَسْتُ بَيْنَكُمَا

- في مكانكما ؟ قالوا : نعم ، لفضلك وسابقتك وشرَّفك . قال : لا والله ، ما جلستُ بينكما لتلك ، وما كنتُ لأجلس بينكما في مكانكما ، ولكن بيننا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك إذ نظر إليكما تسييران ، وأتيا تتحدثان ، فألتفت إلينا فقال : إذا رأيتموهما اجتماعا ففرقوا بينهما ، فإنهما لا يجتمعان على خير أبدًا . وأنا أنهما كما عن اجتماعكما . فأما ما دعوتاني إليه من القيام معكما ، فإن لكما عدوًّا هو أغلظ أعدائكما ، وأنا كامنٌ من ورائكما في ذلك المدوِّ ، إن أجمعتم على شيء دخلتُ فيه .

أمر الحكيم

- أبو الحسن قال : لما كان يوم الحرير^(١) ، وهو أعظم يوم بسفين ، زحف أهل العراق على أهل الشام فأزالوهم عن سراكرهم ، حتى أنهوا إلى سِرادق معاوية ، فدعا بالفرس وهم بالهزيمة ، ثم ألتفت إلى عمرو بن العاص ، وقال له : ما عندك ؟ قال : تأمر بالمصاحف فتُرفع في أطراف الزمام ، ويقال : هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم . فلما نظر أهل العراق إلى المصاحف ارتدوا وأختلفوا ، وقال بعضهم : ٢٩١
نحنا لهم إلى كتاب الله . وقال بعضهم : لا نحنا لهم ، لأننا على يقين من أمرنا
ولسنا على شك . ثم أجمع رأيهم على التحكيم . فهم على أن يُقدم أبا الأسود
القرظي ، فأبى الناس عليه . فقال له ابن عباس : أجبني أحد الحكمين ، فوالله
لأنفك لك حيلة لا ينقطع وسطه ولا يُنشر طرفاه . فقال له علي : لست من
كيدك ولا من كيد معاوية في شيء ، لا أعطيه إلا السيف حتى يَنْقلب الحق .
قال : وهو والله لا يُعطيك إلا السيف حتى يَنْقلبك الباطل . قال : وكيف ذلك ؟
قال : لأنك تطاع اليوم وتُصغى غداً ، وإنه يُطاع ولا يُصغى . فلما انتشر عن علي
أصحابه قال : لله بلاء ابن عباس ، إنه لينظر إلى القيب بستر رقيق . قال : ثم

اجتمع أصحاب البرانس^(١)، وهم وجوه أصحاب علي، على أن يقدموا أبا موسى الأشعري، وكان مبرنسا، وقالوا: لا ترضى بغيره، فقدمه علي. وقدم معاوية عمرو بن الماص. فقال معاوية لعمرو: إنك قد رُميت برجل طويل اللسان نصير الرأي فلا ترمه بقتلك كله. فأخلى لهما مكان يجتمعان فيه، فأمدله عمرو بن الماص ثلاثة أيام، ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشتهيها، حتى إذا استبطن أبو موسى باجاء عمرو، فقال له: يا أبا موسى، إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها، وقد ترى ما وُثقت فيه هذه الأمة من الفتنة القميا، التي لا بقاء معها، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيفتقر الله بك ذمها، فإنه يقول في نفس واحدة: (ومن أضيها فكذا أضي الناس جميعاً)، فكيف بمن أضي أنفس هذا الخلق كله؟ قال له: وكيف ذلك؟ قال: تطلع أنت علي بن أبي طالب، وأخلق أنا معاوية بن أبي سفيان، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة، ولم يفسد يده فيها. قال له: ومن يكون ذلك؟ وكان عمرو بن الماص قد فهم رأى أبي موسى في عبد الله بن عمر، فقال له: عبد الله بن عمر. فقال: إنه لكما ذكرت، ولكن كيف لي بالوثيقة منك؟ فقال له: يا أبا موسى، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، خذ من اليهود والمواثق حتى ترضى. ثم لم يبق عمرو بن الماص عهداً ولا موثقاً ولا يميناً مؤكدة حتى حلف بها، حتى بقى الشيخ مبهوتا، وقال له: قد أجبت. فتودى في الناس بالأجتماع إليهما، فاجتمعا. فقال له عمرو: ثم فاطلب الناس يا أبا موسى. فقال: ثم أنت أخطبهم. فقال: سبحان الله! أنا أتقدمك وأنت شيخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا فعلت أبداً! قال: أو عسى في نفسك أمر؟ فزاده أيماناً وتوكيداً. حتى قام الشيخ غطب الناس، سقم الله واثني عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلق

(١) البرانس: جمع برنس، وهو: قلنسوة طويلة، كان النساك يلبسونها في صدر

- أنا على بن أبي طالب وبزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجبل هذا الأمر لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنة ، ولم يقيس يده في دم امرئ مسلم . ألا وإني قد خلعتُ على بن أبي طالب كما أختلع سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من عاتقه ، وجلس ، وقال لعمرو : قم . فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه خلع على بن أبي طالب كما يخلع سيفه ، وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا ، وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة ، فأعاده على نفسه . فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج . وقال أبو موسى لعمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الكلب إن حِيلَ عليه يلهث أو تتركه يلهث . قال عمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . ١٠
- ٢٩٧
٧ وخرج أبو موسى من قوره ذلك إلى مكة مُستعِذاً بها من عليّ ، وحلف أن لا يكله أبداً . فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية : سلام عليك ، أما بعد ، فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا للجهتد وأعذر الطالب ، والحق لمن نعبه له فأصابه ، وليس لمن عَرَضَ له فأخطأ . وقد كان الحكمان إذا حكما على عليّ لم يكن له الخيار عليهما ، وقد أختاره القوم عليك ، فأكره منهم ما كرهوا منك ، ١٥ وأقبل إلى الشام فإني خير لك من عليّ ، ولا قوة إلا بالله .

- فكتب إليه أبو موسى : سلام عليك ، أما بعد ، فإني لم يكن مني في عليّ إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أني أردتُ بما صنعتُ ما عند الله ، وأراد به عمرو ما عندك . وقد كان بيني وبينه شروط وشورى عن تراض ، فلما رجع عمرو رجعت . أما قولك : إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما . فإني ذلك في الشاة والبيمر والدينار والدرهم . فأما أمر هذه الأمة ، فليس لأحد فيما يكره حكم ، وإن يُذهب الحق عجز عاجز ولا خدمة فاجر . وأما دعاؤك إلى عليّ إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرم إبراهيم . ٢٠

فبلغ علياً كتابُ معاوية إلى أبي موسى الأشعري فكتب إليه : سلام عليك ، أما بعد . فإنك أمرؤ ظلك الهوى واستدرجك الفُور ، حَقَّق بك حُسنَ الظنِّ لزومك بيتَ الله الحرام غير حاجٍ ولا قاطن ، فاستَقِلَّ اللهُ بِفَلَاحٍ ؛ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ وَلَا يَنْفِلُ ، وَأَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ التَّوَابُونَ . وكتبه سَمَّاكُ بْنُ حَرْبٍ .

• فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى : سَلَامٌ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُ وَاللهُ لَوْلَا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يَرْضَعَكَ مِنِّي مَنَعُ الْجَوَابِ إِلَى أَعْظَمِ مِمَّا فِي نَفْسِكَ لَمْ أَجِيبْكَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِي عِنْدَكَ عُذْرٌ يَنْقُضُ وَلَا قُوَّةٌ تَمْنَعُنِي . وَأَمَّا قَوْلُكَ « وَلَزِمُوا بَيْتَ اللهِ الْحَرَامِ غَيْرِ حَاجٍ وَلَا قَاطِنٍ » فَإِنِّي اعْتَزَلْتُ^(١) أَهْلَ الشَّامِ ، وَانْقَطَعْتُ عَنْ أَهْلِ الرَّاقِ ، وَأَصَبْتُ أَقْوَامًا صَفَرُوا مِنْ ذَنْبِي مَا عَظَّمْتُمْ ، وَعَظَّمُوا مِنْ حَقِّي مَا صَغَّرْتُمْ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْكُمْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ . ١٠

وَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذْ وَجَّهَ الْحُكْمَانَ قَالَ لَهَا : إِنَّمَا حُكِّمْنَا كَمَا يَكْتُمُ اللهُ ، فَتُخَيَّبَانِ مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ ، وَتُخَيَّبَتَانِ مَا أَمَاتَ . فَلَمَّا كَادَ عَمْرُو بْنُ الْمَاصِ لِأَبِي مُوسَى اضْطَرْبَ النَّاسَ عَلَى عَلِيٍّ وَاخْتَلَفُوا ، وَخَرَجَتْ الْخَوَارِجُ ، وَقَالُوا : لَا حُكْمَ إِلَّا اللهُ ، فَبَعَلَ عَلِيٌّ بِقَتْلِ بَهْذِهِ الْآيَاتِ :

١٥ لِي زَلَّةٌ إِلَيْكُمْ فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكْبِسُ بَدَهَا وَأَنْشِيرُ وَأُجْمِعُ الْأَمْرَ الشَّعِيتَ لِلْفَقْشِرِ

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْأَسْوَدُ الدَّؤَلِيُّ عَلَى مَعَاوِيَةَ عَامَ الْجُمَاعَةِ ، قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : بَلَنْفَى يَا أَبَا الْأَسْوَدِ أَنْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَرَادَ أَنْ يَحْكُمَكَ أَحَدَ الْحُكَمَاءِ ، فَكَانَتْ تَحْكُمُ بِهِ ؟ قَالَ : لَوْ جِئْتُ أَحَدَهَا لَجِئْتُ أَقَامًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ٢٠ وَأَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَقَامًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ نَاشَدْتُهُمْ اللهُ : الْمُهَاجِرُونَ وَأَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَى بِهَذَا الْأَمْرِ أَمْ الطَّلَقَاءُ ؟ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : قَدْ أَبُوكَ أَيْ حَكَمَ كَنْتَ تَكُونُ لَوْ حَكَّمْتَ أ

احتجاج على أهل بيته في الحكمين

- أبو الحسن قال : لما أنقض أمرُ الحكمين وأختلف أصحابُ عليّ قتل بعض الناس : ما منع أمير المؤمنين أن يأمر بعض أهل بيته فيتكلّم ، فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلم . قال : فبينما عليّ يوماً على المنبر إذ التفت إلى الحسن أبنه فقال : ثم يا حسن قتل في هذين الرجلين : عبد الله بن قيس وعمر بن العاص . فقام الحسن فقال : أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنما بُعثا ليحكما بالكتاب على الهوى ، فحكما الهوى على الكتاب . ٢٩٣
٧
- ومن كان هكذا لم يُسمَّ حَكَمًا ، ولكنه يحكمهم عليه . وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : واحدة ، أنه خالف أباه ، إذ لم يرضه لها ، ولا جعله من أهل السُّورى ؛ وأخرى ، أنه لم يستأمره ١٠
- في نفسه ، وثالثة ، أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يصدقون الإمامة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة ، فقد حَكَمَ النهي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ في بني قُرَيْظَةَ ، فحكّم بما يرضى الله به ولا شك ، ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، ثم جلس . فقال لعبد الله بن عباس : ثم . فقال عبد الله بن عباس ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن ١٥
- للحق أهلاً أصابوه بالتوقيف ، فالناس بين راضٍ به وراغبٍ عنه ، فإنه بَشَتْ عبد الله بن قيس بهدًى إلى ضلالة ، وبَشَتْ عمرو بن العاص بضلالة إلى هُدًى ، فلما ألتقيا رجع عبد الله بن قيس عن هُداه وتبّت عمرو على ضلاله . وأيم الله ، لئن كانا حَكَمًا بما سارا به ، لقد سار عبد الله وعليّ إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه ، فما بعد هذا من قَبْ يُنتظر ؟ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ثم . ٢٠
- فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إن هذا الأمر كان النظر فيه

(١) يشهد لى حكم سعد في بني قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبي القوارى والنساء ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرضة (سموات) . (انظر السيرة لابن هشام) .

إلى عليّ ، والرضا إلى غيره . فَجِئْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ مُبْرِنًا قَتَلْتُمْ : لَا تَرْضَى إِلَّا بِهِ . وَأَيُّمَ اللَّهِ ، مَا أَسْتَفْذِنُ بِهِ عَلِيًّا ، وَلَا أُنْتَظِرُ نَامَةً غَائِبًا ، وَمَا تَدْرِيهِ صَاحِبًا . وَمَا أَفْسَدَا بِنَا فَعَلَا أَهْلَ الرِّاقِ ، وَمَا أَصْلَحَا أَهْلَ الشَّامِ ، وَلَا وَضَعَا حَقَّ عَلِيٍّ ، وَلَا رَفَعَا^(١) بَاطِلَ مَعَاوِيَةَ ، وَلَا يُذْهِبُ الْحَقُّ رُفْيَةَ رَاقٍ ، وَلَا نَفْعَةَ شَيْطَانٍ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْسَ .

احتجاج عليّ على أهل النهروان

قَالُوا : إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ وَاتَّقَرُوا وَأَصْحَابُ الْبَرَانِسِ ، وَزَلُّوا قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا حَرْوَرَاءُ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْجَلِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، بَيْنَ زَعِيمِكُمْ ؟ قَالُوا : ابْنُ الْكُوْءَاءِ . قَالَ : ١٠ فَنِيَّزُ إِلَى . فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوْءَاءِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا ابْنَ الْكُوْءَاءِ ، مَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا بَعْدَ رِضَاكُمْ بِالْحَكِيمِينَ ، وَمُقَابِلِكُمُ بِالْكُوفَةِ ؟ قَالَ : قَاتَلَتْ بِنَا عَدُوًّا لَا نَشْكُ فِي جِهَادِهِ ، فَزَعَمْتَ أَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَامُ فِي النَّارِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا أُرْسِلَتْ مُنَافِقًا ، وَحُكِّمْتَ كَافِرًا ، وَكَانَ بِنَا^(٢) شَكَّكَ فِي أَمْرِ اللَّهِ أَنْ قُلْتَ لِلْقَوْمِ حِينَ دَعَوْتَهُمْ : كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنْ قَضَى عَلِيٌّ بِمِثْلِكُمْ ، وَإِنْ قَضَى عَلَيْكُمْ بِمِثْلِي . فَلَوْلَا شَكُّكَ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا وَالْحَقُّ فِي يَدِكَ . فَقَالَ ١٥ عَلِيٌّ : يَا ابْنَ الْكُوْءَاءِ ، إِنَّمَا الْجَوَابُ بَعْدَ الْفَرَاغِ ، أَفَرَعْتَ فَأَجِيبُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ عَلِيٌّ : أَمَا قَاتَلْتُ مَعَ عَدُوًّا لَا نَشْكُ فِي جِهَادِهِ ، فَصَدَقْتُ ، وَلَوْ شَكَّكَتُمْ فَنِهِمْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ . وَأَمَا قَتَلْنَا وَقَتْلَامُ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَا يُسْتَفَى بِهِ عَنْ قَوْلِي ؛ وَأَنَا إِرْسَالِي لِلنَّائِقِ وَتَحْكِيمِي الْكَافِرِ ، فَأَنْتَ أُرْسِلْتَ أَبَا مُوسَى مُبْرِنًا ، وَمَعَاوِيَةَ حَكَمَ عَمْرًا ، أَتَيْتَ أَبَا مُوسَى مُبْرِنًا ، فَقُلْتَ : لَا تَرْضَى ٢٠ إِلَّا أَبَا مُوسَى ، فَهَلَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟ قَالَ : يَا عَلِيٌّ ، لَا نَعْمَلِي هَذِهِ الدِّينِيَّةَ فَبَيْنَا ضَلَالَةٌ . وَأَمَا قَوْلِي لِمَعَاوِيَةَ : إِنَّ جَزَاءَ إِلَيْكَ كِتَابُ اللَّهِ تَبَيَّنْتُكَ ، وَإِنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « وَضَعَا » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « مِنْ » .

- جَزَاكَ إِلَى تَبَعِي. زَعَمْتُ أَنِّي لَمْ أُعْطِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَوْثُقَ مَا فِي يَدِكَ هَذَا الْأَمْرَ، فَخَذْتَنِي وَيَحْيَاكَ عَنِ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، أَمْ أَقْرَبُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ أَمْ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلَ الشَّامِ؟ قَالَ: بَلِ مَعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ أَقْرَبُ. قَالَ عَلِيٌّ: أَرْسَلُ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوْثُقَ بَمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَنَا؟ قَالَ: بَلِ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَفَرَأَيْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَقُولُ: (قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَنْتُمَا أَنْتُمَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَى مِنْ بَمَا فِي يَدَيْهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ؟ قَالَ: إِنْصَانًا وَحُجَّةً. قَالَ: فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ: فَإِنِّي أَخْطَأْتُ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ، زِدْنِي. قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا أُعْطِمْ مَا تَقْتَضِي عَلَى؟ قَالَ: ١٠ نَحْكُمُ الْحَكَمَيْنِ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا مُحْكِمَتَهُمَا شُكًّا وَتَبْذِيرًا. قَالَ عَلِيٌّ: فَنِي سَمِيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا: حِينَ أُرْسِلَ، أَوْ حِينَ حَكَمَ؟ قَالَ: حِينَ أُرْسِلَ. قَالَ: أَلَيْسَ نَدِ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ عَلِيٌّ: فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ. قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ: سَمِيَ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ. قَالَ: نَعَمْ، إِذَا فُورَسَالُهُ كَانَ عَدْلًا. أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَثَّ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَارْتَدَّ عَلَى حَقْبِهِ كَافِرًا، كَانَ يَضْرِبُهُ نَهْيُ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا كَانَ ذَنْبُهُ أَنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ، هَلِ رَضِيتُ حُكْمَتَهُ حِينَ حَكَمَ، أَوْ قَوْلُهُ إِذْ قَالَ؟ قَالَ ابْنُ الْكُوَّاءِ: لَا، وَلَكِنَّكَ جِئْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ. قَالَ عَلِيٌّ: وَبَلَى يَا ابْنَ الْكُوَّاءِ! هَلِ بَثَّ عَمْرًا غَيْرُ مَعَاوِيَةَ، وَكَيْفَ أُسْكِنُهُ وَحُكْمُهُ عَلَى ضَرْبِ عُنُقٍ؟ إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَوَجَّعَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً فَصَافَا شِقَاقَ بَيْنَهُمَا، فَفَزَعَ النَّاسُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ،

وفي كتابه (فابشوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) فَبَجَا رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ
أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَجُوزُ لَهَا أَنْ يَحْكُمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ،
فَعَلِمَا . قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : وَهَذَا أَيْضًا ، أَهْلُنَا حَتَّى نَنْظُرَ . فَانصَرَفَ عَنْهُمْ
عَلَى . قَالَ لَهُ صَعْمَةُ بْنُ صُوحَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُذِنُ لِي فِي كَلَامِ الْقَوْمِ .
٥ قَالَ : نَعَمْ ، مَا لَمْ تَبْسُطْ يَدًا . قَالَ : فَنادى صَعْمَةُ ابْنَ الْكَوَّاءِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ : أَنُشَدِّكُمْ بِاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْخَارِجِينَ أَلَّا تَكُونُوا عَارًا عَلَى مَنْ يَنْزِعُو لِيهِ ،
وَأَلَّا تَخْرُجُوا بَارِضَ تَسْمُوا بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَا تَسْتَعْبِلُوا ضِلَالَ الْعَامِ خَشِيئَةً
ضِلَالِ عَامٍ قَابِلٍ . قَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ : إِنَّ صَاحِبَكَ لَقَيْنَا بِأَمْرٍ قَوْلَكَ فِيهِ
صَغِيرٌ ، فَأَسْك .

١٠ قَالُوا : إِنَّ عَلِيًّا خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ ، فَقَالَ لَهُ
عَلَى : يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ ، إِنَّهُ مَنْ أَذْنَبَ فِي هَذَا الدِّينِ ذَنْبًا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ
حَدَنًا أَسْتَبْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ بَعَيْنُهُ ، وَإِنْ تَوَيْتَكَ أَنْ تَعْرِفَ هُدًى مَا خَرَجْتَ
مِنْهُ وَضَلَّالٌ مَا دَخَلَ فِيهِ . قَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ : إِنَّا لَا نُنْكِرُ أَنَا قَدْ قُتْنَا .
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ جُرْمُوزٍ : أَدْرَكْنَا وَاللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ (أَلَمْ) . أَحْسِبَ
١٥ النَّاسُ أَنْ يُفَرِّقُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ قُرَاءِ
أَهْلِ حَرُورَاءَ ، فَرَجَعُوا فَصَلُّوا خَلْفَ عَلِيٍّ الظَّهْرَ ، وَأَنْصَرَفُوا مَعَهُ إِلَى الْكَوْفَةِ ،
ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي رَجْعَتِهِمْ ، وَلَا مَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . قَالَ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الرَّاسِي ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ حَرُورَاءَ ، يُشَكِّكُهُمْ :

شَكَّكْتُمْ وَمِنْ أَزْمَى ثَمِيرًا مَكَانَهُ وَلَوْلَمْ تَشْكُوا مَا اتَّخَذْتُمْ عَنِ الْحَرْبِ
٢٠ وَتَحَكَّمْتُمْ عَمْرًا عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ خَطْبًا مِنْ الْغُلَبِ
فَانْكَمَّهُ لِمَقْبَرِ لَنَا خَلَا بِهِ فَأَصْبَحَ يَهُوَى مِنْ ذُرَى حَالِي صَغَبِ

وَقَالَ الرَّيَّاحِيُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ حُكْمَهُ وَعَمَّرُو وَعَبْدُ اللَّهِ مُخْتَلِفَانِ

٢٩٥
٢

وقال مسلم بن يزيد الثقفي ، وكان من عبّاد خُرّواء :

وإن كان ما عَيْنَاه عَيْنًا غَسِبْنَا حَطَايَا بِأَخَذِ النَّصَحِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحٍ .
وإن كان عَيْنًا فَأَعْظَمْنَا بِتَرْكِنَا حَلِيًّا عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْحَقِّ وَاضِحٍ
وَهُنَّ أُنَاسٌ بَيْنَ بَيْنٍ وَعَلَّلْنَا سُرُورَنَا بِأَمْرِ غَيْبِهِ غَيْرُ صَالِحٍ
ثم خرجوا عَلَى عَلَى قَتْلِهِم بِالتَّهْرُوانِ .

خروج عبد الله بن عباس على علي

قال أبو بكر بن أبي شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى
عمر بن الخطاب ، وكان يُقَدِّمُهُ عَلَى الْأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَمْ يَسْتَعْمَلْهُ قَطُّ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : كَذَبْتُ أَسْتَعْمَلُكَ وَلَكِنْ أَخَشَى أَنْ تَسْتَحِلَّ
النِّسَاءَ عَلَى التَّأْوِيلِ . فَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى عَلِيٍّ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ . فَاسْتَحِلَّ ١٠
النِّسَاءَ عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) ، وَاسْتَعْمَلَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَوَى أَبُو حَنِيفَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ :

مَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيِّ فَقَالَ لَهُ : لَوْ كُنْتَ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكُنْتَ ١٥
جَمَلًا ، وَلَوْ كُنْتَ رَاعِيًا مَا بَلَّغْتَ لِلرَّعَى (١) . فَكَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى عَلِيٍّ :
أَمَا بَدَأَ . فَإِنَّ اللَّهَ جَمَلٌ وَالْيَا مُؤْتَمًا ، وَرَاعِيًا مَسْثُولًا ، وَقَدْ بَلَغْنَاكَ ، رَحِمَكَ
اللَّهُ ، فَوَجَدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ ، نَاصِحًا لِلْأَمَةِ ، تُؤَفِّرُ لِمِ قِيَمِهِمْ ، وَتَكْتَفِي نَفْسَكَ
عَنْ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَرْتَشِي بِشَيْءٍ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَابْنُ عَمِّكَ
قَدْ أَكَلَ مَا نَحَتْ يَدَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِكَ ، فَلَمْ يَسْقُ كِتَابَتُكَ ذَلِكَ . فَانْظُرْ ، ٢٠
رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَيَا هَذَا ، وَاصْبِرْ إِلَى بَرَاءَتِكَ ، فَاصْبِرْ أَتَبِعُهُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ .

(١) وزاد الطبري على هذا : « وَلَا أَحْسَلَتْ مَهْمَتُهُ فِي النَّبِيِّ » .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فثلك تصح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وطارق الجوز . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت إلى فيه ، ولم أعلم بكتابك إلى . فلا تدع إعلامي ما يكون يحضرك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب لله عليك . والسلام .

٥ . وكتب عليّ إلى ابن عباس : أما بعد . فإنه قد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت الله ، وأخربت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين . بلغني أنك خربت الأرض ، وأكلت ما تحت يدك . فأرفع إلى حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس . والسلام .

١٠ . وكتب إليه ابن عباس : أما بعد . فإن كل الذي بلغك باطل ، وأما لما تحت يدي ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تصدق على اللتين .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فإنه لا يسمي تركك حتى تملق ما أخذت من الجزية من أين أخذته ، وما وضمت منها أين وضمت . فاتق الله فيما أنعمت عليك وأسترحتك إياه ، فإن للتع بما أنت رازم^(١) قليل ، وتبعاته وبيعة لا تبديد . والسلام .

١٥ . فلما رأى أن علياً غير مُقنع عنه ، كتب إليه : أما بعد . فإنه بلغني تغليبك على سرزنة مال بلفك أنى رزانه^(٢) أهل هذه البلاد . وأيم الله ، لأن ألقى الله بما فى بطن هذه الأرض من عقيانها^(٣) ومخبيها ، وبما على ظهرها من طلاعها^(٤) ذهباً ، أحب إلى من أن ألقى الله وقد سفتك دماء هذه الأمة لأقال بذلك للهلك والإلمرة . أبش إلى عمالك من أحببت فأبى ظاعن . والسلام .

٢٠ . فلما أراد عبد الله السير من البصرة دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن

(١) رازمه ، أى جامسه .

(٢) يقال : رزأ المال رزماً وبرزمة ، إذا أصاب منه شيئا .

(٣) العقيان (بالكسر) : الذهب .

(٤) طلاع الشيء : ككتاب : ملؤه .

صمصمة لينموه . فجاء الضحاك بن عبد الله الحلائي فأجاره ، ومعه رجلٌ منهم يقال له : عبد الله بن رزين^(١) . وكان شجاعاً بيئياً ، فقالت بنو هلال : لا غنى بنا عن هؤلاء . فقالت هوازن : لا غنى بنا عن بني سليم . ثم أتتهم قيس . فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان في بيت مال البصرة ، وكان فيازمعواسة آلاف ألف ، فصَّله في الفرائز .

٥

قال : غَدَنِي الْأَزْرَقُ الْيَشْكُرِي ، قال : سمعنا أشياءنا من أهل البصرة قالوا : لما وَضَعَ الْمَالُ فِي الْفَرَاثِ ثُمَّ مَضَى بِهِ ، تَبَيَّنَتْهُ الْأَخْنَسُ^(٢) كُلُّهَا بِالْعَافِ ، على أربع فراسخ من البصرة ، فواقوه . فقالت لهم قيس : والله لا تصلوا إليه ومنا عين تطرف . فقال ضمرة ، وكان رأس الأزد : والله إن قيساً لإخوتنا في الإسلام ، وجيراننا في الدار ، وأعواننا على العدو . إن الذي تذهبون به ١٠ المال ، لو ردَّ عليكم لكان نصيبكم منه الأقل ، وهم خير لكم من المال . قالوا : فما ترى ؟ قال : انصرفوا عنهم . فقالت بكر بن وائل وعبد القيس : نعم الرأي رأى ضمرة ، واعتزلهم . فقالت بنو عجم : والله لا نفارقهم حتى قاتلهم عليه . فقال الأحنف بن قيس : أتم والله أحقُّ ألا تُقاتلهم عليه ، وقد ترك قاتلهم مَنْ هو أبعد منكم رحماً . قالوا : والله لنُقاتلهم . فقال : والله لا نعاونكم^(٣) على ١٥ قاتلهم ، وأنصرف عنهم . فقدم عليهم ابنُ لُجْجَاعَةَ^(٤) فقاتلهم . فحمل عليه الضحاك ابن عبد الله فطعنه في كتفه فصرعه ، فسقط إلى الأرض ينير قتل . وحمل سلمة بن ذؤيب السعدي على الضحاك فصرعه أيضاً ، وكثرت بينهم الجراح من غير قتل . فقال الأخناس^(٥) الذين اعتزلوا : والله ما صنعتُم شيئاً . اعتزلتم قاتلهم وتركتموهم يتشاجرون . فجاءوا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض ، ٢٠

(١) في الأصول هنا : « رزين بن عبد الله » وما أثبتنا من الطبري وما سياتي .

(٢) يريد أخناس البصرة ، وهي خمسة ، فالحس الأول التالية ، والحس الثاني بكر بن وائل ، والحس الثالث عجم ، والحس الرابع عبد القيس ، والحس الخامس الأزد .

(٣) كنا في بني الأصول والطبري . والى في سائر الأصول : « لا نعاونكم » .

(٤) في الأصول : « ابن عتبة » وما أثبتنا من الطبري .

وقالوا لبني تميم : والله إن هذا الأثوم قبيح ، لنحن أسخى أنفسنا منكم حين تركنا أموالنا لبني عمك ، وأتم قتلونهم عليها ، خلوا عنهم وأرواحهم ، فإن القوم فُدحوا . فأنصرفوا عنهم ، ومضى معه ناسٌ من قيس ، فيهم الضحاك بن عبد الله وعبد الله بن رزين ، حتى قدموا الحجاز ، فنزل مكة ، فجعل راجزاً لعبد الله بن عباس يسوق له في الطريق ويقول :

صَبَّحْتُ مِنْ كَانَمَةِ الْقَصْرِ أَتَكْرِبُ مع ابن عباس بن عبد المطلب^(١)

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

أَوَى إِلَى أَهْلِكَ يَا رَبَّيْ أَوَى قَدْ حَانَ لَكَ الْإِيَابُ

وجعل أيضاً يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا مَحِيصًا إِنَّ يَصْدُقُ الطَّيْرُ نَبْلَكَ^(٢) لَيْمَسَا

ف قيل له : يا أبا العباس ، أمتك برقت في هذا الموضع ؟ قال : إنما الرقت ما يقال عند النساء .

قال أبو محمد : فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بني كعب ، من جواريه ثلاث مولات حجازيات ، يقال لهن : شادن ، وحتواء ، وفنون .

١٥ بثلاثة آلاف دينار .

وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي الكنود قال : كنت من أعوان عبد الله بالبصرة ، فلما كان من أمره ما كان أتيتُ علياً فأخبرته فقال : (وَأَتْلُ عَلَيْهِ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأُنْصَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) . ثم كتب معه إليه : أما بعد ، فإني كنتُ أشركتُك في أمانتي ، ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثقَ عندي منك بمواساتي ومؤازرتي

(١) كاذبة : على سيف البحر من البصرة على مهلقين . وفيها ركام كثير وماؤها شروب . ورواية البيت في الكامل :

صَبَّحْتُ مِنْ كَانَمَةِ الْقَصْرِ أَتَكْرِبُ بمحمد بن عباس بن عبد المطلب

يريد : ابن عباس . وقد سافه للبرد شاهداً على إقامة العرب المضاف إليه . فقام المضاف .

(٢) في عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢١) : « تل » .

بأداء الأمانة، فلما رأيت الزمان قد كَلَبَ عَلَى ابنِ عَمِكَ، والمدو قد حَرَدَ،
وأمانة الناس قد خَرَبَتْ، وهذه الأمة قد فُتِنَتْ، فليت لأبنِ عَمِكَ ظهر الجبن،
فصارفته مع القوم للفارقين، وخَذَلَتْهُ أسوأ خِذْلَانٍ، وخُفَّتْهُ مع مَنْ خان. ٢٩٧
فلا ابنَ عَمِكَ آسَيْتَ، ولا الأمانةَ إِلَيْهِ أَدَيْتَ، كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكَ، وَإِنَّمَا كِدْتَ أُمَّةً مَعْدُومَةً عَنْ دُنْيَاكُمْ، وَغَدَرْتُمْ عَنْ قِيَمَتِهِمْ. فلما أَمَكْنَتْكَ
الفرصة في خِيَانَةِ الْأُمَّةِ، أَسْرَعْتَ الْقُدْرَةَ، وَعَاجَلْتَ الرَّشِيَّةَ، فَاحْتَفَلْتَ مَا قَدَرْتَ
عليه مِنْ أُمُومِهِمْ، وَأَنْفَلَيْتَ بِهَا إِلَى الْحِجَازِ، كَأَنَّكَ إِنَّمَا حُزْتَ عَنْ أَهْلِكَ مِيرَانَكَ
مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ. سبحان الله! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَدَادِ، أَمَا تَخَافُ الْحِسَابَ! أَمَا
تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا! وَتَشْتَرِي الْإِمَاءَ وَتَكْتَسِبُ بِأُمُومٍ
الْيَتَامَى وَالْأَرْسَالَ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الَّتِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَذِ
إِلَى الْقَوْمِ أُمُومَهُمْ، فَإِنَّكَ وَاللَّهُ لَنْ لَمْ تَنْفَلْ وَأَمَكْنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَعْذُرَ إِلَى اللَّهِ
فِيكَ. فوالله لو أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ضَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهَا عِنْدِي
هُوَادَةٌ، وَلَمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى آخَذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا. والسلام.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَا بَعْدَ. فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعْظِمُ عَلَى أَمَانَةِ
الْمَالِ الَّذِي أَصَبْتُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ. وَلَعَمْرِي إِنْ حَقَّ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ ١٥٠
أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي أَخَذْتُ. والسلام.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ: أَمَا بَعْدَ، فَإِنَّ التَّعَجُّبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْكَ، إِذْ تَرَى
لِنَفْسِكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ السُّلَاحِينِ، قَدْ أَنْفَلَحَتْ إِنْ كَانَ
تَمَتُّكَ الْبَاهِلُ وَأَذْعَاكَ مَا لَا يَكُونُ يُنْجِيكَ مِنَ الْإِثْمِ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْكَ. عَمَّرَكَ اللَّهُ! إِنَّكَ لِأَنْتَ الْبَعِيدُ^(١)، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ أَنْفَلَحْتَ مَكَّةَ وَطَنًا،
وَضَرَبْتَ بِهَا عَطَنًا، تَشْتَرِي الْوَلَقَاتِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى
عَيْنِكَ، وَتُعْطِي بَنِي^(٢) مَالِ غَيْرِكَ. وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ، مَا أَحْبَبَ

(١) أَيِ الْبَعِيدِ مِنَ الصَّرَافِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ «بِهَا» .

أَنْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالاً أَدْعُهُ مِيراثاً لِقَبِي . فَا بَالِ اغْتِيَابِكَ بِهِ
تَأْكُلُهُ حَرَاماً صَاحِبُ رُؤْيَا^(١) . فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَنْتَ لِلدَّيِّ ، وَغَرَضْتُ عَلَيْكَ
أَعْمَالَكَ بِالْحَلِّ الْقَبِي يُنَادِي فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَنَقَّى لِلْمُضِيعِ التَّوْبَةَ ، وَالظَّالِمِ الرَّجْمَةَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَتَّاسٍ : وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَدْعُنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَحْمِلَنَّهُ إِلَى
مَعَاوِيَةَ يُقَاتِلَكَ بِهِ . فَكَفَّ عَنْهُ عَلَى .

مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَخْرُجُ
بِالْقَبِيلِ إِلَى الْمَسْجِدِ . فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَحْمَاحَ : نَحْشَى أَنْ يُصِيبَهُ بِبَعْضِ عُدُوِّهِ ، وَلَكِنْ
تَمَالَوْا نَحْرُسُهُ . فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِنَا ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَكَتَمْنَاهُ .
فَقَرَزَ عَلَيْنَا . فَأَخْبَرَنَاهُ . فَقَالَ : تَحْرُسُونِي مِنْ أَهْلِ السَّيِّئِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟
قُلْنَا : مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ يُقْضَى فِي الْأَرْضِ حَقُّ يُقْضَى فِي السَّمَاءِ .
الْتِمِيزُ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا تَوَاعَدَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَصَاحِبَاهُ بِقَتْلِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ
وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، دَخَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْمَسْجِدَ فِي بُزُوعِ النَّجَرِ الْأَوَّلِ ، فَدَخَلَ
فِي الصَّلَاةِ تَطَوُّعاً ، ثُمَّ أَفْتَتَحَ فِي الْقِرَاءَةِ ، وَجَسَلَ يُكْرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَمَنْ
النَّاسُ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) . فَأَقْبَلَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ مَخْفِقَةً^(٢) ،
وَهُوَ يُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ . فَرَأَى ابْنُ مُلْجَمٍ
وَهُوَ يَرُدُّ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّهُ يَنْسِي فِيهَا ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ
رَهْ وَفِ السَّيِّئِ) . ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَلَى وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الدَّارَ ، فَأَتْبَعَهُ فَفَسَّرَ بِهِ عَلَى
قَرْنِهِ ، وَوَقَعَ السَّيْفُ فِي الْجِدَارِ ، فَأَطَارَ فِدْرَةً^(٣) مِنْ آخِرِهِ ، فَأَقْبَدَهُ النَّاسُ فَأَخَذُوهُ ،
وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْهُ ، فَجَلَّ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، احْذَرُوا السَّيْفَ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ .
قَالَ : فَأَتَنِي بِهِ عَلَى فَقَالَ : احْسِسُوهُ ثَلَاثًا وَأَطْمَعُوهُ وَاسْقُوهُ ، فَإِنْ أَحْسَسَ أَرْقِيهِ

(١) ضَحَّ ، أَسْرَ مِنَ التَّضْيِيعِ ، أَيْ لِاتِّصَالِهِ فِي ذَرْبِهَا . ثُمَّ اسْتَعِيرَ فِي التَّهْيِ مِنَ السَّجْدَةِ فِي الْأَمْرِ .

(٢) الْمُخَفِّقَةُ (كَكُفَّةٍ) : لَهْدَةٌ أَوْ سَوْطٌ مِنْ خَبَبٍ .

(٣) فِدْرَةٌ ، بِالْكَسْرِ ، أَيْ قِطْعَةٌ .

رَأْيِي ، وَإِنْ أَنْتَ فَأَقْتُلُوهُ وَلَا تَمْتَلُوا بِهِ . فَاتَ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ . فَأَخَذَهُ صَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ جَعْفَرٍ قَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْزَعْ ، ثُمَّ أَرَادَ قَطَعَ لِسَانَهُ قَضَعَ . فَقِيلَ لَهُ :
لَمْ تَفْزَعْ لِقَطْعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَفَزَعْتَ لِقَطْعِ لِسَانِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ
لَا تَمُرَّ بِي سَاعَةٌ لَا أَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا . ثُمَّ قَطَعُوا لِسَانَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ .

وَتَوَجَّهَ الْخَارِجِيُّ الْآخَرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَتَوَجَّهَ الثَّالِثُ إِلَى
عَمْرِو فَوَجَدَهُ قَدْ أَغْفَلَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدَّمَ مَكَانَهُ رَجُلًا يُقَالُ
لَهُ خَارِجَةٌ ، فَضَرَبَهُ الْخَارِجِيُّ بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَظُنُّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَتَلَهُ . فَأَخَذَهُ
النَّاسُ ، وَقَالُوا : قَتَلْتَ خَارِجَةً . قَالَ : أَوَلَيْسَ عَمْرَأُ ؟ قَالُوا لَهُ : لَا . قَالَ : أَرَدْتُ
عَمْرَأُ وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً .

وَفِي الْحَدِيثِ : إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعَلِّي : أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَشَدِّ
النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِرُ نَاقَةٍ ثَمُودَ ، وَخَاضِعُ لِحَيْتِكَ بِدَمِ رَأْسِكَ .
وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةَ :

أَلَا إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَاةَ التَّهْدِ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
عَلَى* وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسَبَطُ سَبَطِ إِيْمَانٍ وَرَيْرٍ وَسَبَطُ حَقِيْقَتِهِ كَرٍّ بِلَاءُ
وَسَبَطُ لَا يَلْدُوْكَ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُوْدَ الْخَلِيْلَ يَقْدُمُهَا الْوَاءُ
تَقْتَبِ لَا يَرَى عَنْهُمْ زَمَانًا رَضُوْى عَنْهُ حَسَلُ وَمَاءُ

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : حَدَّثَنِي أَبِي الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، قَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي سَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ
مَا رَزَقَ اللَّهُ ، ثُمَّ نِمْتُ نَوْمَةً فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَكَوْتُ
لَهُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ ، قَالَ لِي : ادْعُ اللَّهَ أَنْ
يُرِيحَكَ مِنْهُمْ ، فَدَهَرَتْ اللَّهُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قُتِلَ فِيكُمْ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فيسكتفه جبريل من يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا ينشئ حتى يفتح الله له ، ما ترك إلا ثلثمائة درهم .

خلافة الحسن بن علي

ثم بُويع الحسن بن علي . وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ ، فكتب إليه ابن عباس : إن الناس قد ولّوك أمرهم بعد علي ، فأشدّد من يمينك ، وجاهد عدوك ، واسألم من الظنين ذنبه بما لا يثلم دينك ، وأستصل أهل البيوتات تستصلح بهم عشارهم .

ثم اجتمع الحسن بن علي ومعاوية بمسكن ، من أرض السواد من ناحية الأنبار ، وأصطلحا ، وسلم الحسن الأمر إلى معاوية ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، ويسمى عام الجماعة . فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ، ومات الحسن في المدينة سنة تسع وأربعين ، وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سميد بن العاص ، وهو والي المدينة . وأوصى أن يُدفن مع جدّه في بيت عائشة ، ففنه مروان بن الحكم فردّوه إلى البقيع .

وقال أبو هريرة لمروان : علام تمنع أن يُدفن مع جدّه ؟ فلقد أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة . فقال له مروان : لقد ضيع [الله] حديث نبيّه إذ لم يزّوه غيوك . قال : أما إنك إذ قلت ذلك لقد سمعته حتى عرفت من أحبّ ومن أبغض ، ومن نفى ومن أقرّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه .

ولما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرّ ساجداً لله ، ثم أرسل إلى ابن عباس ، وكان معه في الشام ، فزّاه وهو مستبشر ، وقال له : ابن كسنة مات أبو محمد ؟ فقال له : سيّته كان يُسمع في قرش ، فالعجب من أن يجعله مثلك ! قال : بلنّى

أنه ترك أطفالاً صفاراً . قال : كلُّ ما كان صغيراً يَكْبُرُ ، وإنَّ طِفْلَنَا لَكَهْلٌ ،
وإنَّ صغيرَنَا لَكَبِيرٌ . ثم قال : ما لي أراك يا معاوية مُستبشراً بموت الحسن
ابن عليٍّ ؟ فوالله لا ينسأ في أجلك ، ولا يَسُدُّ حُفْرَتَكَ ، وما أَقْلٌ بقائك وبقاءنا
بده . ثم خرج ابنُ عباس ، فبعث إليه معاوية ابنه يزيد ، فعمد بين يديه فزّاه
وأستمر لموت الحسن ، فلما ذهب أتبعه ابنُ عباس بصره ، وقال : إذا ذهب
آل حَرْبٍ ذهبَ الحِلْمُ من الناس .

- ثم اجتمع الناسُ على معاوية سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ،
فبأبىه أهلُ الأمصار كلها ، وكتبَ بينه وبين الحسن كتاباً وشروطاً ، ووصله
بأربعين ألفاً . وفي رواية أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ أنه قال له : والله لأُجِيزَنَّكَ
بمجازة ما أُجِزْتُ بها أحداً قبلك ، ولا أُجِيزُ بها أحداً بعدك ، فأصره .
بأربعائة ألف .

خلافة معاوية

- هو معاوية بن أبي سفيان بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
وكُتِبَ أبو عبد الرحمن ، وأمه هند بنت عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .
ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثلاثين من رجب سنة ستين ، وصلى عليه
الضحاك بن قيس ، وهو ابنُ ثلاث وسبعين سنة ، ويقال ابن ثمانين سنة .
كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً . صاحب
شرطته يزيد بن الحارث التميمي . وعلى حَرْمِه — وهو أول من اتخذ حرساً —
رجل من اللواتي يقال له المختار . وحاجبُه سعد ، مولاة . وعلى القضاء أبو إدريس
الغولاني . وولده عبد الرحمن وعبد الله ، من فاختة بنت قرظة ^(١) . أما عبد الرحمن
فبأبى صغيراً ، وأما عبد الله فبأبى كبيراً ، وكان ضعيفاً ولا عقب له من الذكور .

(١) في بعض الأصول : « قرظة » .

وكان له بنت يقال لها عاتكة ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، وفيها يقول الشاعر^(١) :
يا بيت عاتكة الذي أنزل
حذر المدا وبه الفؤاد مؤكل^(٢)
وزيد بن معاوية ، وأمه أبة بحدل^(٣) ، كلبية .

فضائل معاوية

ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا قَوْمَ^(٤) قريش وابن كرمها ،
من يضحك عند الغضب ، ولا ينأى إلا على الرضا ، ويتناول ما فوقه من تحته .
سئل عبد الله بن عباس عن معاوية ، فقال : سمعته أسره ، وأستظهر
عليه بشيء أعلنه ، فحاول ما أسره بما أعلنه . كان حظه قاهر الغضب ،
وجوده غالباً على منته ، يصل ولا يقطع ، ويجمع ولا يفرق ، فأستقام له أسره ،
وجرى إلى مدته . قيل : فأخبرنا عن ابنه . قال : كان في شهر سبيله ، وكان
أبوه قد أحكمه ، وأمره ونهاه ، فصلى بذلك ، وسلك طريقاً مذكراً له .

وقال معاوية : لم يكن في الشباب شيء إلا كان منى فيه مُستمتع ، غير
أنى لم أكن مُرعة ولا نكحة^(٥) ولا سيئاً .
قال الأصمعي : السب : كثير السباب .

- ١٥ (١) الشاعر هو الأحوس بن عبد الأنباري . وهذا البيت مطلع قصيدة له مدح بها عمر
ابن عبد العزيز في مروض قصيدة ليليان ابن أبي دؤاد التي يقول فيها :
يا بيت خنساء الذي أعجب ذهب الشباب وحبها لا ينضب
انظر الأغاني (ج ١٨ ص ١٩٥) طيبة بلاقي .
- ٢٠ (٢) عاتكة ، قبل هجوز كبيرة ، وقيل هي عاتكة بنت عبد الله بن معاوية . ثوري
إسماعيل بن عبد الملك أن الأحوس كان ليلاً وأن عاتكة التي كان يشب بها
ليست عاتكة بنت عبد الله بن معاوية إنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين
الأهراق كي عنه بياكة . وأمنه : أعجبه ، وأكون بمنزله . (انظر الأغاني)
- (٣) هي ميسون بنت بحدل .
- (٤) كنا في بني الأصول . وفي ميون الأخبار (ج ١ ص ٩) : « آدم » . وانظر
الحجر (ج ١ ص ٢٩) من هذه الطيبة . والذي في سائر الأصول : « دم » .
- ٢٥ (٥) الصرعة (كهزة) : من يصرع الناس . (والفهم) : من يصرعه الناس . والنكحة
(كهزة) : الكثير النكاح .

ميمون بن مهران قال : كان أول من جلس بين الخطيبين معاوية ، وأول من وضع شرف المعطاء ألقي معاوية .

وقال معاوية : لا زلت أطيع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ، إذا ملكت فأحسن .

- المثنى عن أبيه قال : قال معاوية لقرش : ألا أخبركم عنى وعنكم ؟ قالوا : بلى . قال : فانا أطير إذا وقعتم ، وأتع إذا طرتم ، ولو واثق طيرانى طيرائكم سقطنا جميعاً .

قال معاوية : لو أن يبنى وبين الناس شجرة ما انقطعت أبداً . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدتها أرختها ، وإذا أرخوها مددتها .

- وقال زياد : ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية قط إلا فى أسر واحد ، طلبت ١٠ رجلاً من محالى كسر على الخراج فلجأ إليه ، فكتب إليه : إن هذا فساد محلى وعملك . فكتب إلى : إنه لا يبنى لنا أن نؤس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعاً فيمرح الناس فى المصبة ، ولا نشدد جميعاً فنحمل الناس دلى المهلاك ، ولكن تكون أنت للشدّة والفظاظة والغلظة ، وأكون أنا للرافة والرحمة .

أخبار معاوية

- ١٥ قدم معاوية للدينة بعد عام الجلاء ، فدخل دار عثمان بن عفان ، فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباه . فقال معاوية : يا بنة أختى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناكم أماناً ، وأظهرنا لهم حقاً تحته غضب ، وأظهروا لنا ذلاً تحته حق ، ومع كل إنسان سيفه ، ويرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أهلينا تكون أم لنا . لأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين ٢٠ خير من أن تكونى امرأة من عرض الناس .

القصص قال : لما قدم معاوية للدينة قال : أيتها الناس ، إن أباً بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم تردده ، وأما عمر فأرادته ولم يردها ، وأما عثمان

فقال منها وتالت منه ، وأما أنا فالت بي وملت بها ، وأنا ابنها ، فهي أمي وأنا ابنها ، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم . ثم نزل .

قال جويرية بن أسماء . قال بشر بن أرطاة^(١) من علي بن أبي طالب عند معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فلما بُشراً ضرباً حتى شجّه . فقال معاوية : يا زيد ، عدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربتَه ! وأقبل على بشر وقال : تشتم علياً وهو جدُّه وأبوه القاروق على رءوس الناس ! أفكنت تراه يصبر على شتم علي ! وكانت أم زيد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب .

ولما قدم معاوية مكة ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند ، فقالت له : يا بني . إنه قُلتا ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فأعمل بما واقع ، أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان ، فقال له : يا بني . إن هؤلاء الرُّهط من المهاجرين سبقونا وتأخروا ، فرغمهم سيئهم وقصر بنا تأخيرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جديماً من أسرم ، فلا تخالفن رأيهم ، فإنك تجرى إلى أمد لم تتبلغه ، ولو قد بلغت لتنفست فيه . قال معاوية : فصببت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

١٥ المعنى عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قدِم الشام على حمارومه عبد الرحمن

ابن عوف على حمار ، فتلقاها معاوية في موكب نبيل ، فجاوز عمر حتى أخير فرجع إليه ، فلما قُرب منه نزل ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً . فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتممت الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ، أنت صاحب اللوكب آتفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببائك ؟ قال :

٢٠ نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأننا في بلاد لا يُمنع فيها من جواسيس العدو ، فلا بدُّ لم مما يُرهبهم من هيبه السلطان ، فإن أسرتني بذلك أقتل عليه ، وإن تهيتني عنه اتهمت . قال : لئن كان الذي قلت حقاً فاته رأيي أريب ، ولئن كان باطلاً فلنبا مدعة أديب ، ولا أسرك به ولا أنهلك عنه .

(١) في الأصول : « بشر بن أرطاة » تصحيف (انظر الطبري والمعارف) .

فقال عبد الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال :
لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه .

وقال معاوية لابن السكواء : يا ابن السكواء ، أنشدك الله ، ما أعطك في ؟
قال : أنشدني الله ما أعطك إلا واسع الدنيا ضيق الآخرة .

- ولما مات الحسن بن علي حجاج معاوية ، فدخل المدينة وأراد أن يامن عليه •
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : إن هاهنا سعد بن أبي وقاص ،
٣٠١ ولا نراه يرضى بهذا ، فأبث إليه وخذ رأيه . فأرسل إليه وذكر له ذلك .
فقال : إن فعلت لأخرجن من المسجد ، ثم لأهود إليه . فأمسك معاوية عن
لمنه حتى مات سعد . فلما مات آمنه على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلقوه على
المنابر ، ففعلوا . فكتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية : إنكم
١٠ تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن
أحببه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ، فلم يلفت إلى كلامها .

وقال بعض العلماء لولده : يا بُنى ، إن الدنيا لم تبئن شيئاً إلا هدمه الدين ،
وإن الدين لم يبئن شيئاً هدمته الدنيا ، ألا ترى أن قوماً آمنوا علياً ليخفوا
منه فكأنما أخذوا بناصيته جراً إلى السماء .

١٥

ودخل صمصمة بن صرْحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على
مربره ، فقال : وسع له على ثرايئة فيه . فقال صمصمة : إني والله لثرايئ ، منه
خلفت ، وإليه أعود ، ومنه أبث ، وإنك لمارج من مارج من نار .

الشمي عن أبيه ، قال : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما أعجب الأشياء ؟
قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه . قال معاوية : أعجب من ذلك أن
٢٠ يُعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

وقال معاوية : أعت علي بأربعة ، كفت أكنتم سرعى وكان رجلاً
يظهره ، وكنت في أصلح جند وأطوعه وكان في أخبت جند وأغصاه ،

وتركته وأصحاب الجبل قلت : إن ظفروا به كانوا أهون عليّ منه ، وإن ظفروا بهم أغتربها في دينه ، وكنت أحبّ إلى قريش منه . فيالك من جامع إلى ومترقى عنه !

المتقي قال : أراد معاوية أن يُسلم ابنه يزيد على الصائفة^(١) ، فسكره ذلك يزيد ، فأبى معاوية إلا أن يفعل ، فكتب إليه يزيد يقول :

نحي لا يزال يُسدّ ذنباً
لتقطع وصل حبّلك من حَبَالِي
فيوشك أن يربحك من أذاتي
زُولي في الممالك وارتعالي .
وتجهز للخروج ، فلم يتخلّف^(٢) عنه أحد ، حتى كان فيمن خرج أبو أيوب الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠ قال المتقي : وحدّثني أبو إسحاق^(٣) إبراهيم قال : أرسل معاوية إلى ابن عباس ، قال : يا أبا العباس ، إن أحببت خرجت^(٤) مع ابن أخيك نياض بك . ويقرّبك . ونشير عليه رأيك . ولا يدخل الناس بينك وبينه فيفسدوا كل واحد مكاناً من صاحبه . وأقل من ذكر حقل ؛ فإنه إن كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منك حباً ، وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره ، مع أنه صائر إليك ، وكل آت قريب ، ولتجدن^(٥) ، إذا كان ذلك ، خيراً لكم منا .

١٥ فقال ابن عباس : والله لئن عظمت عليك النعمة في نفسك لقد عظمت عليك في يزيد . وأما ما سألني من الكفة عن ذكر حقّي ، فإني لم أجد سبيلاً وأنا أريد أن أقتصر بلساني . ولئن صار هذا الأمر إلينا ثم وليكم من قومي مثلي كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلك إلا ما يحبّون .

٢٠ قال : فخرج يزيد ، فلما صار على الخليج^(٦) قلّ أبو أيوب الأنصاري ،

(١) الصائفة : الجيش يذو ميها . (٢) في بعض الأصول : « يتخلّف » .
(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خراش . وفي بعض الأصول : « أبو إبراهيم » .
(٤) في بعض الأصول : « أن تخرج » مكان « خرجت » .
(٥) في بعض الأصول : « ولتجدنا » .
(٦) الخليج : بحر دون السلطانية . (أظهر معجم البلدان) .

فأتاه يزيد عائدًا ، فقال : ما حاجتك أبا أيوب ؟ قال : أئنا دنياكم فلا حاجة لي فيها ، ولكن قدمني ما استطعت في بلاد المدوّ ، فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُدفن عند سور القسطنطينية رجلٌ صالح ، أرجو أن أكون هو . فلما مات أمر يزيدُ بتكفينه ومُحمل على سريره ، ثم أخرج الكتاب .

٥ فجعل قيصري مريضاً يُحمل والناس يقتتلون . فأرسل إلى يزيد : ما هذا الذي

أرى ؟ قال : صاحبُ نينوا قد سألنا أن نُقدمه ^(١) في بلادك ، ونحن مُنفذون وصيته

أوتلحقُ أرواحنا بالله . فأرسل إليه : العجبُ كل العجب . كيف يدعي ^(٢) الناسُ أباك

وهو يرسلُك ، فتَحمِدُ إلى صاحبِ نبيك فتدفعه في بلادنا ، فلماذا وليتُ أخرجه

إلى السكّاب ! فقال يزيد : إني والله ما أردتُ أن أودعه بلادكم حتى أودع

١٠ كلامي أذنانكم ، فإنك ^(٣) كافر بالذي أكرمتُ هذا له ، لأن بلنّي أنه نبش من

قبره أو مثله ، لا تركتُ بأرض العرب نصراثا إلا قتلته ، ولا كنيسة إلا

هدمتها . فبعث إليه قيصر : أبوك كان أحلم بك ، فوحقَ للشيخ لأحفظته يدي

سنة . فلقد بلنّني أنه بُني على قبره قبةٌ يسرّج فيها إلى اليوم .

طلب معاوية البيعة ليزيد

١٥ أبو الحسن الدائقي قال : لما مات زياد ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ، أظهر

معاوية عهداً مُنفصلاً ، فقرأه على الناس ، فيه عقدُ الولاية ليزيدَ بعده ، وإنما

أراد أن يُستهلَّ بذلك بيعةَ يزيد . فلم يزل يروضُ الناسَ لبيعته سبع سنين ،

ويُشاور ، ويعطى الأقارب ويُدافى الأبعد ، حتى استوفى له من أكثر الناس .

فقال لعبد الله بن الزبير : ما ترى في بيعة يزيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني

٢٠ أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم . وتسكر

(١) في بعض الأصول : « ندفنه » .

(٢) يقال : دعاه ، إذا نسبته إلى الدعاء . يريد أن اختيار أبيه لم يكن من جودة رأى ولا أرب .

(٣) في بعض الأصول : « فاني » .

قبل أن تتقدم ، فإن النظر قبل التقدم ، والتشكر قبل التندم . فضحك معاوية وقال : ثلث روايح ، ثلث السجعة^(١) عند الكبر ، في دون ما سبجت^(٢) به على ابن أخيك ما يكفيك . ثم التفت إلى الأحنف فقال : ما ترى في بيعة يزيد ؟ قال : تخافكم إن صدقناكم ، ونخاف الله إن كذبنا .

٥. فلما كانت سنة خمس وخمسين^(٣) كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفتدوا عليه . فوفد عليه من كل مصر قوم ، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عرو بن حزم ، فغلا به معاوية وقال له : ما ترى في بيعة يزيد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أصبح اليوم على الأرض أحد هو أحب إليّ رشحاً من نفسك سوى نفسي ، وإن يزيد أصبح غنياً في المال ، وسيطاً في الحساب^(٤) ، وإن الله سائل كل راعٍ عن رهيته ، فاتق الله وانظر من تولى أمر أمة محمد .

١٠. فأخذ معاوية بهز^(٥) حتى تنفس الصعداء ، وذلك في يوم شاتٍ ، ثم قال : يا محمد ، إنك أمرؤ ناصح ، قلت برأيك ولم يكن عليك إلا ذلك . [ثم] قال معاوية : إنه لم يبق إلا أبني وأبناؤهم ، فأبني أحب إليّ من أبنائهم ، أخرج مني .

ثم جلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود ، فدخلوا عليه ، وقد تقدم إلى أصحابه أن يقولوا في يزيد ، فكان أول من تكلم الضحأك بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لا بُدَّ للناس من والٍ بعدك ، والآنفس يُفدى عليها وِراح ، وإن الله قال : (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) . ولا ندري ما يختطف به القصران ، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حُسن مَقْدَرِهِ ، وقصد سيرته^(٦) ، من أفضلنا حِلماً ،

(١) في بعض الأصول : « الشجاعة » بالسين . ولعلها : السجاعة ، بوزن كتابة ، كالخليفة والحياكة ، غير أن كتب اللغة لم تذكرها .

(٢) في بعض الأصول : « تقيست » .

(٣) في اللروج إن ذلك كان سنة تسع وخمسين . غير أن ما في الإمامة والسياسة يلهم منه أن ذلك كان في حياة الحسن بن علي ، أي قبل سنة خمسين ، وكانت وفاة الحسن سنة ٤٩ .

(٤) أي أوسطهم نبياً وأرضهم مجداً . (٥) البحر : الكرب والعجب .

(٦) قصد سيرته ، أي استقامتها .

وأحسنا علماً ، فوله عهدك ، وأجعله لنا علماً بسذك . وإننا قد بَلَّوْنَا الجماعَةَ والألفة
فوجدناه أحقن للدماء ، وآمن للشئيل ، وخيراً في العاجلة والآجلة ^(١) .

ثم تكلم عمرو بن سميد فقال : أيها الناس ، إن يزيدَ أَمَلٌ تأملونه ، وأجل
تأملونه ^(٢) ؛ طويل الباع ، رَحِبَ القراع ؛ إذا صِرْتُمْ إلى عَدْلِهِ وَسِمِكُمْ ، وإن
ظَلِمْتُمْ رَفَدَهُ أَغْنَاكُمْ ؛ جَدَعَ قَارِح ، سَوْبِقَ فَسْبِق ، وَمُوجِدَ فَمَجِد ، وقورح
• قَرَعَ ، خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال : أجلس أبا أمية ، فلقد
أوسعت وأحسنست .

ثم قام يزيد بن القنم ^(٣) فقال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن
هلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبي هذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية :
أجلس ، فإنك سيّد الخطباء .

١٠

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلَمُ يزيدَ في ليله
ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذا
الامة ، فلا تُشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تُزوده الدنيا
وأنت تذهب إلى الآخرة .

٣٥٣
٧

قال : ففترق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف .

١٥

قال : ثم بايع الناسُ يزيدَ بن معاوية ، فقال رجل ، وقد دُعي إلى البيعة :
الهم إني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية : تَعُوذُ من شر نفسك ،
فإنه أشدُّ عليك ، وبايع . قال : إني أبايع وأنا كاره للبيعة . قال له معاوية :
بايع أيها الرجل فإن الله يقول : (قَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كثيراً) .

٢٠

ثم كتب إلى مروان بن الحكم ، عليه على المدينة : أن أدعُ أهلَ المدينة إلى

(١) في بنى الأصول : « والمأبة » .

(٢) يشعر إلى ما يخطر من طول مدة ولاجه ، فقد ولي حدثاً .

(٣) في عيون الأخبار : « القنم » .

بَيْمَةَ يَزِيدَ ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ وَالْعِراقَ قَدْ يَأْبِئُوا . نَغْلِبُهُمْ سُرُوَانُ غَضَبِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَحَذَرُهُمُ الْفِتْنَةَ وَدَعَاهُمْ إِلَى بَيْمَةِ يَزِيدَ ، وَقَالَ : سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ الْهَادِيَةُ .
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَذِبَتْ ! إِنْ أَبَا بَكْرٍ تَرَكَ الْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ ، وَيَأْبِئُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِى ، رَضِيَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَارَهُ لَأَمَةٍ مَعْدُى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ سُرُوَانُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ هَذَا لِلتَّكَلُّمِ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : (وَالَّذِى تَالَى لَوَالِدَيْهِ أَفَرٍ لَكُمَا أَنْتُمَا بِنِى أَنْ أُخْرِجَ) وَتَدَخَّلْتَ التُّرُوكُ مِنْ قَبْلِى . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : يَا بْنَ الزُّرَّاءِ ، أَفَيْنَا تَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ! وَتَكَلِّمُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِىٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَأَنْسَكُوا بَيْعَةَ يَزِيدَ ، وَتَفَرِّقُ النَّاسَ . فَسَكَبَ سُرُوَانُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ . فَخَرَجَ مَعَاوِيَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ ١٠
 فِي أَلْفٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا تَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ قَالَ : مَرْحَبًا بِسَيِّدِ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَبَّوْا دَابَّةً لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ . وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : مَرْحَبًا بِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا وَابْنِ الصَّدِّيقِ . وَقَالَ لِابْنِ عَمْرٍو : مَرْحَبًا بِصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِ الْقَارِوقِ . وَقَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : مَرْحَبًا بِأَبْنِ حَوَارِى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ عَمَتِهِ ، وَدَعَا لَهُمُ بِدَوَابٍ حَمَلُهُمْ عَلَيْهَا . وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ١٥
 فَتَقَفَى حَجَّجَهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُ أَسْرَ بَأَتَائِهِ تَقَدَّمَتْ ، وَأَسْرَ بِالْمُنِيرِ فَقَرَّبَ مِنَ السَّكْبَةِ ، وَأَوْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَابْنَ عَمْرٍو وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَاجْتَمَعُوا . وَقَالُوا لِابْنِ الزُّبَيْرِ : اكْفِنَا كَلَامَتَهُ ، قَالَ : عَلَى أَنْ لَا تُخَالَفُونِى . قَالُوا : لَكَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَوْا مَعَاوِيَةَ ، فَحَسَبَ بِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُ نَظْرَى لَكُمْ ، وَتَمَطَّئُ عَلَيْكُمْ ، وَصَلِّى أَرْحَامَكُمْ ، وَيَزِيدُ أَخَوَكُمْ وَابْنَ عَمِّكُمْ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقْدِمَهُ بِاسْمِ الْخِلَافَةِ وَتَسْكُونُوا أَنْتُمْ تَأْمُرُونَ وَتَنْهَوْنَ . فَسَكَبُوا ، وَتَكَلَّمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : يُخَوِّكُ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثَ ، أَيُّهَا أَخَذْتَ فَعِى لَكَ رَغْبَةٌ وَفِيهَا خِيَارٌ : فَإِنْ شِئْتَ فَأَصْنَعْ فِينَا مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَضَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ ، فَدَفَعَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَتَخَيَّرَ النَّاسُ لِأَنْتُمْهُمْ ؛ وَإِنْ شِئْتَ

- فاصنع أبو بكر، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رطه الأذنين من كان لها أهلاً؛ وإن شئت فاصنع عمر، صورها إلى ستة نفر من قريش يختارون رجلاً منهم وترك ولده وأهل بيته وفهم من لو وليها لكان لها أهلاً.
- قال معاوية: هل غير هذا؟ قال: لا. ثم قال للآخرين: ما عندكم؟ قالوا:
- نحن على ما قال ابن الزبير. فقال معاوية: إني أقدم إليكم، وقد أعذر من أئذ، إني قاتل مقاتة، فأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في منافي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر أمرؤ منكم إلا إلى نفسه، ولا يبق إلا عليها. وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان يسيغها، فإن تكلم بكلمة يردها عليه قوله قتلاه. وخرج وأخرجهم معه حتى رقى للزبير، وحف به أهل الشام، وأجمع الناس، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا وجدنا أحاديث ١٠ الناس ذات عوار، قالوا: إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الرط سادة المسلمين وخيارهم، لا نبرم أمراً دونهم، ولا نقض أسراً إلا عن مشورتهم، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين، فبايعوا وسلكوا وأطاعوا. فقال أهل الشام: وما يظلم من أمر هؤلاء، أئذن لنا فنضرب أعناقهم، لا نرضى حتى يبايعوا علانية! فقال معاوية: سبحان الله! ١٥ ما أسرع الناس إلى قريش بالشر وأحل دماءهم عندهم! أنصتوا، فلا أسمع هذه المقالة من أحد. ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا. ثم قرئت رواهله، فركب ومضى.

فقال الناس للحسين وأصحابه: قتلتم: لا نهاب، فلما دعيتم وأرضيتم بايتم! قالوا لم نفعل. قالوا: بلى، قد ضلتم وبايتم، أفلا أنكرتم! قالوا: خيفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم.

٢٠

وفاة معاوية

عن الميثم بن عدى قال: لما حضرت معاوية الوفاة، ويزيدُ جانب، دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عُبَيْدٍ للرئى، قال: أبلغنا عني يزيد وثولا

له : انظر إلى أهل الحِجَاز فهم أصلُك وعِزَّتُك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن صد عنك فتصاهذه . وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عَزْلَ عامل في كل يوم فأعزله ، فإن عَزْلَ عامل واحد أجون من سَلِّ مائة ألف سيف ، ولا تدرى على من تكون المائدة ؛ ثم انظر إلى أهل الشام فأجلهم الشَّماردون الدُّنَّاء ، فإن رابك من عدوك رَيْب فأرهم بهم ؛ ثم اردد أهل الشام إلى بلدكم ، ولا يقيموا في غيره فيتأذروا بشير أدهم . لست أخاف عليك إلا ثلاثة : الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . فأما الحسين بن علي ، فأرجو أن يكفيك الله ، فإنه قتل^(١) أباه وحذل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه رَحِبَ صَب^(٢) ، وإن غلّرت به فقطعه إزبا إزبا ؛ وأما ابن عمر ، فإنه رجل قد وقَّده^(٣) الورع ، نخل بينه وبين آخرته يحل بينك وبين دُنياك . ثم أخرج إلى يزيدَ بريدًا بكتاب يستقدمه ويستحثه . فخرج مسرعًا . فأنقذه يزيد ، فأخبره بموت مُعاوية ، فقال يزيد :

جاء البريدُ بقرطاس يحبُّ به فأوجس القلبُ من قرطاسه فزها
قلنا لك الويلُ ماذا في صحيفتك قالوا الخليفةُ أسمى مُشَبَّهًا وَجها
فادت الأرضُ أو كادت تميمد بنا كأنَّ أغبرَ من أركانها أنقلما
ثم أنبئنا إلى خُوصٍ مُزَمَّةٍ نرى التجمُّعَ بها ما نأثلي سرعا^(٤)
فما بُهَلْنا إذا بَلَّغَتْ أَرْحُكُنَا ما مات منهم بالمؤمَّةِ أو ظَلَمَا
أودى ابنُ هندو أودى الجُدُّ بَيْتِهم كذلك كُنَّا جميعًا قاطنينَ ما
أعزَّ أبلجُ يُستسقى الفهم به لو قارعَ الناسَ عن أحلامهم^(٥) قروعا

- ٢٠ (١) الضمير في « قتل » و « خذل » . يعود لكل لفظ الجلالة .
(٢) الحب : ضد النفر ، وهو الخداع . والضب : المراءوغ .
(٣) وقَّده الروح ، أي أسكنه وأخذه وبلغ منه مبلغًا يمنه من انتهاك ما لا يحل ولا يحل . وفي بعض الأصول : « قرَّفه » ، تحريف .
(٤) نخوس : جمع خوصاء . يريد نواظرة السيوف من كثرة الأسفار . والسرع (بفتح السين) ، وبكسر الفتح : من مصادر سرع .
٢٥ (٥) كُنَّا في بعض الأصول ، وهي أيضًا كذا في شعر الأعمى . والقي في سائر الأصول : « أخلاهم » .

لَا يَرِقُّ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَرَوْهُ قَسْوَةً وَلَا يُوْهَوْنَ مَا رَقَّعَا
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : سَرَقَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الْأَشْهُى .
 ابْنُ دَأْبٍ قَالَ : لَمَّا هَلَكَ مَعَاوِيَةُ خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ وَهَلَى
 عَاتِقَهُ ثِيَابٌ حَتَّى وَقَفَ إِلَى جَانِبِ الْمَنِيرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ مَعَاوِيَةُ كَانَ
 إِلَهًا ^(١) الْعَرَبِ وَمَلَكَهَا ، أَلْهَأَ اللَّهُ بِهِ الْفِتْنَةَ ، وَأَحْيَا بِهِ الشُّنَّةَ ، وَهَذِهِ أَكْفَانُهُ
 وَنَحْنُ مُتَدْرَجُونَ فِيهَا وَنُحْلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، فَمَنْ أَرَادَ حُضُورَهُ صَلَاةَ الظُّهْرِ
 فَلْيُحْضِرْهُ . وَصَلَّى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفَهْرِيُّ .

ثُمَّ قَدِمَ يَزِيدُ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْدَمْ أَحَدٌ عَلَى تَمْزِيغِهِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ ^(٢) السُّلَوِيُّ فَقَالَ :

أَصْبَرَ يَزِيدُ قَدْ فَارَقْتَ ذَا مِقَةٍ وَأَشْكُرُ حَبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَبَاءُ كَا
 لَا رُزْءَ أَعْظَمُ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا مِمَّا رُزِنْتَ وَلَا هُمْسِي كُفْعِيَا كَا
 أَصْبَحْتَ رَأَى أَهْلَ الْأَرْضِ ^(٣) كُلَّهُمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَا كَا
 وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا بَقِيَتْ فَلَا ^(٤) نَسْمَعُ بِمَعَا كَا
 فَانْتَفِجِ الْخَطِيئَاءَ الْكَلَامِ . ثُمَّ دَخَلَ يَزِيدُ فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُخْرِجُ لِلنَّاسِ ،
 ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْحُزْنِ ، فَصَدَّ الْمَنِيرَ ، وَأَتَقَلَ الضَّحَّاكُ جُلُوسًا إِلَى جَانِبِ اللَّبْرِ
 وَخَافَ عَلَيْهِ الْحَصَرُ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : يَا ضَحَّاكُ ، أَجَبْتَ تَصَلِّى بَنِي هَبْدٍ شَمْسَ
 الْكَلَامِ ائْتَمَّ قَامَ خَطِيئًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ ، مَنْ شَاءَ أَعْطَى وَمَنْ

(١) فِي الطَّبَرِيِّ : « مُعْوَد » . وَفِيهِ غَيْرُ هَذَا خِلَافٌ كَثِيرٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ هُنَا : « حَلَال » . وَقَدْ سُرِ (س) ٨٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَص. ٣٠٨ مِنْ

الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ .

(٣) لِيَا سَبْقِي مِنْ هَذَا الْجُزْءِ : « أَهْلُ الدِّينِ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ هُنَا وَفِيهَا س. يَزِيدُ بِمَعَاوِيَةَ الْبَاقِي ، يَزِيدُ ابْنُهُ . جَعَلَ سِيرَتَهُ مِنْ سِيرَةِ

أَبِيهِ فَقَرَّبَ وَلَا يَتَّهِى وَحَيَاتِهِ ائْتَصَلَ لَوْلَايَةِ مَعَاوِيَةَ وَحَيَاتِهِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « نَعِيَتْ

وَلَا » . وَهَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةُ . فَهُوَ يَرِيدُ مَعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدٍ ، يَقُولُ : أَلَا كَا

فَنَكَمَ وَفِي أَغْثَابِكُمْ فَهُوَ فِي عِلْبِ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ . ثُمَّ دَعَا لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ يَقُولُ :

« وَلَا نَسْمَعُ بِمَعَا كَا » .

شاء منع ، ومن شاء خَفَضَ ومن شاء رَفَعَ . إن معاوية بن أبي سفيان كان حَبَلًا من حبال الله ، مَذَه الله ماشاء أن يَمُدَّهُ ، ثم قَطَعه حين شاء أن يَقْطَعه ، فكان دون من قبله ، وخيرًا ممن يأتي بعده ، ولا أَرْكَبُه وقد صار إلى ربه ، فإن يَصِفُ عنه فَيُؤْثِرْته ، وإن يُسْذِبُه فَيَذْنِبُه . وقد وَلَّيتُ بصدقه الأمر ، ولستُ أَعْتَدُ من جِهل ، ولا أُنِي عن طلب ، وعلى رِسْلكم ، إذا كَرِهَ الله شيئًا خَيْرُهُ ، وإذا أَرَادَ شيئًا يَسِّرُهُ .

خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون بنت بحدل [بن أنيف بن دجلة] بن قنافة ، أحد بني حارثة بن جناب ^(١) . وكنته أبو خالد ، وكان آدمَ جَدًّا مَهْضُومًا أَحْوَرَ الْعَيْنِ ، بوجهه آثار جُدْرَى ، حسن اللّعيبة خَفِيفًا ، وَلَى الخِلافة في رَجَب سنة ستين ، ومات في النّصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، ودُفِنَ بِجُورَيْنِ ^(٢) ، خارجًا من المدينة . وكانت ولايته أربع سنين وأيامًا . وكان على شَرْطِطه مُحمَّد بن حُرَيْث بن بحدل . وكتبه وصاحب أمره سَرْجُون بن منصور . وعلى القضاء أبو إدريس الخولاني . وعلى الخراج مَسْلَمَةُ بن حديد الأزدى .

أولاد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان ، وأهم فاختة بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة ، وعبدُ الله وعمر ، أمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس . وكان عبدُ الله وَلَدَهُ ناسكا ، وَلَدَهُ خالد عالمًا ، لم يكن في بني أمية أزهَدَ من هذا ولا أعلم من هذا .

٢٠ الأعمى عن أبي عمرو قال : أهرق الناس في الخِلافة عاتكة بنت يزيد

(١) في بعض الأصول : « جناب » . وما أمينا من سائر الأصول والطبرى .
(٢) حواريين ، هو بضم أوله ، وبكسر ، وتخفيف الواو وكسر الراء وياء ساكنة وتون .

ابن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها خليفة ، وجدّها معاوية خليفة ، وأخوها
معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبدُ الملك بن مروان خليفة ، وأرِجًاؤها^(١) : الوليدُ
وسُلَيمانُ وحشام ، خلفاء .

مقتل الحسين بن علي

- عليّ بن عبد العزيز قال : قرأ عليّ أبو عبّيد القاسم^(٢) بن سلام وأنا أسنح ،
فسالته : تروى عنك كما قرئ عليك ؟ قال : نعم . قال أبو عبّيد : لما مات
معاوية بن أبي سفيان وجاءت وفاته إلى المدينة ، وعليها يومئذ الوليدُ بن عُتبة ،
فأرسل إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، فدعاها إلى البيعة ليزيد ، فقالا :
بالند إن شاء الله عليّ رهوس الناس ، وخرجنا من عندنا . فدعا الحسينُ برواحله ،
فركبها وتوجه نحو مكة على اللُهج الأكبر ، وركب ابنُ الزبير برذونا له وأخذ
طريق التّرج^(٣) حتى قدم مكة . وسرّ حسينُ حتى أتى عليّ عبد الله بن مُطيع وهو
على بئر له ، فنزل عليه ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ، لا سقانا الله بعدك ماء
طيباً ، أين تريد ؟ قال : العراق . قال : سبحان الله الحِمّ ؟ قال : مات معاويةُ
وجاءني أكثرُ من جُلِّ صُحف . قال : لا نفع لأبي عبد الله ، فوالله ما حفظوا
أباك وكان خيراً منك ، فكيف يحفظونك ، والله لئن قُتل لا بقيتُ حُرمةً
بعدك إلا استُحلّت . نفرج حسينُ حتى قدّم مكة ، فأقام بها هو وابنُ الزبير .
قال : قدّم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم ، وعزل الوليد بن
عُتبة . فلما استوى على المنبر رَفَفَ^(٤) . فقال أعرابيٌّ : مه أجاهنا والله بالدم ! قال :
فلقاه رجل بعمامة . فقال : مه أعمّ الناس والله ! ثم قام فخطب ، فناولوه عصاهما

٢٠ (١) أرباؤها : أولادها ، جمع ربيب .
(٢) في بعض الأصول : « أبو القاسم عبداً بن سلام » . تحريف . فابن عبد العزيز
يروى عن أبي عبّيد .
(٣) المرج : قرية جاسية في واد نواحي الطائف .
(٤) رَفَفَ (كَتَمَزَ وَشَعَ وَكَرَمَ وَصَمَ) : خرج من أهله .

شعبان . فقال : تشب الناس والله ! ثم خرج إلى مكة ، فقَدِمَها قبل [يوم]
 التَّروية^(١) بيوم ، ووفدت الناسُ للحُسين يقولون : يا أبا عبد الله ، لو تقدَّمت فضلت
 بالناس فأزَلَّتْهم بدارك ؟ إذ جاء المؤدِّن فأقام الصلاة ، فتقدَّم عمرو بن سعيد فكفَّر ،
 فقيل للحُسين : اخرج أبا عبد الله إذ أبيت أن تتقدَّم . فقال : الصلاة في الجماعة
 أفضل . قال : فصلِّ ، ثم خرج . فلما انصرف عمرو بنُ سعيد بلغه أن حُسيناً قد
 خرج . فقال : اطلبوه ، أركبوا كل بصير بين السماء والأرض فاطلبوه . قال :
 فحجب الناسُ من قوله هذا ، فطلبوه ، فلم يُلْركوه . وأرسل عبد الله بن جعفر
 أبنيه عوناً^(٢) ومهداً ليردَّا حُسيناً . فأبى حُسين أن يرجع . وخرج ابنا عبد الله بن
 جعفر معه . ورجع عمرو بنُ سعيد إلى المدينة ، وأرسل إلى ابن الزبير ليأتيه ، فأبى
 أن يأتيه . وأمتنع ابنُ الزبير برجال من قُرَيْش وغيرهم من أهل مكة . قال :
 فأرسل عمرو بنُ سعيد لهم جيشاً من المدينة ، وأمر عليهم عمرو بنُ الزبير ، أما
 عبد الله بن الزبير ، وضرب على أهل الديوان اليَقْبَت إلى مكة ، وهم كارهون
 للخروج ، فقال : إما أن تأتوني بأدلاء^(٣) وإما أن تغرجوا . قال :
 فبعثهم إلى مكة ، فقاتلوا ابنَ الزبير ، فانهزم عمرو بنُ الزبير ، وأسرهُ أخوه عبد الله ،
 فحبسه في السجن .

١٥ وقد كان بَسَّ الحُسين بن عليّ مسلم بن عَقِيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة
 ليأخذ ببيعتهم ، وكان على الكوفة حين مات معاوية ، فقال : يأهل الكوفة ،
 ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بنت جَدِّه . قال :
 فيبلغ ذلك يزيدُ فقال : يأهل الشام ، أشيروا عليّ ، من استعمل على الكوفة ؟
 ٢٠ فقالوا : رَضَى من رَضَى به معاوية ؟ قال : نعم . قيل له : فإنَّ الصلَّ بِمِارَة

(١) يوم التَّروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة . سمى به لأن الحجاج
 يَتَرَوْنَ فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيَتَزَوَّدونَ رِيشاً من لَلاء ، أي
 يسقون ويستقون .

(٢) في الأصول : « عوناً » . وما أتينا من السلف والطبري .

(٣) في بني الأصول : « يد للاء » .

- عبيد الله بن زياد على العراقيين قد كُتب في الديوان ، فأستعمله على السكوفة .
 فقَدِمها قبل أن يقدّم حسين . وبايع مُسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من
 أهل السكوفة ، وخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد ، فجعلوا كلما أتوها إلى
 زقاق انسل منهم ناس ، حتى بقي في شِرْضة قليلة . قال : فجعل الناس يُرمونه
 بالأجر من فوق البيوت . فلما رأى ذلك دخل دار هاني بن عروة المرادي ،
 وكان له شرف ورأى ، فقال له هاني : إن لي من ابن زياد مكاناً ، وإني سوف
 أتمارض ، فإذا جاء يمدوني فأضرب عنقه . قال : فبلغ ابن زياد أن هاني بن عروة
 صريخ يقي الدم ، وكان شرب الخمر^(١) فجعل يقيها ، فجاءه ابن زياد يعود .
 وقال هاني : إذا قلت لكم : أسقوني ، فأخرج إليهم فأضرب عنقه ، يقولها لتسلم
 ابن عقيل . فلما دخل ابن زياد وجلس ، قال هاني : أسقوني ، فتنبهاوا عليه .
 فقال : ويحكم ! أسقوني ولو كان فيه نقي . قال : فخرج ابن زياد ولم يصنع الآخر
 شيئاً . قال : وكان أشجع الناس ، ولكن أخذ بقلبه . وقيل لابن زياد ما أراد
 هاني^(٢) ، فأرسل إليه . فقال : إنني شاك لا أستطيع . فقال : أنتوني به وإن
 كان شاكياً . فأمرجته له دابة ، فركب ومعه عصا ، وكان أخرج ، فجعل يسير
 قليلاً قليلاً ، ثم يقف ويقول : ما أذهب إلى ابن زياد ، حتى دخل على ابن
 زياد . فقال له : يا هاني ، أما كانت يدُ زياد عندك بيضاء ؟ قال : بلى . قال :
 ويدي ؟ قال : بلى . ثم قال^(٣) له هاني : قد كانت لك عندي ولأبيك ، وقد أنشئت
 في نفسي ومالي^(٤) . قال : أخرج ، فخرج . فقتلوا المصا من يده وضرب بها
 وجهه حتى كسرها ، ثم قدّمه فضرب عنقه . وأرسل إلى مُسلم بن عقيل ،
 فخرج إليهم يسيفه ، فزال يقاتلهم حتى أنخذوه بالجراح ، فأمره . وأتى به
 ابن زياد ، قدّمه ليضرب عنقه ، فقال له : دعني حتى أومى ، فقال له : أومى .

(١) الخمر (بالفتح وحرك) : ملين آخر يصيب .

(٢) في بعض الأصول : « ابن هاني » . تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « فقال » . (٤) في بعض الأصول : « في نفسك وماك » .

- فَنظَرُ فِي وَجْهِ النَّاسِ ، فَقَالَ لِمَرْبِنَ سَعْدٌ ^(١) : مَا أَرَى قَرِيشًا هُنَا غَيْرَكَ ، فَاذْنُ مَنِي
حَتَّى أَكْتُبَكَ . فَنَدَانَا مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَكُونَ سَيِّدَ قَرِيشٍ مَا كَانَتْ
قَرِيشُ ؟ إِنْ حُسِينَا وَمَنْ مَعَهُ ، وَهُمْ يَسْمُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَأَسْرَاءَ ، فِي الطَّرِيقِ ،
فَارْدُدْهُمْ وَاكْتُبْ لَهُمْ مَا أَصَابَنِي ، ثُمَّ ضُرِبَ عَقْفُهُ . فَقَالَ عَمْرٌ ^(٢) لِابْنِ زِيَادٍ : أَتَدْرِي
مَا قَالَ لِي ؟ قَالَ : أَكْتُبُ عَلَى ابْنِ عَمِكَ . قَالَ : هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
قَالَ لِي : إِنْ حُسِينَا أَنْبَلُ ، وَهُمْ يَسْمُونَ إِنْسَانًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَأَسْرَاءَ ، فَارْدُدْهُمْ
وَاكْتُبْ إِلَيْهِ بِمَا أَصَابَنِي . فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ : أَمَا وَاللَّهِ إِذْ دَلَّتْ عَلَيْهِ لَا يُقَاتِلُهُ
أَحَدٌ غَيْرَكَ . قَالَ : فَبِئْسَ مَعَهُ جَبَشًا ، وَقَدْ جَاءَ حُسَيْنًا الْخَبِيرُ وَهُوَ بِشَرَفٍ ^(٣) ،
نَهْمٌ بِأَنْ يَرْجِعَ وَمَعَهُ خَمْسَةٌ مِنْ بَنِي هَقِيلٍ ، فَقَالُوا : تَرْجِعْ وَقَدْ قُتِلَ أَخُونَا وَقَدْ
جَاءَكَ مِنَ الْكُتُبِ مَا تَتَّقِي بِهِ أَفْعَالَ الْحُسَيْنِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا لِي عَلَى هَؤُلَاءِ
مِنْ صَبْرٍ . قَالَ : فَلَقِيهِ الْجَبِشُ عَلَى خَيْوَلِهِمْ وَقَدْ نَزَلُوا بِكَرْبَلَاءَ . فَقَالَ حُسَيْنٌ : أَيْ
أَرْضُ هَذِهِ ؟ قَالُوا : كَرْبَلَاءَ ، قَالَ : أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَاءَ . وَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغَيْلُ .
فَقَالَ الْحُسَيْنُ لِمَرْبِنَ سَعْدٌ ^(٤) : يَا عَمْرُ ^(٥) ، اخْتَرِ مَنِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ :
إِمَّا أَنْ تَتْرَكَنِي أَرْجِعَ كَمَا جِئْتُ ، وَإِمَّا أَنْ تُسَيِّرَنِي إِلَى يَزِيدَ فَأَضْمَ يَدِي فِي يَدِهِ ،
وَإِمَّا أَنْ تُسَيِّرَنِي إِلَى التُّرْكِ أَقَاتِلَهُمْ حَتَّى أَمُوتَ . فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ بِذَلِكَ ، فَهَمَّ
أَنْ يُسِيرَهُ إِلَى يَزِيدَ . فَقَالَ لَهُ شَيْمَرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ : أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّكَ
فَتُسَيِّرُهُ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ فِي حُكْمِكَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : أَمَا
أَنْزَلَ عَلَى حُكْمِ ابْنِ سَرْجَانَةَ وَاللَّهِ لَا أَضِلُّ ذَلِكَ أَبَدًا . قَالَ : وَأَبْطَأَ عَمْرٌ ^(٦) مِنْ
قِتَالِهِ . فَأَرْسَلَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى شَيْمَرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ تَقَدَّمَ عَمْرٌ ^(٧)
وَقَاتَلَ ، وَإِلَّا فَاتْرَكَهُ وَكُنْ مَكَاتَهُ . قَالَ : وَكَانَ مَعَ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ ثَلَاثُونَ رَجُلًا

(١) فِي الْأَصُولِ « مَرْوَيْنَ سَعِيدٍ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الطَّرِيقِ وَالطَّرَفِ :

(٢) فِي الْأَصُولِ : « عَمْرُو » . انظر الحاشية السابقة .

(٣) شَرِيفٌ (يَفْتَحُ أَوَّلُهُ وَتَحْقِيفُ ثَانِيهِ) : مَاءٌ بَنِيْدٌ . (انظر معجم البلدان) .

(٤) فِي الْأَصُولِ : « عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ » . (انظر الحاشية رقم ١ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ) .

(٥) فِي الْأَصُولِ : « عَمْرُو » ، تَحْرِيفٌ .

من أهل الكوفة ، فقالوا : يمرض عليكم إن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئا ! فتصوّروا مع الحسين ، فقاتلوا . ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن علي ، وكان من أجل الناس ، فقال : لأنتن هذا الفتى . فقال له رجل : ويحك ! ما تصنع به ؟ دعه . فأبى وحمل عليه ففصره بالسيف فقتله ، فلما أصابته الضربة ، قال : يا عمّاه ، قال : لثييك • صوتاً قلّ ما نمره ، وكثروا ربه . وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ، ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ، ثم أقتلوا .

علي بن عبد الميزز قال : حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسن ^(١) قال : لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيباً ، فحمد الله وأثني عليه ، ثم قال : قد نزل بي ما ترون من الأمر ، وإن الدنيا قد تغيرت وتغيرت ، وأدبر معروفها واشتملت ^(٢) ، فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناة الأخنس ^(٣) ، عيش كالمرعى الويل . ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا ينهي عنه ؟ لا يرغب المؤمن في لقاء الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا دلاً وتدماً .

١٠ قُتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين بالطعن من شاطئ الفرات ، بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليالٍ من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقُتل وهو ابن ست وخمسين سنة ، وهو صابغ بالسواد ، قتله سنان بن أبي أنس ^(٤) ، وأجهز عليه خولة ^(٥) بن يزيد الأصمعي ، من حمير . وحزّ رأسه وأثى به عبيد الله وهو يقول :

- (١) في الأصول : « محمد بن الحسين » . تحريف . قال يروى عنه الزبير بن بكير مروان الحسن . انظر تهذيب التهذيب والتهذيب .
(٢) اشتملت : تفرقت . وفي بعض الأصول : « والتمأزت »
(٣) الخنس في الإنسان : تأخر الألف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأنفة . ويريد بالإناة الأخنس : القصير . أو الذي قد تأخرت جوانبه فهو أقل سعة من غيره . وصباغته دون الصباغات قلّة . وفي رواية : « الإناة وخشيش عيش » .
٢٠ (٤) كذا في الأصول والمعارف . والقي في الطهري : « سنان بن أنس »
(٥) في الطهري : « خولي » .

أَوْقِرَ رِكَابِي فِئَةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ لِلَّهِ الْمُحِبِّينَ
خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ أُمَّا وَأَبَا

فقال له عبيد الله بن زياد : إذا كان خير الناس أُمَّا وأبَا وخير عباد الله ، فلم
تقتله ؟ قدّموه فأضربوا عنقه ، ففُضِرَتْ عنقه .

٥ رُوِيَ عَنْ زَيْنَبَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّازِ بْنِ رَيْمَةَ الْجُرَشِيِّ قَالَ : إِنِّي لَعِنْدَ يَزِيدَ
ابْنِ مَعَاوِيَةَ إِذَا أَتَيْلَ زُحْرُ بْنُ قَيْسِ الْجُفِيِّ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ يَزِيدَ ، قَالَ :
مَا وَرَاكَ يَا زُحْرُ ؟ قَالَ : أَبَشِّرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، قَدِمَ عَلَيْنَا
الْحُسَيْنُ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِينَ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَجَرَرْنَا
إِلَيْهِمْ رَسُولَانَا أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ أَوْ الْقِتَالِ ، فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ ،
١٠ فَخَدَعُوا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَحْطَلْنَا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَخَذَتْ السُّيُوفُ
مَأْخِذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجَالِ ، فَجَبَلُوا يُلُونُونَ مِنَّا بِالْأَكَامِ وَالْحَقَرِ ، كَمَا يُلُوذُ الْعَقَامُ
مِنَ الْمُتَعَمَّرِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَعْرَ جَزُورٍ أَوْ قَوْمٍ قَامَ^(٢) حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ ، فَهَاتَيْتُ
أَجْسَامَهُمْ جُزْرَةً^(٣) ، وَهَامَهُمْ مُرْكَلَةً^(٤) ، وَخَدَعُوهُمْ مُفَرَّةً ، تَصْهَرُ الشَّمْسُ ، وَتَسْفَى
عَلَيْهِمُ الرِّجُ بِقَاعِ سَبَبِ ، زُؤَارِهِمُ الْعِيقَانِ وَالرَّخْمِ . قَالَ : قَدِمْتُ عَيْنًا يَزِيدَ ،
١٥ وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ مِنْ طَاعَتِكَ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لَمَنْ اللَّهُ أَبْنُ مُنْمِيَةِ أ
أَمَا وَاقَهُ لَوْ كُنْتُ صَاحِبَهُ لَتَرَكْتُهُ ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عِيدِ اللَّهِ وَغَفَرَ لَهُ .

عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَيْنَانَ الْفُزَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
خَرَجَ الْحُسَيْنُ إِلَى السَّكُونَةِ سَاطِغًا لَوْلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ وَالِيهِ بِالْمِزَابِ : إِنَّهُ بَلَّغُنِي أَنَّ حُسَيْنًا سَارَ إِلَى السَّكُونَةِ ، وَقَدْ

٢٠ (١) كَفَا فِي الطَّبَعِ . وَقَوْمٌ ، مِنْ مَصَادِرِ طَبَعٍ . يُقَالُ : طَبَعْتُ قَوْمًا وَقَوْمَةً وَبِقِيَامِ وَقَدَةِ ،
إِذَا انْتَصَبَ . أَيْ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَكُونُ لِنَعْرِ الْجَزُورِ أَوْ لِهَوَاسِ النَّاحِضِ . يَصْنَعُهُ
بِالنَّصْرِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « تَوَمَّ نَافِ » . تَحْرِيفٌ .
(٢) جُزْرَةٌ ، أَيْ مَقْلُوعَةٌ . وَالْتَضْعِيفُ لِلْبَالِغَةِ .
(٣) كَفَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَحِرْمَةٌ ، لِأَنَّ اسْمَ مَفْعُولٍ مِنْ رَمَلٍ (الْمُنْخَفِ) الرَّجُلُ الطَّالِمُ ،
٢٥ إِذَا جَلَّ فِيهِ الرَّمْلُ . يُرِيدُ أَنَّ الرَّمْلَ قَدْ مَلَأَ قِصَصَاتِ الرَّأْسِ وَتَنَافَذَهُ وَمَخَاضَهُ .
وَأَمَّا اسْمُ قَاتِلٍ مِنْ أَوَّلِ السَّهْمِ ، إِذَا تَلَطَّعَ بِالْهَمِّ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « حَزْمَةٌ »
بِالزَّائِ الْمَجْمُوعَةِ

أُبْعِلَ به زمانك بين الأزمان ، وبلدك بين البلدان ، وأبتليت به من بين النمل ،
وعنده تَعْتَقُ أوتعود عبدا . فقتله عبيدُ الله وبعث برأسه ونَقَلَهُ ^(١) إلى يزيد . فلما
وَضَعَ الرأسَ بين يديه تَمَثَّلَ بقول حُصَيْنِ بْنِ الْحَمَامِ للرُّمِّي ^(٢) :

نُفِّلَقْ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعْرَظَ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

- فقال له علي بن الحسين ، وكان في السَّجَى : كتابُ الله أولى بك من الشَّرِّ ،
يقول الله : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ
قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لَسَى لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا
بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) . فغضب يزيدُ وجعل يَبْصِتُ بِلِجْنَتِهِ ،
ثم قال : غيرُ هذا من كتاب الله أولى بك وبأبيك ، قال الله : (وما أصابكم من
مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) . ما ترون يأهل الشام في هؤلاء ؟
فقال له رجل منهم : لا تَتَخَذَ مِنْ كَلْبٍ سَوْءَ جَرَّاءٍ . قال النعمان بن بشير الأنصاري :
انظُرْ مَا كَانَ يَنْصَنَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ لَوْ رَأَيْتُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
فَأَصْنَعُهُ بِهِمْ . قال : صدقت ، خَلَوْا عَنْهُمْ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْقِيَابَ . وأمال
عليهم المَطْبِخَ وكَسَاهُمْ وأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ جِوَارِثَ كَثِيرَةٍ . وقال : لو كان بين ابن
سمرجانة وبينهم نَسَبٌ مَا قَتَلَهُمْ . ثم رَدَّهُمْ إِلَى الدِّينَةِ .

١٥

الرَّيَاشِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي رَجَاءَ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْشَرٍ عَنْ يَزِيدَ
ابن زياد عن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قَالَ : أَتَى بَنَاءُ يَزِيدَ بْنَ
مَسَاوِيَةَ بَعْدَ مَا قُتِلَ الْحُسَيْنِ ، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ غُلَامًا ، وَكَانَ أَكْبَرَنَا يَوْمَئِذٍ عَلِيُّ
ابن الحسين ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَا مَعْلُومَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ
لَنَا : أَخْرَزْتُ أَنْفُسَكُمْ عَبِيدُ أَهْلِ الرَّاقِ ! وَمَا عَلِمْتُ بِمُجْرِمٍ أَحَدٍ إِلَّا يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ . فَقَالَ
أَبُو الْحَسَنِ الدَّائِنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ^(٣) سَفْيَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ

٢٠

(١) التل (نحر) : متاع المسافر وحشه وكل شيء تقيس مصون .

(٢) في الأصول : « الجاهم للزنى » . وما أثبتنا من الطبري والحاسة والاشتقاق .

(٣) في بعض الأصول : « وعن » وهو تحريف . وهو إسحاق بن إسماعيل الطالقاني

يروى عن سفيان بن عيينة . (انظر التهذيب ج ١ ص ٢٢٦) .

الحسن البصري ، قال : قُتِلَ مع الحسين ستة عشر من أهل بيته . والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أحقاب الإبل . فلما أدخلن على يزيد ، قالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ، أبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا ! قال : بل حرائر كرام ، ادخلِي على بنات عمك فمجديهن قد فعلن ما فعلت . قالت فاطمة : فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفينة إلا مُلعدة^(١) . وبكى . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترى الحسين ومن أصيب معه :

عَيِّي أبكى بغيره وسويل واندي إن ندي آل الرسول
سنة كلهم لعل على قد أضيوا وخمة لتفيل

١٠ ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندى النبي صلى الله عليه وسلم ومضى^(٢) الحسين ، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته فبكى ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكى ، فتركته . فقال له جبريل : أحبه يا محمد ؟ قال : نعم . قال : أما إن أمك ستقتله وإن شئت أريتك من ربة الأرض التى يقتل بها . فبسط جناحه ، فأراه منها . فبكى النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥ محمد بن خالد قال : قال إبراهيم النخعي : لو كنت ليمن قتل الحسين ودخلت الجنة لأستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابن الحليم عن أبي الأسود^(٣) قال : لتيت رأس الجالوت^(٤) ، فقال . إن بيني وبين داود سبعين أبا ، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حتى وأججوا حِفظي ، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم أبنه .

٢٠ (١) التمدت المرأة : ضربت سدرها في النجاسة . وفي بعض الأصول : « ملعدة » .
(٢) في بعض الأصول : « ومضى » .
(٣) له محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٤) .
(٤) الجالوت : الجالية من اليهود ، أى الذين جلاوا عن أوطانهم بيت المقدس ، ورأس الجالوت : رئيسهم . وكان من ولد داود عليه السلام . (انظر مناقب الصلوات لغوارزمي ص ٣٤ - ٣٥) .

ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : أَتَيْتُ عَسْكَرَ الْحُسَيْنِ فَوُجِدَ فِيهِ طِيبٌ ، فَمَا تَطَلَّيْتُ بِهِ أَسْرَأَةً إِلَّا بَرَحْتُ .

جعفر بن محمد عن أبيه قال : بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ وَعَبَدَ اللَّهَ بْنَ جَعْفَرٍ وَهُمْ صَفَارٌ ، وَلَمْ يُبَايِعْ تَطْ صَفِيرٌ إِلَّا هُم .

- عَلَى بْنِ عَبْدِ الْمَزِينِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَاجَّ الْحُسَيْنَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حِجَّةً مُلْكِيًّا مَاشِيًّا .

وقيل لملي بن الحسين : مَا كَانَ أَقْلٌ وَلَدِ أَبِيكَ ! قَالَ : الْعَجَبُ كَيْفَ وُلِدْتُ لَهُ ؟ كَانَ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ ، فَتَى كَانَ يَضْرَعُ لِنِسَاءٍ .

يحيى بن إسماعيل من ^(١) الشَّعْبِيِّ أَنَّ سَالِمًا قَالَ : قِيلَ [لِأَبِي : عَبْدُ اللَّهِ] بَنَ

- عمر : إِنْ الْحُسَيْنَ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَحِقَهُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ غَائِبًا عِنْدَ خُرُوجِهِ ، فَقَالَ أَيْنَ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ الْعِرَاقَ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كُتُبَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ بَيْعَتُهُمْ وَكُتُبُهُمْ . فَنَاقَشَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ ، فَأَبَى . فَقَالَ : أَحَدُكَ بِمَحْدِثٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا قَبْلَكَ : إِنْ جَبَرِلُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْبِرُهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَأَخْتَارَ الْآخِرَةَ ، وَإِنْكُمْ بِضَمَّةٍ مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَا يُلِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَبَدًا ، وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، فَأَرْجِعْ ، فَأَنْتَ تَعْرِفُ غَدْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَا كَانَ يَلْقَى أَبُوكَ مِنْهُمْ . فَأَبَى فَأَعْتَقَهُ ، وَقَالَ : اسْتَوْدَعْتُكَ اللَّهَ مِنْ قَتِيلٍ .

وقال الفرزدقُ : خَرَجْتُ أُرِيدُ مَكَّةَ ، فَإِذَا بِقِيَابٍ مَضْرُوبَةٍ وَقَسَاطِيطٍ ، قُلْتُ : لِمَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لِلْحُسَيْنِ ، نَصَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : مَنْ أَنْقَلَبْتُ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْعِرَاقِ . قَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قُلْتُ : الْقُلُوبُ مَعَكَ ، وَالسُّيُوفُ عَلَيْكَ ، وَالْقَصْرُ مِنَ الْمَاءِ .

٣٩٠
٧

(١) رواية هذا السند في الأصول : « يحيى بن إسماعيل من سالم أن الشعبي ، صوابه ما أبينا . إذ يحيى بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي تلميذ لشعبي . (انظر التهذيب ١١ : ١٨٩) .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عمر ، وكان من خيار الناس وفقهائهم . وكان أبوه يلام في حبه . ومات في المدينة سنة سعة ومائة . (انظر المعارف) .

تسمية من قتل مع الحسين بن علي .

رضي الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم

قال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن أبي تمش قال : قتل الحسين بن علي ،
وقُتل معه عثمان بن علي ، وأبو بكر بن علي ، وجعفر بن علي ، والعباس بن
علي ^(١) ، وكانت أمهم أم البنين بنت حرام السكلاية ، وإبراهيم بن علي ، لأنهم ولد
له ، وعبد الله بن حسن ، وخسنة من بني عقيل بن أبي طالب ، وعون وعبد ابن
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وثلاثة من بني هاشم . فجميعهم سبعة عشر
رجلا . وأسرا ثمانية عشر غلاما من بني هاشم ، فيهم : محمد بن الحسين ، وعلي
ابن الحسين ، وفاطمة بنت الحسين . فبلى ثَمَّ لبني حرب قائمة حتى سَلَّهم
الله مُلْكهم . ١٠

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : جئني دماء أهل
هذا البيت ، فإني رأيت بني حرب سلبوا مُلْكهم لما قتلوا الحسين .

حديث الزهري في قتل الحسين

رضي الله عنه

حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال : حدثنا محمد بن موسى الطرسقي
قال : حدثنا حماد بن عيسى الجهني عن عمر بن قيس ، قال : سمعت ابن شهاب
الزهري يحدث [عن] سعيد بن السَّبَّ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم . قال حماد بن عيسى : وحدثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهري عن
سعيد بن السَّبَّ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يُلْدَغُ ^(٢)
المؤمن من جُجير مرتين . ٢٠

(١) في بعض الأصول : « وعلى والعباس » مكان والعباس بن » تحريف .

(٢) في بعض الأصول : « لا يُلْدَغُ » .

- وقال^(١) : قال الزهرى : خرجتُ مع قُتيبة أريد للصيصة^(٢) ، فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإذا هو قاعد في إيوان له ، وإذا سباطان من الناس على باب الإيوان ، فإذا أراد حاجة قالها للذى يليه ، حتى تبلغ للساعة باب الإيوان ، ولا يمشی أحد بين السباطين . قال الزهرى : فجبنا فقمنا على باب الإيوان ، فقال عبد الملك للذى عن يمينه : هل بلغكم أى شئ أصبح في بيت المقدس ليلة قُتل الحسين بن علي ؟ قال : فسأل كل واحد منهما صاحبه ، حتى بلغت الساعة الباب ، فلم رد أحدُهما شيئاً . قال الزهرى : فقلت : عندي في هذا علم . قال : فرجعت الساعة رجلاً عن رجل حتى أتته إلى عبد الملك . قال : فدُعيت ، فشيئتُ بين السباطين ، فلما انتهيتُ إلى عبد الملك سَلَّمت عليه .
- ٩٠ قال لى : من أنت ؟ قلت : أنا محمد بن مسلم بن عبید الله بن شهاب الزهرى . قال : ففرقتى بالنسب^(٣) ، وكان عبد الملك طلبةً للحديث ، [فمرَّفته] . فقال : ما أصبح بيت المقدس يوم قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب ؟ — وفي رواية على بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد الله عن أبي معشر عن محمد بن عبد الله^(٤) ابن سعيد بن الناص عن الزهرى ، أنه قال : الليلة التي قُتل في صبيحتها الحسين ابن علي — قال الزهرى : نعم ، حدثني فلان — ولم يُسمه لنا — أنه لم يُرفع تلك الليلة ، التي صبيحتها قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب^(٥) ، حجرٌ في بيت المقدس إلا وُجد تحته دمٌ عبيط^(٦) . قال عبد الملك : صدقت ، حدثني الذي حدثك ، وإني وإياك في هذا الحديث لفريران . ثم قال لى : ما جاء بك ؟ قلت : [جئتُ مُرابطاً] . قال : الزم الباب ، فأقتُ عنده ، فأعطاني مالا كثيراً .

٢٠ (١) أى عمر بن قيس ويهز بن عتيل .
 (٢) للصيصة (بالفتح) وتشديد الصاد الأول ، وليل جنتيها ، والأصح الأول : مدينة على شاطئ جيحان من تقعر الشام . (انظر مجمع البلدان) .
 (٣) يريد سند ما يروى . (٤) في بعض الأصول : « محمد بن عبد الملك ... الخ » .
 (٥) في بعض الأصول : « علي بن أبي طالب والحسين بن علي » مكان « الحسين بن علي بن أبي طالب » .
 (٦) دم عبيط : طرى .

قال : فاستأذنته في الخروج إلى المدينة ، فأذن لي ومعى غلام لي ، ومعى مال كثير في عيبة ، ففقدت العيبة ، فاتهمت التلام ، فوعده وتواعدته ، فلم يُقر لي بشيء . قال : فصرعته وقعدت على صدره ووضعت رِفق على وجهه ، وغزته غزرة وأنا لا أريد قتله ، فمات تحتي ، وسقط في يدي . وقدمت المدينة فسلأت سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، فكلهم قال : لا نعلم لك توبة . فبلغ ذلك علي بن الحسين ، فقال : علي به . فأتيته فقصصت عليه القصة . فقال : إن لذيالك توبة ، صم شهرين مُتتابعين وأعتق رَقبة مؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، ففعلت . ثم خرجت أريد عبد الملك ، وقد بلغه أني أتلقت المال ، فأقت بابه أياماً لا يُؤذن لي بالدخول ، فجلست إلى محل لولده ، وقد حذق ابن لعبد الملك عنده ، وهو يعلم ما يكلم به بين يدي أمير المؤمنين إذا دخل عليه ، فقلت لمؤدبه : ما^(١) تأمل من أمير المؤمنين أن يصلك به فلك عندي ، ذلك على أن تكلم الصبي إذا دخل علي أمير المؤمنين ، فإذا قال^(٢) له : سل حاجتك ، يقول له : حاجتي أن ترضى عن الزهري . ففعل ، فضحك عبد الملك وقال : أين هو ؟ قال : بالبواب . فأذن لي ، فدخلت ، حتى إذا صرت بين يديه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبلغ المؤمن من جحر ممرتين .

وقعة الحرّة

أبو اليتقان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد ، فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فأرهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته . فلما كانت سنة ثلاث وستين ، قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملاً عليها ليزيد بن معاوية ، وأوفد على يزيد وفدًا من رجال المدينة ،

(١) في بعض الأصول : « كم » .

(٢) في بعض الأصول : « فقال » . مكان قوله « فإذا قال » .

- فيهم عبد الله بن حنظلة عَسِيل الملائكة ، معه ثمانية بَنِينَ له ، فأعطاه مائة ألف [درهم] ، وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف ، سوى كدوتهم ومُحَلَانِهِمْ^(١) . فلما قدم هبة الله بن حنظلة المدينة ، أتاه الناس ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجارك وأعطاك . قال : قد فعل ، وما قبلت ذلك منه إلا أن أتقوى به عليه — أى على قتال يزيد — وحض الناس على يزيد فأجابوه . فكتب عثمان بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف . فكتب إليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . وإنى قد لبستكم فاخلعتمكم ، ورفعتكم على رأسى ، ثم على عيني ، ثم على فمى ، ثم على بطنى ، والله لئن وضعتكم تحت قدمى لأطأنكم وطأة أثقل بها عددكم ، وأترككم بها أحاديث ، تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حى القوم ، قدّمت الأنصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم ، وقدّمت قريش عبد الله بن مطيع ، ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفیان من المدينة ، ومروان بن الحكم ، وكل من كان بها من بنى أمية . وكان عبيد الله^(٢) ابن عباس بالطائف ، فسأل عنهم ، فقبل له : استعملوا عبيد الله بن مطيع على قريش ، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار . فقال : أميران اهلك القوم . ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقية فضربت له خارجاً عن قصره ، وقطع^(٣) البيهوث على أهل الشام ، فلم تمض ثلاثة حتى توافت الحشود . فقدم عليهم مسلم ابن عُبَيْة الرُمى ، فتوجه إليهم . وقد حمد أهل المدينة فأخرجوا إلى كل ماء لهم بينهم وبين الشام ، فصبروا فيه زمناً من قطران وغَوَرَوْه ، فأرسل الله عليهم المطر ، فلم يستقروا شيئاً حتى وردوا المدينة .

(١) المحلان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب ، فى الهبة خاصة .

(٢) قطع ، أى قرض :

قال أبو اليقظان وغيره : إن يزيد بن معاوية ولى مسلم بن عقبة ، وهو قد أشتكى ، فقال له : إن حدث بك حدث فاستعمل حصين بن ثمين . فخرج حتى قدم المدينة ، فخرج إليه أهلها في عدة وهيئة وجموع كثيرة لم ير مثلاً . فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فأمر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصنمين وهو عليه مريض ، وأمر منادياً ينادى : قاتلوا عن أميركم أو دعوهم . فجد الناس في القتال ، فسمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، فإذا [م] قد ألقم عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجدر ، فأنهزم الناس . وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيهِ يُفطّ نوماً ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنعوا أمرأكبر بنيهِ ، فتقدم حتى قُتل ، فلم يزل يقدم واحداً واحداً حتى أتى على آخرهم ، ثم كسر غنم سيفه ، وقاتل حتى قُتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة ، وتقلب على أهلها ، ثم دعاهم إلى البيعة على أنهم خولٌ ليزيد ابن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ، فبايعوا ، حتى أتى بعبد الله ابن زمة ، فقال له : على أنك خولٌ لأمر المؤمنين يحكم في مالك ودمك وأهلك . قال : لن أبايع على أني بزم أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي وأهل . فقال مسلم بن عقبة : أضربوا عنقه ، فوثب مروان بن الحكم فضمه إليه ، وقال : ثيابك على ما أخبيت . فقال^(١) : لا والله لا أنيلها إياه أبداً ، إن تنح وإلا فانتلوا جميعاً . فتركه مروان وضرب عنقه . وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة ، فكان بها حتى قُتل مع عبد الله بن الزبير في أيام عبد الملك بن مروان ، وجعل يُقاتل أهل الشام وهو يقول :

٣٠ أنا الذي فررت يوم الحرة والشيوخ لا يفرُّ إلا مرة
فاليوم أجزي كربة بفره لا بأس بالسكرة بعد الفره
أبو عقيل الخورق^(٢) قال : سمعت أبا نصره يحدث ، قال : دخل أبو سعيد

(١) قال ، أي مسلم .

(٢) في الأصول : « الزرق » . والتصويب من الطبري .

الخُدْرَى يوم الحَرَّة في غار ، فدخل عليه رجلٌ من أهل الشام ، وفي عنق أبي سميد السيف ، فوضع أبو سميد السيف وقال : بُؤ يائى وإمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فقال : أبو سميد الخُدْرَى أنت ؟ قال : نعم . قال : فأستغفر لى . قال : عَفَا الله لك .

- ٥ . وأمر مُسلم بن عَقبة . بقتل معقل بن سنان الأشجعى ، صبراً ، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة [القُدْوَى] ^(١) ، صبراً . وكان جميعٌ من قُتل يوم الحرة من قريش والأنصار ثلثمائة رجل وسبعة رجال . ومن اللوالب وغيرهم أضعاف هؤلاء . وبعث مُسلم بن عَقبة برؤس أهل المدينة إلى يزيد ، فلما أُلقيت بين يديه جمل يتمثل بقول ابن الزبيرى يوم أحد :

- ١٠ . كُتِبَ لِأَشْيَاحِي بِبَدْرِ شَهِدُوا . جَزَعَ الْخَزْرَجُ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ .
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا . فَرَحَا وَلَقَالُوا لِبَزِيدَ : لَا فَشَل
فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت من الإسلام يا أمير المؤمنين ! قال : بلى ، نَسْتَغْفِرُ الله . قال : والله لا ساكنك أرضاً أبداً ، وخرج عنه .

- ١٥ . ولما انقضى أَسْرُ الحَرَّة توجه مُسلم بن عَقبة بمن معه من أهل الشام إلى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل ، فلما كان بالأبواء ^(٢) حَضَرَهُ أَجَلُهُ ، فدعا حصين ابن نمير ، فقال له : إني أرسلتُ إليك فلا أدرى أَتَدْرِكُ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ أَمْ أَتَدْرِكُ فَأُشْرِبُ عَنْقَكَ ؟ قال : أَصْلِحْكَ اللهُ ، أَنَا سَهْمُكَ فَارِمٌ . حيثُ شِئْتُ . قال : إنك أعراقي جَلْفٌ جافٍ ، وإن هذا الحى من قريش لم يمكنهم أحد قط من أذنه إلا حَلَبَوه عَلَى رَأْيِهِ ، فسير بهذا الجيش ، فإذا لقيت القوم فإياك أن

(١) في بعض الأصول : «ومحمد بن أبي حذيفة صبراً ومحمد بن أبي الجهم صبراً» تحريف .
(٢) هذا البيت لابن الزبيرى . وهو من آياته المروفة في يوم أحد . (انظر السيرة لابن هشام ج ٣ ص ١٤٤) طيبة الحلي . وثاني البيت فيها يظهر لبزید .
(٣) الأبواء : من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجيفة مائى للمدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقبل : الأبواء جبل على آفة وعين الطريق للصدد إلى مكة من المدينة . ٢٥

تُكفهم من أذنك ، لا يكن إلا على الوُفَّاء ، ثم الثَّغاف^(١) ، ثم الأنصراف .
ومات مُسلم بن عَقبة ، لا رحمه الله . ومضى حُصَيْن بن نُمَيْر بِجَيْشِهِ ذَلِكَ . فلم
يزل محاصراً لأهل مكة حتى مات يزيد ، لا رحمه الله ، وذلك خَمْسُونَ يَوْمًا .
وتَصَبَّ الجَانِيقُ على الكعبة وَحَرَ قَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ خَمْسَ خُلُوفٍ من ربيع الأول
سنة أربع وستين ، وفيها مات يزيد بن معاوية بِجُحَارَيْن .

٣١٣
٧

وفاة يزيد بن معاوية

ومات يزيد بن معاوية بِجُحَارَيْن من بلاد حِمص ، وصلى عليه ابنه معاوية
ابن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الأول . وأم يزيد ميسون بنت
بُخَيْرٍ الكَلْبِيَّة ، ومات وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة ، وكانت ولادته ثلاث سنين
وتسعة أشهر وأثنى عشر يومًا .

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وأُسْتُخْلِفَ معاوية بن يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ،
وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ومات بعد أبيه بأربعين يومًا ، ولم يزل مريضًا
طولَ ولايته لا يخرج من بيته ، فلما حضرته الوفاة قيل له : لو عهدت إلى رجل
من أهل بيتك وأستخلفت خليفة ؟ قال : لم أنفع بها شيئًا ، فلا أقدمها ميتًا ،
لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأجورِ مرارتها ، ولكن إذا مات فليصل عليّ
الوليد بن عَقبة ، وليُصل بالناس الضحَّاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم .
فلما مات صلى عليه الوليد بن عَقبة ، وصلى بالناس الضحَّاك بن قيس بدمشق ،
حيث^(٢) قامت دولة بني مروان .

٢٠ (١) الوُفَّاء : أن تَغف ذنبا ويغف ملك في حرب أو خصومة . والتَّغَاف : الجَلاد .
(٢) في بعض الأصول : « حتى » .

فتنة ابن الزبير

- قال علي بن عبد العزيز : حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر ، قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة ، وابن الزبير بها ، فدعاهم إلى الطاعة ، فلم يجيبوه ، فقاتلهم وقاله ابن الزبير ، فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من إخوته ، ومُصمب بن عبد الرحمن بن عوف ، والمسور بن مخرمة . وكان حصين بن نمير قد نصب الجانيق على أبي قبيس وعلى قتيقمان^(١) ، فلم يكن أحد يقدر أن يطوف بالبيت . فأسند ابن الزبير ألواحاً من ساج على البيت ، وألقى عليها الفرش والقطائف^(٢) ، فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت . فكانوا يطوفون تحت الألواح ، فإذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا ، وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً ناحية ، فكلما جرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط ، فجاء رجل من أهل الشام بنار في طرف سنامه ، فأشعلها في الفسطاط ، وكان يوماً شديد الحر ، فتمزق الفسطاط ، فوقعت النار على الكعبة ، فأحترق الخشب والسقف ، وأنصدع الركن ، واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض . قال : ثم اقتتلوا مع أهل الشام أياماً بعد حريق الكعبة .
- ١٥ قال أبو عبيد : أحترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وجلس أهل مكة في جانب الحجر^(٣) ومعه ابن الزبير ، وأهل الشام يزومونهم بالبلبل والجعارة ، فوقعت نبله بين يدي ابن الزبير ، فقال : في هذه خبر . فأخذها فوجد فيها مكتوباً : مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة خلت من ربيع الأول . فلما قرأ ذلك قال : يا أهل الشام ، يا أعداء
- (١) أبو قبيس : اسم الجبل المعروف على مكة ، وجهه إلى قتيقمان ومكة بينهما ، أبو قبيس من مرقيا وقتيقمان من مرقيا .
(٢) القطائف : جمع قطيفة ، وهي دثار نخل .
(٣) الحجر (هنا) : حجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام .

الله ، ومُحَرَّق بيت الله ، علامٌ تَقَاتُلُونَ وقد مات طَائِفَتُكُمْ !

فقال حُصَيْن بن نُمَيْر : مَوْعِدُكَ الْبَطْحَاءُ ^(١) الَّيْلَةُ يَا بَكْر . فلما كَانَ اللَّيْلُ خَرَجَ
ابْنُ الزُّبَيْرِ بِأَصْحَابِهِ ، وَخَرَجَ حُصَيْنُ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الْبَطْحَاءِ . ثُمَّ تَرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا أَصْحَابَهُ وَأَنْفَرَدَا فَتَزَلَا . فَقَالَ حُصَيْنُ : يَا أَبَا بَكْر ، أَنَا سَيِّدُ أَهْلِ الشَّامِ
لَا أَدْفَعُ ، وَأَرَى أَهْلَ الْحِجَازِ قَدْ رَضُوا بِكَ ، فَتَمَالَ أَبَايُكَ السَّاعَةَ وَيُهْدِرُ كُلُّ
شَيْءٍ أَصْبَانَهُ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، وَتَخْرُجُ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ
بِالْحِجَازِ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ وَلَا آمَنُ مِنْ أَخَافَ النَّاسِ وَأَحْرَقَ بَيْتَ اللَّهِ
وَأَتَهَكَ حُرْمَتَهُ . قَالَ : بَلِ ^(٢) فَأَفْعَلُ عَلَى أَنْ لَا يَخْتَلِفَ عَلَيْكَ أَتْنَانُ . فَأَبَى ابْنُ
الزُّبَيْرِ . فَقَالَ لَهُ حُصَيْنُ : لَعَنَكَ اللَّهُ وَلَعَنَ مَنْ زَمَّ أَنْتَ سَيِّدًا وَاللَّهِ لَا تَقْلَعُ
أَبَدًا إِنْ أَرَكِبُوا بِأَهْلِ الشَّامِ . فَرَكِبُوا وَأَنْصَرَفُوا .

٣١٤
٤

١٠

أَبُو حُبَيْدٍ عَنِ الْحِجَاجِ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا بَعْضُ الشَّيْخَةِ الَّذِينَ
خَضَرُوا فِتْنَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : غَلَبَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ عَلَى مَكَّةَ كُلِّهَا إِلَّا الْحِجْرَ .
قَالَ : فَوَاقَهُ إِلَى الْجَالِسِ عِنْدَهُ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْقُرَشِيِّينَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ
وَالْخُتَارُ بْنُ أَبِي حُبَيْدٍ ، وَالسُّوْرُ بْنُ حُرْمَةَ ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ : إِذْ هَبَّتْ رُوحَةٌ ،
فَقَالَ الْخُتَارُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى فِي هَذِهِ الرُّوحَةِ الْقَصْرَ ، فَاحْمِلُوا عَلَيْهِمْ . فَحَمَلُوا
عَلَيْهِمْ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ ، وَقَتَلَ الْخُتَارُ رَجُلًا ، وَقَتَلَ ابْنُ مُطِيعٍ رَجُلًا ،
ثُمَّ جَاءَ عَلَى إِيْرَ ذَلِكَ مَوْتُ يُزَيْدَ بَدَّ حَرِيقِ الْكُمْبَةِ بِأَحَدِي عَشْرَةَ لَيْلَةً ،
وَأَنْصَرَفَ حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الشَّامِ ، فَوَجَدُوا مُعَاوِيَةَ بْنَ يُزَيْدٍ قَدْ مَاتَ
وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ ، وَقَالَ : لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا .

٢٠

فَلَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزَيْدٍ بَايَعَ أَهْلُ الشَّامِ كُلُّهُمْ ابْنَ الزُّبَيْرِ إِلَّا أَهْلَ الْأُرْدُنِّ ^(٣) ،
وَبَايَعَ أَهْلُ مِصْرَ أَيْضًا ابْنَ الزُّبَيْرِ . وَاسْتَخْلَفَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الضُّعْفَانَ بْنَ قَيْسٍ

(١) الْبَطْحَاءُ : كُلُّ مَوْضِعٍ مَتَمِّعٍ ، وَمِنْهُ بَطْحَاءُ مَكَّةَ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَدِ : «بَلِ» .
(٣) الْأُرْدُنُّ : كَوْرَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَكَانَتْ أَحَدَ أَجْنَادِ الشَّامِ ، مِنْهَا الْقُورُ وَطَبْرِةٌ وَصُورُ
وَعَمَّا وَمَا يَنْ ذِكْ . انْظُرْ مَجْمَعَ الْجَلَدَانِ .

- الفيرى على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بنى أمية وتأس من أشراف أهل الشام ووجوهم ، منهم رَوْحُ بن زَيْبَاع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إِنَّ الملك كان فيما أهل الشام ، فانتقل عَنَّا إلى الحجاز ، لا ترضى بذلك ، هل لكم أَنْ تأخذوا رجلاً مِنَّا فينظرَ في هذا الأمر ؟ فقال ^(١) : استخبروا الله . قال : فرأى القومُ أنه غلامٌ حَدَّثَ السن ، فخرجوا من عنده ، وقالوا : هذا حَدَّثَ . فَأَتُوا عمرو ابنَ سعيد بن الماص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأرأوه حَدَّثًا . فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأرأوه حَدَّثًا . حريصاً على هذا الأمر . فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حَدَّثَ . فَأَتُوا مروانَ ابنَ الحكم ، فإذا عنده مصباح ، وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن ، فَأَسْتَأْذِنُوا ودخلوا عليه ، فقالوا : يَا أَبَا عبد الملك ، ارفع رأسك لهذا الأمر . فقال : استخبروا الله وأسألوا أن يختارَ لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له رَوْحُ ابن زَيْبَاع : إِنَّ مَعِيَ أَرْبَعَةٌ مِنْ جُذَامٍ ، فَأَنَا أَسْرَهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا في المسجدِ غداً ، ومُرَّ أَنْتَ أَبْنُكَ عبدُ العزيزِ أَنْ يَخْطُبَ النَّاسَ وَيَدْعُوهم إليه ، فإذا فعل ذلك تَنَادَوْا من جانب المسجد : صدقتَ صدقتَ ، فيظنّ الناسُ أن أمرهم واحد . فلما اجتمع الناسُ قام عبدُ العزيزِ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما أخذَ أُولَى بهذا الأمر من مروان كبير قُرَيْشٍ وسَيِّدِهَا ، والذي نفسِي بيده لقد شابت ذراعاه من الكِبَرِ . فقال الجذاميون : صدقتَ صدقتَ . فقال خالدُ بن يزيد : أَسْرَ دُبُرٍ ليل . فلبسوا مروانَ بن الحكم . ثم كان من أمره مع الضحّاك بن قيس بمَرَجٍ راهط ما سيأتي ذكرُه بعد هذا في دولة بنى مروان .

٢٠ دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط

أبو الحسن قال : لما مات معاويةُ بن يزيد اختلف الناسُ بالشام ، فكان أولُ من خالف من أمراء الأجناد الثماني بن بَشِيرِ الأنصاري ، وكان على شخص ،

(١) أي رَوْحُ بن زَيْبَاع .

فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحارث الكلبي، وهو يقنسر بن (١)، فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سرّاً، ولم يظهر ذلك لمن بها من بني أمية وكتب. وبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي، وهو فلسطين، فقال لزوح بن زنياع: إني أرى أمراء الأجناد يبايعون لابن الزبير، وأنا بناء قيس بالأردن كثير، وهم قومي، فأنا خارج إليها وأتم أنت فلسطين، فإن جُلّ أهلها قومك من لثم وجذام، فإن خالفك أحد قتاله بهم. فأقام زوح فلسطين، وخرج حسان إلى الأردن. فقام نازل (٢) بن قيس الجذامي، فدعا إلى ابن الزبير، وأخرج روح بن زنياع من فلسطين، ولحق بحسان بالأردن. فقال حسان: يا أهل الأردن، قد علمت أن ابن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين، فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه. فقالوا: اختر لنا من شئت من بني حرب وجئتنا هذين الرجلين الغلامين: عبد الله وخالد، ابني يزيد بن معاوية، فأنا نسكره أن يدعو الناس إلى شيخ، ونحن ندعو إلى صبي. وكان هوى حسان في خالد بن يزيد، وكان ابن أخته. فلما رموه بهذا الكلام أمسك، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يُعظم فيه بني أمية وبلاءهم عنده، ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة، وقال لرسوله: اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس. فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين، فصارت اليمانية مع بني أمية، والقيسية زُبيرية، ثم اجتمعوا (٣) بالتمال ومشي بعضهم إلى بعض بالسيوف، حتى حيز بينهم خالد بن يزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة، فلم يخرج ثلاثة أيام. وقدم عبيد الله بن زياد، فكان مع بني أمية بدمشق. فخرج الضحاك بن قيس إلى اللرج — مرج

٣١٥
٧

٢٥

(١) قنسر بن كورة بالشام منها حلب. وكانت قنسر بن مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. وما زالت طيرة إلى سنة ٣٥١ أو سنة ٣٥٥ عندما خرجها الروم وأحرقوا مساجدها فلم تبق بعد ذلك. (انظر معجم البلدان).

(٢) في بعض الأصول: «نائل». وما أئبنا من سائر الأصول والطبوع والمشتبه.

(٣) اجتمعوا بالتمال، أي تضاروا بها.

- راعط — فسكرو فيه ، وأرسل إلى أمراء الأجناد فأتوه ، إلا ما كان من كلب .
ودعا مروان إلى نفسه ، فبايعته بنو أمية و كلب وغسان والسكاسك وطهي ، فسكرو
في خمسة آلاف . وأقبل عبيد بن يزيد من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم
من بني كلب ، فلقى بمروان . وغلب يزيد بن أبي أنيس على دمشق ، فأخرج
منها عامل الضحاك . وأمد مروان برجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء
الأجناد ، فقدم عليه زفر بن الحارث من رقتسرين ، وأمدته الثمانين بن شهر
بشر حبيب بن ذى الكلاع في أهل حصص ، فتوافوا عند الضحاك بمرج راطط ،
فكان الضحاك في ستين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رجالة ، وأكثر
أصحاب الضحاك ركباً . فاقتتلوا بالمرج ، عشرين يوماً ، وصبر الفريقان . وكان على
ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية المقيلى^(١) ، وعلى ميسرته بكر بن أبي بشر
المحلاي . فقال عبيد الله بن زياد لروان : إنك على حق وابن الزبير ومن دعا إليه على
الباطل ، وهم أكثر متاعداً وعدداً ، ومع الضحاك فرسان قيس ، وأعلم أنك لا تنال
منهم ما تريد إلا بمكيكة ، وإنما الحرب خدعة ، فادعهم إلى اللوادة ، فإذا أمنوا
وكنوا عن القتال ، فكز عليهم . فأرسل مروان الشفراء^(٢) إلى الضحاك يدعوه
إلى اللوادة ووضع الحرب حتى ينظر . فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن
القتال ، وهم يعلمون أن يبايع مروان لابن الزبير ، وقد أعدم مروان أصحابه ، فلم يشعر
الضحاك وأصحابه إلا بالخيل قد شددت عليهم ، فزع الناس إلى راياتهم من غير
استعداد وقد غشيتهم الخيل ، فنادى الناس : أبا أنيس ، أحمز بيد كئيس —
وكنية الضحاك : أبو أنيس — فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم ، فترجل مروان ،
وقال : قبح الله من ولّاهم اليوم ظمء حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين .
فقتل الضحاك بن قيس ، وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون ، فنظر رجل من بني

(١) في بعض الأصول : « زياد بن الضحاك المقيلى » وما أجبنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) في بعض الأصول : « بصرى » . وفي بعض آخر : « بشيرا » . تحريف .

عُقِلَ إِلَى مَا تَلَقَّى قَيْسٌ عِنْدَ رَايَاتِهِمَا مِنَ الْقَتْلِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَلْمَنَّا مِنْ رَايَاتِ !
واعتزها بسيفه ، فجعل يقطعها ، فإذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم
الناس ، فنادى مُنَادِيُ سُرَوَانَ : لَا تَقْبِعُوا مِنْ وَلَاكُمْ الْيَوْمَ ظُهُرَهُ . فزعموا أَنَّ
رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ لَمْ يَضَعْ حِكْمًا بَعْدَ يَوْمِ الْكُرْجِ حَتَّى مَاتُوا جُزْءًا عَلَى مَنْ أَصِيبَ مِنْ
فُرْسَانِ قَيْسٍ يَوْمَئِذٍ . فَقُتِلَ مِنْ قَيْسٍ يَوْمَئِذٍ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ شَرَفَ الْعِطَاءِ ثَمَانُونَ
رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ سِتَّةٌ ، وَقُتِلَ لِمُرْوَانَ ابْنُ يُقَالَ لَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(١) . وَشَهِدَ
مَعَ الضُّعَاكِ يَوْمَ مَرْجِ رَاهِطٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ . فَلَمَّا انْهَزَمَ
النَّاسُ ، قَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أُرْتَدِفَ خَلْقِي ، فَأُرْتَدِفَ ، فَأَرَادَ عَمْرُو بْنُ
سَمِيدٍ أَنْ يَقْتُلَهُ . فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : أَلَا تَسْكُتُ يَا لَطِيفَ الشَّيْطَانِ^(٢) !
وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقَدْ قُتِلَ ابْنَاهُ يَوْمَ الْكُرْجِ :

٥
٣١٦
٧

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْنَتْ وَقِيعةُ رَاهِطٍ بِمُرْوَانَ صَدَاحًا يَبْنُو مُتَنَائِيًا^(٣)
فَلَمْ يَرِ مَيِّ زَلَّةً قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِيٍّ وَرَائِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَانُهُ بِصَالِحِ أَيْمَى وَحُسْنِ بِلَائِيَا
أَنْتَرَكُ كُلِّيًّا لَمْ تَقْتُلْهَا رَمَاحُنَا وَتَذْهَبُ قَتْلُ رَاهِطٍ وَهِيَ مَا هِيََا
وَقَدْ تَنَبَّأَتِ الْخَضِرَاءُ فِي دِمْنِ الثَّرَى وَتَبَقَّى حَرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيََا
فَلَا ضَلُحَ حَتَّى نَذْهَبَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا وَتَثَارَ مِنْ أَبْنَاءِ كُلِّ نِسَائِيَا^(٤)

١٥

فَلَمَّا قُتِلَ الضُّعَاكُ وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، نَادَى سُرَوَانُ أَنَّ لَا يُبْقِعَ أَحَدٌ . ثُمَّ
أَقْبَلَ إِلَى دِمَشْقَ فَدْخَلَهَا وَتَزَلَّ دَارُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ دَارَ الْإِمَارَةِ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ
بَيْعةُ الْأَجْنَادِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّا لَا نَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ إِلَّا خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ ، فَتَرَوْجُ أَمَهُ ،

(١) انظر الطبري ، ففي مقتل عبد العزيز بن مروان في هذه الوقعة خلاف . ثم فيه
أن مروان أمر أهل الشام بسد بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلها
وليي عهده .

٢٠

(٢) يقال لمن به لقوة أو شرف إذا سب : يا لَطِيفَ الشَّيْطَانِ . (انظر ما يهول عليه) .
(٣) في بعض الأصول : « لِمُرْوَانَ ... مَتَابِعًا » وما أمبنا من سائر الأصول
والألفاظ (ج ١٧ ص ١١٢ طبعة بلاط) . (٤) المعس : الطعن .

٢٥

- فذلك تكسره بذلك، وأمه أبنه [أبي] ^(١) هاشم بن عتبة بن ربيعة. فتزوجها مروان، فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد: أيرزني سلاحاً إن كان عندك، فأعاده سلاحاً، وخرج إلى مصر، فقاتل أهلها وسبي بها ناساً كثيراً، فأفتدوا منه. ثم قدم الشام، فقال له خالد بن يزيد: ردّ على سلاحى. فأبى عليه. فألح عليه خالد. فقال له مروان، وكان فتاحاً: يابن ربيعة الاست ^(٢). قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكها إليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام. فقالت له: لا عليك، فإنه لا يعود إليك بمثلها. فلبث مروان يبد ما قال لخالد ما قال أياماً، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها، فأمرت جوارياًها فطرحن عليه الوسائد ^(٣)، ثم غطّته حتى قتلته، ثم خرجن فصحن وشقن ثيابهن: يا أمهر المؤمنين! يا أمهر المؤمنين! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده، فقال لفاخته ^(٤) أم خالد: والله ١٠ لولا أن يقول الناس إني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمر المؤمنين.

- وولد مروان بن الحكم بن الحاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة. ومات بالشام، ثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان. وكانت ولايته تسعة أشهر وعثمانية عشر يوماً. وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيباني. وكتابه ١٥ سرجون بن منصور الزوبى. وحاجبه أبو سهل الأسود، موله.

ولاية عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن الحاص بن أمية. ويكنى: أبا الوليد.

(١) التكلفة من الطبرى.

(٢) ذكر الطبرى شيئاً غير هذا فقال: «فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة

كثيرة وهو معى بين الصبيان فقال: إنه والله ما علمت لأحق، فقال: يابن ربيعة الاست، يقصده ليقطعة من أعين أهل الشام». ثم ذكر بالى القصص عطفاً مع الأصول.

(٣) فى بنى الأصول. «الشواذك».

(٤) كذا فى هامر من هذا الجزء والطبرى. وفى الأصول هنا: «عائكة أم خالد».

ويقال له : أبو الأملأك ؛ وذلك أنه ولي الخلافة أربع من ولده : الوليد وسليمان
وزيد وهشام . وكان تدعى لثته فيقع عليها الذباب ، فكان يُلقب : أبا الذباب ..
أمه عائشة بنت [معاوية بن] ^(١) للغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول ابن ^(٢)
قيس الرقيات :

أنت ابنُ عائشة التي فضلت أروم نساء ^(٣)
لم تلتفت للدائها وسّدت على غلوائها
ولدت أعرّ مباركاً كالشمس وسط سماءها

٣١٧
٢
وبريع عبد الملك بدمشق ثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ،
ومات بدمشق للنفخ من شوال سنة ست وثمانين ، وهو ابن ثلاث وستين
١٠ سنة ، فسلى عليه الوليد بن عبد الملك . وولد عبد الملك بالمدينة سنة ثلاث
وعشرين ، ويقال سنة ست وعشرين . ويقال ولد لسبعة أشهر . وكان على
شرطته ابن أبي كُبشة السكسكي ، ثم أبو نائل بن رباح بن عبيدة الغساني ، ثم
عبد الله بن يزيد الحسكي . وعلى حرسه الزباني . وكتبه على الخراج والجند سرجون
ابن منصور الرومي . وكتبه على الرسائل أبو زرعة ، مولاه . وعلى الخاتم قبيصة
١٥ ابن ذؤيب . وعلى يثوث الأموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه أبو يوسف ،
مولاه . ومات عبد الملك سنة ست وثمانين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى
عليه الوليد ابنه ^(٤) . وكانت ولايته ، منذ اجتمع عليه ، ثلاث عشرة سنة وثلاثة
أشهر ، ودفن خارج باب المدينة . وفي أيام عبد الملك حوّلت الدواوين إلى
البرقية عن الرومية والقارسية ، حوّلها عن الرومية سليمان بن سعد ^(٥) ، مولى
٢٠ خُشَيْن ^(٦) . وحوّلها عن القارسية صالح بن عبد الرحمن ، مولى عتبة ، امرأة من

(١) التكملة من الطبري . (٢) في الأصول : « أبو » . تحريف .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل .

(٤) تقدم خبر موت عبد الملك قبل ذلك بأسطر .

(٥) في بعض الأصول : « سعيد » وما أتينا من سائر الأصول وال فهرست لابن النديم .

(٦) في بعض الأصول : « حسين » تصحيف .

بني مرة . ويقال : حُولت في زمن الوليد .

ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية قرَضَ للموالى خمسة عشر ، فبلغهم عبدُ الملكَ عشرين ، ثم بلغهم سليمانُ خمسة وعشرين ، ثم قام هشامُ فأتمَّ للأبناء منهم ثلاثين .

- وكتب عبدُ الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان يبيعه لما قُتِل ابنُ الزبير ، وكان كتابه إليه يقول : لعبد الملك بن مروان ، من عبد الله بن عمر : سلامٌ عليك ، فإني أفررتُ لك بالسَّمع والطاعة على سُنَّةِ الله وسُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم . وبيعةُ نافع مولاى على مثل ما يأمركُ عليه .

- وكتب محمد بن الحنفية يبيعه لما قُتِل ابن الزبير ، وكان في كتابه : إني اضرتُّ الأمة عند اختلافها ، فقدمتُ في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأخرُجُ ديني وأمنعُ دمي ، وتركتُ الناسَ (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَارِكْتِهِ ، فَنُفِثَ كُلُّهُمْ) بمن هو أهدى سبيلاً . وقد رأيتُ الناسَ قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصاة من أمتنا لا نفارق الجماعة ، وقد بعثتُ إليك منّا رسولا ليأخذ لنا منك شيئاً ، ونحن أحقُّ بذلك منك . فإني أبيتُ فأرضُ الله واسعة ، والمأبقة للعتيقين .

١٥

- فكتب إليه عبدُ الملك : قد بلغني كتابك بما سألتَه من الليثاق لك والعصاة التي منك . فلك عبدُ الله وميثاقه أن لا تُهاج في سلطاننا غالباً ولا شاهداً ، ولا أحد من أصحابك ما وقَّروا يبيعتهم ، فإن أحببتَ اللُقام بالحجاز فأقم ، فإن ندع صِلتك وبرك ، وإن أحببتَ اللُقام عندنا فاشخص إلينا ، فإن ندع مواساتك . ولعمري لئن ألبأتُك إلى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمناك ، وقطعنا رَحِمَك . فأخرج إلى الحجاج فبايع . فإني أنت الحمود عندنا ديناً وروياً ، وخيرٌ من ابن الزبير وأرضى وأتقى .

وكتب إلى الحجاج بن يوسف : لا تعرِضَ لحمد ولا لأحد من أصحابي ،

وكان في كتبه : جُنُب دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحرب ^(١) ،
وإني رأيتُ بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي . فلم يتعرض
الحجاج لأحد من الطالبين في أيامه .

أبو الحسن للدائني قال : كان يقال : معاوية أحلم ، وعبدُ الملك أحزم .

• وخطب الناسَ عبدُ الملك فقال : أيها الناس ، ما أنا بالخليفة المستضعف

— يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة الداهن — يريد معاوية بن أبي سفيان

— ولا بالخليفة للأفون — يريد يزيد بن معاوية — فن قال برأسه كذا قلنا

بسيقنا كذا ، ثم نزل .

٣١٨
٧ وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ، إن الله حدَّ حدوداً وفَرَضَ

١٠ فَرُوضاً ، فما زِلْتُمْ تَزْدَادُونَ في الذَّنْبِ وَزِدَادِ في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن

وأتم عند السيف .

أبو الحسن للدائني قال : قَدِمَ عمرُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب على عبد الملك ،

فسأله أن يُصَوِّرَ إليه صدقةً عليّ . فقال عبدُ الملك متثلاً بأبيات ابن

أبي الحقيق ^(٢) :

١٥ إني إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامعُ للقاتلِ

وأعتلج الناسُ بآرائهم تقضى بحكم عادلٍ فاصل ^(٣)

لا تَجِلَّ الباطلُ حقاً ولا تَرْضَى بدُون الحقِّ لباطلِ

لا ، لعمري ، لا تُخرجها من ولد الحسين إليك . وأمر له بصلة . [ورجع .

وقال عبد الملك بن سروان لأئمن بن خريم : إن أباك وعملك كانت لهما محبة

٢٠ فخذ هذا المال فقاتل ابن الزبير . فأبى فشتمه عبد الملك] . فخرج وهو يقول :

(١) . الحرب (بالتحريك) : النضب .

(٢) في الأصول : « ابن الحقيق » تحريف . وهو الرقيق بن أبي الحقيق من بني قريظة .

(انظر الأغاني في ج ٢١ ص ٩١ — ٩٣) . طبعة أوربة .

(٣) اعتلجوا : الصبوا صبواً وغلا .

فَلَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلٍ يُصَلِّيَ عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
 ٤ سُلْطَانُهُ وَعَلَى ابْنِي مَعْلَا اللَّهُ مِنْ سَفَهٍ وَطَيْشٍ
 وَقَالَ لَأَيُّمَنْ بِنَ حُرَيْمٍ أَيْضًا :

إِنِّي لَفَتَنَّةٌ هَيِّطًا يَتَنَا قُرُودٌ اللَّيْلِ مِنْهَا يَبْتَدِلُ^(١)

فَلَمَّا كَانَ عَطَاءٌ فَاتَهَزَّ وَإِذَا كَانَ يَقْتَالُ فَاعْتَزَلَ
 ٥ إِنَّمَا يُوقِدُهَا قُرُوسَانَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَا تَشْتَمِلُ

وَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْخَارِثِ لِمُعَاذِ بْنِ مَرْيَدَانَ : الْحَدَّثَ اللَّهُ الَّذِي نَصَرَكُ عَلَى
 كُرْهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو زُعَيْرَةَ : مَا كَرِهَ ذَلِكَ إِلَّا كَافِرٌ . فَقَالَ زُفَرُ : كَذَبْتَ ،
 قَالَ اللَّهُ لَنَبِيِّهِ : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 ١٠ لَسَكَارِهُنَّ) .

وَبِثَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ حُبَيْشَ بْنَ دُلْجَةَ الْقَيْسِيُّ فِي صَبَاحَةِ
 آلَافٍ . فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَا
 بِحُبَيْرٍ وَلَحْمٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ عَلَى النَّسِيرِ ، ثُمَّ دَعَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
 ١٥ صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : تَبَايَعَ لِمُعَاذِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بِمَهْدِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَمِثْلِهِ ، وَأَعْظَمُ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي الْوَفَاءِ ، فَإِنْ
 خُنْتَنَا فَهَرَأَقَ اللَّهُ دَمَكَ عَلَى ضَلَالَةٍ . قَالَ : أَنْتَ أَطْوَقُ لَذَلِكَ مَنِي ، وَلَكِنْ أَتَابِعُهُ
 عَلَى مَا بَايَعْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ^(٢) ، عَلَى السَّمْعِ
 وَالْفَاعَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ دُلْجَةَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى الرَّبِيعَةِ ، وَقَدِمَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الشَّامِ

(١) مِط : تَجَبُّجٌ وَشَرُّ وَجَلْبَةٍ .
 (٢) الْحُدَيْبِيَّةُ (بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الْهَاءِ وَوَاءِ سَاكِنَةِ وَوَاءِ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ وَوَاءِ) وَمِنْهُمْ
 مَنْ خَفَّضَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ شَدَّهَا : قَرْيَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ بَيْتِ جَنَاحٍ عِنْدَ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ
 الَّتِي بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَهَا . وَبَيْنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَبَيْنَ مَرْحَلَةٍ وَبَيْنَهَا
 وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ . (انظر مجيب البلدان) .

رجلان، مع كل واحد منها جيش، ثم اجتمعوا جميعاً في الرُبذة^(١)، وذلك في رمضان سنة خمس وستين . وأميرُهم ابن دُلْجَة .

وكتب ابنُ الزبير إلى العباس بن سهل الساعدي بالمدينة أن يسير إلى حُيَيش بن دُلْجَة . فسار حتى لقيه بالرُبذة . وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو عامل ابن الزبير على البصرة — مدداً إلى العباس بن سهل^(٢)،

حُصَيْف بن السَّجَف في تسعة من أهل البصرة . فساروا حتى اتهاوا إلى الرُبذة . فبات أهلُ البصرة وأهلُ المدينة يقرءون القرآن ويصُفّون . وبات أهلُ الشام في المعازف والحدور، فلما أصبحوا غَدُوا على القتال، فقتل حُيَيش بن دُلْجَة ومن معه . فتحصن منهم خمسة رجل من أهل الشام على عود الرُبذة، وهو الجبل الذي عليها، وفيهم يوسف أبو الحجاج، فأحاط بهم عباس بن سهل، فطلبوا الأمان، قال: أنزلوا على حُكْمِي، فنزلوا على حكمه، فغضب أعناقهم أجمعين . ثم رجع عباس بن سهل إلى المدينة، وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حَزْرة عاملاً على البصرة، فاستضعفه القوم، فبعث أخاه مُصَعب بن الزبير، فقدم عليهم، فقال: يا أهل البصرة، بلغني أنه لا يُقدِّم عليكم أمير إلا لَقَبْتُموه، إني ألقب لكم نفسي: أنا القصاب .

خير المختار بن أبي عبيد

ثم أرسل عبد الله بن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة أميراً على الكوفة، ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد . وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد إلى الكوفة . فبلغ المختار إقبال عبيد الله بن زياد، فوجه إليهم إبراهيم بن الأشتر

(١) الرُبذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال، قرية من ذات عرق على طريق الحجاز . (انظر نسيم البهاء)

(٢) في بعض الأصول: «العباس بن سهل بن حنيف بن السيف» عريف . والتصويب من الطبري . وفي بعض الأصول: «مدوا إلى العباس بن سهل» وهو حنيف بن السيف في تسعة من أهل البصرة .

في جيش ، فالتقوا بالجزائر ^(١) ، وقتل عبيد الله بن زياد وحُصَيْن بن نعيم وهذا السِّكْلَاع وعامة من كان معهم . وبست برهوسهم إلى عبد الله بن الزبير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجؤيرية الجرمي قال : كنتُ فيمن سار إلى أهل الشام يوم الجزائر مع إبراهيم بن الأشتر فلقيناهم بالزَّاب ، فهبتُ الريحُ لنا عليهم ، فأدبروا ، فقتلناهم عَشِيَّتَنَا وليتنا حتى أصبحوا . فقال إبراهيم : إني قتلُت البارحة رجلاً فوجدتُ عليه ربح طيب ، فالتيسوه ، فما أراه إلا ابنَ سرجانة . فأنطلقنا فإذا هو والله مشكوس في بطن الوادي .

ولما التقى عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزَّاب ، قال : من هذا الذي يُقاتلني ؟ قيل له : إبراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركته أمس صبيحاً ١٠ يلعب بالحلم .

قال : ولما قُتل ابن زياد بقتل المختار رأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : قدمتُ به عليه انتصافُ النهار وهو يتنقذ ، قال : فلما رآه قال : سبحان الله ! ما اغتر بالذُّنيا إلا من ليس لله في عُنُقِهِ نعمة ! لقد أدخل رأس أبي عبد الله على ابن زياد وهو يتنقذ . وقال يزيد بن مفرغ ^(٢) : ١٥

إن الذي عاش ختاراً بذمته ومات عبداً قتيلُ الله بالزَّاب

ثم إن المختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة فذمتُ كتابي إلى ابن الزبير فأت المهدى — يعني محمد بن الحنفية — فأقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إني أحبك وأحب أهل بيتك . قال : فأتاه ، فقال له ذلك . فقال : كذبت وكذب أبو إسحاق ، وكيف ٢٠

(١) الجزائر : قرية من نواحي التهرودان من أعمال بغداد . قرب اللات . (انظر ميم البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « يزيد بن من » وما أثبتنا من سائر الأصول والأخبار . (ج ١٧ ص ٦٨ طبعة بلاق) .

يُحبني ويحب أهل بيتي وهو يجلس عمر بن سعد^(١) على سائده وقد قتل الحسين ا
فلما قدم عليه رسوله وأخبره قال المختار لأبي عمرو^(٢) صاحب حرسه : استأجر
لي نوايح يبيكين الحسين على باب عمر بن سعد ، ففعل . فلما بكين ، قال عمر
لابنه حفص : يا بني ، أنت الأمير ، قل له : ما بال نوايح يبيكين الحسين على
بابي ؟ فأتاه فقال له ذلك . فقال : إنه أهل أن يُبكي عليه . فقال : أصلحك الله ،
انهم عن ذلك . قال : نعم ، ثم دعا أبا عمرو صاحب حرسه ، فقال له : اذهب
إلى عمر بن سعد فأنتي برأسه . فأتاه ، فقال له : قم إلى أبي حفص . فقام إليه وهو
مكتنف علفه ، فحمله بالسيف ، فقتله وجاء برأسه إلى المختار . ثم قال : اتنوني .
باب عمر^(٣) . فلما حضره قال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، رحمه الله . قال : أتعجب
أن تلحقك به ؟ قال : لا خير في التيس بعده . فأمر به ففُصِرَ عنقه .

ثم إن المختار لما قتل ابن مروانة وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن
علي ومن خذله ، فقتلهم أجمعين ، وأمر الحسينية ، وهم الشيعة ، أن يطوفوا في
أزقة المدينة بالليل ويقولوا : يا نارات الحسين ! فلما أفتاهم ودانت له العراق ، ولم
يكن صادق النية ولا صريح الذهب وإنما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك
بقيته أظهر قبح نيته للناس ، فادعى أن جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحي من
الله . وكتب إلى أهل البصرة : بلغني أنكم تكذبوني وتكذبون رُسلي ،
وقد كذبت الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم . فلما انتشر ذلك
عنه كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، وهو بالبصرة ، فخرج إليه . وبرز إليه
المختار ، فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ، ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مُصِيب
وَقَتْلُ أَصْحَابِهِ .

(١) في بعض الأصول : « عمرو بن سعيد » انظر الحاشية . (رقم ١ ص ٣٧٩ .
من هذا الجزء .

(٢) في المخطوط : « أبو حمزة مولى بجيلة » .

(٣) هو حفص بن عمر بن سعد . والحق في الأصول : « بابن مسيلج » . تحريف .
(انظر المخطوط) .

أبو بكر بن أبي شيبَةَ قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يُوحون إلى أوليائهم .

وَقُتِلَ مُصَـبٌّ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ . ثُمَّ حُجَّ سَنَةً إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، فَقَدِمَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمعه وجوه أهل العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فَمَهْ جِئْتُكَ بِوُجُوهِ أَهْلِ الرَّاقِ ، وَلَمْ أَدْعُ لَمْ [بِهَا] نَظِيرًا ، فَأَعْطِهِمْ مِنَ الْمَالِ . قَالَ : • جِئْتَنِي بِسَبِيلِ أَهْلِ الرَّاقِ لِأَعْطِيَهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالْهَرَمِ . فَلَمَّا انصَرَفَ مُصَـبٌّ وَمعه الْوَفْدُ مِنْ أَهْلِ الرَّاقِ ، وَقَدْ حَرَمَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَا عِنْدَهُ ، فَسَدَّتْ قُلُوبُهُمْ ، فَرَأَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَرْوَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى مُصَـبٍ فَقَتَلَهُ ^(١) .

عَلَى بْنِ عَبْدِ الْمَزِينِ عَنْ حِجَّاجٍ ^(٢) عَنْ أَبِي مِشْرَقٍ قَالَ : لَمَّا بَعَثَ مُصَـبٌّ ١٠ بِرَأْسِ الْمُخْتَارِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ خَدَّنِيهِ كَمَبِّ الْأَحْصَارِ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ ، غَيْرَ هَذَا ، فَإِنَّهُ قَالَ لِي : يَتَقَلَّتْ شَابٌّ مِنْ تَقِيفٍ ، فَأَرَانِي تَدَقُّ قَتْلَتَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ ، لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ : لَمْ يَعْلَمْ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ

قَدْ خَفِيَ لَهُ ١٥ .

وَلَمَّا قُتِلَ مُصَـبُّ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ وَدَانَتْ لَهُ الرِّاقُ كُلُّهَا : السَّكُوفَةُ

وَالْبَصْرَةُ ، قَالَ فِيهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقَاتِ :

كَيْفَ تَوَمَّى عَلَى الْقِرَاشِ وَلَمَّا تَشَمَّ الشَّامَ غَارَةً شَمُوهَا

تَذْهَلُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ التَّقِيلَةِ السَّذْرَاءَ ^(٣)

٢٠ (١) انظر (ج ٢ ص ٩٨) من هذه الطبعة ، فبين الخبر هنا وهناك بعض خلاف .

(٢) له حجاج بن النبال . انظر مجمل الأدباء (ج ٥ ص ٢٤٧ طبعة مرجليوت) والطبرى .

(٣) الخدام : جمع خدمة (بالضرب) وهو الخفائل ، والتقية : الكرمية المنفرة .

وخدام هاهنا في نية عن خدامها . وعدي « تبدي » بن لأن فيه معنى تكلف .

٢٥ (انظر لسان العرب مادة خدم) .

إنما مصعبٌ شهيدٌ من الله تجلّت من وجهه الظلماء
وتزوج مصعب - لما ملك العراق - عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت
الحسين ، ولم يكن لهما نظير في زمانهما . وقُتل مصعبُ امرأةً مختاراً ، وهى ابنة
الثعلب بن بشير الأنصارى ، قال فيها عمر بن أبي ربيعة للخرزومي :
إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ اللَّصَابِ عِنْدِي قَتْلَ حَوْرَاءَ غَادَةٍ عَيْطَبُولٍ ^(١)
قُتِلَتْ بِاطْلَافٍ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْفَائِزَاتِ جَبْرُ الْقُدْرُولِ

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

أبو عبيد عن حجاج عن أبي مضر قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل
العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يُعطهم شيئاً أبغضوا ابن الزبير ، وكتبوا
عبد الملك بن مروان ، فخرج يُريد مصعب بن الزبير ، فلما أخذ في جهازه
وأراد الخروج ، أقبلت عائكة بنت يزيد بن معاوية في جواربها ، وقد تزينت
بالخل ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قدمت في ظلال ملكك ووجهت إليه
كليباً من كلابك لكفأك أسره . قال : هيأت أنا سمعت قول الأول :
قَوْمٌ إِذَا مَا غَزَوْا شَدُّوا مَا زَوْمَ دُونَ النَّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْفَارٍ ^(٢)
فلما أبى عليها وعزم ، بكى وبكى معها جواربها . فقال عبد الملك : قاتل
الله ابن أبي حجة ^(٣) كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ يَنْهَهِ حَصَانٌ عَلَيْهَا تَقَطَّمُ دُرٌّ رَيْنُهَا
نَهَتْهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مَا دَهَاها عَيْطَبُولُ ^(٤)

٢٠ (١) البطلون ، كثيرون : للرأفة التنية الجميلة المتلفة الطوية المتى .
(٢) كذا في بعض الأصول . وابن أبي حجة ، هو كثير غزوة . وفي بعض آخر : « ابن
أبي ربيعة » . وقد جاد البهتان في الأمال (ج ١ ص ١٣ طبعة دار الكتب المصرية)
مفسرهم أيضاً لكثير . والحق في سائر الأصول : « ابن أبي ربيعة » .
(٣) الفطون : الإمام . والمعم الأخرار والمعم للمالك والمعم والأباج وأهل النار ،
٢٥ الواحد والجمع .

- ثم خرج يُريد مصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فقيل له : ما تصنع ، أتريد الرقاق وتدع دمشق ؟ أهل الشام أشد عليك من أهل الرقاق ؟ فرجع مكانه ، فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل عاملاً . ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه عبد الملك : أن أخرج لحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا حرساً أيضاً . فقال عبد الملك : أخرج لحرسك أيضاً أرزاقهم . فلما كان يوم من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار أن أتني بأمية حتى أدبر معك أمورا . فقالت له امرأته : يا أبا أمية ، لا تذهب إليه فإنني أخوف عليك منه . فقال : أبو الذباب والله لو كنت ناعماً ما أيقظني . قالت : والله ما آمنه عليك ، وإن لأجد ربح دم مستفوح . فإزالت به حتى سربها فقامت سيفه فنجها . فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يُقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأخذوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك ، فقالوا : يا أبا أمية ، إن رايك زيب فأسمعنا صوتك . قال : فدخل ، فجلسوا يصيحون : أبا أمية ! أسمعنا صوتك ، وكان معه غلام أسحم شجاع ، فقال له : ١٥ اذهب إلى الناس قل لهم : ليس عليه بأس . فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أمية اخذوه ، فأخذوه . فقال له عبد الملك : إني أنست إن أمكنتني منك يد أن أجعل في عنقك جامة ، وهذه جامة^(١) من فضة أريد أن أبر بها نفسي . قال : فطرح رقبته للجامة ، ثم طرحه^(٢) إلى الأرض بيده . فأنكرت ثنيته ، فجعل عبد الملك ينظر إليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين ، ٢٠ عظم أنكرس . قال : وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ، لضلة الظلم ، فقال لميد المرز بن مروان : اقتله حتى أرتجع إليك من الصلاة . فلما

(١) الجاسة : الثقل

(٢) في بعض الأصول : « نثره » .

أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو : نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلني من بينهم ، فجاء عبد الملك فرآه جالساً ، فقال : مالك لم تقتله ! لعنك الله ولن أئماً وفدتك . ثم قال : قدّموه إلي ، فأخذ الخريفة بيده ، فقال [عمرو] : فعلتها يا ابن الزرقاء ! فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبقى ويصلح لي ملكي لفديتُك بدم الناطر^(١) . ولكن قلنا اجتمع فحلان في ذؤود^(٢) إلا عذا أحدهما ٥ على الآخر ، ثم رفع إليه الخريفة فقتله . وقد عبد الملك برُعد ، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السرير . وأُرسل إلى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فدخل عليه ، قال : كيف رأيتك في عمرو بن سعيد الأشدق ؟ قال : وأبصر قبيصة رجلٌ عمرو تحت السرير ، فقال : أضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيراً ، أما علمتُ إنك لموفق . قال قبيصة : أطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها . ففعل ، وأفرق الناس ، وهرب يحيى بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة ، فكان معه^(٣) .

وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يستشيرهُ ويُسّدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر ، فقال له : ما ترى ما كان من فعلي بعمرو ابن سعيد ؟ قال : أمرٌ قد فات دركه . قال : لتقولن . قال : حَزَمَ لوقلتُهُ وحييت أنت . قال : أولستُ بحَيٍّ ؟ قال : هيأت ! ليس بحَيٍّ من أوقف نفسه موقفاً لا يؤتق منه بنهد ولا عُد . قال : كلام لو تقدّم سباعهُ ففعل لأمسكتُ . ١٥

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد ، صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن عبد الملك بن مروان قتل لعنم الشيطان ، كذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون . ٣٢٢
٧

(١) الناطر : العين .

(٢) الذؤود : منط الحاية .

(٣) ساق للسودي خبر مقتل عمرو بن سعيد ، وهو يختلف عنه هنا كثيراً . (انظر مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ - ١١٨ طبعه البهية) .

مقتل مصعب بن الزبير

فلما ابتكرت البيعة لمبد الملك بن مروان أراد الخروج إلى مصعب بن الزبير ، فجعل يستنفر أهل الشام فيبطلون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف : سألني عليهم ، فوالله لا أخرجهم منك . قال له : قد سلطتك عليهم . فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج إلا أحرق عليه داره . فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا ، وسار عبد الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة ، فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كتباً إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوم فيها إلى نفسه ويحمل لهم الأموال ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك ، حتى أن يأخذوا مصعباً إذا التقوا . فقال إبراهيم بن الأشتر لمصعب : إن عبد الملك قد كتب إلى هذا الكتاب ، وقد كتب إلي أصحابي بمثل ذلك ، فادعهم الساعة فاضرب أعناقهم . قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم . قال : فأنه أخرى . قال : ما هي ؟ قال : أحضهم حتى يستبين لك ذلك . قال : ما كنت لأفعل . قال : فملك السلام ، والله لا ترائي بعد في مجلسك هذا أبداً . وقد كان قال له : دعني أدمر أهل الكوفة بما شرطه الله . فقال : لا والله ، قتلتمهم أمس واستنصرهم اليوم ^(١) . قال : فما هو إلا أن التقوا فحاربوا وجوههم وصاروا إلى عبد الملك . وبقي مصعب في شردمة قليلة . فجاء عبيد الله بن زياد بن طليان ، وكان مع مصعب ^(٢) ، فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم بأهل العراق أفرع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب

(١) يشير إلى حروبه مع المختار بالكوفة سنة سبع وستين وتبع مصعب الفيلة بالنال بالكوفة . (انظر صروج الذهب ج ٢ ص ١١٤) .

(٢) كان لعبد الله زياد بن طليان أخ اسمه الثاني بن زياد قتله مصعب . وكان الثاني من سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل . ولهذا تحيز ما كان في عسكر مصعب بن ربيعة وأضافه عبيد الله بن زياد بن طليان وإياهم إلى عسكر عبيد الله . (انظر صروج الذهب والطبري) .

فصر به بالسيف على التبيضة ، فنشِب السيفُ في التبيضة ، فنباه غلامٌ لمبيد الله [ابن زياد بن علبان] فصرِب مُصعبا بالسيف فقتله (١) ، ثم جاء عبيدُ الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول :

نُطِيعُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مَا قَسَطُوا لَنَا (٢) وليس علينا قَتْلُهُمْ بِمَحْسَرٍ .
قال : فلما نظر عبدُ الملك إلى رأس مُصعب خَرَّ ساجداً . فقال عبيدُ الله [بن زياد] بن علبان ، وكان من قُتْلِكَ العرب : ما نَدِيتُ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ نَدَمْتُ عَلَى عبد الملك بن مروان إِذْ أَتَيْتُهُ بِرَأْسِ مُصْعَبٍ فَخَرَّ سَاجِداً أَنْ لَا أَكُونَ ضَرِبْتُ عَنْقَهُ ، مَا كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكِي الْعَرَبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . وقال في ذاك عبيدُ الله [ابن زياد] بن علبان :

١٠ هَمَّتْ وَلَمْ أَصِلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي قَتَلْتُ فَأَذْنَتِ الْبُكَاءُ لِأَقَارِبِهِ
فَأَوْرَدَتْهَا فِي النَّارِ بِصَكْرِ بَنٍ وَائِلٍ وَالْحَقُّ مَنْ قَدَّخَرَ شُكْرًا بِصَاحِبِهِ
الرَّيَاسِيُّ عَنِ الْأَحْمَرِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدُ الْمَلِكِ رَأْسُ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ
نَظَرَ إِلَيْهِ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : مَتَى تَلَدَ قُرَيْشٌ مِثْلَكَ ! وقال : هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ قُرَيْشٍ .
وقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : أَكَانَ مُصْعَبٌ يَشْرَبُ الْعَلَاءَ (٣) ؟ فقال : لَوْ عَلِمَ مُصْعَبُ
١٥ أَنَّ الْمَاءَ يُقَمِدُ بِمِرْوَدِهِ مَا شَرِبَهُ .
ولَمَّا قَتَلَ مُصْعَبٌ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَهْنِئُونَهُ ، ودَخِلَ مَعَهُمْ
شَاعِرٌ فَأَنشَدَهُ :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا قُوَّةَها وَقَدْ أَرَادَ الْمُتَلَحِّبُونَ عَوَقَها
عَنْكَ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا سَوَقَها إِلَيْكَ حَتَّى قَلَدُوكَ جُلُوقَها

٢٠ فَأَمَرَ لَهُ بِبَشْرَةِ آلَافِ دَرَمٍ .

(١) انظر للزوج والطبري والأغانى (ج ١٧ ص ١٦٧ - ١٦٤) فقد سبق فيها

مقتل مصعب بروايات أخرى .

(٢) في مروج الذهب :

• نطاعى للولا الحق ما قسطوا لنا •

(٣) العلاء (كسباد) : الحنظل .

وقالوا : كان مُصعبُ أجلّ الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس . وكان تحتَه عقيلنا قرُيش : عائشة بنت طلحة ، وسُكينة بنت الحسين .

ولما قُتل مُصعب خرجت سُكينة بنت الحسين تُريد المدينة ، فأطاف بها ٣٢٣
أهلُ العراق ، وقالوا : أحسنَ اللهُ صحابتك يا بنتَ رسول الله . فقالت : لا جزاءكم الله عني خيرا ، ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد ، قتلتم أبي وجدي وعمي • وزوجي ، أبتتموني صغيرة وأرملتوني كبيرة .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مُصعب صعدَ للنبر فجلس عليه ، ثم سكت ، فجعل لوته يحمر مرة ويصفر مرة ، فقال رجل من قُرَيش لرجل إلى جنبه : ماله لا يتكلم ! فوالله إنه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل : لله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب فيشهد ذلك عليه ، وغير ملوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذي ١٠ له الخلقُ والأمر ، والدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء . أما بعد . فإنه لم يُعز من كان الباطل معه ، ولو كان معه الأنعام طرًا ، ولم يُذل من كان الحق معه ، ولو كان فردا . ألا وإن خبرًا من العراق أنا أنا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحليم لوعة يُعجدها حميمه ، ثم برّعى ذور الألباب إلى الصبر وكريم الأجر ؛ وأما الذي ١٥ أفرحنا ، فإن قتل مُصعب له شهادة ولنا ذخيرة . أسلمه الطعام ، السلم^(١) الإذنان ، أهلُ العراق ، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . أما والله لا نموت حنَف^(٢) [أوفنا]^(٣) كما يموت بنو مروان ، ولكن قنصًا^(٤) بالرماح وموتًا تحت ظلال

(١) السلم : جمع أسلم ، وهو المقطوع الأذن والأف من أسله . وفي بعض الأصول : « السلم » .

(٢) في بعض الأصول : « جيلة » . وفي بعضها « خيفة » .

(٣) يقال : مات فلان حنَف الله ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأفقه فأت .

(٤) القنص : الموت الرمي . ومات قنصا : أصابه شره أو رمية فأت مكانه .

السيف ، فإن تقبل الدنيا على لم آخذها مأخذ الأثير البطر ، وإن تدبر عني لم أبك عليها بكاء الحرف^(١) الزائل الثقيل .

ولما توسط لابن الزبير أمره وملك الحرمين والمراقين أظهر بعض بني هاشم الطعن عليه ، وذلك بعد موت الحسن والحسين ، فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعة ، فأبوا عليه ، فجعل يشتبهم ويتناوهم على اللبر ، وأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فغضب على ذلك ، فقال : والله ما يمنعني أني لا أذكره علانية من ذكره سرا وأصلى عليه ، ولكن رأيت هذا الحي من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشربأت أغناقهم^(٢) ، وأبفض الأشياء إلى ما يسرهم . ثم قال : لتبايمن أولأحرقكم النار . فأبوا عليه ، فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم^(٣) . فقال في ذلك كثير غزوة ، وكان ابن الزبير يدعى المائد ، لأنه عاذ بالبيت :

تَحْرِيرٌ مِّنْ لَّا قِيَتِ أَنْكَ عَائِدٌ .
بِلِ الْمَائِدِ لِلظُّلُومِ فِي سِجْنِ عَارِمِ
سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنُ عَمِهِ .
وَفَسْكَائُ أَغْلَالٍ وَقَاضِي مَقَارِمِ

وكان أيضا يدعى المجل ، لإحلاله القتال في الحرم . وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في زملة بنت الزبير :

أَلَا مَن لِّقَلْبٍ مُّسْقَى غَزَلٍ .
بِذِكْرِ الْمُحِلَّةِ أُخْتُ الْمُحِلِّ

ثم إن المختار بن أبي عبيد وجه رجلا يثق بهم من الشيعة ، يكتنون التهازل ويسبون الليل ، حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ، ثم ساروا بهم إلى مأمنهم .

وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين ، فقال : أيها الناس ،

(١) كذا في الأتاني : والحق في الأصول : « الحزب » . والحق في الطبري :

« الحرق » . (٢) في بعض الأصول : « ظوهم » .

(٣) سجن عارم ، بالسكوة .

إن فيكم رجلاً تدأبى الله قلبه كما أعبى بصره ، قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقضى بزواج النمة . وعبد الله بن عباس في المسجد ، قدام وقال لكرمة : أقم وجهي نحوه يا عكرمة ، ثم قال هذا البيت^(١) :

- ٥ إن يأخذ الله من عيني نورها في فؤادي وعقلي^(٢) منهما نور
وأما قولك يا بن الزبير إني قاتلت أم المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ،
وبنا سُميت أم المؤمنين ، فكُنّا لها خير بنين ، ف تجاوز الله عنها . وقاتلت أنت
وأبوك علياً ؛ فإن كان علي مؤمناً ، فقد ضلّتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً ،
فقد بُدّتم بشطط من الله بفراركم من الرّحف . وأما النمة ، فإني سمعت علي بن
أبي طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفقيت بها ،
ثم سمعته ينهى عنها ، وأول حجر سَطَعَ في النمة حجر آل الزبير^(٣) .

مقتل عبد الله بن الزبير

- ١٠ أبو عبيد^(٤) عن حجاج عن أبي مَثَر قال : لما بايع الناس عبد الملك بن مروان بعد قتل مُصعب بن الزبير ودخل الكوفة ، قال له الحجاج : إني رأيت في المنام كأنني أسلّخ ابن الزبير من رأسه إلى قدميه . فقال له عبد الملك : أنت له ، فأخرج إليه . فخرج إليه الحجاج في ألف وخمسةائة ، حتى نزل الطائف . وجعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رسلاً بعد رسل^(٥) ، حتى توافى إليه الناس قدراً ما يظن أنه يقوى على قتال ابن الزبير ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين . فسار الحجاج من الطائف حتى نزل مِثْنَى ، فخرج بالناس ،

(١) البيت لحسان بن ثابت . (انظر الأمل ج ٣ ص ١١٥) .
(٢) في الأغانى : « وقلبي » .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٦ ص ١٤) من هذا الجزء .
(٤) في بعض الأصول : « أبو عبيدة » .
(٥) الرسل (بالتحريك) : القطيع من كل شيء .

وابن الزبير محصور ، ثم نصب الحاج المجانيق على أبي قُبيس وعلى شقيقين^(١) ونواحى مكة كلها ، يرى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها ابن الزبير ، جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين فقال : ماترون ؟ فقال رجل من بني غزوم من آل بني ربيعة : والله لقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلاً ، ولئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، وإنما هي إحدى خصلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ، وإما أن تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير : لقد كفت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد بأقيله بيعته إلا ابن صفوان . فقال ابن صفوان : أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك ، وإنما لتأخذني الكفيلة أنت أشلك في مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب إلى عبد الملك بن مروان . فقال له : كيف أكتب : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان ؟ فوالله لا يقبل هذا أبداً ، أم أكتب : لسيد الملك عبد الله بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخشراء على الغبراء أحب إلي من ذلك . فقال عروة بن الزبير ، وهو جالس معه على السرير : يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة . قال : من هو ؟ قال : حسن بن علي ، خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير ، وقال : يا عروة ، تلي إذا مثل قلبك ! والله لو قبلت ما تقولون ما عشت إلا قليلاً ، وقد أخذت الدثية ، وإن ضربة سيف في غز خور من لطمه في ذل . فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه ، وهي أم هاشم بنت منصور بن زياد القرظارية ، فقال لما : أصنعي لنا طعاماً ، فصنعت له كبدًا وصنماً . فأخذ منه لقمة فلا كهاهم لفظها ، ثم قال : أسقوني لبناً . فأتى بلبن فشرب منه . ثم قال : هيئوا لي غسلاً ، فأغتسل ثم تحنط وتطيب ، ثم نام نومة ، وخرج ودخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، وهي عمية ، وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أمه ،

ما ترين ، قد خذاني الناس وخذاني أهل بيتي ؟ قالت : لا يلين بك صبيان
 بنى أمية ، عش كريماً ومث كريماً . فخرح فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه
 قرقر يسير ، فجعل يقاتلهم ويهزمهم وهو يقول : ويله ! يا له فتحا لو كان له
 رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيحتهم . وجعل ينظر إلى أبواب
 المسجد والناس يهجمون عليه فيقول : من هؤلاء ؟ فيقال له أهل مصر . قال :
 قتلة عثمان ! غل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خلّوب ،
 فقال لأهل الشام : أما تستطيعون إذا ولي^(١) ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟
 قالوا : وممكنك أنت أن تأخذ بيدك ؟ قال نعم . قالوا : نشأناك . فأقبل وهو
 يريد أن يحتضنه ، وابن الزبير يرتجز ويقول :

١٠ * لو كان قرقرى واحداً كفيته *

فصره ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلّوب : حس . قال ابن الزبير :
 اصبر خلّوب . قال : وجاءه حجر من حجارة للنجنيق ، فأصاب قتله فسقط .
 فأقتحم أهل الشام عليه . فما هموا قتله حتى سموا جارية تبكي وتقول : وأمير
 المؤمنين ! خذوا رأسه وذهبوا به إلى الحجاج . وقتل معه عبدالله بن صفوان ،
 ومحمدة بن حزم ، وعبد الله بن مطيع .

١٥

قال أبو مبشر : وبث الحجاج برؤسهم إلى المدينة . فنصبوها للناس ،
 فجعلوا يقرعون رأس ابن صفوان إلى ابن الزبير ، كأنه يساره ، ويلعبون بذلك .
 ثم بث برؤسهم إلى عبد الملك بن مروان . فخرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت
 له : أتأذن لي أن أدفنه فقد قضيت أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها :
 ما ظنك رجل قتل عبدالله بن الزبير ؟ قالت : حسيده الله^(٢) . فلما منعها أن تدفنه
 قالت : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج من قيظ
 رجلان : الكذاب واللبير ، فأما الكذاب فالمختار ، وأما اللبير فانت . فقال
 الحجاج : اللهم مبير لا كذاب .

(١) ولي : أمير . ف. بن. الأصول : « ولائم » ، (٢) أي انتقم الله منه .

ومن غير رواية أبي عبيد قال : لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلمت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ، فزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس ، لا يهولنكم هذا ، فإني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصبحت^(١) كوفي ، فلو ركبنا عظماء لحال بيننا وبينه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرمى فطرح له ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين . فكان أهل الشام إذا رموا السكبة يرتجزون ويقولون هذا :

خَطَاةٌ مِثْلُ الْفَتَنِقِ لِلزَّيْدِ يُرْمِي بِهَا عُوَاذُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ^(٢)

ويقولون أيضا : دَرَى عَقَابٌ^(٣) ، بلبن وأشخاب . فلما رأى ذلك ابن الزبير خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حيناً . فناداه الحجاج : ويلك يا بن ذات النطاقين ! أنبل الأمان وأدخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت - رحلت الله - ما يقول القوم وما يدعوني إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتهم لعنهم الله ! فما أجعلهم وأهجب منهم إذ يأمرونك بذات النطاقين ! ولعلوا ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وما ذاك يا أماء ؟ قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر ، فهيأت لها سفرة ، فطلبها شيثاً يرتبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعت من منزري لذلك ما أحتاجا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيرا ، فما تأمرني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريماً ، ولا تتبع فاسقاً لثيماً ، وأن يكون آخرُ نهارك أكرم من أوله . فقيل رأساً وودعها ، وضمتها إلى نفسها . ثم خرج من عندها ،

(١) أصح : برز .

(٢) الخطاة الثافة تحيط بذنوبها في السير فحاطوا . والننق : الثعلب للكرم من الإبل التي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم .

(٣) عقاب : اسم ناقة . وأشخاب : جمع شغب ، وهو امتد من اللبن . وهذا من أمثال الخنثين . (انظر مجمع الأمثال)

فَصَعَدَ النِّهْرَ ، حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ تَنَشَّأَ كَمْ
سَحَابُهُ ، وَأَحْدَقَ بِكُمْ زَيَابُهُ ^(١) ، وَأَجْتَمَعَ بَعْدَ تَفَرُّقٍ ، وَأَرْجَحَنْ بَعْدَ تَمَشُّقٍ ^(٢) ،
وَرَجَسَ ^(٣) نَحْوَكُمْ رَعْدُهُ ، وَهُوَ مُفَرِّغٌ عَلَيْكُمْ وَدَمَهُ ^(٤) ، وَمَادَ إِلَيْكُمْ الْبَلَاءُ تَنْبِهَا
الْمَنَاءُ ، فَاجْعَلُوا السَّيُوفَ لَهَا غَرَضًا ، وَأَسْتَمِينُوا عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ . وَتَمَثَّلْ بِأَيَّاتٍ ، ثُمَّ
أَفْتَحْهُمُ يُقَاتِلْ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ جَدَّ أَحْبَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتْ الْحَرْبُ لَهَا عَلَى سَاقٍ
ثُمَّ جَمَلَ يُقَاتِلْ وَحْدَهُ وَلَا يُتَدَهَّنْ ، كَلَّمَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَّتْهُمْ وَزَادَهُمْ ،
حَتَّى أَتَخَنَ بِالْجُرَاحَاتِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّهَوُّضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحِجَابُ ، فَدَعَا بِالنَّطْعِ ،
فَغَزَّ رَأْسَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي دَاخِلِ مَسْجِدِ الْكُفَّةِ — لَا رَحِمَ اللَّهُ الْحِجَابُ — ثُمَّ بَعَثَ
بِرَأْسِهِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَحْبَابِهِ مَنْ ظَفِرَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ فَاسْتَأْذَنَ ١٠
عَلَى أُمِّهِ أَهْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ لِيَمْرِيَهَا ، فَأَذْنَتْ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا حِجَابُ ، قَتَلْتَ
عَبْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، إِنِّي قَاتِلُ الْمُلْحِدِينَ . قَالَتْ : بَلِ ^(٥) أَنْتَ قَاتِلُ
الْمُؤْمِنِينَ الْوَحِيدِينَ . قَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ مَا صَنَعْتُ بِأَبْنِكَ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ
أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دَنِيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتُكَ ، وَلَا ضَيْرَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ ،
قَدْ أَهْدَى رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَنِيٍّ مِنْ بَنِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ١٥
هَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُبَّانُ اسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى
الْحَارِ يَوْمَ الْحَارِ ، فَبِذَلِكَ أَدْعَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْخِلَافَةَ .

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : لَمَّا نَسَبَ الْحِجَابُ رَايَةَ الْأَمَانِ وَتَصَرَّمَ النَّاسُ مِنْ ابْنِ
الزُّبَيْرِ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ : قَدْ أَقْلَتْكَ بِيَعْتِي وَجِئْتُكَ فِي سَعَةٍ ، فَخُذْ
لِنَفْسِكَ أَمَانًا . فَقَالَ : مَهْ ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَيْتُكَ إِلَّا مَا حَتَّى رَأَيْتُكَ أَهْلًا لَهَا ، وَمَا رَأَيْتُ ٢٠
أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَلَا تَضْرِبْ هَذِهِ الصَّلَاةَ فِتْيَانُ بَنِي أُمَيَّةَ أَبَدًا ، وَأَشَارَ إِلَى

(١) الزَّيَابُ (كسب) : السَّحَابُ الْأَبْيَضُ .

(٢) أَيُّ أَجْتَمَعَ وَقَتْلَ بَعْدَ تَفَرُّقٍ .

(٣) رَجَسَ : رَعَدَ شَدِيدًا .

(٤) الْوَدْقُ : الْمَطَرُ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : «بَلَى» .

رأسه . قال : فحدثت سليمان بن عبد الملك حديثه ، فقال : إني كنت لأراه
أعرجَ جبانا . فلما كانت الليلة التي قُتل في صباحها ابنُ الزبير ، أقبل عبدُ الله
ابن صفوان ، وقد دنا أهلُ الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو
ناثم . فقال : أوليلةُ يوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فأقام ، ثم استأذن . فقالت :
هو ناثم ، فانصرف . ثم رجع آخرَ الليل وقد هم القومُ على المسجد . فخرج إليه ،
٥ قال : والله ما نيتُ منذ عقلت الصلاة نوى هذه الليلة وليلة الجبل ، ثم دعا
بالسواك ، فاستاك متمكنا ، ثم توضأ متمكنا ، وليس ثيابه ، ثم قال : أنظري حتى
أودعَ أمَّ عبد الله ، فلم يبق شيء ، وكان يكره أن يأنثها فتمزجَ عليه أن يأخذ
الأمان ، فدخل عليها وقد كُفَّ بصرُها ، فسلم ، فقالت : من هذا ؟ فقال :
١٠ عبدُ الله ، فسئته ، ثم قالت : يا بني ، مُت كريما . فقال لها : إن هذا قد أثنى
— يعني الحجاج — قالت : يا بني ، لا رَضَ الدنيَّة ، فإن الموت لا بُدَّ منه .
قال : إني أخاف أن يُثْمَلَ بي . قالت : إن الكُفَّش إذا ذُبح لم يأمن السِّلخ .
قال : فخرَّج ، فقاتل قتالاً شديدا . فجعل يَهْرِمهم ، ثم يرجع ويقول : ياله
فتعاهلوا كان له (١) رجال ! أو كان للأصعب أخى حَيًّا ! فلما حضرت الصلاة صُلِّي
١٥ صلاته ، ثم قال : أين باب أهل مصر ؟ حَنَفًا لِمِثْلان (٢) . فقاتل حتى قتل ، وقُتل
معه عبدُ الله بن صفوان . وأتى برأسه الحجاج وهو قائم عَيْنيه وفاه ، فقال : هذا
رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير إليه المقتول ، فذلك فتح عَيْنيه وفاه .
هشام بن عروة عن أبيه : إن عبد الله بن الزبير كان أولَ مولود وُلد
في الإسلام ، فلما وُلد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولما قُتل كبر الحجاج
٢٠ ابن يوسف وأهلُ الشام معه . فقال ابنُ عمر : ما هذا ؟ قالوا : كبر أهلُ الشام
لقُتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كُتِبوا لمولده خيرُ من الذين كُتِبوا لقتله .
أيوب عن أبي قلابة : شهدتُ ابنةَ أبي بكر فسُئلت أُنباها ابنُ الزبير بعد

(١) في بعض الأصول : « لك » .

(٢) يقال عن مكان أهل مصر من الصفوف لينال منهم ، فأراد بيتان .

٣٧٧
٢

- شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذُهب برأسه ، وكَفَّنَتْه وصات عليه .
- هشام بن عروة قال : قال عبدُ الله بن عباس للجائر به ^(١) : جَنَّبْنِي خَشْبَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فلم يشعر ليلةً حتى عثر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خَشْبَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ . فوقف ودعا له ، وقال : لئن عَلِمْتُكَ لرجلك لطلما وقفتَ عليهما في صَلَاتِكَ . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفتهُ إلا صَوَامًا قَوَامًا ، ولكنني ما زلتُ أخاف عليه .
- منذ رأيتُ [أن] تُعْجِبُهُ بَنَاتُ مَعَاوِيَةَ الشَّهْبِ . قال : وكان معاوية قد حَجَّ فدخل المدينة وخلفه خمسُ عَشْرَةِ بَنَلَة شهباء عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجوارى عليهم البجلايبُ والمصفرات ، فَعَنَّتِ الناسُ .

أولاد عبد الملك بن مروان

- الوليد ، وسليمان ، من التَّبَسُّعِ ^(٢) ، وزيد ، وهشام ، وأبو بكر ، ومُسْلِمَة ، ١٠
وسميد الخير ، وعبدُ الله ، وعُتْبَسَة ، والحجاج ، والمُنذر ، وسروان الأكبر ،
وسروان الأصغر — ولم يُعقب مروان الأكبر — وعُمْد ^(٣) ، ومعاوية ، ذَرَج ^(٤) .

وفاة عبد الملك بن مروان

توفي عبدُ الملك بن مروان بدمشق للنَّصَف من شوال سنة ست وثمانين ،

- (١) في بنى الأصول : « لبيخة » .
- (٢) هي ولادة بنت البساس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذاعة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن لطيحة بن عيس بن بيش . وقد ذكر ابن جرير الطبري مع الوليد وسليمان من ولادة هذه مروان الأكبر وعائلة (انظر الطبري) .
- (٣) في بنى الأصول : « وزيد » . تحريف .
- (٤) يقال : درج القوم ، إذا اهرقوا . وفلان : لم يخلف نسلا . والذئ في بنى الأصول : « وداود » . والذئ في سائر الأصول : « وداود ولم يعقب داود » . والتصويب من الطبري . وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه الملوحة وابن جرير في الطبري : أولاد عبد الملك . ولم يذكرنا من بينهم داود ، كما ذكر ابن قتيبة قبيصة بدلا من معاوية . وذكره بن جني حائلة وعائلة وزاد الطبري عليها أم كلثوم . فارجع إليهما .
- ٢٥

- وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك في المدينة في دار مروان سنة ثلاث وعشرين ، وكتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان عامله على المدينة ، أن يدعو الناس إلى البيعة لأبيه الوليد وسُلَيْمان . فباع الناس ، غيرَ سعيد بن المُسيَّب ، فإنه أتى وقال : لا أبايع وعبدُ الملك حَيٌّ . فصر به هشام ضرباً مُبرِّحاً ، وألبسه للسَّوح^(١) ، وأرسله إلى ثنية بالمدينة يقتلونه عندها ويصلُّون به ، فلما أتوا به إلى الموضع ردَّوه . فقال سعيد : لو علمت أنهم لا يصلُّونني ما لبستُ لهم الثَّياب^(٢) . وبلغ عبدُ الملك خبره فقال : قَبَّحَ اللهُ هشاماً ، مثل سعيد بن المُسيَّب يُضرب بالسَّياط ! إنما كان ينبغي له أن يدعوَه إلى البيعة فإن أتى يضرب عنقه .
- ١٠ وقال للوليد : إذا أُمِّيتُ فَمَتْنِي في قبري ولا تُعصر عُنْيِكَ عَصْرَ الأُمَّة ، ولكن شَرِّه ، وأُتَنِّزْه ، والبَسْ للناس جِلْدَ النمر ، فن قال برأسه كذا فقل بِسَيْفِكَ كذا .

ولاية الوليد بن عبد الملك

- ثم بُويع للوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة ست وعثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جَزْء^(٣) بن الحارث بن [زُهَيْر بن]^(٤) جَذِيمَة^(٥)

- (١) السَّوح : جمع مسح (بالكسر) وهو كساء من شعر .
(٢) كذا في بعض الأصول وحلية الأولياء . والثَّياب (كرمان) : سراويل ضيقة يسر المورة المخلطة . والقي في سائر الأصول : « الثَّياب » . والبيعة في حلية الأولياء : « لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا الثَّياب » . وقد ذكر الحفاظ القصة برواية أخرى فقال : قال رجاء حدثني الأيليون الذين كانوا في العسر بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس الثَّياب طائفاً ، فقتلناه : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستمر هورثك ، فلبس ، فلما ضرب قتلناه : إنا خدعناك . قال : يا مبيحة أهل أيلة ، لولا أني ظننت أنه القتل ما لبسته . (انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧١ — ١٧٢) .
(٣) في الأصول : « حري » . وما أثبتنا من الطبرى .
(٤) الشَّكْلَة بن الطبرى .
(٥) في الأصول : « خزبة » وما أثبتنا من الطبرى . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٢٠) من هنا الجزء فتبها نسب ولادة كاملاً .

القبسى . وكان على شرطته كُتب بن حماد ، ثم عزله وولى أبا نائل بن رباح ابن عبدة الشافى .

ومات الوليد يوم السبت فى النصف من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ، وهو ابن أربع وأربعين . وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين غير شهور .

٥

ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزيز ، ومحمد ، وعنبسة ، ولم يُعقبوا — وأُمهم أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان — والعباس ، وبه كان يُكنى ، ويقال : إنه كان أكبرهم ، وعمر^(١) ، وبشر ، وزَوْج ، وتَمَام ، ومُبَشَّر ، وخَزَم^(٢) ، وخالد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ، وأبو عُبيدة ، وسرور ، [ومتصور] ، ومروان^(٣) ، وصَدَقَة ، لأُمهات أولاد . ١٠
وَأُم أبى شُبَيْدة فَزَارِيَة . وكان أبو عُبيدة ضعيفاً . وولى الخلافة من ولد الوليد إبراهيم ، شهرين ثم خلع . وولى يزيد الكامل شهراً ثم مات . وكان تمام ضعيفاً ، هبناه رجل فقال :

بنو الوليد كرام فى أرومتهم نالوا المكارم طرّاً غير تمام

وسرور بن الوليد ، كان ناسكاً ، وكانت عنده بنتُ الحجاج . وكان بشر ١٥
من فتيانهم ، وزَوْج من غلمانهم ، والعباس من فُرسانهم ؛ وفيه يقول الفرزدق :

إنَّ أبا الحارث العبَّاس نائله مثلُ الشَّامِك الذى لا يُخْلِفُ اللَّطَرَ

وكانت تحتها بنتُ قَطْرِى بن القُجَّادة ، سبَّها وتزوجها . وله منها : اللؤلؤ

والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسعون ولداً ، ستون منهم كانوا يركبون ٣٢٨
٢

(١) فى بعض الأصول : « عمرو » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كننا فى الأصول . وقد ذكر الطبرى أولاد الوليد متفقاً مع الأصول إلا فى حزم هنا فذكر مكانه عبد الرحمن .

(٣) فى بعض الأصول : « محمد » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

معه إذا ركب . وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومن رآه يحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وُزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

• وبنو الوليد من الوليد بمنزلة كاليد حُفَّ بواخبات الأنجم .
وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يُبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان .
وحدث المهيم بن عدى عن ابن عباس^(١) قال : لما أراد الوليد أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشنع عليه ، فقيل للوليد : لو أسرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لله كان يسكت ، فتشهد عليه بذلك . فدعا الأقبيل القتيبي^(٢) ، وقال له : أرئيج بذلك وهو يسمع . فدعا سليمان فسايره ، والأقبيل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إِنَّ وَلِيَّ التَّهْدِلَيْنِ أُمُّهُ ثُمَّ ابْنُهُ وَلِيَ عَهْدٍ عَمِّهِ
قَد رَضِيَ النَّاسُ بِهِ فَسَهُ فهُوَ يَضُمُّ الْمُلُوكَ فِي مَضْمَنِهِ
يَا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قَبْلِهِ

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا ابن الخبيثة ، من رضى بهذا !

أخبار الوليد

١٥

أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسنَّ وله عبد الملك وكان يُحببه ، فتراخى في تأديبه لشدة حبه إياه ، فكان لساناً .

وقال عبد الملك : أضرتنا في الوليد حبنا له . فلم يُوجِّهه إلى البادية . وقال الوليد يوماً وعندده عمر بن عبد العزيز : يا غلام ، ادع لي صالح . فقال التلام :

٢٠ (١) كذا في بعض الأصول : واللعروف أن المهيم يروي عن ابن عباس والذي في سائر الأصول : « عدى عن سليمان عن ابن عباس » . ويظهر أن عبارة « عن سليمان » قُترت إلى هذا المكان مما قبلها أو بعدها .
(٢) كذا في بعض الأصول ولسان العرب (ج ١٦ ص ١٤٦) . والذي في سائر الأصول : « القتيبي » .

يا صالحا . فقال له الوليد : أتقص القنا . فقال عمر بن العزيز : وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألقا .

- وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى المجذومين حتى أغنامهم عن سؤال الناس ، وأعطى كل مُقعد خادما ، وكل ضرير قائدا . وكان يمر بالبقال ^(١) فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بقلس ، فيقول : زد فيها فإنك تريح .

- ومر الوليد بمعلم كُتّاب فوجد عنده صبيّة ، فقال : ما تصنع هذه عندك ؟ فقال : أعلمها الكتابة والقرآن . قال : فاجعل الذي يُعلمها أصغر منها سنّا .
 وشكر رجل من بنى غزوم دينًا لزمه ، فقال : نقضيه عنك إن كنت لذلك مُستحقّا . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مُستحقّا في منزلتي وقرابتي ؟ قال : قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أذن مني ، فدنا منه ، فنزع الحِجامة عن رأسه بقضيب في يده ، ثم قرعه به قرعة ، وقال لرجل من جلسائه : ضمّ إليك هذا العليج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام إليه آخر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أفنض ديني ، فقال له : أنقرأ القرآن ؟ قال : نعم . فاستقرأه عشرا من الأناضل وعشرا من براءة ، فقرأ . فقال : نعم ، نقض دينك وأنت أهل لذلك .

وركب الوليد بهيرا وحاد يحدو بين يديه ، والوليد يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا ويحك تسلم الذي علّاكا

خليفة الله الذي أمطكا لم يحب بكر مثل ما حباكا

٢٠ ولاية سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني : ثم بُويع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدائقي ^(٢) ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ،

٣٢٩
٧

(١) في القاموس (مادة بعل) « والبقال لياع الأعطمة ، عامية ، والصحيح البدال » .

(٢) دايقي (بكسر الهمزة) وقد روى بفتحها ، وآخره تلف : قرية قرب حلب ، وبها

٢٥ وبين حلب أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك . (انظر معجم البلدان) .

وهو ابن ثلاث وأربعين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً . ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بني حذيفة^(١) . ومات بدايق من أرض قنسرين ، وكان سليمان فصيحاً جليلاً وسياً ، نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس . وكانت ولايته يمنة وبركة ، أفتتحها بخير وختمها بخير . فاما افتتاحه فيها بخير ، فرد الظالم ، وأخرج للسجونين ، وبغزة مسلمة بن عبد الملك الصائقة حتى بلغ التسططينية . وأما ختمها بخير ، فاستخلفه عمر بن عبد العزيز . وليس يوماً وأعم بهامة ، وكانت عنده جارية حجازية ، فقال لها : كيف زين الهيئة ؟ قالت : أنت أجل العرب ، لولا قال : على ذلك لتقولن . قالت : أنت^(٢) ثم للتعلم لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان أنت خلوت من القيوب ومما يكره الناس غير أنك غايي قال : فتغنص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى توفي رحمه الله .

وتفاخر ولده عمر بن عبد العزيز ولده سليمان بن عبد الملك ، فذكر ولده عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولده سليمان : إن شئت فأقتل وإن شئت فأكثر ، فما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي .

محمد بن سليمان قال : فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبد العزيز في طول عمره : أعتق سبعين ألفاً ما بين مملوك ومملوكة وبقيتهم^(٣) ، أي كسام . والبيت^(٤) : السكوة .

(١) في الأصول : « جديدة » . والتصويب من مسيب البهاني لياقوت (ج ٢ ص ٢٢٧) .
(٢) الشعر لموسى شهورات . (انظر الأغانى : ج ٩ ص ٩٩ طبعة بلاط) والصمر والشمراء (ص ٣٠٧) .
(٣) في اللسان (مادة بت) : « وفي حديث علي عليه السلام : إن طائفة جاءت إليه فقال لتب : بئهم . أي أعطهم الثبوت » .
(٤) « البيت » : « غرب من الطيالة يسمى الساج صريح غليظ أخضر . وفي بعض الأصول : « وبئهم ... والبيت » . تحريف .

ولد سليمان

أيوب ، وأمه أم أبان بنت الحكم بن العاص ، وهو أكبر ولد سليمان
وولى عهده ، فأت في حياة سليمان ، وله يقول جرير :

إن الإمام الذي رُجى فاضله بعد الإمام ولي العهد أيوب

- وعبد الواحد ، وعبد البرز ، أمهما أم عامر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد^(١) .
وفي عبد الواحد يقول القطامي :

أهل المدينة لا يحزنك عالمهم إذا تخطأ عبد الواحد الأجل

قد يدرك التائي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولما مات أيوب ، ولي عهد سليمان بن عبد الملك قال [ابن] عبد الأعلى

- برثيه ، وكان من خواصه :

ولقد أقول لدى الشامة إذ رأى جزمي ومن يثق الحوادث يجزع

أبشير قد قرع الحوادث مروتي وأفرح بمروتك التي لم تفرع

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم أو يفجعوا بك إن بهم لم تفجع

أيوب من يشمت بموتك لم يطق عن نفسه دفعا وهل من مدفع

- ١٥ أخبار سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن اللدائي قال : لما بلغ فتية بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك

عزله عن خراسان وأستعمل يزيد بن المهلب ، كتب إليه ثلاث صحف ، وقال

لرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعا إلى يزيد فأدفع إليه هذه ، فإن شئتني

فأدفع إليه هذه . فلما سار الرسول إليه دفع الكتاب إليه ، وفيه : يا أمير

- المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أهلك وأخيك كيت وكيت . فدفع كتابه

إلى يزيد . فأعطاه الرسول الكتاب الثاني ، وفيه : يا أمير المؤمنين ، كيف

(١) في بعض الأصول : « عبد الأسد » مكان « أسيد » .

تأمن ابن دحمة^(١) على أسرارك وأبوه لم يثأمنه على أمهات أولاده ؟ فلما قرأ الكتاب شتمه وناول له يزيد . فأعطاه الثالث وفيه : من فتية بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . فوالله لأوثقن له آخية^(٢) لا ينزعها الله الأرن^(٣) . فلما قرأها قال سليمان : صجلنا على فتية ، يا غلام ، جدد له عهداً على خراسان .

٣٣٠
٧

ودخل يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، على سليمان . فقال له سليمان : أرى الحجاج أستر في قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أهلك وأخيك ، فضعه من النار حيث شئت . قال : فأمر به إلى الحبس ، فكان فيه طول ولايته .

١٠ قال محمد بن يزيد الأنصاري : فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، بعثني .

فأخرجت من السجن من حبس سليمان ، ما خلا يزيد بن أبي مسلم فقد رد . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولده يزيد بن عبد الملك إفريقية ، وأنا فيها ، فأخذت فأقني بي إليه في شهر رمضان عند الليل ، فقال : محمد بن يزيد ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذي مكنتني منك بلا عهد ولا عقد ، فطالما سألت الله أن

يُمكنتني منك . قلت : وأنا والله طالما أستمذت بالله منك . قال : فوالله ما أعاذك الله مني ، ولو أن ملك اللوت ساقني إليك لسبقته . قال : فأقيم صلاة المغرب ، فصلي ركعة ، فثارت عليه الجند فقتلوه ، وقالوا لي : خذ^(٤) أي طريق شئت .

وأراد سليمان بن عبد الملك أن يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه

٢٠ (١) هي دحمة بنت جديع ، أم يزيد بن المهلب . ولي بنس الأصول : « رجة » تحريف . (انظر القاموس مادة حم)

(٢) الآخية : عهد يبرئ في خاط ويطن طرفه فيه يسير وسطه كالسروة تعد إليه الفاية . وقيل هو أن يدفن طرفه قطعة من الجبل في الأرض وفيه غصية أو حديد يظهر منه مثل حربة تعد إليه الفاية . وهي في الأصول : « آخية » سواء ما أتبنا .

(٣) الأرن (كروح) : النقيط . وفي بنس الأصول : « الأرن مؤاخاة » .

(٤) في بنس الأصول : « خذ لي الطريق أي طريق شئت » .

تزوج سُعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار ،
وأشترى جارية^(١) بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد كُفرت أن أُضربَ
على يد هذا السفیه ، ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين باقية عاتكة :
يزيد وصروان !

- وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى إليه : أغرم دينك
خمسین مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمها
مائة مرة . فغفلها عنه يزيد بن المهلب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه
المهلب أيام بشر بن مروان ، وذلك أن بشراً هم^(٢) بالمهلب ، فكتب إليه
موسى يُعذره ، فتأرض للمهلب ولم يأته حين أرسل إليه .

- ١٠ وكان خالد بن عبد الله القسري والياً على المدينة للوليد ، ثم أقره سليمان ،
وكان قاضي مكة طلحة بن هرم ، فاختصم إليه رجل من بني شيبه ، الذين
إليهم مفتاح الكعبة ، يقال له الأحم ، مع ابن أخ له في أرض لها ، ف قضى للشيخ
على ابن أخيه ، وكان متصلاً بخالد بن عبد الله ، فأنبل إلى خالد فأخبره ، فقال
خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتاباً إلى سليمان
يشكو له خالداً ، ووجه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان إلى
١٥ خالد : لا سبيل لك على الأحم ولا ولده . فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على
خالد وقال : لا سبيل لك علينا ، هذا كتاب أمير المؤمنين . فأمر به خالد فحُرب
مائة سوط قبل أن يُقرأ كتاب سليمان . فبعت القاضي ابنته المضروب إلى سليمان ،
وبعث ثياباً التي حُرب فيها بدمائها . فأمر سليمان بقطع يد خالد . فكلّمه يزيد
ابن المهلب ، وقال : إن كان حُربه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تُقطع يده ،
٢٠ وإن كان حُربه قبل ذلك فمَقَوْ أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان
إلى داود بن طلحة بن هرم : إن كان حُرب الشيخ بعد ما قرأ الكتاب الذي

(١) هي جارية . (انظر الطبري) .

(٢) في بعض الأصول : « أحم » .

أرسلته فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابي فاضربه مائة سوط . فأخذ داود بن طلحة ، ثم قرأ الكتاب ، خالداً فضر به مائة سوط . فجزع خالد من الضرب ، فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم إليك يديك يا ابن النصارية . فقال : لهنأ الفرزدق ، وضم يديه ^(١) . وقال الفرزدق :

لعمري لقد ضمنت على من خالد شاكيب لم يصبين من صيب القطر ٥
فلولا يزيد بن الهلب خلقت بكفك فتضاء الجناح إلى الوكر ٣٣١
فردت أم خالد ^(٢) عليه تقول : ٧

لعمري لقد باع الفرزدق عرضه بحشف وصلى وجهه حامى الحجر
فكيف يساوى خالداً أو يشينه خميص من التقوى بطين من الحجر
وقال الفرزدق أيضاً في خالد القسري :

سوا خالداً ، لا قدس الله خالداً متى ملكك قسر قريشاً تدينها ؟
أقبل رسول الله أو بسد عهده فلك قريش قد أعث سميتها
رجونا هده ، لا هدى الله قلبه وما أمه بالأم يهتدى جنيتها
فلم يزل خالد محبوباً بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل ^(٣) بن الهلب .
فقال سليمان : لاحت بك الرجم أبا عثان ، إن خالداً جر عني غيظاً . قال :
يا أمير المؤمنين ، هبى ما كان من ذنبه . قال : قد فصلت ، ولا بد أن يمشى
إلى الشام راجلاً . فشى خالد إلى الشام راجلاً . وقال الفرزدق يمدح سليمان
ابن عبد الملك :

سليمان قيث المرحلين ومن به عن البائس المشكين حلت سلاسله
وما قام من بسد النبي محمد وعثان فوق الأرض راع يماثله ٢٠
جعلت مكان الجور في الأرض مثله من العدل إذ صارت إليك محامله

(١) في بعض الأصول : « وضمت يدي » .

(٢) في بعض الأصول : « أم الضمك » .

(٣) كذا في بعض الأصول والطبرى . والذي في سائر الأصول : « الفضل بن الهلب » .

وقد علموا أن لن يميل بك الهوى وما قلت من شيء فإنك فاعله
 زياد عن مالك : إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمر بن عبد العزيز :
 كذبت ! قال : والله ما كذبت منذ شددت على إزارى ، وإن فى غير هذا
 المجلس لستمة ، وقام متضجاً ، فتجهز بريد مصر . فأرسل إليه سليمان ، فدخل
 عليه ، فقال له : يا بن عمى ، إن للعانية تشق على ، ولكن والله ما أهمنى أمر .
 قط من دينى ودنياى إلا كنت أول من أذكره لك .

وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حيوة : قال لى سليمان : إلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : إلى
 عمر بن عبد العزيز . قال : كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين يا بنى عاتكة ، من
 كان منهما حياً ؟ قلت : فنجعل الأمر بعده ليزيد . قال : صدقت . قال : ١٠
 فكتب عهداً لعمر ثم ليزيد بعده .
 ولما قتل سليمان قال : أنتونى بقمى بنى أنظار إليهما . فأتى بهما ، فشرها
 فراكها تصاراً ، فقال :

إن بنى صبيبة صفاك أطلع من كان له كيار

١٥ فقال لعمر : (أطلع من تزكيتى . وذكر اسم ربه قتل) .

وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك أن نصرانيا أتاه وهو بدابق بزنبيل
 ملوه بيضا وآخر ملوه تيناً ، قال : فشروا ، ففعلوا . ففعل يا كل بيضة وبيضة ،
 حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصمة ملوه مخا بسكر ، فأكله . فأنجم
 فمضى فمات .

٢٠ ولما حج سليمان فأتى بحجرة مكة ، فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أنيت
 الطائف . فأناها ، فلما كان بسحق^(١) أتته ابن ألى الزهير ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) كذا فى الأصول . ولم نتر على مكان بهذا الاسم فى اللامع التى بين أيدينا .

اجعل بعض منزلك على . قال : كل منزلى ، فرمى بنفسه على الرمل . فقيل له :
يساق إليك الوطاء ؟ فقال : الرمل أحب إلى ، وأجيبه برده ، فألقى بالرمل
بطنه . قال : فأنى إليه بخمس رُمّانات فأكلها ، ثم قال : أعندكم غير هذه ؟
فجعلوا يأتونه بخميس بعد خمس ، حتى أكل سبعين رُمّانة . ثم أتوه بجذى
وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف ، فشر بين يديه ،
فأكل عاتته ، ونفس . فلما أُنْبِتِه ، أتوه بالنداء ، فأكل كما أكل الناس .
فأقام يومه ، ومن غد قال لعمري : أرانا قد أُشْرِدنا بالقوم . وقال لأبن أبى الزهير :
أُنْبِئني إلى مكة ، فلم يفعل . فقالوا له : لو أنبتَه ؟ فقال : أقول ماذا : أعطني بمن
قراى الذى قرئتكه !

٣٣٤
٧

- ١٠ المتبى عن أبيه عن الشَّردل وكيل [آل] ^(١) عمرو بن العاص قال : لما
قَدِمَ سليمان بن عبد الملك الطائف دَخَلَ هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب أبنة بستاناً
لعمرو . قال : فجال في البُستان ساعة ثم قال : ناهيك بمالك هذا مالاً ! ثم أتى
صدره على عُصْن وقال : ويلك يا شمرْدل ! ما عندك شيء تُطعمنى ؟ قلت : بلى ،
وأفقه عندى جَذى كانت تَنَدو عليه بقرّة وتروح أخرى . قال : عجّل به ، ويحك !
فأنبتَه به كأنه عُسْكَة ^(٢) تَمَن ، فأكله ، ومادما حَمَرَ ولا أبنه ، حتى إذا بقى
١٥ الفَخْذ ، قال : هلم أبا حَفْص . قال : أنا صائم ، فأنى عايه . ثم قال : ويلك
يا شمرْدل ! ما عندك شيء تُطعمنى ؟ قلت : بلى والله ، دجاجتان هِنْدِيَتان كأنهما
رَأَى التمام ^(٣) ، فأنبتَه بهما ، فكان يأخذ رجل الدجاجة فيلقى عظامها نَفْثَةً ،
حتى أتى عليهما . ثم رفع رأسه فقال : ويلك يا شمرْدل ! ما عندك شيء تُطعمنى ؟
٢٠ قلت : بلى ، عندى حريرة ^(٤) كأنها قُرْأَة ذهب . قال : صجّل بها ، ويلك !

(١) الفسكة من صيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٢٧) .

(٢) السفة : وطاء السن ، وهى أصغر من القرية .

(٣) رأى التمام : ولفه .

(٤) الحريرة : خرب من الطعام يخخذ من الحقيق يطبخ بلبن أو دسم .

فَأَتَيْتُهُ بِبُسٍّ^(١) يَتَغَيَّبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَجَعَلَ يَتَلَقَّهَا^(٢) بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ . فَلَمَّا فَرَغَ تَجَشَّأَ فَكُنَّا نَمَاحُصُ فِي جُبٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ ، أَرَفَعْتَ مِنْ عِبَادِي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ قَدْرًا . قَالَ : اتَّقَى بِهَا قَدْرًا قَدْرًا . قَالَ : فَأَكْثَرُ مَا أَكَلُ مِنْ كُلِّ قَبْرِ ثَلَاثَ لُقْمٍ ، وَأَقَلُّ مَا أَكَلُ لُقْمَةً . ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَلَقَى عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوَضَعَتِ الْخِوَانَاتُ ، وَقَعَدَ بِأَكْلِ^(٣) ، فَمَا أَنْكَرْتُ شَيْئًا مِنْ أَكْلِهِ .

خلافة عمر بن عبد العزيز

اللدائني قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ . وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ . وَوُلِيَ الْخِلاَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِمَشْرِخُولُونَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ . وَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسِتِّ بَعِينَ ١٠ مِنْ رَجَبِ بَدْرٍ ثَمَانٍ^(٤) مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ^(٥) سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

عَلَى بْنُ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ الْأَرْبَعِينَ . وَمَاتَ لَهَا . وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ يَزِيدُ بْنُ بَشِيرِ السَّكْنَانِيِّ . وَعَلَى حَرَسِهِ عَمْرُو بْنُ الْمُهَاجِرِ ؛ وَيُقَالُ أَبُو الْعِيَّاسِ الْمِلَالِيُّ . وَكَانَ كَاتِبَهُ عَلَى الرِّسَالِ ١٥ ابْنُ أَبِي رُقَيْعَةَ ، وَكَاتِبُهُ أَيْضًا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ . وَعَلَى خَاتَمِ الْخِلاَفَةِ نُسَيْمُ بْنُ أَبِي سَلَامَةَ . وَعَلَى الْخُرَاجِ وَالْجُنْدِ صَالِحُ بْنُ أَبِي جُبَيْرٍ . وَعَلَى إِذْنِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَسْوَدُ ، مَوْلَاهُ .

(١) البُسُّ (إفصم) : اللدح الكبير .

(٢) كُنَّا فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : وَتَلَقَّاهُ : أَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ . وَاتَّقَى فِي سَائِرِ الْأَسْوَلِ : ٢٠ « يَلْعَلُهَا » .

(٣) فِي حِصْنِ الْأَسْوَلِ : « وَأَذِنَ لِلنَّاسِ » مَكَانَ « بِأَكْلِ » .

(٤) دِرْ ثَمَانٍ (بِكسر الهمزة) : بَنَوْنِي دِمَشْقَ فِي مَوْضِعٍ تَرَاهُ وَبِأَمْنٍ مُحَقَّقَةٍ . وَعِنْدَهُ لُصُورٌ وَدُورٌ . وَعِنْدَهُ قَبْرُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(٥) فِي بَيْتِ الْأَسْوَلِ : « حَمْسٌ » . وَحَمْسٌ بَيْنَ حَلَبَ وَدِمَشْقَ . ٢٥

يعقوب بن داود التقي عن أشياخ من قتيب قال : قرئ عهد عمر بالخلافة ، ومُهر في ناحية ، فقام رجلٌ من قتيب يقال له : سالم ، من أخوال عمر ، فأخذ بضميه^(١) فأقامه . فقال عمر : أما والله ما الله أدت بهذا ، ولن تُصيب بها متى دنيا .

أبو بشر الخراساني قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس ، والله ما سألت الله هذا الأمر قط في سر ولا علانية ، فن كان كارهاً لشيء مما وليته فالآن . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أسرع فيما تَكْرَهُ ، أتريد أن تختلف ويضرب بعضنا بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله ! ولها أبو بكر وعمر وشان وعلى ولم يقولوا هذا ويقول عمر !

أخبار عمر بن عبد العزيز

بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويَسْكِي ، فَنَسَحَ نَحِيبةً بالبكاء وهو يقول : أبعد الثلاثة الذين وارىهم^(٢) بيدي : عبد الملك والوليد وسليان !

وقدم رجلٌ من خراسان على عمر بن العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيتُ في منامي ثلاثاً يقول : إذا ولي الأشج من بني أمية بملأ الأرض عدلاً كما ملأت جوراً . فولى الوليد ، فسألت عنه ، فقيل لي : ليس بأشج ، ثم ولي سليمان ، فسألت عنه فقيل : ليس بأشج . ووليت أنت ، فكنت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : فبالحق أنتم به عليكم ، أحق ما أخبرني ؟ قال : نعم . فأمره أن يُقيم في دار الضيافة . فكثت محوً من شهرين ، ثم أُرسل إليه عمر ، فقال : هل تدري لم احببناك ؟ قال : لا . قال : أُرسلتُ إلى بلدك لتسأل عنك ، فإذا ثناء صدقتك وعجبك عليك سواء ، فأصرف راشداً .

(١) الضج : البعد كلها ، أو وسطها .

(٢) في بعض الأصول : « يوارىهم » .

وكان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجرى على نفسه من الشيء درهماً . وكان عمر بن الخطاب يُجرى على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم . فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ فقال : إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالي يُشفيق .

- ولا ولي عمر بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أعدي (١) على هذا ، وأشار إلى رجل . قال : فم ؟ قال : أخذ مالي وشرب ظهري . فدعا به عمر ، فقال : ما يقول هذا ؟ قال صدق ، إنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك ، وطاعكم فريضة . قال : كذبت ، لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله ، وأمر بالأرض فردت إلى صاحبها .

- ١٠ عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره ، قال : كنت مع خالد بن يزيد بن معاوية في صحن بيت المقدس ، فلقينا عمر بن عبد العزيز ولا أعرفه ، فأخذ بيد خالد ، وقال : يا خالد ، أعلينا عين ؟ قلت : عليكما من الله عين بصيرة وأذن سمعية . قال : فأستل يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه وقصق . فقلت لخالد : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ، إن عاش فيؤشك أن يكون إماماً عادلاً .

- وقال زياد بن عبيدة : اشتريت لعمر قبل الخلافة مطراً (٢) بضمها ، فاستخشنته وقال : لقد اشتريته خشناً جداً ، واشتريت له بعد الخلافة كساءً بثمانية دراهم ، فاستلانه وقال : لقد اشتريته ليناً جداً .
- ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر وعليه ربيعة (٣) من رباط مصر ، فقال : بكم أخذت هذه يا أبا سميد ؟ قال : بكذا وكذا . قال : فلو نصمت من نخبها

(١) أعده عليه : نصره وأماه وقواه .

(٢) الطرف (ككسرهم بمعنى اسم الفصول) ؟ رداء من خز صريح ذو أعلام .

(٣) الربيعة : كل بلاية غير ذات لفتين كلها تسبج واحد ولفظ واحدة ، أو كل

نوب لين رقيق .

ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسلمة : إن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الحجة ، وأفضل التقوى ما كان بعد القدرة ، وأفضل الدين ^(١) ما كان بعد الولاية . وكان لعمري غلام يقال له دِرْزَمٌ يحتطب له ، فقال له يوماً : ما يقول الناس يا دِرْزَمُ ؟ قال : وما يقولون ؟ للناس ؟ كلهم يخبر وأنا وأنت بشر . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إني عهدتك قبل الخلافة عطرًا لثامًا ، فاره لأركب ، طيب الطعام ، فلما وليت رجوت أن أستريح وأتخلص ، فزاد على شدة وصيرت أنت في بلاء . قال : فأنت خُر ، فاذهب عني ، ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجًا .

١٠ ميمون بن مهران قال : كنتُ عند عمر فكثُر بكَاؤُهُ ومسألته ربه الموت ، فقلت : لم تسأل الموت ! وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً ، أحيا بك سُنْدًا وأمات بك يَدْعَا . قال : أفلا أكون مثل التمسيد الصالح حين أقرَّ الله عينه وسمع له أمره ، قال : (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ اللّٰهِ وَعَلِمَتْنِي مِّن تَأْوِيلِ الْاَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّٰلِحِيْنَ) .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز قال : إن نَدَبَكَ ^(٢) كانت مما أقام الله على رسوله ، فسألتها فاطمة رسول الله . فقال لها : ما لك أن تسأليني ولألى أن أعطيك . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان فكانوا يضمونها للواضع التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ولي معاوية فأقطعها مروان ، ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز ، فقسماها بيننا أئلافًا نأ والوليد وسليمان . فلما ولي الوليد سألتُه نصيبه فوهبه لي ، وما كان لي مالٌ أحب إلي منها ، وأنا أشهدكم أني قد رددتها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٣٤
٧

(١) في بعض الأصول : « اليد » .

(٢) الخطر الجلبشية (وقد ص ٢١٦) بن هذا الخبر .

وقال عمر : الأمور ثلاثة ، أمر استبان رُشدُهُ فَأُتِيْعَهُ ، وأمر استبان ضُرُّهُ فَأُجْتَنِيَهُ ، وأمر أشكل أمرُهُ عَلَيْكَ فَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ .

وكتب عمر إلى بعض مُحَمَّالِهِ : اللّوَالِي ثَلَاثَةٌ : مَوَالِي رَحِمٍ ، وَمَوَالِي عِتَاقَةٍ ، وَمَوَالِي عَقْدٍ ، فَوَالِي الرَّحِمِ يَرِثُ وَيُورِثُ ، وَمَوَالِي الْعِتَاقَةِ يُورِثُ وَلَا يَرِثُ ، وَمَوَالِي الْعَقْدِ لَا يَرِثُ وَلَا يُورِثُ ، وَمِيرَاثُهُ لِقِسْبَتِهِ .

وكتب عمر إلى مُحَمَّالِهِ : مَرُّوْا مَن كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَضَعُوا الْعِلَامَ ، وَيَلْبَسُوا الْأَكْسِيَةَ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَتْرَكُوا أَحَدًا مِنَ الْكُفَّارِ يَسْتَعِظِمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وكتب عمر بن العزيز إلى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةٍ عَامِلِهِ عَلَى الْمِرَاقِ : إِذَا امْكَنْتَكَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخَلْقِ فَادْكُرْ قُدْرَةَ الْخَالِقِ عَلَيْكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِمَّا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مُحَمَّالِهِ : مَرُّوْا مَن كَانَ رَقَبَتُكُمْ ، فَلَا يَبْقِ أَحَدٌ مِّنْ أَحْرَارِهِمْ وَلَا مَالِيَهُمْ ، صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى ، إِلَّا أَخْرَجَ عَنْهُ صَدَقَةً فِطْرَ رَمَضَانَ : مُدَّيْنِ مِّنْ قَعٍ ، أَوْ صَاعًا ^(١) مِّنْ تَمْرٍ ، أَوْ قِيَمَةَ ذَلِكَ نَصَفَ دَرَاهِمٍ . فَأَمَّا أَهْلُ الْمِعْطَاءِ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَعْطِيَتِهِمْ ، عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَهِيَ الْأَنْفُسُ ^(٢) . وَأَسْتَعْمَلُوا عَلَى ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِّنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ يَقْبِضَانِ مَا أَجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُقْسِمَانِهِ فِي تَسَاكِينٍ ^(٣) . أَهْلُ الْحَاضِرَةِ . وَلَا يَقْسِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر : إِنْ رَجُلًا شَتَمَكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَقَلَّهُ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : لَوْ قَتَلْتَهُ لَأَقْدَمْتُكَ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلٌ شَتَمَ بَيْعًا .

وكتب رجل من مُحَمَّالِ عُمَرَ إِلَى عُمَرَ : إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الصَّاعُ : أَرِيَّةُ أَمْدَادٍ ، وَيُقَدَّرُ بِالْكَيْلِ لِلْمِصْرِيِّ بِمِثْقَالَيْنِ وَثَلَاثِينَ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ « هِيَ الْأَنْفُسُ » . (٣) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ « مَسْكَنَةٌ » .

فلعلت على الماء ، فارتى فيها ؟ فكتب إليه : لسان الماء في شيء ، إن قامت عليها يينة وإلا خلّ سيلها .

وكان عمر بن العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة في المظالم فيروّده فيها . فكتب إليه : إنه يُحِيلُ لِي أُنَى لَوْ كَتَبْتُ لَكَ أَنْ تُعْطِيَ رَجُلًا شاةً لَكَتَبْتُ إِلَيْ : أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى ؟ وَلَوْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِأَحَدِهِمَا لَكَتَبْتُ إِلَيْ : أَصَغِيرَةٌ أَمْ كَبِيرَةٌ ؟ وَلَوْ كَتَبْتُ بِأَحَدِهِمَا لَكَتَبْتُ : ضَائِفَةٌ أَمْ مَمْرٌ ؟ فَلِذَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ فَتَفْذُ وَلَا تَرُدُّ عَلَيَّ . وَالسَّلَامُ .

وخطب عمر فقال : أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، والتسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها . إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذَكَرَ لِذَكَرِينَ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) .

وقال عمر لِبَنِي مُرَّوَانَ : أَذْوَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ وَلَا تُبْلِغُونِي إِلَى مَا أَكْرَهَ فَأُحْلِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ . فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ : أَجِيبُونِي . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ لَا تُخْرُجُ مِنْ أَمْوَالِنَا الْبَقِيَّةَ صَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ آبَائِنَا ، فَتُفْقِرُ أَبْنَاءُنَا وَتُكْفَرُ آبَائُنَا ، حَتَّى تَزِيلَ رُءُوسَنَا [أَجْسَادَنَا] . فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيَّ بِمَنْ أَسْأَلُ هَذَا الْحَقَّ لَهُ لَا ضَرَعَ خُدُودِي عَاجِلًا ، وَلَكِنِّي أَخَافُ الْفِتْنَةَ ، وَلَنْ أَبْقِيَ اللَّهَ لِأَرْدَنَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَ عُمَرُ إِذَا نَظَرَ إِلَى بَعْضِ بَنِي أُمَيَّةٍ ، قَالَ : إِنِّي أَرَى رَقَابًا سَرْدًا إِلَى أَرْبَابِهَا .

ولمات عمر بن عبد العزيز قتله مسلمة على قبره ، فقال : أَمَا وَاللَّهِ مَا أَسْنَتُ الرَّقَى حَتَّى^(١) رَأَيْتُ هَذَا الْقَبْرَ .

الشيء قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دَفْنِ سُلَيَّانِ بن عبد الملك
تَبِعَهُ الأُمُويُّونَ ، فَمَا دَخَلُوا إِلَى مَنْزِلِهِ ، قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : الأُمُويُّونَ بِالْبَابِ .
قَالَ وَمَا يَرِيدُونَ ؟ قَالَ : مَا عَوَّدْتَهُمُ الْخُلُقَاءَ قَبْلَكَ . قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَهُوَ
إِذْ ذَاكَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ : أَتَيْتُ لِي فِي إِبْلَاجِهِمْ عَنْكَ . قَالَ : وَمَا تَبْلَغُهُمْ ؟
قَالَ : أَقُولُ : أَبِي يُغَرِّمُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ : (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي
عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

زِيَادٌ عَنْ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِي ،
مَالِكٌ لَا تُنْفِذُ الْأُمُورَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي لَوْ أَنَّ الْقُدُورَ غَلَّتْ بِي وَبَكَ فِي الْحَقِّ . قَالَ
لَهُ عُمَرُ : لَا تَسْجَلْ يَا بَنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ ذَمَّ الْخَرْفَ فِي الْقُرْآنِ سَرَّيْنِ وَخَرَّهَا فِي الثَّانِيَةِ ،
وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَحْمِلَ الْحَقَّ عَلَى النَّاسِ جَلَّةً فَيُدْفِئُونَهُ جُلَّةً ، وَيَكُونَنَّ مِنْ
ذَلِكَ فَتْنَةٌ .

وَلَمَّا نَزَلَ بِسَبِّ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْوُتْ قَالَ لَهُ عُمَرُ : كَيْفَ تَجِدُكَ
يَا بَنِي ؟ قَالَ : أَجِدُنِي فِي اللَّوْثِ ، فَأَحْتَسِبُنِي ، فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ . فَقَالَ :
يَا بَنِي ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَكُونَ فِي مِيزَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي مِيزَانِكَ . قَالَ :
أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنْ يَكُونَ مَا تُحِبُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ ، ثُمَّ مَاتَ . فَلَمَّا
فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهِ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ : بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ يَا بَنِي ، فَلَقَدْ كُنْتُ سَارًّا مَوْلُودًا ،
وَبَارِئًا نَاشِئًا ، وَمَا أُحِبُّهُ أَتَى دَعْوَتَكَ فَأَجَبْتَنِي ، فَرَسَمَ اللَّهُ كُلَّ عِيدٍ ، مِنْ حُرِّ
أَوْ عَيْدٍ ، ذَكَرَ أَوْ أَتَى ، دَعَاكَ بِرَحْمَةٍ — فَكَانَ النَّاسُ يَتَزَمُّونَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
لِيَدْخُلُوا فِي دَعْوَةِ عُمَرَ — ثُمَّ انْصَرَفَ : فَدَخَلَ النَّاسُ يُبْرِزُونَهُ ، فَقَالَ : إِنْ الَّذِي
نَزَلَ بِسَبِّ الْمَلِكِ أَسْرًا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا وَقَعَ لَمْ نَعْكُوه .

وَوُفِّيَتْ أَسْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهَا دَنَا إِلَيْهِ رَجُلٌ
فَرْسِيٌّ ، فَلَمْ يَرَوْهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ آخَرَ فَلَمْ يَرَوْهُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَسْكَبُوا
وَمَشُوا مَسَّهُ . فَلَمَّا دَخَلَ الْبَابَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بَرْزِيهِمْ فَقَالَ : أَذْرَكْتُ النَّاسَ
وَمَنْ لَا يُبْرِزُونَ فِي الْمَرَأَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمًّا .

وفاة عمر بن عبد العزيز

مرض عمر بن عبد العزيز بأرض حصص ، ومات بدير سمعان ^(١) ، فبصر الناس أن يزيد بن عبد الملك سمعه ، دس إلى خادم كان يخدمه ، فوضع السم على ظفر إبهامه ، فلما استسقى عمر خمسه إبهامه في الماء ثم شربه ، فمرض مرضه الذي مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ، فلقد عطف علينا قلوباً كانت عنا نافرة ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً .

زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في الرضة التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك قطعت أفواه ولك من هذا المال ، وتركهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إلى أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤتهم إن شاء الله . فقال عمر : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبا القفر ^(٢) تحرفني يا مسلمة ، أما ما ذكرت أني قطعت أفواه ولدي عن هذا المال وتركهم عالة ، فإني لم أمنهم حقاً هو لم أعطهم حقاً هو ليسهم ، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي ، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتقى الله فجعل الله له من أمره يسراً وزرقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غفر وقبح ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه ، ادعوا إلى بيتي . فذعرهم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ، فجعل يستعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : بنفسى وثقة تركتهم ولا مال لهم . يا بيتي ، إني قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تحرون على مسلم ولا مساعد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله ، يا بيتي : من كنت

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٣١ من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : أبا القدر .

رأى بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن تدخل أبوك النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بني عصمكم الله ووزقكم . قال : فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر .

واشتري عمر بن عبد العزيز من صاحب دبر سمعان^(١) موضع قبره بأربعمائة درهم . ومرض تسعة أيام . ومات رضى الله عنه يوم الجمعة لحس بعين من وجب سنة إحدى ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك .

وقال جرير بن الخطفي يرنى عمر بن عبد العزيز :

يُنْعَى الثُّمَاءُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا بِأَخَيْرِ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَأَعْتَمَرَ
حَمَلَتْ أُمًّا عَظِيمًا فَأَصْطَبَرَتْ لَهُ وَسِرَتْ فِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ يَا عَمْرَا

فَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجْمُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرِ^(٢) ١٠
وَأُنْشِدَ أَبُو عُبَيْدٍ الْأَعْرَابِيَّ^(٣) فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

مُعَابِلُ^(٤) الْأَعْرَابِ فِي الطَّيِّبِ الطَّابِ^(٥)

بَيْنَ أَبِي الْعَاصِ وَأَكْلِ الطَّيِّبِ الطَّابِ

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب ، كما يقال : ذم وذام^(٦) .

(١) أنظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٣٩) من هذا الجزء .

(٢) في انصاف القمر والنجوم فوجه ثلاثة : أحدها أنه أراد : الشمس طالمة وليست مع طلوعها كاسفة بنجوم الليل والقمر الآن عظم الرزء قد سلها شوهها . والوجه الثاني أن يكون انصاف ذلك كما ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدمر ، فكانه أخبر بأن الشمس تبكيه بما طالمت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل يأكلن الشمس على هذا المثل ، فيكهن ، أي علقن في البقاء . (٣) أنظر أمالي للريثي ص ٢٩ .

(٤) في الأصول : « الأعرابي » . تحريف . ولقد مر هذا البيت (ج ٣ ص ٤٠١) . من هذه الطبعة منسوخاً لأعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز .

(٥) معابيل الأعرابي ، أي شريف من قبل أبيه وأمه فهو ابن عبد العزيز بن مروان بن الحسك بن أبي العاص ، وأمه أم عاص بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

(٦) في اللسان مادة طيب : « في الطاب الطاب » .

(٧) في الأصول : « ذم وذم » . بالفتح المهملة .

خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك . وأمه عائكة بنت يزيد
ابن معاوية ، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . ومات ببلاد
البيقاء^(١) يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن أربع
• وثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين
وشهرًا . وفيه يقول جرير :

مُرِبَاتٍ تَرَى الْمَلِكَ غَيْرَ مُقْتَصِبٍ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِنَّ لِلْمَلِكِ مُؤْتَسِبًا^(٢)

وكان على شرطه كعب بن مالك التميمي . وعلى الحرس غيلان أبو سعيد ،
مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر ، مولاه ، وكان فاسقًا . وعلى الخاتم الصغير بكته
١٠ أبو الحجاج . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبيرة الحمداني ، ثم عزله
وأستعمل أسامة بن زيد ، مولى كلب . وعلى الخزائن وبيوت الأموال هشام
ابن صناد . وحاجبه خالد ، مولاه .

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب الهول والقدرة ، وهو صاحب حباية وسلامة :
وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب .

أسماء ولد يزيد

الوليد ويحيى وعبد الله والتميم^(٣) وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم
وداود ، ولا عقب له ، والعمام ، ولا عقب له .
وكتب يزيد بن عبد الملك إلى عتال عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن
عمر كان مفروا ، غرتموه أتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار

(١) البقاء : كورة من أعمال دمشق : بين الشام وروادي الفري . (انظر نسيم البهتان) .

(٢) المؤتسب : الخاطو غير المبرج في نسبه . يقول : إن ملكك خال من آياتك

لا تشوه شأبه اعتداء وانقضاب .

(٣) في بنس الأصول هنا : « دولتهم » .

الحراج والصربية . فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهدہ وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجدبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام .

أبو الحسن للدائي قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك ، وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلب ، فمقدّ مسلة بن عبد الملك على الجيش ، ولعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق [قوم] إرجاف^(١) ، وقد خرجنا إليهم محاربين والأحداث تحدث ، فلو عهدت إلى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك : قال : غداً إن شاء الله . وبلغ مسلة الخبر ، فأتاه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أولاد عبد الملك أحب إليك أم أولاد الوليد ؟ قال : ولد عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : بل أخى ، إذا لم يكن^(٢) ولي ، أحب بها من ابن أخى . قال : يا أمير المؤمنين ، فإن أبنتك لم يبلغ ، فبايع هشام بن عبد الملك ولأبنتك الوليد من بعده . قال : غداً إن شاء الله . فلما كان من الغد بايع هشام ولأبنته الوليد من بعده ، والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . فلما انتفى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندّم [يزيد] على أستخلاف هشام ، فكان إذا نظر إلى أبنته الوليد قال : الله يبنى وبين من جعل هشاماً يبنى وبينك .

قال : ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبد الملك العراق لأخيه مسلة بن عبد الملك . فبعث هلال بن أخو المازني إلى قنذابيل^(٣) في طلب آل المهلب ، فالتقوا ، فقتل للفضل بن المهلب ، وانهمز الناس ، وقتل هلال بن أخو حسنة من ولد المهلب ، ولم يفتش^(٤) النساء ولم يقرض لمن ، وبميت الميالي .

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا غشوا في الأخبار السيئة وذكر القتل .

(٢) في بعض الأصول : « إذا كان » مكان « إذا لم يكن » .

(٣) قنذابيل : نضية بالسند ، وهي قصة لولاية يقال لها النضعة كانت فيها وفاة لهلال

بن أخو المازني على آل المهلب . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في بعض الأصول : « ولم يفتش على النساء » .

والأشهر إلى يزيد بن عبد الملك .

قال : حدثني جابر بن مسلم قال : لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي حمزة^(١) ، الذي يقال له كثير عزة ، قال :

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مجللاً أشدَّ عقابٍ أو عفا لم يُعزَّب
ففنوا أميرَ المؤمنين وحسبةً فأتكسب من صالحك بكتيب
أساءوا فإن تفرَّ فإنك قادرٌ وأعظم حليم حسبة حليم مُغضب
نفتهم قريش من أبلح مكة وذو يمن بالشرق المشطب
قال يزيد : لاحت بك الرحم ، لا سبيل إلى ذلك ، من كان له قبل
آل المهلب دمٌ فليقيم . فذهبهم إليهم حتى قتل نحو ثمانين .

قال : وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً يفتقمه ، فكتب إليه : إن
مثلي ومثلك كما قال الأول :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد
لمل الذي يئبى رداى ويرتجى به قبل موتي أن يكون هو الردى^(٢)
فكتب إليه هشام : إن مثلي ومثلك كما قال الأول :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو طائب
ومن يفتقم جاهداً كل عثرة يجدها ولا يبقى^(٣) له الدهر صاحب

فكتب إليه يزيد : نحن مفتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا
عنك ، مع حفظ وصية أئتنا عبد الملك ، وما حصى عليه من صلاح ذات البين .
وإني لأعلم أنك كما قال تمن بن أوس :

٢٠ (١) في بعض الأصول : « حاد » . بحريف .

(٢) ساق القائل في كتابه الأمال (ج ٣ ص ٢١٨) هذين البيتين مع خلاف في رواية هذا البيت وهو كما في الأمال :

فأعيش من يرجو رداى بشاري وما عيش من يرجو رداى بمخلبي
وزاد عليها ثالثاً وهو :

٢١ قل للذي يئبى خلاف الذي مضى تجهز لأخرى مثلهما فكان قد
(٣) في الأمال : « ولا يسل » .

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ^(١) عَلَى أَيْتَانِ تَعْدُو لِلنَّيْسَةِ أَوْلُ
وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيئِي قَدِيمًا لَدَوْ صَفَحَ عَلَى ذَاكَ مُجِيلُ^(٢)
سَتَقَطُّ فِي الثَّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَى كَفٍّ تَبْدُلُ
إِذَا سَوَّيْتَنِي يَوْمًا صَفَعْتَنِي^(٣) إِلَى غَدٍ لَيَقْعَبُ يَوْمًا مِنْكَ آخَرُ مُقِيلُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْمِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَنْقَلُ
وَرَزَكَ حُدَّ السِّيفِ مَنْ أَنْ تَصِيغَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَفْرَةِ السِّيفِ مَزْجَلُ
وَفِي النَّاسِ إِنْ رَفَّتْ حَبَالُكَ وَاصِلُ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلْبِ مُتَحَوِّلُ
فَلَمَّا جَاءَهُ الْكِتَابُ رَحَلَ هَشَامٌ إِلَيْهِ : فَلَمْ يَزَلْ فِي جَوَارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ
يَزِيدُ ، وَهُوَ مَعَ فِي عَسْكَرِهِ مَخَافَةَ أَهْلِ الْجَنَى .

١٠ محمد بن النّاز^(٤) قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَمِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ كَلَفًا مَحَبَّابًا كَلَفًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا
تُوُفِّيَتْ أُمُّ كَبٍّ عَلَيْهَا يَتَشَمُّهَا أَيَّامًا حَتَّى أَتَقَفَتْ ، فَأَخَذَ فِي جِهْلَازِهَا وَخَرَجَ بَيْنَ
يَدَيِ نَعَشِهَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْقَبْرَ نَزَلَ فِيهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِهَا لَصِقَ بِهِ^(٥)
مَسْلَعَةُ أَخُوهُ يَمَزِيهِ وَيُؤَنِّسُهُ^(٦) . قَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ أَبِي جُمَيْةٍ إِنْ كَانَ يَرَى
مَا نَحْنُ فِيهِ حَيْثُ يَقُولُ :

١٥ فَإِنْ تَسَلَّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعَ الْهَوَى فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو^(٧) عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ زَارِنِي فَهُوَ قَاتِلٌ مِنْ أَجْلِكَ : هَذَا مِثْلُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « لَأَوْحِدُ » . وَفِي بَعْضِ آخَرِ : « لَأَوْجِدُ » . وَالتَّصَوُّبُ مِنْ

سَائِرِ الْأَسْوِلِ وَشَرٌّ مِنْ طَبْعِ لَيْبِزِجٍ وَالْأَمَالِ .

(٢) كَلَفًا فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ وَشَرٌّ مِنْ الْأَطْلِ وَالْقَى فِي سَائِرِ الْأَسْوِلِ : « قَدِيمًا
وَلَا صُلَحَ عَلَى ذَاكَ بِجَمَلٍ » .

(٣) فِي الْأَسْوِلِ : « رَجَعْتُ » . وَمَا أَتَيْتَا مِنْ شَرٍّ مِنْ الْأَمَالِ .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « مُحَمَّدُ بْنُ النَّازِزِ » تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « إِلَيْهِ » .

(٦) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « وَيُؤَنِّسُهُ » .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَسْوِلِ : « أَسْلُو » .

قال : وطعن^(١) في جنازتها ، ندقناه إلى سبعة عشر يوماً .

خلافة^(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم يُويع هشام بن عبد الملك بن مروان — يُكنى أبا الوليد . وأمه أم هشام بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام الخزوي — يوم الجمعة لحس ليالى بَقِين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الأربعاء ثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد . وكانت خلافته عشرين سنة .

أسماء ولد هشام بن عبد الملك

معاوية وخلف ومسلمة وعبد الله وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد — وهو
الأبكم — ومروان وإبراهيم ويحيى^(٣) ومُنذر وعبد الملك والوليد وقريش
وعبد الرحمن^(٤)

وكان على شرطته كعب بن عامر القمي . وعلى الرسائل سالم ، مولاه .
وعلى خاتم الخلافة الربيع ، مولى لبني الحرث ، وهو الربيع بن سائور . وعلى
الخاتم الصغير أرباضيد ، مولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد^(٥) ،
ثم عزله وولى الخنثحات . وعلى إذنه غالب بن مسعود ، مولاه .

أخبار هشام بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني ، قال : كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه أن

- (١) طين (بالبناء للجهول) : أي أسماه الطاعون . (٢) في بعض الأصول : « ولاية » .
(٣) في بعض الأصول : « وعبد » . وما أتينا من سائر الأصول وجهه أنساب العرب .
(٤) ذكر ابن خزيمة أولاد هشام ستة عشر كما في الأصول . غير أنه ذكر عتبان
وعبد الله مكان إبراهيم ومنذر . وذكر كرم اليعقوبي في تاريخه عمدة فلم يذكر يحيى
وعتبان وخلفا والوليد وعبد الله وعبد الملك . ووافقه في ذلك ابن تقي في المعارف
فذكر أنهم عمدة واجتزأ بذكر بعضهم .
(٥) في بعض الأصول : « أسامة بن يزيد » .

عائشة بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام بن الوليد بن النخيرة للخزوي فقلت رأسه قطعته عشرين قطعة . ففقه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيب ، فقضىها عليه . فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشة أم هشام حَقَّاء ، نطقها عبدُ الملك لَحَقَّها ، وولدت هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك أكلٌ من هشام .

- قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بعد أن سَخَطَ على خالد بن عبد الله القسريّ وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق ، فلما دخلتُ عليه أَسْتَدْنَانِي حتى كُنْتُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَنَفَسَ الصُّكْدَاءُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا خَالِد ، رَبُّ خَالِدٍ قَدْ مَقَدَّكَ هَذَا أَشْهَى إِلَيَّ حَدِيثًا مِنْكَ . فَمَلَّتْ أَنَّهُ يَرِيدُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَغْلَا تُعِيدُهُ ؟ قَالَ : ١٠ هِيَات ، إِنْ خَالِدًا أَذَلَّ فَأَمِلْ ، وَأَوْجِبْ فَأُجِبْ ^(١) ، وَلَمْ يَدَعْ لِرَاجِعٍ ^(٢) مَرْجَاً ، عَلَى أَنَّهُ مَا سَأَلَنِي حَاجَةً قَطْ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ أَذْنَيْتَهُ فَتَفَضَّلْتُ ^(٣) عَلَيْهِ ؟ قَالَ : هِيَاتِ أَوْ أُنْشِدْ :

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ النَّفْسِ لَمْ تَكُنْ

- عليه ^(٤) بَوَاحٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ ١٥

قال أُمَيْيغُ بْنُ الْفَرَجِ : لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي مُرْوَانَ مِنْ مُلُوكِهَا أَعْطَرَ وَلَا أَلْبَسَ مِنْ هِشَامٍ ، خَرَجَ حَاجِجًا فَصَلَّ ثِيَابَ طَهْرِهِ ^(٥) عَلَى سِتْنَاءَ جَمَلٍ . وَدَخَلَ الدِّينِيَّةَ ، فَقَالَ لِجَلٍّ : انْظُرْ مَنْ فِي السَّجْدِ . فَقَالَ : رَجُلٌ طَوِيلٌ أَذَلُّ ^(٦) . قَالَ : هَذَا سَلَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَدَعَهُ . فَأَنَاءَ ، فَقَالَ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ شِئْتَ أَرْسِلْ

- (١) الإيجاف : سرعة البصر . والإيجاف : الإهمال . وفي بعض الأصول : « وأوجب » .

(٢) في بعض الأصول : « المرجع » . (٣) في بعض الأصول : « قد آذبه فلو تفضلت » .

(٤) في بعض الأصول : « تسكن إليه » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشعر من .

(٥) في بعض الأصول : « طهره » .

- (٦) كذا في بعض الأصول . والأدمل : الآدم والشديد السواد . وأقوى في سائر الأصول : ٢٥ « آدم أدمل » .

فتوفي بلبياك . قال : ويحك ! أتيت الله زائراً في رداء وقميص ولا أَدْخُلُ بهما على هشام ! فدخل عليه ، فوصله ببشرة آلاف . ثم قَدِمَ مكة فقصى حجّه ، فلما رجع إلى المدينة ، قيل له : إن سالماً شديدُ الرجح ، فدخل عليه وسأله عن حاله . ومات سالمٌ فصلّى عليه هشام ، وقال : ما أَدْرِي بأى الأسمرين أنا أسْرٌ : بِحِجَّتِي أَمْ بِصَلَاتِي عَلَى سَالِمٍ .

٣٣٩
٢

قال : ووقف هشامُ يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له ، فسمع نفضَ الزيتون ، فقال لرجل : أنطلق إليهم فقل لهم : التقطوه ولا تنفضوه ، فنفقوا عُيونُه ، وتكسروا عُصونُه .

وخرج هشامُ هارباً من الطاعون ، فأتته إلى دبر فيه راهب ، فأدخله الراهبُ بستانه ، فجعل يَنْتَقِي له أطيبَ الفاكهة والبالغ منها . فقال هشام : يا راهب ، هَبْنِي بستانك هذا . فلم يجبه . فقال : مالك لا تتكلم ؟ قال : وَدِدْتُ أَنْ الناسَ كلَّهم ماتوا غيرك . قال : ولم ؟ قال : لعلك أن تشبع . فالتفت هشامُ إلى الأبرش فقال : أسمع ما يقول ؟ قال الأبرش : بلى والله ، ما ^(١) لقيك حرٌّ غيره .

١٥ المُنْبِيُّ قال : إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيمُ ابن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قصدا بين يديه ، فقال الحرسى ^(٢) : إن أمير المؤمنين جرّاني ^(٣) في حُصُومَةٍ بينه وبين إبراهيم . قال القاضي : شاهدك على الجراية ^(٤) . فقال : أتراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه إلا هذه الستارة ؟ قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة . قال : فقام ، فلم يلبث حتى قصفت الأبوابُ وخرج الحرسى ، فقال : هذا أمير

(١) في بعض الأصول : « لا » .

(٢) الحرشي : واحد حرس السلطان .

(٣) يقال : جرى (بالضم) وأجرى ، إذا أرسل وكبلا . وفي بعض الأصول :

« جرّاني » بالهمز . تصحيف .

(٤) الجراية (بالفتح والكسر) : الركاثة . وفي بعض الأصول : « الجراة » .

المؤمنين . قال : فقام القاضي ، فأشار إليه فقام ، وبسط له مصلى فقام عليه هو وإبراهيم ، وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال : فتكلموا وأحضرت البيعة ، فحضر القاضي على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخلق ، فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحبك عن عظمك . قال : أما والله لننزلت لتعضته بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق . قال له : استرحا على يا إبراهيم . قلت : لا ستر الله على ذنبي ^(١) . إذا يوم القيامة . قال : إنني معطيك عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسقرتها عليه طول حياته ثم لما أخذت منه وأخذتها منه بعد موته تزيينا له .

١٠ وكروا عن الحميم بن عدسي قال : كان سميد بن هشام بن عبد الملك عاملاً لأبيه على شخص ، وكان يزني بالنساء والشراب ، فقدم جمعي ^(٢) لهشام ، فلقبه أبو جعد الطائي ^(٣) في طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس ، فإني لا أعلم بمكان شغلها ، على أن تبليغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ، ليس فيه حاجة بمائة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام سأله : ما قصة هذه الفرس ؟ فأخبره . فقال : هات الكتاب ، فإذا فيه : ١٥

أبليغ إليك أمير المؤمنين قد أتدكتنا بأمر ليس علينا حقاً ولا يخالف همّاً في حليته وعند صاحبه يستقي الطلاب ^(٤) ديناً فطأخراً الكتاب بحث إلى سميد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاه بالخبر فزانه وقال : يا بن النخيلة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ! وإليك الأعجرت أن تغجر فجور فريش ؟ أو تدرى ما صبور فريش لا أم لك ؟ فقل هذا ، وأخذ مال هذا ، ٢٠ والله لا تلي لي علاجاً حتى تموت . قال قال : فما ولي له علاجاً حتى ملت .

(١) في بعض الأصول : « ذنبي » . (٢) في بعض الأصول : « شخص » .

(٣) في بعض الأصول : « أبو جعد الطائي » .

(٤) الطلاب : الكتبة ، وفنن الصنعة : الحرف .

أحمد بن عبيد قال: أخبرني هشام الكلبي عن أبي محمد بن سميان القرشي^(١) عن أبيه قال: كنتُ عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وقد أهل الحجاز، وكان شبابُ الكتاب إذا قدم الوفدُ حضروا لأستماع بلاغة خطيبهم، فحضرتُ كلامهم، حتى قام محمد بن أبي الجهم بن حذيفة التدوي^(٢)، وكان أعظم القوم قدراً وأكبرهم سناً، فقال: أصلى الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت، وأكثرت وأطبت، والله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أعصى خطيبهم فضلك، وإن أذنت في القول قلت؟ قال: قل وأوجز. قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزيتك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي حوائج، أفأذكرها؟ قال: هاتها. قال: كبر سق، وقال الدهر متى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، ويثني قري، فقل. قال: وما الذي يثني قهرك، ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: فأطرق هشام طويلاً ثم قال: يا بن أبي الجهم، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت، ثم قال له: هيه. قال: ما هيه؟ أما والله إن الأسر لواحد^(٣)، ولكن الله آتاك بمجلسك، فإن تعطينا حقنا أديت، وإن تمنعنا فقبال الله الذي بيده ما حوت. يا أمير المؤمنين، إن الله جميل الطعام محبة، ولأنع متبضة. والله لأن أحبك أحب إلى من أن أبغضك. قال: فآلف دينار لماذا؟ قال: أقضى بها ديناً قدحان قضاؤه، وقد عتاني حله، وأضر بي أهله. قال: فلا بأس، ننقس كربة، ونؤدى أمانة. وألف دينار لماذا؟ قال: أنزوج بها من تبلغ من ولدي. قال: نيم للسلك سلكك، أغضضت بصرك، وأغضضت ذكرك، وأمرت^(٤) نسلًا. وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضاً

(١) له زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. (انظر الطبري).

(٢) ليس هو محمد بن أبي الجهم الذي مر ذكره في هذا الجزء. فقد توفي هذا الأخير سنة ٦٣ أي قبل موت هشام بسنوات عدة.

(٣) في بعض الأصول: «لو آل أحد».

(٤) كذا في بعض الأصول وسبح الأعمى (ج ١ ص ٢٦٤) والأمال (ج ١ ص ٢٤٧). وأمرت: أكرمت. والذي في سائر الأصول: «وفت».

- يمش بها ولدي ! وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخراً لى بصدى .
 قال : فإننا قد أسرنا لك بما سألت . قال : فالحمد لله على ذلك ، وخرج .
 فأتبعه هشام بصرة ، وقال : إذا كان القرشى فليكن مثل هذا ، ما رأيت
 رجلاً أوميز في مقال ولا أبلغ في بيان منه . ثم قال : أما والله إننا لنعرف الحق
 إذا نزل ، ونسكركه الإمراف والتبطل ؛ وما نُعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقصيراً ؛
 وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمنلوه على عبادته ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا
 منع أبقنا ؛ ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ؛ ما جئنا قاتلاً ،
 ولا زددنا سائلاً . ونسأل الذى بيده ما أستحفظنا أن يُعجز به على أيدينا . فإنه
 يُيسر الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه بعباده خير بصير . فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
 لقد تكلمت فأبلفت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال : إنه مُبتدئ وليس
 المُبتدئ كالمُتدنى ^(٢١) .

- وذكروا أن العباس بن ^(٢٢) الوليد وجماعة من بني مروان اجتمعوا عند هشام ،
 فذكروا الوليد بن ^(٢٣) يزيد وعابوه وذمّوه ، وكان هشام يُبغضه ^(٢٤) ، ودخل الوليد ،
 فقال له العباس : يا وليد ، كيف حبّك الرومىات ، فإن أهلك كان مشغولاً بهن ؟
 قال : كيف لا يكون وهن يلدن مثلك ؟ قال : ألا تسكت يا بن البظراء ؟
 قال : حسبك أيها المُفتخر علينا بمقتله أمة .

وقال له هشام : ما شراك يا وليد ؟ قال : شراك يا أمير المؤمنين ، وقام
 ففرج . فقال هشام : هذا الذى زعمتموه أحق !

وقرب الوليد بن يزيد نفسه لجمع جرائمه ^(٢٥) ووثب على سرجه ، ثم التفت

- ٢٠ (١) : في بعض الأصول : « بقى » .
 (٢) : في بعض الأصول : « لاه سبى وليس البطل كاللحل » .
 (٣) : في بعض الأصول : « عباس والوليد » . تحريف .
 (٤) : في بعض الأصول : « أمورا من يزيد » . مكان « الوليد بن يزيد » .
 (٥) : في بعض الأصول : « بفضله » .
 ٢٥ (٦) : جرائم الرجل : جنمه وأخطائه . وقال : جمع جرائمه ، إذا عيش لب .

إلى ولد هشلم ، وقال له : هل قدر أبوك أن يمنع مثل هذا ؟ قال : لأبي مائة عبد يضمنون مثل هذا . فقال الناس : لم يُصغره في الجيوب .

المعنى عن أبيه ، قال : سمعت معاوية بن عمرو^(١) بن عتبة يحدث ، قال : إني لقاعد بباب هشام بن عبد الملك ، وكان الناس يتفرقون إليه بغيب الوليد ابن يزيد ، قال : سمعت قوماً يمينونه ، قلت : دعونا من غيب من يلزمنا مدحه ، ووضع من يجب علينا رثمه . وكانت لهوليد بن يزيد عيون لا يبرحون بباب هشام ، فنقلوا إليه كلام القوم ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى راح إلى مولى لهوليد ، قد ألحف على ألف دينار ، فقال لي : يقول لك مولاي : أتفق هذه في يومك ، وغداً أملك . قال : فثلثت رغباً من هشام وخشيت

سلطته ، ورماء الله بالماله ندفاه ثمانية عشر يوماً بعد ذلك اليوم . فلما قام الوليد بعده دخلت عليه ، فقال لي : يا بن عتبة ، أتراني ناسياً فمؤدك بباب الأحوال يهذي وتبني ، ويصغى وترفعني ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، شاركت قومك في الإحسان^(٢) ، وتفردت دونهم بإحسانك إلى ، فلست أجد لك نقى في أجتهد ، ولا أعذرهما في تقصير ، وتشهد بذلك السنة الجازين بنا ، ويسدق قولهم الفصال منا^(٣) . قال : كذلك أتم لنا آل أبي سفيان ، وقد أقطعتك ما لي بالبنية^(٤) وما أعلم لقرشي مثله .

وقال عبد الله بن عبد الحكم^(٥) فقيه مصر : سمعت الأشياخ يقولون : سنة خمس وعشرين ومائة أديله من الشرف وذهبت الشروة ، وذلك عند موث هشام بن عبد الملك .

- ٢٠ (١) كنا في بعض الأصول والطبرى . والى في سائر الأصول « معاوية بن عمرو » .
(٢) في بعض الأصول : « في إحسانك إليهم » مكان « في الإحسان » .
(٣) في بعض الأصول : « في الفصال منا » .
(٤) البنية لإزالة عيب أو كسر التوفيق أو ما عده : « اسم لخية من نواحي دمشق » .
(٥) كنا في بعض الأصول والديباج للنصب . والى في سائر الأصول . « عبد الله ابن الحكم » .

قال أبو الحسن المدائني : مات هشامُ بن عبد الملك بالدمشق يوم الأربعاء ،
بالإضافة في ربيع الآخر لستَ خلونَ منه ، سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلى
عليه مسلمة بن هشام أو بعضُ ولده ، واشترى له كفن من الشوق .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

- بُويعَ لوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لثلاث خلونَ من ربيع
الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وأمه أمُ الحجاج بنت محمد بن يوسف ، أختُ
الحجاج بن يوسف . وقُتل بالقيسرية ^(١) ، من تدمر على ثلاثة أميال ، يوم الخميس
لثلاثين بقينا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن خمس
وثلاثين ، أو ست وثلاثين .
- ١٠ قال حاتم بن مسلم : ابن خمس وأربعين وأشهر . وكانت ولايته سنة
وشهرين وأثنين وعشرين يوماً . فأولُ شيءَ نظر فيه الوليدُ أن يكتب إلى
المباسب بن الوليد بن عبد الملك أن يأتي الرضافة فيمضي ما فيها من أموال
هشام وولده ، ويأخذُ عماله وحشبه ، إلا مسلمة بن هشام ، فإنه كتب إليه أن
لا يتطرس له ولا يدخل منزله . وكان مسلمة كثيراً ما يكلم أباه في الرفق بالوليد .
- ١٥ ففعل المباسب ما أمره به . وكتب الوليدُ بن يزيد إلى يوسف بن عمر ، فقدم عليه
من العراق ، فذفع إليه خالد بن عبد الله القسري ومحمداً وإبراهيم ، أبني هشام بن
إسماعيل المخزومي ، وأمره بقتلهم . فحدث أبو بشر بن الدرري قال : رأيتهم قديم
بهم يوسف بن عمر الجبيرة ، وخالد في عبادة في شق تحمّل ، فضربهم حتى قتلهم .
ثم حكف الوليدُ على البطالة وحُبِّ القيان والملاهي والشراب ومُماشاة
النساء ، فتشقى ^(٢) سُمدي ^(٣) بنت سميد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فزوّجها
- ٢٠ ثم تشقى ^(٤) أختها سلمى ، فطلق أختها سُمدي وزوّج سلمى ، فرجعت

(١) في بعض الأصول : « المبراء » وما أفتتا من سائر الأصول والطبري وسجع البلدان .

(٢) في بعض الأصول : « فضاضى » .

(٣) في الأغانى (ج ١٧ ص ١٩) طبعة بلاط : « سعدة » .

سُمدى إلى المدينة فزوّجت بِشْر بن الوليد بن عبد الملك . ثم نَدِم الوليدُ على فراقها وكَلِفَ بِحُجَّتِهَا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَشْعَبُ الصَّمْحَكُ ، قَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : هَلْ لَكَ عَلَى أَنْ تُبَلِّغَ سُمْدَى عَنِّي رِسَالَةً وَلَكَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : هَاتِيهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ . فَتَقَبَّضَهَا وَقَالَ : مَا رِسَالَتُكَ ؟ قَالَ : إِذَا قَدَسْتَ لِلدِّينَةِ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا ، وَقُلْ لَهَا : يَقُولُ لَكَ الْوَلِيدُ :

أَسْمَدَى مَا إِلَيْكَ ^(١) لِنَاسِكَيْلٍ وَلَا ^(٢) حَقِّي الْقِيَامَةَ مِنْ تَلَاقِي

كَيْلٍ ، وَلَدَلْ دِهْرًا أَنْ يُؤَاكِي بِمَوْتٍ مِنْ حِلْيَتِكَ أَوْ فِرَاقِي ^(٣)

فَأَتَاهَا أَشْعَبُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ لَا يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا بَدَأَ لَكَ فِي زيارَتِنَا يَا أَشْعَبُ ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، أُرْسِلُنِي إِلَيْكَ الْوَلِيدُ بِرِسَالَةٍ . قَالَتْ : هَاتِيهَا . فَأَنشَدَهَا الْبَيْتَيْنِ . قَالَتْ لِحَوَارِيهَا : خُذْنِ هَذَا الْخَلِيْبُ . ١٠
وَقَالَتْ : مَا جَرَأَكَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ؟ قَالَ : إِنِّي بَاشِرٌ مِنْ أَلْفَا مَعْجَلَةٍ مَقْبُوضَةٍ . ٣٤٢
قَالَتْ : وَاللَّهِ لِأَجَلِدَنَّكَ أَوْ لَتَبَلِّغَنَّهُ كَمَا أَبْلَغْتَنِي عَنْهُ . قَالَ : فَاجْعَلِي لِي جُمْلًا . ٧
قَالَتْ : بِسَاطِي هَذَا . قَالَ : فَقَوَى عَنْهُ . قَامَتْ عَنْهُ ، وَطَوَى الْبِساطَ وَضَعَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِي رِسَالَتَكَ . فَقَالَتْ لَهُ : قُلْ لَهُ :

أَتَبْكِي عَلَى سُمْدَى ^(٤) وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا قَدْ ذَهَبَ سُمْدَى ^(٥) ، فَمَا أَنْتِ صَانِعٌ ؟ ١٥

فَلَمَّا بَلَغَهُ الرِّسَالَةَ كَلَّمَ النَّمِيطَ عَلَى أَشْعَبٍ ، وَقَالَ : أَخْتَرُ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ إِحْدَاهَا : إِمَّا أَنْ أَقْتَلَكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَطْرَحَكَ لِلسَّبَاعِ فَتَأْكُلُكَ ، وَإِمَّا أَنْ أَقْتَلَكَ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ ؟ فَقَالَ أَشْعَبُ : يَا سَيِّدِي ، مَا كُنْتُ لَتَصُدِّبَ عَيْنَيْنِ نَظَرَتَا إِلَى سُمْدَى . فَضَحِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ سَلْمَى حَتَّى قُتِلَ عَنْهَا . وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي سَلْمَى :

شَاعَ شِغْرِي فِي سَلْمَى وَظَهَرَ وَزَوَاهُ كُلُّ بَدْوٍ وَحَصَرِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَسْمَدَى حَل » مَكَان « أَسْمَدَى مَا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَمَل » . (٣) فِي الْأَغَانِي : « طَلَق » .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « الْبَيْت » . وَذَكَرَ الْبَيْتَ لِنَهْشِ بْنِ فَرِيقٍ فِي لَبْنَاهُ . وَبِجَزْءٍ « وَكُنْتُ » .

كَانَتْ حَفَهِ وَهُوَ طَلَقَ . (انظر الْأَغَانِي خ ٨ ص ١٣٢ طَبْعَةُ بَلَدِي) .

وَتَهَادَتْهُ النَّوَائِي بَيْنَهَا
لَوْ رَأَيْنَا مِنْ سُلَيْمَى أَمْرًا
وَأَتَّخَذْنَاهَا إِمَامًا مَرْتَفَعِي
إِنَّمَا بِنْتُ سَمِيدٍ قَرُ
وَتَقْتَنِينَ بِهِ حَتَّى أَتَشْرَ
لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ لِلْأَثَرِ
وَلَسَكَاتِ حَجَبْنَا وَلِلْعَتَمَرِ
هَلْ حَرَجْنَا إِنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرِ

وفيها يقول قبل تزوجه لها :

حَدِّثُوا أَنَّ سُلَيْمَى
فَإِذَا طَهَّرْتُ تَلِيحُ
فَوْقَ غُضَنِ يَتَقَلُّ
قُلْتُ : يَا طَيْرُ أَذْنُ مَنِي
فَدَنَا نَم تَدَلِي
قُلْتُ هَلْ تَعْرِفُ سُلَيْمَى
فَنَكَاحِي الْقَلْبَ كَلِمًا^(١)
بِأَحْسَنِ نَم تَحْفَلُ^(٢)

وقال في سُلَيْمَى قبل تزوجه لها :

لَمَلَّ اللَّهُ يَجْمَعُنِي بِسُلَيْمَى^(٣)
وَيَأْتِي بِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا
أَلَيْسَ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ
فَيُرْسِلُ دِيمَةً مِنْ بَدَنِي هَذَا
فَيُرْسِلُ دِيمَةً مِنْ بَدَنِي هَذَا
فَيُرْسِلُ دِيمَةً مِنْ بَدَنِي هَذَا
فَيُرْسِلُ دِيمَةً مِنْ بَدَنِي هَذَا

وقال فيها بعد تزوجه لها :

أَنَا فِي يُنْمَسِي يَدَيْهَا
إِنِّ هَذَا الْقَضَاءُ
لَيْتَ مَنْ لَامَ مُحِبًّا
فَأَسْتَرَّاحَ النَّاسُ مِنْهُ
وَمَنْ فِي يُسْرَى يَدَيْهِ
غَيْرُ عَدْلٍ إِلَّا أَخِيهِ
فِي الْحَوَى لَأَقَى مِنْهُ
مَيْتَةً غَيْرَ مَوْتِهِ

قال : ولهج الوليدُ بالنساء والشراب والصَّيد ، فأرسل إلى المدينة فعملوا
له المُتَنِّينَ ، فلما قرأوا منه أصر أن يدخلوا المسكر ليلاً ، وكره أن يرام الناس ،

(١) نكاحاً ، بالهمز وسهل للشر . وفي بعض الأصول : « ضللي القلب كلاماً » .

(٢) في الأصلاني : « تحلي » .

(٣) في بعض الأصول : « لعل الله أن يأتي بهلي » .

فَأَتَاكَمُوا حَتَّى أَسَمَوْا غَيْرَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَائِشَةَ ^(١) ، فَإِنَّهُ دَخَلَ نَهَارًا ، فَأَمَرَ الْوَلِيدَ بِحَبْسِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى شَرِبَ الْوَلِيدُ يَوْمًا فَطَرِبَ ، فَكَلَّمَهُ مَعْبُدٌ ، فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِإِخْرَاجِهِ ، وَدَعَاهُ فَضَلَّاهُ فَقَالَ :

أَنْتَ ابْنُ مُسْلَطَحِ الْبَطَاحِ وَلَمْ تَطْرُقْ عَلَيْكَ الْحَقُّ وَالْوُجُوهُ (٣)
فَرَضَ عَنْهُ ، وَكَانَ سَيْدَ الْأَحْوصِ وَمَعْبَدَ جِبْنِ قَدَمَا عَلَى الْوَلِيدِ زَلَا
فِي الطَّرِيقِ عَلَى غَدِيرٍ وَجَارِيَةٍ تُسَمَّى ، فَزَاغَتْ بِأَنْ تَكُنْزَنَ الْجَبْرَةُ فَجَلَسَتْ تَقَى :
يَا بَيْتَ مَانِكَةِ الَّتِي أَنْزَلَ حَذَرَ الْعَدَا وَهِيَ الْفَوَادُ مَوْكَلُ (٤)

$$\frac{323}{2}$$

فقال لها : يا جارية ، لمن أنت ؟ فقالت : كُتبت لآل الوليد [بن عتبة]
بالمدينة فاشتراني مولاى ، وهو من بنى عامر بن صعصعة ، أحد بنى الوحيد من
بنى كلاب ، وعنده بنتٌ مُمٌ له فوهبني لها ، فأُسرَني أن أسقى لها . فقالا لها :
فلن الشر ؟ قالت : سمعتُ بالمدينة أن الشرَّ للأحوص ، والفناء لمبعد . فقال
مُبعد للأحوص : قُل شيئاً أُعْطِيَ عليه . فقال :

إِنَّ زَيْنَ الْعَدِيرِ مِنْ كَسْرِ الْجُرِّ وَفَقِيَ غِنَاهُ، فَعَلَّاهُ مُجِيدٌ
 قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا تَلِيحَةُ؟ قَالَتْ: كُنْتُ فِيهَا مَقْفَى لَأَلِ الْوَلِيدِ
 ثُمَّ قَدْ صِرْتُ بَعْدَ عَزِّ قُرَيْشٍ فِي بَنِي عَامِرٍ لَأَلِ الْوَجِيدِ
 وَغَنَائِي لِمُبِيدٍ وَنَشِيدِي لِقَتَى النَّاسِ الْأَحْوَسِ السَّنِيدِ
 فَضَاجَكْتُ ثُمَّ قُلْتُ: أَنَا الْأَحْوَسُ وَالشَّيْخُ مُبِيدٌ فَأُمِيدِي
 نَاعَاتِي. وَأَحْسَنْتُ ثُمَّ وَلَّتْ تَهَادَى قُلْتُ: أَمْ سَبِيدِ

10

(١) في بعض الأصول : «عبد بن أبي عاقلة» . وما أتينا من سائر الأصول والأغاني .
 (٢) الاستنطاق : الطول والرسن . والحق : الأذنة . والإرج : مطاف الرادي . والبيت
 لطريق بن إسماعيل الثقفي من قصيدته في مدح الوليد بن يزيد . (أنظر الأغاني ج ٤
 ص ٨ طيبة بلاق) . وقد لبس ابن منظور في اللسان (مادة سبط) لأن فيس
 الرقيات . ورواية الساند : «تعبق» مكان «تطرق» .
 (٣) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٤ من هذا الجزء .

يَقْصُرُ لِلَّهِ عَنْ شِرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتَ فِي ذِمَّةِ الْإِمَامِ الْوَلِيدِ^(١)
وَأُمُّ سَعِيدٍ كَانَتْ لِلْأَحْوَصِ بِالْمَدِينَةِ . فَفَتَى مَعْبِدٌ عَلَى الشَّعْرِ . قَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَاهُ ، فَأَشْتَرَاهَا الْوَلِيدُ .

- قال أبو الحسن : وقال ابن أبي الزناد : إني كنتُ عند هشام وعنده
الزُّهري ، فذكر الوليد ، فتنقصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعرض لشيء مما
كانا فيه ، فاستأذن فأذن له ، فدخل وأنا أعرفُ التَّضْبِ في وجهه ، فجلس
قليلاً ثم قام . فلما مات هشام : كتب بي فضلتُ إليه فرحب بي ، وقال : كيف
حالك يا ابن ذكوان ؟ وألطفَ السَّألة . ثم قال : أتذكر هشاماً الأحول ، وعنده
الفاسقُ الزُّهري وما يميّزاني ؟ قلتُ : أذكر ذلك ولم أعرض لشيء مما كانا
فيه . قال : صدقتُ ، أرايتُ التَّلَامَ الذي كان على رأس هشام قائماً ؟ قلتُ :
نعم . قال : فإنه نَمَّ إلى بما قاله . وإني والله لوبيقُ الفاسقُ الزُّهري لقتلته . قلتُ :
قد عرفتُ التَّضْبَ في وجهك حين دخلتُ . قال : يا ابن ذكوان ، ذهب
الأحولُ . قلتُ : بطليلُ الله محرك ، ويُمتنعُ الأمةُ ببقائك . ودعا بالمشاء فتعشينا ،
وجاءتُ للغرب فصلينا ، وتحدَّثنا حتى حانتُ المشاء الآخرة فصلينا وجلس . فقال :
أسقني ، فجاءوا بإناء مُعْطًى ، وجيء بثلاث جوار ، فصُفِّين بيني وبينه حتى شرب ،
ودعَّبن^(٢) ، فتحدَّثنا ، وأسسقي ، فصنعوا مثلي ذلك . فما زال كذلك يستسقي
ويتحدَّث ويصنعون مثلي ذلك حتى طلعَ الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .
على بن عيساش قال : إني عند الوليد بن يزيد في خلافته إذ أتني
بُشْرَاعُ^(٣) من السكوفة ، فوالله ما سأله عن نفسه ولا عن مسيره^(٤) حتى قال له :

(١) في الأغاني « أنت في ذمة الإمام يزيد » . وقد ساق أبو الفرج هذا الخبر مع خلاف
فيه وذكر يزيد بن عبد الملك مكلن الوليد .

(٢) في بعض الأصول : « ودعش » . وفي بعض آخر : « وذهب » .

(٣) وكان من الخوان التمداء ، من أصاب وألية بن الحباب ومطيع بن زياد وحامد مجرد .
وفي بعض الأصول يا ابن شرعاء » . (انظر الأغاني والأسال) .

(٤) في بعض الأصول : « سفره » .

يا شرعة، إني والله ما بشت إليك لأسألك عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : والله لو سألتني عنها لوجدتني فيها حاراً ، قال : إنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوة . قال : دهناتها ^(١) الكثير ، ولقمتها الحكيم ، وطيبيتها السليم . قال : فأخبرني عن الشراب ؟ قال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول في الماء ؟ قال : لا بد لي منه ، والحمار شريك في . قال : ما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلا أستحييت من أي لعلول ما أَرْضَعَتني به . قال : ما تقول في السويق ؟ قال : شراب الخبز والمُسَجَّل والتريض . قال : فنبذ التمر ؟ قال : سريع المَلَّة ^(٢) ، سريع الأَفْشاش . قال : فنبذ الزبيب ؟ قال : تلهوا ^(٣) به عن الشراب . قال : ما تقول في الخمر ؟ قال : أَوْه ^(٤) ! تلك صدقة رُوحى . قال : وأنت والله صديق رُوحى . قال : فأى المجالس أحب ؟ قال : ما شرب الكأس قط على وجه أحسن من السياه ^(٥) .

٣٤٤
٧

قال أبو الحسن : كان أبو كامل مُضْحَكًا غَزَلًا مُتَفَنًّا ، فتى الوليد يوماً فطرب ، فأعطاه قَلَسُوسَةً بَرُونًا ^(٦) كانت عليه ، فكان أبو كامل لا يلبسها إلا في عيد ، ويقول : كَسَانِيهَا أمير المؤمنين ، فانا أحسنها ، وقد أمرت أهل إذا ميت أن توضع في أكفاني . وله يقول الوليد :

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِّي أبا كامل أتى إذا ما غاب كالمسائل ^(٧)
وزادني شوقاً إلى قُرْبِهِ ما قد مضى من دهرنا الحائل ^(٨)

- (١) الدهقان (بالكسر والضم) : القوى على التصرف مع حدة .
(٢) في بعض الأصول : « الامتلاء » .
(٣) في أكثر الأصول : « حملوا » . (٤) في بعض الأصول : « أواه » تحريف .
(٥) ساق أبو الفرج هذا الخبر في كتاب الأغانى (ج ٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طيبة بلاق) مع خلاف كثير .
(٦) أى ليس فيها زئير .
(٧) في الأغانى : « كالمائل » .
(٨) رواية الأغانى :

فد زادني شوقاً إلى قربه مع ما بدا من رأيه القاضل

إِنِّي إِذَا عَلِيْتُهِ مُرَّةٌ^(١) ظَلَّتْ يَوْمَ التَّرَحُّجِ الْجَاذِلُ
قَالَ : وَجِلسَ الْوَلِيدُ يَوْمًا وَجَارِيَةٌ تُفْتِيهِ ، فَأَنشَدَهَا الْوَلِيدُ :

• قَتِينَةٌ فِي بَيْمِنِهَا إِبْرِيْقُ •

قَالَتْ الْجَارِيَةُ الْمُغْنِيَةُ : لَوَأْتَمَتَ الشَّعْرُ غَنِيْتُ بِهِ . قَالَ : لَسْتُ أُرْوِيهِ ، وَكَتَبَ

إِلَى حَمَادِ الزَّوَايَةِ فَعَمِلَ إِلَيْهِ : فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ الْوَلِيدُ :

• قَتِينَةٌ فِي بَيْمِنِهَا إِبْرِيْقُ •

فَأَنشَدَ حَمَادُ الرَّاوِيَةَ^(٢) :

ثُمَّ نَادَى أَلَا أَصْبَحُوتُ قَضَاثُ قَتِينَةٌ فِي بَيْمِنِهَا إِبْرِيْقُ
فَدَلَمْتُ^(٣) عَلَى عَقَارِ كَتَمَيْنِ الدَّبِيكِ صَنَقِي سُلَافَهُ الرَّاوِقِ

مُرَّةٌ قَبْلَ مَرْجَها فَإِذَا مَا مَرْجَتْ لَدَى طَعْمِهَا مَن يَذُوقُ ١٠
وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى اللَّدِينَةِ ، فَضَلَّ إِلَيْهِ أَشْعَبُ ، فَأَلَيْسَ سِرَازِيلَ جِلْدَ قِرْدٍ
لَهُ ذَنْبٌ ، وَقَالَ لَهُ : لِرُقْصٍ وَعَنْ صَوْنًا يُسَبِّحُنِي ، فَإِنْ ضَلَّتْ أَعْطَيْتُكَ أَلْفَ دَرَمٍ .
مَرَقَصَ وَغَنَى ، فَأَعْجَبَهُ ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دَرَمٍ . وَأَنشَدَ الْوَلِيدُ هَذَا الصَّوْتُ :

عَلَلَانِي وَأَشْبِقِيَانِي مِنْ شَرَابِ أَصْفَهَانِي

مِنْ شَرَابِ الشَّيْخِ كَسْرِي أَوْ شَرَابِ الْهَرَمَزَانِ^(٤) ١٥

إِنِّ بِالْكَأْسِ لِمَشْكَ أَوْ يَكُونُ مِنْ سَقَانِي

إِنَّمَا الْكَأْسُ رِيحُ يَتَطَلَّى بِالتَّبْنَانِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ « مَرَّةٌ »

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « فَأَنشَدَتِ الْوَلِيدَ : قَتِينَةٌ فِي بَيْمِنِهَا إِبْرِيْقُ . فَأَسْتَشْدُ حَمَادًا ، الرَّاوِيَةَ

فَقَالَ . وَالشَّعْرُ لَمَدَى بَنِ زَيْدٍ . وَرَوَاةُ الْفَطْرِ الْأَوَّلُ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِيِّ فِي الْأَغَانِي ٢٠

(ج ٦ ص ١٢٣ طَبْعَةُ بَلَدِي)

• ثُمَّ تَلَوْنَا إِلَى الْمَبُوحِ بِهَامَتِ •

وَفِي (ج ٦ ص ١٦٨) وَشَرَابُ الصَّرَازِيَةِ :

• وَدَعُوا إِلَى الصَّبُوحِ يَوْمًا جَاءَتْ •

(٣) فَدَمْتُ (بِالْفَاءِ) : وَضَعْتُ فِي فَمِ الْقَدَامِ . وَالْقَدَامُ (كَكِتَابِي) : مَا يَوْضَعُ فِي فَمِ ٢٥

الْإِبْرِيْقِ كَالْمَصْفَاةِ . وَالَّذِي فِي الْأَسْوَالِ وَالْأَغَانِي : « قَتِينَةٌ » (بِالْقَافِ) .

(٤) فِي الْأَغَانِي (ج ٦ ص ١٣٠) طَبْعَةُ دَارِ السَّكَبِ : « وَالْقَهْرَوَانُ » وَالشَّعْرُ لَمَدَى

إِبْنِ سَجْدٍ بَنِ زَيْدٍ .

وقال أيضاً :

وصَفَرَا فِي الْكَأْسِ كَالْعُمَرَانِ سَبَّاهَا الدَّهَاقِينُ^(١) مِنْ عَسْقلَانٍ
لَهَا حَبِيبٌ كَلَّا^(٢) صَفَقَتْ تَرَاهَا كَلِمَةً بَرَقَ يَمَانِي
وقال أيضاً :

لَيْتَ حَطَى الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ مَسَاشٍ لِي وَزَادِ
قِصَّةُ أَبْدُلَ فِيهَا طَارِقِي بِدِ^(٣) تِلْدَايِ
فِيظَلُ^(٤) لِقَلْبُ مِنْهَا هَائِمًا فِي كُلِّ وَادِي
إِنْ فِي ذَاكَ فَلَاحِي وَصَلَاحِي وَرِشَادِي
وقال :

١٠ اَبْدَحِ الْكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَأَهْجُ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْمَطَشِ
إِنَّمَا الْكَأْسُ رِيحٌ بَاكِرٌ فَإِذَا مَا لَمْ نَذْهَبْ لَمْ نَنْشِ^(٥)
٣٤٥
٧ وبلغ الوليد أن الناس يَمِيبُونَهُ وَيَنْقُصُونَهُ بِالشَّرَابِ وَطَلَبَ الْفَدَاتِ ،
فقال في ذلك :

وَلَقَدْ قَضَيْتُ ، وَلَمْ يُجَلَّلْ لِي^(٦) شَيْبٌ ، عَلَى رَغَمِ الْعِدَا لِقَانِي
١٥ مِنْ كَاعِبَاتٍ كَالذَّمَى وَمَتَنَاصِفِ وَسَمَّاكِبِ اللَّعِيدِ وَالنَّشَوَاتِ
فِي فِتْنَةٍ تَأْتِي الْمَوَانِ^(٧) وَجَوْهَهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ جَحَاجِحِ سَادَاتِ

(١) في الأغاني (ج ١ ص ١٥٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « التَّجْبِي » .
(٢) كذا في سراج الذهب (ج ٢ ص ١٨٦) . وفي بعض الأصول : « غَارَةٌ وَجْ » .
والذي في سائر الأصول : « دَرِج » .
(٣) في الأغاني (ج ٦ ص ١٧٤ طبعة بلاغ) : « ثَم » .
(٤) في بعض الأصول : « فَيَزَالُ » .
(٥) الشعر لابنة بني شيبان كما في الأغاني (ج ٦ ص ١٥١ طبعة بلاغ) . ورواية مجز
هذا البيت فيه :

* فَإِذَا مَا يَجِبُ عَلَيَّ نَشِ *

(٦) في الأغاني (ج ٧ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية) : « وَلَنْ يَجْلَلْ لِي » .
(٧) في بعض الأصول : « الشُّمُوسِ » .

إِنْ يُطْلَبُوا بِقَرَاتِهِمْ يُطْعَمُوا بِهَا^(١) أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُدْرِكُوا بِقَرَاتِ
وَقَالَ معاويةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ^(٢) لَوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ حِينَ تَغِيرُ لَهُ النَّاسُ وَطَعَنُوا
عَلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ يُنْطَقُ بِالْأَنْسِ^(٣) بِكَ ، وَتُسَكِّتُنِي^(٤) الْهَيْبَةُ لَكَ ،
وَأَرَأَيْكَ تَأْمَنُ أَشْيَاءَ أَخَاضَها عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكُتُ مُطِيعًا أَمْ أَقُولُ مُشْفِقًا ؟ قَالَ : كُلُّهُ
مَقْبُولٌ مِنْكَ ، وَفَهْ قِينَا عِلْمُ غَيْبِ نَحْنُ صَارُونَ إِلَيْهِ . فَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ .
وَقَالَ الْوَلِيدُ إِذَا أَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِيهِ :

خُذُوا مِنْكُمْ لَكُمْ لَا تَنْتَبِ اللَّهُ مِنْكُمْ ثِيَابًا يُسَاوِي مَا حِيتُ حَقًّا^(٥)
دَعُوا لِي سُلَيْمِي مِنْ طَلَاءٍ وَقَيْنَةٍ^(٦) وَكَأْسٍ^(٧) ، أَلَا حَسَنِي بِذَلِكَ مَا لَا
أَبَالُكَ أَزْجَوَاتٍ أَخَذَ فِيكُمْ أَلَا رَبُّ مُلْكٍ قَدْ أَزِيلَ فَرَالَا
أَلَا رَبُّ دَارٍ قَدْ تَجَسَّلَ أَهْلُهَا فَأَخَصَّتْ قِفَارًا وَالتَّقْفَارُ^(٨) حِلَالَا
١٠ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْرُقِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى مَنْصُورِ بْنِ مُجْمُورٍ الْكَلْبِيِّ^(٩) بَعْدَ
قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَعِنْدَهُ جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْوَلِيدِ ، قَالَ لِي : أَسْمِعْ مِنْ
هَاتَيْنِ الْجَارِيَتَيْنِ مَا يَقُولَانِ . قَالَتَا : قَدْ حَدَّثْنَاكَ . قَالَ : بَلْ حَدَّثَاكَ كَمَا حَدَّثْتَانِي .
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : كُنَّا أَعَزَّ جَوَارِيهِ عِنْدَهُ ، فَسَكَّحَ هَذِهِ وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُونَ يُؤَذِّنُونَهُ
بِالصَّلَاةِ ، فَأَخْرَجَنَا وَهِيَ سَكْرَى جُنْبَةً مَتَلَثِّمَةً فَصَلَّتْ بِالنَّاسِ .

- (١) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « يَنْوَالُهُمْ بِطَوْنِهَا » .
- (٢) لِيَا صِر (ج ١ ص ١٢) مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ : « عَمْرُو بْنُ حَتِيبَةٍ » وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ
(رَقْم ٨) فِي الْوَضْعِ الْمُتَقَدِّمِ .
- (٣) كَذَا فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : وَفِي مَرْنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ١٢) .
وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « الْأَمْنِ » .
- (٤) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « وَتُسَكِّتُنِي إِلَيْكَ » مَكَانَ « وَتُسَكِّتُنِي » .
- (٥) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « قَبَالَا » .
- (٦) فِي الْأَخْبَارِ (ج ٨ ص ٧٩) طَبْعَةُ دَارِ السُّكُوتِ : « وَالطَّلَاءُ وَقَيْنَةٌ » وَكَأْسًا .
- (٧) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « وَاللَّيْزُ خِلَالَا » .
- (٨) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « مَنْصُورُ بْنُ جَهْمُورٍ الْأَزْدِيُّ » . وَمَا أَتَيْنَاهُ مِنْ سَائِرِ الْأَصُولِ
وَالطَّبْعِ وَابْنِ صَاكِرٍ (ج ٤٣ ص ٤١٩) . وَكَانَ خَرَجَ مَعَ يَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،
أَوَّلًا يَزِيدُ الرَّاقِشِي وَجَمَعَ لَهُ الْمَصْرِي : السُّكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ . وَكَانَ مِنْ سَبِي
فِي قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ .

مقتل الوليد بن يزيد

إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني عبد الله بن واقد الصرمي ، وكان شهيداً قتل الوليد ، قال : لما أجمعوا على قتله ، قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأتى أخاه العباس ليلا فشاورة في قتل الوليد ، فنهاه عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلا حتى دخل دمشق في أربعين رجلاً ، فكسروا باب القصور ، ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وسحل يزيد الأموال على التعجل إلى باب المضار ، وعقد لعبد المزي بن الحجاج بن عبد الملك ونادى مُناديه : من أنتدب إلى الوليد فله ألفان ، فأنتدب معه ألقارجل ، وصم مع عبد المزي بن الحجاج يعقوب بن عبد الرحمن ، ومنصور بن جمهور^(١) . وبلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذلك ، فتوجه من البلقاء إلى حصص ، وكتب إلى العباس بن الوليد أن يأتيه في جند من أهل حصص ، وهو منها قريب ، وخرج الوليد حتى انتهى إلى قصر في بركة وزمل من تدمر على أميال ، وصيحت الخيل الوليد بالبحراء^(٢) . وقدم العباس بن الوليد بغير خيل ، فحبسه عبد المزي ابن الحجاج خلفه ، ونادى مُنادي عبد المزي : من أتى العباس بن الوليد فهو آمن ، وهو بيننا وبينكم . وظن الناس أن العباس مع عبد المزي ، فتفرقوا عن الوليد ، وهجم عليه الناس . فكان أول من هجم عليه السري بن زياد بن أبي كبة السككي ، وعبد السلام اللخمي ، فأهوى إليه السري بالسيف ، وضربه عبد السلام على قرنه فقتل .

قال إسماعيل : وحدثني عبد الله بن واقد قال : حدثني يزيد بن أبي فرقة مولى بني أمية ، قال : لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد ، قال لي : أنصبه للناس ، قلت : لا أفعل ، إنما ينصب رأس الخازج . خلف لئيصين ولا ينصبه

(١) في بعض الأصول : « الحمراء » . . (انظر الحاشية رقم ٢ من ٤٥٢ من

هذا الجزء) .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ من ٤٦٠) من هذا الجزء .

غوى . فوضع على رُمح ونُصب على درَج مَسْجِد دمشق . ثم قال : أذهب ٣٤٦
٧ فطُف به في مدينة دمشق .

خليفة بن خياط قال : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف وقال : أقتل كما قُتل ابن عمي عثمان .

- أبو الحسن للدائقي قال : كان الوليدُ صاحبَ لهو وصَيِّد وشَراب ولذات .
فلما ولي الأمر جعل يكره للواضع التي يراه الناس فيها ، فلم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قُتل ، ولم يزل يقتل ويتصيد حتى قُتل على الناس وعلى جنده . وأشدُّ على بني هشام ^(١) وأضرَّ بهم ، وضرب سليمان بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وغرَّبه إلى عَمان ، فلم يزل محبوباً حتى قُتل الوليد . وسبَّس يزيد بن هشام وهو الأقم ، قوماً بنو هشام ^(٢) . وكان أشدَّهم قولاً فيه يزيد بن الوليد ، وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنه كان يُظهر الثَّسك . ولما دفع الوليدُ خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر فقتله ، غضبت له الجابية كلها وغيرهم ، فأتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأراحوه على البيعة وخلع الوليد ، فأمتع عليهم وخاف أن لا يُبايعه الناس ، ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرّاً .

- ولما قُتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي ، وتزكية عملي ، وإني لأظلم لنفسي إن لم يرهمي ربي ، ولكنني خرجتُ غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه ، حيث دَرَسْتُ معالم الهدى ، وطقني نور التقوى ، وظهر الجبار المتعبد ، المستعمل للحرمة ، والراكب للبدعة ، والمغتر للفسنة ، فلما رأيت ذلك أشقتُ أن عَشيتكم ظلمة لا تُقْلَع عنكم ، على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

قلوبكم ، وأشفقتُ أن يدعو كثيرا من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه من أجابه
منكم ، فاستخرتُ الله في أمري ، وسألتُه أن لا يَكِلَنِي إلى نفسي ، ودعوتُ
إلى ذلك مَنْ أَجَابَنِي من أهل وأهل ولايتي ، وهو ابنُ عَمِّي في نَسَبِي ، وكَفَفَنِي
في حَسْبِي ، فأراح الله منه العباد ، ومَهَّرَ منه البلاد ، ولا يَهْ مِنْ الله ومَوْنًا^(١) ، بلا
حَوْلٍ مِنَّا وَلَا قُوَّةَ ، وَلَكِنْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وولايته وَعَوْنِهِ^(٢) . أيها الناس :
٥
إِنْ لَكُمْ عَلَيَّ إِنْ وَلَيْتُ أُمُورَكُمْ أَنْ لَا أَضْعَ كَبِينَةً عَلَى لَبَنَةٍ ، وَلَا حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ ،
وَلَا أَثْقَلَ مَالًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، حَتَّى أَشُدَّ نَفْرَهُ ، وَأَقْسَمَ بَيْنَ أَهْلِهِ مَا يَقُولُونَ بِهِ ،
فَإِنْ فَضَّلَ رَدُّهُ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَمَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ
الْمَيْشَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَكُونُوا فِيهِ سَوَاءً ، وَلَا أَجْرَكُمْ فِي بُسُوكُمْ^(٣) فَتَفْتَنُوا
١٠
وَيُفْتَنَ أَهَالِيكُمْ ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ يَبْقَى عَلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لَكُمْ فَأَنَا لَكُمْ بِهِ ، وَإِنْ
مِلْتُمْ فَلَا بَيْعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا هُوَ أَقْوَى عَلَيْهَا مِنِّي فَأَرَدْتُمْ بَيْعَتَهُ فَأَنَا
أَوَّلُ مَنْ يَابِعُ وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وقال خلفُ بْنُ خَلِيفَةَ فِي قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ : لَقَتُلُ^(١) خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ :
لَقَدْ سَكَنْتُ كَلْبًا وَأَسَيَّافًا^(٢) مَذْحِجَ صَدَى كَانَ يَرْقُو^(٣) لَيْلَهُ غَيْرَ رَاتِدٍ
١٥
تَرْكَنًا^(٤) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ^(٥) مُكَيًّا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ
فَإِنْ تَقَطَّعُوا مِنَّا مَنَاطَ فِلَادَةٍ قَطَعْنَا بِهَا مِنْكُمْ مَنَاطَ فِلَادَةٍ
وَأِنْ تَشْغَلُوهُ عَنْ أَذَانِ^(٦) فَإِنَّا شَغَلْنَا الْوَلِيدَ عَنْ فِعَاءِ الْوَلَادِ

(١) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .
(٢) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .
(٣) جر الجيش : حبه في أرض العدو ثم يقطعه . وفي بعض الأصول : « ولا أحد يوزم » .
(٤) في بعض الأصول : « يقول في قتل » مكان « لقتل » .
(٥) في الطبري (ج ٦ ص ١٥٦٣) : طيبة الاستقامة : « وإسباق » .
(٦) زنا الصدى : صاح .
(٧) في بعض الأصول : « تركن » . (أ) في بعض الأصول : « جليلة » .
(٨) كذا في بعض الأصول . والذي في سائر الأصول والطبري : « وإن تغفلوا عن دعائنا » .

ولاية يزيد الناقص

ثم بُوع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين ومائة. وأمه أبنه يزيد بن كسرى^(١)، سبأها فتية بن مسلم بخراسان وبث بها إلى الحجاج بن يوسف، فبث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك، فأخذها فولدت له يزيد الناقص، ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشرين مئة من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك.

قال عبد العزيز: بُوع وهو ابن تسع وثلاثين سنة، ومات ولم يبلغ الأربعين، وعلى شرطته بكير بن الشاه الغضى^(٢). وكاتب الرسائل ابن سليمان بن سعد^(٣). وعلى المراح والجند والناظم الصغير والحرس النضر بن عمرو، من أهل اليمن. وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي، ويقال قطن، مولاه.

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد بالجزيرة، وبلغه عنه نلسكا في بيعته: أما بعد. فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فأعتد على أيهما شئت، والسلام. ثم قطع إليه البعوث^(٤)، وأسر لهم البطلاء. فلم ينقص هؤلاء حتى مات يزيد.

ولما بلغ مروان أن يزيد قطع البعوث إليه كتب ببيعته، وبث وفدًا

(١) الذي في الطبري أن اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزيد بن هيرار بن كسرى. والذي في مروج الذهب أن أمه سارية بنت فيروز.

(٢) في بعض الأصول: «بكير بن عثمان الحنفي».

(٣) هو ثابت بن سليمان بن سعد الحنفي، كما في الطبري. وفي بعض الأصول: «ابن أبي سليمان».

(٤) البعوث: جمع بث (بالفتح وبحرك) الجيش؛ ويقال: قطع بثًا، إذا أفرد قوماً يشتم في الفروص منهم من غيرهم.

عليهم سلبان بن علانة الثقفي^(١) . ففرج ، فلما قطعوا القرات قعيم يزيد بموت يزيد ، فانصرفوا إلى مروان بن محمد ، والله أعلم .

ولاية إبراهيم بن الوليد المخالع

العلاء بن يزيد بن سنان قال : حدثني أبي قال : حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن ، فقال : أنا رسول من وراء بابك ، يسألك بحق الله لو وليت أسرم أخاك إبراهيم بن الوليد . فتضب وضرب بيده على جبهته وقال : أنا أؤتي إبراهيم اسم قال لي : يا أبا العلاء ، إلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : أسرتك عن الدخول في أوله ، فلا أشير عليك بالدخول في آخره . قال : فأصابته إغماء حتى ظننت أنه قد مات ، ففعل ذلك غير مرة ، ثم خرجت من عنده . ١٠

فبعد قطن وأفضل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد ، ودعا ناسا فأشهدهم عليه . قال : والله ما عهد إليه يزيد شيئا ولا إلى أحد من الناس^(٢) . وقال يزيد في مرضه : لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا مني لرأيت فيه رأيي .

١٥ وفي رواية أبي الحسن اللدائي ، قال : لما مرض يزيد قيل له : لو بايت لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده ؟ فقال له قيس بن هاني التميمي : أتق الله يا أمير المؤمنين ، وانظر لنفسك ، وأرض الله في عبادته ، فأجبل ولق ههناك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال يزيد : لا يسألني الله عن ذلك ، ولو كان سعيد بن عبد الملك مني قريبا لرأيت فيه رأيي .

٢٠ وكان يزيد يرى رأى القدرة ويقول بقول غيلان . فألحت القدرة عليه

(١) انتهى في الطبري : « عهد بن عبد الله بن علانة الثقفي » .

(٢) في بعض الأصول : « فبعد قطن فأفضل عهدا على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناسا فأشهدهم عليه » ، فقال : إلى والله ما عهد لي إبراهيم ولا إلى أحد من الناس .

وقالوا : لا یحل لك إجمالُ أُمِّ الأُمّة ، فباعَ لأخیک إبراهيم بن الولید ولعبد العزیز من بعده . فلم یزالوا به حتى باع لإبراهيم بن الولید ولعبد العزیز من بعده .

ومات یزیدُ لعشرِ بَقیّین من ذی الحجة سنة ستّ وعشرين ومائة . وكانت ولایتُهُ خمسة أشهر وأثنی عشرَ یوماً^(١) .

فلما قدّم مروانُ نبشَ یزیدَ من قِبره وصلبه . وكان یقرأ^(٢) فی الکتاب : یا مُبْدُو الْکُنُوزِ ، یا مُنْجِداً بِالْأَسْجَارِ ، كانت ولایتُک لم رحمة ، وعلیهم حُجّة . نبشوک فصبوک .

وبويع إبراهيم بن الولید ، وأمه بَرَبَریة ، فلم یتم له الأمر ، وكان یدخل علیه قومٌ فیسلّمون بالخلافة ، وقوم یسلّمون بالإمرة . وقوم لا یسلّمون بخلافة ولا بإمرة ، وجماعة یتابع ، وجماعة یتأبون أن یمایعوا . فحکث أربعة أشهر ، حتى قدّم مروانُ بن محمد فضلعَ إبراهيم وقتل عبد العزیز بن الحجاج ، وولی الأمر بنفسه .

وفی رواية خلیفة بن خثیاط قال : لما أتى مروانُ بن محمد وفاة یزید بن

الولید دعا قیساً وریعة ، ففرض لستّة وعشرين ألفاً من قیس ، وسبعة آلاف

من ربيعة . وأعطاهم أعطیاتهم ، وولی علی قیس إسحاق بن مسلم التمیمی ،

وعلی ربيعة للساور بن عقیبة ، ثم خرج یرید الشام ، وأستخلف علی الجزيرة أخاه

عبد العزیز بن محمد بن مروان ، فلقاه وجوه قیس^(٣) : الوثیق بن الهذیل بن زفر ،

ویزید بن عمر^(٤) بن هیبة الفزاري ، وأبو المزد بن الهذیل بن زفر ، وعاصم بن

عبد الله بن یزید الهلالی ، فرفضه آلاف من قیس . فساروا معه حتى قدّم

حلب ، وبها نبشَ ومسرور ، ابنا الولید بن عبد الملك ، أرسلهما لإبراهيم بن

(١) تقدّم هذا الخبر (ص ٤٦٤) من هذا الجزء :

(٢) فی البیان (ج ٢ ص ٧٠) : « وكانوا یقرءون فی الکتاب » .

(٣) فی بعض الأصول : « قریش » .

(٤) فی بعض الأصول : « عمرو » . والنصوب من سائر الأصول والخطوط .

الوليد حين بلغه مسيرُ مروان بن محمد ، فالتقوا ، فانهزم يشرُّ ومُسرور من ابن محمد من غير قتال ، فأخذها مروان فحبسها عنده . ثم سار مروان حتى أتى حصن ، فدخله للمسير معه والبيعة لولي العهد . الحكم وعثمان ، ابني الوليد بن يزيد ، وهما محبوسان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فبايعوه ، وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد . وبلغ عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو مُسكر في ناحية عَيْنِ الجَرِّ ، فأقبل إلى دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية وتهدأ للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلوا مدينة دمشق يُريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما في السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر ، والحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وهما المُكَلَّان ^(١) ، وأتاهم رسول إبراهيم ، فتوجه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليُخرج عياله ، فنار به أهل دمشق فقتلوه واحتزوا رأسه ، فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية ^(٢) ، وكان محبوباً مع يوسف بن عمر وأصحابه ، فأخرجوه ووضعوه على اللبر في قُبُورِهِ ، ودأس عبد العزيز بين يديه ، وحلوا قُبُورِهِ . فخطبهم وبايع مروان وشيخ يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجثة عبد العزيز فُصلبت على باب الجابية مفكوساً ، وبث برأسه إلى مروان بن محمد . واستأمن أبو محمد لأهل دمشق ، فأثمتهم مروان ورضى عنهم . وبلغ إبراهيم فخرج هارباً حتى أتى

(١) عين الجر : موضع مَرْوَفٍ بالقياع بين بعلبك ودمشق . وفي بعض الأصول وابن صاكر (ج ٤١ ص ١٨٤) تيمور : « في ناحية أخرى » . وفي سائرهما : « الري » تحريف . والبيارة كما في ابن عساكر : « حتى أتى عسكر سليمان بن هشام ابن عبد الملك بالنداء (قرية بغولمة دمشق) فانهزم سليمان بن هشام بعد قتال شديد . وبلغ عبيد العزيز ... في ناحية أخرى » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبقات .

(٢) كما في بعض الأصول وابن عساكر . والقي في سائر الأصول : « غلامان » .

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص ٤٤٩ من هذا الجزء .

مروان فبايحه وخلع نفسه ، فقبل منه وأثنته ، فسار إبراهيم فبرزل الرقة على شاطئ الفرات ، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه ، فأثنته ، فأثاه فبايحه . وأستقامت لمروان بن محمد . وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد الخلعوع أشهراً . قال أبو الحسن : شهرين ونصفاً .

ولاية مروان بن محمد بن مروان

ثم جتمع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . أمه بنت إبراهيم بن الأشتر . قال بعضهم : بل كانت أمه لخباز لصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر . واسم انتخابز رزبا ، وقال بعضهم : كان رزبا عبداً لمسلم بن عمرو^(١) الباهلي . وقال أبو العباس الملالى^(٢) حين دخل على أبي العباس السفاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول صلى الله عليه عليه . وسلم وابن عبد الطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بني مروان وأجهدهم وأبلغهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مديرو عنهم .

ودفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس ، وهي :

ألا فتیان من مضر فيحتموا أسارى في الحديد مكابينا

أذهب عامرٌ بدى ومثكى^(٣) فلا غنا أصبت ولا تميمنا

فإن أهيك أنا وولى عهدي فروان أمير المؤمنيننا

فأرث لاعلمتك حرب قيس فتخرج منهم الباء الدفينا

ألا من مبلغ مروان عني وعني القمطر طلال بذنا حيننا

بأنى قد ظلمت وطلال تميمي لدى التبرء^(٤) في ليصير تميمنا

(١) في بنى الأصول « مسلم بن عمر الباهلي » .

(٢) في الطبري (٣ : ٥٦) : « عبد الله بن عباس المتوفى » .

(٣) في الطبري (٧ : ١٨٩١) : « أذهب كلهم بدى ومثكى » .

(٤) في بنى الأصول « التبرء » .

وَقَتْلُ مَرْوَانَ بِبُوصَيْرٍ^(١) مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً .

الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن الأثير عن أبيه ، وأبو اليقظان قالوا :
وُلِدَ مَرْوَانُ بِالْجَزِيرَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَقُتِلَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ يُقَالُ لَهَا
بُوصَيْرُ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِحَسِّ يَتَمِّينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً .
وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرَ وَعِشْرَةَ أَيَّامَ ، وَأُمُّ مَرْوَانَ أُمَةُ لِمُصَبِّ
ابْنِ الزُّبَيْرِ . وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِينَ سَنَةً .

ولد مروان

عبد الملك ، ومحمد ، وعبد العزيز ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأبان ، ويزيد ،
ومحمد الأصغر ، وأبو عثمان .

وكانت له عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، مولى بني عامر بن لؤي ، وكان معلماً .
وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن خلافة ، وعلى شرطته الكوثر بن عتبة
وأبو الأسود التتوي . وكان للحرس نوب ، في كل ثلاثة أيام نوبة ، يلي ذلك
صاحب الثوبة . وعلى حجابته صفلاً ومقلّاص . وعلى الخاتم الصغير عبد الأهل
ابن ميمون بن مهران ، وعلى ديوان الجند عمران بن صالح ، مولى بني هذيل .

مقتل مروان بن محمد بن مروان

قالوا : والتقى مروان وعاصم بن إسماعيل ببوصير من أرض مصر ، فقاتلوه
ليلاً ، وعبد الله وصبيد الله ، ابنا مروان ، واقفان ناحية في جمع من أهل الشام ،
فحمل عليهم أهل خراسان فأزاحمهم عن سرّاكرهم ، ثم كروا عليهم فهزمهم حتى

٢٠ (١) أبو سعيد (بكسر الصاد وواو ساكنة وراءه) : اسم لأربع قرى بمصر : بوصير
(قوريس) من كورة الأغصوين ، وبوصير (السد) ، بليدة في كورة الجيزة ،
وبوصير (دغدو) من كورة الفيوم ، وبوصير (بنا) ، من كورة السنودية . والأولى
هي التي قتل بها مروان . (انظر مصبم البلدان) .

رَدُّوهم إلى عسكرهم وَرَجَعُوا إلى موقعهم . ثم إنَّ أهلَ الشامِ بَدَّوهم فخلعوا على أهلِ خُراسان ، فَكشَفُوا كَشْفًا قَبِيحًا ، ثم رَجَعُوا إلى أَمَا كَنهم ، وقد مَضَى عبيدُ الله وَعَبْدُ الله ، فلم يروا أَحَدًا من أصحابهم ، فَضَوَّاعُوا على وجوههم وذلك في السَّحَر . وَقُتِلَ مروانُ وَأَنْهَزَ النَّاسُ ، وَأَخَذُوا عسكرَ مروانِ وما كان فيه ،

وَأَصْبَحُوا فَأَتَبَعُوا الْقُلَّ وَتَبَرَّقَ النَّاسُ ، فَنَجَلُوا يَفْتُلُونَ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَرَجَعَ ٥
أهلُ خُراسان عنهم . فلما كان التَّدَلُّجُ لَحِقَ النَّاسُ بِعَبْدِ الله وَعَبِيدِ الله أَبْنَى مروانِ وَجَلُّوا بِأَوْنِهَا مُتَعَطِّينَ الْمَشْرَقَ وَالْمَشْرِيقَ وَأَكْثَرَ وَأَقْلَى ، فيقولان ^(١) : كيف أُمِرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فيقول بعضهم : تركناه يُقاتِلهم ، ويقول بعضهم : انما زَوَّابٌ إليه قومٌ ، ولا يُنصرونه ، حتى أَتَوْا الْحَرُونَ ، فقال : كنتُ معه أَنَا وَمَوْلَى لَهُ فَصَرَّعَ

فَجَرَّتْ رِجْلُهُ ، فقال : أَوْجَعَتْ . فقاتلتُ أَنَا وَمَوْلَاهُ عَنْهُ ^(٢) ، وعلموا أَنَّهُ مروانُ ، ١٠
فَأَلْعَرُوا عَلَيْهِ ، فَتَرَكْتُهُ وَلَحَقْتُ بِكُمْ . فبَكَى عَبْدُ الله . فقال لَهُ أَخُوهُ عبيدُ الله : يَا أَلَّامُ النَّاسِ افْرُتْ مِنْهُ وَتَبَكَى عَلَيْهِ ! وَمَضُوا . فقال بعضهم : كانوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وقال بعضهم : كانوا أَلْفَيْنِ . فَأَتَوْا بِلَادَ النَّوْبَةِ ، فَأَجْرَى عَلَيْهِمْ بِلْتُ النَّوْبَةِ مَا يُصْلِحُهُمْ ، وَبِهِمْ أُمُّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ وَأُمُّ الْحَكَمِ بِنْتُ عبيدِ الله

— صَبِيَّةٌ جَاءَ بِهَا رَجُلٌ مِنْ عسكرِ مَرْوَانَ حِينَ أَنْهَزُوا فَدَفَعَهَا إِلَى أَبِيهَا — ١٥
ثم أَجْمَعَ ابْنَا مَرْوَانَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَا الْبَيْتَ وَقَالَا : نَأْتِيَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَا السَّوْدَةَ ^(٣) ،

فَنَتَحَصَّنُ ^(٤) فِي حُصُونِهَا وَنُدْهِمُ النَّاسَ . فقال لهم صاحبُ النَّوْبَةِ : لَا تَفْعَلُوا ، إِنَّكُمْ فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَهَمٌّ فِي عِدَدِ كَثِيرٍ ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكُمْ ، فَأَيُّوْا . قال : فَأَكْتُبُوا إِلَيَّ كِتَابًا ، فَسَكُنُوا لَهُ : إِنَّا قَدِمْنَا بِبِلَادِكُمْ فَأَحْسَنْتَ مَثْوَانَا وَأَشْرَفْتَ عَلَيْنَا أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بِلَادِكُمْ فَأَيُّبْنَا وَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ وَافَرَيْنَ رَاضِيَيْنَ شَاكِرَيْنَ ٢٥
لَكَ بَطْلِيٍّ أَنْفُسَنَا . وَخَرَجُوا ، فَأَخَذُوا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ . فَكَانُوا رَجُلًا مَرَضُوا لَهُم

(١) في بعض الأصول : « ويقولون » .

(٢) في بعض الأصول : « عليه » . (٣) في بعض الأصول : « السوداء » .

(٤) في بعض الأصول : « فلتحصن » .

ولا يأخذون منهم إلا السلاح ، وأكثر [من] ذلك لا يعرضون له ^(١) . حتى
أتوا بعض بلادهم ، فتلقاهم عظيمهم فأحبسهم ، فطلبوا الماء ، فنتهم ولم يُقاتلهم
ولم يُلْهِمْهم وعطشهم ، وكان يبيعهم القربة بخمسين درهما ، حتى أخذ منهم مالا
عظيما . ثم خرجوا فصاروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقتين ، فسلك عبد الله
أحدهما في طائفة ، وسلك عبيد الله الآخر في ^(٢) طائفة أخرى ، وفتوا أن
للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون ^(٣) عند آخرها ، فلم يلتصقا . وعرض قوم
من العدو لمبيد الله وأصحابه قتالهم ، فقتل عبيد الله ، وأخذت أم الحكم بنته ،
وهي صبية ، وقتل رجل من أصحابه ، وكفوا عن الباقيين وأخذوا سلاحهم .
وتقطع الجيش ، فجعلوا يتنكبون الممران فيأتون للقاء فيقيمون عليه الأيام ، فتعصى
طائفة وتقيم الأخرى ^(٤) ، حتى بلغ العطش منهم ، فكانوا ينحرون الدابة
فيقطعون أكراسها فيشربونه ، حتى وصلوا إلى البحر بحمال اللذبة ^(٥) ،
ووافاهم عبد الله وعليه مقرمة ^(٦) قد جاء بها . فكانوا جميعا خمسين أو أربعين
رجلا ، فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون ، وعفان ، مولى بني هاشم ^(٧) ، فمير
التجار الثقف ، فمروا بهم إلى اللذبة ^(٨) ، فأقاموا بها شهرا فلم تحصلهم ، فخرجوا
إلى مكة . وقال بعضهم : أعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ
وجياب ^(٩) الأكرياء ، حتى وافوا جذة وقد تقطعت أرجلهم من المشى . فروا
بقوم ، فرموا لم يفلحوا . وفارق الحجاج عبد الله بجدة . ثم حجوا وخرجوا من
مكة إلى تبالة ^(١٠) . وكان على عبد الله فصر آخر كان قد غيبه حين عبر إلى اللذبة ،

(١) في أكثر الأصول : « لم » . (٢) في بعض الأصول : « مع » .

(٣) في بعض الأصول : « يجتمعون بهم » .

(٤) في بعض الأصول : « طائفة » . (٥) في بعض الأصول : « بحمال اللذبة » .

(٦) للمزمة : ثوب من صوف ملون فيه ألوان من المعين ، وهو صليق يتخذ سترا .

(٧) في بعض الأصول : « مولى بني سلم » .

(٨) في أكثر الأصول : « فمروا إليهم البحر في السفن فمشوا إلى اللذبة » .

(٩) في بعض الأصول : « وجياب » .

(١٠) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة بينها وبين مكة اثنا عشر فرسقا .

فلما أَمِنَ استخرجه ، وكانت قيمته ألف دينار ، وكان يقول وهو يمشي : لَيْتَ به دابةٌ حتى صار في بِقَرْمَةٍ ^(١) تكون عليه بالنهار ويلبسها بالليل . فقالوا : مارأينا مثل عبد الله ، فأتوا فكان أشد الناس ، ومَسَّوا فكان أقوام ، وجاعوا فكان أصبر ، وعمرُوا فكان أحسنهم عُرْيَا . وَبَقَتْ ، وهو بالندب ، إلى العدو الذين أخذوا أُمَّ الحكم بنتَ أخيه عُبيد الله ففدَّاهَا ورَدَّهَا إليه ، فكانت معه . ثم

٥ أخذ عبد ^(٢) الله قُدَمَ به على المهدي ، فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم ، فكلمت السبل بن يعقوب ، كاتب عيسى بن علي ، وأعطته لؤلؤاً ليكلّم فيه عيسى : فكلّمه وأعلمه بما أعطته ، فلم يُكلّم فيه عيسى بن علي المهدي ، وأراد للمهدي أن يقتله ^(٣) ، فقال له عيسى : إن له في أعناقنا قيمة ، وقد أعطى كاتبِي قيمة ثلاثين ألف درهم ، فضجبه للمهدي ^(٤) .

١٠

وكان عبد الله بن مروان تزوّج أُمَّ يزيد بنت يزيد بن محمد بن مروان ، وكانت في الحبس ، فلما أخرجهم السبل خرجت إلى مكة ، فأقامت بها ، وقدم عبد الله بن مروان سرّاً فزوّجها .

وقال مولى مروان : كُفْتُ مع مروان وهو هارب ، فقال لي يوماً : أبن عزّبت عنا حلوسنا في نِسائنا ! ألا زوّجناهم من أكفأهن من قُرَيش فكفينا

١٥ مؤتنت اليوم .

وقال : بعض آل مروان ، ما كان شيء أنفع لنا في حربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذي يُساوي خمسة دنانير فادون ، كان يُخرجه الصبي والخادم فيبيحه ، وكنا لا نستطيع أن نُظهِر الجوهر الثمين الذي له قيمة كثيرة .

٢٠ (١) في بنى الأصول . « في مرقاة » . وانظر الحاشية (رقم ٦ ص ٤٧) .

(٢) في بنى الأصول : « عبيد الله » تحريف .

(٣) في بنى الأصول : « أن يكلّمه » .

(٤) ذكر ابن عساكر هذه القصة منسوبة إلى عبيد الله ثم قال : وقد قيل إن الذي حكم هذه الحكاية عبد الله أخوه وعبيد الله قتله الثورة ، وذكر أيضاً أن الذي

٢٥ كلم فيه المهدي إسماعيل بن علي ، إذ قال للمهدي حين أراد قتله : « في غنق له قيمة . قال : فأذا ترى ؟ قال : تنزله في دار من دورنا وتجري عليه ما تجري على مثله . قال : ففعل ذلك » . فوافقه ما أدري أمانت في حبيبه أم أطلقه للمهدي » .

وقال مصعب بن الزبيع الخنمى كاتب مروان بن محمد : لما انتهزم مروان وظهر عبد الله بن علي على أهل الشام طلبت الإذن ، فأناعه يومًا جالس وهو متشكى ^(١) ، إذ ذكر مروان وانتهزاه ، فقال : شهدت القتال ؟ قلت : نعم ، أصلى الله الأمير ، وقال لي مروان : أحزرت ^(٢) القوم ، قلت : إنما أنا صاحب قلم ولست بصاحب حرب ، فأخذ يمنة ويسرة ثم نظر فقال لي : هم أثناعشر ألف رجل . وقال مصعب : قيل لمروان : قد انتهت بيت المال الصغير . فأصرف يريد بيت المال ، فقيل له : قد انتهت بيت المال الأكبر ^(٣) ، انتهت أهل الشام . وقال أبو الجارود السلمي : حدثني رجل من أهل خراسان قال : لقينا مروان على الزاب ، فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد ، فجهنونا على الركب وأشرعنا الرياح ، فزالوا عنا كأنهم سحابة ، ومنعنا الله أكتافهم ، وانقطع الجسر عما يليهم حين عبروا ، فبقى عليه رجل من أهل الشام ، ففرج إليه رجل منا ، فقتله الشامي . ثم خرج إليه آخر فقتله ، حتى والى بين ثلاثة . فقال رجل منا : اطلبوا إلى شيفاء قاطعاً وترساً صلباً ، فأعطيناه ، ومشى إليه فصر به الشامي ، فألقاه بالترس ، وضرب رجله فقطعهما وقتله ورجع ، فحملناه وكبرناه ، فإنما هو نعبد الله الكايل .

٣٥١
٧
٥

١٠

١٥

سمي للصور ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم . وأنهم لم يزالوا على أتعانة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم للترفين ، وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره ، قصد الشهوات وإيثار الذات والدخول في معاصي الله

(١) في بعض الأصول مكان قوله « وقال مصعب » إلى قوله « وهو متشكى » : « وقال عبد المجيد بن يحيى بن سعيد الكاتب : كنت عند عبد الله بن علي ، وقد طلبت الإذن فأنتنى . فإني جالس عنده وهو متشكى » . وقد روي ابن عسكرا كلمة لمصعب (ج ٢١ ص ٤٣٥ - ٤٣٦) مطفاً مع أكثر الأصول .

٢٠

(٢) الجزر : القدر . والقيل من باب نصر وضرب .
(٣) في بعض الأصول : « الأعظم » .
(٤) في بعض الأصول : « مهم من » .

٢٥

- وسباخه ، جهلاً باستدراج الله وأمثا لمكره ، فسلبهم الله العز ، وتقل منهم النعمة . فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن مروان لما دخل الثوبة هارباً فيمن تبعه ، سأل ملك الثوبة عنهم ، فأخبر ، فركب إلى عبد الله ، فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من المجلس بمحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك ؟
- فأمر للنصور بإحضاره وسأله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين ، قدما أرض الثوبة وقد حفر التلّك بأمرنا ، فدخل على رجل أقي الأنف طوالاً حسن الوجه ، فقام على الأرض ولم يقرب الثياب . فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأني ملك ويحقّ على لك أن يتراض لتظنة الله إذ رضى الله .
- ثم قال : لأى شيء تشربون الخمر وهى محرمة عليكم ؟ قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا وأتباعنا لأنّ للّك قد زال عنا^(١) . قال : فلم تظنّون الزورع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بهجهم .
- قال : فلم تلبسّون الدّيباج والحرير وتتمسّعون الذهب والفضة ، وذلك محرم عليكم ؟ قلت : ذهب للّك عنا وقلّ أنصارنا ، فاتصروا بقوم من الصّعب دخلوا في ديننا ، فلبسوا ذلك على الكره منا . قال : فاطرق ملياً وجلس يثلب يده .
- ويشكّك الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وقوم دخلوا في ديننا وزال للّك عنا ايرزده مراراً . ثم قال : ليس ذلك كذلك ، بل أتم قوم قد استحلّتم ما حرّم الله ، وزكّيت ما نهاكم عنه ، وظلّتم من بلكم ، فسلبكم الله العز ، وألبسكم القل بدّوبكم ، والله فيكم نقية لم^(٢) تبليغ غايته ، وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم يبلّغ فيصيبني منكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام ، فزودوا ما أحببتم وأزغوا عن بلدي .

(١) العبارة في ابن عساكر (ج ٢٥ ص ٤٤٦) : « فعل ذلك عبيد وأتباع وأطباع

دخلوا في ملكنا من غير رأينا » .

(٢) في بعض الأصول : « لن » .

أخبار الدولة العباسية

المهيم بن عدي قال : حدثني ابن عيش^(١) قال : حدثني بكير أبو هاشم ، مولى مسلمة^(٢) قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سرّ ودعوة باطنة منذ قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ولم يزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك .

وقيل لبعض بني أمية : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : اختلافنا فيما بيننا ، وأجتماع المختلفين علينا .

المهيم بن عدي قال : حدثني غير واحد من أدركت من الشايخ أنّ علي ابن أبي طالب أمار الأمر إلى الحسن ، فأصاره الحسن إلى مياوية ، وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن علي صار أمر الشيعة إلى محمد بن الحنفية — وقال بعضهم : إلى علي بن الحسين — ثم إلى محمد بن علي ، ثم إلى

جعفر بن محمد . والذي عليه الأكثر أنّ محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . فلم يزل قائماً بأمر الشيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويؤذون إليه الخراج ، حتى استخلف سليمان بن عبد الملك ، فأقاه وانداً ومعه

عدة من الشيعة ، فلما كلف سليمان ، قال : ما كنت قط قرشياً يشبه هذا ، وما تظن الذي كنّا نحدث عنه إلا حقاً ، فأجازه ، وقضى حوائجه وحوائج من

معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين ، فلما كان ببلاذ لم يجدوا ضرباً له أبغية في الطريق ومعهم ألقين السموم ، فكلما مرّ بقوم قالوا : هل لكم في الشراب ؟ قال : جزيتم خيراً ، ثم بآخري ، فصرخوا عليه ، فقال : هاؤوا ، فلما

٢٠ (١) في بعض الأصول : « هاشم » . تمزيق . (انظر المارغ لابن كتيبة ص ٢٦٧ طبة أوربة) .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٦٩) ونظرت في مصيب البلدان (ج ٤ ص ١٦٩) والسماعي في كتابه الألساب في رسم (المرز فرحي) بكيرا هذا ، ولم يهر واحد منهم إلى أنه مولى لسلطة .

- شرب واستقر بجوفه ، قال لأصحابه : إني ميت فانظروا من القوم ؟ فنظروا فإذا هم قد تفرقوا أبنتهم وذهبوا . قال : ميلوا بي إلى ابن عمي ، وما أحسبني أدركه . فأسرعوا [السير] حتى أتوا الصنينة ^(١) من أرض الشراة ، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يا بن عمي ، إني ميت ، وقد صرت إليك وأنت صاحب هذا الأمر ، ولذلك القاسم ^(٢) به ، ثم أخوه من بعده ، والله ليبتن الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ، ثم ليخلون [على] ما بين خضرموت وأقصى إفريقية ، وما بين الهند ^(٣) وأقصى قرغانة ^(٤) . فليك بهؤلاء الشيعة واستقوص بهم خيراً ، فهم دعائكم وأنصاركم . ولتكن دعوتكم خراسان ولا تمدها ، لا سيما ترو ؛ وأستبطن هذا الحي من اليمن ، فإن كل ملك لا يقوم به فضيره إلى انتقاض ، وانظر هذا الحي من ربيعة فالحقهم بهم ،
- ١٠ فانهم نعمهم في كل أمر ؛ وانظر هذا الحي من قيس وتميم فأقصهم ، إلا من عصم الله منهم ، وذلك قليل ؛ ثم مرهم أن يرجعوا فليجعلوا أئني عشر قصباً ، ويهدم سبعين قصباً ، فإن الله لم يصلح أمر بني إسرائيل إلا بهم ، وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . فإذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك في خراسان ، منهم من يقتل ومنهم من ينجو ، حتى يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي : يا أباهاشم ، وما سنة الحمار ؟ قال : إنه لم تمض مائة سنة من نبوة قط إلا أنتفض أمرها ، لقول الله عز وجل : « أو كآلذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . قال أئني يخفي هذه الله بعد موتها . فأما الله مائة عام ثم يبعثه » إلى قوله : « وانظر إلى سحارك ولتجمل آية للناس » . واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن

(١) الحنية : (بلفظ الصنينة) : بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام .
 (٢) كان منزل بين الخيل . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : « الحنية »
 (٣) يريد ولاية أبا العباس عديله ثم أخوه أبا جعفر عبد الله . وسيأتي ذكرهما قريباً .
 (٤) في بعض الأصول : « قارة » .
 (٥) فرغانة (بالفتح ثم السكون) وعين ميمية وبعد الألف (نون) : مدينة وكورة واسعة بها وادي النهر طخفة لبلاد تركستان . (انظر معجم البلدان) .

الحارثية ، ثم عبد الله أخوه . ولم يكن لمحمد بن علي في ذلك الحين ولدٌ يسمى عبد الله ، فولد له من الحارثية ولدان سُمي كل واحد منهما عبد الله ، وكفى الأكبر أبا العباس ، والأصغر أبا جعفر ، فوليا جميعاً الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالأمر بعده ، فاختلفت الشيعة إليه ^(١) . فلما ولد أبو العباس أخرجه إليهم في خرقه ، وقال لهم : هذا صاحبكم ، فجلوا يا أصحابون أطرافه ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فأخبروه أنهم حُسبوا بخُرَاسان في السجن ، وكان يُعَدُّهم فيه غلامٌ من السَّرايين ^(٢) ماراً وقطاً مثل عقله وطرّفه ومحبته في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : أبو مسلم . قال : أحرّ أم عبد ؟ قال : أمّا عيسى ^(٣) فيزم أنه عبد ، وأما هو فيزم أنه حر . قال : فاشترّوه وأعتقوه وأجملوه بينكم إذ رَضِيتُموه . ١٠
وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف كانت معهم . ٣٥٣
٧

فلما اقتضت المائة السنة بَشَّ محمد بن علي رُسله إلى خُرَاسان ففرسوا بها غرساً ، وأبو مسلم لَقِّدَم عليهم ، وثارَت الفتنَةُ في خُرَاسان بين الضَّرْية والتمانية ، فتمكن أبو مسلم وفرَّق رُسله في كَوَرِ خُرَاسان يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه . ونَصَرَ بنُ سَيَّار عاملُ خُرَاسان هشام بن عبد الملك ، فكان يكتب لحشام بَعَثَهم ، ونَحَضَى كُتْبَهُ إلى ابنِ هُبَيْرَة صاحبِ المِراق لِيُنْفِذَهَا إلى أميرِ المؤمنين ، فكان يَحْبِسُهَا وَلَا يُنْفِذُهَا لئَلَّا يَقومَ لِنَصْرِ بنِ سَيَّار قائمةٌ عند الخليفة . وكان في ابنِ هُبَيْرَة حسد شديد . فلما طال بِنَصْرِ بنِ سَيَّار ذلك ولم يَأْتَهُ جوابٌ من عند هشام كَتَبَ كتاباً وأَمْسَاهُ إلى هشام على غيرِ طريقِ ابنِ هُبَيْرَة ، وفي جوفِ الكتابِ هذه الأبياتُ مُتَرَجِّمة ^(٤) : يقول فيها :

(١) يريد شيعة بني العباس . وفي بعض الأصول : « الشيعة إليهم » .

(٢) السراج : بائع السروج وسانعها .

(٣) له عيسى بن مخلد السبيل . (انظر الطبري ٢ : ١٥٢٦) .

(٤) يقال : أدرج الكتاب في الكتاب ، إذا أدخله أو جله في درجة ، أي في طيه .

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيعَ تَجَرٍ فَيُوشِكُ أَنْ^(١) يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ^(٢)
فَإِنَّ النَّسَارَ بِالْهُودِيِّينَ تَذَكَّرِي^(٣) وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامَ
فَإِنَّ لَمْ تَغْلُظْهَا تَجْعَنْ حَرْبًا مُشْتَرَةً يَشِيبُ لَهَا الْفَلَامَ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَيْقَاطُ أُمِّيَّةٍ أَمْ نِيَامِ
فَإِنَّ كَانُوا لِحَيْهِمْ نِيَامًا^(٤) قُلْ قَوْمُوا قَدْ حَانَ التَّيَّامُ
فَفِرْعَى^(٥) عَنْ رِحَالِكُمْ ثُمَّ قَوْلِي عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْبَةِ السَّلَامِ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ هَاشِمٌ : أَنْ أَحْسَمَ ذَلِكَ التَّوَلُّولُ^(٦) الَّذِي نَجِمَ عِنْدَكُمْ . قَالَ نَصْرُ :
وَكَيْفَ لَنَا بِحَسَنِهِ^(٧) ؟ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يُحَاطَبُ الْمُضَرِّيَّةَ وَالْبَيْهَانِيَّةَ ، وَيُحَذَّرُ
هَذَا الْعَدُوَّ الْفَاحِشَ عَلَيْهِمْ يَقُولُ :

أَبْلَغُ رَيْبَةٍ فِي مَرَوْ وَإِخْوَتِهِمْ فَلْيَقْبَضُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ الْقَبْضُ^(٨)
وَلْيَقْبَضُوا الْحَرْبَ إِنْ الْقَوْمُ قَدْ نَصَبُوا حَرْبًا يَحْرِقُ فِي حَافَاتِهَا الْمُحْطَبُ
مَا بِالْهَيْكَمِ تَلْقَعُونَ الْحَرْبَ يَنْسِكُ كَأَنَّ أَهْلَ الْجَبَا عَنْ قَتْلِكُمْ قَبَبُ^(٩)
وَتَقْرَضُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَمَ مِمَّا تَأْتَبُ^(١٠) لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ

- (١) فِي الْأَفَاقِ (ج ٦ ص ١٧ طبعة بلقي) : « وَأَجْرُ بَأْن » . وَفِي ابْنِ حَسَّارٍ (ج ٤١ ص ١٩١) : « خَلِقَ أَنْ » .
- (٢) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٢ : ١٩٧٤) بَعْضَ آيَاتِ ابْنِ سَيَّارٍ هَذَا وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهَا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِجَلَدِ أَنَّى مُسَلِّمًا . كَمَا ذَكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي كِتَابِهِ الْأَفَاقِ (ج ٦ ص ١٢٨) وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهَا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ .
- (٣) فِي بَعْضِ الْأَمْثُولِ : « تَذَكَّرِي » . وَفِي ابْنِ حَسَّارٍ : « يَلْزَمُ دِينَ تَوْرِي » .
- (٤) فِي مَرْوَجِ الْقَهْبِ (ج ٢ ص ٧٠٢) :
« فَإِنَّ يَكُ قَوْمَنَا أَهْوَا نِيَامًا » .
وَفِي الْأَخْبَارِ الطُّوَالِ لِأَبِي حَنِيفَةَ الْبُنْدُورِيِّ (ص ٣٠٦ طبعة أوربة) :
« فَإِنَّ يَكُ أَصْبَحُوا وَتَوَوَّأُوا نِيَامًا » .
- (٥) كَفَا فِي مَرْوَجِ الْقَهْبِ : وَفِي بَعْضِ الْأَمْثُولِ : « عَصْرِي » . وَالْهَيْتُ سَائِقُطٌ مِنْ سَائِرِ الْأَمْثُولِ .
- (٦) التَّوَلُّولُ : يَتَرَصَّعُ صِلْبُ سَيْدِي عَلَى نُصُورِ شَقِ .
- (٧) فِي بَعْضِ الْأَمْثُولِ : « وَكَيْفَ أَنَا وَحَسَنِهِ » .
- (٨) كَفَا فِي الْأَخْبَارِ الطُّوَالِ (ص ٣٦٠) . وَالَّذِي فِي الْأَمْثُولِ : « وَأَيْكُ مِنْبِ » .
- (٩) تَأْتَبُ الْعَرُومُ : انْخَطَلُوا .

قديماً يدينون ديناً ما سمعتُ به عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فن يكن سائلاً عن أصل دينهم فإني دينهم أن تقتل العرب

ومات محمد بن علي في أيام الوليد بن يزيد ، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن
محمد ، فقام بأمر الشيعة . وقدم عليهم أبا مسلم السراج وسليمان بن كثير ،
وقال لأبي مسلم : إن أستطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فأقل ، ومن
شككت في أمره فاقتله . فلما استقل أمر أبي مسلم بخراسان وأجابته الكور
كلها ، كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يخبر أبي مسلم وكثرة من تبعة ،
وأنة قد خاف أن يستولى على خراسان وأن يذهب إلى إبراهيم بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس . فأتى الكتاب مروان ، وقد أنه رسول لأبي مسلم
بجواب إبراهيم إلى أبي مسلم^(١) . فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك
ابن مروان ، وهو عامله على دمشق : أن اكتب إلى عاملك باللقاء ليسهر إلى
الحليمة^(٢) فيأخذ إبراهيم بن محمد فيشدّه وثاقاً ثم يثبت به إليك ، ثم وجهه إلى
قتل إلى مروان ، وتبعة من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى ، فأدخل
على مروان ، فأمر به إلى الحبس .

٣٥٤
٢ قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة^(٣) ، قال : كنت أتية في السجن ومعه فيه
سميد بن عبد الملك ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فوالله إني ذات ليلة
في سقفة السجن بين النائم واليقظان ، إذ بمولى لروان قد أفتتح الباب ومعه

(١) المباشرة في الطبري : « وقد أنه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم كان قد عاد بن
عند إبراهيم ومعه كتاب أبي مسلم إلى إبراهيم جواب كتابه يلتمس فيه أبا مسلم ويسبه
حيث لم يتهزأ القرمة من نصر والكرمان إذ أمكناه ، ويأمره أن لا يبع بخراسان
مرياً إلا لله »

(٢) في الأصول : « الحليمة » . تحريف وقد ظلم الصريف بالحليمة (ص ٤٧٦) من
هذا الجزء .

(٣) لله أبو عبيدة الأسود ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على إذنه . وقد مر
ذكره في أخبار عمر بن عبد العزيز .

عشرون رجلا من موالى مروان الأعاجم، ومعه صاحب السجن، فأصبحنا وسعيد وعبد الله وإبراهيم قد ماتوا .

قال الميثم : حدثني أبو عبيدة قال : حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في العباس : إنه تم^(١) عبد الله مولاة عمة^(٢) ، وإبراهيم بن محمد بجراب نورة^(٣) ، وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن ، فلقبه بعض حرس مروان في ظلة الليل ، فوطئته الخيل^(٤) ولم لا يعرفون من هو ، فمات .

ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها ، فأرسل إلى نصر بن سيار ، فهرب هو وولده وكتبه داود حتى انتهوا إلى الرى ، فمات نصر بن سيار بساوة^(٥) ، وتفرق أصحابه ، ولحق داود بالكوفة وولده جميعا . واستعمل أبو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند وأحوازها ، ثم أخرج الرايات السود ، وقطع للبغوث ، وجر الخيل والرجال عليهم قحطية بن شبيب ، وطاسر بن إسماعيل ، ومحرز بن إبراهيم في عدة من القواد ، فلقوا من بطوس^(٦) ، فانهزموا ، ومن مات في الزحام أكثر من قتل ، فبلغ القتل بضعة عشر ألفا . ثم مضى قحطية إلى العراقي ، فبدأ بجرجان ، وعليها نبأثة بن حنظلة السكلاي . وكان قحطية يقول لأصحابه : والله ليقتلن طاسر بن ضبارة ويهزم من ابن هبة ، ولكني أخاف أن أموت قبل أن أبلغ ثارى ، وأخاف أن أكون الذي يفرق في الفرات ، فإن الإمام محمد بن علي قال لي ذلك .

قال الميثم : تقدم قحطية جرجان فقتل ابن نبأثة^(٧) ، ودخل جرجان فأتتهما ،

(١) تم : أتمه وه وضمه النبأثة . (٢) المرقعة (كسكنة) : الحقة .

(٣) النورة (بالضم) : الهاء .

(٤) كذا في النصارى : (٢٠٩) طيبة أوربة والطبرى (٢ : ٣) . وسأوه . (بالهاء الساكنة) مدينة بين الرى ومغان . والذي في الأصول : « بفسطاط » تحريف .

(٥) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ : (انظر معجم البلدان) .

(٦) الذى في الطبرى (٢ : ٢٠٠) أن نبأثة وابنه صبة بن نبأثة ذبحا .

(٧) الذى في الطبرى (٢ : ٢٠٠) أن نبأثة وابنه صبة بن نبأثة ذبحا .

وَقَسَمَ مَا أَصَابَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى حَامِرِ بْنِ ضُبَارَةَ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَقِيَهُ ، فَقُتِلَ
ابْنُ ضُبَارَةَ وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَلَحِقَ فَلَهُمْ بِأَبْنِ هُبَيْرَةَ .
وَقَالَ قَطْعِيَّةٌ لَمَّا قُتِلَ ابْنُ ضُبَارَةَ : مَا شِئْتُ رَأَيْتُهُ وَلَا عَدُوًّا قَتَلْتُهُ إِلَّا وَقَدْ
حَدَّثَنِي بِهِ الْإِمَامُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَنِي أَنِّي لَا أَعْبُرُ الْقُرَاتِ .

٥ . وَسَارَ قَطْعِيَّةٌ حَتَّى نَزَلَ حُلْوَانَ ^(١) ، وَوَجَّهَ أَبَا حَوْنٍ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
إِلَى مَرْوَانَ بْنِ عَمْدٍ ، فَأَخَذَ عَلَى شَهْرَزُورٍ ^(٢) حَتَّى أَتَى الزَّابَ ^(٣) ، وَذَلِكَ بِرَأْيِ
أَبِي مُسْلِمٍ .

لَحِذَتْ أَبُو حَوْنٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو هَاشِمٍ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ :
أَنْتَ وَاللَّهِ الْبَقِيَ تَسِيرُ إِلَى مَرْوَانَ ، وَلَتَنِمْنَ إِلَيْهِ غُلَامًا مِنْ مَذْحِجٍ يُقَالُ لَهُ عَامِرٌ
فَلَقِيْتُهُ فَقَتَلْتُهُ فَأَنْصَبْتَ وَاللَّهِ حَامِرَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى مُقَدَّمَتِي ، فَلَقِيَ مَرْوَانَ فَقَتَلَهُ .

١٠ ثُمَّ سَارَ قَطْعِيَّةٌ مِنْ حُلْوَانَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ بِالرَّاقِ ، فَالتَقُوا بِالْقُرَاتِ فَأَقْتَتَلُوا
حَتَّى أَخْطَطَ الظَّلَامُ ، وَقُتِلَ قَطْعِيَّةٌ فِي اللَّحْرَةِ وَهُوَ لَا يُعْرِفُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
فَرَّقَ فِي الْقُرَاتِ .

١٥ ثُمَّ انْهَزَمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ حَتَّى لَحِقَ بِوَاسِطٍ ، وَأَصْبَحَ الْمُسَوَّدَةُ وَقَدْ قَعَدُوا أَمِيرَهُمْ ،
فَقَعَدُوا الْحَسَنَ بْنَ قَطْعِيَّةٍ . وَلَمَّا بَلَغَ مَرْوَانَ قَتَلَ قَطْعِيَّةٌ وَهَزِيْعَةُ ابْنَ هُبَيْرَةَ قَالَ :
هَذَا وَاللَّهِ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَقَى رَأَيْتُمْ مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا ! وَأَقَامَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بِوَاسِطٍ ،
وَعَلِيَتْ لِلْمُسَوَّدَةِ عَلَى الرَّاقِ ، وَبَاسِعُوا الْأَبْنَ الْمُبَاسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ

(١) جلوان : عدة مواضع ، ولقد راد بها هنا جلوان السراق ، وهي في آخر حدود
السواد كما على الجبال من بغداد . (انظر معجم البلدان) .

(٢) شهر زوز : كبرية واسعة في الجبال بين دبريل وحمدان . (انظر معجم البلدان) .

(٣) الزاب : غدة أنهر بفارس سميت بزباب بن توكان أحد ملوكها ، وهي : الزاب الأعلى
بين الموصل ودبريل ، وأما الزاب الأدنى فخرجه من جبال السلق ثم يمر إلى ما بين
دفرنا ودبريل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض
في دجلة . وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد . وبين بغداد وواسط زابان
آخران . (انظر معجم البلدان) .

وثلاثين ومائة . ووجه عمه عبد الله ^(١) بن علي قتل مروان وأهل الشام ، وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام أبو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزّاب ، وأمضى عبد الله بن علي أبا عون في طلبه ، وأقام على دمشق ومدائن الشام يأخذ يبعثها لأبي العباس .

٥٣٥
٧

وكان أبو سلمة الخلال ، واسمه حفص بن سليمان ، يدعى وزير آل محمد ، وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . قتل أبو العباس أبا سلمة الخلال وأتبعه بحب بنى فاطمة ، وأنه كان يحطّب في جبالهم . وقتل ^(٢) أبو جعفر أبا مسلم ، وكان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم : لا تكلموا الناس إلا رمزا ، ولا تلحظوهم إلا شرا ، لتبلى صدورهم من هيبتكم .

١٠ مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك

كتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك : إن خالد بن عبد الله أودع زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام إلى زيد ، فقدم عليه ، فسأله عن ذلك ، فأنكر ، فأستحلفه بخلف له ، نفى سبيله ، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الأيام ، فقال له هشام : بئسنى إليك تعدت نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لما لأنك ابن أمة . قال : أأنا قولك إني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم النقيب إلا الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة ، أخرج الله من صلبه النيرة والحنازة وروميّة الباغوت . وخرج زيد مُغضبا . فقال زيد ^(٣) : ما أحب أحد الحياة إلا ذلك .

٢٠

(١) في بعض الأصول : عبيد الله . تحريف .

(٢) كان ذلك بعد موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر .

(٣) في بعض الأصول : « هشام » .

قال له الحاجب : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وخرج زيد حتى قَدِمَ الكوفة ، فقال :

شَرَّه الخوفُ وأزوى به كذاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلْدِ
مُحْتَمِلِي الرِّجْلَيْنِ يَشْكُو الوَجِي تَفَكُّه أطرافُ مَرْوِ جِدَادٍ^(١)
قد كان في اللّوت له راحة وللوت جَنَمٌ في رِقَابِ العِبادِ ٥

ثم خَرَجَ بُخْرَاسَان ، فَوَجَّهَ يوسف بنُ عمر إلى الخليل ، وَخَرَجَ في إثرها حتى لَقِيَهُ^(٢) ، فَقَاتَلَهُ ، فَرُمِيَ زيدٌ في آخِرِ التَّهَارِ بِنَشَابَةِ فَنَعَرَهُ فَات ، فَذَنَنَهُ أَصْحَابُهُ في حِمَاةٍ كَانَتْ قَرِيبَةً مِنْهُمْ . وَتَتَبَعَ [يوسف] أَصْحَابَ زيد ، فَانْهَزَمَ مِنْ أَنْهَزَمَ ، وَتُتِلَ مِنْ قَتْل . ثُمَّ أَتَى يوسفُ قَقِيلَ له : إِنَّ زَيْدًا ذَمِنَ في حِمَاةٍ ، فَأُصْطَرِّجُهُ وَبِئْسَ بِرَأْسِهِ إِنْ هَشَامَ ، ثُمَّ صَلَبَهُ في سَوَاقِ الكُفَّاسَةِ^(٣) . فَقَالَ في ذَلِكَ أَمْرٌ كَلْبٌ^(٤) ، وَكَانَ مَعَ يوسفَ في جَيْشِ أَهْلِ الشَّامِ :

نَصَبْنَا لِكَمِّ زَيْدًا عَلَى جَذْعٍ نَخْلَةٍ وَمَا كَانَ مَهْدِيًّا^(٥) عَلَى الْجَذْعِ يُصْطَبُ الشَّيْبَانِي قَالَ : لَمَّا نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ^(٦) بَنِي عَلَى نَهْرِ أَبِي فُطْرُسَ^(٧) ، خَضَرَ النَّاسُ بِأَبِيهِ لِلْإِذْنِ ، وَخَضَرَ أَتْنَانُ وَتَمَانُونَ رَجُلَانِ بَنَى أُمِيَّةٌ ، فَخَرَجَ الْإِذْنُ ، فَقَالَ : يَا هَلْ خَرَّاسَان ، قُومُوا . فَقَامُوا سِجَاطِينَ في مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِبَنَى أُمِيَّةٍ ، فَأَخَذَتْ سَيُوفَهُمْ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ النَّبَيْدِيُّ الشَّاعِرُ : وَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَأَدْخَلَنِي ،

(١) الرُّو حَبْلَةٌ بَيْنَ رَقَاق . وَالرَّوَاةُ فِي الْبَلَدِ (ج ١ ص ١٩٦) : « مَنُفَرَقِ الْخَفِيِّ ... تَكْبِهِ » .

(٢) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « فِي إِثْرِهَا حَتَّى الظُّوَا » .

(٣) الْكُفَّاسَةُ (بِالضَّم) : مَحَلٌّ بِالْكُوفَةِ . (انظر معجم البلدان) .

(٤) فِي الْأَغَانِي (ج ١٥ ص ١٢٠) طَبْعَةٌ بِلَاقٍ وَالْكُفَّالُ (ص ٧١٠) طَبْعَةٌ أَوْزِيَّةٌ : « الْأُمُورُ السَّكَنِيَّةُ » .

(٥) فِي بَيْتِ الْأَصُولِ : « عَفَا » ، وَفِي الْكُفَّالِ : « وَلَمْ تَرْمِدْهَا عَلَى الْجَذْعِ يُصْطَبُ » .

(٦) سَلَقَ ابْنُ قَتَيْبَةَ بِعِدَّتٍ مَعْتَلٍ بَنَى أُمِيَّةٌ وَشَرَّ الْمَيْدِي ، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَلِيٍّ عَمَّ أَبِي الْبَلَّاسِ أَنَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ . وَتَقَدَّمَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ تَوَجُّهُ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ هَذَا :

(٧) أَبُو فُطْرُسَ : نَهْرٌ قَرِيبُ الرَّمْلَةِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ . (انظر معجم البلدان) .

نسَلْتُ عليه ، فردَّ على السلام ، ثم قال أنشدني قولك :

• وَتَفَّ لِلتَّيَمِّ فِي رُسُومِ دِيَارِ •

فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي :

أما الفتاة إلى الجنان فهاتم^١ وبنو أمية من دُعاة النار
مَنْ كَانَ يَفْخَرُ بِالْمَكَارِمِ وَالسَّلا فَلَهَا يَتِمُّ الْجَمْدُ غَيْرَ فَخَّارِ •
والتَّمَرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَالِسٌ مَعَهُ عَلَى الْمُصَلَّى ، وَبَنُو أُمِيَّةٍ عَلَى السَّكْرَامِيِّ ،
فَأَتَى إِلَى صُرَّةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ فِيهَا تَحْمِيَّةُ دِينَارٍ ، قَالَ : لَكَ عِنْدَنَا عَشْرَةُ آلَافٍ
دِرْهَمٍ وَجَارِيَةٌ وَبِرْذَوْنٌ وَغِلَامٌ وَنَحْتُ ثِيَابَ . قَالَ : فَوَقَّ وَاللَّهِ بِذَلِكَ كُلَّهُ . ثُمَّ
أَنْشَأَ^(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ يَقُولُ :

حَبِيبُ أُمِيَّةٍ أَنْ سَرَّضَى هَاتِمٌ عَنْهَا وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا ١٠
كَلَّا وَدَبَّ عَمِيدٌ وَإِلَيْهِ حَتَّى تُبْلِغَ سَهْلُهَا وَخُرُونَهَا^(٣)
ثُمَّ أَخَذَ قَلَسُوتَهُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ، فَأَقْبَلَ أُولَئِكَ الْجَنْدَ عَلَى
بَنِي أُمِيَّةٍ فَغَطَّوهُمْ بِالسِّيُوفِ وَالسَّدِّ . وَقَالَ السَّكْبِيُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَ
مِنْ أَتْبَاعِهِمْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ :
وَمُدْخَلِي رَأْسَهُ لَمْ يَدْعُهُ^(٤) أَحَدٌ بَيْنَ الْقَرَيْنَيْنِ^(٥) حَتَّى لَزَّاهُ الْقَرْنُ^(٦) •
أَضْرَبُوا عُنُقَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى التَّمَرِ فَقَالَ : مَا أَحْسَبُ لَكَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ
هَؤُلَاءِ خَيْرًا . فَقَالَ : أَجَلٌ . قَالَ : يَا غِلَامُ ، أَضْرَبُ عُنُقَهُ . فَأَقِيمَ مِنَ الْمُصَلَّى فَضَرَبَ
عُنُقَهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِسَاطِ فَطْرَحَ عَلَيْهِمْ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَسَلَ يَأْكُلُ وَأَتَيْنَ بِسُفْهِمِ
نَحْتِ السَّيَاطِ .

(١) في بعض الأصول: «أنشد». والشعر لسديف، كما سيأتى (ص ٤٨٧) من هذا الجزء.

(٢) في الأصول: «د» حتى يغادروا زيدا وحسينا. وما أفتتا من عيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٨).

(٣) في عيون الأخبار: «لم يدعه».

(٤) كذلك في عيون الأخبار. والقي في الأصول: «بين القرينين».

(٥) القرن: الحبل يقرن به البجنان: ويقال للبجنان إذا قرنا في قرن واحد: قد اقرا. ٢٥

وفي رواية أخرى قال : لما قدم اللّغز بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس
السّفّاح في ثمانين رجلا من بني أمية ، فوضعت لهم الكرامى ووضعت لهم
ناروق وأجلسوا عليها ، وأجلس الممرّع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيخته فدخلوا ،
ودخل فيهم سديف بن ميمون ، وكان متوشحاً سيفاً متنكباً قوساً ، وكان طويلاً
آدم ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيزعم الضّلال بما حَبِطت أعمالهم
أنّ غير آل محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالخلافة ، فلم وبم ؟ أيها الناس ، ألكم
الفضل بالصّحابة دون ذوى القرباة ، الشّركاء في النّسب ، الأكفاء في الحسب ،
الخاصّة في الحياة ، الوفاة^(١) عند الوفاة ، مع ضربهم على الأوسر جاهلكم^(٢) ،
وإطعامهم في اللاّواء^(٣) جائلكم ؟ فكلمهم الله بهم من جبار باغ ، وفريق ظالم .
١٠ لم يُسمع بمثل العباس ، لم تنضج له الأمة بواجب حق [الحرمة] ، أبو رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجليّة ما بين عتيقه ، أميئة ليلة القعبة^(٤) ، ورسوله
إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين^(٥) ، لا يردّ له رأياً ، ولا يخالف له فتياً . إنكم
والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم ، تيسى سرّة
ومعدوى سرّة^(٦) ، وكُنتم بين ظهراني قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والتفانى
على الباقي ، وجعلوا الصدقات في الشهوات ، والنفى في اللذات ، وللتانم في الحارم ،
٢٥ إذا ذُكروا بالله لم يذكروا ، وإذا قدّموا بالحق أدبروا ، فذلك كان زمانهم ،
وبذلك كان يعمل ملطائهم^(٧) .

(١) في بعض الأصول : « الوفاة » . (٢) في بعض الأصول : « اللّغز » .

(٣) في بعض الأصول : « الأولى » .

(٤) يشير إلى حضور العباس — وهو على دين قومه — أمر ابن أخيه محمد على الله
عليه وسلم ليلة مبايعة الأنصار في البقيّة ليتوثق له .

(٥) يشير إلى بات العباس حين ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين
حين انهزم المسلمون أول ليلة الوفاة ، وكان آخذاً بلباب بقلته .

(٦) تيسى : نسبة لقيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، قَوْم أبي بكر . ومعدوى : نسبة إلى بن
عدي بن كعب بن لؤى ، قَوْم حمير بن الحظاب .

(٧) في الأصول : « خبطاتهم » . وما ألتجنا من سائر الأصول وشرح نهج البلاغة لابن
أبي الحديد (٢٤ ص ٢١٥) فقد أورد خطبة لأبيهم بالمدينة في السنة التي حج فيها
في خلافتهم تنفق وهذه الخطبة في أكثر فقرها .

فلما كان الند أذن لم فدخلوا ودخل فيهم شَيْبَل ، فلما جلسوا قام شَيْبَل
فاستأذن في الإنشاد ، فأذن له فأنشد ^(١) :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالهاليلِ من بَقِي النَّبَّاسِ
طلبوا وثرَ هاشمٍ فلقوها ^(٢) بعدَ مَثِيلِ من الزَّمانِ وباسِ
لا تَقِيلَنَّ عِبدَ شمسٍ عِثاراً اقطعوا كلَّ نَخْلَةٍ ^(٣) وغراسِ
ولقد غاظني وغازطَ سِوَانِي فَرَّجُهُم من مَنَابِرِ ^(٤) وكِراسِ
واذكروا مَن مَرَّعَ الحُسَيْنِ وزيدا ^(٥) وقَتَمَلا بِجَانِبِ اللِّهَاسِ ^(٦)
وقتيلاً يَجُوفُ حَرَابِ أَضْحَى تَصْجُلُ الطَّيْرُ حوله في الكِنَاسِ ^(٧)
نِمْ شَيْبَلُ المَرَّاشِ مولاك شَيْبَل ^(٨) لو نجا من حَبَائِلِ الإِفلاسِ

ثم قام وقاموا . ثم أذن لم بعد ، فدخلوا ودخل الشيعة . فلما جلسوا قام
سُديف بن مبدون ، فأنشد :

قد أُنْتُك الوُفود من عِبدِ كُفَيْسٍ مُسْتَعْدِينَ يُوجِسُونَ المِطْيَا
عَنوةً أيها الخليفة لا عَن طامعةً بل تَخَوَّفُوا المَشْرِفِيَا
لا يَمُرُّ نَكٌّ ما تَرى من رِجالٍ إن نَحَتَ الضُّلُوعُ داءَ دَوِيَا ^{٣٥٧}
فَضَعَ السِّيفَ وأَرَفَعَ السُّوطَ حَتَّى لا تَرى فَوْقَ ظَهْرِها أُمُومِيَا ^{١٥}
ثم قام خَلَفَ بن خَلِيفَةَ الأَصْلَحَ فأنشد :

- (١) الذي في الأغاني ومعجم البلدان (في رسم نهراس) ومعجم الأخبار (ج ١ ص ١٠٢)
والكمال (ص ٧١٣ طبعه أوربة) أن هذا الشعر لسديف .
(٢) في الكامل للبهراني (ص ٧١٣ طبعه أوربة) : « فلقوها » .
(٣) في الكامل والأغاني (ج ٤ ص ٩٣ طبعه بلقي) : « رَقْلَةٍ » ، والرافعة : النخلة الطويلة .
(٤) كذا في الأصول ومعجم الأخبار (ج ١ ص ٢٠٧) . والذي في الكامل
والأغاني : « تخارقي » .
(٥) وفي رواية : « وزيد » .
(٦) للهراس : ماء مجمل أحد ، وعنده دفن حمزة رضي الله عنه .
(٧) رواية للمراح التي ذكرت أن الشعر لسديف : « نِمْ كلب المَرَّاشِ مولاك لولا » .
(٨) في الكامل : « نَوايا بين غربة وتناسي » وفي الأغاني : « ومن قَبْرِ في غربة
وتناسي » .

٩ إن تجاوز قد قدرت عليهم أو تعاقب فلم تعاقب برئاً
أو تاتبهم على رقة الدين من قد كان دينهم سامرياً
فالتفت أبو العباس إلى النمر، فقال: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: والله
إني هذا لشاعر، ولقد قال شاعرنا ما هو أشعر^(١) من هذا. قال: وما قال؟
فأنشده:

شمس القدادة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا^(٢)
نشرق وجه أبي العباس بالدم وقال: كذبت يابن اللخضاء، إني لأرى
الخيلاء في رأسك بعد، ثم قاموا. وأمر بهم فدفعوا إلى الشيعة، فاقبسونهم
فصربوا أعناقهم، ثم جروا بأرجلهم حتى أقوم في الصحراء بالأنبار، وعليهم
١٠ سراويلات الوشي، فوقف عليهم شديد مع الشيعة وقال:

طيمت أمية أن سيرضى هاشم منها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد وإني حتى يباد^(٣) كقورها وخونها

وكان أشد الناس على بني أمية عبد الله بن علي، وأحتم عليهم سليمان بن
علي. وهو الذي كان يسميه أبو مسلم كنف الأمان، وكان يحير كل من استجار
٢٠ به، وكتب إلى أبي العباس: يا أمير المؤمنين، إنا لم نحارب بني أمية على
أزحامهم وإنما حاربناهم على عقوبهم، وقد دأبت إلى منهم دأفة^(٤) لم يشهروا
سلاحاً، ولم يكفروا جماً، فأحب أن نكتب لهم منشور أمان. فكتب لهم
منشور أمان وأنفذه إليهم. فأت سليمان بن علي وعنده يسع وثمانون حرمة
لبني أمية.

١٥

(١) في بعض الأصول: «أنشد».

(٢) البيت للأخطل من قصيدة له مخطئاً:

تلف القطيع فزأخوا منك أو يكروا. وأزجهم نوى في صرنها غير

(انظر ديوان الأخطل من ١٠٤)

(٣) في بعض الأصول: «يبعد».

(٤) المأفة: الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد.

٣٥٨ خلفاء بني أمية بالأندلس

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

أول خلفاء الأندلس من بني أمية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ولى الملك يوم الجمعة لشرخون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة . وتوفى فى عشرة من جمادى الأولى سنة ٥٠ اثنتين وسبعين ومائة . فكان ملكاً اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . وكان يقال له صقر قریش ، وذلك أن أبا جعفر اللبصور قال لأصحابه : أخبرونى عن صقر قریش . من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين الذى راضى للملك ، وسكن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد الأعداء . قال : ما صنعتم شيئاً . قالوا : فماوية . قال : ولا هذا . قالوا : فمبىد الملك بن مروان . قال : ولا هذا . ١٠ قالوا : فن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية ، الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلاداً أعجمياً مفرداً ، فصر الأعمار ، وجتد الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تديبه ، وشدة شكيمته . إن معاوية نهض بمركب سحله عليه عمرو عتيان ودلاله صعبه ، وعبد الملك ببينة تقدم له عقدها ، وأمير المؤمنين بطلب عشيرته ^(١) ، وأجتماع شيعته ، ١٥ وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستصحب لقزمه . وقالوا : لما توعد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الأبيات وأخرجها إلى وزرائه ، فاستقربت من قوله إذ صدقها فعله ، وهى :

ماحق ^(٢) من قام ذا انتماضٍ بمُنْتَقَى الشفرتين نصلاً ٣٥٨
٣

- (١) فى بعض الأصول المخطوطة قبل هذا : « آخر السفر الرابع من الأصل والمحدث أولاً وآخراً . يسم الله الرحمن الرحيم وهى لتعين » .
(٢) فى بعض الأصول : « فيه » .
(٣) فى البيان المغرب (ج ٢ ص ٦١) : « سيل » .

- فَبَرَّ مُلْكًا وَشَادَ حِرًّا^(١) وَمَتَبَرًّا لِلْخِطَابِ فَصَلَا
 فَجَارَ^(٢) قَفَرًا وَشَقَّ بَحْرًا مُسْلِمِيًّا لُبَّةً وَخَلَا^(٣)
 وَجَدَ الْجَنَدَ حِينَ أَوْدَى وَمَتَرَ لِلصَّرْحِ حِينَ أَجَلَى^(٤)
 نَمَّ دَمًا أَمَلَهُ جَمِيعًا حَيْثُ أَتَاوَا^(٥) أَنْ هَلُمَّ أَهْلَا
 فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ بُجُوعٍ شَرِيدَ سَيْفٍ أُبَيْدَ^(٦) قَتَلَا
 لَحِقَ أَمْنًا وَتَالَ شَيْعًا وَحَازَ مَالًا وَصَمَّ شَمَلًا^(٧)
 أَلَمْ يَكُنْ حَقٌّ ذَا عَلَى ذَا أَوْجَبَ مِنْ مُنْعَمٍ وَمَوَلَى
 وَكُتِبَ أُمِّيَّةٌ بَنَ يَزِيدُ عَنْهُ كِتَابًا إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ يَسْتَقْرِصُهُ فِيمَا فَرَسَ فِيهِ مِنْ
 عَمَلِهِ ، فَأَكْثَرُوا طَالَ الْكِتَابَ ، فَلَمَّا لَحِظَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَمَرَ بِقَطْعِهِ ، وَكُتِبَ : أَمَّا
 ١٠ بَعْدُ ، فَإِنْ يَكُنِ التَّقْصِيرُ مِنْكَ مُقَدِّمًا ، فَحَرِّى أَنْ يَكُونَ الْإِكْتِئَابُ عَنْكَ مُؤَخَّرًا^(٨) ،
 وَقَدْ عَلِمْتَ بِمَا تَقَدَّمَ ، فَأَعْتَمِدْ عَلَى أَتَمِّمَا أَحَبَبْتَ .
 وَكَانَ تَارَعَلِيهِ تَأَثُّرٌ بِفَرَى بَلَدَةٍ^(٩) ، فَزَاهَا نَظْفَرِيهِ وَأَسْرَهُ ، فَبَيْنَاهُمَا مُتَصَرِّفٌ
 وَقَدْ سُمِّلَ التَّائِثُ عَلَى بَغْلِ مَكِّيُولَا ، نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَ مُعَاوِيَةَ وَتَحْتَهُ فَرَسٌ لَهُ ،
 فَفَنَعَ رَأْسَهُ بِالْقَنَاقَةِ^(١٠) ، وَقَالَ : يَا بَغْلُ ، مَاذَا تَحْمِلُ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْتِفَاقِ ؟ قَالَ التَّائِثُ :
 ١٥ يَا فَرَسُ ، مَاذَا تَحْمِلُ مِنَ الْقَتْمِ وَالرَّحْمَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مَوْتًا
 عَلَى يَدَيَّ أَبَدًا .

- (١) فِي الْأَسْوَلِ : « وَسَادَ حُلَا » . وَمَا أَهْبَتَا مِنَ الْبَيَانِ لِلْفَرَسِ
 (٢) فِي الْبَيَانِ لِلْفَرَسِ : « غَلَبَ » . (٣) فِي الْأَسْوَلِ : « جَلَا » . وَمَا أَهْبَتَا مِنَ الْبَيَانِ .
 (٤) فِي الْبَيَانِ : « أَجَلَى » .
 ٢٠ (٥) فِي الْأَسْوَلِ : « تَأَوَّى » . وَمَا أَهْبَتَا مِنَ الْبَيَانِ .
 (٦) فِي بَعْضِ الْأَسْوَلِ : « أَجَدَ » . وَمَا أَهْبَتَا مِنْ سَائِرِ الْأَسْوَلِ
 (٧) كُنَّا فِي بَعْضِ الْأَسْوَلِ : وَالْبَيَانِ . وَتَأَوَّى فِي سَائِرِ الْأَسْوَلِ : « وَتَالَ أَعْلَا » .
 (٨) فِي أَكْثَرِ الْأَسْوَلِ : « فَإِنْ يَكُنِ التَّقْصِيرُ مِنْكَ مُقَدِّمًا ، فَإِذَا كَانَ الْإِكْتِئَابُ عَنْكَ يَكُونُ مُؤَخَّرًا » .
 (٩) بَلَدَةٌ : مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ أَعْمَالِ رِيَّةِ . وَفِي بَعْضِ الْأَسْوَلِ : « يَتَزَوَّى وَلَهُ » .
 ٢٥ (١٠) أَيْ غَشَاهَا .

هشام بن عبد الرحمن

- ثم ولى هشام بن عبد الرحمن لسبع خلون من مجدى الآخرة سنة اثنتين
وسبعين ومائة ، ومات فى صفر سنة ثمانين ومائة . فكانت ولايته سبع سنين
وعشرة أشهر . ومات وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . وهو أحسن الناس وجهاً ،
وأشرفهم نفساً ، الكامل للرؤية ، الحاكم بالكتاب والسنة ، الذى أخذ الزكاة
على جليها ، ووضعها فى حقها ، لم يعرف منه هفوة فى حدائته ، ولا زلة فى أيام صباه .
ورآه يوماً أبوه وهو مقبلٌ ممثلي شبايا فأعجبه ، فقال : يا ليت نساء
بنى هاشم أبصرنه حتى يُبدن فوارك^(١) . وكان هشام يُصرر الشرر بالأموال فى
لبالى للطر والظلة ، ويبيعت بها إلى الساجد . فيعطى من وجد فيها . يريد
بذلك عارة الساجد ، وأوصى رجل فى زمن هشام بمال فى فلك سبيبة^(٢) من
أرض البدو ، فطلبت فلم توجد ؛ احتراساً منه للثبر^(٣) واستنقاذاً لأهل السبي .

الحكم بن هشام

- ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام فى صفر سنة ثمانين ومائة ، وكانت ولايته
ستاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً^(٤) . ومات يوم الخميس لثلاث سيقين من ذى
الحجة سنة ست ومائتين^(٥) ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة^(٦) . وكانت فيه بطلاة ،
إلا أنه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم التقو ، متخيراً لأهل عمله

(١) فوارك : جمع فارك ، وهى المرأة تبيض زوجها .

(٢) فى بطن الأصول : « بطنه » .

(٣) فى بطن الأصول : « بطنه » وفى بطن آخر : « لثبره » .

(٤) كذا فى بطن الأصول والبيان للفرع لابن عفرى (ص ٧٠) . والحق فى سائر
الأصول : « سبعا وعشرين سنة » .(٥) كذا فى بطن الأصول والبيان . والحق فى سائر الأصول : سنة تسعين ومائتين
« تحريف » .(٦) كذا فى بطن الأصول . وهى تقضى وما ذكره ابن عفرى فى البيان ، إذا موافق الحكم
كان سنة ١٠٤ .

ولأحكام رعيته أودع بن يقدر عليهم وأقبلهم^(١) على نفسه فضلاً
عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضلِه وعده وورعه
وزُهدِه ، فرض مرضاً شديداً ، وانغم له الحُكم غمّاً شديداً . فذكر يزيدُ فتاه أنه
أرق ليلةً ويُدعنه نومُه وجعل يتملّ على فراشه ، فقلت : أوص الله الأمير ، إلى
أراك مُتعلملاً وقد زال النومُ عنك فلم أدر ما عرض لك ؟ قال : ويحك إني سمعتُ
نائحة هذه الليلة وقاضينا مريض ، فما أراه إلا قد قضى نحبِه ، وأين لنا بمثله ؟
ومن يقوم للرعية مقامه ؟ ثم إن القاضي مات ، واستقضى الحُكمُ بعده سعيدُ
ابن بشير . فكان أنصد الناس إلى حق ، وأخذهم يبدل ، وأبعدهم من هوى ،
وأنفذهم الحُكم . رَفَع إليه رجلٌ من أهل كورة بكيان أن عاملاً للحكم اغتصبه
جارية وعمل في تشهيرها إلى الحُكم ، فوقعت من قلبه كل موقع ، وأن الرجل
أثبت أسرَه عند القاضي ، وأناه ببينة [وشهود] يشهدون على متفرقة ما تظلم منه
وعلى عين الجارية ومترقهم بها . وأوجبت البينة أن تحضر الجارية ، واستأذن
القاضي على الحُكم ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال : إنه لا يتم عدلٌ في العامة
دون إفاضته في الخاصة ، وحسكي له أسرَ الجارية وخبره في إرازها إليه .
أو عزله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك إلى خير من ذلك ؟ تبتاع الجارية
من صاحبها بأنفس ثمن^(٢) وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : إن الشهود قد شقصوا من
كورة يجيئون يطالبون الحق في مظانّه ، فلما صاروا ببابك تعبرفهم دون إغاذ
الحق لأهلّه ، ولعلّ قائلاً أن يقول : بلغ ما^(٣) بملك بين مقتصر على أمره^(٤) .
فلما رأى قزته أمر بإخراج الجارية من قصره ، وشهد الشهود على عتيها ،
وقضى بها لصاحبها .

(١) في بعض الأصول : « فيسلطهم » .

(٢) كذلك في بعض الأصول والحق في سائر الأصول : « بين ثمنها » .

(٣) في بعض الأصول : « حق لا » .

(٤) في بعض الأصول : « على نفسه » .

وكان سعيد بن بشير القاضي إذا خرج إلى المسجد ، أو جلس في مجلس الحكم ، جلس في رداء مصفر وشعر مفرق إلى شحمة أذنيه ، فإذا طلب ما عنده وجد أوزع الناس وأفضلهم .

- وكانت للحكم ألف فرس مربوطة ببياب قصره على جانب النهر ، عليها عشرة عرفاء ، تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تفرح ، فإذا بلغه عن ثائر في ظرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره ، فلا يشعر حتى يحاط به . وأما الخيل : أن جابر بن لبيد يحاصر حيّان وهو يملب بالصولجان في الجسر . فدعا بتريف من أولئك العرفاء فأشار إليه أن يخرج من تحت يده إلى جابر بن لبيد ، ثم قل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه منساون ، فلما رأى ذلك عدوه سقط في أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لهم ، فقولوا مدبرين .

وقال الحكم يوم الميحاء بعد وقعة الرّبيض :

- رأيت صدوع الأرض بالسيف راقما . وقدما رأيت الشعب مذككت يافعا .
فائل تسوري هل بها اليوم شرّة . أبادرها مستنقى^(١) السيف دارما .
وشافه جلي أبيض القضاء جاجا . كالحاف شريان المبيد^(٢) لولما .
[فتبيك أني لم أكن من قراعهم .] وان وأنى كنت بالسيف فارما .
ولما تساقينا سجال خروبا . سقيهم ممّا من الموت ناقما .
وهل زدت أن وقيتهم صانع قرصهم . فوافوا منابا قدّرت ومصارما .
قال عثمان بن لثني للوؤب : قدّم علينا عياش بن ناصح^(٣) من الجزيرة أيام
الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فاستغنى شعر الحكم ، فأنشدته ، فلما
أتيت إلى قوله :

(١) في الأصول : « من متقى » . وما أجتنا من البيان الغرب (ج ٢ من ٧٢)

(٢) كذا في البيان . وعريان المبيد ، أي شجر المنظار . والى في الأصول : « بكافان عريان المبيد » .

(٣) في الأصول : « عباس بن ناصح » . والتصويب من النسخ والنية . ٢٥

• وهل زِدَتْ أَنْ وَقَّيْتَهُمْ صَاعَ قَرْنِهِمْ •

قال: لو جئني الحكم في حُكُومَةِ أَهْلِ الرَّبِيعِ^(١) لَقَامَ بِمُذْرَةِ هَذَا الْبَيْتِ .

عبد الرحمن بن الحكم

نَمَّ وَلِي بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ ، أُنْدَى النَّاسَ كَفًّا ، وَأَكْرَمَهُمْ
عَطْفًا ، وَأَوْسَمَهُمْ فَضْلًا ، فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا إِحْدَى وَثَلَاثِينَ
سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ . وَمَاتَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ ربيع الآخر سنة
ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِعَظْمِ
يَسَافِهِ عَلَا وَفِيمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَاكِلَتِهِ ، فَوَقَّعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : مَنْ لَمْ يُعْصِبْ وَجْهَهُ
مَطْلَبُهُ ، كَانَ الْعِرْمَانُ أَوَّلَى بِهِ .

محمد بن عبد الرحمن

نَمَّ وَلِي لِلَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَلَاثَ مِنْ شَهْرِ ربيع الآخر
سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَتَوَفَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلًا
ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَكُتِبَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّعْرِ إِلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
وَكَانَ يَتَجَنَّبُ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ غَخَافَةَ نَصْرِ الْفَتَى ، فَلَمَامَاتِ نَصَرَ كُتِبَ ابْنُ الشَّعْرِ
هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى مُحَمَّدٍ يَقُولُ فِيهَا :

لَنْ غَابَ وَجْهِي عَنْكَ إِنْ مَوَدَّقِي لِشَاهِدَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَسْلَمُ
وَمَا عَاقَبِي إِلَّا عَدُوًّا مُسْلَمًا يُذِلكُ وَيُقْصِي مَنْ يَشَاءُ وَيُرْغِمُ
وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلَّا بِكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْتَجَعَ الْعِزُّ مُجْرَمٍ
فَكَتَبْتُهُ فَاَسْتَطَالَ عَلَيْكُمْ وَكَادَتْ بِنَا نَهْرَانُهُ تَنْضَرُّمُ

(١) في بعض الأصول : « لو جئني الحكم المحصورة في أهل الربيع » .

- كذلك كَلَبَ السَّوءَ ابْنَ يَشِيعَ أَفَرَى^(١)
فَجَعَمَ إِخْوَانًا لُصُوصًا أَرَادَ لَا
رَأَى بِأَمِينٍ اللَّهُ سَعَتَا فِقْرِهِ^(٢)
فَنَحْنُ رُبًّا سَرَّ مَا يَهْلَاكُهُ
أَرَادَ يَكِيدُ اللَّهُ نَصْرًا فَكَادَهُ
بِكُنْ الْكَفْرُ وَالشَّيْطَانُ نَصْرًا فَأَعْوَلَا
وَكَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ جَبَابَةٌ
فَهَلْ حَانَطُ الْإِسْلَامِ يَوْمًا يَسُومُهُمْ^(٣)
وَيُهِنُنَا أَمْوَالَهُمْ وَهُوَ قَاعِلٌ
أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ أَهْمُوا نَوَلْ نَاصِحَ
مُحَمَّدٍ تَوَرَّ يُسْتَضَاءُ بَوَاجِهِ
فَكُونُوا لَهُ مِثْلَ الْبَيْتَيْنِ يَكُنْ لَكُمْ
فِيَابَنَ آمِينَ اللَّهُ لَا زَلَّ سَلَاتَا
أَلَسْتَ التَّوَجَّيُّ مِنَ أُمِّيَّةٍ وَالْقِي
وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْخَيْرِ رُوحٌ وَرَحْمَةٌ
وَحَدَّثَ بَقِيَّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ قَالَ : مَا كَلْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُلُوكِ أَكُلَ حَقْلًا ،
وَلَا أَبْلَغَ لَقْفًا ، مِنَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فِي مَجْلَسِ خِلَافَتِهِ فَأَقْتَضَحَ
الْكَلَامَ ، فَصَدَّ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ذَكَرَ
الْخُلَفَاءَ خَلِيفَةَ خَلِيفَةً ، غَسَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحِلْيَتِهِ وَنَمَتَهُ وَوَصَفَهُ ، وَذَكَرَ
- (١) فِي أَكْثَرِ الْأَسْوَالِ : « الْفَرَا » . وَفِي سَائِرِهَا : « أَفَرَى » . وَظَاهَرُ أَنَّهَا عَرَفَةٌ مَا أَثْبَتْنَا .
(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ . وَالْقِي فِي سَائِرِ الْأَسْوَالِ : « وَأَشْجِه » .
(٣) مُسْتَعْلِيًا : غَاضِبًا . وَيَقْرَأُ : « يَسُومُهُمْ » بِجَمْعِهِ .
(٤) فِي أَكْثَرِ الْأَسْوَالِ : « يَسُومُهُمْ » . بِجَمْعِهِ .
(٥) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « يَسُومُهُمْ » . بِجَمْعِهِ .
(٦) فِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ : « جَد » . بِجَمْعِهِ .
(٧) الرَّحِمُ (بِالضَّمِّ) : الرِّقَّةُ وَالصَّلَاطَةُ .

مآثره ومناقبه ، بأفصح لسان ، وأبين بيان ، حتى انتهى إلى نفسه فسكت .
 وخرج الأمير محمد يوماً متنزهً إلى الرضاعة وسه هاشم بن عبد العزيز ،
 فكان بها صدرَ نهاره على لذته ، فلما أُنسى وأختلط الظلام رجع مُتصرفاً إلى
 القصر وبه اختلاط ، فأخبرني مَنْ سمعه وهاشم يقول له : يا سيدي ، يا ابن الخلاف ،
 ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا ؟ قال : لولا الموت . قال له : يا ابن الغفناء ،
 كُنت في كلامك ، وهل تملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا بالموت ، ولولا
 الموت ما تملكناه أبداً .

وكان الأمير محمد غزاً لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو
 السعة الأشهر أو أكثر ، يحرق وينسف ، وله في العدو قيمة ^(١) وادى سليط ،
 وهي من أهات الوقائع ، لم يُعرف مثلها في الأندلس قبلها ، وفيها يقول عباس بن
 فراس ^(٢) ، وشعره يكفيننا من صفتها :

وَمُتَّخِلَفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلَفِ الْخَلَفِ أَهْوَمُ الْقَلَا حَيْلُ الْقَنَابِلِ مُتَلَفِ ^(٣)
 إِذَا أَوْصَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلَافَهَا بَرُوقاً تَرَاهِي فِي الْجِهَامِ وَتَسْتَخْفِي
 كَانَ دُرَى الْأَعْلَامِ فِي سِيلَانِهِ قَرَأَ قِرَاءَةً يَمُودُ صَجَرٌ مِنْ الْقَذْفِ
 وَإِنْ طَحَنَتْ أَرْكَانُهُ كَانَ قُطْبُهَا حِجْبِي مَلَكٌ يَجِدُ شِمَائِلَهُ عَفْ
 سَمِيَّ خِصَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ إِذَا وَصَفَ الْأَمْلاَكُ حَيْلَ مِنَ الْوَصْفِ
 فَنَ أَجَلُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غُدُوهُ ^(٤) وَقَدْ تَقَضَّى الْإِصْبَاحُ عَقْدَ عَرَى السَّجْفِ ^(٥)
 بَكَى جَيْلاً وَادَى سَلِيطَ فَأَعْوَلَا عَلَى الْفَرَسِ الشُّهْدَانِ وَالْمُصْبَةِ التُّلَفِ ^(٦)

(١) في بنى الأسول : « دقة » . (٢) في بنى الأسول : « عباس بن فراس » .

(٣) يقال : لُفِه (كسبه) : أجهه مرة ، فهو لُفِه (كسب) وصرده (ولوم
 كسبور) ولهم (كثير) . نصف سرعة قطع الجيش للفلان . والقنابل : جامعات الحيل ؛
 الواحدة قنبلة

(٤) كُتِلَ في بنى الأسول . والفرار : السلق ؛ الواحدة فرار (كسلوز) .
 والقي في سائر الأسول : « فراد » .

(٥) في بنى الأسول : « غزوة » (٦) في بنى الأسول : « حل » .
 (٧) التلَف : جمع أخلف ، وهي التي لا يـ .

دعاهم صريح الحين^(١) فأجمعوا له
 فما كان إلا أن رماهم ببعضها
 كأن مساعير اللوالى عليهم
 بنفسى تنانير الوغى حين صففت
 يقول ابن يلبوس لموسى وقد ولى^(٢)
 قتلهم ألقا وألقا ومثلها
 سوى من طواه النهر في مستلحه
 كأجتمع الجمالان للبقر في قف^(٣)
 فولوا على أعتاب مهزومة^(٤) ككشف^(٥)
 شواهين جادت للترانيق بالنسف^(٦)
 إلى الجبل للشحون صفاء على صف
 أرى الموت قد أذى ونحى ومن خلفي
 وألقا وألقا بعد ألف إلى ألف
 فأغرق فيه أو تبادأ من جرف^(٧)

المسفر بن محمد

ثم ولى المنذر بن محمد، يوم الأحد ثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث
 وسبعين ومائتين. ومات يوم السبت في غزاة له على بيشتر^(٨)، ثلاث عشرة ١٠
 بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو ابن ست وأربعين سنة.
 وكان أشد الناس شكيمة، وأضام حزيمة. ولما ولى اللك بسث إليه أهل
 طليطلة يجيأ بهم كاملة فردها عليهم، وقال: أستمعوا بها في حربكم فأنا سائر
 إليكم إن شاء الله. ثم غزا إلى الماروق الرندعمر بن حفصون^(٩) وهو يحسن، قاسية^(١٠)

- (١) في بعض الأصول: «الير». ١٥
 (٢) الجمالان: جبل (جم كسر) دوية. وألف ما ارتفع من الأرض، وقد يكون فيه
 ريش: وقمان.
 (٣) في بعض الأصول: «مهزومة». (٤) الكشف: للهمزون في الحرب.
 (٥) الشواهين: من سباع الطير؛ الواحد شاهين، ليس يرمى بحش. والترانيق:
 جمع فرتوق، وهو طير أبيض من طير الماء. وفي بعض الأصول: «بالسيف». ٢٠
 مكان: «بالسيف».
 (٦) في بعض الأصول: «ولى».
 (٧) تعاداً: تدرج. والذى في بعض الأصول: «أو ترد من الجرف»:
 (٨) بيشتر (بالضم) الفتح وسكون الثين للجمة وفتح التاء والراء: حصن منفر ولا متاع
 من أعمال ربة بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً. (انظر معجم البلدان). ٢٥
 (٩) في بعض الأصول: «عمر بن حفصون» وما أتبنتنا من سائر الأصول والبيان للفرق.
 (١٠) انظر البيان المغرب (ج ٢ ص ١٩٤).

فأخذق به وبجنيته ورجله ، فلم يجد الفاسق متفدًا ولا مُتَنَفِّسًا ، فأعمل الحيلة ولاد^(١)
 بالمكر والحديسة ، وأظهر الإجابة والإجابة ، وأن يكون من مُستوطنى قرطبة أهلها
 وولده ، وسأل إلحاق أولاده في الموالي . فأجابهُ الأمير إلى كل ما سأل ، وكتب
 لهم الأمانات ، وقطعت لأولاده الثياب ، وخُرِزَت لهم الخفاف ، ثم سأل مائة بفل
 يحمل عليها ماله ومتاعه إلى قرطبة ، فأمر الأميرُ بها . وطلبت البغال ومضت إلى
 بُدَشْتَر^(٢) ، وعليها عشرة من الرُفَاء ، وأعمل السكر عن الحِصْن بعض الأفعال ،
 وعكف^(٣) القاضي وجماعة من الفقهاء على تمام الشُّلُح فيما حَسَبُوا . فلما رأى الفاسقُ
 الفرصةَ أتمَّها ففسق^(٤) ليلاً وخرج ، فلقى الرُفَاءَ بالبغال فقتلهم ، وأخذ البغال وعاد
 إلى سيرته الأولى . فمعد للندى على نفسه فقد أن لا أعطاه صلحاً ولا عهداً إلا
 أن يُلقَى بيده ويُنزل على عهده وحُكْمه ، ثم غزاه القزاة التي توفى فيها ، فأمر
 بالبنيان والسكنى عليه ، وأن يُردَّ سوق قرطبة إليه ، فواجه أجله من ذلك .

عبد الله بن محمد

ثم تولى عبد الله بن محمد ، التقى التقى ، العابد الزاهد ، التالى لكتاب الله ،
 والقائم بمجدود الله ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين
 ومائتين . فبنى الساباط^(٥) وخرج إلى الجامع ، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر ، حتى
 أنه أجه ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء ليلة بقيت من صفر سنة ثمانية . وكانت له
 غزوات منها غزاة علي^(٦) التي أنست كل غزاة فقد منها . وذلك أن المرتد ابن حفصون
 ألب عليه كور الأندلس حتى لم يبق منها إلا قرطبة وجبها ، ثم أقبل في ثلاثين
 ألفاً من أهل الكور فنزل حِصْنَ تلي ، وخرج إليه الأمير عبد الله بن محمد

٣٦٢
٢

- ٧٠ (١) في بعض الأصول : « وغاس » .
 (٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٩٦) من هذا الجزء .
 (٣) في بعض الأصول : « وقتل » . (٤) في بعض الأصول : « فقتل » .
 (٥) في حاشية المارغ الإجمالية (١ : ٤٧٨) : « الساباط : طريق مسقوف بناء
 الأمير الأموي عبد الله » .
 (٦) على (بنوع أوله وكسر كايه وتشديد الياء) : ناحية بالأندلس . (انظر مسجم البلدان) .

٢٥

في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه ،
 فقبضوا إليه الفاسق ، وقد كَرَسَ كراديسه في مَنَاحِ الجبل ، وتاهضه الأميرُ عبد الله
 بمجهور عسكره ، فلم يكن له فيهم إلا صدمة مصادقة ، أزالهم بها عن معسكرهم ،
 فلم يقدروا أن يتراجعوا إليه . ونظر الفاسق إلى مُعسكر عبد الله الأمير ، فأناب
 يتلدد مُتبل مثل الليل ، في أنحدارِ الميل ، لا ينقطع ، فَصَبَّتْ نفسه ، وعطف إلى
 الحسن . فظهر إخراج من بقي فيه ، فتلَّم ثلثة وخرج منها في خمسة حمة ، وقد طار
 بهم جناح الفرار . فلما انتهى ذلك إلى أهل عسكره ولَّوا مدبرين ، لا يولى
 أحدٌ على أحد ، فعملت الإمخ في اكتناصهم ، والسيوف في طُلأ أعتاقهم ، حتى
 ألقوهم أو كادوا . وكان منهم جماعة قد أقتروا في عسكر الأمير عبد الله ، فمعه
 الأمير في الظلة ، وأحل بالقتالهم ، وأن لا يمرَّ أحدٌ على أحد منهم إلا قتل . قُتِلَ
 منهم ألف رجل صبراً بين يدي الأمير .

عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين

ثم ولي الملك التمرُّ الأزهر ، الأسدُ الضعيف ، لليوم النقية ، الحمدُ
 الصَّريَّة ، سيدُ الخلقاء ، وأنجبُ النجباء ، عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ،
 فبنيعة هلال ربيع الأول سنة ثلثائة ، قُتِلَ فيه :

١٥

بدا الملالُ جديداً وللكَ غصنٌ جديدٌ

يا رُشنة الله زیدی ما سَلَفَ فيه مُزید^(١)

وفي عدة آيات . فتولى الملك ، والأرض جرة تحتهم ، ونارٌ تضطرم ، وشقاق
 وتناق ، فأخذ يذرائها ، وسكن زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً تنبيه
 عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله . وقد قُتِلَ وقيل في غزواته كلها أشمان ، تد
 جالت في الأمصار ، وشردت في البلدان ، حتى أنهمت وأجلبت وأعرقت ،
 ولولا أن الناس مُسكتون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها .

(١) في البيهقي المبرور لا يوافق (ج ٢ ص ١٦٨) : • فما عليك مزيد • .

ولكننا منذ كرام سبق إلينا من مناقبه التي لم يتقدمه إليها متقدم، ولا أخت لها ولا نظير. فمن ذلك أول غزاة غزاه، وهي الغزاة المروفة بـ غزاة المنتون^(١)، أفتتج بها مبعوث جيمنا: كل حين منها قد تكلم^(٢) عنه الطوائف، وأنها على الخلاف. وفيها أقول:

٥. قد أوضح الله للإسلام منهاجا
وقد تزيّنت الدنيا لساكنها
بأن الخلفاء إن المزن لم علت
والحرب لم علت بأما تصول به
مات النفاق وأعطى الكفر ذمته
وأصبح النصر مفقودا بألوه
أدخلت في قبة الإسلام مارة
بجمل تشرق الأرض القضاء به
[يقوده البدر يسرى في كواكبه
بروق فيه يروق الموت لامة
غادرت في عتوي^(٥) جيان ملعمة
في نهج شهر تركت الأرض ساكنة
ووجدت في البحر المأثور منصفا
تلايك الأرض عدلا مثل ماثلت
يا بذر ظلتها يا قمص صبحتها
إن في الخلافة لن تواضع ولا تهنيت
- والناس قد دخلوا في الدين أفواجا
كأنما ألبست وشيئا وديبا
تدلك ما كان منها الماء ينجها
ما عجت من حياك الذي اجتاجا^(٣)
وذلت الخليل إلهاما وإسراجا
تطوى للراحل تهجيراً وإدلاجا
أخرجتهم من دار الشرك إخراجا^(٤)
كالبحر يقف بالأموج أمواجا
فربما كسود الليل هجراجا
وتسبحون به لعد أهراجا
أبكت منها بأرض الشرك أعلاجا
من بعد ما كان فيها الكور^(٦) قد ملجا
من الخلفاء هراجا هو لاجا
يجوزا وتوصح للعروف ينجها
يا ليت حومتها إن هائجا
حتى عقدت لها في رأسك التاجا

٣٩٣
٢

٥٥

٥٥

(١) كنا في بعض الأصول والبيان للرب (ج ٢ ص ١٦٧). والقي في سائر الأصول: «الليتون». (٢) في بعض الأصول: «تكت». (٣) الجيا: شدة الغيب. وفي بعض الأصول: «جبال الدين أميا». (٤) المارة: الموارج. وفي بعض الأصول: «مارة أخرجتها». (٥) القوة: ما حزل النار والحلة. وبيان: مدينة لما كورة واسعة الأندلس تحصل بكورة البيرة. (انظر معجم البلدان) (٦) في بعض الأصول: «الظير».

- ولم يكن مثل هذه الفزاة ملك من الملوك في الجاهلية والإسلام . وله فزاة مارشن ^(١) ، التي كانت أخت يدرو وحنين ، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمها في مغازيه ^(٢) كلها من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأوقعتها في أسفل كتابنا لتكون جامعة لمغازي أمير المؤمنين ، وجعلتها رجزاً لثقة الرجز وسهولة حفظه وروايته . ومن مناقبه : أن الملوك لم تزل تبني على أندارها ، ويقضي عليها بأثارها ، وأنه بقي في الدعة القليلة ما لم تبين الخلفاء في الدعة الطويلة . ثم ، لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية إلا وله فيها أثر محدث ، إما تزييد أو تجديد . ومن مناقبه : أنه أول من سمى أمير المؤمنين من خلفاء بني أمية بالأندلس . ومن مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير ، ما أعجز فيه من بعده ، وفات فيه من قبله ، الجود الذي لم يعرف ١٠ لأحد من أجداد الجاهلية والإسلام إلا له . وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه :

- يَا بْنَ الْخِلاَفِ وَالْمَلَأَ لِقَمَتِي وَالْجُودُ يُعْرِفُ فَضْلَهُ لِلْمُنْعَلِ
نَوَّهَتْ بِالْخُلَفَاءِ بَلْ أَتَحْتَلِمُ حَتَّى كَأَنَّ بَنِيهِمْ لَمْ يَنْبُلِ
أَذْكَرْتُ بَلْ أَنْسَيْتُ مَا ذَكَرَ الْأَوَّلِ مِنْ رَضْلِهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُقْتَلِ ١٠
وَأَتَيْتُ آخِرَهُمْ وَشَاوَكْتُ قَائِتُ الْآخِرِينَ وَمُذْرِكُ الْأَوَّلِ
الآنُ مُنْجِيَتِ الْخِلَافَةُ بِأَسْمِهَا كَالْبَذْرِ يُقَرَّنُ بِالشَّيْءِ الْأَهْوَلِ
تَأْتِي صَلَاتُكَ أَنْ تُقَرَّ لَآخِرُ مِنْهُمْ وَجُودُكَ أَنْ يَكُونَ لِأَوَّلِ

- وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه ، وما فتح الله عليه فيها في كل

فزاة ، وهي :

(١) مارشن : من أعمال جيان (انظر البيان للغرب ج ٢ ص ١٦٦) . وفي بعض

الأصول : « ماريس » .

(٢) في بعض الأصول : « جملتها مغازيه » .

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَحْوِهِ أَفْطَارُ وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
وَمَنْ عَنَتَ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ فَالَهُ نَيْدٌ وَلَا شَبَابُ
سَبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ قَدِيرٍ وَعَالِمِ الْخَلْقِ بِصِيرٍ
وَأَوَّلُ لَيْسَ لَهُ أَبْتَدَاءُ وَآخِرُ لَيْسَ لَهُ أَتْبَاءُ
أَوْسَعْنَا إِحْسَانَهُ وَفَضْلَهُ وَمَرْءٌ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِثْلَهُ
وَجَلَّ أَنْ تُدْرِكَهُ الْعُيُونُ أَوْ يَحْوِيَاهُ الزَّمَنُ وَالظُّلُونُ
لَكِنَّهُ يُدْرِكُ الْقَرِيبَ وَالْعَمَلُ وَالْأَنْبِيَاءُ الصَّامِتِينَ
وَهَلْ مِنْ أَثْبَتَ لِلْمَارِفِ فِي الْأَوْجِهَةِ الْفَانِصَةِ الْطَائِفِ
مَنْزِلَةُ الْعَمَلِ مِنَ الْإِنْسَانِ أَثْبَتُ مِنْ مَنَزِلَةِ الْعِيَانِ
فَالْحَسْبُ لِلَّهِ عَلَى تَعَالِيهِ حِجَابٌ جَزِيلٌ وَعَلَى آيَاتِهِ
وَبِشْرِ مُحَمَّدٍ اللَّهِ وَالْمُجِيدِ وَبِشْرِ شُكْرِ الْبَدَى لِلْعَبِيدِ
أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ وَمَنْ هَمَّ بِالْهَدَى وَالْبَاسِ
وَمَنْ أَبَادَ الْكُفْرَ وَالنَّفَاقَ وَشَرَّدَ الْقَلْبَ وَالشَّقَاقَ
وَمَنْ فِي حَتَادِيهِ كَالْإِلِ وَفَتْنَةٍ مِثْلَ غُثَاءِ (١) السَّيْلِ
حَتَّى تَوَلَّى عَابِدُ الرَّحْمَنِ ذَلِكَ الْأَخْرُ مِنْ بَنِي سُرَّانِ
مُؤَيَّدٌ حَكْمٌ فِي عُدَاتِهِ سَيْفًا يَسِيلُ لَوْتُ مِنْ غُبَاتِهِ
وَصَبِيحٌ لِلَّهِ مَعَ الْهَلَالِ فَأَصْبَحَا نَذِيرًا (٢) فِي الْجَبَالِ
وَأَحْتَمَلَ التَّقْوَى عَلَى جَبِينِهِ وَالْفِرْنَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى يَمِينِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بَنُورُهُ الْبِلَادُ وَأَنْقَطَعَ التَّقْشِيبُ وَالْفَسَادُ
هَذَا عَلَى حَقِّهِ طَعْنُ الْفَاقِ وَأَسْتَغْفِلُ النَّكَاتِ (٣) وَالرَّاقِ
وَنَخَاتِ الْأَرْضِ عَلَى سَكَنَاتِهَا وَأَذْكِبُ الْحَرْبَ لَطْفِي نِيرَانِهَا

١٠
٣٦٤
٧

١٥

٣٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَمْوَالِ : « زُهَاد » .
(٢) فِي أَكْثَرِ الْأَمْوَالِ : « يَدْرِي » .
(٣) فِي بَعْضِ الْأَمْوَالِ : « التَّكْذِيبُ » .

- ونحن في عَشَاءٍ مُدْهِمَةٍ وظلّة ما مثلها من ظلمة
تأخذنا الصّيحة كلّ يوم فما ظلّ مُتَقَةٌ بنوم
وقد نُعَلِّقُ المِيزَ بالتواظُر مخافةً من المدوّ الثّائر^(١)
حقّ أمانا الثّروتُ من ضيائه طَبَقَ بين الأرض والسماء
خليفة الله الذي أصعقاه على جميع الخلق وأجابه
من مَدَنِ الوحي وبَيَّنَّ الحِكْمَ وخبر منسوب إلى الأئمّة^(٢)
تَسْكِلُ من معروفيه البَقَائِبُ وتُسَمِّحُ من جوده السّحابُ^(٣)
في وَجْهِهِ من نُورِهِ برهانُ وكفّه تَفْصِيلُهَا^(٤) قُرْبانُ
أخيا الذي مات من لُكَّارِم من عهد كُتِبَ وَزَمَانِ حَاتِم^(٥)
مُكَارِمٍ يَفْضُرُ عنها الرّحْمَتُ وغرّة يَحْضُرُ عنها الطّرفُ
وشبّه كالصّابِ أو كلاله وَهَمّة تَرَقَّى إلى السماء
وأنظر إلى الرّضيع من بُيُوتِهِ^(٦) يُرَبِّك يَدُكُ من عَظَمِ شَأْنِهِ
لو خاليل^(٧) البحر نَدَى يَدَيْهِ إِذَا لَبَّتْ^(٨) غَفَاتُهُ إِلَيْهِ
لناضٍ أو لسكاد أن يَفِيضَا وَلَا اسْتَعْنَى من مدّ أن يَفِيضَا
من أَسْبَغَ التَّمْشِيءَ وكانت عَمَقَا وَهَقَّ الدُّنْيَا وكانت رَاقِعَا^(٩)
هو الذي جَمَعَ شَمْلَ الأُمّة وجاب عنها دَامِساتِ الظُّلَمَةِ
وَجَدَّدَ لَئِكَ الذي قد أَخْلَقَا حَتَّى رَسَتْ أَوْنَادُهُ وَأَسْتَوَسَقَا^(١٠)
وَجَمَعَ المَدَّةَ والسَّيِّدَا وَكَشَفَ الأَجْنَادَ والعُشُودَا

(١) التواظير ، وحلفت الياء للقصر : جمع تاطور ، وهو الحارس .

(٢) في بعض الأصول : « أُمّة » . (٣) الجنائب : جمع جنوب ، وهي دوح

تخالف الديال ، سورها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا .

(٤) في بعض الأصول : « لقطه » . (٥) يريد كسب ين مائة : وحام طي .

(٦) من أجواد العرب . (٧) في بعض الأصول : « واطلر إلى البديع من يائه » .

(٨) الحاقية : المباركة . وفي بعض الأصول : « كابل » .

(٩) في بعض الأصول : « إذا التبت » .

(١٠) في بعض الأصول : « ورتق الدنيا وكانت عَمَقَا » .

(١١) في بعض الأصول : « واستوسقا » .

أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

ثم انتحى جَيَّان^(١) في غزاته بسكر يسر من محابه^(٢)
 فاستنزل الوحش من الهضاب كأنما حطت من السحاب
 فأذعنت مرأها سراجا وأقبلت حصونها قلعا
 لما رماها بسيف القزم مشحونة على دروع العزم
 كادت لما أقسمهم تجود وكادت الأرض بهم تميد
 لولا الإله زلزلت زلزالها وأخرجت من رهبة أقالها
 فأزل الناس إلى الصميط وقطع البين من الغليظ
 وافتتح الحصون حصنا وأوسع الناس جميعا أنسا
 ولم يزل حتى أنتهى جَيَّان فلم يدع بأرضها شيطانا
 فأصبح الناس جميعا أمته قد عقد الإل لهم والذمة
 ثم أنتهى من فوره إلىيرة^(٣) وهي بكل آفة مشهورة
 فدانتها بجبله ورجله حتى توطأ خداه بنقله
 ولم يدع من جنبها مريدا بها ولا من أنفاس عنيذا
 إلا كساء الليل والعتارا وحبه وأعله دمارا
 فما رأيت مثل ذلك العام ومثل صنع الله للإسلام
 فأصرف الأمير من غزاته وقد شفاه الله من عداته
 وقبلها ما خضعت وأذعنت إستجابة^(٤) وطالما قد صنعت
 ويدها مدينة الشَّيْل^(٥) ما أذعنت للعباس الصليل

٣٩٥
٢

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) انظر الحاشية رقم (٥) من هذا الجزء .
 (٢) حتى ينتهي الأنسوك : « جسد من ماله » . (٣) قال ياقوت : إلىيرة ، وزن
 إخرطة ويصغرون يقول : إلىيرة ، وربما قالوا : ليرة : كورة كبيرة من الأندلس .
 (٤) إسمعية (بالكسر ثم السكون وكسر الفاء) : اسم لكورة بالأندلس مصلة بأعمال
 رية . (انظر معجم البلدان) . (٥) شليل : أحد نهري غرناطة وينحدر
 من جبل شاير . والآخر حدرة . وينحدر من جبل بناحية مدينة وادي آش .
 وفي بعض الأصول : « الشليل » . وفي سائرهما : « الشليل » .

لما غزاهما قائد الأمير البين في لوائه للتصور
فأسلست ولم تكن بالسلة وزال عنها أحد من مسئلة
وبدها في آخر الشهور من ذلك العام الزكي^(١) النور
أزجفت القلاع والمصورن كأنما ساورها للنون
وأقبلت رجالها وفودا تبين^(٢) لدى إمامها السعودا
وليس من ذي عزة وشدة^(٣) إلا توافوا عند باب الشدة
قلوبهم بأخسة بالطاعة قد أجمعوا الدخول في الجماعة

سنة إحدى وثلثمائة

ثم غزا في عقب عام قابل جبال في شدونة^(٤) والساحل
ولم يلق رية^(٥) والجزيرة حتى كوى أسلحتها المريعة
حتى أتاه نذرى قرمونة^(٦) بكل شكل كذرة الطاحونة
على القى خائب فيها وأنزى يئزى إلى سواده إذا اعتزى^(٧)
فسال أن يمهله شهورا ثم يكون عيده للأمورا
فأسف الأمير منه ما سأل وطاد بالقضل عليه وقفل

سنة اثنتين وثلثمائة

كان بها القبول عند البية من غزو إحدى وثلثمائة
لم يكن يذك في باقيها غزو ولا تبث يكون فيها

(١) في بنى الأصول : « اذكى » . (٢) في بنى الأصول : « لدى أليها » .

(٣) في بنى الأصول : « وجهه » . وفي سائرهما : « وجهه » .

(٤) شدونة (بفتح أوله وبعد الواو الساكنة تون) : مدينة بالأندلس تتصل بتاجيها
بنواى موزوز من أممال الأندلس . (انظر مصمم البلدان) .

(٥) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء . (انظر مصمم البلدان) .

وفي بنى الأصول : « مرية » . (٦) قرمونة : مدينة بالأندلس في الشرق

من إشبيلية وبينها وبين استية غسة وأرويون ميل . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

وفي مصمم البلدان : « قرمونية » . (٧) في ابن الأثير : « سوارنة » .

سنة ثلاث وثلاثمائة

٣٦٦ ٧	نُتِ أَعْرَى فِي الثَّلَاثِ عَمَّةٌ وَقَدْ كَسَاهُ عَزِيمَةٌ وَحَزْمَةٌ	فَسَارِقٌ جَيْشٍ شَدِيدٍ ^(١) الْيَاسُ وَقَاتِدُ الْجَيْشِ أَبُو الْيَاسِ ^(٢)
٥	حَتَّى رَقَى بِذُرَى بَيْشَسَو ^(٣) وَلَمْ يَدْعَ زَرْكَاً وَلَا عِمَارَةً	وَجَالَ فِي سَاحَتِهَا بِالسُّكْرِ وَلَمْ يَبَاعِ ^(٤) مِلْحُهَا وَلَا ظَلَمَ
١٠	ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَانَلَا فَأَيُّنَ الْغَزِيرُ عِنْدَ ذَاكَ	وَتَدَ أَبَدَ الزَّرْعَ وَاللَّكَلَا وَأَصْبَحَ النَّاسُ مَعَا فِي هَذِهِ
	وَأَرْنَتِ الشَّاةُ مِمَّا وَالِدَيْبُ إِذْ وَصَعَتْ أَوْزَارَهَا الْحُرُوبُ	وَالسَّعْ وَالطَّاعَةَ وَالْإِنَابَةَ فَتَأَخَذَ اللَّهُ شِهَابَ الْفِتْنَةِ

سنة أربع وثلاثمائة

١٥	وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَاةُ أَرْجِمْ فَمَا يَنْسُطُ لِللَّيْلِ الْأَوَامِ	فَأَيُّ صُنْعٍ رُبُّهَا لَمْ يَصْنَعْ كَلَّتَا يَدَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
	وَذَاكَ أَنْ قَوْدَ ^(٥) قَاتِدَيْنِ بِالنَّصْرِ وَالْقَائِدِ ظَاهِرِينَ	هَذَا إِلَى النَّصْرِ وَمَا يَلِيهِ عَلَى عَدُوِّ الشَّرِّكَ أَوْ ذَوِيهِ

- (١) في بنى الأسول : « مدوق » .
 (٢) أبو الياس ، هو أحد بنى أبي عينة ، وسيأتى ذكره قريباً . (انظر ابن الأثير ١ : ٤٤١) .
 (٣) انظر الخاشعي رقم (٨) ص ٤٧٦ من هذا الجزء .
 (٤) في بنى الأسول : « منه » .
 (٥) كلفا في بنى الأسول . وفي بنى آخر : « لم يصادر » . وفي سائرهما : « لم يضاف » .
 (٦) في بنى الأسول : « بقود »

وذا إلى ثم الرها من مؤسسه وما مضى جرى إلى بلفسيه^(١)
فكان من وجهه للساحل القرشي القائد القنابل^(٢)
وابن أبي عتبة نحو الشرك في خيبر ما تنبيه وشك^(٣)
فأقبل بكل فتح شامل وكل شكل للعدو ناكل
وبعد هدى الفزوة الفراء كان أفتاح لبله^(٤) الحراء
أغزى بجند نحوها مولا في عقب هذا العام لا مولا
بدرا فضم جانبها ضمه ونها^(٥) حتى أجابت حكمه^(٦)
وأسلت صاحبها مقهورا حتى أتى بدر به مأسورا

سنة خمس وثلاثمائة

- وبلدها كانت قرأة خمس إلى السوادني عقيد النصي^{١٠}
لما طمى وجاوز الحدودا ونقض اللياق واليهودا
ونابذ السلطان من شقائه ومن تمديه وسوء رايه
أغزى إليه القرشي القائدا إذ صار من قصد السبيل حائدا
ثمت شد أزوه بهدر فكان كالشفع لهذا الورث^(٧)
أحدثها بالخيل والرجال^{١٥} مشمرا وعبد في القتال
فنازل الحصن العظيم الشان بالرجل والرماة والفرسان

(١) : منسية (بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وواو مفتوحة خفيفة) : مدينة بالأندلس من أعمال قنبر . وبلسية : كورة ومدينة مسمورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة قنبر . (انظر مسجم البلدان) .

(٢) هو إسحاق بن محمد القرشي . (انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٩)
(٣) شك : جم شك ، بالكسرة فيها ، وهي السلاح .

(٤) لبة (بفتح أوله ثم السكون ولا م أخرى) : قنبرة كورة بالأندلس كبيرة حصل عملها يصل أكتوفية ، وهي شرق من أكتوفية وغرب من قرطبة ولها مدن ، وتعرف بلبة الحمراء . (انظر مسجم البلدان) . وفي بعض الأصول : « لبة » بالثناة النحوية .

(٥) في بعض الأصول : « ونها » . (٦) في بعض الأصول : « حوته »
(٧) بدر ، هو بدر بن أحمد الحاجب . (انظر البيان للغرب ج ١ ص ١٧٩) . وفي بعض الأصول : « بها والورث » .

٣٦٧
٧
فلم يزل يلدُّ بها محاصراً
والكلب في تهوُّر^(١) قد انتمش
فأفرق الأصحاب من لوائه
وأقتسم السكر في لدينه
مُسْتَسْلماً للذل والصَّخار
نزع الحاجب تاج ملكه
وكان في آخر هذا العام
غزاً وكان أنجحد الأنجاد
فسار في غير رجال العرب
مُحارباً في غير ما محارب
وأجتمعت إليه أخلاط الكور
حتى إذا أوغل في التدوُّ
أسله أهل القلوب القاسية
فاستشهد القائد في أزرار
في غير تأخير ولا فراير

١٠
١٥

سنة ست وثمانية

ثم أباد الله من أعدائه
في مبدأ العام القى من قاييل
مكان من رأى الإمام للوحيد
أن أحصى بالواحد القهار

٢٠

(١) في أكثر الأصول : « تهوُّر » . وفي بعض الأصول : « الضمنية » .
(٢) كذا في بعض الأصول . وفي سائرهما : « بكما » . والمكعب : القمع اليد
أو القلوعها .
(٣) يريد : نكب الإسلام بأبي العباس . وفي بعض الأصول : « نكب » .
وفي بعض آخر : « ركب » .

- جَمَعَ الْأَجْنَادَ وَالْحُشُودَا وَفَرَّ السَّيِّدَ وَالسَّوْدَا
وَحَشَرَ الْأَطْرَافَ وَالشُّعُورَا وَرَفَضَ اللَّذَاتِ وَالْجُبُورَا
حَتَّى إِذَا مَا وَفَتِ الْجُنُودُ وَاجْتَمَعَ الْحَشَادُ وَالْحُشُودُ
قَوْدٌ^(١) بِدَرَا أَمَرَتْكَ الطَّائِفَةُ وَكَانَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ خَافَةً
نَسَارَ فِي كَفَاتَيْبٍ كَالسَّيْلِ وَعَسْكَرٍ مِثْلَ سَوَادِ الْبَلِيلِ
حَتَّى إِذَا حُلَّ عَلَى مُطْنِيهِ^(٢) وَكَانَ فِيهَا أَخْبَثُ الْبَرِيَّةِ
نَاصِبَهُمْ حَرًّا لَهَا شَرَارُ كَانُوا أَمْرَمَ فِيهَا النَّارُ
وَجَدُوا مِنْ بَيْنِهِمُ الْقَتْلَ وَأُخْذَتْ حَوَلَمُ الرِّجَالِ
لِغَارِبُوا يَوْمَهُمْ وَبَاوُوا وَقَدْ نَفَتْ نَوْمَهُمُ الرُّمَاءُ
فَهُمْ حَوْلَالُ الْبَلِيلِ كَالطَّلَاحِ جَرَّاهُمْ تَنْقَلُ فِي الْجَوَارِحِ^(٣)
ثُمَّ تَمَّصُوا فِي حَرْبِهِمْ أَيْتَانَا حَتَّى بَدَأَ^(٤) لَوْتُ لَمْ زُولْنَا
لَمَّا رَأَوْا سَحَابَ اللَّيْلِ تَطَرَّمُ صَوَالِقُ التَّيَالِ
تَغْلُفُ السَّجْمِ بَارِضُ السَّجْمِ وَانْحَدُوا^(٥) مِنْ تَحْتِ كُلِّ سَيْفٍ
فَأَقْبَلَ الْمَلِجُ لَمْ مُمِيتًا يَوْمَ الْحَمِيسِ مُسْرِعًا حَيْثُمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ الرِّجْلُ وَالْقَوَارِصُ وَحَوْلَهُ الصُّلْبَانُ وَالنَّوَارِصُ
وَكَانَ رَجُوانُ يُزِيلُ الْعَسْكَرَا عَنْ جَانِبِ الْحِصْنِ الَّذِي قَدَّ دُمَرَا
فَاعْتَقَهُ بِدَرٍ عَنْ لَدَيْهِ مُسْتَوَصِرًا فِي رَحْطِهِ إِلَيْهِ
حَتَّى التَّقَتْ مُمِيتَةً بِمُيَمَّرِهِ وَأَعْتَقَتْ الْأَرْوَاحُ عِنْدَ الْخَنْجَرِهِ^(٦)
فَنَازَ حَرْبُ اللَّهِ بِالْمَلِجَانِ وَأَنْهَزَتْ بَطَانَةُ الشَّيْطَانِ
فَقَتَّلُوا قَتْلًا ذَرِيْعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ الْمَلِجُ ذَمِيًّا خَازِيَا^(٧)

(١) في بعض الأصول: «أهد». (٢) في البيان: «مطوية». (٣) الطَّلَاحُ: الإبل أميت وتبيت. وتسل الجرح: تسد. وفي بعض الأصول: «تقتل». وفي بعض أكثر: «تصل». والجوارح: أعضاء الإنسان. (٤) في أكثر الأصول: «تري». (٥) في بعض الأصول: «واغصروا». (٦) اعتقت: اعترضت. وفي أكثر الأصول: «واصلت». (٧) في أكثر الأصول: «غاسيا».

وانصرف الناس إلى القلبيمة^(١) فصحبوا التدو يوم الجمعة
ثم التقى العليان في الطريق التنبؤي مع الميلىقى^(٢)
فأعدا على أتباع التمسك وأن يموتا قبل ذلك المحضر
وأفسا باليبت والطاغوت لا يهزما دون لقاء لقوت
فأقبلوا بأعظم الطغيان قد جلقوا الجبال بالقرسان
حتى ندعى الناس يوم السبت فكان وقتا ياله من وقت
فأشرفت بينهم الرماح وقد علا التكبير والصياح
وفاقت أعماهما السيوف وفقرت أفواهما الحثوف
وألقت الرجال بالرجال وأنتمسوا في عمرة القتال
في موقف زاشت به الأبصار وقصرت في طوله الأعصار
وهب أهل الصبر واليمائر فأوعوا^(٣) على المدو الكافر
حتى بدت هزيمة اليشكنس^(٤) كأنه محتضب بالورس
فانقضت البيبان والسلافة زعقا^(٥) على مقدم الجلالة
عقبان موت تخطف الأرواحا وتشبع السيوف والرماحا
فأنهزم الخنزير عند ذا كآ وانكشفت صورته هناك
فقتلوا في بطن كل وادي ونجحت الرءوس في الأغواد
وقدم القائد ألف راس^(٦) من الجلاليق^(٧) ذوي العباس^(٨)

(١) في بعض الأصول: «نظفة». قال ابن خناري في البيان (ج ٢ ص ٢٤٨):

«ثم خرجوا — يريد التصاري — على حسن بصرهم يعرف بالقلبيمة ... فاحمد

إليهم جميع أهل المدينة بفارسهم وراجلهم ... فتبعهم الله عز وجل أكتاف

السكر». (٢) في بعض الأصول: «الخليق».

(٣) أو عرق الفارة: بها. وفي بعض الأصول: «فأوحقوا».

(٤) اليشكنس: سكان الأندلس. وانظر نفع الطيب للقرى.

(٥) زعقه (كنه): ذمه. وفي بعض الأصول: «وهقا». والرمق (كالرح):

أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه، ولا يستقيم بها وزن الشئ إلا نزع إسكان الماء.

(٦) في بعض الأصول: «طوس». (٧) في بعض الأصول: «الجلاليق».

والجلاليق: جمع جالليق (يشبع الماء للثقة): رئيس للتصاري.

(٨) ذوي العباس، أو ذوي الشدة والباس. ومنه: أرمعاس، كسحاب، أي شديد. وفي

بعض الأصول: «ذوي العباس». وفي بعض أكثر: «العباس» وفي سائرنا: «الطارس»

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

قَمْ صُنْعَ اللَّهِ لِلإِسْلَامِ وَحَتْمًا مَرُورُ ذَلِكَ الْعَامِ
وَوَحْدًا مَافِيهِ مِنَ الشُّرُورِ مَوْتِ ابْنِ جَفْظُونِ بِالْخَزِيرِ
فَاتَّصَلَ الْفَتْحُ بِفَتْحِ ثَانِيٍ وَالنَّصْرُ بِالنَّصْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَهَذِهِ الْفَرَاةُ تُدْعَى الْقَاضِيَّةُ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَاهِيَّةُ (١)

سنة سبع وثلثمائة

وبعدها كانت غزاة يُلْدُه (٢) وهي التي أودت بأهل الرِّدَّةِ
وَيَذُّوْهَا أَنَّ الْإِمَامَ الْمَطْفِيَّ أَصْدَقُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَدْلًا وَوَقَارًا
لَمَّا أَتَتْهُ مِيتَةُ الْخَزِيرِ وَأَنَّهُ صَارَ إِلَى السَّيْرِ
كَاتِبُهُ أَوْلَادُهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِخْلَاقِ مَدْخُلُ الْجَمَاعَةِ
وَأَن يُقَرَّرَ عَلَى الْوَلَايَةِ عَلَى دُرُورِ الْخَرْجِ وَالْجَبَابَةِ
فَأَخْتَارَ ذَلِكَ الْإِمَامُ الْفَضْلُ وَلَمْ يَزَلْ مِنْ رَأْيِهِ التَّفَضُّلُ
نَمَّ لَوَى الشَّيْطَانُ رَأْسَ جَنْفَرٍ وَصَارَ مِنْهُ نَافِثًا فِي النَّخْرِ
نَقَضَ التَّوَهُدَ وَاللِّثَامَا وَأَسْتَمَلَ التَّنْشِيبَ وَالنَّفَاقَا
وَمَنْ أَهْلُ التَّنَكُّثِ وَالْخِلَافِ مِنْ غَيْرِ (٣) مَا كَافٍ وَغَيْرِ وَاقِي (٤)
فَاعْتَابَهُ (٥) الْخَلِيفَةُ الْوُزَيْدُ وَهُوَ الْقَدَى يُشْقَى بِهِ وَيُسَمَّدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ مِنْ عُيُونِ اللَّهِ حَوَافِظُ مِنْ كُلِّ أَسَرِّ دَاهِي
فَجَنَدَ الْجُنُودِ وَالْكِتَابِيَا وَقَوَّدَ الْقَوَادِ وَاللِّقَاتِيَا
ثُمَّ غَزَا فِي أَكْثَرِ الْمَدِيدِ مُسْتَصْعَبًا بِالنَّصْرِ وَالتَّائِيدِ
حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَحْضِنِ بِلْدَةٍ خَلَّفَ (٦) فِيهِ قَائِدًا فِي عِدَّةِ

(١) في بعض الأصول : « الراية » .
(٢) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية ، وقيل من أعمال قبرة . (انظر معجم البلدان) .
(٣) في بعض الأصول : « لغير » . (٤) في بعض الأصول : « ولا موالى » .
(٥) اعتاقه : صرقه وبطشه ، كماله .
(٦) في أكثر الأصول : « خلفها » .

يَنْتَهَم مِنْ أَنْتِشَارِ خَيْلِهِمْ وَحَارَسًا^(١) فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلِهِمْ
ثُمَّ مَضَى يَسْتَنْزِلُ الْمُحْصُونَ وَيَبِيتُ الطَّلَاعُ وَالنُّيُونا
حَتَّى أَتَاهُ بَاشِرٌ^(٢) مِنْ بَلَدَةٍ يَدُو بِرَأْسِ رَأْسِهَا فِي صَفَدَةٍ
فَقَدَّمَ الْخَيْلَ إِلَيْهَا مُسْرِعًا وَأَحْتَلَهَا مِنْ يَوْمِهِ قَسْرَةً
خَفِئَهَا بِالْخَيْلِ وَالرِّهَامَةِ وَجُمْلَةِ الْحَيَاةِ وَالْكُمَاةِ
فَأَطْلَعَ الرَّجُلَ عَلَى أَتْقَابِهَا^(٣) وَأَقْتَمَ الْجُنْدُ عَلَى أَبْوَابِهَا
فَادْعَعَتْ وَلَمْ تَكُنْ بِمُدْعِيَةٍ وَأَسْتَسَلَمَتْ كَافِرَةً^(٤) لِمُؤْمِنَةٍ
فَقَدَّمَتْ كَفَّارَهَا الشَّيْفَ وَتَوَلَّوْا بِالْحَقِّ لَا بِالْخَيْفِ
وَذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْإِمَامِ لِلرَّضِيِّ وَخَيْرٌ مِنْ بَقِي وَخَيْرٌ مِنْ مَضَى
ثُمَّ أَتَتْهُ مِنْ قَوْمِهِ يُنْشَرُونَ قَلَمٌ يَدْعُ بِهَا قَضِيًّا أَخْضَرًا
وَحَلَّمَ النَّبَاتَ وَالزُّرُوعَا وَهَتَكَ الزُّبَاعَ وَالزُّبُوعَا
فَإِذَا رَأَى الْكَلْبُ الْقَتْلَى رَأَى مِنْ مَرْمِهِ فِي قَطْعِ مُنْتَوَاهِ^(٥)
أَتَى إِلَيْهِ بِالْيَدَيْنِ ضَارِعًا وَسَأَلَ أَنْ يُبْقَى عَلَيْهِ وَادْعَا^(٦)
وَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي طَاعَتِهِ عَلَى دُرُورِ الْفَرَجِ مِنْ جَبَابَتِهِ^(٧)
فَوَقَّعَ الْإِمَامُ مِنْ رِهَانِهِ كَيْلَا يَكُونَ فِي عَمَى^(٨) مِنْ شَأْنِهِ
وَقَبِلَ الْإِمَامُ ذَلِكَ مِنْهُ فَضَلًا وَإِحْسَانًا وَسَارَ^(٩) عَنْهُ

١٠

١٥

(١) في أكثر الأصول: «حرسهم».

(٢) باهر، أي مبهر. وفي بعض الأصول: «باسر».

(٣) ألقابها، أي مفاصلها ومناضعها وطرقها. وفي بعض الأصول: «أعقابها».

(٤) في بعض الأصول: «وأسلمت ابن كافر».

(٥) في بعض الأصول: «في قطعه منواه».

(٦) في بعض الأصول: «وسأل الإيالة مواد».

(٧) في بعض الأصول: «ورد».

(٨) في بعض الأصول: «في غنى».

(٩) في بعض الأصول: «وزال».

٢٠

٢٥

سنة ثمان وثلاثمائة

- ثم غزا الإمام دار الحرب فكان خطيباً ياله من خطيب^(١)
 فحشدت^(٢) إليه أعلام الكوثر ومن له في الناس ذكر وخطر^(٣)
 إلى ذوي القربان والزيات وكل منسوب إلى الشامات
 وكل من أخلص للرحمن بطاعة في السر والإعلان
 وكل من طاع في الجهاد^(٤) أو ضمه سرج على الجياد^(٥)
 فكان حشداً ياله من^(٦) حشد من^(٧) كل جر عندنا وعبد
 فتحسب الناس جرأداً منتشر كما يقول ربنا فيمن حشيره
 ثم مقي للظفر للنزور على جبينه الهدى والنور
 أمامه جند من اللاتكة^(٨) آخض لربها وتاركة
 حتى إذا فوز^(٩) في العدو جتبه الرحمن لكل سؤ
 وأنزل الجزية والدواهي على الذين أشركوا بالله
 فزلزلت أقدامهم بالرعب وأسقفروا من خوف نار العزب^(١٠)
 واتحصوا الشعب والكامنة وأسلوا الحصون وللدائنة
 فما بقي من جنابات دور^(١١) من بيعة راهب أو دير
 إلا وقد صيرها هباء كالقار إذ وافقت الأياء^(١٢)

(١) في البيان للغرب : « وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة أمير المؤمنين إلى دار الحرب

وهي غزاة مویش » .

(٢) في بعض الأصول : « تحاشدت » .

(٣) في بعض الأصول : « التار » . (٤) في بعض الأصول : « الجهاد » .

(٥) في أكثر الأصول : « صدقة الحقاء » في مكان « مسرج على الجياد » .

(٦) في بعض الأصول : « لم يكن » مكان « ياله من » .

(٧) في بعض الأصول : « في » .

(٨) فوز : مضي . (٩) في بعض الأصول : « حر » .

(١٠) في أكثر الأصول : « فما بقي من جناب دور » .

(١١) الأياء : الشعب في الواحدة : أياءة .

وَزَعَرَتْ كِتَابُ السُّلْطَانِ لَكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الثَّنِيَانِ
فَكَانَ مِنْ أَوَّلِ حِصْنٍ زَعَرُوا وَمِنْ بِهِ مِنَ الدُّنُو أَوْصُوا
مَدِينَةً مَعْرُوفَةً بِوَحْشَتِهِ فَغَادَرُوا قَصْعَةً مُسْتَحْشَةً
ثُمَّ أَرَبُوا مِنْهَا إِلَى حَوَاضِرِ^(١) فَغَادَرُوا مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ
ثُمَّ مَضُوا وَالطُّجُ يُحْتَذِرُهُمْ بِحَيْثُ يَحْشَى وَيَقْتَضِرُهُمْ^(٢)
سَقَى أَوَّلًا تَوًّا لَوَادِي دَيْ فِيهِ عَقَى^(٣) الرُّشْدُ سَبِيلَ النَّيِّ
لَهَا التَّقْوَى بِمَجْمَعِ الْجَوَازِينِ وَأَجْتَمَعَتْ كِتَابُ الْمِلْجِينِ^(٤)
مِنْ أَهْلِ أَلْيُونٍ وَيَبْلُونَةٍ^(٥) وَأَهْلِ أَرْنَيْطِ^(٦) وَبَرْشَلُونَةٍ^(٧)
تَضَارَفَ^(٨) الْكُفْرُ مَعَ الْإِلْهَادِ وَأَجْتَمَعُوا مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ
فَاضْطَرُّوا فِي سَفْحِ طَرْدِ عَالِي وَصَفَّقُوا تَبِيْعَةً الْقِتَالِ
فَبَادَرَتْ إِلَيْهِمْ الْقُدُمَةُ سَامِيَةً فِي خَيْلِهَا لِسُوءَةِ
وَرِدْهَا مُتَّصِلَةً بِرِدِّ^(٩) يُعِدُّ بِحَرْبٍ عَظِيمٍ لِلدِّ
فَانْهَزَمَ الطُّجُجَانُ فِي عِلَاجِ وَلَبَسُوا قُبُورًا مِنَ التَّجَاجِرِ
كَلَامًا يَنْظُرُ حِينَ خَلْفَهُ هُوَ يَرَى فِي كُلِّ وَجْهِ حَقْفَهُ
وَالْبَيْضُ فِي إِثْرِهِمُ وَالشَّمْرُ وَالْقَتْلُ مَاضٍ فِيهِمْ وَالْأَنْشُرُ
فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ مِنْ بَرَاحِ وَجَاءَتْ الرُّؤُوسُ فِي الرَّمَاكِ
فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِالتَّقْوِيضِ وَأَسْرَعَ التَّسَكُّرُ فِي التَّهْوِضِ

- (١) في بعض الأصول : « خواطر » . تحريف . وانظر البيان المغرب (ص ١٨٦)
فيه تعداد المدن والحوادث التي اقتضتها للملون .
(٢) في بعض الأصول : « ويقتضيه » . (٣) في بعض الأصول : « عصى » .
(٤) - الطليان هما أزدون وشاهيه . (انظر البيان المغرب ص ١٨٧) .
(٥) أليون : أي ليون وهي قاعدة من قواعد قشتالة . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .
ويبلونة : مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة ١٢٥ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .
(٦) أرنيط : مدينة بالأندلس بينها وبين تطلة ٣٠ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .
وفي بعض الأصول : « برين » . وفي بعضها : « أريط » .
(٧) برشالوت : مدينة الروم بينها وبين طركوة مجنون ميلا . (انظر صفة جزيرة
الأندلس) . (٨) في بعض الأصول : « تظاهر » .
(٩) الرد : احتلاء الضرع من اللبن قبل التناج . شبه به عدد الجيش .

٣٧١
٧

فصَادَقُوا الْجُهُورَ لَنَا هُزُمُوا وَعَانُوا قُودَمَ تُخْرَمُوا
فَدَخَلُوا حَدِيقَةَ الْبُوتِ إِذْ طَحِمُوا فِي حَقْبَتِهَا بِالْقُوْتِ
فِيَالِهَا حَدِيقَةً وَيَالِهَا وَافَتْ بِهَا تَقْوُسُهُمْ آجَالُهَا
تَحْصَنُوا إِذْ عَانُوا الْأَهْوَالَ لَتَمَقِلْ كَانَ لَمْ عِفَالًا
وَصَخْرَةً كَانَتْ عَلَيْهِمْ صَيْلًا^(١) وَأَقْبَلُوا مِنْهَا إِلَى جَبْنًا
تَسَاطَعُوا يَسْتَطْمُونَ لِلَاءَ فَأُخْرِجَتْ^(٢) أَرْوَاحُهُمْ غِيَاءَ
فَسَكَمَ لِسِيْفُ اللَّهِ مِنْ جَزْوَرٍ فِي تَادِبِ النَّزِيرَانِ وَالتَّسْوِيرِ
وَكَيْدِ قَتْلِ مِنَ الْقَسَاوِسِ^(٣) تَكْدِبُ الْعَالِيَانِ^(٤) وَالتَّوَاوِسِ
ثُمَّ قَتَعَ عَنَانَهُ الْأَمِيدُ وَحَوْلَهُ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْثِيرُ
بُحْبَحًا بِحَرْبِ دَارِ^(٥) الْحَرْبِ فَقَدَامَهُ كِفَاتُ مِنْ هَرْبِ
فَدَاسَهَا وَسَاحَهَا بِالْخَسْفِ وَالتَّكْلِيفِ وَالتَّشْفِيقِ لَهَا وَالتَّسْفِ
فَحَزَمُوا وَمَزَقُوا الْمُحْصُونَ وَأَشْخَعُوا^(٦) مِنْ أَهْلِهَا الدُّيُونَا
فَظَنُّوا عَنِ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ فَاتَرَى إِلَّا لِهَيْبِ الدَّارِ
وَأَصْبَحَتْ دَارُهُمْ بِلَاقَا فَاتَرَى إِلَّا دُعَاكَ سَاطِعَا
وَنُصْرَ الْإِمَامِ فِيهَا لِلْصُلَاقِ وَقَدْ شَفَى مِنَ الْبَدْرِ وَأَشْتَقَى

١٠

١٥

سنة تسع وثلثائة

وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَاةَ طَرَشْ تَمَّا إِلَيْهَا جَيْشُهُ لَمْ يُنْهَشْ^(٧)
وَأَحْدَقَتْ بِحَقْبَتِهَا الْأَقَايِ وَكُلُّ صَيْلٍ أَسْوَدَ شَجَاعِ

(١) النمل : الفاحية والأمر الشديد . (٢) في بعض الأصول : «استخرجت» .
(٣) في بعض الأصول : «النسائس» . وفي سائرهما : «التواس» .
(٤) في بعض الأصول : «يتدبب بالعاليان» .
(٥) في بعض الأصول : «يدفع أهل» . (٦) في بعض الأصول : «وأشخعوا» .
(٧) في أكثر الأصول : «طشوس ... قس» . وما أضيفنا من سائر الأصول . وطرش
(بضم أوله ولقد يدق ثابته وأكثره . شيد . سمجة) : «تلمية بالأكملس كسجل على
ولاية وفري» . لنظر جميع البهائم وابن الأثير (ج ص ٢١٤) . والبيان المغرب
(ص ٢٩٥) - ولم ينهش ، أي لم يسه ولا يجهده .

٢٠

٢٥

ثم بنى حصناً عليها راتبا يشتر الثواد فيه دائماً
حتى أثابت عنوة جناتها وغلب عن يافوخا شيطانها
فأذعت لسيّد السادات وأكرم الأحياء والأموات
خليفة الله على عباده وخير من يحكم في بلاده
وكان موت بدر بن أحمد بعد تقول ذلك المؤيد
وأستعجب الإمام خير حاجب وخير مصحوب وخير صاحب
موسى الأفر من بنى جذير^(١) عقيد كل رافة وخير

سنة عشر وثلاثمائة

وبعدها غزاة عشر غزوة بها أفتتح متلون عنوة^(٢)
غزا الإمام في ذوى السلطان يوم أهل السكك والطغیان
فاجتعل حصن متلون^(٣) قاطماً أسباب من أصبح غيماً خالماً
سار إليه . وبني عليه حتى آتاه ملقياً يديه
ثم أثنى عنه إلى شدوته فاضها سهلاً من الخزونة^(٤)
وساتها بالأهل والولدان إلى لزوم قبّة الإيمان
ولم يدع صعباً ولا متيناً إلا وقد أذلّم هيمتا
ثم أثنى بأطيب القول كما موى بأحسن الفضول

سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وبعدها غزاة إحدى عشرية كم تهمت من نائم في سكره

- (١) كذا في سبع الطيب (١ ص ٢٢٩) والبيان للغرب (ص ١٦١) . انتهى في القمي
(من ٢٢٩ ؟) : « موسى بن محمد بن حيدر الحاجب » . بلقاء البهسلة . انتهى
في الأصول : « جرير » .
(٢) في أكثر الأصول : « منه وعنوة » مكان « يتلون عنوة » .
(٣) في بعض الأصول : « ثروية » . (٤) في بعض الأصول : « بني » .
(٥) شدوته . مدينة بالأنلس . وانظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء .

٣٧٢
٢

غز الإمام ينتحى ^(١) يَشْتَرَا في سَكْرًا عظم بذاك عَشَكْرَا
فاحتلَّ مِنْ يَشْتَرَا ذَرَاها وِجَال ^(٢) في شَطِيط ^(٣) وفي سواها ^(٤)
فغَرَّبَ القُمران مِنْ يَشْتَرَا وأدْعَتْ شاطِطُ لُربِ التَّسْكِرِ
فأدخل الشَّدة ^(٥) والمديداً ثم أنتحى بِدُخُونِ السَّجَمِ
ما كان في سواهِلِ البُحُورِ فداسها بالقَضْمِ بِدِ انْتَضَمِ ^(٦)
وأدخل الطاعة في مِكانٍ منها وفي الغاباتِ والوُجُورِ
ثم رَى التَّنَرَّ بِجَهْرٍ قائِدٍ لم يذُرْ قَطُّ طاعةَ السُّلطانِ
به قأ ^(٧) الله ذوى الإِشْرَاقِ وذادهم عنه بِجَهْرٍ ذائِدِ ^(٨)
وأنتاش من مَهَوَّاتِها طِيلَه ^(٩) وأتخذ التَّنَرَّ مِنْ المِلاكِ
وطَهَرَ ^(١٠) التَّنَرَّ وما تَلِيَه وقد جرت دماؤها مَطْلُوه ^(١١)
ثم أنشَى ^(١٢) بالفتح والنجاح من شِمةِ الصُّكْرِ ومن ذَوِيَه
قد خَيرَ القِصادَ بالصَّلاحِ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٧٧) من هذا الجزء . وفي بعض الأصول :

« يَنْتَحِي بِشَتَرَا » .

(٢) في بعض الأصول : « وِجَلز » .

(٣) شامل : حُسنُ بالأندلس من إجمال كورة البيرة كثير العير والنواكه والخيرات .

(انظر مسجيم البلدان) .

(٤) في بعض : « ونسواها » . (٥) في بعض الأصول « القوة » .

(٦) القضم : الأكل بأطراف الأسنان . والحضم : الأكل بأقصى الأضراس . وفي

بعض الأصول : « بالقضم بِدِ القضم » .

(٧) التَّنَرَّ : كل موضع قريب من أرض العدو

(٨) كذا في بعض الأصول . « قأ » (طلمذ وسهل) : قع . والقي في سائر

الأصول : « قفى » .

(٩) طيلة (بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ولازم) : مدته بالأندلس في شرق قرطبة .

(انظر مسجيم البلدان) .

(١٠) في بعض الأصول : « ثوت ... مطولة » .

(١١) في بعض الأصول : « سهل » .

(١٢) في بعض الأصول : « ثم انتهى » .

سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة

- وبعدها غزاة ثنقى عشرة^(١) وكل بها من خسرة^(٢) وغيره
غزا الإمام حوله كتابته كاليدر محفوناً به كواكب^(٣)
غزا وسيف النصر في يمينه وطالع السعد على جبينه
وصاحب التسكر والتدير^(٤) موسى الأغر حاجب الأمور^(٥)
فدثر الحصون من تدمير وأستزل الوحش من الشخور^(٦)
فاجتمعت عليه كل الأمة وبايسته أمره الفتنه
حق إذا أوجب من حصونها وبجل الحق على مؤمنها^(٧)
مضى وسار^(٨) في ظلال التسكر تحت لواء الأسد الفتنير
رجال^(٩) تدمير ومن يلهم من كل صنف يستدعي اليهم
حق إذا حل على نطيله^(١٠) بكت على دمانها اللؤلؤة
وعظم ما لاقى من العدو والحرب في الزواح والغدو
فهم أن يدبح^(١١) دار الحرب وأن تكون رداؤه في الذوب
ثم استشار ذا الثمى والجبر من صعيه ومن رجال الثغر
فصكهم أشار أن لا يدربا ولا يجوز الجبل الوشبا

(١) في بعض الأصول : « خيرة » .
(٢) في بعض الأصول : « كتاب » و « الكواكب » .
(٣) في بعض الأصول : « والتدير » . (٤) في بعض الأصول : « صاحب » .
(٥) تدمير (الضم ثم الكون وكسر اللم وياء ساكنة وراء) : كورة بالاندلس تصل بأحواز كورة جيان ، وهي بدوى قرطبة . (انظر منهم البلدان) .
(٦) أوجب المعنى : أخذه أجمع .
(٧) في بعض الأصول : « وطار » . (٨) في بعض الأصول : « رجال » .
(٩) انظر الجلبية رقم (٥١٦) من هذا الجزء .
(١٠) في بعض الأصول : « تكب عن » .
(١١) يدرب ، أى يهرها ويستولى عليها . وفي بعض الأصول : « يزغ » .

لأنه في عسكري قد انخرم
 وشعوا أن وراء الفتح
 فقال لا بد من الدخول
 وأن أدخ آرض بنبوته^(١)
 وكان رأيا لم يكن من صاحب
 فاستنصر الله وعي ودخل
 لما مضى وجاوز الثروبا
 عي له علاج من الأعلاج
 فاستنصر الإمام زب الناس
 وعاد بالرفقة والقضاء
 قدّم القواد بالخشود
 فأنهزم الملح وكانت ملحة
 فتقلوا متقلة الفناء
 ثم أمال نحو بنبوته
 حتى إذا جاسوا خلل دورها
 بكت على ما فاتها التواظر
 لقد من قتل من رجالها
 فكلمها وحولها من أغلف^(٢)
 ولم بها حقر^(٣) من كنائس
 بنسب كل الرقاء والخشم
 خمسين ألفا من رجال الملح
 وما إلى حاشاه من سيل
 وساحة للدينة للفرقة
 ساعده عليه غير الحاجب^(٤)
 فكان فصحا لم يكن له مثل
 وأدرك الميحاء والمروبا
 صكتا بآطقت على الفجاج^(٥)
 ثم استعان بالندى والباس
 واستنزل النصر من السماء
 وأتبع السدود بالمدود
 جاوز فيها الساقة للقدسة
 فأرتوت البيض من السماء
 وأقبح المسكر في المدينة
 وأسرع الخراب في مقمورها
 إذ جعلت تذقها^(٦) الحوافر
 وذلل من أئتم من أطفالها
 تهمي عليه الدمع عين الأستف^(٧)
 بذلت الآذات بالبنوايس

٣٣٣
٢

١٠

١٥

٢٠

- (١) انظر الحاشية (رقم ٥١٣) من هذا الجزء .
- (٢) في بعض الأصول : « خير حاجب » .
- (٣) في بعض الأصول : « الملاج ... الفجوج » .
- (٤) في بعض الأصول : « سفة » . (٥) الأغلقة : التي لا يمي .
- (٦) في بعض الأصول : « جمع عين » .
- (٧) في بعض الأصول : « مزاء » .

٣٣٣

يبيكي لها الناقوس والصليب
وانصرف الإمام بالنجاس
والنصر والتأييد والتلاح
ثم نفي الرايات في طريقه
فأصبحوا من يسطعهم في قبض
حتى بدوا إليه بالبرهان
فلقد لله على تأييده
كلاماً فرض له النحيب
والنصر والتأييد والتلاح
إلى نفي الذنوب من توفيقه
قد ألصقت خدودهم بالأرض
من أكره الآباء^(١) والولدان
حمداً كثيراً وعلى تسديده

سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ثم غزا يمينه^(٢) أثنوا^(٣)
وحققوا^(٤) بأخيل والرجال
جاء إذا ما عابوا الملاك
وأسلموا حصتهم للنيما
وقبلهم في هذه التزاة
وأحكم الإمام في تدبيره
ومن سوام من ذوى المشيرة
إذ حبسوا^(٥) مراقبا^(٦) عليهم
من البنين والعيال والحشم
تبطوا من أجمع البلدان
وقد أشدوا حولاً حصوناً
وقاتلهم أبلس القتال
تبادروا بالطلوع حينذاك^(٧)
وصمحو بخرجهم خضوعاً^(٨)
قد خدمت مفاصل العصابة^(٩)
على نفي هابل^(١٠) في مسيره
وأمرأه الفتنة للثيرة
حتى أخوا بكل ما لديهم
وكل من لا ذنبهم من العذم
وأسكنوا مدينة السلطان

(١) في بعض الأصول : « أكثر الأبناء » . وفي سائرهما : « أكثر الإماء » .
(٢) في بعض الأصول : « بقية » . (٣) كثيراً في بعض الأصول . ولعلها :
« أكثر » . وفي بعض النسخ بالألف من كورة استجابة . (انظر معجم البلدان وصفة
جزيرة الأندلس) . (٤) في بعض الأصول : « وخمها » .
(٥) في بعض الأصول : « عند فاك » . (٦) في بعض الأصول : « سريها » .
(٧) في بعض الأصول : « ساقط الأساة » . (A) في بعض الأصول : « هائل » . وما
أثبتنا من سائر الأصول و Spanish Islam 353 .
(٨) في بعض الأصول : « حبسوا » . (٩) في بعض الأصول : « سريها » .
(١٠) في بعض الأصول : « سريها » .

- فكان في آخر هذا العام
مشاهد من أعظم المشاهد
لما غزا إلى بني ذي النون
إذ جاوزوا في الظلم والطغيان
وجاؤوا الدخول في الأذية
صافهم تمن كل ما رجوه
وضبطه الحصن العظيم الشان
ثم مضى الليث إليهم زحفاً
فانهزموا هزيمة لن تُرفدا
وغيره من أوجه الفرسان
تقطع الأوصال بالسنايك
ثم لجؤا إلى طلاب الأمن
فقبضت رعايتهم وأشتوا
ثم مضى القائد بالتأييد
حتى أتى حصن بني عماره
فافتتح الحصن وغل صاحبه
- ١٠
١٠
- ١٠

سنة أربع عشرة وثلثمائة

لم يفر فيها وغزت قواد
فكلمهم إلى وأحق واكتفى

- (١) في بنى الأصول: «على» . (٢) كلما في بنى الأصول والبيان حرب
(٣) من ٧٠٧ . (٤) والى في سائر الأصول: «سرية» .
(٥) في بنى الأصول: «مسربلا» . وفي سائرهما: «مغربا» .
(٦) في بنى الأصول: «ما غرض» . وفي سائرهما: «وأيضا» .
(٧) في بنى الأصول: «بالحرب والتدمير والإفلة» .
(٨) في الأصول: «بقتل» . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٧٧) من هذا الجزء .

- ثم تلام يدُ لَيْثُ النَّبِيلِ عبدُ الحَليدِ من بني سَيْلٍ ^(١)
هو الذي قامَ مقامَ السَّيِّمِ وجاء ^(٢) في غَزَاتِهِ بِالصِّلِ ^(٣)
رَأْسِ جَالُوتَ التَّنَاقِ وَالْحَسَدِ من مَجْمَعِ الْخَزِيرِ بِرُفْيَةِ الْأَسَدِ
فَها كِهَ مَعَ صَحْبِهِ فِي عِدَّةٍ مُعَلِّينَ عِنْدَ بَابِ السُّدَّةِ ^(٤)
قَدْ أَمْطَطِي مَطِيَّةً لَا تَبْرَحُ صَاعَةً قَائِمَةً لَا تَزْمَعُ
مَطِيَّةً إِنْ يَمْزُهَا أَنْكَسَارُ يَطِيهَا التَّجَارُ لَا يَبْتَاطِرُ
كَأَنَّهُ مِنْ قَوْعِهَا أَسْوَارُ ^(٥) عَيْنَاهُ فِي رِكْلَيْهِمَا مِسْنَارُ
مِبَاشِرًا لِلشَّمْسِ وَالرَّيَاحِ عَلَى جَوَادٍ غَيْرِ ذِي جِلَاحِ
يَقُولُ لِلخَاطِرِ بِالطَّرِيقِ قَوْلُ حُجْبٍ نَاصِحٍ شَفِيقِ
هَذَا مَقَامُ خَادِمِ الشَّيْطَانِ وَتَنْ قَصَى خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ
فَا رَأَيْنَا وَاعْظَا لَا يَنْطَقُ أَصْدَقُ مِنْهُ فِي الذِّى لَا يَبْصَقُ
قُلْ لِمَنْ قُرُ ^(٦) بَسُوهُ رَائِهِ يَمُتْ إِذَا شَاءَ بِمَثَلِ دَائِهِ
كَمْ مَارِقٍ مَقَى وَكَمْ مُتَافِقِ قَدَارَتَقَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْخَالِقِ
وَعَادَ وَهُوَ فِي النِّجَا مُصْلَبُ وَرَأْسُهُ فِي جِدْعِهِ مُرْكَبُ
فَكَيْفَ لَا يَمُجِرُ الْخَلَّافُ ^(٧) بِحَالِ مَنْ تَطْلُبُهُ الْخِلَافُ
أَمَا تَرَاهُ فِي هَوَانٍ يَرْتَعُ ^(٨) مَسْتَهْزَأً لِمَنْ يَرَى وَيَسْمَعُ

سنة خمس عشرة وثلاثمائة

فيها غزاهم من زمنا ^(٩) يُلْشَقَرُ ^(١٠) جَلَّالٌ فِي سَاحَتِهَا وَدَمَرَا

٣٧٥
٢

- (١) كذا في البيان القريب (ص ٧٠٣) - والذي في نون الأبار (ج ٤ ص ١٣٥) :
عبد الحليد بن سليل . . . طاعة في الأصول « لشبل » . . .
(٢) في بعض الأصول : « وجاء » . (٣) الصل : القامية والأمر الشديد .
(٤) في بعض الأصول : « عندنا السدة » مكان « باب السدة » .
(٥) الأسوار (بالضم والكسر) : قائد القرس ، والحليد الذي بالسهم ، والثابت على
ظهر فرسه . (٦) في بعض الأصول : « عزاء » . (٧) في بعض الأصول :
« أما رآه من هوان يرفع » . (٨) في بعض الأصول : « مستهزأ » .
(٩) في الأصول : « بقترا » . وانظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٧٧) من هذا الجزء .
(١٠) (٤ - ٦٦)

ثم غزا بطنجيرة^(١) إليها وهي الشجى من بين أخذعتها
وامتدحها بآبن السليم راتبا مشمرا عن ساقه محاربا^(٢)
حتى رأى خضم سبيل رشده بعد بلوغ غاية من مجده
لقدان للإمام قسدا غاضما وأسلم الحصن إليه طائما

سنة ست عشرة وثلاثمائة

لم يقز فيها وانتحى يمشرا فرمها بما رأى ودبرا
واحتلها بالبر والتكبر ونحو آثار بني خفصون
وعاضها للإصلاح من فسادهم وطهر القبور من أجسادهم
حتى خلا لمعهود كل قبر من كل مرتد عظيم للكفر
عصابة من شيعه الشيطان عدوة لله والنظامين
فخرمت أجسادها تحزما وأصلبت أرواحهم جهنما
وبوجه الإمام في ذا العام عبد الحميد وهو كالفرغام^(٣)
إلى ابن داود الذي تقفما في مجبلى شذونة^(٤) غمما
غطفه منها إلى التوسيط كطائر آفن بالشقوق
ثم أتى به إلى الإبراهيم إلى بوق العهد والتمام

(١) كلما في بنى الأمويك والبيان المغرب (ص ٢٠٢) . قال ابن حنبل : هـ ثم

انتقل هـ . يعني الناصر — قال حقه طليخيرة هـ عهد بالبيان فيها وأقام بها هـ .

والذي في سائر الأصول : هـ ثم بنى طليخيرة عليها هـ .

(٢) راتبا هـ من الرب هـ وهو البدة والأنصارية هـ .

(٣) في بنى الأصول : هـ الضيم الضرم هـ .

(٤) هـ بنى الأصول : هـ شذونة هـ . شريب . انظر الحاشية رقم (٣) ص ٥٠٤ . ٥٦

سنة سبع عشرة وثلثائة

وبعد سبع عشرة وفيها غزا بطليوس وما يليها
 فلم يزل يسومها بالضعف وبنفحتها بسيف الحنف
 حتى إذا ما ضم جانبها محاصراً ثم بقى عليها
 خلى ابن إسحاق عليها راتبا مثابراً في حربه مؤظفلاً
 ومزيتهم^(١) حصون القرب وبنفحتها بسيف الحنف
 حتى قصى منهم كل حاجة وأفتحتا كشونة^(٢) وباجة^(٣)
 وبدفنت القرب واستقصاها وحسبه الأذواء من أعدائهم
 لبث بطليوس على نفاها وغرما اللجاج من مراثيها
 حتى إذا شافت العتوقا وشامت الرماح والشيوخا
 دعا ابن مروان إلى السلطان وجاءه بالهدوء والأمان^(٤)
 فصار في توسعة الإماح وساكناً في قبة الإسلام

سنة ثمان عشرة وثلثائة

فيها غزا يمزهم طليطله وأمنوا بمقتل لا مثل له
 حتى بقي جرنكش^(٥) يمينها حصناً منيعاً كأنه لا يجرها

(١) بطليوس (بالفتح وسكون اللام وباء مضبوطة وسين مهملة) : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آة غري قرطبة . (انظر مسير البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « بصفر » .

(٣) كشونة (بفتح المزة وسكون الكاف) : ضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر التون وباء خفيفة : مدينة بالأندلس يصل مملها بسيل لشبونة . (انظر مسير البلدان) . وفي الأصول : « شكوت » . وما أفتحتا من البيان القرب (ص ٢٠٥) .

(٤) باجة : في نسخة نوازح : « حفا باجة الأندلس حفا » . (انظر مسير البلدان) .

(٥) مروان بن مروان الملقب وكان على بطليوس . (انظر البيان القرب ص ٢١٤) .

(٦) ككنا في تاريخ المسلمين بالأندلس لوزي . وفي البيان القرب (ص ٢١٨) : « جرنكش » . وفيه : حتى احتل على جرنكش بقرب طليطلة ثم أمر بالبيان في جبل جرنكش . وفي الأصول : « جرنكشه » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

٣٣٨
٧

وشدّها بأبن سليم قائداً مجالداً لأهلها مجاهداً
بجنتها في طول ذلك العام بالخلف والنسف وشرب الخمر

سنة تسع عشرة وثلثمائة

ثم أتى ^(١) ردّ قائده دُرّى ^(٢) في عسكر قضاؤه مفعو
فحاصروها عام تسع عشرة بكلّ محبوبك القوي ذى ميرة ^(٣)
ثم أتاهم بدّ بالرجال قتلهم أبلغ القتال

سنة عشرين وثلثمائة

حتى إذا ما سَلَتْ شُهورُ من عام عشرين لها ثُبُورُ
أَلْقَتْ يَدَها لِلإِمَامِ طائفةً ^(٤) وأَسْلَمَتْ قسراً إليه باخه
فأَذْنَعَتْ وقيلها لم تَذْنَعِ ولم تَقُدْ من نَفْسِها وتُسْكِنِ ^(٥)
ولم تَدْنِ لِرَبِّها يَدَيْنِ سبعا وسبعين من السنين
ومُبْتَدِئ عشرين مات المَلْجَبُ موسى الذي كان الشهاب الثاقب
وبرز ^(٦) الإمام بالتأييد في عُدّة منه وفي حديد
صندا ^(٧) إلى المدينة القسينة أُنْصَبَها الرّحْنُ من مَدِينَةٍ
مَدِينَةُ الشُّقَاقِ والنَّفَاقِ وموئل ^(٨) القَسَاقِ وَالرُّاقِ ^(٩)
حتى إذا ما كان منها بالأَمِّ وقد ذكَا خَرَّ المَحْجِرُ واحتدم
أَتَاهُ والها وأَشْيَخُ ^(١٠) لِلْبَيْلِ مُسْتَمْلِعِينَ للإِمَامِ لِلْعَتَمِ
فَوَاقَعُوا الرّحْبَ من الإمام وَأَزَلُّوا فِي الْبِرِّ والإِكْرَامِ
وَوَجَّهَ الإِمَامُ فِي الظُّهُورِ خِيَلًا لَكِنِّي تَدْخُلُ فِي الْحِزْبِ ^(١١)

٢٠ (١) في بعض الأصول : « أتى » . (٢) دُرّى : هو دُرّى بن عبد الرحمن
الصنعلي أبو عَتَان ، مولى أمير المؤمنين الناصر . (انظر البيان المنسوب من ٢٠٧)
(٣) في بعض الأصول : « أسره » . (٤) في بعض الأصول : « طائفة » .
(٥) في بعض الأصول : « وجوز » . (٦) في بعض الأصول : « جنبا » .
(٧) في بعض الأصول : « وترد » . (٨) في بعض الأصول : « بأشباح » .
(٩) في بعض الأصول : « لسكيا يدخل الجزيرة » .
٢٥

جريدة^(١) قائدها دري^(٢) يلح في مؤتمنها الماني^(٣)
 فاقصموا في غيرها وسهلها . وذلك حين غلق من أهلها
 ولم يكن لقوم من دافع بحيل دري^(٤) ولا امتناع
 وقروض الإمام عند ذلكا . وقلبه صب^(٥) بما^(٦) هنالك
 حتى إذا ما حل^(٧) في المدينة . وأهلها ذليلة^(٨) سيئة
 أقصا بالهيل والرجال . من غير ما حرب ولا قتال
 وكان من أول شيء نظرا فيه وما روى له ودبرا
 تهدم ليابها والسور . وكان ذاك أحسن التدبير
 حتى إذا صيرها برآحا . وعانوا حريمها مبلحا
 أمر^(٩) بالتشييد والتأسيس . في الجبل التام إلى عروس^(١٠)
 حتى استوى فيها بناء محكم . فحصل له ماله والخشم
 فعد ذلك أسلت وأستلت . مدينة القماء بعد ما عنت

سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها متقى عبد الحميد ملثم^(١) في أهبة وعدة من العشم
 حتى أتى الحصن القوي ثقلما . يحيى بن ذى النون به وأمتما
 غلقه من حصبات ولب^(٢) من غير تعنت وغير حرب
 إلا بترقيب له في الطاعة . وفي الفخول مدخل الجماعة
 حتى أتى به الإمام راغبا . في الصفح عن ذنوبه وتابا
 فسفع الإمام عن جنائنه . وقيل المبدول من إنيته

(١) في بعض الأصول : « فزاقوا » . (٢) في بعض الأصول : « الهري » .
 (٣) في بعض الأصول : « وقام سديها » . (٤) في بعض الأصول : « أمر » .
 (٥) انظر 247 Spanish Islam وابن الأثير (١٢٦) .
 (٦) ملثم ، أى ملبسا أمر قبة مستعدا . وفي بعض الأصول : « مستلم » .
 (٧) كذا في الأصول .

ورده إلى الحصون ثانياً مسجلاً له عليها وآيات

سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ثم غزا الإمام ذو اللجدين ^(١) في مبتدا عشرين وأثنتين
في قبلى مجهر لهم
حلف الزنى لرحمة نجيش
كأنهم حين على سعالى
فألتحموا ملوندة ^(٢) وروى
حتى أناه للارق الثجيب
فغصم الإمام بالترحيب
ثم جهاه وگلاه ووصل
كلاماً من مزاك الخلائف
وقال كن مقاً وأوطن قرطبه
تكن وزراً أعظم الناس خطراً
فقال إلى ناته من علقى
فإن رأيت سيدى إنهى
ثم أوافيك على أسجبال
وأوقى الإمام باليهود
فقبيل الإمام من أمانه
ثم أنه ربه الشاقص ^(٣)
في أرم من صلاح حالى
بالأهل والأولاد واليهود
ويصل الله من الشهود
ورده عفواً إلى مكانه
تذلى إليه بالوداد الخالص

٢٠

(١) في بعض الأصول : ه الجديد .

(٢) ملوندة : من حصون سرقسطة بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : ه هـ .

(٤) في بعض الأصول : ترقبك فيها في أهل سردينه .

(٥) في بعض الأصول : ه يمي .

٢٥

(٦) يريد جمع يشكنس . وانظر الحاشية رقم (٤) ص ٥٩٠ هـ : ك من حقه الجزء ٧ .

وأنها مُرسلة من عنده وجدها متصل بمجده
واكتفلت بكل بنيلوني وأطلقت أسرى بني ذئب التون
فأوعد الإمام في تأمينها وتكب السكر من حصونها
ثم مضى بالمر والتسكين وناصر لأهل هذا الدين
في حجة الرابت والساكر وفي رجال الصبر والتماس
إلى عدى الله من الجلائق وأيدى للخلق دون الخلق
فدثروا الشهور والقلاع وهتكوا الربوع والرباع^(١)
وخرّبوا الحصون والدائنات وأغروا^(٢) من أهلها للساكنات
فليس في الديار من ديار ولا بها من نافخ للنفار
فنادروا عثراتها خرابا وبذلوا ربوعها يبابا^(٣)
وبالقلاع أحرقوا الحصونا وأشغوا من أهلها المؤمنين
ثم نفي الإمام من عناته وقد شفى الشجن من أشجائه^(٤)
وأمن التفار من أنجاسها^(٥) وطهر البلاد من أرتاسها

•

١٠

٣٧٨
٢

انتهت الأرجوزة

وكل كتاب المسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

(١) في بعض الأصول: «الزروع».

(٢) في بعض الأصول: «وأقتدوا».

(٣) في بعض الأصول:

فنادروا الدور رمادا وبذلوا يابها سوادا

(٤) في بعض الأصول: «النجبي».

(٥) في بعض الأصول: «لنجابها».

٢٠

انتهى الجزء الرابع من القيد الفردي لابن عبد ربه حسب تحريرنا

وبله الجزء الخامس وأوله: «كتاب القيمة الثانية في أخبار زياد والطالبيين».

فهرس الموضوعات

صفحة

خطبة ابن الأعمى بن يدى عمر بن	٩٢
عيد العزيز	٩٢
خطبة لمر بن عبد العزيز	٩٥
خطبة يزيد بن الوليد بن عبد العزيز	٩٥
خطب بنى السبأ	
خطبة أبي العباس السفاح بالشام	٩٧
خطب التصبور	٩٧
خطبة سليمان بن علي	٩٩
خطبة عبد الملك بن ضالم بن علي	٩٩
خطبة صالح	٩٩
خطب داود بن علي	٩٩
خطبة المهدي	٩٩
خطبة هارون الرشيد	٩٩
خطب للامون	٩٩
خطب عبد الله بن الزبير	٩٩
خطب زياد	٩٩
خطبة جامع المحاربي	٩٩
خطب الحجاج	٩٩
خطبة لظاهر بن الحسين	٩٩
خطبة لعبد الله بن باهر	٩٩
خطب للقبلة بن مسلم	٩٩
خطبة ليزيد بن المهلب	٩٩
خطبة لقيس بن ساعدة الإيادي	٩٩
خطبة لسائلة أم المؤمنين ربيعة الله	٩٩
يوم الجمل	٩٩
خطبة لعبد الله بن مسعود	٩٩
خطبة لعبد الله بن مغزوان بعد فتح الآلة	٩٩
خطب لمر بن سميد	٩٩
خطبة للأحنف بن قيس	٩٩
خطبة ليوسف بن عمر	٩٩
خطبة لعبد بن أوس الطائي	٩٩
خطبة لمر بن عبد الله القسري	٩٩
خطبة لمصعب بن الزبير	٩٩

صفحة

فرش كتاب المجتبه في الأجوبة	
جواب عليل بن أبي طالب مساوية	٩٩
وأصحابه	٩٩
جواب ابن عباس رضي الله عنه	٩٩
لمساوية وأصحابه	٩٩
جواب بن حاتم وبن عبد شمس لابن	٩٩
الزبير	٩٩
جواب الحسن بن علي لمساوية وأصحابه	٩٩
جواب بن مساوية وأصحابه	٩٩
جواب بن أبي أمية	٩٩
الجواب القاطع	٩٩
جواب الأسماء والرد عليهم	٩٩
جواب في عزل	٩٩
جواب في طر	٩٩
جواب ابن أبي دؤاد	٩٩
جواب في قسطنطين	٩٩
فرش كتاب الخطب	
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم	
في حجة الوداع	٩٩
خطب أبي بكر رضي الله عنه	٩٩
خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٩٩
خطبة لسليمان بن عثمان رضي الله عنه	٩٩
خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٩٩
رضي الله عنه	٩٩
خطب مساوية	٩٩
وما ذكر لعبد الله بن زياد من مساوية	٩٩
خطب يزيد بن مساوية	٩٩
خطبة عبد الملك بن مروان	٩٩
خطبة الوليد بن عبد الله	٩٩
خطبة سليمان بن عبد الملك	٩٩
خطب عمر بن عبد العزيز ربيعة الله	٩٩
وروي عنه	٩٩

صفحة	
٢٠٠	قولهم في الخبر
٢٠١	وفي الأعلام
٢٠١	قولهم في الصنف

توقيعات الخلفاء

٢٠٥	عمر بن الخطاب
٢٠٦	عثمان بن عفان
٢٠٦	علي بن أبي طالب حكرم الله وجهه
٢٠٦	صاوية بن أبي سفيان
٢٠٧	يزيد بن صاوية
٢٠٧	عبد الله بن مروان
٢٠٨	الوليد بن عبد الملك
٢٠٨	سليمان بن عبد الملك
٢٠٨	عمر بن عبد العزيز
٢٠٩	يزيد بن عبد الملك
٢٠٩	هشام بن عبد الملك
٢١٠	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٢١٠	مروان بن محمد

توقيعات بني العباس

٢١١	الفتح
٢١١	أبو جعفر
٢١٢	المهدي
٢١٣	موسى الهادي
٢١٣	هارون الرشيد
٢١٥	المأمون

توقيعات الأمراء والكبراء

٢١٧	زيد
٢١٧	الحجاج بن يوسف
٢١٨	أبو مسلم
٢١٩	جعفر بن يحيى
٢٢٠	القائل بن سهل
٢٢٠	الحسين بن سهل ذو الراسين
٢٢٣	طاهر بن الحسين
٢٢٧	توقيعات للجمع

مقدمة

١٣٦	خطبة لفتح بن يمين بالكوفة
١٣٦	خطبة شبيب بن شيبة
١٣٧	خطبة لجبة بن أبي سفيان

خطب الخوارج

١٤١	خطبة لفرط بن الصفاء في دم الدنيا
١٤٤	خطب لأبي حمزة
١٤٧	من أخرج عليه في خطبته
١٤٩	خطب النكاح
١٥١	خطب الأمراء

فرش كتاب التوقيعات والفصول

١٥٦	أوله من وضع الكتابة
١٥٨	استفتاح الكتاب
١٥٨	ختم الكتاب وعنوانه
١٥٩	تاريخ الكتاب
١٦٠	تضمير الألف
١٦٠	عرف الكتاب وضمهم
١٦١	أقام أي بكر رضى الله عنه
١٦٢	أقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٦٤	أقام عثمان بن عفان رضى الله عنه
١٦٤	أقام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
١٦٥	المهولة الباسية
١٦٧	أسماء من كتب لغير خليفة
١٦٨	أشراف الكتاب
١٦٩	من نزل بالكتابة وكان من قبل خلا
١٦٩	من أدخل فيه في الكتابة ولم
١٧٠	يستحقها
١٧١	صفة الكتاب
١٧٢	ما ينبغي للكتاب أن يأخذ به
١٧٥	خير حاكم الكلام
١٧٩	فضائل الكتابة
١٨٠	ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها
١٨١	البلافة
١٩٠	تضمين الأمراء في الكتاب
١٩١	قولهم في الأعلام

صفحة	
٢٥٥	اسب أي بكر الصديق وصفته ورضي الله عنه
٢٥٦	خلافة أبي بكر رضي الله عنه
٢٥٧	سقيفة بني ساعدة
٢٥٩	الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر
٢٦١	فضائل أبي بكر رضي الله عنه
٢٦٣	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٦٧	استخلاف أبي بكر لسر
٢٦٩	اسب عمر بن الخطاب وصفته
٢٧٠	فضائل عمر بن الخطاب
٢٧٢	مقتل عمر
٢٧٣	أمر التنوير في خلافة عثمان بن عفان
٢٨٤	اسب عثمان وصفته
٢٨٥	فضائل عثمان
٢٨٦	مقتل عثمان بن عفان
٢٩٢	الحوادث التي أتت إلى عثمان
٢٩٥	ما قالوا في وفاة عثمان
٢٩٨	في مقتل عثمان بن عفان
٣٠٢	تبرؤ علي من دم عثمان
٣٠٥	ما قام الناس على عثمان
٣١٠	خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٣١٠	اسب علي بن أبي طالب وصفته
٣١١	فضائل علي بن أبي طالب سكرم الله وجهه
٣١٢	يوم الجمل
٣٢٠	مقتل طلحة
٣٢٢	مقتل الزبير بن العوام
٣٢٥	ومن حديث الجمل
٣٢٧	قولهم في أصحاب الجمل
٣٣٢	أخبار علي وسأوة
٣٣٧	يوم خيبر
٣٤١	مقتل حمزة بن أسير
٣٤٢	من حرب صفين
٣٤٥	خير عمرو بن العاص مع سأوة
٣٤٦	أمر الحسين
٣٥٠	احتجاج علي وأهل بيته في الحركين
٣٥١	احتجاج علي على أهل النهروان
٣٥٤	خروج عبد الله بن عباس علي علي
٣٥٩	مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

صفحة	
٢٢٣	فصول في اللودة
٢٢٥	فصول في الزيادة
٢٢٧	فصول في وصاة
٢٢٨	فصول في عتاب
٢٣٠	فصول في التوصل
٢٣١	فصول في حسن التواصل
٢٣٣	فصول في الشكر
٢٣٤	فصول في البلاغة
٢٣٤	فصول في للدح
٢٣٦	فصول في القم
٢٣٧	فصول في الأدب
٢٣٨	فصول إلى عليل
٢٣٩	فصول إلى خليفة وأمر
٢٤٢	فصول لعمرو بن بحر الجاحظ
٢٤٦	صدور إلى خليفة
٢٤٦	صدور إلى ولي عهد
٢٤٦	صدور إلى ولي شرطة
٢٤٦	صدور إلى فاض
٢٤٦	صدور إلى طاهر
٢٤٧	صدور إلى إخوان
٢٤٧	صدور في عتاب

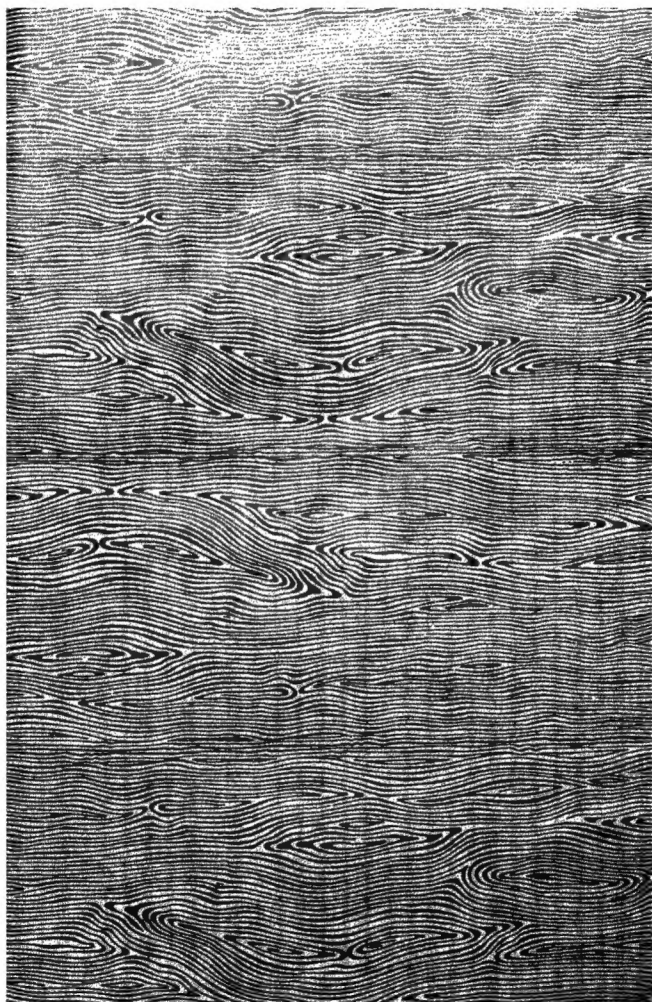
فرش كتاب المسجدة الثانية

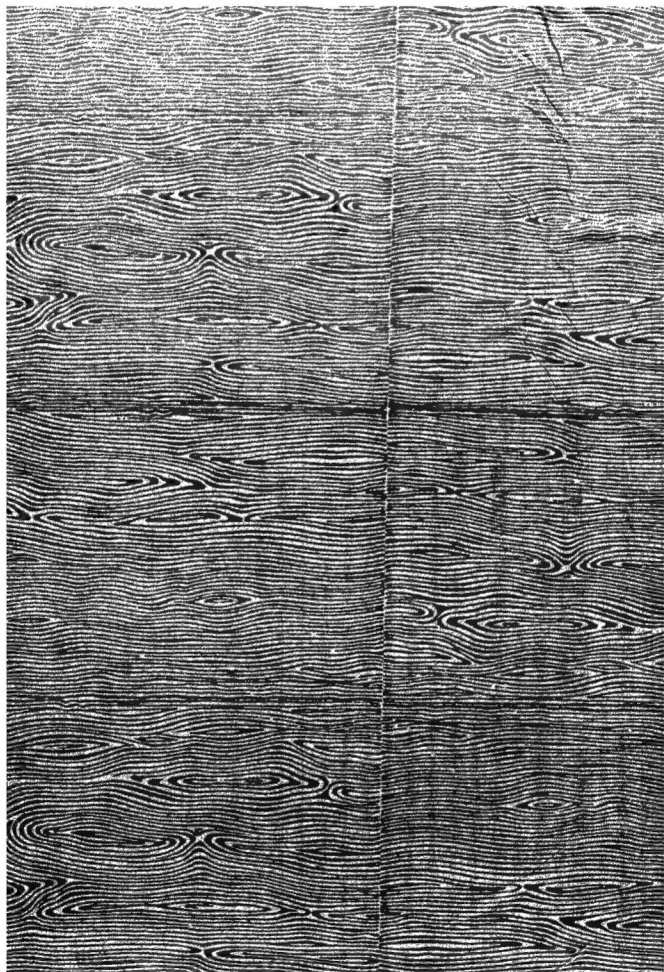
في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

أخبار الخلفاء

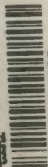
٢٤٦	اسب للمصطفى صلى الله عليه وسلم
٢٤٩	موا التي صلى الله عليه وسلم
٢٥٠	اليوم والعمير الذي حاجر فيه صلى الله عليه وسلم
٢٥٠	مكة التي صلى الله عليه وسلم
٢٥٠	مكة التي وقده صلى الله عليه وسلم
٢٥١	شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم
٢٥٢	أبو النبي صلى الله عليه وسلم
٢٥٢	ولد النبي صلى الله عليه وسلم
٢٥٢	أزواجه صلى الله عليه وسلم
٢٥٤	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
٢٥٤	وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

صفحة	صفحة
٤٣٠ ... وفاة سليمان بن عبد الملك	٣٦١ ... خلافة الحسن بن علي
٤٣٢ ... خلافة عمر بن عبد العزيز	٣٦٢ ... خلافة معاوية
٤٣٣ ... أخبار عمر بن عبد العزيز	٣٦٣ ... قتال معاوية
٤٣٩ ... وفاة عمر بن عبد العزيز	٣٦٤ ... أخبار معاوية
٤٤١ ... خلافة يزيد بن عبد الملك	٣٦٨ ... طلب معاوية البيعة ليزيد
٤٤١ ... أسماء ولد يزيد	٣٧٧ ... وفاة معاوية
٤٤٥ ... خلافة هشام بن عبد الملك	٣٧٥ ... خلافة يزيد بن معاوية ونسبه وصفته
٤٤٥ ... أسماء ولد هشام بن عبد الملك	٣٧٥ ... أولاد يزيد
٤٤٥ ... أخبار هشام بن عبد الملك	٣٧٦ ... مقتل الحسين بن علي
٤٥٢ ... خلافة الوليد بن عبد الملك	٣٨٥ ... تسببه من قتل مع الحسين بن علي
٤٦١ ... مقتل الوليد بن يزيد	٣٨٥ ... رضى الله عنهما
٤٦٤ ... ولاية يزيد الثالث	٣٨٥ ... حديث الزهري في قتل الحسين رضي
٤٦٥ ... ولاية إبراهيم بن الوليد الخوارج	٣٨٥ ... رضى الله عنه
٤٦٨ ... ولاية مروان بن محمد بن مروان	٣٨٧ ... وفاة الحمرة
٤٦٩ ... ولد مروان	٣٩١ ... وفاة يزيد بن معاوية
٤٦٩ ... مقتل مروان بن محمد بن مروان	٣٩١ ... خلافة معاوية بن يزيد
	٣٩٧ ... فتنة ابن الزبير
أخبار الدولة العباسية	٣٩٤ ... دولة بني مروان ووفاته مرج راجع
مقتل زيد بن علي أبا هشام بن	٣٩٨ ... ولاية عبد الله بن مروان
عبد الملك	٤٠٣ ... خبر المختار بن أبي عبيد
٤٨٢ ... خلفاء بني أمية بالأندلس	٤٠٧ ... مقتل عمرو بن سعيد الأشعث
	٤١٠ ... مقتل مصعب بن الزبير
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام	٤١٤ ... مقتل عبد الله بن الزبير
٤٩٠ ... هشام بن عبد الرحمن	٤٢٠ ... أولاد عبد الملك بن مروان
٤٩٠ ... الحكم بن هشام	٤٢٠ ... وفاة عبد الملك بن مروان
٤٩٤ ... عبد الرحمن بن الحكم	٤٢١ ... ولاية الوليد بن عبد الملك
٤٩٣ ... محمد بن عبد الرحمن	٤٢٢ ... ولد الوليد بن عبد الملك
٤٩٦ ... المنصور بن محمد	٤٢٣ ... أخبار الوليد
٤٩٧ ... عبد الله بن محمد	٤٢٤ ... ولاية سليمان بن عبد الملك
٤٩٨ ... عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين	٤٢٦ ... ولد سليمان
الأزجوزة	٤٢٦ ... أخبار سليمان بن عبد الملك





Bibliotheca Alexandrina



0364699